ليبيا

بحث في رحلة الفقد

الدكتور
مصطفى الزايدي

دار البيان للنشر والتوزيع والاعلان
البيان

هذا الكتاب

ليس رواية تاريخية ولا هي سيرة ذاتية مكتملة وليس محاولة للرد علي بعض الأشخاص وبعض الأفكار، بل هو بعض من كل ذلك، إنه محاولة بالتأكيد ليست كاملة ولا هي مكتملة لنقل صورةواقع عشته في مرحلة مهمة في تاريخ ليبيا شعباً ودولة، به أحداث سمعت عنها من رواة موثوقين أغلب الأحداث عشتها بتفاصيلها.

الأحداث في ليبيا خلال نصف قرن ويزيد لا يمكن الإلمام بها في صفحات محدودة فهي لأهميتها وتداعياتها وآثارها تحتاج إلي مجلدات وموسوعات، وعندما يتم التعرض لشخصيات ساهمت فيها وصنعت بعض حواراتها فالأمر أيضا يحتاج إلى مساحات كبيرة وكتب عديدة.

هذا الكتاب ينبش موضوع ويتعرض لبعض الحوادث لأهميتها ويفرد فصلا لتناول سير مختصرة لبعض من ساهم فيها، ولا شك أن إخوة أعزاء ورفاق أجلاء من الرجال والنساء لم يكن ممكنا إيراداها جميعاً فلهم التحية ومنهم المعذرة.

في هذا الكتاب راوية حقيقية ليست مبنية علي مواقف مسبقة أيديولوجية أو جهوية، لكنة ليس كتاب وثائق، فليس هو مصمم كذلك، ولأن الوثائق التي بحوزتي أحرقها المجرمون الذين يحاولون عبثاً طمت التاريخ، لكن لا أشك أن وثائق مهمة لدى كثيرين توثق لما أوردت من أحداث وما تناولت من أشخاص وحواداث.

وما التوفيق إلا من عند اللّه ،،،

المؤلف

الرقم الدولي الموحد: ردمك
ISBN_978_9959_37_274_1
رقم الايداع المحلي: 1207/2021
دار الكتب الوطنيه بنغازي دار البيان للنشر و التوزيع والإعلان
بنغازي. ليبيا-هاتف 061.2232104
محمول 091.2090770

دار البيان للنشر والتوزيع والاعلان
البيان

ISBN 978-9959-37-274-1
9 789959 372741

لـيبيـا

محطات في رحلة كفاح

ليبيا.. محطات في رحلة كفاح

الدكتور مصطفى محمد الزائدي

ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف على هذا كتابة ومقدمًا.

الطبعة الأولى: 2022

الرقم الدولي الموحد: ردمك ISBN -978-9959-37-274-1

رقم الإيداع المحلي: 2021/1207 دار الكتب الوطنية بنغازي

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب - بنغازي

جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للمؤلف

دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان

بنغازي - ليبيا

هاتف 061.2232104 – محمول 091.2090770

ليبيا

محطات في رحلة كفاح

إهداء

إلى أرواح والدي ووالدتي وأخي، وإلى كافة أفراد أسرتي الذين تحملوا معي مشقة النضال الوطني، وإلى كل الرفاق والزملاء الأعزاء، إلى أرواح من قضى منهم وإلى من لازال يناضل في سبيل هذا الجزء الغالي من الوطن العربي الكبير، أهدي هذا المجهود المتواضع، عساه أن يساهم في تكوين ذاكرة وطنية مبنية على الحقائق، وقد يؤسس إلى حوار وطني جاد بين المختلفين من الليبيين بعيدا عن الأكاذيب والدعايات والأحقاد، وخارج دوائر العبث الأجنبي.

الدكتور مصطفى محمد الزائدي

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	7
المحتويات	9
المقدمة	17
المحطة الأولى: البداية	19
المحطة الثانية: الملك الصامت! والنواب الدائمون!	39
امتحانات زمن النكسة	44
الانطلاقة	50
المحطة الثالثة: في كلية الطب	55
من الطب إلى قسم الحيوان	59
نقطة تحول	63
المحطة الرابعة: الثورة الشعبية	67
ندوة الفكر الثوري 6 مايو 1970	72
حوار مع الإسلاميين	75
عام الثورة الدائمة	79
صراع مع الشيوعيين والإخوان في الجامعة	80
المحطة الخامسة: نضال من أجل بناء اتحاد ثوري للطلبة	85
بكار يصوت في الصندوق الأسود	95
في المؤتمر القومي الأول للاتحاد الاشتراكي العربي	97
المحطة السادسة: خطاب زوارة والنقاط الخمس	105
البيضاء في السبعينيات	110
ليلة باردة في مواجهة هجوم القمل	112
مع الحريري في المحافظة	116
حوار في الحدائق	118
المحطة السابعة: الزحف على الإذاعة	121
انقلاب بسيكري	123
التدريب أو "التذنيب" العسكري العام	127
المحطة الثامنة: المسيرة الوحدوية	131

الموضوع	الصفحة
في مصر بدون جواز ولا وثائق ولا حقيبة سفر	**139**
حوار ساخن في جو مشحون في معسكر البركة	**145**
أصعب الامتحانات!	**148**
المحطة التاسعة: التدريب الإكلينيكي الطبي في ليبيا	**155**
المحطة العاشرة: تعبئة ثورية في سرت	**163**
إعلان جربة	**167**
لقاءات مفصلية	**170**
غفلة عن عيد الثأر	**171**
حوار بأبو هادي	**173**
رحلة إلى بيروت	**175**
تأسيس الاتحاد العام للطلبة بنفس ثورية ديمقراطية	**180**
المحطة الحادية عشرة: 1975 عام التحدي الطلابي الحقيقي	**191**
أخ لم تلده أمي	**197**
حملة دعائية محمومة	**200**
السابع من أبريل 1976 عام الحسم الثوري السلمي	**202**
حقيقة السابع من أبريل لله وللتاريخ	**207**
استفزاز طلاب الزاوية	**208**
5 أبريل في مدينة سلوق	**210**
كلمة للتاريخ	**217**
صيف وخريف 1976 ولقاءات طلابية كبرى	**218**
حصاد السنين، امتحان الخروج	**224**
المحطة الثانية عشرة: ليبيا بلا دستور؟	**229**
دستور 51 وثيقة لها فقط شرعية دولية	**231**
حوار حول دور القائد	**237**
تاريخ سيذكره التاريخ	**239**
توجيهات القائد أوامر واجبة التنفيذ	**242**
أحكام بالإعدام	**245**
برنامج الامتياز	**248**
زواج وسط الحرب!	**250**

الموضوع	الصفحة
مبادرات ثورية "حماية الجماهيرية بداية الفتح الوحدوي"	**254**
المحطة الثالثة عشرة: التنظيم الثوري: حوار ساخن في الظلام	**259**
تأسيس حركة اللجان الثورية	**262**
مؤتمر الطلاب العالمي	**267**
المحطة الرابعة عشرة: عام الرحلات التاريخية والتصعيدات الاستراتيجية	**271**
سؤال في قم، أين الإمام؟	**279**
تصعيد شعبي نموذجي	**283**
في بلدية العزيزية	**286**
بكار يصرخ من بوشنه هذا؟	**288**
وفاة عائشة بن نيران	**291**
المكاتب الشعبية	**293**
رحلة إلى أمريكا الوسطى	**295**
رحلة إلى غانا	**298**
في قبضة جند خائفين	**300**
المحطة الخامسة عشرة: تأسيس الزحف الأخضر	**303**
المحطة السادسة عشرة: دراسة في الخارج موافقات بالصدفة	**309**
1980 عام التنقل للبحث عن موقع دراسة مناسب	**312**
المحطة السابعة عشرة: ليس من النضال الثوري مفر	**317**
حركات الخضر والبديل والسلام	**319**
المحطة الثامنة عشرة: ملتقيات اللجان الثورية	**323**
المحطة التاسعة عشرة: في أوروبا	**333**
المحطة العشرون: في فيينا	**337**
العدوان البربري على ليبيا	**340**
المحطة الحادية والعشرون: حرب الصحراء	**343**
المحطة الثانية والعشرون: في أمانة الصحة	**349**
الانفتاح الاقتصادي	**361**
أمانة المؤتمر تقرر خصم شهر من مرتبات اللجنة الشعبية العامة	**362**
جمعة ساخنة	**365**
مؤتمر رأس لانوف	**367**

الموضوع	الصفحة
حوارات في مجلس وزراء الصحة العرب	**369**
في منظمة الصحة العالمية	**372**
علاقات مع الجزائر	**376**
حكاية المصمودي	**380**
إعلان زرالده	**382**
مصنع الرابطة	**384**
عودة مصر	**387**
مع سانكارا	**389**
قطاع الصحة في البلديات	**393**
شهادة للتاريخ	**396**
توضيح واجب	**400**
المحطة الثالثة والعشرون: التفرغ للطب	**403**
تأسيس مجلس التخصصات الطبية	**405**
عام الدعوة للوحدة العربية	**413**
المحطة الرابعة والعشرون: عام الحصار	**417**
حدث جلل ومصاب عظيم	**420**
أعراس التحدي	**424**
رحلات التحدي	**428**
القائد يكسر الحصار	**432**
الرؤساء الأفارقة يكسرون الحظر الجوي	**433**
عملية الشاطئ	**436**
جراحة للقائد على الهواء مباشرة	**438**
أطباء زوار	**443**
حادث غريب في هراوة	**445**
جراحة أخرى للقائد! ووشاية من النوع الثقيل!	**451**
المحطة الخامسة والعشرون: العمل الخارجي	**457**
موسى كوسا المثابة العالمية	**458**
حركة اللجان الثورية نضال بالمجهود الذاتي	**461**
عام التطهير	**465**

الموضوع	الصفحة
عودة اللقاء الدائم	**466**
المحطة السادسة والعشرون: تهديد في السابع من أبريل	**471**
اللجان الثورية للمتابعة	**474**
فكرة ثورية لتطوير قطاعي الصحة والتعليم لم يكتب لها النجاح	**481**
التطبيق الاشتراكي هو الحل	**482**
القائد يعيد الكرة	**490**
صراع مفتعل مع ليبيا الغد	**494**
لقاء ليلي في البيضاء	**499**
2005 مليونية تحد وطنية	**505**
بداية التسلل	**510**
ناقوس الخطر	**513**
إعلام معادٍ بثوب وطني	**517**
المحطة السابعة والعشرون: عام اللقاءات التاريخية	**521**
جمعية أنصار الكتاب الأخضر	**524**
المؤامرة الكبرى	**529**
عام النكبة	**533**
المحطة الثامنة والعشرون: الهجرة	**559**
مفأجاة سارة من العيار الثقيل	**562**
التاريخ أعاد نفسه	**563**
بداية الرحلة	**564**
أيام في عين أزال	**567**
المحطة التاسعة والعشرون: التنظيم الوطني	**573**
تأسيس عبر الفضاء	**581**
حوار مع من لا حوار معهم	**583**
المؤتمر العام الأول	**587**
المحطة الثلاثون: اللقاء مع قيادة الجيش	**593**
حوار مع قيادات من مصراتة	**596**
حوار الهضبة	**597**
رفاق الرحلة	**599**
رجال من رجال	**603**

الموضوع	الصفحة
محمد المجدوب	**603**
عبد القادر البغدادي	**607**
أحمد محمد إبراهيم	**612**
عز الدين محمد الهنشيري	**616**
سعيد محمد راشد	**619**
عبد الله امحمد السنوسي	**624**
محمد علي المصراتي	**628**
عمار المبروك الطيف	**631**
المهدي مفتاح امبيرش	**634**
عمر محمد السوداني	**637**
الطيب الصافي المنفي	**639**
إبراهيم مصباح أبو خزام	**643**
بشير محمد سعد	**646**
عمران إبراهيم أبو كراع	**648**
محمد بلحسن جبريل العرفي	**652**
علي ميلاد أبو جازية	**655**
نصر عبد الله المبروك	**657**
محمد علي زيدان	**658**
سليمان ساسي الشحومي	**660**
عبد الله ميلاد المقري	**662**
مختار القناص	**664**
محمد المدني الأزهري	**665**
عبد السلام محمد الزادمة	**667**
معتوق محمد معتوق	**669**
رجال سبقونا فصاروا قدوة حسنة لنا	**671**
محمد بلقاسم الزوي	**671**
أبوزيد عمر دورده	**674**
محمد أحمد الشريف	**678**
جاد الله عزوز الطلحي	**681**
عبد العاطي إبراهيم العبيدي	**683**
بشير صالح بشير	**685**
البغدادي علي المحمودي	**687**

الموضوع	الصفحة
مفتاح كعيبة	**684**
رفاق وإخوة خارج إطار السياسة	**691**
عطية الطاهر اجعي	**691**
المرحوم عبد الله علي أبو ستة	**693**
زملاء أفاضل وأصدقاء أعزاء	**695**
مناضلون ثوريون وقادة سياسيون	**699**
ونيس محمد الشاوش	**699**
صالح أحمد الشيخي	**700**
علي الفيتوري ريح	**701**
إبراهيم محمد عبد السلام	**701**
عبد السلام احمودة العجيلي	**703**
رمضان المبروك البريكي	**704**
عبد السلام محمد إسماعيل	**705**
محمد محمود الحجازي	**706**
عبد الفتاح الشريف	**707**
علي يوسف زكري	**708**
حسني الوحيشي الصادق	**709**
علي اللافي أبو زريبة	**709**
سعيد عوض رشوان	**710**
عمر علي الصيد	**711**
مفتاح علي عزوزة	**712**
فتحي بن شتوان	**712**
أبو عجيلة رمضان فكرون	**713**
صالح إبراهيم المبروك	**714**
قاسم صنبير	**715**
أحمد عبد الله أبو خريص	**715**
سليمان رمضان الكيلاني	**716**
ميلاد حسين الفقهي	**716**
علي الكيلاني	**718**
إسماعيل كرامي	**719**
ميلاد دامان	**720**
محمد سعيد القشاط	**722**

الموضوع	الصفحة
مصطفى مفتاح الدرسي	**723**
عبد الله عثمان عبد الرحيم	**724**
عمر النفيشي	**725**
عبد الكبير الفاخري	**726**
مفتاح أبو ستة	**726**
قرين صالح قرين	**727**
عبد الله يحيي الفرجاني	**728**
عمران حموده	**728**
محمد صالح بن النيران	**729**
عثمان يونس الدعيكي	**729**
فتحي أبو الشواشي	**730**
معاوية الصويعي	**731**
عبدالحميد القعود	**732**
أحمد علي إسماعيل	**733**
ناصر سعيد امحمد	**733**
رفاق أخذهم الموت مبكرًا.. إبراهيم محمد بكار	**735**
إبراهيم محمد البشاري	**737**
فرج مخيون	**738**
عياد الأربش	**740**
الشارف الفرجاني	**740**
موسى زلوم	**741**
سعيد الجويفي	**741**
عبد الفتاح الشويرف	**742**
بلقاسم مختار بشير	**742**
محمد صالح منصور	**743**
سالم أحمد الشيباني	**743**
يونس صالح معافة	**744**
علي مرسي الشاعري	**745**
استذكار تاريخ ثورة الفاتح واجب	**747**

تمهيد

كانت ليبيا في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات دويلة منهكة مدمرة فقيرة ضربتها مجاعة شاملة أهلكت كثيرًا من أبنائها، قد خرجت لتوها من أتون الحرب العالمية الثانية التي دارت أخطر وأبشع وأشرس معاركها في شمال أفريقيا على أرضها من العسة إلى سيدي براني حصدت أرواح عشرات الآلاف من سكانها، وأصيب مئات الآلاف بإعاقات مستدامة، وشردت من نجا من قبائلها من بطش الفاشست، وشتت شمل عشرات الآلاف من العائلات، عانى سكان طرابلس على وجه الخصوص بالإضافة إلى ذلك من آثار المجاعة التي فاقت مستوى مجاعات العشرينيات من القرن الماضي، بسبب الجفاف وعدم هطول الأمطار لسنين متتالية، هاجر كثير منهم إلى المنطقة الشرقية فيما عرف بين السكان المحليين "بعام بنغازي"، ومن بقي منهم فتك به وباء الجذري الذي أودى بحياة الآلاف، وبقيت آثاره مرسومة على وجوه الكثيرين مدى حياتهم.

لقد دخل الليبيون النصف الثاني من القرن العشرين، وهم أكثر فقرًا وأشد عوزًا، إضافة إلى الأمية الشاملة، فيحسب عدد الذين يستطيعون القراءة والكتابة بالمئات، والمتعلمون الذين استكملوا مراحل التعليم النظامي فى كل المستويات بالعشرات، أما الجامعيون فلا يزيدون كثيرًا عن العشرين في كل الوطن الليبي أغلبهم من الأزهريين أبناء بعض المهجرين أو المحظوظين لدى السلطة الاستعمارية الإيطالية.

وقعت ليبيا تحت تأثير التحولات السياسية التي حدثت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة المحور، وسيطرة الإدارة العسكرية الإنجليزية على البلاد، التي أثرت كليًا على أداء الخدمات المحدودة أصلا، فاستبدلت عملة الطليان بالعملة الإنجليزية، وتولى ضباط صف إنجليز إدارة مصائر الناس في كافة شؤون الحياة المدنية والأمنية، متحالفين مع الجالية اليهودية التي تسلل إلى بعضها الخطاب الصهيوني المتعصب، وأيضا مع المستوطنين الطليان الذين غيروا ولاءهم بمجرد سقوط الفاشية في شمال أفريقيا.

ما خفف من معاناة الليبيين هطول كميات كبيرة من الأمطار مصحوبة بثلوج كثيفة عام 1949 على المنطقة الغربية، حيث عرف ذلك العام بـ"عام الثلج" واستبشرالليبيون به خيرًا، فشبح الجوع قد ينقشع وتعود الأرض لتمنحهم الدفء والحنان ومقومات الحياة، رغم البرد والجوع اللذان كانا سيدا الموقف، لقد عقد أهل طرابلس العزم على الخروج من محنتهم وإعادة ترتيب حياتهم وفقا لواقع الحال وليس وفقا للآمال.

***

المحطة الأولى

البداية

كانت صرختي الأولى التي أعلنت خروجي إلى الحياة الدنيا فجر يوم الاثنين 11 ربيع الأول 1372 هجري الموافق 21 نوفمبر1952 حسب ما روته والدتي رحمها الله، وحسب ما سجله أخي الأكبر المرحوم علي حافظ في إحدى أوراقه، في بيت من الشعر بني بين أشجار السدر التي تنتشر في قفار كثبان سوق السبت الرملية، وعلى ضفاف وادي المجينين الجاف، الابن الخامس لأب أنهكته السنين، وضاق به الحال، وعانى مباشرة من الاستعمار الإيطالي، خامس خمسة من الذين تمكنوا من تجاوز تحديات الموت، من الأمراض المميتة التي كانت تقصف بأعمار مواليد ذلك الجيل والجيل الذي قبله وكذلك الجيل الذي بعده، وحالة الفقرالمدقع التي يعيشها الليبيون، فقدت أمي خلالها ثلاثة آخرين توفوا في بداية أعمارهم، ربما أقربهم إلى قلبها ابنتها الوحيدة امباركة التي ذهبت ضحية داء الحصبة.

لقد عاد والدي وإخوتي إلى منطقة النواحي الأربعة من نفي اختياري في منطقة رقدالين عام 1945 في رحلة شاقة شبيهة بحكايات الخيال، وقصص ألف ليلة وليلة، استغرقت من الزمن سنتين بالتمام والكمال أقاموا خلالها في العجيلات وفي صياد، وأخيرا في منطقة فندق الشريف بالنواحي الأربعة، تاركين عمي المجاهد علي الخثني في مضارب قبائل النوائل، حيث اختار البقاء للاستمرار في الإشراف على تربية أبناء رفيقه في الجهاد، وفي

المهجر المصري، منصور بن كريم الذين كانوا في حاجة إلى رعايته.

كان المرحوم عمي علي بن زائد قد عاد عام 1940 من منفاه في مصر بعد أن قاربت الحرب على وضع أوزارها، وبعد رفضه لعروض للالتحاق بالجيش الذي شكله الإنجليز لمحاربة الطليان، شعاره لن أبيع دمي للإنجليز ليطردوا الطليان ويحلوا محلهم فكلهم أعداء الدين والوطن.

النواحي الأربعة هي تسمية إدارية تركية للمنطقة الممتدة من شرق طرابلس إلى الجبل الغربي وتمتد جنوب ورشفانة إلى الوادي الحي "الميت سابقا" ويسكنها قبائل العلاونة، وعكارة، والخثنة والرقيعات، ولكل القبائل ملك في منطقة سوق الجمعة، وتالبيغه والحشان، وعين زارة، وشط الهنشير إلى باب بن غشير وأبومليانه وكذلك في الخلال والأودية، وامتداد سهل الجفارة جنوب وشرق طرابلس، وأيضا في باطن الجبل الغربي.

عندما اجتاحت الجيوش الإيطالية ليبيا عام 1911 وتخلت الدولة التركية عن التزاماتها وباعت ليبيا في معاهدة "أوشي"، كان خيار الليبيين الوحيد هو المقاومة بما أوتوا من إمكانات، وهكذا كان خيار علي بن زائد، ومحمد بن زائد وإخوته وأقربائه، مع خيار بقية الليبيين الفقراء المقموعين من الإدارة التركية الغاشمة والمنهكين من ضرائبهم غير المعقولة، وطغيان جنودهم الأغبياء وأعوانهم الطامعين، وهو الالتحاق بقوة المجاهدين لمواجهة الغزو الأجنبي لبلادهم، لقد كانوا شبابًا صغارًا وغير مدربين على حمل السلاح، ولم ينخرطوا في كتائب عسكرية، لكن ذلك لم يمنعهم من حمل البنادق والفؤوس لمواجهة الطليان، شاركوا في معارك الهاني والمنشية وجنزور، وأبوعرقوب الأولى وسيدي الجيلاني والجراية والقرضابية

والمشرك، بعد معركة جنزور في 1911 فقد علي بن زائد وأخاه محمد إخوتهما، إمحمد والصغير وساسية في منطقة صياد، الذين اختفوا منذ ذلك التاريخ ولم يعثر لهم على أثر إلى هذا اليوم، بعد أن فقدوا الأمل في إيجادهم، ذهبوا إلى إخوتهم الاجتماعيين، عائلة بن كريم من قبيلة النوائل الذين كانوا يرتبطون بعائلتهم بعلاقة أخوة تعود إلى سنين مضت أيام طغيان الأتراك، حيث كانوا يفرون من بطش الجنود وهم يجمعون الضرائب، وبسبب انضواء والدهم زائد بن علي بن خليفة مع مقاومة المحاميد لجور الأتراك، من هناك التحقوا مع رفاقهم من عائلة بن كريم بالمجاهدين بقيادة سوف المحمودي، وشاركوا معه في أغلب معارك الجهاد في المنطقة الغربية وآخرها معركة المشرك التي جرح بها محمد بن زائد واستقرت رصاصة في ساقه بقت إلى حين وفاته، وكان علي بن زائد ورفيقه منصور بن كريم من أقرب المقاتلين إلى سوف المحمودي وتولوا حمايته الخاصة، بعد المشرك افترق الأخوان، هاجر علي بن زائد مع من تبقى من قوة سوف إلى مصر، أما أخاه محمد فعاد إلى النوائل مع بعض من عائلة كريم ومنها اضطروا للهجرة بكرامتهم مع قادة النوائل إلى تونس بعيدا عن بطش الطليان ووشيات الدواسيس العملاء، استقر بهم الأمر لبضع سنين في صفاقس في مضارب قبيلة أجلاص، في سنة 1930 تزوج من فتاة ترهونية مهاجرة مع أمها، غرسة محمد سالم بن طريق من قبيلة أولاد علي من ترهونة، كان والدها قد استشهد في القرضابية وعمرها لا يزيد عن سنة، فتكفل بها زوج أمها سالم المسعي من قبيلة أولاد علي أيضًا، وهو رجل طيب بسيط عطوف فاعتبرها تماما كأبنائه تربّت مع إخوتها من أمها، على بن سالم، وصالح بن سالم رحمه الله، وبية بنت سالم.

في عام 1931 وبعد أن استقرت الأمور للإيطاليين في المنطقة الغربية عاد محمد بن زائد وبعض من رفاقه النوائل إلى مناطق قبيلة النوائل في رقدالين والعسة، وفي عام 1933 رزق ببكر أسماه على أخيه المغترب عنه علي، في تونس توفي سالم المسعي وزوجته الجازية، وتولى أخوه محمد المسعي الاعتناء بأولاده، ورجع علي بن سالم وأخوته من تونس رفقة عمهم محمد المسعي الملقب بالطبيب.

محمد المسعي كان رجلاً قاسياً شرساً مزواجاً، لا يحب مخالطة الناس، كان شديد القسوة مع زوجاته، ونال نصيبًا من تلك القسوة أبناء أخيه، كان يمارس التطبيب الشعبي فيصيب أحيانا ويخيب أحيانا أخرى.

عائشة بنت زائد الشقيقة الوحيدة المتبقية، تزوجت علي ابن سعيد الشعافي، رزقت منه بزائد ومحمد ومبروكة، بقوا في تونس بعض الوقت لكن مع عودة شقيقها إلى رقدالين حتى سارعت وزوجها بالعودة معه وبقوا جميعا في النوايل ولبعض الوقت في الجميل والعجيلات.

كانت حياة الليبيين وقتها تعيسة جدًا لكنها بسيطة، ولطبيعة البادية كان التكافل هو السمة السائدة، لذلك على صعوبة الحياة كانت أوقات جيدة للاستمتاع بها، لكن القحط والمجاعة أجبرت الشعافي وزوجته وأولاده على العودة إلى تونس، وكحال أغلب الليبيين المهاجرين انقطعت أخبارهم عن ذويهم إلى بداية الستينيات.

محمد المسعي قرر العودة إلى ترهونة، لكن ابن أخيه علي سئم قسوته، فاضطر إلى أخذ إخوته وعاد أدراجه إلى تونس دون علم أخته الكبرى وزوجها وابنهما اليافع.

بقي علي بن زائد في المهجر إلى أن توفي صديقه ورفيقه المرحوم منصور بن كريم في مصر، وترك طفلين صغيرين هم كريم والشعيلي، فتولى رعايتهما ثم قرر إعادتهم إلى ذويهما في رقدالين، فاعتبروه والدهما وعاملهما أكثر من أولاده، إن تلك العلاقة النضالية الاجتماعية كانت خالصة لوجه الله تعالى فشكلت رابطة قوية بين كثير من العائلات، ومنهم عائلة محمد بن زائد وعائلة بن كريم مستمرة لعقود طويلة بين الأبناء والأحفاد حتى صاروا أخوة تماماً، علي بن زائد نذر نفسه لخدمة عائلة رفيقه وبقي معهم إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى عام 1947 في رقدالين ودفن بها.

عاد محمد بن زائد إلى النواحي الأربعة مع أطفاله في رحلة شاقة طويلة استغرقت عدة سنوات، أقامت الأسرة خلالها في عدة مناطق أهمها العجيلات التي أقاموا بها أكثر من ثلاث سنوات، وصرمان وبعدها صياد، مع رحلة الأسرة الشاقة في العودة إلى الديار كانت الحرب الكونية الثانية تلفظ أنفاسها، عام 1942سيطر الجيش الإنجليزي على ليبيا وشكل ما عرف بالإدارة الإنجليزية وفرض تداول عملته بدلا عن العملة الإيطالية، أما الإيطاليون، فلقد غيروا جلودهم وتحولوا من الفاشستية إلى قوى مدنية اندمجت في مؤسسة المستعمر الجديد، وقدموا لها العون، وشكلوا لها القوة الاقتصادية الداعمة.

كان الاستعمار الإيطالي استعماراً استيطانياً، يقوم على أكذوبة أن ليبيا هي الشاطئ الرابع لإيطاليا، وأن الليبيين هم مجرد سكان طارئين، يجب تجريدهم من وطنهم، انشأوا مستوطنات خاصة بهم على الأراضي الصالحة للاستزراع في ليبيا خاصة في منطقة سهل الجفارة وترهونة والجبل الأخضر، جلبوا إليها مئات الآلاف من المستوطنين من كل إيطاليا وخاصة من جزيرة صقلية "الشيشليان"

ولم يبقى تحت رعايتهم إلا أعدادًا قليلة من الليبيين، الذين قبلوا التعايش مع المستعمر وفضلوا مهادنته على محاربته، كانت المؤسسات الاقتصادية كلها مملوكة لهم بالكامل، أمموا الأراضي الصالحة للاستزراع من القبائل وحولوها إلى مزارع خاصة بالمستوطنين، استغلوا كل الأراضي التي كان المستعمرون الأتراك قد اغتصبوها من القبائل في إطار "الميري" ووزعوها على المستوطنين، امتلكوا كل المؤسسات التجارية الكبرى والمتوسطة ولم يتركوا لليبيين سوى تجارة البقالة البسيطة، فكان الاقتصاد الليبي البسيط في معظمه بيد الطليان والأقلية اليهودية المرتبطة بهم، وكان لعدد قليل جدًا من العائلات الليبية خاصة تلك التي تنحدرمن أصول تركية ومالطية وبلقانية ومغربية بعض الحظوة عند المستعمر مكنتهم من مزاولة بعض الأنشطة وربطتهم بالمستعمر.

في منطقة النواحي الأربعة شقت طريق من طرابلس إلى ترهونة، ثم من مسلاته إلى الطريق الساحلي، وعلى جانبي الطريق من قصر بن غشير إلى سوق الخميس، ووزعت الأراضي على خمسة جنرالات طليان معروفين من أعوان بالبو، ومنهم عائلة جوليارو المشهور محلياً "بأبوسن"، حيث امتلكوا الأراضي من فندق الشريف إلى سوق الخميس شرق الطريق، وبجينتيني غربها وعلى أولادهما بعرض خمسة كيلومترات شرقا وغربا، الليبيون المتبقون دفعوا للعيش في أراض شبه صحراوية شرق وغرب، كانوا يستخدمون كقوة عاملة بالسخرة تقريبا بمزارع الطليان واسطبلاتهم ومصانعهم.

رغم هزيمة إيطاليا في الحرب إلا أنها لم توقع اتفاق صلح مع الحلفاء بخصوص ليبيا، وخضعت طرابلس وبرقة لسيطرة إنجليزية منذ 1943 إلى عام 1951، وخضعت فزان خلال نفس الفترة

لسيطرة فرنسا، في عام 1949 بعد فشل مؤتمر وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى في الوصول إلى حل بشأن مصير المستعمرات الإيطالية ومنها ليبيا وقع اتفاقًا سريًا بين وزير خارجية بريطانيا "ارنست بيفين" ووزير خارجية إيطاليا "كارلو سافروزا" فيما عرف "اتفاق بيفن سافروزا" حوى خطة لتقاسم النفوذ على المستعمرة الإيطالية بين الإنجليز والفرنسيين والطليان واستبعاد الروس من أي دور في ليبيا، واتفق أن تخضع برقة للإدارة البريطانية وفزان للإدارة الفرنسية وطرابلس للإدارة الإيطالية مع مجلس استشاري يضم مصر وفرنسا وبريطانيا وأمريكا، لكن المشروع رفض في الأمم المتحدة نتيجة جهود القوى الوطنية الليبية التي رفضت مبدأ التقسيم أساسا، ورفضت أي دور للمستعمر الإيطالي في إدارة المرحلة الانتقالية، لذلك خضع الشمال للإدارة الإنجليزية ببعض الواجهات الليبية من أولئك الذين عملوا ضمن منظومة الدولة الإيطالية وسلطة فعلية للمستشارين الإنجليز الذين نشروا في كل الدوائر الحكومية خاصة المالية والأمنية وبقوا حتى قيام ثورة الفاتح.

حاول الإنجليز فرض تقسيم ليبيا إلى ثلاثة دويلات طرابلس وبرقة وفزان كأمر واقع، وبدأ التنفيذ بإعلان إدريس السنوسي قيام إمارة برقة السنوسية في المنطقة الشرقية اعترفت بها بريطانيا وأصدر الحاكم العسكري البريطاني أمرًا بتعيين إدريس أميرًا عليها، رغم المعارضة الوطنية والعربية والعالمية الواسعة التي قابلت ذلك الإعلان، تشكلت سلطة صورية ونصب إدريس السنوسي وتشكلت حكومة مستقلة برئاسة فتحي عمر الكيخيا ثم أعقبه والده عمر الكيخيا ثم محمد الساقزلي.

عملت بريطانيا ما بوسعها لفرض إقليم برقة كدولة مستقلة، لكن القوى الوطنية الليبية في برقة والفعاليات العربية، ودور أمين عام جامعة الدول العربية آنذاك السيد عبد الرحمن عزام، انتبهت للمؤامرة وتشكلت عدة جمعيات وهيئات وطنية رافضة للتقسيم والدور البريطاني المخرب في ليبيا، من أهمها جمعية عمر المختار في برقة، والمؤتمر الوطني في طرابلس، وخاضت نضالًا قويًا لإسقاط المخطط الإنجليزي ومن أجل استقلال تام لليبيا الموحدة، في 1 يونيو 1949 أعلن إدريس السنوسي - مدفوعا من الإنجليز - استقلال برقة في اجتماع لما سمي بـ"المؤتمر البرقاوي"، ثم تحدث رئيس الإدارة البريطانية وأصدر بيانا باسم الحكومة البريطانية أعترف فيه بالحكم الذاتي لبرقة وبإدريس السنوسي أميراً عليها.

وسمحت الحكومة البريطانية لإدريس السنوسي بوضع مشروع دستور لبرقة وأطلق على رئيس الإدارة الإنجليزية لقب المعتمد البريطاني، الذي احتفظ بإدارة ملف الشؤون الخارجية بما في ذلك التجارة الخارجية والدفاع والأمن، والإشراف على الملاحة الجوية وكل ما له علاقة بالقوانين البرية والبحرية والجوية وما يتعلق بالبريد والبرق والهاتف، ويمكن تصور حقيقة الاستقلال الذي منح لبرقة في ذلك الوقت فصالحيات الأمير وحكومته لا تختلف كثيرا على صلاحيات مختار محلة، وهنا يظهر الغرض الحقيقي وهو فرض التقسيم في ليبيا كأمر واقع.

في الغرب استمر النفوذ الإيطالي المستتر خلف الإدارة البريطانية، وتشكلت حركة وطنية نشطة من شخصيات معروفة بمقاومتها للاستعمار الإيطالي، في نفس الوقت حاول عملاء الطليان تصدر الصفوف أمثال: أبوالأسعاد العالم، ومحمود المنتصر وغيرهما،

في إقليم فزان حاولت فرنسا أيضًا تأسيس سلطة مستقلة وتنصيب أحد عملائها من عائلة سيف النصر، من خارج الجناح المجاهد من العائلة، لكن القوى الوطنية المنتظمة في حزب المؤتمر الوطني في الغرب والجنوب خاضت نضالا شعبيا دفن أوهام الإنجليز والطليان وقاد إلى الاستقلال عن السلطات الاستعمارية والحفاظ على الوحدة الوطنية، ونجح تواصل جمعية عمر المختار في برقة، وحزب المؤتمر في طرابلس في تنسيق برامجهما وجهودهما، وخاضا معًا كفاحًا وطنيًا أسس لدولة ليبيا الموحدة رغم اضطرارهما للقبول بالملكية من أجل الحفاظ على وحدة الدولة، وفقًا لشعار بشير السعداوي "استقلال منقوص في دولة موحدة أفضل من استقلال كامل في دولة مقسمة".

نتيجة كفاح القوى الوطنية وجهود الجامعة العربية من خلال أمينها العام الأسبق الذي كان شخصية محترمة ساهم مباشرة في جهاد الشعب الليبي ضد الغزو الإيطالي عبدالرحمن عزام، تناولت الأمم المتحدة القضية الليبية، وارتفعت أصوات دولية منادية بتصفية الاستعمار ومنح الشعوب المستعمرة استقلالها وخاصة مستعمرات الدولة الإيطالية، واحتلت قضية تقرير مصير ليبيا مكانة كبيرة في مناقشات الأمم المتحدة، وخلصت إلى تشكيل بعثة أممية لبحث الأوضاع في ليبيا.

صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 289 في 21 نوفمبر 1949، الذي نص على استقلال ليبيا التي تشمل أقاليم برقة وطرابلس وفزان، وعلى تشكيل مجلس استشاري لليبيا يتولى مساعدة الليبيين على كتابة دستور، من 11 عضوًا هم: كيوسيبي لوميري عن

إيطاليا، وجورج بالي عن فرنسا، وهيو بيرد عن بريطانيا ولويس كلارك عن أمريكا، ومحمد كامل سليم عن مصر وعبدالرحيم خان عن باكستان، ومندوب واحد عن كل إقليم ومندوب عن الأقليات ويترأسه السيد "أدريان بلت" مبعوث من الأمم المتحدة، ودعوا في القرار إلى تشكيل جمعية تأسيسية وطنية من 60 عضوًا.

دب خلاف شديد داخل المجلس الاستشاري حول كيفية تشكيل لجنة من الليبيين لوضع ترتيبات الاستقلال بحيث تعكس الوضع السكاني، لكن المندوب البريطاني والفرنسي أصرا على أن تتشكل بالتساوي بين الأقاليم التي خضعت لإدارات مختلفة بعد انتهاء الحرب ورغم معارضة مندوب مصر وباكستان إلا أن السيد "ادريان بلت" كان في الواقع ينفذ رغبات الدول المنتصرة في الحرب، وهكذا تم تشكيل الجمعية من 60 عضوًا بواقع عشرين عضوًا من كل إقليم وفقًا لمشيئة الدول المتنازعة على النفوذ، وعملت تحت إشراف "بلت" لوضع الترتيبات الاستقلال والمحافظة على وحدتها.

في نهاية عام 1951 تبنت لجنة الستين الموافقة على دستور أعده خبراء أمريكان وإنجليز لتأسيس دولة فيدرالية تابعة لنفوذهم، لكن الوعي الوطني لدى الشعب الليبي كان له دور أساسي في رفض التقسيم، وتم قبول إدريس السنوسي كملك لدولة واحدة إرضاءً لرغبة السلطات الإنجليزية المسيطرة عمليًا على الأرض، وفرضوا علمًا مستوحى من علم الأمريكان السود الذي رفع عام 1921 في أمريكا أضيف له الهلال والنجمة شعار الدولة التركية التي تدعي كونها دولة خلافة إسلامية، وجيء بشاعر تونسي مغمور فألف لهم نشيدًا، ونظم

الإنجليز انتخابات صورية مزورة انتجت مجلس تشريعي من الأدوات التابعة لهم، كان المناخ السائد في ليبيا وطنيا، وكان تأثير خطابات بشير السعداوي واضحًا في المنطقة الغربية، وكذلك خطابات جمعية عمر المختار في المنطقة الشرقية، وكانت الدعوات الشعبية تركز على استقلال حقيقي لليبيا وليس استقلالًا شكليًا، أغلب مواطني النواحي الأربعة كانوا من أنصار حزب المؤتمر الوطني، المجاهد محمد بن زائد وابنه علي حافظ كانا من نشطاء المؤتمر الوطني، وساهما في حملته الانتخابية ضد حزب العملاء بقيادة المفتي أبوالأسعاد العالم مفتي "بالبو"، جرت الانتخابات في ظروف غير سليمة وتدخلت الإدارة البريطانية علنا لتزويرها لصالح مرشحيها أعضاء ما عرف بالحزب الفيدرالي "صنيعتهم"، ورغم الشعبية الكاسحة لحزب المؤتمر الوطني في الغرب وشريكه حزب جمعية عمر المختار في المنطقة الشرقية، إلا أن النتائج أعلنت كما يرغب المستعمر وليس وفقا لما يريده الليبيون، وعندما أعلن فوز مرشح الحزب الفيدرالي في قصر بن غشير انتفض السكان وخرجوا في مظاهرات عارمة فقابلهم رصاص الإنجليز في صدورهم، فسقط منهم العشرات وزج بالآخرين في السجون.

شكل الإنجليز حكومة من عناصر محسوبين عليهم وعلى الطليان ترأسها السيد محمود المنتصر الذي كان قد عمل في مكتب الحاكم الإيطالي "بالبو"، وضمت عددًا من الموظفين الكبار في الإدارة الإيطالية الاستعمارية السابقة، بالنسبة لليبيين لم يتغير شيء فذهب "بالبو" وجاء أعوانه.

عام 1952 كان مليئا بالأحداث التاريخية الكبرى في المنطقة العربية، لعل أهمها على الإطلاق، قيام ثورة 23 يوليو بقيادة الزعيم الراحل رائد القومية العربية جمال عبد الناصر، التي شكلت أملًا للقوى القومية والوطنية في الوطن العربي بإمكانية التحرير والوحدة، وإقامة دولة عربية واحدة قوية مهابة تحقق أهداف العرب في التقدم والرقي، وتطوي صفحات التخلف التي فرضها الأتراك على الوطن ومرحلة الاستعمار الأوربي البغيض.

لقد انتشر الخطاب الناصري انتشار النار في الهشيم في كل أرجاء الوطن العربي، وأصبح جمال عبد الناصر رمزاً وقيادة لحركة التحرر العربي والعالمي، وتسابق الشباب في كل مكان للتواصل مع الثورة الناصرية، والقيام بما يطلبه جمال عبد الناصر من المحيط إلى الخليج.

في ليبيا اعتبر أغلب الليبيين عبد الناصر زعيمًا وطنيًا، خاصة مع عدم قناعتهم بالسلطة الملكية العميلة المنصبة من الاستعمار، وكان الحال كذلك في كل قطر عربي تقريبًا، لقد ساهمت إذاعة صوت العرب التي نقلت خطبه مباشرة عبر المذياع، في تشكيل الوعي العربي عامة والليبي خاصة في معاداة الاستعمار ورفض الرجعية، وربما ساعدت معركته ضد العدوان الثلاثي عام 1956 في تقديمه كأسطورة لمقاومة المستعمر وإلحاق الهزيمة به، وكان لدوره في إطلاق ودعم الثورة الجزائرية أثر مباشر في تأجيج روح الانتفاضة ضد المستعمر في كل الأقطار العربية من المغرب إلى تونس إلى اليمن والخليج العربي، وساهم مشروع الجمهورية العربية المتحدة في

تعبئة أغلب الجماهير العربية عموما والليبية خصوصًا في الاتجاه القومي.

لقد تشكل الوعي السياسي للشباب الليبي مع بداية الستينيات في ذلك المناخ القومي التحرري الوحدوي، وفي ظل ممارسات مهينة للقوى العسكرية الأمريكية والإنجليزية واستحواذ تام للمستوطنين الطليان على المقدرات الاقتصادية للشعب الليبي، خاصة قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة.

في عام 1964 تفجرت ثورة طلابية في مدرسة بنغازي الثانوية ومدارس صبراتة والأبيار الفنية وكذلك في مدرسة الزاوية الثانوية وأيضا في بعض المدارس الإعدادية، استجابة لنداء جمال عبدالناصر بطرد القواعد الأجنبية من ليبيا التي اعتبرها خنجرًا في ظهر القوة العربية المعادية للكيان الصهيوني، ولتقاعس النظام الملكي عن التجاوب مع الدعوة لعقد أول قمة عربية لتطوير آليات العمل العربي المشترك وتفعيل مؤسسة الجامعة العربية وكخطوة لبناء وحدة الصف العربي.

يمكنني القول إن الحراك الطلابي في 13 و14 يناير 1964 كان يستند كليا إلى الأفكار القومية الناصرية، وكانت كل قياداته من الشباب المرتبطين عاطفيا ووجدانيا مع عبد الناصر.

واجه العهد الملكي انتفاضة الطلاب السلمية بقمع بوليسي وحشي أدى إلى سقوط عشرات الطلاب بين قتيل وجريح، وبالنظر إلى قلة عدد الطلاب في ذلك الوقت فلقد تمكنت القوة المتحركة من القضاء على الانتفاضة، لكنها شكلت تطورا مهما في كفاح الحركة الوطنية الليبية المرتبطة بالمشروع القومي العربي، وصعّدت مطالبها وشعاراتها إلى المناداة بطرد القواعد الأجنبية من التراب الليبي.

وكان نجاح ثورة 23 يوليو في إجلاء القوات الإنجليزية عام 1956 شكّل حافزا أساسيا لتصعيد المطالب الشعبية الليبية بالإجلاء، إن انتفاضة الطلاب في يناير كانت الشرارة الأولى لتفجير الانتفاضة الشعبية الكبرى المطالبة بإجلاء القواعد في كل المدن الليبية خاصة طرابلس وبنغازي في يونيو 1967 ردًا على العدوان ورفضا لتمكين العدو الصهيوني من مهاجمة مصر من القواعد الليبية خاصة قاعدة "العدم" في طبرق وقاعدة "هويلس" في طرابلس.

في الانتفاضة الشعبية عام 1967 التي عمت المدن والقرى الليبية، تم حرق ممتلكات الجالية اليهودية والإيطالية، وحوصرت القواعد في بنغازي وطرابلس، لقد هددت تلك الانتفاضة الشعبية العارمة النظام الملكي تهديدا حقيقيا، دفعته إلى إجراء تغيير حكومي عاجل وطرد البكوش وزمرته المرتبطين بالإنجليز، من الحكومة وتكليف شخصية قبلية هو عبد القادر البدرية بتشكيل حكومة جديدة.

كانت سياسة الملك تقوم على امتصاص الاحتقانات بالتغيرات الوزارية فلم تدم حكومة في السلطة منذ الاستقلال لأكثر من سنة.

وبالرغم من حالة الفقر والأمية والجهل التي عاشها الليبيون، إلا أن الشعب الليبي الفقير الأعزل أظهر وعيًا كبيرًا بالقضايا الوطنية والقومية وتعامل مع الوضع الداخلي والشأن القومي بروح وطنية عالية جدا، فدعم خط جمال عبد الناصر التحرري، وساهم كل الليبيين في تقديم دعم مادي مباشر للثورة الجزائرية، كان الليبيون يقتطعون من قوت يومهم لجمع الأموال وإرسالها إلى الجزائر، وتشكلت لجان لدعم الثورة الجزائرية في كل مكان، وهكذا الحال بالنسبة للقضية

الفلسطينية، لقد تطوع آلاف الليبيين عام 1948 لقتال العصابات الصهيونية، وتكرر الحال عام 1967 حيث عجت المعسكرات بالمتطوعين الراغبين في قتال العدو الحقيقي للأمة، ونجح العهد الملكي في إطفاء شعلة حماسهم بوضعهم في معسكرات بترهونه والأبيار وغيرها.

لقد تركز النضال الوطني الليبي في نهاية الخمسينيات على رفض الترتيبات التي فرضها المستعمر المتمثلة في النظام الملكي العميل، والمطالبة بطرد القواعد الأجنبية من الأراضي الليبية، والاستجابة لأطروحات جمال عبد الناصر في الدعوة إلى الوحدة العربية ومحاربة الاستعمار، إلا أن الحالة الاقتصادية السيئة للمواطنين الذين يكابدون شظف الحياة لم تسمح بحراك شعبي أقوى من الذي حدث، حيث كانت ليبيا في قائمة الدول العشرة الأكثر فقرًا في العالم، وكان اقتصادها يعتمد كليا - تقريبا إلى عام 1961 - على المساعدات من منظمة الإغاثة الدولية التي كانت تقدم الأغذية الفاسدة، والملابس والمواد المستعملة، واستحوذت الجالية الإيطالية واليهود ونفر قليل من عملاء الطليان على الموارد الاقتصادية المحدودة أصلا، وفي حين كان معظم الليبيين يعيشون البؤس في مدن الصفيح المكتظة ويقتاتون على جرامات الدقيق من جمعيات الإغاثة "عام الجرامات"، كان بعضهم يمتلكون طائرات خاصة - الهادي العائب مثالًا - امتلك طائرة خاصة في الخمسينيات نتيجة شراكته مع تجار يهود كبار! وكان الطليان يمتلكون كل المزارع والورش والمصانع، ويتقاسمون مع اليهود كل المحال التجارية، إن الحالة الاقتصادية تلك لم تسمح بتكون

منظمات سياسية فعالة واقتصر النضال على بعض مظاهر الرفض العمالية والطلابية، ورفض نتائج الانتخابات التي كانت تزوّر بصورة دورية منتظمة أثبتتها وقائع محكمة الشعب عام 1970 فيما عرف "بطربوش البشتي الشهير".

أما في الستينيات فلقد تطور الوعي السياسي إلى حد ما بتأثير صوت العرب الذي خلق حالة ناصرية شعبية، دون حالة تنظيمية تسمح بإحداث تغيير حقيقي، ولم تنجح محاولات تنظيمية محدودة في الجيش من تحريكه لوضع حد للحالة الراهنة، ولم تظهر للعيان إلا حالات تنظيمية محدودة ذات توجه قومي في أغلبها معادية لجمال عبد الناصر منها التنظيمات البعثية وحركة القوميين العرب التي تبنت الماركسية بعد عدوان 1967.

ملاحقة الإخوان المسلمين في مصر أدت لهروب أهم قياداتهم إلى ليبيا، حيث تم احتضانهم وحمايتهم ودعمهم من قبل النظام الملكي بتوجيهات إنجليزية، وأدى وجود تلك القيادات في ليبيا إلى تكوين خلايا سرية مرتبطة بحركة الإخوان المسلمين، وبدء ظهور تنظيمات سرية تتستر بالدين، خاصة في بنغازي، واجدابيا، والبيضاء، وطرابلس، ومصراتة، والزاوية، والجبل الغربي، وهي تنظيم الإخوان المسلمين، وحزب التحرير الإسلامي، وحركة الدعوة والتبليغ، التي تطورت لاحقا إلى تنظيمات أكثر دموية، منها التكفير والهجرة، والجهاد الإسلامي، وما نتج عنها من تنظيمات إرهابية.

كذلك ساهم قدوم بعض المدرسين من العراق وإرسال بعض الضباط للتدريب العسكري في العراق، في ظهور الفكر البعثي وبروز

تنظيمات بعثية في الزاوية وبنغازي وغريان، أيضا ساهم المد الماركسي العالمي في الخمسينيات والستينيات إلى تكوين تنظيمات ماركسية في بنغازي وطرابلس وشحات والزاوية، إلا أنها جميعا كانت محدودة التأثير والانتشار أمام المد الجماهيري الكاسح لفكرة القومية العربية الناصرية، إلى أن وقع الانشقاق داخل حركة القوميين العرب بعد النكسة عام 1967 وتبني أهم قياداتها "جورج حبش ونايف حواتمه" للمشروع الماركسي فأعطى ذلك زخماً للأحزاب الشيوعية العربية خاصة في السودان ولبنان والعراق.

في عام 1967 تشكل في ليبيا تنظيم قومي بأفكار يسارية وأخذ يمارس نشاطاً سرياً خاصة في قطاع النفط لكنه سرعان ما كشف، وألقي القبض على قياداته عام 1968 فيما عرف بتنظيم"106"، وحكم على أعضائه بأحكام جائرة، منهم محمود المغربى أول رئيس وزراء بعد ثورة الفاتح، وعمر المنتصر أمين اللجنة الشعبية العامة في الثمانينيات، وسعد مجبر، وجمعة الفزاني وغيرهم.

شكلت النكسة رغم مرارتها رابطًا قويًا بين الشعب الليبي وجمال عبد الناصر وصعدت من وتيرة تبني الخطاب الناصري خاصة وسط الطلاب في الجامعة والمدارس الإعدادية والثانوية، وتحمس كثير من الشباب لفكرة تغيير النظام الملكي المرتبط بالإنجليز بنظام عروبي مساند وداعم لجمال عبد الناصر.

في تلك الظروف الاقتصادية السيئة، والوعي القومي الهائل في نهاية الخمسينيات، التحقت بمدرسة إبتدائية بمنطقة سوق السبت، فلقد كنت من المحظوظين من أبناء جيلي، إذ تم استغلال بيت مستوطن إيطالي مهجور بسبب انتقاله للعيش في طرابلس بعد كبر تجارته، كمدرسة إبتدائية، ولأن بيتنا كان بالمنطقة المحاذية لمزرعة الإيطالي،

تمكنت من الالتحاق بتلك المدرسة، كان علينا المشي باكرا لعدة كيلومترات ونحن حفاة إلى أن نصل المدرسة فنرتدي أحذيتنا التي علينا المحافظة عليها أكثر من المحافظة على أقدامنا، كان المعلمون بالمدرسة اثنان منهم فقط خريجا معهد معلمين عام "سنتان بعد إنهاء التعليم الإبتدائي"، والبقية معلمين مؤقتين وهو نظام تعيين لمن لم يكملوا التعليم الإبتدائي للعمل كمدرسين.

كانت الكتب والمناهج مصرية، لذلك كنا في المدرسة نعيش أجواء ثورة 23 يوليو التعبوية، أما التربية الوطنية فدرسناها في الصف الخامس والسادس من كتاب للسيد محمد مسعود افشيكه، وهو دش لا يحمل أي أسس تربوية لا علمية، وخليط بين جغرافيا وتاريخ ووجهات نظر المؤلف والنظام في مرحلة الجهاد، وكان بالمدرسة نسخة واحدة فكان المعلم يملي علينا الكتاب لننسخه وندرسه، كان يتحدث عن السنوسية ودورها في نشر الدين والجهاد، ولم يأتي ذكر المجاهدين الحقيقيين إلا لماماً، فلم نتعلم أي حرف حول مجاهدي برقة أو فزان باستثناء أسطر قليلة حول عمر المختار باعتباره جندي تابع لإدريس السنوسي، أما معلوماتنا عن المجاهدين في المنطقة الغربية فكنا نستقيها من روايات أهلنا ليس إلا.

عام 1963 أنهيت المرحلة الإبتدائية بإجراء امتحان موحد على مستوى المنطقة في مدرسة فندق الشريف، وتابعنا النتائج في الإذاعة الليبية التي أذاعت أسماء الناجحين على مستوى المملكة، والأمر ليس بالصعب فالحديث يدور حول عشرات المدارس على مستوى الدولة، وفي عام 1961 اشترى أخي وكان شريكًا في محل خضروات جملة بسوق الثلاثاء راديو فيليبس بالتقسيط، أمكننا من متابعة صوت العرب والإذاعة الليبية التي كانت تبث على ثلاث

فترات، صباحية إلى الساعة التاسعة صباحا، والظهيرة من الساعة الواحدة إلى الثالثة مساءً، والمساء والسهرة من السابعة مساء إلى الحادية عشر ليلا، وكان أهم برامجها نشرة الأخبار الساعة التاسعة والنصف ليلا، ومسلسل عبدو الطرابلسي الأسبوعي وهو مسلسل فكاهي، وأغاني البادية التي يعدها الفنان القدير محمد حقيق ويقدمها أحمد النويري، ومحمد القشاط.

كما تمكنا من التقاط الإذاعة التونسية، والاستماع لخطب الحبيب بورقيبه المسلية التي تستمر لساعات، وأحاديث عبد العزيز العروي باللهجة الدارجة.

***

المحطة الثانية
تكوين في زمن المد القومي والانكسار الوطني

الملك الصامت! والنواب الدائمون!

لم استمع قط طيلة فترة وعيي السياسي إلى ملك البلاد المفدى يتكلم باستثناء كلماته المعدودة يوم إعلان الاستقلال في بنغازي عام 1951، التي كانت الإذاعة تعيدها في ذكرى 24 ديسمبر، ونص مكالمة هاتفية مع ملك المغرب عام 1961 وهذا على سبيل القطع! وكنا نستغرب جمال عبد الناصر يخطب لشعبه لعدة ساعات وكذلك الحبيب بورقيبة فلماذا لا يتكلم الملك!

كان الملك يرسل رئيس الوزراء ليخطب في احتفالات 24 ديسمبر من ورقة مكتوبة وبأيدي مرتعشة، تذكرتها وأنا أتابع الآن كلمات مسؤولي فبراير في مناسباتهم، ويقرأ رئيس الوزراء أيضًا مع افتتاح كل دورة برلمانية ما يسمى بخطاب العرش، والذي تتكرر فيه وبشكل مقزز عبارة "ستعمل حكومتي، وسوف تقوم حكومتي" ويذكره الليبيون بأنه خطاب س وسوف، المهم كشباب متحمس كنا نتطلع أن نرى المسؤول الأول والأوحد في البلد كيف يفكر، وكان عليه أن يتكلم لنراه.

الذاكرة الشعبية كانت تحكي كثيراً من القصص حول صمت الملك، فمنهم من يقول إنه ميت ومحنط، ومنهم من يقول إن مرضا

أصابه بالبكم، المهم الرجل الصامت كان يتنقل بين عاصمتي ملكه الغربية والشرقية في رحلة شتاء وصيف، يقضي الشتاء في قصر الخلد العامر كما يسمونه في طرابلس، والصيف في قصر السلام العامر "كما يسمونه" في طبرق، وبين طبرق وطرابلس ورحلة الملك حكايات وحكايات!

الحكومات الاتحادية وحكومات الولايات كان يتبادل عليها عدد محدد من الأفراد يمكن حصرهم، يتنقلون بين هذه الوزارة وتلك، وكذلك الحال بالنسبة لمجلس الشيوخ الذي لم يتغير أعضاؤه ورئيسه إلا قليلا، ومجلس النواب المنتخب افتراضيا ليس استثناء من ذلك فأغلب النواب هم دائمون عن دوائرهم ولا يتغيرون رغم حنق الشعب عليهم ورفضه لهم، لكن الإرادة الملكية الصامتة! ترعاهم، عندما انتخب خمسة نواب من خارج تدابير أحمد عون وزبانيته ودخلوا المجلس وطالبوا بالإجلاء في انتخابات عام 1965 أضطر الملك الصامت إلى حل المجلس بعد شهور من انتخابه، وأعيدت الانتخابات فعاد الوضع كما كان عليه، ورجع الدائمون النائمون إلى مقاعدهم، الأغرب أن آخر رئيس لمجلس النواب السيد مفتاح عريقيب لم يتغير لأكثر من عقد من الزمان.

كان الليبيون يتندرون على أداء أعضاء الحكومة ومجلس النواب والشيوخ، ومن أهم الشخصيات الفكاهية الليبية التي تعرفت عليها بعد ثورة الفاتح الأستاذ عبد الفتاح موسى الدرسي، وهو شخصية كوميدية متنقلة، ممتلئ بالقصص والنوادر والحكايات حول سلوكيات وأقوال وأفعال رجالات سلطة العهد البائد.

يمكن القول إن الحياة السياسية أيام المملكة كانت بدائية وصورية، حيث تدار المؤسسات فعليا من قبل الخبراء الإنجليز ويحاول الموظفون الليبيون الموضوعون في الواجهة التصرف كمسؤولين.

لقد كان المترشحون لمجلس النواب ينفقون مبالغ كبيرة من أجل شراء الأصوات، وكان الليبيون البسطاء يتساءلون كيف سيستردون ما صرفوه من مرتباتهم المحدودة، لكن النائب بمجرد دخوله البرلمان يتغير حاله إلى حال آخر مختلف، ربما اليوم الصورة التي كانت وقتها تتكرر بشكل مماثل في مجالس ما بعد فبراير، ولا أحتاج لبذل جهد للقول بأن هدف من يتصارعون على المجالس النيابية جمع المال ليس إلا.

الحياة الثقافية كانت معدومة في منطقتنا بالرغم من قربها من العاصمة، فالدولة ومرافقها الأساسية كانت مسخرة لخدمة المستوطنين الطليان، والجنود الإنجليز والأمريكان في قواعد "هويلس" والوطية، ومطار قصر بن غشير، والتوير، سكان المنطقة من الليبيين كانوا يعيشون حياة بدوية خالصة، يسكنون بيوت الشعر شتاءً وبيوت قماش تسمى "عشة" ربيعاً وخريفاً، وبيوتًا من القش تصنعها النساء تسمى في المنطقة "كيب" وتتنافس العائلات في أحجام الكيب حسب الموقع الاجتماعي، تربية الغنم والحراثة البعلية كانت النشاط السائد، لكن رغم شظف العيش إلا أن بيوت النواحي الأربعة لا تخلوا من الخيول، فلكلٍ فرس أو أكثر، ومهرجانات الميز الشعبي هي الأهم في الأفراح، والخيل عند أهل النواحي مبجلة جداً، أكلها يقدم على تموين الأسرة

في كثير الأحيان، كما يمتلك الناس عادة عدد من الإبل تستخدم للحراثة والدرس.

الأغنام والماعز مصدر مهم للدخل في المنطقة، حليبها أساسي في تصنيع الألبان المنزلية، وفي فترات الربيع والصيف تنهمك النساء في مخض الحليب وصناعة السمن.

عادات البادية وأكلهم كانت بسيطة، كان الناس يقتاتون على منتجات الشعير والقمح، حيث البازين أو "العيش" هو الوجبة الأساسية، ثم الكسكسي، والخبز المنتج محليا من دقيق الشعير، والذي يخبز في أفران خاصة من الطين نسميها "الفرن" وبعض المناطق تسميها "التنور"، وفي الشتاء خبز الجمر والبالة وما إليها.

أكل اللحوم كان مقتصراً على الأعياد والمواسم أو المناسبات الاجتماعية، وكان هناك تمييز سخيف ضد المرأة فكانت تعتبر عورة، فلا تأكل قبل الرجل ونادراً ما تتذوق اللحم، إذا مرضت شاة لأحد، يتسابق الموجودون لذبحها حتى لا تكون جيفة لا يجوز أكلها وتوزع على الجيران المجبرين على دفع ثمن اللحم كنوع من التعويض على الشاة، في مظهر تكافل اجتماعي رائع.

في الأعراس من العادات بالمنطقة "الرمي" وهو أن يحضر القادمون للفرح شاة تسجل لهم لترد في وقت لاحق عند تنظيمهم لعرس، وفي المساء يلتم الناس حول العريس ويبدؤون برمي أموال كل حسب قدرته وتسجل أيضًا، ويقوم "براح" بذكر اسم من قدم المال على أنغام زغاريد النسوة، لاشك أن الهدف هو مساعدة صاحب المناسبة في تكاليفها وهو مضطر لإرجاعها في وقت لاحق عند المناسبات فقط.

في النواحي الأربعة سوقان شعبيان أسبوعيا، واحد بسوق الخميس يلتئم يوم الخميس، والثاني بقصر بن غشير يلتئم يوم الأحد، وكانت توجد بسوق السبت وسيلتا نقل عمومي عبارة على عربة مجرورة بحصان تسمى "شريول" الأولى لشخص طيب يدعى محمد الجبالي، والثانية لشخص لديه إعاقة بسيطة يدعى عيسى المقري رحمهما الله، وكل من لا يمتلك دابة أو دراجة ليذهب بها إلى السوق عليه الذهاب فجراً إلى سوق السبت ليستقل أحد الشريولين!

الترفيه معدوم تقريبا عدا المناسبات التي تستمر أسابيع، أو اللقاءات المحدودة على الشاي، وكانت لجلسات الشاي طقوس خاصة لندرته أولاً، وثانياً لغلاء سعره، وكانت تباع بعروض، تجمع مقدارًا من الشاي وقدرًا من السكر، معروفة تبدأ من كيلو سكر ومائتي جرام شاي، وتصغر إلى مائة جرام سكر وعشرين جرام شاي، في الأسواق هناك محلات خاصة لتقديم الشاي، لكن من لا يدفع "الباي" نصيبه لا يشرب الشاي، ويكتفي بالجلوس للهدرزة.

لم يكن الناس في المنطقة يعرفون المكرونة ويعتبرونها أكل الطليان ولا الأرز، ودخلا إلى المنطقة فقط مع بداية الستينيات.

وبالرغم من وجود آبار للمياه بمزارع الطليان لكنها محرمة على الليبيين لذلك يعتمد السكان على المياه المتوفرة ببعض الآبار القديمة، وبصهاريج مدفونة تسمى محلياً "ماجن"، ويقوم الشباب بسحب المياه بالدلي بواسطة الإبل، حيث يسقون مواشيهم ويردون بالماء إلى بيوتهم.

عام 1963 اتفق إخوتي مع عائلة من قبيلة المرازيق تمتلك أراضي شاسعة، باستصلاح الأرض بنظام تشاركي يسمى "مغارسة" حيث قام إخوتي بحفر بئر بالأرض وشجروها وبعد عشر سنوات يأخذ صاحب الأرض نصف المزرعة، وهكذا كان، بالنسبة لي انتقلنا إلى مكان أبعد عن المدرسة، وكان علينا المشي لمسافة أربع كيلومترات للوصول إلى المدرسة.

امتحانات زمن النكسة!

درست المرحلة الإعدادية بمدرسة اسبيعة الإعدادية بمنطقة الرقيعات، التي تبعد على مقر سكني حوالي 15 كم، التحقت أنا وأخي الصغير الزائدي بالمدرسة، وكان على إخوتي شراء دراجة واحدة تحملنا إلى المدرسة، ولأننا اشترينا مزرعة خاصة بمنطقة سوق السبت خارج خط مزارع الطليان والتي تبعد على الطريق المعبد طرابلس ترهونة بأكثر من 3 كم، ولأن الطريق رملي، فكان علينا أن نحمل الدراجة من بيوتنا إلى الطريق المعبد طرابلس ترهونة، لتحملنا إلى مدرسة اسبيعة.

بمنطقة النواحي الأربعة كانت هناك مدرستان إعداديتان فقط، هما مدرسة اسبيعة الإبتدائية الإعدادية، التي كان يلتحق بها الطلبة، منطقة الرقيعات والخثنه والعلاونة الجنوبية وجزء من سكان منطقة سوق السبت، ومدرسة قصر بن غشير الإبتدائية الإعدادية التي يلتحق بها طلبة منطقة عكارة، والعلاونة الشمالية، ومنطقة فندق الشريف، ولأن منطقة سكننا في المنتصف بين المدرستين تقريباً كان الوصول

إلى كليهما يتطلب نفس المجهود، لكننا اخترنا الدراسة في مدرسة اسبيعة.

عندما نصل الطريق المعبد بمنطقة سوق السبت التي كانت تتكون من منزل كبير وملحقاته لمستوطن إيطالي اشتراه منه في منتصف الخمسينيات شخص عائد من النيجر يسمى محمد شرف الدين معروف بـ"السوداني"، وبها كوخان صغيران يستعملان كمحلات بقالة فقط وهي مركز المنطقة، وتوفر احتياجات المواطنين المحدودة أصلاً.

بسوق السبت كنا نلتقي مجموعات من الطلاب القادمين من نواحي المنطقة، ونذهب بالدراجات كفيلق واحد للونس، وربما تعطل دراجة أحدنا فنتولى أمره، كان الطريق ضيقًا لكنه خال تقريبًا من السيارات عدا مرور رتل أبوبكر بونعامة، الذي يحدث جلبة في الطريق، كذلك مرور الأرتال العسكرية البريطانية والأمريكية التي كانت تتنقل بين قواعدها ومعسكراتها.

كان بعض الطلاب يقيمون في بعض الدكاكين المستأجرة بمنطقة اسبيعة، وفي منزل إيطالي قديم، وكذلك أيضًا حال المدرسين الذين يعملون بالمدرسة القادمين من مناطق بعيدة من الجبل الغربي، وغريان، ومسلاته، إضافة إلى طرابلس.

في مدرسة اسبيعة الإعدادية وبفضل معلم مثقف عائد من تونس كان يعلمنا اللغة العربية، ارتقى وعينا السياسي، وتحسنت مقدرتنا على الاطلاع والقراءة، فكنا نقرأ قصصًا وروايات، ونتسابق في السجالات الشعرية، والمسابقات الثقافية، وكان علينا البحث المضني لنجد وسيلة لتطوير معارفنا لكن الأمر ليس متيسرًا دائمًا.

كانت الوسائل التعليمية معدومة لكن مقدرة المعلمين وتفانيهم ورغبتنا في التعلم أمكنتنا من أن نجتهد ونتعلم، رغم الظروف الصعبة، فعقب عودتنا من المدرسة كان علينا المساعدة في العمل بالمزرعة ورعي الغنم، والمساعدة في الحلب، والاهتمام بالفرس إلى آخره.

مدرسة اسبيعة الإعدادية كانت من ضمن المدارس التي ساهمت في الانتفاضة الطلابية عام 1964، ورغم وقوعها في منطقة معزولة وبدون إمكانات إعلامية، لم أفهم اهتمام الحكومة بتلك المظاهرات الطلابية وإرسال فرق من القوة المتحركة لتفريقها.

قبل نهاية العام الدراسي للسنة الثالثة الإعدادية في شهر أبريل 1967تهجم طالب غير مستقر نفسياً على أحد المدرسين وضربه بقطعة خشب كان قد خبأها تحت كرسيه، سالت دماء المعلم وانتابنا شعور بالخوف، فغادرنا الفصل وتركنا المعلم وبعض زملائه يسعفونه، في اليوم الثاني أبلغتنا الإدارة بأن المدير قرر طرد طلاب الفصل جميعًا من المدرسة، والذريعة أننا لم نبلغ على نوايا الطالب، الحقيقة ليست كذلك، الطالب هو قريب أحد المتنفذين في التعليم، وتربطه قرابة بالمدير، فلن يستطيع المدير تحميله وحده المسؤولية وطرده، فلجأ إلى العقاب الجماعي، لكنه سمح لنا بالدخول للامتحانات.

انتهت الدراسة بالمرحلة الإعدادية وكان مقرراً إجراء الامتحان النهائي مركزياً في طرابلس في 10 يونيو 1967، لكن العدوان الصهيوني على الدول العربية يوم 5 يونيو أضطر الدولة إلى تأجيل امتحانات اتمام المرحلة الإعدادية إلى 24 يونيو، وفعلًا كانت أياما صعبة جدًا فبدل مراجعة الدروس والاستعداد للامتحانات انغمست

كبقية جيلي ونحن شباب صغار في متابعة أحداث المعارك وانكسرت خواطرنا بالنكسة واستردينا معنوياتنا بزحوفات 9 و10 يونيو، لكننا وجدنا أنفسنا ثانية أمام الامتحان الذي يكرم المرء فيه أو يهان.

عقد الامتحان بمدرسة طرابلس المركزية لكل مدارس محافظة طرابلس الإعدادية، ووزع الطلاب عشوائياً حسب ترتيب أرقام الجلوس المركزية، تمكنت من اجتياز الامتحان بتقدير ممتاز رغم ظروف بعد المسافة إذ كان عليّ أن أحضر يومياً من سوق السبت إلى شارع عمر المختار بطرابلس، فالاستيقاظ مبكرًا جدًا والعودة إلى المنزل في أواخر الليل.

كانت رغبتي جامحة في دراسة الطب، لذلك لم أفكر كزملائي في الدخول إلى المعاهد الثلاثة حصرياً في محافظة طرابلس، معهد المعلمين أو التجاري أو الهندسة التطبيقية.

اتجهت إلى مدرسة طرابلس الثانوية، لكن الدخول إليها بدون واسطة وبالرغم من المجموع العالي كان من المستحيلات، ولأن اليد قصيرة والعين بصيرة في موضوع الواسطة، خاصة بعد رفض النائب الدائم عن المنطقة السيد عمران البصير طلب أخي المرحوم الحاج علي منه المساعدة، صديق إخوتي وشريكهم في المحل في سوق الثلاثاء الرجل الطيب المرحوم الفرجاني اصميده الرفيفي، بما يملكه من علاقات فشل أيضًا في تأمين كرسي بالمدرسة، إخوتي لم يحبذوا دخولي إلى الثانويات التي بها أقسام داخلية بالزاوية والخمس وغريان لبعدها ولصغر سني وعدم مقدرتي على الاعتماد على نفسي في رأيهم،

لكن الحظ كان حليفاً لي ثانية، إذ تقرر في أواخر الصيف افتتاح مدرسة ثانوية جديدة، هي مدرسة باب بن غشير الإعدادية، وكان أحد أقربائنا يدعى رمضان البدوي يعمل بها غفيراً، ما أن علم بأمري ورغبتي في الدراسة، حتي جاء إلى إخوتي بسوق الثلاثاء وعرض مساعدتي في الدخول إليها، وفعلاً نجح في ذلك فله الشكر ولله الحمد.

أغلب طلبة مدرسة باب بن غشير من الطلبة المتفوقين والأذكياء من الطبقة المسحوقة مع بعض الاستثناءات القليلة، المعلمون أغلبهم مصريون وفلسطينيون، كان لهم دورًا هامًا في زيادة وعينا الوطني والقومي وساهموا في صقلنا ثقافياً، وكان علينا إثبات جدارتنا الفكرية والرياضية حتى يتباهى بنا المدير عمرو الباروني رحمه الله أمام مدرسة طرابلس الثانوية مدرسة أبناء الذوات على رأي إخوتنا المصريين.

الرحلة من سوق السبت إلى مدرسة باب بن غشير كانت غاية في الصعوبة، لكن صديقنا المرحوم الفرجاني الرفيفي أصر على استبقائي في منزله بسيدي خليفة بالقرب من المدرسة طيلة سنة أولى ثانوي وكنت أقيم لديه أيام الامتحانات وبعض الوقت في السنتين اللاحقتين.

في سيدي خليفة كانت الحياة تختلف بعض الشيء، فحياة البادية ليست كحياة المدينة، منزل السيد الفرجاني الرفيفي بالقرب من المتحف الإسلامي، بيت عربي به أربع غرف كبيرة، وفناء واسع، كانت زوجة الفرجاني المرحومة صالحة الكابوطي سيدة طرابلسية طيبة، كان لها

ولدان مفتاح وهو من عمري لكنه متأخر في الدراسة ومحمد، ولها بنتان سالمة وأمنية، وبالرغم من الحالة المادية الجيدة للفرجاني الذي يمتلك عدة بيوت ومحلات ومخازن لكنهم كانوا يعيشون حياة بسيطة، كنت أعامل كأحد أبنائهم وكانت الحاجة صالحة تضرب بي المثل لكل من يزورها من أقاربها. المسافة ليست بعيدة إلى المدرسة فكنت أقطعها مشياً، نهاية الأسبوع كنت اصطحب محمد ومفتاح معي إلى المزرعة حيث الوضع بالنسبة لهما ممتاز، يجدون الحيوانات والطيور وغيرها.

الانطلاقة

عندما تفجرت ثورة الفاتح، في أول سبتمبر 1969، كنت طالبًا ناجحًا من السنة الثانية إلى السنة الثالثة ثانوي، استمرت الدراسة وفق المنهج السابق كما هي، ودون تغيير وانتظمت مع بداية شهر أكتوبر أي بعد شهر واحد من نجاح الثورة، دون عزل ولا تمشيط!، نفس الإدارة، الأستاذ الفاضل عمرو الباروني الذي كان الطلاب يلقبونه بـ"هتلر" لتشابه شنبه معه، وقسوته وضبطه وربطه، ولشدته مع الطلاب، كما استمر نفس المدرسين في تدريس نفس المنهج باستثناء إضافة مهمة لمنهج الرياضيات وصلت مع بداية شهر يناير 1970.

طلاب مدرسة باب بن غشير الثانوية لم يكونوا استثناء من المناخ الطلابي السائد والرافض للملكية، المؤمن بالقضية القومية، المناصر لجمال عبد الناصر، وربما أكثر فعالية لأن أغلب طلابها من سكان الأكواخ والأرياف، وكان للإذاعة المدرسية دور هام في رفع وتيرة الوعي الطلابي، ولقد صار بالإمكان التحدث مباشرة ضد القواعد خاصة بعد الثورة، وكان للطالب مصطفى المغيربي المشرف على الإذاعة دور كبير في ذلك، كما تشكلت مجموعة إعداد لتوجيه الوعي الطلابي بإشراف المعلمين الفلسطينيين المتشبعين بالخطاب القومي الناصري.

ولأن الثورة أعلنت مباشرة بعد نجاحها، مطلب الإجلاء، فكان من الضروري تعبئة القوى الشعبية عسكريًا، لذلك شرع مع بداية الدراسة في تدريب الطلاب عسكريًا، في المدارس الثانوية والمعاهد المتوسطة والجامعة الليبية، وتحولت الصفوف الدراسية إلى فصائل

عسكرية، وبالنظر إلى حالة الاعتزاز بالجيش الذي فجر الثورة، كان هناك اهتمام كبير وحماس منقطع النظير من الطلاب بالحصص العسكرية، والمسير النهاري، والرمي بالذخيرة الحية، ولقد أندفع أغلب زملائي في المدرسة إلى التقدم للالتحاق بالكليات العسكرية، وتمكن عدد كبير منهم من الدخول إليها، شكلوا فيما بعدة قيادات مهمة في القوات المسلحة العربية الليبية.

لكن المعلمين من ضباط الصف البسطاء، كانوا يحاولون التعامل مع الطلاب على أنهم مثقفون، فعادة ما كانوا يتكلمون الفصحي بطريقة عامية تثير الطلاب وجعلت بعضهم مجالًا للتندر، في الفصل " ثالثة ثاني" كوننا شبه قيادة عسكرية، وأذكر من الزملاء الأفاضل البروفسور أبوالقاسم الباروني، والأستاذ امحمد الرابطي، والمرحوم سعيد السعودي، والدكتور علي الشاملي، والدكتور نوري ضو، والمرحوم محمد الباروني، ومحمد عزوز، وغيرهم، كان طلبة السنة ثالثة ثانوي موزعين على ثلاثة فصول وكانت هناك منافسة شريفة في التعلم والرياضة، إضافة إلى المناكفات والمشاغبات الطلابية العادية.

شهرا سبتمبر وأكتوبر كانا مليئين بالتطورات الثورية، فكانت المسيرات الشعبية اليومية المؤيدة للثورة، وكانت لقاءات القائد التاريخية في ضريح شيخ الشهداء عمر المختار يوم 16 سبتمبر ذكرى إعدامه، في أول إحياء رسمي وشعبي لاستشهاده منذ إعدامه 1931، الذي كشف فيه القائد وجه ثورة الفاتح من سبتمبر، على أنها ثورة عربية ناصرية، تستند إلى جهاد الآباء والأجداد ضد الاستعمار الإيطالي، في 27 سبتمبر تحدث القائد في حشد جماهيري كبير في

ميدان الشهداء في طرابلس، وبين منهج الثورة وأولوياتها ومنها تحرير الوطن من القواعد، وإطلاق عجلة التنمية، ومحاربة الفقر، ثم انتقل إلى سبها حيث التقى أهل فزان واستكمل توضيح أهداف ثورة الفاتح التي تنظر إلى ليبيا وحدة واحدة، وأن التنمية سوف تستهدف الجميع وقال كلمته المشهورة **"لن تكون فزان بعد الآن نسيا منسيا"**، الحشود الجماهيرية الضخمة في لقاءات القائد إضافة إلى المؤتمرات الشعبية التلقائية التي انعقدت في كل قرية ومدينة حولت المدخل العسكري لثورة الفاتح إلى حراك شعبي ثوري واسع، ورسمت الملامح الرئيسة لمشروع ثورة الفاتح التي خطط لها ونفذها وقادها ضباط صغار، لقد تركزت المطالب الشعبية في المسيرات والمؤتمرات الشعبية وتطابقت تمامًا مع أهداف الضباط الوحدويين الأحرار الشباب، وتلخصت في المطالبة القوية والحاسمة بالجلاء، وإطلاق عجلة التنمية المادية للتخلص من البؤس، وتنفيذ برامج تنمية بشرية لتعليم الليبيين والحفاظ على صحتهم.

لقد كان العام الدراسي 1969 / 1970 عاما استثنائيا بكل المقاييس، فبالرغم من حرص إدارة المدرسة الحازمة على الانضباط والمواظبة على الحصص، لكنه كان زاخراً بالأحداث التاريخية الكبرى في مسيرة الشعب الليبي، من المطالبات الجماهيرية بالإجلاء إلى الزيارات التاريخية للزعيم الخالد جمال عبد الناصر، إلى زيارات أعداد كبيرة من قادة الدول العربية والأفريقية لليبيا، الأمر الذي لم يكن معهودا في العهد الملكي، فالزيارتان اليتيمتان في فترة الستينيات كانتا لرئيس النيجر "هاماني توري" في بداية الستينيات والرئيس التركي "جودت صوناي" في أواخرها، ولقد أوقفنا في طوابير لساعات ننتظر وصول الضيفين، وأذكر أن مبعوثًا خاصًا لملك المغرب اسمه أحمد

بلفريج حظي باستقبال شعبي، فلقد نقلنا من مدرسة اسبيعة إلى قصر بن غشير "20 كم" على الدرّاجات لنصطف في استقبال السيد بلفريج!، لكن بعد الثورة مباشرة كانت وفود القادة تتقاطر على ليبيا التي أصبحت فجأة تلعب دورًا هامًا في السياسة العربية، عام 1970 سجل أحداثًا جد مهمة في التاريخ الليبي، فمن إجلاء الإنجليز في 28 مارس إلى إجلاء الأمريكان في 11 يونيو، وزيارتين تاريخيتين لزعيم الأمة العربية جمال عبد الناصر ولقاءاته الشعبية التي لم يعرف لها التاريخ الليبي مثيلاً من قبل، وكان من البديهي التفاعل مع تلك الأحداث والمساهمة فيها، لم نشعر بالإرهاق فالدراسة كما هي وربما أشد انضباطية، والتدريب العسكري المدرسي على أشده، والمشاركة في كل المسيرات والتظاهرات الشعبية والاستقبالات التاريخية للقائد الخالد جمال عبد الناصر.

أول مرة أرى فيها القائد الشهيد كانت في شهر أكتوبر 1969 ربما عندما سالت وديان المجينين ووادي الخروع، وغمرت مياهها مدينة طرابلس، فنزل مع الضباط والجنود يشاركون في إنقاذ المواطنين، في "كامبوات" أكواخ الصفيح في باب بن غشير!

دخلت امتحان الثانوية العامة على مستوى الجمهورية، وتمكنت من اجتيازه بتقدير ممتاز، أغلب الأصدقاء المقربين بالفصل كانت تقديراتهم مناسبة للدخول إلى أي كلية أو التقدم للدراسة بالخارج، فلقد حرص قادة الثورة على إيفاد أكبر عدد من الطلاب إلى الخارج لتلقي العلوم غير المتوفرة محليا.

المحطة الثالثة
وقفات في الجامعة

في كلية الطب

كان من أولويات الثورة الاهتمام بالتعليم وتوسيع قاعدته، في شهر ديسمبر عام 1969 صدر الإعلان الدستوري الذي نص صراحة على إلزامية التعليم إلى نهاية المرحلة الإعدادية للذكور والإناث، وألزم أولياء الأمور بذلك، كما التزمت الدولة بتوفيره مجانًا لكل أفراد الشعب، فتم التوسع في إنشاء المدارس الإبتدائية والإعدادية والثانوية في كل قرية تقريبًا، وتم استخدام المباني المتنقلة لتجاوز النقص في المباني التعليمية، والتوسع في جلب المعلمين من مصر وغيرها، والبدء في تنفيذ خطة كبيرة للمباني المدرسية النموذجية غطت كل مناطق الجمهورية، كما زاد الاهتمام بالتعليم العالي فأنشئت المعاهد العليا التخصصية، وتم التوسع في افتتاح الكليات الجامعية لتغطي مختلف التخصصات، كما نفذ برنامج ضخم للإيفاد إلى الخارج لغرض الدراسة في جميع المجالات وإلى مختلف دول العالم.

لقد فتحت أمام حملة الشهادة الثانوية العامة عام 1970 مجالات واسعة للتعلم وفقا لرغباتهم سواء في الداخل أو الخارج، تقدمت أنا وبعض الأصدقاء بعد أن اجتزنا بتقديرات عالية امتحانات الثانوية العامة بطلبات للدراسة في الخارج ومنهم الإخوة الأعزاء أبوالقاسم الباروني، ومحمد راشد، وغيرهما، كانت رغبتنا دراسة الطب، وبالنظر إلى توجيهات قيادة الثورة بتسريع الإجراءات ومنع الوساطة والمحسوبية والالتفات فقط إلى الشروط العامة ومتطلبـــات الدراسة،

تمت الموافقة على إيفاد 50 طالبًا وطالبة لدراسة الطب إلى مصر وفقا لتقديراتهم، كنت وعدد من الزملاء من بينهم، كما تقرر إيفاد أعداد كبيرة إلى أمريكا، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا في التخصصات المختلفة خاصة الفروع الهندسية والعلمية، كالهندسة الإلكترونية، والنووية، والطيران، وهندسة النفط من أكثر المجالات تشجيعا للدراسة بالخارج، بالإضافة إلى الإيفاد في المجالات العسكرية خاصة السلاح الجوي، والدفاع الجوي، والقوات البحرية والهندسة العسكرية، يمكنني القول إن أغلب الزملاء في مدرسة باب بن غشير الثانوية تحصلوا على قرارات إيفاد للدراسة بالخارج.

ولأن السفر بالنسبة لنا أمر مجهول جدا، باستثناء أولئك العجائز ومرافقيهم العائدين من رحلات الحج، والذين غالباً ما تحوي رواياتهم تهويلات تفوق الخيال، لم يتسنى لنا المعرفة الدقيقة للسفر وصعوباته ومتطلباته!

انطلقنا في رحلة الاستعداد من المجهول وإلى المجهول، للسفر إلى مصر، والتي تتطلب كل شيء من استخراج جوزات السفر إلى شراء حقيبة السفر والملابس، لذلك لا مفر من التخطيط والتنفيذ الجماعي، خلية تكونت من الصديق أبوالقاسم الباروني، والصديق محمد أبوعجيلة راشد، وبمساعدة أخي الحاج امحمد، بدأنا نجوب الدكاكين يومياً خاصة في شارعي عمر المختار والرشيد وسوق المشير، لنقتني أجود وأرخص الملابس ومتطلبات السفر، تمكنا بمساعدة والد الدكتور محمد راشد من استخراج جوازات السفر بدون صعوبة كبيرة، وتقدمنا للحصول على تأشيرة مصر لغرض الدراسة، وبدأنا إجراءات الحصول على التفويض المالي، بعد جهود يومية دامت

أكثر من شهر أنجزنا المهمة وكان علينا مراجعة إدارة البعثات في وزارة التعليم يومياً تقريباً للتأكد من إتمام الإجراءات في الوقت المناسب.

بعد تلك المشاوير المضنية أنجزنا كل شيء تقريباً وأخذنا ننتظر صدور التفويض المالي، أذكر أنه في يوم الخميس أبلغنا بالحضور يوم السبت لاستلام صورة من التفويض وتذاكر السفر إلى القاهرة.

في طريق عودتنا إلى المنزل مع أخي الحاج امحمد، كنا نستمع إلى نشرة الأخبار التي كانت تذاع الساعة الثانية والنصف ظهرا، الخبر الأول كان قرار مجلس قيادة الثورة بفتح كلية للطب البشري ويكون مقرها في مدينة بنغازي، لم يثره الأمر انتباهي ولم أعلم أن ذلك الخبر سيدفع بي إلى التواصل مع قيادة الثورة الفتية، يوم السبت صباحاً التقيت والزملاء أمام البعثات لكن المفاجأة كانت قوية إذا أبلغنا بالتوجيهات الصادرة بفتح فوري لكلية للطب، وإننا سنكون الدفعة الأولى بها وعلينا التوجه إلى مكتب المسجل العام بالجامعة الليبية لإتمام إجراءات التسجيل، بالتأكيد كانت لدينا رغبة جامحة في السفر إلى الخارج لتغيير نمط حياتنا، فوقع ما سمعناه وقوع الصاعقة على رؤوسنا، لم نكن راضين على القرار، ولم نخفي غضبنا ورفضنا له، حاولنا مراراً مع مدير إدارة البعثات الذي بدأ أمامنا عاجزاً على مناقشتنا، فالقرار الثوري قد صدر وليس أمامنا إلا القبول بالأمر الواقع، كانت ردة فعلنا خليط بين متخوف من الفشل إلى المتفائل، لكننا لم نرغب في اقتحام المجهول فلم نستوعب القرار وحاولنا عبثاً تغيير مسار الدراسة لنستفيد من قرارات الإيفاد في المجالات الأخرى، لكن

عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وفعلا ذلك القرار منحني والزملاء الأربعين الذين التحقوا بالدراسة بكلية الطب، شرف الانتماء للدفعة الأولى من كلية الطب في ليبيا، استسلمنا للأمر الواقع والتحقنا رغما عن رغبتنا بإعدادي الطب في كلية العلوم في طرابلس.

لقد كانت بدايتنا في كلية الطب حكاية طويلة ربما تحتاج إلى بحث متخصص لأنها كانت مليئة بالأحداث، أهمها أنه في شهر أكتوبر 1970 استدعينا إلى الجامعة لإجراء المقابلة الشخصية، وفعلا حضر جميع طلبة الدفعة من كل مناطق ليبيا، وأجرى المقابلة الدكتور عبد الرؤوف بن عامر الذي عين عميدا للكلية، والمرحوم أحمد المنفي وكان قد نسب لتوه إداريا بالكلية، أذكر أثناء المقابلة سألني الدكتور بن عامر عن سبب دخولي إلى الكلية فأجبته، بأنني كنت مسافرًا إلى القاهرة وأنتم وجهتمونا إلى كلية بنغازي، بالتأكيد أثار جوابي امتعاضه، لكن في نفسي قلت دعه يرفضني فأغير البعثة، سألني عن عائلتي وماذا يعملون، فقلت له فلاحين، فقال مهنة الطب في العالم من فئات معينة، فكان ردي هل تقصد أن أبناء الفلاحين لا يدخلون الطب، كان ردي قوياً ومستفزاً الأمر الذي لاشك أثر في علاقتي مع الدكتور بن عامر في الكلية.

كلية الطب لم تكن جاهزة من الناحية الواقعية وكانت مجرد قرار كان قد صدر بإنشاء الكلية بالجامعة الليبية طواه النسيان في الأدراج، لكن ربما تعيين بشير هوادي عضو مجلس قياد الثورة وزيراً للتعليم وبعد معرفته بعدد المتقدمين لدراسة الطب بالخارج أدى إلى

إخراجه ونفض عنه الغبار، واستدعى العميد المعين والذي لم يفعل شيئا طيلة السنوات الماضية وأمر بافتتاح الكلية فورا ودون تأخير.

امتثل العميد للأمر الثوري، لكنه أراد أن يكسب الوقت، لذلك قرر تدريس إعدادي طب في كلية العلوم بطرابلس لمدة سنتين، وذلك لإتاحة الوقت لنفسه ولإدارة الجامعة لتجهيز الكلية في بنغازي.

من الطب إلى قسم الحيوان

كان امتحان القبول كما توقعنا شكلياً فقبل الجميع، بدأت الدراسة في كلية العلوم ونسبنا إلى قسم الحيوان ودخلنا للمحاضرات والمجموعات مع باقي طلبة كلية العلوم، لم يكن الأمر مريحاً، من النوادر التي استمرت معنا لسنين، إن أول محاضرة تلقيناها لتعلم الطب لم تكن لها علاقة لا من بعيد أو قريب بالطب والتطبيب بل كانت في علم النبات ألقاها علينا أستاذ من مصر اسمه "أبوريا "على ما أذكر، كانت صدمة إضافية إلى حد ما ومجال نقاش بيننا لأيام، فلقد جئنا لنتعلم الطب وإذ بنا ندرس نبات الفول**!** أعضاء هيئة التدريس بقسم الحيوان لم يعطوا اهتمامًا لطلبة إعدادي طب، وتم التعامل معهم كطلبة كلية العلوم، ذلك سبب إحباط مضاعف.

لأننا مجموعة من مدرسة باب بن غشير كانت الأكثر نشاطاً بدأنا بالاستفسار من وكيل كلية العلوم وقتها الدكتور سعيد داود الذي تربطه علاقة مع الأخ أبوالقاسم الباروني، عن البرنامج الدراسي المعد لنا، وبينا له امتعاضنا من طبيعة المحاضرة الأولى والتي كان من رأينا أن تكون محاضرة ترحيبية توضح دراسة الطب ومراحلها

وموادها إلى آخره، فكان صريحاً معنا في رده، قال بوضوح ودون مجاملة إنه لا برنامج دراسي خاص بكم، "عميدكم" بن عامر طلب مني أن أنسبكم إلى مجموعة من مجموعات قسم الحيوان، ونحن لا دراية لنا بمنهج إعداد الطب وأن هذه الفترة ستستمر سنتان، سنتان يا للهول! نحن نعلم من زملائنا الذين تواصلنا معهم ونحن نعد العدة للدراسة في مصر أن مدة إعدادي الطب سنة واحدة وهي مفصولة وتدرس بكلية الطب وليس كلية العلوم، كان ذلك مدعاة لإحباط إضافي، وأننا دخلنا في المجهول الذي كنا نتخوف منه.

استمر حضورنا في مجموعة علم الحيوان إلى قرابة نهاية الفصل الأول، لكن الجدل والحوار لم ينقطع بيننا، تعرفنا عن قرب على زملائنا القادمين من مختلف المدارس، وكان وجود عدد كبير منا بالقسم الداخلي بمنطقة الظهرة فرصة سانحة للبحث فيما نحن فيه، اتفقنا جماعياً تقريباً على رفض نظام الدراسة المعد لنا وقررنا تصعيد النقاش مع المسؤولين لأننا شعرنا بأن مستقبلنا يتهدد، قررنا تنفيذ تمرد سلمي، وجهنا طلبات عن طريق كلية العلوم إلى إدارة كلية الطب، لكنها لم تعرها أي اهتمام ولم تستجب إلى طلباتنا، لم تكن هناك إمكانية للتواصل مع إدارة الجامعة الموجودة في بنغازي.

قررنا طلب مقابلة العقيد معمر القذافي! حاولنا بعلاقات بعض الإخوة الذين ادعوا معرفة ببعض الضباط فلم نفلح، حاولنا اصطياده في إحدى زياراته المتكررة للجامعة فلم ننجح، ولأننا كنا في سباق مع الوقت ولأن الفصل الدراسي الأول شارف على النهاية والامتحانات على الأبواب لذلك لم نجد بديلًا عن تنظيم مسيرة طلابية إلى باب

العزيزية، الإجراءات العملية لم تكن وقتها معقدة، خرجنا من الجامعة إلى الطريق حيث استوقفنا شاحنة وطلبنا من صاحبها أن ينقلنا إلى معسكر باب العزيزية حيث يتخذه القائد مقراً لمجلس قيادة الثورة، في بوابة المعسكر البسيطة وقتها، حاول أحد الجنود بالبوابة إبعادنا لكنه لم ينجح، وتزامنت مسيرتنا الصغيرة مع دخول مسؤول مكتب معلومات الرئيس وقتها النقيب الريفي الشريف، الذي أستفسر منا عن هويتنا ومطلبنا بالباب، ثم سمح لنا بالدخول إلى مكتبه حيث استمع إلى قصتنا باهتمام وتعاطف معنا وقال سأبلغ الأخ العقيد وراجعوني بعد يومين، شكلنا لجنة مني والدكتور بلقاسم الباروني، والدكتور بشير العلاقي، والدكتور عمران الفيتوري وآخرين لم أتذكرهم، بعد يومين كنا في الموعد، وكان عند وعده قال الأخ العقيد كلف بشير هوادي بمعالجة مشكلتكم فوراً ووفقا لوجهة نظركم وكان ملخصها إما أن ندرس إعدادي طب سنة واحدة وأن ندخل مباشرة إلى الكلية وإما أن نوفد إلى الخارج، كنا نتوقع أن الخيار الثاني هو الأسهل فلن يمكن حسب ما رأينا من وضع بكلية العلوم اختصار فترة الدراسة، طلب لنا سيارة نقلتنا إلى مكتب وزير التعليم وقتها، وفي المكتب التقينا بالدكتور عمر الشيباني رئيس الجامعة، وبن عامر عميد الكلية، دخلنا إلى مكتب النقيب هوادي، كنا في أشد درجات الحماسة، شرحنا وجهة نظرنا بكل وضوح وحددنا مطلبنا، كان بشير هوادي يستمع إلينا ويقاطعنا أحيانا، لكن العميد حاول أن يثبت صحة وجهة نظره، وكان مراوغًا يحاول أن يفهم بشير هوادي أن ما فعله هو متطلبات دراسة الطب، وأنه لا يريد المدرسة المصرية ويرغب أن يكون مستوى التعليم بمستوى

أمريكا أو بريطانيا، كرر أن إعدادي الطب في أمريكا أربع سنوات وفي بريطانيا سنتان "تلك ادعاءات تحققنا من عدم صحتها لاحقا" وقال إن مستشار إنجليزي وضع برنامجًا مفصلًا لدراسة إعدادي الطب وإنه أساس تكوين الأطباء، كان بشير هوادي ناصرياً متحمساً أستفزه حديث بن عامر على مصر فأبدى امتعاضًا مما قاله العميد، نحن على الفور كان ردنا أن أغلب الطلاب الليبيين يدرسون الطب في مصر، ولكن لا مانع أن ندرس النظام البريطاني وقلنا نحن على استعداد لدراسة كل المنهج في عام حتى ولو درسنا الفترة الصيفية، أصر الدكتور بن عامر على موقفه، وفعلا وجه بشير هوادي بأن يختصر إعدادي الطب إلى سنة فقط وأن أكتوبر 1971 ينبغي أن تنتظم الدراسة في الكلية ببنغازي وفق أحدث المناهج وأن أية تمويلات مطلوبة لذلك سيتم توفيرها.

لم ندخل امتحانات الفصل الأول المقررة لكلية العلوم، وتم وضع منهج خاص بنا، تكون من الكيمياء العضوية والحيوية والفيزياء والرياضيات والحيوان، وأعدت المواد على أساس سنة دراسية تبدأ في شهر مارس وتنتهي في شهر سبتمبر، نظمت كلية العلوم برنامجًا للدراسة بفصل الصيف خاصًا بطلبة إعدادي طب واعتبر الفصل الأول كأنه لم يكن، وأعد منهج خاص مزيج من كل شيء في مناهج سنة رابعة علوم بدون هدف!

أعتقد أنها كانت أطول وأعقد فترة لإعداد طلبة الطب! عرفتها كليات الطب الليبية، درسنا فيها كمًا من المناهج التي لا علاقة لها بالتمهيد لدراسة الطب، من منهج رياضيات وفيزياء وكيمياء عضوية

وكيمياء حيوية وتفاضل وتكامل يدرسها فقط طلبة الأقسام المتخصصة في كلية العلوم.

نقطة تحول

لقد شكل دخولي لكلية الطب مرحلة مهمة حيث كنت أطمح لأكون طبيبا منذ سنوات الدراسة الأولى، وشكل نقطة تحول هامة في حياتي السياسية، فلقد كان الوسط الجامعي مختلفاً على وسطنا الشعبي الفقير وعن وسطنا الطلابي الثانوي، تفاجأنا في الجامعة بوجود قوى سياسية مختلفة فكرياً عن ما يدور في الوسط الشعبي، ومع أنها أقلية إلا أنها كانت تمارس نشاطاً مكثفاً لتوجيه الرأي العام الطلابي وفقاً لتوجهاتها السياسية، لقد كانت مختلفة ومتناقضة فيما بينها، من الماويين والتروتوسكيين إلى جماعة الإخوان المسلمين، والبعثيين، لكنها كانت متفقة على عرقلة مشروع الثورة وإثارة البلبلة نتيجة على ما يبدو للصراع القديم مع ثورة 23 يوليو الناصرية، معتبرين أن ثورة الفاتح هي امتداد لثورة يوليو، وإسقاطها انتقام مشروع من جمال عبد الناصر، ذلك أنه في العام الأول من الثورة لم تتخذ إجراءات على المستوى الوطني تبرر موقف تلك الجماعات المعادي، فلو نظرنا إلى الطرح الإسلامي فما نفذ من إجراءات كانت تخدم التوجه الإسلامي لو صدق أصحابه، فمن أول القرارات تحريم الخمور تناولا وإنتاجا وبيعا، وقفل دور الدعارة، ومنح حفظة القرآن درجة الليسانس ورفع الأذان لأول مرة في العالم في الإذاعات المسموعة والمرئية، وغيرها، وبالنسبة لليساريين فلقد تبنت الطرح الاشتراكي الوطني واهتمت من

يومها الأول بالعمال، فمنعت المتاجرة بهم ورفع الحد الأدنى للأجور 100%، وتحولت ليبيا من قاعدة للدول الإمبريالية المعادية للشيوعية إلى صديق للاتحاد السوفييتي وحلفائه، وتبنت كل حركات التحرر اليسارية في العالم، أما القوميون فلا مبرر لهم إطلاقاً فثورة الفاتح حولت ليبيا من دويلة عميلة تابعة، إلى رأس حربة لمقاومة الصهيونية وقيادة النضال القومي من أجل الوحدة العربية.

في كليات الجامعة بطرابلس كان النشاط البارز للطلاب الشيوعيين المتمركزين خاصة في كليات التربية والهندسة، حيث عملوا على تنفيذ مناشط دعائية الهدف منها التقليل من أهمية ثورة الفاتح، بالادعاء أنها انقلاب عسكري قاده ضباط صغار غير واعين سياسياً، ولا تمتلك مشروعاً فكرياً سياسياً ولا اجتماعياً، وأن صغار الضباط لا يمتلكون الخبرة والتدريب الكافيين لإدارة الدولة، وكان الطلاب الحزبيون يعملون على استغلال مناخ الحرية الذى نتج عن الثورة في الجهر بدعواهم المناهضة، وإطلاق حملات تعبوية ضد الثورة، لكن القائد معمر القذافي ورغم التحديات الجسام أمام الثورة في الأعوام الأولي، والمعارك الوطنية التي خاضتها خاصة معركة الإجلاء وطرد الطليان وتأميم النفط، كان حريصًا على اللقاء والحوار المباشر مع الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، لأنه كان مدركا لخطورة عمل المجموعات الحزبية، ولتحصينهم ضد الأفكار الغريبة عن المجتمع الليبي وتوعيتهم بحقيقة ثورة الفاتح، ودفعهم إلى الانخراط في العملية الثورية، لقد نجح في تحريض الطلاب من الطبقة الفقيرة، أبناء العمال والفلاحين لتشكيل تكتل طلابي من خلال لجان للتوعية الشعبية

تهتم بنشر المشروع الثوري الجديد، كان القائد حليمًا واسع الصدر والأفق يستمع لكل من يتكلم، وكان يوضح بين الحين والآخر وجهة نظره في الإشكاليات المطروحة، لكنه كان يرد بالأفعال وليس بالأقوال، فكان في ذات الوقت يلتقي المهندسين على قلتهم من كل المجالات ليطلق التنمية الزراعية والثورة في مجال الإسكان، وتطوير المنظومة الصحية والتعليمية، ومشروع الكهرباء الضخم والثورة الصناعية، فلم يبعده انشغاله في مفاوضات الإجلاء وإجلاء المستوطنين الطليان عن التواصل المباشر مع الجماهير خاصة في كليات الجامعة، وأتصور أن القائد مع انطلاق الثورة كان يعي أهمية استقطاب عناصر قيادية من الطلاب وأعضاء هيئات التدريس الليبيين لقيادة مرحلة التحول الثوري، وأن الجامعة هي المكان المناسب الذي سيجد به ضالته.

في كليات الجامعة ببنغازي كان الأمر مختلفًا بعض الشيء، فلقد كان هناك تواجد أقوى لجماعة الإخوان المسلمين خاصة في كليتي الاقتصاد والقانون، أما الجماعات الماركسية فكانت تتركز في كلية الآداب، كانت الجامعة تضم أعداداً من أعضاء هيئات التدريس العرب المعارضين في بلدناهم من ذوي التوجهات الدينية واليسارية، ونخب من مثقفين من العراق وسوريا، لعل أبرزهم الفيلسوف الوجودي عبدالرحمن بدوي الذي ساهم وجوده في بنغازي في تكوين عدد من المثقفين اليساريين الوجوديين، لقد كانت الأجواء الثقافية متوترة داخل كليات الجامعة من خلال الصراع بين تلك المجموعات الفكرية التي كانت تعمل تحت الأرض إبان حكم الملك الذي لا يسمح بأي نشاط

ثقافي ولا سياسي، لكن قيام الثورة مكن تلك الجماعات من الظهور إلى العلن، فاستغل حزبيون ذلك للتنظيم والعمل ضد الثورة الأمر الذي لم يلقى تقبلا من الجموع الطلابية فاقتصرت أعمالهم على المناكفات وترويج الإشاعات ومحاولات البلبلة التي بقيت حبيسة مدرجات كلية الهندسة والعلوم بطرابلس ومدرج رفيق ببنغازي.

***

المحطة الرابعة
الثورة الشعبية

الفاتح ثورة شعبية

بمجرد إذاعة البيان الأول للثورة، وبث الأناشيد القومية التي كانت محظورة في الإذاعة الليبية، شعر المواطنون الليبيون بأن عهدًا جديدًا قد فتح، فاندفعت الجماهير إلى الشوارع تلقائيًا، لكسر حظر التجوال، يوم 2 سبتمبر كانت الجماهير تملأ شوارع طرابلس وميادينها وتوافد الشباب والشيوخ على مقر الإذاعة لإعلان تأييدهم للثورة، وهكذا كان الحال في بنغازي والزاوية وسبها وكل المدن والقرى، كانت أول برقية تأييد للثورة الوليدة من جماهير منطقة سوق الجمعة بطرابلس، ثم توالى سيل البرقيات التي كانت الإذاعة تخصص وقتًا لإذاعتها من الأفراد والمناطق والمجموعات العمالية، استمرت المسيرات الشعبية المؤيدة طوال النهار والليل، لكن الشعب لم يعرف بعد من هم الثوار الذين خلصوه من كابوس العهد الملكي البغيض، لذلك كانت الجماهير ترى في كل ضابط وجندي يصادفها في الشارع قيادة للثورة، فيحملون على الأعناق، في الثامن من سبتمبر وبنصيحة مباشرة من جمال عبدالناصر، الذي خشى أن تقفز أي مجموعة من الحزبيين المنظمين على الثورة في ظل بقاء أسماء قيادتها مجهولة، أعلنت أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة من إثني عشر ضابطا برئاسة العقيد معمر القذافي وعضوية تسعة نقباء وملازمين اثنين، ظهر اسم

العقيد معمر القذافي قائداً أعلى للقوات المسلحة ورئيساً لمجلس القيادة، وشكلت حكومة الثورة برئاسة محمود المغربي وهو من قادة حركة القوميين العرب الذين كانوا في السجن فيما عرف بقضية 106وضمت وزراء عسكريين من خارج حركة الضباط الوحدويين الأحرار، ضمت أول حكومة شخصيات من كل التيارات السياسية من القوميين العرب إلى الناصريين إلى البعثيين والشيوعيين والإخوان المسلمين، حرصاً من الثورة الفتية أن تقحم الجميع في عملية التحول الثوري، وتوقعا منها أن تلك التنظيمات كانت فعلاً ترغب في العمل من أجل استقلال ليبيا وبنائها على أسس وطنية تحقق الرقي والازدهار للشعب، وهكذا كانت بقية الحكومات حتى إعلان قيام سلطة الشعب، فلا غرابة في تعيين شخصية مثل محمد المقريف المبعد من الجامعة لانتمائه لتنظيم الإخوان وزيراً ومن ثم سفيراً، وكذلك عميش، والعيساوي، والمغربي، والتبو، وجمعة الفرجاني، والمطماطي وغيرهم وزراء وسفراء، لكنهم لم يقدموا شيئاً للشعب وظهرت حقيقة أن ولاءهم للأحزاب أكثر أهمية من انتمائهم للوطن.

في يوم 16 سبتمبر ولأول مرة نظم تجمع جماهيري كبير إحياء لذكرى إعدام عمر المختار حضره رئيس مجلس قيادة الثورة العقيد معمر القذافي، وألقى كلمة قدم بها نفسه كقيادة فعلية للثورة التي تفجرت يوم الفاتح بمدخل عسكري كان خطاباً مطولاً تعرض لدوافع الثورة وأهدافها وركز على ضرورة إحياء ذكرى المجاهدين الأبطال، عقب ذلك اللقاء نظمت الجماهير الليبية مؤتمرات شعبية تلقائية في كل المدن

والقرى والأرياف للإعلان عن تأييدها للثورة ولتقديم مطالب الليبيين وتصوراتهم لليبيا الجديدة التي يريدونها حرة قوية مستقلة مزدهرة في ظل عدالة اجتماعية، إلى القيادة الثورية الجديدة، حضر تلك اللقاءات أعضاء مجلس قيادة الثورة بالمناطق، والضباط الوحدويون الأحرار، في طرابلس عقد لقاء بالميدان البلدي لكرة القدم بمنطقة سوق الثلاثاء حضره عبدالسلام جلود وأبوطارق مندوب منظمة التحرير في ليبيا.

في 22 سبتمبر 1969 التقى رئيس مجلس قيادة الثورة بجماهير فزان، وألقى خطاباً مطولاً تحدث فيه عن دور القوات المسلحة في الدفاع عن الوطن وأنها لن تحكم بل ستمكن الشعب من حكم نفسه بنفسه، وبين أهداف الثورة في الحرية والاشتراكية والوحدة، وتطرق إلى أهمية تحرير المقدسات وضرورة بناء القوى القومية لمواجهة العدو الصهيوني، وبين أن سبب انتصار العدو هو الإقليمية، واستطرد في الحديث حول كفاح الشعب الليبي من أجل الحرية والاستقلال، وتكلم عن فزان الثائرة وبين أنه فرض التخلف على فزان فكانت نسياً منسياً.

وفي يوم 16 أكتوبر 1969 كان اللقاء التاريخي الأول بجماهير طرابلس بميدان الشهداء، حيث اكتض المكان بالجماهير، وكان القائد وسطهم بحراسات بسيطة، في طرابلس حدد منهج الثورة السياسي فبعد أن ذكر بأهداف الثورة في الحرية والاشتراكية والوحدة، تطرق إلى مطالب الشعب الليبي المشروعة في جلاء القواعد العسكرية الأجنبية فوراً من الأراضي الليبية، وأن ذلك المطلب الجماهيري لن تتهاون الثورة في تنفيذه، وطرح مبادئ الثورة في الحياد الإيجابي وعدم الانحياز، واختتم بالحديث عن الوحدة الوطنية وأن الشعب الليبي واحد رغم محاولات الاستعمار تقسيمه إلى أقاليم.

مساء يوم 26 سبتمبر 1969 التأم لقاء جماهيري كبير لأبناء النواحي الأربعة بمنطقة قصر بن غشير وتشرفت بكوني من بين لجنة المنظمين، كان حضوراً جماهيرياً كثيفاً في سابقة تاريخية لم تعرفها المنطقة منذ لقاءات بشير السعدواي وخطب علي المصراتي الحماسية التعبوية في الخمسينيات، ألقيت فيه الكلمات المؤيدة لقيام القوات المسلحة بإسقاط النظام الملكي، والمنوهة بتاريخ النواحي الأربعة المناهض للاستعمار وللحكم الملكي العميل، والمتضررالأكبر من الاستيطان الإيطالي، صدر عن الحشد بيان حدد مطالب الجماهير التي لم تختلف كثيراً على ما جاء من غيرها من المناطق، ومن أولها المطالبة بالإجلاء، وبناء جيش قوي، وإطلاق التنمية، لكن لم يكن بينها المطالبة بطرد الطليان الذين يمتلكون كل المزارع بمنطقة النواحي الأربعة عدا بعض الحيازات الصغيرة التي تركت لمن قدم للطليان خدمات في سابق الزمان.

في يوم 7 أكتوبر 1969 انعقد لقاء آخر لسكان المنطقة الجنوبية من النواحي الأربعة بسوق الخميس حضرته جماهير الرقيعات، والختنة، والعلاونة، وسوق السبت، وشارك فيه الفرسان، صدرت عنه أيضًا توصيات حوت نموذجاً للمطالب الشعبية المتكررة تقريبا.

ليس من قبيل التفاخر ولا المبالغة القول بإن الأغلبية الساحقة من أبناء النواحي الأربعة كانوا ضمن صفوف المجاهدين في مواجهة الغزو الإيطالي، وقدموا عشرات آلاف الشهداء وكان لهم قادة بارزون في معارك الجهاد من أمثال: الصويعي الخيتوني، مسعود الشويخ،

محمد العربي، أحمد منصور الشريف، عبدالسلام أبورزيزة، أحمد سليمان الزوير، علي بن زائد الخثني، والنعاس أبورزيزة، وغيرهم، ممن لا يستقيم المقام لذكر أسمائهم كلهم، كانوا قادة كبار وفدائيين صادقين، وكانت منطقة النواحي الأربعة ساحة لمعارك عديدة متكررة، من أبوعرقوب إلى الجراية، والسدرة، وعبازه، وتبراز، والسائح، وفندق الشريف، وأذكر أنه حيث كان مقر سكننا في منطقة المرازيق بسوق السبت، كانت هناك أشجار السدر التي تحوي مقابر الجنود الأحباش الذين جندهم الطليان لقمع حركة الجهاد الليبي، وتسمى إلى وقت قريب بسدر الحبش.

كان أغلب سكان منطقة النواحي الأربعة، يشكلون قوة معارضة أساسية ضد النظام الملكي، وأذكر أن كل الانتخابات التي أجريت سواء لما سمي المجلس التشريعي لولاية طرابلس أو ما سمي بمجلس النواب، كانت تشهد عمليات تزوير مفضوحة، وكانت دائماً تفضي إلى فوز مرشحي الحكومة المعدودين عمران البصير، وسالم شيته، وعندما تمكن النائب الوطني عياد اللافي عام 1965 من الفوز في الانتخابات وتمكن مع 5 آخرين فقط من تشكيل كتلة تطالب بالإجلاء داخل المجلس، قام الملك بحل البرلمان بعد عام واحد فقط من انتخابه، ربما لتلك الأسباب كانت منطقة النواحي الأربعة من المناطق المغضوب عليها من الملك، ولم تشهد أي أعمال تنموية رغم قربها من العاصمة، فلا كهرباء ولا اتصالات ولا طرق فرعية وعدد قليل جدًا من المدارس ولا حتى مساجد إلى ما بعد قيام الثورة، وذلك كان عاملاً إضافياً لتكون النواحي الأربعة من أكثر المناطق حماساً لثورة الفاتح وأيدتها بقوة، لكن لم يكن من بين مطالبها من الثورة طرد

المستوطنين الطليان وتوزع مزارعهم على أبناء النواحي الأربعة، أصحاب الأرض الأصليين، لأن وجود الطليان صار أمراً واقعاً لا مجال لمجرد التفكير لتغيره وتبديله مع أنه مخالف للمنطق والتاريخ.

يبدو أن لقاءات الجماهير الغفيرة في المؤتمرات الشعبية التلقائية وجهت عناية قيادة الثورة إلى ضرورة البحث في آليات منظمة للتواصل مع الناس والاطلاع على مطالبهم ومتطلباتهم، فتم تشكيل لجان للتوعية الشعبية تتواصل مع الفعاليات الطلابية والعمالية والنخب الثقافية والمهنية في المدارس والجامعة والمؤسسات الاقتصادية ومختلف المواقع الجماهيرية، لقد ساهمت تلك الحملة الشعبية التي تولتها أساساً الخلايا المدنية لحركة الوحدويين الأحرار، في استقطاب قوة شعبية لتلتحم مع حركة الضباط الوحدويين الأحرار لتسريع إنجاز أهداف ثورة الفاتح من سبتمبر التاريخية.

ندوة الفكر الثوري 6 مايو 1970

من بين الأحداث المهمة في بدايات تاريخ ثورة الفاتح، كان تنظيم ندوة الفكر الثوري التي افتتحت في 6 مايو 1970 في طرابلس والتي دعي إليها كل المثقفين الليبيين دون استثناء، وناقشت موضوعات تتعلق بمستقبل ليبيا الجديدة بعد الثورة والبحث في آلية تمكين الشعب الليبي من المساهمة في بناء ليبيا جديدة تقوم على الحرية التامة للوطن والمساواة الكاملة بين المواطنين في الحقوق والواجبات.

ولقد بينت المحاور التي طرحت للمناقشة في الندوة، شخصية الزعيم معمر القذافي وقدرته السياسية الفكرية، وأن ثورة الفاتح ليست حالة عبثية، ولا سلطة عادية نتيجة انقلاب عسكري نفذه ضباط صغار

محدودو الخبرة السياسية والإدارية، بل كانت مشروعاً متكاملاً لبناء دولة قوية مقتدرة وقادرة على المساهمة الفاعلة في معارك الأمة.

ناقشت الندوة أربعة محاور مهمة تلخص رؤية الثورة للمستقبل هي:

1- قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقة في الثورة.
2- مسألة الديمقراطية في مرحلة التحول الثوري.
3- التنظيم الشعبي ووعاؤه.
4- الوحدة العربية.

المثقفون الليبيون الطامحون للتغيير من أجل التقدم تنفسوا الصعداء عندما علموا أن حركة الضباط الوحدويين الأحرار تنوي إقامة حوار وطني كبير يجمع كل الأطياف والتيارات السياسية والدينية، وفعلا جاء الموعد وأقيمت الندوة وبثت على الهواء مباشرة، استغرقت الندوة عدة أسابيع، اتسم فيها النقاش بالمسؤولية الكاملة والحرية التامة والمطلقة، وكان الليبيون يستمعون من خلالها إلى رؤى وأطروحات الشخصيات والتيارات والتنظيمات السياسية المختلفة في ليبيا، وكانوا ينصتون إلى الحوارات السياسية الناضجة والبناءة، والتصادمات الفكرية الممتعة والمتعددة.

يذكر أهل ذاك الزمان في ليبيا تلك الحادثة بين الرائد بشير هوادي عضو مجلس قيادة الثورة في ذلك الحين، والكاتب الكبير الصادق النيهوم، فقد انتقد هوادي لباس الصادق وطلب منه أن يترك لباس الجينز وأن يرتدي بدلة، أو لباساً أنيقاً مقبولاً، ولم يرد الصادق على هوادي، وفي اليوم التالي قدم الصادق باللباس نفسه، ولكنه كان

يحمل معه بدلة أنيقة مع مشجبها، وعندما طلب هوادي من الصادق أن يتحدث، أشار إليه الصادق بأن يتوجه بسؤاله للبدلة.

لقد كان القائد ينصت إلى كل المتحدثين، وفى ختام كل جلسة كان يقدم ملخصاً، بين قدرته الفكرية والثقافية، فكان يقول في هذا البند تحدث اليوم علي سبيل المثال 42 متحدثا اتفق 32 متحدث منهم على الصياغة التالية ويرى ثلاثة منهم الملاحظات التالية فلو عدلت الصياغة على النحو الآتي فإن الموافقين سيكونون 35، لكن اثنين وثلاثة واثنين آخرين يرون آراء متناقضة ولا يمكن توفيقها مع المطروحة وهكذا ينبغي تثبيتها كملاحظات، لقد بينت ندوة الفكر الثوري من هو قائد ثورة الفاتح وقدراته الفكرية والسياسية وإمكاناته الثقافية.

في تلك الندوة طرحت أسئلة محورية من قبيل مسألة الديمقراطية في مرحلة التحول الثوري، والتنظيم الشعبي ووعائه، والوحدة العربية وغيرها من الموضوعات الفكرية، استخلص منها التوجه الذي يراه أغلب المثقفين الليبيين آنذاك ومن مختلف التيارات بما فيهم الشيوعيين والإسلاميين والبعثيين، لكن الطيف الأوسع كان أتباع الفكر القومي الناصري.

لقد انعكست توصيات ندوة الفكر الثوري في المشروع السياسي الديمقراطي الذي تبنته ثورة الفاتح لاحقاً.

ويمكن القول إن مواقف الثورة سواء على الصعيد السياسي أو التنموي تمت مناقشتها وصياغتها بعد مناقشات مستفيضة مع المثقفين والسياسيين والتقنيين بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية.

حوار مع الإسلاميين

يوم 16 نوفمبر1970 افتتح القائد معمر القذافي، مؤتمر الدعوة الإسلامية الأول من نوعه على مستوى العالم الإسلامي، حيث دعي إليه عدد كبير من علماء المسلمين من مختلف دول العالم إضافة إلى العلماء الليبيين، لمناقشة آلية بناء الدولة وفقاً لأحكام الشريعة، وأهمية إطلاق الدعوة لنشر الدين الإسلامي الحنيف إلى كافة شعوب الأرض، باعتبارها مسؤولية كل مسلم ومسلمة، ومواجهة ما يتعرض إليه الإسلام والمسلمين من قبل الدول الاستعمارية المتسترة بالدين المسيحي، وعمليات التنصير التي تجتاح البلدان الإسلامية غير الناطقة بالعربية والفقيرة.

استمع القائد طيلة أيام إلى آراء مختلفة وتحاور مباشرة مع أقطاب الفكر الديني بما فيهم قيادات مهمة من الإخوان المسلمين والتحرير الإسلامي، وطرح وجهة نظره حول ضرورة تخليص الدين مما لحق به من شوائب إبان فترات الصراع السياسي وانحطاط الدولة الإسلامية وطرح مشروعه في الدعوة إلى إسلام بلا مذاهب بالعودة إلى الأصل وهو القرآن الكريم، كما قدم رؤيته لأهمية العمل على نشر الدين الحنيف إلى كل الشعوب وضرورة مساهمة المسلمين كأفراد وجماعات ودول في ذلك وتسخير الإمكانات المطلوبة لذلك بما فيها أموال الزكاة، وقرر مجلس قيادة الثورة فرض ضريبة للجهاد على كل مسلم للصرف منها على الدعوة.

خلصت الندوة إلى صياغة قوانين الحدود وفقا لصحيح الدين، التي صدرت في ليبيا عام 1971 وكانت بذلك ليبيا أول دولة في العالم الإسلامي الحديث تطبق القانون الإسلامي في الحدود، الحرابة والسرقة والقتل العمد والزنا وشرب الخمر، كما تم اقتراح تأسيس جمعية للدعوة الإسلامية وتوفير موارد مالية لها، ولأن القائد كان من أشد المتحمسين للأمر فتم تحويل ضريبة الجهاد وتخصيصها بالكامل لبرامج الدعوة الإسلامية حتى يساهم كل ليبي في الدعوة للدين الإسلامي فيناله الأجر والثواب.

لقد أدرك القائد المخاطر التي تهدد الدين الإسلامي خاصة ظهور الفرق والمذاهب واستخدامها من الأجهزة الغربية المعادية للإسلام في وقف المد الثوري العربي، وكان على وعي بحقيقة ظهور حركة الإخوان المسلمين وأسباب دعمها من قبل الإنجليز لكي يتمكنوا من إجهاض الدعوات الشعبية للوحدة وبناء القدرة العربية، من جانب آخر انتشار الدروشة وعمليات التسطيح للدين الحنيف من خلال حلقات صوفية يتسم أصحابها بالجهل ويمارسون بعض التسابيح كطقوس ليس إلا.

يرى القائد معمر القذافي، بأن العروبة والإسلام أمران مندمجان بالكامل إلى درجة طرحه التشكيك في عروبة غير المسلمين في الوطن العربي، إن الإسلام عنده روح وعقل الأمة العربية، والعرب هم المسؤولين تاريخيًا وأخلاقيًا على حمله للناس كافة.

وفى نفس الوقت كان مقتنعاً بأن سبب ظهور الفرق والأحزاب الإسلامية المتناحرة هو التركيز على ما نسب إلى الرسول صلي الله عليه وسلم من أقوال لم تتأكد صحتها، واختلف الفقهاء حولها إلى درجة

التناقض، لقد كان القائد واضحاً في الفصل بين الدين الذي بينه الله في كتابه العزيز وحمله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وبين التراث الإسلامي المليء بتحليلات وآراء رجال يختلفون في نشأتهم وأهدافهم السياسية والاجتماعية، ولقد كرر في أحاديثه أن السبب الأهم لظهور الفرق والأحزاب هو الصراعات السياسية بين الأطراف المختلفة، وكل طرف يحاول أن يجد لنفسه سنداً من الدين، لذلك يختلقون تبريرات ووصفات وينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو منها براء، فالثابت عن الرسول قوله لأصحابه لا تكتبوا عني غير القرآن، فبينما أمر كتبة الوحي بتدوين آيات القرآن ووضعها في موضعها من السور وفقاً لما يقوله لهم الرسول صلى الله عليه وسلم منعهم من كتابة أقواله التي جمعت في أواخر القرن الأول للهجرة والقرن الثاني أي بعد أكثر من قرن من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، لقد كلف الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه عمر بن الخطاب بجمع الحفظة وكتبة الوحي وتجميع ما كتبوه وحفظوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في مصاحف، وقام الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله بجمعها في مصحف واحد خوفاً من تعددها واختلافها وحرق ما عداها، وهو ما وصل إلينا إلى اليوم، من جانب آخر فإن كثيرًا مما ورد في كتب التراث أُخرجت من قبل مستشرقين غربيين أثناء فترات الحروب الصليبية، وعدد ليس قليل منهم كان يكتب بخلفية عدائية للإسلام والمسلمين، فعلى سبيل المثال لا توجد مخطوطة لصحيح البخاري ولا لمسلم بخط يدهما بل كلها منقولة عنهما، وهذا يزيد من الشكوك حولها.

في السبعينيات كانت السطحية في تناول القضايا الدينية هي السائدة، لذلك شنت حملة شعواء على القائد إلى حد الإفتاء بتكفيره

بذريعة إنكار السنة، وهذا مجرد افتراء، لقد كان يكرر القول بأن السنة القابلة للتصديق العمياني، وهي ما تواتر من أفعال الرسول خاصة في الشعائر الدينية، أما ما ينسب له من أقوال ففيها قولان! ما قاله القذافي في السبعينيات صار اليوم خطاباً منتشراً بين كثير من المثقفين والنخب الدينية، وهو في الواقع ما تحويه كتب التراث المختلفة التي يستخدمها المذهبيون للدفاع على صحة مذهبهم فما هو صحيح عند السنة، مختلق وموضوع عند الشيعة، لكن لا خلاف على المصحف الشريف.

كان مشروع القائد معمرالقذافي تجديد الخطاب الديني وطرح الحاجة إلى إسلام بدون مذاهب، والرجوع إلى نصوص القرآن الحكيم التي يتفق عليها كل المسلمين بتعدد مذاهبهم وطوائفهم ولا يختلفون إطلاقاً حول ثبوتية صحة نصوصه، وأن نتبع سنة النبي العملية لأنها تتعلق بالعبادات في مجملها وأن نبتعد على إتباع السنة القولية لما يشوبها من اختلافات، هذا المشروع الاستراتيجي الخطير كان أحد أهم الأسباب الذي حشد الدول الاستعمارية الغربية المسيحية المتحكم فيها من قبل الكيان الصهيوني في حملة عدائية ضد القذافي، فسخروا عملاءهم وجواسيسهم إلى شن حملة أكاذيب ممنهجة تستهدف شخصه ومشروعه، وللأسف الشديد نجحوا في ذلك فبعد أربعة عقود وجد من يكرر من الليبيين أن القذافي كافر وكانت القاعدة التي بنيت عليها مؤامرة 17 فبراير.

لقد حذر القذافي من المخاطر المحدقة بالدين الإسلامي وبالمسلمين من أولئك الذين ينتمون إلى فرق تدعي وحدها حق الإيمان وتنكره على غيرها، والمتابع لما تشهده ديار المسلمين اليوم يدرك

أهمية خطاب القذافي في ذلك الوقت، والخطأ الكبير الذي وقعت فيه الأمة والثمن الباهض الذي تدفعه من دماء أبنائها، بصم أذانها عن دعواته!!

عام الثورة الدائمة

كانت الشهور الأخيرة من عام 1969 وطيلة عام 1970 ممتلئة بالنشاط الثوري الجماهيري المتفاعل مع الأحداث التاريخية المتوالية، فلقد انطلقت الجماهير الشعبية في عقد المؤتمرات الشعبية الكبرى لتأييد الثورة ولطرح مطالبها على القيادة الثورية وتقديم وجهة نظرها حول مستقبل الجمهورية الوليدة، وكذلك شهدت انطلاق مفاوضات الإجلاء والحملة الشعبية المصاحبة لها، والتي تمثلت في التظاهرات المستمرة أمام قاعة المفاوضات التي احتضنتها قاعة البلدية في ميدان الجزائر بمدينة طرابلس، وكذلك انطلاق عملية واسعة لتدريب طلاب المدارس الثانوية والمعاهد والجامعات علي السلاح، إضافة إلى التفاعل المستمر مع كل الأحداث القومية والعالمية، فلقد كانت الجماهير محرومة من التظاهر وممنوعة من التعبير عن آرائها ومتطلباتها فوجدت في ثورة الفاتح فرصة سانحة لتصعيد نضالها الوطني والقومي.

في العهد الملكي وبناء على نصائح الإنجليز كان الاهتمام الأكبر بالبوليس وخاصة القوة المتحركة المخصصة لحماية الملكية، وكان الجيش الليبي مهملاً ومعزولاً عن جماهير الشعب، وعندما بدأ التدريب العسكري العام بالمدارس الثانوية والمعاهد، خصصت حصص أسبوعية، وجيء بمدربين من ضباط صغار وضباط الصف الليبيين، تعرف الطلاب على حقيقة الجيش الذي كان يراه فقط في عروض رمزية في احتفالات ما يسمى بالاستقلال في 24 ديسمبر،

وتكونت علاقة مهمة بين الجيش الذي قام بالثورة وبين الطلاب إلى درجة أن كل طلاب الفصل في ثانوية باب بن غشير آنذاك قدموا طلبات للالتحاق بالكليات العسكرية وقبل عدد منهم، وهم الآن من خيرة قيادات القوات المسلحة العربية الليبية.

خلال التدريب المكثف كان علينا القيام برماية مرتين بالذخيرة الحية وإقامة مسير نهاري مرتان خلال العام، المسير الأول كان إلى منطقة الفرناج ذهاباً وإياباً، أما المسير الثاني فكان عبر قفار أبوسليم إلى منطقة حي الأكواخ الحالية والذي كان عبارة عن كثبان رملية تطوق مدينة طرابلس.

كنا نحضر إلى المدرسة بالزي العسكري، وشكلنا داخل الفصل آليات قيادة عسكرية، فلقد كان الجيش نموذجاً جذاباً للشباب في ذلك الوقت، ولم يخل الأمر من كثير من النوادر حول المدربين الذين يحاولون التحدث باللغة الفصحي فيأتون بتعبيرات غربية في كثير الأحيان.

صراع مع الشيوعيين والإخوان في الجامعة

كما أوردنا سالفاً كان الخطاب القومي سائداً على الساحة الشعبية والثقافية الليبية، وكان خطاب جمال عبد الناصر يحرك المشاعر الشعبية في كل ليبيا والوطن العربي من المحيط إلى الخليج، لكن مجموعات صغيرة من الإخوان المصريين الذين فروا إلى ليبيا من مصر تمكنوا من تأسيس مجموعات إخوانية في بعض المناطق الليبية خاصة في بنغازي، ومصراتة، وطرابلس، والزاوية، والبيضاء، بايعوا المرشد العام المصري على السمع والطاعة، وفقاً للمنهج الإخواني المصمم بريطانياً، كذلك نجح بعض الشيوعيين في تأسيس

خلايا شيوعية في شحات وبنغازي والزاوية، أما البعثيون فكان حضورهم متواضعاً جدًا في أشخاص يحصون على أصابع اليد في طرابلس وبنغازي وغريان والزاوية الغربية وفزان.

كان البعثيون من أكثر التنظيمات الحزبية بحثاً عن التواجد داخل صفوف القوات المسلحة ربما من خلال تجربتهم التي نجحت في الشام والعراق لقد حاولوا الاستفادة من أبوبكر يونس جابر الذي أبدى في بداياته الطلابية تعاطفاً معهم لكنه لمجرد إدراكه بخلافهم مع جمال عبدالناصر حتى ابتعد عنهم لقد حدثنا القائد رحمه الله عدة مرات عن فريد أشرف وهو مسؤول تنظيم حزب البعث في المنطقة الشرقية، قال القائد إنه بعد نكسة عام 1967 حاول شخصياً وبعض الضباط الأحرار البحث عن تنظيمات مدنية تنفذ عمليات انتقامية ضد المعسكرات الإنجليزية، وأنهم كانوا يخبؤون بعض القنابل والذخائر التي تصرف لهم عند التدريبات بالذخائر الحية، وقال إنه اتصل بفريد أشرف والتقى به في الرجمة، وأبلغه بوجهة نظرة فلم يجد لديه حماساً للأمر، بعد مدة أبلغه أبوبكر يونس نقلاً عن الأستاذ محمد التبو أن فريد أشرف أرسل لمحمد التبو رسالة طالبًا منه أن يتواصل مع معمر القذافي وأن يستقطبه لعضوية الحزب، يقول القائد إن تلك الرسالة كانت سبب إحباط شديد وأنه تيقن بأن الأحزاب التي تدّعي القومية ليس من أولوياتها القضية القومية بل تهتم فقط ببناءاتها الحزبية.

استغل البعث إعلان الجمهورية العربية الليبية، فكانت العراق أول دولة عربية تعترف بالنظام الثوري، وأرسلت فريقًا من الإعلاميين لمساعدة الثورة الفتية كان من بينهم محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام العراقي في وقت لاحق، حاولوا تنشيط الخلايا البعثية ودعمها دون جدوى، نتيجة التيار الناصري الكاسح في ليبيا.

عندما قامت ثورة الفاتح حاولت كل المجموعات الحزبية ركوب الموجة، وتوجيه الحراك الشعبي لصالح أطروحاتها الحزبية، مراهنين على أن الضباط الوحدويين الأحرار شباب صغار في السن، بلا تجربة نضالية، وبدون مشروع سياسي، حاولوا إعادة تنظيم أنفسهم مستفيدين من مناخ الحرية بعد الثورة، بعد عقدين من المتابعة الأمنية الصارمة التي تتحكم بها أجهزة غربية أهمها الأمريكية والبريطانية، فكان إلى وقت قريب قادة الشرطة إنجليز، وإلى قيام الثورة كان مسؤولي المعلومات في أجهزة المباحث والمخابرات من الضباط الإنجليز، كما أخذوا في الجهر بأفكارهم من خلال تواجدهم في الجامعة وبين أوساط النخب كالمحامين، المناخ القومي الوحدوي الناصري لم يفسح لهم مجالًا واسعًا وبقوا كحالة نخبوية معزولة كليًا، وتمكن القائد معمر القذافي من استقطاب المثقفين والأكاديميين والشباب من خلال المناقشات المعمقة في ندوة الفكر الثوري، التي بينت بوضوح، أن ثورة الفاتح ثورة قومية لها مشروع شعبي واضح وهي امتداد فكري وسياسي لثورة 23 يوليو في مصر لذلك اتجهت المجموعات الحزبية إلى تصعيد عملياتها التنظيمية والقيام بأعمال لعرقلة إنجاز مشروع ثورة الفاتح.

لقد وجدت التنظيمات الحزبية مناخ حرية العمل الذي تحقق بعد الثورة، وفي حماسة الطلاب، مناسبة هامة لتكثيف نشاطاتهم الحزبية في الجامعة الليبية، في الوقت الذي انطلق فيه التفكير لبناء وعاء ثوري تعبوي للطلبة ضمن محاولات الثورة الفتية لتأسيس منظمات جماهيرية تتبني المشروع الثوري الشعبي.

احتدم الجدل الفكري والسياسي بين التنظيمات الحزبية وجمهور ثورة الفاتح المتكون من القاعدة الشعبية العريضة، وشهدت قاعات الجامعة صولات من النقاش المعمق أحياناً، ومن البلطجة الحزبية أحياناً أخرى، كان المقريف، وأبوزعكوك، والنامي، والنعاس، من أهم قيادات الإخوان نشاطًا، وكان الغرابلي، وشمام، وغيرهما، يمثلون اليساريين، وكان اجعودة، وعتيقة، يمثلان التيار السطحي العبثي.

المحطة الخامسة
بناء اتحاد طلابي ثوري

نضال من أجل بناء اتحاد ثوري للطلبة

في نوفمبر 1971 التحقنا طلبة الدفعة الأولى للدراسة بكلية الطب بنغازي بعد أن اجتزنا عامًا منهكًا في دراسة إعدادي طب المحور، صادف سفرنا إلى بنغازي أول أيام شهر رمضان المبارك، رتبت إقامتنا في بيت مؤقت للطلاب عبارة عن عمارة مؤجرة ومؤثثه، وفي اليوم التالي بدأنا الدراسة في مبنى جاهز بمستشفى البلدية "المستشفى الإنجليزي سابقا".

كان العام الدراسي 71-72 حافلًا بالمناشط الطلابية، وكان القائد يلتقي بشكل متصل بالطلاب في الجامعة في كلياتها بطرابلس وبنغازي، في نفس الوقت الذي كانت تتسارع فيه الخطوات لبناء اتحاد وطني للطلبة، حيث تم بداية عام 1971 تشكيل لجنة تحضيرية للإعداد لبناء اتحاد للطلبة بواقع مندوب عن كل كلية، وتم اختياري بالإجماع من قبل طلبة كلية الطب عضوًا بها، كليات الجامعة في بنغازي تضم كليات الطب، والحقوق، والآداب، والاقتصاد، كليتا الآداب والاقتصاد اختارتا مندوبين محسوبين على الشيوعيين هما الغرابلي عن كلية الاقتصاد، والشكوي عن كلية الآداب، الغرابلي كان ماركسيًا تروتسكيًا متشددًا، صدع رأسي وهو يحدثني عن "تروتوسكي" وخياره الثوري وخروجه عن "لينين" واغتياله في

محاولة لاغتيال النهج الجذري في الماركسية، أعترف أن معلوماتي في ذلك الوقت عن الماركسية اللينينية أو التروتسكية أو الستالينية وتاريخ الثورة البلشفية كانت محدودة جدًا، أهمها أن "تروتوسكي" هو اليهودي "دافيدوفيتش برونشتاين" وهذا يكفيني لرفض أي شيء يقال عنه، وكل ما أعرفه عن الشيوعية يستند فقط على ما اطلعت عليه من النقد الناصري لها، لقد كانت أغلب معلوماتنا العامة من الكتب المصرية، التي أوضحت كثيرًا من الأشياء في نقد الماركسية وأطروحاتها الاجتماعية والاقتصادية، فلقد كان عبد الناصر مؤسس مدرسة لا شرقية ولا غربية بل عربية إسلامية وفق تحليل تقدمي معاصر، لكن الشكر إلى صديقي ورفيقي الأستاذ عبد الله المقري الذي أهداني كتاب رأس المال لـ"كارل ماركس" الذي حاولت قراءته آنذاك، لكني أعترف بأنني حينها لم أستوعب منه إلا قليل القليل!، وفي رحلتي إلى مصر عام 1972 وقعت يدي على البيان الشيوعي، وبعض الكتب الماركسية مكنتني من القيام بإجراء حوارات سطحية مع الغرابلي، ولم تسمح له أن يوقعني في شراكه!.

التقى الرائد بشير هوادي وزير التعليم، والدكتور عمر التومي الشيباني رئيس الجامعة الليبية مرارًا مع مندوبي الطلبة عن كليات بنغازي في اللجنة التحضيرية لاتحاد الطلبة، كان الماركسيون يتقنون فن إثارة المشاكل وعدم التوجه للموضوع المحدد وهو مناقشة وإعداد نظام أساسي للاتحاد العام للطلبة، ويعملون على تهييج الطلاب لأي سبب كان، فلقد كانوا يبحثون فقط على مناخ مناسب لطرح الأفكار الماركسية وتطوير آلياتهم التنظيمية، وتحريض الطلبة للقيام بأعمال

عدائية ضد الثورة، وكانت لا تعدمهم الوسائل ليجدوا الذرائع التي يمكنها من تأجيج الطلاب، تصرفات محافظ بنغازي عبدالوهاب الزنتاني المحسوب وقتها على الناصرية كانت دائما توفر الكثير من المبررات التي يجيدون فن استخدامها.

من خلال المناقشات المتواصلة مع اللجنة التحضيرية والطلاب وفي كليات بنغازي، تبنى الأخ بشير هوادي فكرة بناء اتحادين منفصلين للطلبة، واحد لطلاب المرحلة الجامعية، وآخر للطلبة في مراحل ما دون الجامعة مستندا إلى أن فكرة وجود حزبيين في الجامعة سيؤدي إلى تلويث الوسط الطلابي في المراحل الدنيا من التعليم، ويمنع تأسيس وعاء طلابي حقيقي، وجد الطلبة الشيوعيون في ذلك الاقتراح فرصة لبث سمومهم بين الوسط الطلابي ضد ثورة الفاتح، وتحويل العمل من البحث في آليات لبناء الاتحاد إلى مشروع لتعبئة الطلاب ضد الثورة.

عقدت اللجنة التحضيرية عدة اجتماعات طلابية ودارت مناقشات مطولة في مدرج أحمد رفيق في كلية الآداب سابقا، ومدرج كلية القانون حضر الأخ هوادي جوانب منها، وكان بعضها ينتهي بعراك بين الطلاب الثوريين وتلك المجموعات، فلقد تناقضت الأهداف كليا، البعض يريد تنظيم الطلاب لتعبئتهم في اتجاه الثورة والبعض الآخر يريد استغلال المناخ الجامعي لنشر أفكارهم وتصوراتهم الحزبية الضيقة.

في عام 1970 انطلقت عمليات تنظيم الطلاب المؤمنين بمشروع ثورة الفاتح من خلال جمعيات للتوعية الشعبية كان يشرف عليها إخوة على اتصال بمجلس قيادة الثورة تكونت في أغلبها من المجموعات الناصرية والقومية وأعضاء الخلية المدنية من أمثال الأستاذ محمد الزوي، وعلي فضيل، والهادي فضل، وعلي المهدي عبد القادر ومحمد خليل، ومفتاح كعيبة وغيرهم، ولأن القائد رحمه الله كان متحمسًا لفكرة الاتحاد الاشتراكي كوعاء واسع وشامل للتنظيم الشعبي، ليس حزبيًا ولا نخبويًا ينظم القاعدة الجماهيرية، وكان يخشى كثيرًا على الحراك الجماهيري من تأثيرات الأحزاب السلبية على المشروع الثوري الوحدوي، فطرح فكرة التنظيم الشعبي في ندوة الفكر الثوري، ووجد الطلاب المتحمسون لفكر جمال عبد الناصر في تشكيل رابطة للطلبة العرب الناصريين، وفرصة لتأسيس تنظيم قومي على أسس الفكر الثوري الناصري.

عام 1972 تمت دعوة عدد من الطلاب الناصريين من أوروبا إلى معسكر تطوعي أقيم في منطقة الكراريم بمدينة مصراتة اتفق فيه على تأسيس رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين واختيرت أمانة عامة لها من الشباب الناصري العربي الدارسين في أوروبا، واتخذت مقرًا لها بمدينة طرابلس، وتكونت فروع للرابطة أولها في مدينة بنغازي، بعدها تشكل فرع للرابطة في مدينة طرابلس، وكانت فروع الرابطة وسيلة مناسبة لتنفيذ برامج فكرية وسياسية لمواجهة تمدد التنظيمات الحزبية، خاصة الإخوان والشيوعيين في كليات الجامعة الليبية.

بالرغم من التناقض الأساسي والجوهري بين الإخوان المسلمين والشيوعيين والبعثيين، إلا أنهم وجدوا أنفسهم متحدين تقريبًا

في وجه المد الثوري العروبي الناصري في ليبيا، وربما يؤشر ذلك إلى أن الأحزاب في ليبيا صنيعة جهة واحدة وإن تعددت الأشكال والتوجهات.

منطقيًا كان على الإخوان التحالف مع الثورة الفتية ضد الشيوعيين لأنها مشروع يتبنى ويطرح الإسلام كمنهج عام وكتطبيقات للشريعة من خلال منع الخمور، وإصدار تشريعات الحدود، وتبني الدعوة الإسلامية، ومنح حفظة القرآن الكريم درجة الليسانس، وكان على الشيوعيين أن يجدوا في الثورة توجهًا تقدميًا يسارياً يتبنى التطبيقات الاشتراكية ويرفض الرأسمالية ويعلن عداءه للإمبريالية والرجعية، لكن يبدو أن الأيديولوجيا لم تكن إلا قناعًا يتسترون به في سعيهم المحموم للوصول إلى الحكم بأي ثمن، فتطابقت مصالحهم وأهدافهم الحقيقية، رغم تناقضها الظاهر مع أفكارهم، وفرضت عليهم العمل معا لمواجهة مد ثورة الفاتح الشعبي ذلك التحالف الشيطاني الذي رعته الدوائر الصهيونية والإمبريالية استمر حتى 2011.

أعضاء فرع رابطة الطلبة الناصريين ببنغازي كان من بينهم، الإخوة جمعة سويسي، صالح الشيخي، محمد صالح، المرحوم إبراهيم البشاري، محمد الحجازي، علي الشاعري، رمضان عبدالله، ورمضان عبد العزيز، عمار الطيف، فتحي مخلوف، محمد المصراتي، عبدالله المقري، الكوني الأربش، إبراهيم صكح، سليمان البوزيدي، مفتاح زبيدة، المرحوم الشارف الفرجاني، أحمد التير، عطية اجعي، المرحوم عبدالله أبوستة، عمر السوداني، المرحوم عبدالله الحاراثي، حسن هاشم، المرحومة فائزة بن عامر، ومحمد عبد الدائم بن علي، وعدد

من المناضلين والمناضلات الذين خانتني الذاكرة في تذكر أسمائهم، أعتذر لهم جميعا، ولقد وتشرفت بالانضمام إليها.

كان فرع الرابطة إطارًا مناسبًا سمح لنا باستقطاب الطلبة وتوعيتهم بالمشروع الناصري وأهمية تنظيم المؤمنين به، ومواجهة الجماعات الشيوعية والإخوانية، كذلك أسس الإخوة مفتاح عزوزة، وفتحي بن شتوان، والشهيد سعيد راشد، والشهيد عزالدين الهنشيري، وعبد السلام زبيدة، وعبدالله كنشيل، وعلي ريح، وشعبان الطربان، وناصر الغزير، والصغير الزائدي، وعمران أبوكراع، ومعتوق محمد معتوق، والصادق دهان، وفتحي أبو الشواشي، وغيرهم بطرابلس فرعًا للرابطة، وهكذا تقريبًا أصبح لدينا تواصل جدي مع القوة الطلابية القومية في جميع كليات الجامعة.

ولقد أعطى ذلك دفعة قوية للعمل الثوري المنظم وساهم في رفع درجة الوعي القومي، وأسس لبناء حقيقي للاتحاد الاشتراكي العربي، بالنسبة لي وجدت مادة فكرية جاهزة وقوة طلابية مثقفة ومنظمة تدعم جهودي الفردية في التعامل مع الشيوعيين في اللجنة التحضيرية لاتحاد الطلبة.

الحزبيون لا يعدمون الوسائل التكتيكية، فلقد شنّوا حملة واسعة في الجامعة ضد الطلبة الوحدويين الناصريين على أساس أنهم من جهاز المخابرات، رغم أن الجهاز لم يتكون في ذلك الوقت وجار إعادة بنائه على أسس ثورية، وأطلقوا مصطلح "انتينات" أي هوائية ارسال على كل طالب يعارض مشروعهم.

للأسف كنت وحيدًا في اللجنة التحضيرية من كليات بنغازي الأخ مندوب كلية القانون كان طالبًا عاديًا، وكان يساير ضغوطات الغرابلي والشكوي، ثم التحق بنا الأخ مصطفى بن عمران من كلية الشريعة بالبيضاء، وكان رجلًا طيبًا وطنيا لكنه لم يكن يرغب في خوض صراعات مع الأطراف الحزبية في اللجنة.

خطة المجموعات الحزبية تركزت على بناء لجنة تحضيرية تحت نفوذهم يستخدمونها في قيادة الصراع ضد ثورة الفاتح، وتصبح بديلًا دائمًا للاتحاد الذي في حالة تكونه قد يخسرون قيادته، ولم يكن في نيتهم العمل من أجل بناء اتحاد طلابي، ذلك أعطاني حجة قوية لأركز في كل اجتماع على أن مهمتنا هي تمكين الطلبة من اختيار نقابة طلابية تقوم بتعبئة الطلبة في مرحلة التحول الثوري وتدافع عن قضاياهم ومصالحهم، وتساهم في تطوير التعليم بالبلاد، وليس تأسيس أحزاب معارضة للثورة بستار طلابي.

طرح في اللجنة الذهاب للإشراف على اختيار ممثلي كليات طرابلس في اللجنة وهذا أمر غريب، إذ كان ينبغي أن يختار الطلبة في كليات طرابلس ممثليهم ويلتحقوا بنا، علمت أنهم يريدون اختيار شخصيات شيوعية لزيادة عددهم، وكانوا يرتبون لطالب اسمه رجب الهنيد من كلية التربية، وطالب اسمه إبراهيم غنيوه في كلية الهندسة وآخرين من كليات الزراعة والعلوم لا أتذكر أسماءهم، لكن بناء فرع الرابطة في طرابلس منحني فرصة لتحرك استباقي إذ تواصلت مع الأخ عمران احموده في كلية التربية، والأخ مفتاح عزوزة في كلية الهندسة وأبلغتهما بالمخطط، وعندما وصلنا إلى طرابلس لم تسر السفن

وفقا لهواء رياحهم وتمكن طلاب عاديون وطنيون من الدخول إلى اللجنة التحضرية لا تحضرني أسماؤهم الآن، لكن عن كلية الهندسة اختير الأخ المرحوم مصطفى كازوز.

التحق بنا مندوبون عن طلاب التعليم المتوسط من المحافظات وفي ذلك الوقت كان لايزال عدد مؤسسات التعليم المتوسط محدودًا جدًا يحسب في كل ليبيا بالعشرات، وكان أغلب الأعضاء طلابًا عاديين ماعدا مندوب محافظة الجبل الأخضر الذي لا أتذكر اسمه لكنه كان أقطع اليد وشيوعيًا متطرفًا، سنه وشيوعيته الحادة لا توحي بأنه طالب في الأساس.

في نهاية سنة 1972 عقدت اللجنة اجتماعا بكلية العلوم بطرابلس تمهيدا للقاء مع الأخ هوادي وزير التعليم، كان يفترض أن يقدم في الاجتماع خلاصة ما توصلت إليه اللجنة بعد اجتماعاتها التي دامت فترة طويلة، لكن في الواقع لم ينجز شيء يذكر، فلقد نجح الشيوعيون باللجنة في تمييع المناقشات ولم يمكن وضع صياغة لأي شيء، بعد نقاش مطول دام على مدار ليلة كاملة، تمكن الشيوعيون من تمرير وجهة نظرهم، وهي ضرورة الضغط على الدولة ورفض مقترحات هوادي والاستعداد لتحريك الطلاب في تظاهرات واعتصامات ضد ثورة الفاتح، كانت الخطة تقوم على الآتي، كان الموعد المقرر للقاء بشير هوادي يوم الخميس، في مبنى كلية الزراعة، والذي سيُصر حسب اعتقادهم على بناء اتحادين مفصولين للطلبة، بعد

اللقاء مباشرة سيدعون يوم السبت إلى انطلاق الاحتجاجات في مظهر سيبدو وكأنه تلقائي، بذريعة تدخل العسكر في المناشط الطلابية المدنية، وعدم تمكين الطلاب من بناء اتحادهم بحرية واستقلالية، رافعين شعارات استقلالية الجامعة، واستقلالية العمل الطلابي، بالفعل لقد تم يوم الأربعاء ليلا في اجتماع اللجنة بكلية العلوم، إعداد كل شيء رغم معارضة عدد منا للمقترح، لكنهم كانوا يتبعون أسلوب البلطجة لإجبار بعض الأعضاء الصغار للموافقة، تمت كتابة بيان ومنشورات، وطبعت ليلًا على آلة الطباعة بكلية العلوم بمساعدة مسجل الكلية وقتها من زوارة واسمه امحمد أبوسهمين، وأعطيت نسخ للمندوبين الشيوعيين أو المتعاطفين معهم، وتمت الاتصالات ببعض المناطق لانطلاق الاحتجاجات، بعد أن حددت المواعيد بدقة.

يوم الخميس، في الصباح انتظرنا قدوم بشير هوادي إلى مقر كلية الزراعة في مكتب عميدها آنذاك الدكتور خيري الصغير أبولقمه، حوالي الساعة العاشرة حضر بشير هوادي ولا أدري هل كان يعلم بتفاصيل اجتماع الليل أم لا، لكنه مباشرة طرح السؤال بعد المقدمات العادية، على ماذا اتفقتم؟، تكلم الغرابلي وقال: نحن اتفقنا على بناء اتحاد واحد للطلبة ورفضنا المقترح الذي تقدمت به، بطبيعة الحال مع بعض العبارات الاستفزازية، لكن هوادي كان هادئًا ورد عليه بكل برود: إذا كان هذا اتفاقكم وقناعاتكم أنا لا أستطيع معارضتكم، فنحن فقط لمساعدتكم، فعلى بركة الله، استمروا في اجتماعكم وأعدوا النظام الأساسي لكني لن أتمكن من مواصلة الاجتماع معكم اليوم لانشغالي بأمور أخرى مهمة.

كان من المفروض أن يفرحوا، فهاهم حققوا مطلبهم دون عناء، لكن المرء يستطيع أن يرى على وجوههم حجم الذهول الذي أصابهم وخيبة الأمل الكبيرة التي لحقت بهم، نعم نجح هوادي بذكاء أوعن معلومات في سحب فتيل القنبلة التي كانوا يعتقدون بأنهم ضبطوا توقيت إنفجارها، لأن الأساس الذي بنوا عليه تحركاتهم وكل محتوى بيانهم الذي كان يفترض أن يقرأ في الاحتجاجات قد سقط بكل بساطه.

أما هوادي فحياهم واستأذن وقال: "اسمحوا لي، لدي بعض العمل مع الدكتور خيري".

استمر الاجتماع لمدة وجيزة، كان رأيي واضحًا بأنه لا يوجد سبب الآن لاستمرار ترتيب الاحتجاجات، لكن الشيوعيين حاولوا عبثا استدراك الموقف ووصف ما قاله هوادي ليس صادقًا فيه، وأنه مؤامرة، وعلينا الاستمرار في مخططنا، إلا أن ذلك لم يقنع أغلبية الأعضاء ففشل تدبيرهم.

لم تتوقف المحاولات لتعبئة الطلاب ضد ثورة الفاتح، كانوا يتذرعون بأبسط الأسباب لتحريك الطلاب، وازدادت المشاحنات الطلابية، إلى أن أعلن عن تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي، واعتبرت الجامعة إحدى الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكي العربي، في نهاية عام 1971 انتخبت مندوبًا للجامعة في المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي عن الطلاب، وكنت الممثل الوحيد للطلاب في المؤتمر العام.

كان يسيطر على الجامعة عدد من الموظفين الإداريين التقليديين الذين لم يستوعبوا التطورات الثورية الجارية، وكان الدكتور عمر التومي الشيباني قد عين رئيسًا للجامعة، والدكتور الهادي أبولقمه نائبًا

له، لكن أداء الإدارة كان ضعيفًا، وعلى العكس كانت عناصر من جماعة الإخوان المسلمين قد تبوؤوا مواقع في إدارات الكليات، وعلى سبيل المثال السيد عبد الله أبوسن الذي عين مسجلًا لكلية الطب، وعبد الله الضراط، وكانا من قيادات الجماعات الإسلامية.

بكار يصوت في الصندوق الأسود!

في بداية 1971 صدر قرار ثوري بتعيين عدد من القيادات الإدارية في الوظائف القيادية بالجامعة، وهم: الأستاذ إبراهيم بكار رحمه الله الذي عين أمينًا عامًا للجامعة، والأستاد محمد حجازي الذي عين مسؤولًا للنشاط الطلابي، والأستاذ علي الشاعري الذي عين مسؤولًا لبيوت الطلبة، والأستاذ محي الدين البشاري الذي عين مديرًا للشؤون الإدارية والمالية، ولقد تمكن الأستاذ إبراهيم بكار من تشكيل فريق إداري ناجح لقيادة الجامعة، واستطاع بمهارته ولباقته أن يربط علاقات متميزة مع الطلبة، لقد كان هم الثورة التوسع السريع في التعليم الجامعي وبناء الجامعة الجديدة، وتطوير المناهج.

كانت كلية الطب من الكليات التي حظيت باهتمام بالغ من قيادة الثورة، فتم التوجيه بإحضار كل متطلباتها من مصر وغيرها، وكذلك الاتفاق مع جامعتي القاهرة وعين شمس على قيام الأساتذة الكبار بها في العلوم الأساسية بتدريس طلبة كلية بنغازي، وفعلًا كانوا يحضرون بشكل دوري ومنتظم لمدة أسبوعين، ومنهم الأساتذة حسن حمدي، ومحمد الرخاوي، ومحمد عبد القادر، ومحمود أبوالنجا، رؤساء أقسام الفسيولوجيا، والتشريح، والكيمياء الحيوية، والأنسجة درسوا مباشرة

كامل منهج السنة الأولى والثانية، وكان الأستاذ إبراهيم بكار يرعى مباشرة زياراتهم ويشرف على إنهاء إجراءاتهم، كما كانت الجثث المطلوبة لقسم التشريح تأتي من مصر وكان موظف نشط بالجامعة يدعى أبورقيعة يقوم بجهود لتوفيرها بعدد كاف للطلبة، الكتب والمراجع ووفرت من بريطانيا، كانت الدراسة تسير بشكل جيد وبمستوى رفيع جدًا ومنافسة علمية بين الطلبة، لكن روح أخوية متينة تكونت بين طلبة الدفعة الأولى جعلت منهم إخوة في أسرة واحدة، إلا أن بعض الموظفين خاصة المحسوبين على اتجاهات سياسية حاولوا تعكير ذلك الجو دون جدوى، لكن العلاقة الأهم توطدت بيننا كطلاب مع إدارة الجامعة خاصة مع الأستاذ إبراهيم بكار، ومع القيادة مباشرة، فكانت كل المشاكل التي تواجه العملية التعليمية تحل مباشرة، الأمر الذي همش ربما دور إدارة الكلية ممثلة في العميد والموظفين الإداريين.

كانت اللقاءات مع القائد والنقيب الخروبي متواصلة سواء أثناء زياراتهما للجامعة وكلياتها أو مقابلتهما بمعسكر البركة، أذكر أن القائد رحمه الله طلبني والأخ عمار الطيف للقاء في نهاية شهر أغسطس عام 1971 في معسكر البركة ببنغازي، وقتها كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق للاستفتاء على دستور اتحاد الجمهوريات العربية، حضر معنا المرحوم إبراهيم بكار، كان كالعادة لقاء وديًا، تناولنا فيه مختلف الأمور المتعلقة بالجامعة من وجهة نظرنا كطلاب ومن وجهة نظر الإدارة، وتطرقنا إلى اتحاد الجمهوريات العربية وموقفنا كطلبة ناصريين من السادات الذي نعتبره انقلب على مبادئ

ثورة 23 يوليو وأنه ليس جدير بقيادة المشروع الوحدوي، وكان إبراهيم رحمه الله بطبيعته يعلق "عقابها افقومة السادات رئيسنا عليا اليمين ما تصير" وبين المزح والجد كان القائد يذكر بأهمية المضي في إجراءات عملية لبناء دولة الوحدة وأنه في غياب جمال عبدالناصر علينا بالقبول بالنظام العربي الفيدرالي لصعوبة تحقيق الاندماج العربي بعد فشل الجمهورية العربية المتحدة، وفى آخر اللقاء قال بكار للقائد مازحًا: "لو وجدت ورقة واحدة في الصندوق الأسود، فلا تتعب نفسك في البحث عن صاحبها، إنها لي!" وكانت الضحكات الودية خاتمة اللقاء المطول حول الجامعة وهموم الأمة ومشاكل الوطن.

في المؤتمر القومي الأول للاتحاد الاشتراكي العربي

في 11 يونيو 1971 صدر بيان من مجلس قيادة الثورة بإقامة التنظيم الشعبي للجمهورية العربية الليبية جاء في دباجته "إن التجربة النضالية في الوطن العربي أثبتت أن تعدد التنظيمات السياسية أدى إلى خلق إقليمية من نوع جديد ذلك أن اختلاف تلك التنظيمات في الاسم والشعار والأسلوب أوجد صراعا بينها وصار كل منها يركزعلى نفسه ومشروعه على حساب المشروع القومي العربي، كما أن ظروف النضال لم تعد تتطلب التنظيمات السرية وما تسببه من تعصب فكري وتدمير سياسي ومادي لمكونات الأمة" ولذلك تبنى فكرة تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي وعاء سياسيا لكل القوى الشعبية خاصة العمال والفلاحين والجنود والطلاب أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة، أصدر مجلس قيادة الثورة قرارًا بتشكيل لجان تأسيسية

لبناء وحدات الاتحاد الاشتراكي يترأس كل لجنة أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة، وبعضوية عدد من الشخصيات الوطنية، وحددت واجبات تلك اللجان في تسجيل أعضاء الوحدات الأساسية والإشراف على بناء مؤتمرات ولجان المحافظات، واختيار المندوبين للمؤتمر القومي العام، استكمال بناء الاتحاد الاشتراكي العربي في المحافظات والجامعة الليبية.

في جو ديمقراطي يختلف كليًا عن تجربة انتخابات مجلس النواب وما يشوبها من تزوير سافر، تم اختيار أمانات الوحدات الأساسية، ومؤتمرات المحافظات، ومؤتمر الجامعة، وكذلك المندوبين للمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي، تقدمت للانتخابات، وتم اختياري بأغلبية ساحقة مندوبًا للجامعة الليبية في المؤتمر القومي العام.

كما تشكلت أمانة الجامعة من عدد من الإخوة أذكر منهم أمين المؤتمر الأخ بلعيد ونيس الدهماني، والأخ ربيع أدهم، والمرحوم عبدالله أبوستة، والأخ خليفة النعاس عن الموظفين.

28 مارس 1972 تقرر دعوة المؤتمر القومي للانعقاد كأول هيئة شعبية منتخبة، ووجهت الدعوة لأعضاء المؤتمر بضرورة التواجد في طرابلس، اتفقت مع أعضاء المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي العربي من منطقة بنغازي على السفر بالبر إلى طرابلس، وخصصت الجامعة حافلة لنقلنا إلى طرابلس - وكانت مناسبة للسفر – مع عدد من أعضاء مؤتمر الجامعة الذين تمت دعوتهم إلى جلسة الافتتاح، لقد كانت المساحة الشاسعة من بنغازي إلى طرابلس صحراء

مقفرة وبعد مئات الكيلومترات يجد المرء قرية بسيطة، فلقد كانت المدن الكبيرة اليوم عبارة عن قرى صغيرة، قلما تجد بها مكاناً لاستراحة مؤقتة، استغرقت الرحلة أكثر من 24 ساعة بسبب عطل بالحافلة، كان التوقف في مقهى بسيط في اجدابيا، وآخر في السدرة عند بقايا القوس الذي كان يفصل طرابلس عن برقة وحاول الإنجليز وضعه كحدود بين المنطقتين الغربية والشرقية، وكانت نقطة حدود متكاملة شرطة وجمارك وما إليها، ثم في سرت التي كان بها مقهى صغير به بعض الوجبات غير الصحية إطلاقا والبيض والشاهي، ثم توقفنا بزليتن والتي كانت أيضًا عبارة عن قرية صغيرة بها أيضًا مقهى به نفس التشوينات البدائية.

كانت مناسبة مهمة للتعرف عن قرب على أعضاء المؤتمر من منطقة بنغازي الذين ينتمون إلى تكوينات اجتماعية بالمنطقة والذين يحظون بدعم شعبي مهم، وكانت مناقشات متواصلة طيلة الرحلة، ومكنتني أن أشرح لهم ما يدور من صراعات حزبية داخل أسوار الجامعة، واكتشفت أنهم غير مدركين لوجود تلك المجموعات المحصورة وأنه لا تأثير لها على الأرض، وأيقنت أن تلك المناورات الحزبية ليست سوى زوبعات في فناجين، وأنه لا جدوى من إضاعة الجهد في صراع معهم، وكانت إقامة الأعضاء بفندق البحر الأبيض المتوسط نهاية شارع عمر المختار، وكان وقتها يقع تقريبًا في الحدود الغربية لمدينة طرابلس غربه أرض فضاء إلى سوق الثلاثاء الجديد و"جورجنبوبلي" التي سميت بحي الأندلس بعد الثورة والتي كانت مساكن للضباط الأمريكان، أما غوط الشعال، والدريبي، والفلاح،

والرياضية، فكانت مجرد أراض خالية بدأت بها بشكل متناثر بعض البنايات، ربما أهمها سوق الثلاثاء الشعبي شمالها مصيف الليدو المخصص للجالية الإيطالية، وفي المقابل بعض البنايات، منها عمارة حورت لتصبح مستشفى للولادة، وأخرى مستشفى للأطفال، وخلفهما مسرح الكشاف.

انعقد المؤتمرالقومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي الليبي في مسرح الكشاف بطرابلس، ترأسه رئيس مجلس قيادة الثورة وحضره تقريباً أغلب الأعضاء، وتشكلت لجنة للصياغة ولجنة لضبط الجلسة من أعضاء المؤتمر.

تناول المؤتمر بالنقاش كافة القضايا المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية، ومتابعة خطة التنمية الثلاثية التي أطلقت منذ بداية عام 1970 والتي تهدف في الأساس للقضاء على حالة الفقر المستشري في كل ليبيا، وإنهاء حالة البؤس، وضرورة نقل الليبيين من حياة أكواخ الصفيح وبيوت الشعر والعشش والزرائب إلى بيوت صحية، ونشر التعليم ليتمكن كل الليبيين من التعلم وفي كل مكان من القرى النائية إلى المدن الكبيرة، وإطلاق برامج لتعليم الكبار ومحو أمية الرجال والنساء، وكذلك تقديم رعاية صحية لليبيين من خلال برامج للقضاء على الأمراض المعدية والمتوطنة، وبناء المستوصفات والمراكز الصحية والمستشفيات في كل المدن والقرى، وتمكين كل ليبي من الإطمئنان على صحته، وبنفس القوة إعداد الكوادر البشرية الطبية من الليبيين من خلال فتح كليات الطب البشري، وطب الأسنان والصيدلة، والمعاهد الصحية المتوسطة والعليا، وكذلك إطلاق مشروعات كبرى

للطاقة حتى يصل التيار الكهربائي إلى كل الليبيين، وتطوير منظومات المواصلات والاتصالات والنقل البري والجوي والبحري وإنشاء الطرق والجسور والموانئ والمطارات في كل المدن والقرى، وكذلك تم التطرق لسياسات الدولة الخارجية وأهمية دعم حركات التحرر العربي في فلسطين والساقية وغيرها، ودعم حركات التحرر ومناهضة العنصرية في أفريقيا، ودعم الحركات الإسلامية في أفريقيا وآسيا، ودعم الحركات اليسارية في أمريكا الجنوبية، وأهمية توطيد العلاقات مع المنظومة الاشتراكية بما يخدم قضايا الأمة العربية، وحركات التحرر الوطني مع التأكيد على استقلالية القرار الوطني الليبي.

طرح القائد محاولات المجموعات الحزبية لتخريب المشروع الثوري وإيقاف عجلة التحول وارتباطهم ببقايا النظام الملكي وعلاقاتهما بالدوائر الاستعمارية، وتحدث عن مخاطر الإشاعات والبلبلة ومحاولة القيام بإضرابات لأسباب مفتعلة في مرحلة التحول الثوري على عملية التنمية، وللحيلولة دون تمكن الحزبيين وأصحاب الأجندات من استغلال مشاكل الجماهير لقيادة ثورة مضادة، طرحت فكرة إصدار قانون يمنع الإضرابات، علقت على الأمر بشفافية وصدق وشرحت الحالة السياسية في الجامعة، ومحاولات بعض الحزبيين القيام بأعمال لعرقلة المسيرة الثورية من خلال التهديد بالإضرابات والتظاهرات المحدودة، وبينت أهمية تحديد أهداف النضال النقابي سواء الطلابي أو العمالي فهي تختلف بعد الثورة عما كان قبلها، لقيت وجهة نظري قبولًا من قيادة الثورة وتمت صياغة توصية في سياقها.

كان الأستاذ أبوزيد دورده، وهو من الشباب القوميين، قد عين محافظًا لمصراتة، أوقف عن العمل وسجن بأمر من نيابة مصراتة لأسباب لم تكن جنائية، ونتيجة وشايات من بعض الشخصيات المصراتية النافذة، ولكونه شخصية وطنية محبوبة من قيادة الثورة، طرح بعض أعضاء المؤتمر ما حدث معه بالمؤتمر واتفق بالإجماع على ضرورة إطلاق سراحه فورًا ودعوته لحضور جلسات المؤتمر باعتباره محافظًا لمصراتة، وفعلًا مساء اليوم الثاني حضرالأخ أبوزيد إلى الفندق، ومن ثم إلى قاعة المؤتمر، وتلك كانت المرة الأولى التي ألتقي فيها مع أبوزيد، تشكلت من المؤتمر لجان عمل لإعداد مشاريع توصيات يتبناها في اختتام أعماله، اخترت في عضوية لجنة السياسة الخارجية، التي ضمت حوالي 30 عضوًا أتذكر منهم الأستاذ أبوزيد، والأخت صديقة عريبي، والمرحوم جمعة الفزاني، والأستاذ سعد مجبر، وعبد الحميد الصيد الزنتاني وآخرين، حضر عبد السلام جلود اجتماعات اللجنة، وتم تحديد الخطوط الأساسية التي يتبناها المؤتمر فيما يخص السياسة الخارجية والتي تتركز على أن ثورة الفاتح حركة تحرر وطني، وأن سياستها الخارجية هي انعكاس لسياستها الداخلية القائمة على مبدأ الاستقلال التام عن أية تأثير خارجي، والإيمان بالوحدة العربية طريق وحيد لنهوض العرب، وأن تحرير الأراضي العربية المحتلة من فلسطين إلى الساقية الحمراء، وسبته، ومليليه، وعربستان، والإسكندرونة هي قاعدة الكفاح القومي لثورة الفاتح، وأن قضية الحرية لا تتجزأ، فمن المهم مساندة الشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال الوطني ومكافحة التمييز العنصري خاصة في أفريقيا

وآسيا وأمريكا الجنوبية، وكذلك العمل من أجل إطلاق برنامج قوي للدعوة الإسلامية في البلاد غير المسلمة ومساعدة المسلمين في تكوين منظمات تدافع عنهم في الدول غير الإسلامية خاصة أوروبا، وآسيا، وأمريكا، والاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية.

صيغ بيان مفصل عن السياسة الخارجية للجمهورية العربية الليبية تمت تلاوته في المؤتمر، اختير الرائد بشير هوادي أمينا للاتحاد الاشتراكي العربي وتشكلت أمانات للشؤون الخارجية وأخرى للشؤون العربية وثالثة للشؤون الإسلامية ومكتب لحركات التحرر إضافة إلى أمانات التنظيم والشؤون الإدارية والتثقيف، وقد لعبت تلك الأمانات والمكاتب دوراً محوريًا في الكفاح العالمي من أجل الاستقلال الوطني ومقاومة العنصرية، ونشر الدعوة الإسلامية في كثير من الدول الأمر الذي جعل الدول الغربية الاستعمارية تصنف ليبيا وقائدها العدو رقم واحد، وربما من أهم الأسباب التي دفعتها إلى التآمر عليها ومحاربتها في كل الأصعدة.

***

المحطة السادسة
الثورة الثقافية

خطاب زوارة والنقاط الخمس

انطلق العمل الثوري الشعبي في الجامعة من خلال فرعي رابطة الطلبة الوحدويين الناصريين، ووحدة الاتحاد الاشتراكي العربي، ولطبيعة العامل البشري حدثت منافسة بين القيادات الطلابية بين الطلاب في المنظمتين في كليات الجامعة بطرابلس، لكنها لم تؤثر كثيرًا على فاعلية القوى المرتبطة مع ثورة الفاتح، بل ربما ساهمت في توسيع قاعدة القوى الطلابية المرتبطة بالثورة، لقد بذل كثيرًا من المناضلين الطلاب في تلك الفترة المبكرة والمهمة من تاريخ الثورة جهودا كبيرة في دعم المشروع الثوري منهم: بلعيد ونيس الدهماني، سالم دنه، يوسف أبوالأحباس، عبدالسلام زبيدة، ميلاد الواسع، ناصر الغزير، خليفة الخويلدي، علي طلاق، مفتاح زبيدة، حسن هاشم، سليمان البوزيدي، محمد بوسنسنة، ربيع أدهم، عمر السوداني، محمد المصراتي، سعيد راشد، عبدالله بوسته، سالم الشيباني، عيسى عاشور، شعبان الطربان، مفتح عزوزة، فرج مخيون، محمد بوحلالة، ميلاد الفقهي، عبدالله المقري، صالح الشيخي، محمد صالح منصور، إبرهيم البشاري، جمعة سويسي، مختار المشيري، محمود البوصيري، عبدالسالم الصويعي، نجيب الحصادي، رمضان عبد العزيز، إبراهيم صكح، الكوني الأربش، عياد الأربش، عمار الطيف، عطية اجعي، أحمد التير، احتيوش فرج، محمد كريستا، عمران بوكراع، مختار

القناص، خالد محمد خالد، عزالدين الهنشيري، موسى زلوم، المهدي امبيرش، مختار ديرة، نصر المبروك، علي ريح، محمد زيدان، عبدالحميد المحيشي، عمران حمودة، محمد المغربي، محمد المدني الأزهري، علي الشريف، جمال الأزهري، ضو يونس، البدري جبريل، يونس معافة، والشارف الفرجاني وغيرهم ممن لم أتذكر الآن أسماءهم، ليس لقلة أهميتهم، بل لأن للزمن أحكامه، وأترحم على من انتقل منهم إلى رحمة الله، وأحيي من لايزال منهم على قيد الحياة.

رغم الزخم الثوري والانجازات المتسارعة والمتواصلة في بداية السبعينيات لكن العمل المعادي لثورة الفاتح استمر في الجامعة بتحالف غير معلن بين الطلبة الشيوعيين والليبراليين والإخوان والبعثيين، وبالرغم من أن نسبة أولئك ضئيلة جدًا بالجامعة، لكنهم كانوا دائما يبحثون عن أية ذرائع لتحريك الطلاب، فمثلا عندما أسقط الإسرائيليون الطائرة الليبية فوق سيناء استغلوا تلك الحادثة لتهييج بعض الطلاب ضد مصر، وانطلقت في بنغازي تظاهرات صغيرة صاحبتها أعمال شغب، حيث قام بعض الشباب الصغار بتكسير الممتلكات الخاصة والعامة لكن الدولة نجحت في استيعابها بسهولة.

كان عبد الوهاب الزنتاني محافظًا لبنغازي يدّعي أنه ناصري متعصب وربما يرى في نفسه وريثا له، كان الزنتاني ضابطا في الشرطة، ساعد الثورة عند قيامها، ولخلفيته الناصرية ولما قدمه لهم ليلة الفاتح كلف محافظا، كان أعداء الثورة يستغلون كل تصرفاته غير المسؤولة في كثير الأحيان لتهييج الرأي العام ضد الثورة، في شهر مارس 1973، التقى القائد رحمه الله بطلبة وأعضاء هيئة تدريس كليات الجامعة بالمجمع الرياضي ببنغازي بحضور بشير هوادي، وكان لقاءً ساخنًا حدثت به ملاسنة بين بشير هوادي وعلي الريشي،

كان النقد ينصب على تصرفات محافظ بنغازي، وعلى علاقة ليبيا بمصر، إضافة إلى بعض الإسقاطات الأخرى، تدخل القائد بكلمة قوية حول الثورة وأهدافها، وأعلن بأنه لن يسمح بعرقلة مسيرة الثورة، وأنه قادر على قيادة ثورة شعبية بالعمال والفلاحين من أجل إنجاح مشروعها التقدمي.

لم تمض إلا أيام قليلة حتي فاجأ القائد العالم بخطاب زوارة التاريخي في ذكرى المولد النبوي الذي دأب على إحيائه في شكل مهرجانات محلية وعالمية منذ الثورة، ولم تتوقف إلى أن استشهد رحمه الله، كان لقاء زوارة في 12 أبريل 1973 حيث ألقى القائد خطابا مهما حول أهداف الثورة وضرورة تصعيد العمل الثوري، وأعلن انطلاق الثورة الشعبية وفق خمس نقاط مهمة، أولها كل الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب، وثانيها إعلان الثورة الإدارية ودعوة الجماهير للزحف على الجهاز الإداري البيروقراطي، وثالثها إعلان الثورة الثقافية من أجل رفع الوعي الجماهيري ومحو آثار التضليل الاستعماري وإزالة الأفكار المتخلفة، ورابعها تعطيل القوانين المعرقلة للمسيرة الشعبية، وخامسها تطهير البلاد من المنحرفين.

مباشرة بعد خطاب القائد انطلقت الجماهير الشعبية تلقائيا في زحوف لم يسبق أن شهدتها ليبيا لتشكل اللجان الشعبية في المحلات والمراقبات "القطاعات الخدمية والإنتاجية" لتحل الإدارة الشعبية محل الإدارة الحكومية، حيث شكلت النقاط الخمس أساس الثورة الشعبية.

في الجامعة وجد الطلاب فرصة للتخلص من سلطة إدارة بعض الكليات فتشكلت لجان شعبية طلابية بها، كانت المبادرة الأولى فيها لطلبة كلية القانون، حيت تقدم الإخوة عمار الطيف، ومحمد المصراتي، وفتحي مخلوف، والشارف الفرجاني، وإبراهيم البشاري، وغيرهم، وقادوا الطلبة في زحف على إدارة الكلية التي كانت تمارس الإدارة بعقلية مدير مدرسة تعليم متوسط، وتبعتها كليات الآداب والاقتصاد والطب، كانت عملية مفاجئة لم تتح فرصة للعناصر الحزبية للتعامل معها، فلم يتمكنوا من تحقيق أي تواجد باللجان الشعبية التي تشكلت في معظمها من طلاب عاديين موالين لثورة الفاتح.

اتخذ طلبة كلية القانون قرارًا متسرعًا بإيقاف الدراسة والتوجه للعمل الميداني لتسريع وتيرة التنمية، وأصدروا قرارًا من اللجنة الشعبية الطلابية بترحيل جميع الطلاب إلى السنة التي تليها وتخريج طلبة السنة النهائية، وفي شكل مظهري ذهبوا إلى الميناء للمساهمة مع العمال في تفريغ الشاحنات، خطوة لم تجد تجاوبًا من طلبة الكليات الأخرى، وكعادته في التواصل المباشر مع الجماهير وحرصه على توجيه فكرة الثورة الشعبية والثورة الثقافية بما يخدم المشروع الجماهيري الذي يتصوره، ولكي يمنع تحولها إلى عملية ديماغوجية سطحية، عقد القائد رحمه الله عدة لقاءات مع طلبة وأعضاء هيئات التدريس كل كلية على حده، لشرح أبعاد الثورة الثقافية ودور الجامعة فيها، كان يستمع لآراء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس ثم يعلق على ما يطرح من تساؤلات وأفكار، في لقائه بكلية الطب في مدرج بمعسكر البركة، قام أحد الطلبة يدعى صالح الفارسي، وهو طالب بسيط طيب

لم يظهر عليه من قبل أية اهتمامات سياسية وأخذ يجادل القائد بأن القومية كفر، وأن الاشتراكية شرك بالله، بأسلوب إخواني استفزازي، ثم علق القائد معرجا على فكر الإخوان ومنبته بدءً من أطروحات المودودي بتنسيق مع الإنجليز إلى حسن البنا وظهور سيد قطب، ودور الإنجليز في تأسيس منظمة رجعية بشعارات دينية لمنع النهضة العربية، ثم أشار إلى الطالب قائلا هذا أحد المرضى الذين يجب معالجتهم من التشويه الثقافي والفكري، اعتقل صالح الفارسي لسنوات ثم أفرج عنه واستكمل دراسته بكلية الطب، لكنه لم يشف تماما من داء الإخوان، فتعرض ثانية للتغرير وزج به في أتون معركة الغرب ضد الروس في أفغانستان ولقي مصرعه هناك.

في نهاية شهر أبريل حضر القائد إلى بنغازي، اتصل بنا أحد الإخوة من معسكر البركة وطلب مني الحضور مع بعض الشباب صباح اليوم التالي باكرا، ذهبت أنا والأخ عمار الطيف وصالح الشيخي فوجدنا القائد يجهز للخروج، بعد التحية والسلام قال: أنا أعلنت ثورة شعبية وأنتم لازلتم تمارسون دراستكم العادية، وكأن شيئا لم يكن، الثورة الشعبية ستفشل إذا لم تصاحبها عملية توعية تعبويه واسعة النطاق حتى تتمكن الجماهير من تنفيذ المشروع الثوري عن وعي وإدراك وليس بسطحية وغوغائية، طلب منا إعداد وتنفيذ برنامج شامل والذهاب إلى الجماهير وشرح أبعاد الثورة الثقافية، ثم اعتذر بأدب شديد قائلا: كنت أريدكم باكرا لأشرح لكم تفاصيل المهمة لكن أنتم تأخرتم وأنا مسافر الآن، لكن أنا أثق بأنكم فهمتم المطلوب ويمكنكم

التنسيق مع المقدم أبوبكر لأية ملاحظات، رجعنا على الفور وتواصلنا مع الإخوة الثوريين في اللجان الشعبية بالكليات وأعضاء رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين فرع بنغازي، وعقدنا لقاء في مساء ذات اليوم أبلغناهم فيه رسالة القائد لهم، فرحبوا جميعا بالفكرة وقررنا تشكيل مجموعة فرق للعمل تتوزع على محافظات المنطقة الشرقية، وهي: بنغازي، اجدابيا، الجبل الأخضر، وطبرق، كلفت والأخ محمد المصراتي، والدكتور عطية اجعي بالذهاب إلى محافظة الجبل الأخضر.

البيضاء في السبعينيات

بمجرد تشكيل الفرق، اتصلنا بالأخ الشهيد أبوبكر يونس جابر وشرحنا له ما كلفنا به القائد وإننا نحتاج لبعض الإمكانات، اتصل بالأخ عوض إبراهيم مسؤول الاستخبارات العسكرية في بنغازي وطلب منه توفير كل ما نحتاجه وخاصة وسائل نقل وترتيب إقامة في المناطق البعيدة، وفعلا تم تسليم الفريق المتجه إلى البيضاء سيارة فولكس فاجن مع سائق هو رئيس عرفاء مسعود الشاعري.

انطلقنا إلى البيضاء واصطحبنا معنا مصورًا سوريًا أو فلسطينيًا من الإذاعة اسمه "مازن فضة" في رحلة لم نشعر بضيق السيارة التي حملت خمستنا في رحلة تاريخية استمرت عدة أسابيع تعرفت من خلالها على الجبل الأخضر وأهله الطيبين وقبائله المجاهدة، وكانت مهمة السيد مازن فضة توثيق كل مناشطنا بالصوت والصورة لإذاعتها لجماهير الشعب الذي يخوض تجربة جديدة هي الثورة الشعبية، أتمنى أن أرشيف الإذاعة لازال يحوي مادة تلك الحملة التثقيفية.

كانت محافظة الجبل الأخضر لا تختلف في بنيتها التحتية عن بقية مناطق ليبيا، المرج القديم، والمرج الجديد التي بنيت بعد زلزال المرج، مع منازل المستوطنين الطليان المنتشرة في سهل المرج، في قصر ليبيا بضع مباني متناثرة، البيضاء بها مقر الحكومة ومجلس النواب وحي من الفلل لأعضاء الحكومة، وفندق قصر البيضاء، ومدرسة إبتدائية ملحق بها قسم داخلى، شحات وسوسة يوجد بها عدد قليل من المباني الإيطالية، الفايدية وسلنطة قرى صغيرة بدون أي كثافة عمرانية، وقرنادة عبارة عن معسكر شرطة تحول إلى معسكر للجيش، الجبل الأخضر بصفة عامة وقتها كان قليل السكان وكانت مراكزه العمرانية أشبه ما تكون بقرى غير منظمة وفى مساحة صغيرة جدًا حتي أن المسافة بين موقع معهد البحوث الإسلامية آنذاك، والبيضاء بعيدة وتفصلها مساحة بدون أي عمران، بالتأكيد وقتها لم يوجد أي بناء جنوب الطريق الساحلي عند الاتجاه شرقا إلى درنة، كذلك محطة الإذاعة في الجهة الشرقية بعيدة عن المدينة بالرغم من البيضاء كانت عاصمة المملكة الليبية الرسمية بها مقر الدولة ودوواين الوزارات والسلطة التشريعية والمحكمة العليا ودار الإفتاء.

في البيضاء استقبلنا مسؤول إدارة الاستخبارات العسكرية في الجبل الأخضر النقيب وقتها سليمان الشلماني، كان شابًا رائعًا مثقفًا تولدت بيننا وبينه صداقة استمرت إلى حين وفاته متأخرا رحمه الله.

ليلة باردة في مواجهة هجوم القمل!

كما ذكرت سابقا كانت المدارس محدودة، وتم إنشاء مدرسة إبتدائية بالبيضاء ملحق بها قسم داخلي ليتمكن التلاميذ من خارج المدينة من الدراسة، اقترح علينا الأخ سليمان الشلماني الإقامة بالقسم الداخلي، ورتب مع مطعم المدرسة المقفل وقتها، على توفير الوجبات، اخترنا بعض الغرف بالمدرسة لكل منا وألتقينا بالطباخ الذي بين لنا الوجبات الممكن تحضيرها، وبعد راحة قليلة بعد العشاء دخل كل منا إلى غرفته لينال قسطًا من النوم، لكننا فوجئنا بحجم القمل الهائل المنتشر في الأسرة والملايات والبطاطين، لم يكن منظر القمل غريبا علينا فلقد عانينا منه لسنوات، لكن الغريب كان كمية الحشرات المتوطنة بالمدرسة، كانت لحظات مضحكة مع المصور مازن فضة الذي لم يتعود على ما يبدو على منظر القمل في حالة هجوم سافر! أما نحن أربعتنا فلم ننقطع عن القمل والبرغوث إلا عندما انتقلنا إلى الجامعة، أنا والدكتور عطية، ومحمد المصراتي، فضلنا النوم خارجًا، أما مازن فضة فنام في السيارة، كان مرافقنا مسعود الشاعري يردد على مازن أن القمل يمنع المرض وأن به دواء لكل داء والرجل بين مصدق ومستغرب، ونحن نتابع حكايات مسعود الفكاهية عن القمل والبرغوث، وأحيانا يعطيه دروسًا عملية في كيفية فلي القمل وقصعه وكأنه مخترع للذرة، لكن الأمر لم يكن جديا بل كان نوعًا من الفكاهة والتسلية لنمضي ليلتنا المقملة تلك على خير، في الصباح حضر إلينا الأخ سليمان فوجد بعضنا لم يغمض عيناه من أهوال القمل، استغرب عدم الاهتمام بنظافة المدرسة، وقرر تدبير مكان إقامة بديل وهكذا فعل، حيث انتقلنا إلى فيلا من مقار الحكومة مسلم للإدارة، جهزها لنا

على عجل وأحضر طباخًا من فرع الإدارة وكلفه معنا، فيها طابت إقامتنا وبها وضعنا خطة التحرك فحددنا المناطق المستهدفة والفئات المطلوب الحوار معها.

انطلقنا في عقد لقاءاتنا مع اللجان الشعبية المصعدة في المحلات والمراقبات، وقمنا بشرح معنى الثورة الشعبية وعلاقتها بالحرية والديمقراطية، وأهمية بناء لجان شعبية قوية وقادرة على إدارة القطاعات بروح ثورية، والابتعاد عن التعصب القبلي لخطورته على الوئام الاجتماعي، وبينا مخاطر الأحزاب على السلم الاجتماعي وضرورة اكتشاف العناصر الحزبية المندسة التي تقوم بالتشويش على العمل الشعبي، كما ركزنا على أبعاد الثورة الثقافية خاصة ضرورة تنقية التراث الإسلامي مما لحق به من شوائب وما دس به من خرافات من قبل المستشرقين والصليبيين وقبلهم وبعدهم اليهود المتعصبين، وكذلك دورها في إعادة كتابة التاريخ الوطني لتعرف الأجيال القادمة ما قام به آباؤهم وأجدادهم في الدفاع عن الوطن، بعيدًا عن الدعاية السنوسية المزيفة التي حاولت اختصار الجهاد الوطني وملاحمه البطولية في عائلة أو جزء من عائلة، تنقلنا بين قرى الجبل الأخضر الأشم، والتقينا مئات الأفراد وربطتنا علاقة مع عشرات الأشخاص الذين أحمل لهم في نفسي كل تقدير واحترام، ولمسنا كرم رجاله حيث غمرونا بحفاوة بالغة في كل منطقة نذهب إليها، ولم ينظروا لنا كطلبة متحمسين حالمين بل عاملونا كرجال جئنا لمساعدتهم ومعاونتهم، كان الأعيان والشباب يحضرون اللقاءات ويساهمون في الحوارات، وكان كل لقاء في أي من المناطق ينتهي بتنظيم لقاء آخر لأن البعض لم يتمكن من الحضور.

فى أحد الأيام بينما كنا في طريقنا إلى سوسة لحضور لقاء مع اللجنة الشعبية والفعاليات بها، وأثناء مرورنا بمنحدر شحات حاول مسعود الشاعري أن يرينا براعته في قيادة الفولكس، وإذ بتوازنها يختل وتنقلب رأسا على عقب بعد عدة دحرجات، كانت لحظات مرعبة مرت وكأنها أيام طويلة وشعرنا أن السيارة لن تتوقف عن الدحرجة حتى تلقينا في سوسة، لكنها توقفت عن الدحرجة، وتمكنا من الخروج من نوافذها المحطمة، وبفضل الله كان الجميع بخير، عدا إصابة مسعود بكسر في رجله، تلمسنا أطرافنا فكانت سليمة إلا أن رفيقنا مسعود لم يستطع النهوض فقد كسرت إحدى رجليه، ولندرة السيارات في ذلك الوقت، انتظرنا بعض الوقت حتي رأينا حافلة صغير تنحدر إلينا قادمة من شحات، توقفت عندنا، كانت تحمل شبابا من نادي سوسة، قام السائق بإسعاف مسعود، رفقة الدكتور عطية اجعي إلى مستشفى البيضاء، وطلبنا منه إبلاغ الأخ سليمان الشلماني بما أصابنا أنا والمصراتي بقينا بجانب السيارة، انتظر شباب نادي سوسة معنا، اقترح الأخ محمد المصراتي استغلال الوقت لتنظيم نقاش حول الثورة الشعبية فرحب الشباب بذلك، وهكذا كان أهم حوار اتذكره من شحات على الهواء الطلق استمر إلى وقت متأخر من الليل عندما حضر الأخ سليمان ليعيدنا إلى البيضاء.

حتى عام 1973 كان عدد المتعلمين في ليبيا محدودًا جدًا، فتوسيع قاعدة التعليم لم تعط ثمارها بعد، كان خريجو الجامعة يعدون على الأصابع، لذلك كان المستوى التعليمي للمصعدين شعبيًا في لجان المحلات والمراقبات بسيطًا، فمن بين عشرات المصعدين في اللجان

الشعبية في محافظة الجبل الأخضر كان شخص واحد يحمل إجازة جامعية وهو رجب الصالحين وكان مصعدا من شحات.

مع الحريري في المحافظة

النقيب عمر الحريري كان أحد الضباط الوحدويين الأحرار الذين كلفوا بمهام إدارية، وكان من الأعضاء المثقفين لكنه مصاب بغرور مفرط، عين محافظًا للجبل الأخضر وكان شديدًا وصارمًا ومتفردًا بالرأي، وكان المهندس بشير جودة من المرج مكلف بالتنمية الزراعية بالمنطقة الشرقية ويتبع هيئة عامة لها استقلال مالي وإداري واسع، ولا ندري هل بسبب قسوة الحريري وشدته، أو نتيجة مجهود معاد للثورة كان أغلب من نجتمع بهم يوجهون نقدًا شديدًا للحريري وممارساته وغطرسته في كل لقاءاتنا تقريبًا، ناقشنا مع النقيب سليمان الشلماني ما سمعناه من ملاحظات سلبية ممن نلتقيهم وأن ذلك ينعكس سلبًا على سمعة الثورة ويضر بمشروعها، وكان الأخ سليمان يؤكد صحة تلك الانتقادات، يقول إن الحريري متغطرس ولا يهتم بالعامة ويعتقد أنه فوق الجميع وفوق السؤال.

رأينا ضرورة للقاء الرجل الذي صور لنا وكأنه وحش في ثوب إنسان، فبالنسبة لنا ليس الخبر كالعيان ولا يجوز أن نقيم الناس بناء على ما يقوله أناس لا نعرفهم كثيرًا ولا نعلم مبررات قولهم تفصيلا، التقيناه في مكتبه بناء على طلبنا، بصراحة استقبلنا استقبالًا لائقًا، شرحنا له مهمتنا، وإننا نقوم بتوعية الجماهير حول أهداف الثورة الشعبية والثورة الثقافية، لم يعجبه قولنا ورد علينا: أنه والضباط الأحرار ضد خطاب زوارة، وضد الثورة الشعبية، وحول الانتقادات التي سمعناها من المواطنين، قال: هؤلاء سنوسيين ورجعيين ولابد من قطع دابر السنوسية من الجبل الأخضر لأنها معششة في عقول

الناس، لم يعجبنا موقفه من الثورة الشعبية لكننا سررنا بموقفه من السنوسية، تركز ردنا عليه في نقطتين، أولهما أن الضباط الوحدويين الأحرار كان ينبغي عليهم أن يناقشوا هذا الأمر فيما بينهم ومع القائد، وأن يتفاعلوا مع المشروع لأهميته، أما قوله بأن أهل الجبل واقعين تحت تأثير السنوسيين فهذا أمر يعالج بالتوعية والتنوير، وأنه على الثورة مسؤولية أن ترغبهم في مشروعها لا أن تتخذ موقفًا متشنجًا منهم، استفزه قولنا وظهر غضبه، وقال "أنتم عيال صغار لا تعلموني الثورة"، وأخذ يتفاخر بما قدم لثورة الفاتح، عندها تأكد لنا أن الجماهير لا تخطئ التقييم وأن ما يقوله الناس صحيح مائة بالمائة.

في شحات كانت لقاءاتنا أكثر سخونة بسبب وجود آثار لخلية شيوعية قبض على قيادتها، تعرفنا فيها على مناضل قومي صلب جاد وواع وهو الأستاذ عبد الكريم عميته، كان شخصًا وطنيًا واعيًا على دراية بطبيعة القاعدة الاجتماعية، ولديه خلفية على القوى الاجتماعية والقبلية المتصارعة، نبهنا عن كثير من الأشخاص الذين يحسنون الكلام لكن ما تخفيه بطونهم فأمر آخر، وعرفنا منه أن معلومات مهمة وحقيقية حول الخلية الماركسية التي اعتقل قبل وقت أعضاؤها، ارتبطنا معه بعلاقة أخوية، وفي بيته دارت لأيام مناقشات حول جدول مهمتنا، شحات منطقة جميلة إضافة إلى آثارها الرومانية، كان قبل عقود قليلة مركز الحكم الفاشيستي الإيطالي في الجبل الأخضر، وبها سجن عمر المختار ليلة قبل أن يرحل إلى بنغازي حيث حوكم وأعدم، كانت مبانيها ذات طابع إيطالي، فمن يريد أن يتذكر تلك الحقبة السوداء سيجد في شحات من يروي له بصدق ذلك.

ركزنا مناقشاتنا على كشف حقيقة الماركسية وأهمية القومية في الصراع الدولي وفى النهوض الوطني والقومي، لم نكن جميعنا مطلعين على الفكر الماركسي بعمق، لكن تجربة الصراع مع الشيوعيين في اتحاد الطلبة، والمدرسة الناصرية في نقد الماركسية أعطانا زادا كافيًا للحديث عن أوجه قصور الماركسية وخطورتها على الأمم التاريخية الكبيرة ورسالاتها الحضارية، لكن في واقع الأمر فإن المصعدين وقتها للجان الشعبية كانوا من عامة الناس الذين لايستهويهم الحديث عن الأفكار بقدر ما يبحثون عن فهم لطبيعة دورهم في المرحلة القادمة.

استمرت رحلتنا في ربوع الجبل الأخضر عدة أسابيع متواصلة ولم نرجع إلى بنغازي، أحيانا يزورنا الأخوان صالح الشيخي وعمار الطيف، لنقدم لهما تقريرا عن مهمتنا يقومان بإرساله إلى القيادة.

حوار في الحدائق

بعد قرابة شهر رجعت كل مجموعات التوعية من طبرق والجبل الأخضر والكفرة واجدابيا إلى بنغازي، خصص الأخ عوض السعيطي فيلا في منطقة الحدائق مقرًا لفريق العمل لتلخيص التقرير وتقديمه للقائد، ووضع خطط أية برامج أخرى مكملة للمهمة، بعد مناقشات معمقة دامت أكثر من يوم أعدت تقارير مهمات كل فرق العمل في شكلها النهائي متضمنة نتائج العمل خاصة تقييم المصعدين للجان الشعبية من حيث وعيهم وكفاءتهم، كلفت من الفريق مع الأخوين عمار الطيف، وصالح الشيخي، لتقديمها إلى القائد وهكذا فعلنا حيث اطلع عليها في عجالة أمامنا وأوضحنا له ما يمكن تلخيصه منها شفوياً

ووعد بدراستها، لكنه وجهنا بضرورة الاستمرار في متابعة ما توصلنا إليه، وضرورة وضع تصورات لكيفية توعية أعضاء اللجان الشعبية.

في الحدائق طرحت ملاحظات القائد على الإخوة ودار حولها نقاش طويل تركز على أهمية وكيفية تثقيف اللجان الشعبية، ووضع آليات تنفيذ الثورة الثقافية بشكل مبسط، لكن النقاش تطور إلى السؤال، هل أنجزنا المهمة بالكامل؟ هل نحن مطمئنون على أن الثورة الشعبية انطلقت وتحقق أهدافها كما أرادها القائد؟ أم أن المهمة طويلة وشاقة؟ استمر الحوار إلى وقت متأخر من الليل حول الوعي والمعرفة ودور الشباب وتغلغل الإقليمية، والتخلف الاجتماعي، وخلص إلى التركيز على أهمية عمل الشباب في المدارس الثانوية لإعداد جيل يتحمل مسؤولية الثورة الشعبية والثورة الثقافية، أذكر أن الأستاذ علي الشاعري رحمه الله أخذ الفكرة، وبدل أن يخلد للنوم كبقيتنا طلب من الدكتور عطية اجعي أن يكتب ما يمليه عليه، انتهت كتابة مذكرة مفصلة لمشروع وطني لتوعية الطلاب بالثورة الشعبية، بإطلاق برنامج معسكرات للثورة العربية، تكون مركزية ويشارك بها القائد وأعضاء القيادة مباشرة، في الصباح استقل علي الشاعري أول طائرة إلى طرابلس وقدم المشروع إلى الرائد بشير هوادي الذي قبله بلا تردد، وأعطيت الأوامر لتنفيذ معسكر للثورة العربية في طرابلس لطلبة الشهادة الثانوية، كلف النقيب الهادي مفتاح والنقيب الرماح الجرد بتجهيز المعسكر وانطلق العمل في أول وأهم برنامج تثقيفي جدي لبناء الإنسان، تم خلاله إعداد مئات الكوادر الذين كان لهم دور أساسي في قيادة التحول الثوري في ليبيا في كل القطاعات.

المحطة السابعة
في الإذاعة

الزحف على الإذاعة

حضر القائد رحمه الله إلى بنغازي في بداية شهر يونيو تقريبًا، التقيته والأخوان عمار الطيف، وإبراهيم صكح، شرحنا له نتائج رحلتنا التعبوية في المنطقة الشرقية من طبرق حتى الكفرة، وشرحنا له فكرة معسكرات الثورة العربية التي ستنطلق بعد أيام من انتهاء العام الدراسي، كان نقاشًا مطولًا حول أهمية السيطرة على كل المنابر وأهمية وصول رسالة الثورة الثقافية إلى العالم، لذلك لابد من الزحف الشعبي على الإذاعة ووكالة الأنباء، وتشكيل لجان شعبية تسيرها، وشرح أهمية الإذاعة في التعبئة الشعبية وبالرغم من أنها تدار بعناصر ثورية لكنها في ثوب تقليدي، لكنه أبدى تخوفا من استغلال محاولة تشكيل لجان شعبية بها تديرها شعبيا وثوريا من قبل عناصر مناوئة للثورة أو مواطنين عاديين، وخطورته على المشروع برمته، لذلك مثل هذا العمل ينبغي أن يعد له بشكل دقيق ويحسب جيدا ويتم من عناصر معروفة وموثوقة جدا، ثم أبلغنا بضرورة الاستعداد للزحف على الإذاعة، وقال إنه سيوجه عبرها نداء إلى الجماهير للزحف عليها، لذلك علينا أن نكون جاهزين لهذه المهمة الحساسة، والاستعداد لتقديم برامج ثورية بها واتفقنا معه على أنه سيبلغنا قبل حديثه حتى نرتب أنفسنا، ناقشنا الأمر في الرابطة ومع الشباب باللجان الشعبية وكلف الأخوان إبراهيم البشاري، وعمار الطيف بالسفر إلى طرابلس

لترتيب مع الإخوة الخطة، والاتفاق على موعد الانطلاق، بعد أيام قليلة اتصل بي مكتب بشير هوادي وأبلغني أن الرائد بشير قادم إلى بنغازي ويريد مقابلتي مع من أراه في المطار.

في مطار بنينا في الاستراحة كنت والأخ عمار الطيف، والأخ صالح الشيخي وآخرين في انتظار الأخ بشير، الذي التقانا بمفردنا في الاستراحة الخاصة بكبار الزوار، وأبلغنا أن القائد سيدعو الناس غدًا للزحف على الإذاعات، لابد أن تكونوا جاهزين، وأنه سيوجه نداء خلال نشرة أخبار الظهيرة إلى الجماهير للزحف على الإذاعة وتشكيل لجنة شعبية لإدارتها، عاد من المطار مباشرة إلى طرابلس ولم يعلم المسؤولين ببنغازي، ولا الحرس بحضوره باستثناء المرحوم امبارك عتيق الذي استقبله في المطار وودعه منه.

في ذلك الوقت لا يوجد الهاتف المحمول، وسيلة الاتصال هي اللقاءات المباشرة والهواتف السلكية، كان علينا إبلاغ العناصر القيادية دون تسرب المعلومة قبل أن يوجه القائد النداء، وكان علينا التنسيق مع الإخوة في طرابلس، اتصلت بالمرحوم إبراهيم البشاري وقلت له غدا موعدنا ربما في المساء عليك الاستعداد دون شوشرة، في بنغازي نفذنا فكرة اجتماع مهم للقوى الثورية بمدرسة بنغازي الثانوية في اليوم الموعود، وأن اللقاء سيكون وقت الظهر، بحجة أننا نقيم ندوة حول الثورة الشعبية، وفعلا توافد عدد من الإخوة من الطلبة والقيادات من بنغازي، وما أن تجمعنا حتى أبلغناهم بالأمر وإننا في انتظار بيان هام من القائد، تقريًبا بعد منتصف النهار استمعنا إلى نداء القائد الذي يدعو الجماهير للزحف على الإذاعات، وتحويلها إلى أدوات ثورية تساعد الجماهير في تنفيذ الثورة الشعبية والثورة الثقافية، كنّا أول الزاحفين

وتمكنا من السيطرة على الإذاعة دون صعوبة حيث سبق التنسيق مع المرحوم الملازم امبارك عتيق الذي كان يتولى تأمين الإذاعة، وبدأ بقية رفاقنا يلتحقون بسرعة البرق، وما أن جاء المساء حتي شكلنا أول لجنة شعبية لإدارة الإذاعة من الإخوة إبراهيم البشاري، ومحمد المصراتي، وإبراهيم صكح، وعمار الطيف، ونجيب الحصادي، وصالح الشيخي، وعبدالله المقري، ورمضان عبد العزيز، ومفتاح بوكر، والعبد الفقير لله، وفي طرابلس زحف الأخوة أيضًا، وتشكلت لجنة في طرابلس من عبدالحميد بيزان، ومبروك صمود، وعبدالله الشكشوكي وآخرين لا أذكر أسماءهم.

لم تكن لنا خبرة بالعمل الإعلامي ولا معرفة بتقنياته، لكن الحماسة الثورية والقناعات الفكرية ساعدتنا على التأقلم والخوض في تفاصيله اليومية، ربطنا علاقة جيدة مع المعدين والمذيعين والمخرجين والفنيين، وبدأنا في كتابة التعليقات والبيانات وإعداد البرامج الخاصة، كما قسمنا العمل بيننا فكان بعض من أعضاء اللجنة الشعبية متواجدين بالاستوديوهات طيلة 24 ساعة.

انقلاب بسيكري:

دائماً عندما تتولى إدارة جديدة لتسيير أي مرفق، يعمل المتضررون من سابقتها على محاولة استغلالها لتصفية حسابات خاصة بهم، وهذا حدث مع أول لجنة شعبية تتولى إدارة الإذاعة، فلكوننا شبابًا صغارًا في السن متحمسين للعمل الثوري الوطني وبدون تجربة إدارية كثرت الشكاوي المقدمة لنا، ووجد الواشون فرصا سانحة للوشاية بمنافسيهم، وكثر المتسلقون والانتهازيون الذين يبحثون

عن وسيلة لتحقيق أغراضهم، من بين الذين انهالت شكاوي ضدهم وتحدث واشون كثر عنهم، شخص اسمه محمد بسيكري، كان يشغل وظيفة رئيس القسم الفني في الإذاعة، يتمتع بنفوذ واضح في فرع الإذاعة ببنغازي بسبب علاقته بأعضاء من مجلس قيادة الثورة ومحافظ بنغازي حينها عبد الوهاب الزنتاني، لم يتعاون بسيكري مع اللجنة الشعبية للإذاعة، بل ناصبها العداء فهم من وجهة نظره مجموعة من الشباب عديمو الخبرة، الذين سيخربون الإذاعة، وأنه محصن ضد تصرفاتهم ولا يتبعهم، كان ذلك فرصة ثمينة للوشاة، الذين بدأوا يوشوشون في أذان بعض أعضاء لجنة إدارة الإذاعة، يركزون على أن بسيكري متغطرس ومتعال ومستغل لعلاقته بالأخ الرائد مصطفى الخروبي والرائد محمد نجم وأنه لا يهتم بهذه اللجنة وأنها يذكرها فقط بالسوء، ويحرض الفنيين والإعلاميين على عدم التعاون معها، بالرغم من أننا لم نشهد ولم نسمع أنه قام بعمل مناهض للجنة مباشرة، لكن فقط كلام يتناقل ويتناثر هنا وهناك ويصل بسرعة البرق إلى مسامعنا، كما انهالت شكاوي تحوي ادعاءات وتهم بدون أدلة، وحكايات مفبركة في كثير من الأحيان تتركز على ذمته المالية وتصرفاته الإدارية، ولم يخل الأمر من لفت أنظار اللجنة إلى جوانب من ممارسات غير إخلاقية كنا نعتبرها أم الجرائم، للأمانة كان الرجل ذا أنفة واعتزاز زائد بالنفس لا أعلم هل هو من طبعه؟ أم هو فقط إثبات لما قيل حوله، فلم يطرق أبواب اللجنة، ولم يطلب مواعيد للدفاع عن نفسه أو تبرير مواقفه، شخصيًا لم أقابله فضل الانسحاب بهدوء وجلس في بيته، تصاعدت الانتقادات من قبل أصدقاء بسيكري خاصة عبدالوهاب

الزنتاني المحافظ وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين نقل لهم الوشاة أن أعضاء لجنة الإذاعة متغطرسون، ويقولون إنهم لا يعترفون بالمحافظ ولا أعضاء مجلس قيادة الثورة، وما يماثله من كلمات توغل القلوب حقدا وكرها.

وبالنظر إلى خدمات بسيكري الجليلة ليلة إعلان الثورة وقيامه بترتيب الإجراءات الفنية لفصل إذاعة بنغازي وتحويل البث إليها، استدعي إلى طرابلس وكلف بإدارة الشركة العامة للإلكترونات، التي أنشئت لتصنيع أجهزة الإذاعة المرئية والمسموعة ووسائل الاتصال الإلكترونية.

بسيكري كان يتمتع بعلاقة جيدة مع عبد الوهاب الزنتاني محافظ بنغازي، والأخوين محمد نجم ومصطفى الخروبي في مجلس قيادة الثورة بسبب أدائه الوطني في أيام الثورة الأولى، وبسبب ما ذكرت من وشايات نقلت إلى الزنتاني ونجم، حاول الزنتاني الضغط على اللجنة الشعبية لإرجاعه إلى عمله السابق في الإذاعة لكن جهوده باءت بالفشل بسبب تعنت أعضاء اللجنة، لكنه حاول إقناع الرائد محمد نجم، بإرسال قوة من لواء الحرس الجمهوري للسيطرة على الإذاعة وطرد اللجنة الشعبية منها، اقتنع الرائد نجم وفعلًا قرر إرسال قوة للسيطرة على الإذاعة، يبدو أن الملازم وقتها امبارك عتيق أبلغ القائد بالأمر، الذي أصدر توجيهات قوية إلى لواء الحرس بتعزيز الحراسة على الإذاعة وتأمين اللجنة الشعبية بها، ذلك ما أخبرنا به وقتها المرحوم امبارك عتيق الذي حضر شخصيًا إلى الإذاعة وشرح لي الموقف وطلب أن لا أبلغ اللجنة بذلك، وحسب قوله فإن القائد طلب منه أن

يبلغني فقط للاحتياط وحسن التصرف على أن تستمر الأوضاع كما هي خوفا من كثرة الكلام والشوشرة، منذ ذلك الحين توطدت علاقة شخصية أكثر متانة بيني وبينه إلى أن وافاه الأجل المحتوم في حادث أليم، أدعو له بالرحمة والمغفرة، لقد كانت معركة بسيكري معركة عبثية طويلة لا جدوى منها، أخذت وقتًا من اللجنة كان ينبغي أن يستثمر في الاهتمام بتطوير الخطاب الإعلامي، وإعداد البرامج التعبوية والمساهمة الفعالة في الثورة الثقافية.

ركزت اللجنة الشعبية على تبني خطاب قومي حماسي موجه للدول العربية، على منوال خطاب إذاعة صوت العرب، اعتمد التحريض المباشر، وتم استقطاب بعض المثقفين والإعلاميين القوميين اللاجئيين إلى ليبيا من أمثال: محمد سلمان، ويوسف بشير، وياسر محمود، ورشيد علوني وغيرهم من رموز الفكر القومي، ووجهت برامج خاصة إلى نظام السادات في مصر التي كان ينظر له الناصريون ونحن منهم بأنه جزء من مؤامرة استعمارية ضد حالة النهوض القومي، ولإنهاء إنجازات الثورة العربية وكونه نظام ردة على الفكر القومي التقدمي، وكذلك النظام المغربي المرتبط بالاستعمار والصهيونية، والأردني المرتبط بالكيان الصهيوني والمسخر لمحاربة المشروع القومي، وكل النظم الرجعية المتخلفة في الجزيرة العربية.

أنتج اللبناني الشيعي الكاتب محمد سلمان برنامجاً يومياً قوياً موجها للمغرب، شكل إزعاجاً كبيراً للملك الحسن الثاني وكان سبباً في زيادة توتر العلاقات الليبية المغربية إلى حين اتفاق وجدة الوحدوي.

أما البرامج الموجهة إلى مصر فكانت عديدة منها مطارق على الواقع للأخ رمضان عبدالله، وصفحات على طريق الثورة العربية الذي اشتركت في إعداده وتقديمه مع الرفيق عمار الطيف والذي كان يذاع ليليا ويسميه السادات برنامج نص الليل والذي كان نواة إنشاء إذاعة صوت الوطن العربي الكبير.

بسبب ظروف الامتحانات، انسحبت في نهاية أغسطس بهدوء من اللجنة الشعبية واستمر الإخوة في العمل الإعلامي حيث انتقل الأخوان عمار الطيف، وصالح الشيخي، وإبراهيم صكح، إلى طرابلس ليتوليا إدارة الأقسام الرئيسة بالإذاعة، وكلف المرحوم إبراهيم البشاري مديراً عامًا، والأخ محمد المصراتي نائبا له، فتحولت اللجنة الشعبية القيادية التوجيهية إلى إدارة عملية لهيئة الإذاعة ولوكالة الأنباء التي أطلقنا عليها تسمية وكالة أنباء الثورة العربية.

التدريب أو "التذنيب" العسكري العام

قررت بعض اللجان الشعبية بالكليات الجامعية ضرورة التحاق الطلاب بالتدريب العسكري لحماية الثورة الشعبية، وكانت الاستجابة سريعة وشاملة من القيادة، إذ تقرر انخراط كل طلاب الجامعة بالتدريب العسكري في الفترة الصيفية استعدادا لمعركة تحرير فلسطين التي ترى الثورة حتمية اندلاعها في أي وقت والتي تجري الترتيبات لها على قدم وساق، فطرحت الثورة مشاريع قومية كالعمل الفدائي، وتبنت كل حركات المقاومة الفلسطينية وفتحت معسكرات التدريب لها، ووضعت خطة تسليح ضخمة للجيش الليبي وعقدت صفقات مهمة

مع فرنسا في عهد جورج بومبيدو، والاتحاد السوفيتي، وطرح مشروع تدريب القطاع المدني فيما عرف بالمقاومة الشعبية، وكلف الرائد الخويلدي الحميدي قائدا لها، ثم انطلقت معسكرات تدريب طلبة الجامعة في طرابلس وبنغازي، ولأن الفكرة جاءت من بعض اللجان الشعبة بالكليات طلب من كل الطلبة الالتحاق بمعسكرات التدريب دون استثناءات، نقل الأستاذ علي الشاعري بوجهة النظر أن الشباب الثوريين لن يكونوا مفيدين في العمل التعبوي والتثقيفي لو التحقوا جميعا بالتدريب العسكري أثناء فترة العطلة الصيفية إلى الأخ بشير هوادي الذي ربما عرض الملاحظة فتقرر استثناء الطلبة الذين التحقوا بالبرنامج التعبوي وكذلك مشرفو معسكر الثورة العربية من التدريب، وأثناء مقابلة مع المرحوم الشهيد أبوبكر يونس جابر طلبت منه إمكانية إعفاء طلبة كلية الطب وعددهم قليل لا يصل إلى المائة وخاصة أنهم منخرطون في برنامج تدريب عملي في الفترة الصيفية، فوافق على ذلك بدون تردد.

التحق كل طلاب الكليات الجامعية باستثناء من صدرت لهم إعفاءات من الطلاب المشاركين في البرامج التثقيفية وطلبة كلية الطب بالمعسكرات، حضر الطلبة في أغلبهم متحمسين للتدريب العسكري، لكن الرياح لم تأت بما ترغبه سفنهم، يبدو أن بعض من الضباط كانوا معترضين أصلا على فكرة الثورة الشعبية التي يرون أنها قد تسلبهم كثيرًا من المزايا المعنوية التي أكتسبوها بمشاركتهم في ثورة الفاتح، لذا قرروا العمل علي توتير المناخ الشعبي ضد مشروع الثورة الشعبية وإفشاله وخلق حالة تذمر بين القطاعات الشعبية الفاعلة ومنها الطلاب،

لم يعد برنامج تدريب عسكري خاص بطلبة جامعيين بل اعتبر الملتحقون جنودًا مستجدين وعملوا كذلك، تعرض الطلبة إلى عمليات تدريب قاسية جدًا تشبه وتفوق مستوى التدريب الذي يتلقاه الطلبة المستجدون في الكليات العسكرية وكانوا يخضعون إلى حصص تذنيب طويلة بدون أسباب، منعوا من الخروج لأسابيع، عندما التقينا بعض زملائنا تعرفنا على حجم ما يعانوه من إرهاق وتعب في كثير من الأحيان كانوا يرغمون على المبيت وقوفا، والزحف بشكل عنيف لعدة ساعات ويحرمون من الأكل لأيام، إضافة إلى وسائل التذنيب القاسية الأخرى، حتي خيّل لكثير من الشباب الثوريين أن الأمر لا يعدو كونه عقابا للطلبة على انخراطهم في مشروع الثورة الشعبية وليس تدريبًا عسكريًا للمشاركة في معركة الأمة ضد المشروع الصهيوني.

على سبيل المثال، كان أحد الضباط المشرفين على التدريب بمعسكر البركة "محمد عبد العاطي" يكنى "البوما"، زميلا لكثير من الطلبة بكليات الجامعة ببنغازي القادمين من مدرسة الخمس الثانوية، وكانت تربطه بهم صداقة، أراد أن يظهر أهميته لرفاقه، فأخذ يسومهم أسوء صنوف العذاب، يمنعهم من الأكل لأتفه الأسباب، ومن الحكايات الطريفة أن صديقنا الأخ سليمان البوزيدي الطالب بكلية الآداب، وأحد المتضررين من صلف البومة، كان ينتظر يوم الجمعة ليؤوم الطلبة في صلاة الجمعة بالمعسكر، كان سليمان يطيل الخطبة إلى صلاة العصر ليتيح لرفاقه سويعات من النوم وقت الصلاة، لكن البوما كان يدرك ذلك السبب فكان ينتظر الطلاب خارج قاعة الصلاة ويسخر منه

ويقول إن الله استجاب لدعواتهم ضدي ويبدأ في تذينبهم بل تعذيبهم، وأما الإمام سليمان فكان ينال نصيب الأسد من صنوف التذنيب.

في طرابلس كان الأمر أكثر سوءً حدثني المرحوم سعيد راشد على ما تعرض له طلبة كلية الهندسة من قسوة في التذنيب بقاعدة امعيتيقة، الأخ ميلاد الفقهي جادت قريحته بقصيدة حزينة ورائعة حول الأمة في معسكر التدريب، أخبرنا القائد عنها فكان دائما يطلب منه القاءها.

بعد اكتشاف مؤامرة المحيشي عرف سبب تلك القسوة والشدة في تدريب طلبة الجامعة وتأكد أن الضباط المتآمرين وجدوا في ذلك مناسبة لتعبئة الوسط الطلابي ضد الثورة.

أعتقد أن سنة التدريب العنيف عام 1973 أثرت سلبيا في الوسط الطلابي، ومكنت القوى المعادية من إطفاء شحنة الحماس التي حدثت مع انطلاق الثورة الشعبية وساهمت في تهيئة المناخ للعمل المعادي الذي شهدته الجامعة عام 1975.

المحطة الثامنة

المسيرة الوحدوية

"مسيرة للجان الشعبية من أجل الوحدة العربية " في القاهرة بدون وثائق

مسيرة تحد حقيقية للتعب وللسياسة

في شهر يونيو 1973 قام القائد بزيارة إلى مصر، ناقش خلالها أسباب عدم تنفيذ الوحدة الاندماجية بين البلدين، وتفعيل مؤسسات اتحاد الجمهوريات العربية، وقد اتضح له تلكؤ السادات الواضح في المضي بتنفيذ المشروعات الوحدوية، وعدم جديته في الإعداد للمعركة، وصلتنا معلومات تفيد بأن الزيارة لم تكن ناجحة وأن القائد عاد محبطًا، وتسرب أن القائد في طريق عودته تعرض لحادث سير ربما كان محاولة اغتيال مبرمجة من السادات، وربما اتضحت له توجهات السادات السياسية الجديدة التي بدأت بوادرها تلوح في الأفق، وأنه مسؤول مباشرة عن عدم استكمال بناء دولة اتحاد الجمهوريات، في ذات الوقت نجحت المخابرات المصرية في زرع فتيل أزمة داخل مجلس قيادة الثورة معتمدة على ما يبدو على عبدالمنعم الهوني رئيس جهاز المخابرات، وكذلك التباين في وجهات نظر بعض الأعضاء حول مشروع الثورة الشعبية، والخلاف الواضح بين المحيشي وجلود

وأحقية كل منهما في إدارة مجلس الوزراء، وتنامى إلى أسماعنا أن القائد قرر الاستقالة وترك العمل، الأمر الذي رأينا فيه خطرًا يتهدد مسيرة الثورة الفتية.

في أوائل شهر يوليو عام 1973، كنت والأخ عمار الطيف، ورمضان عبدالله في مدينة توكرة "العقورية لاحقا" في لقاء فكري تعبوي مع الطلبة المستهدفين بالتدريب العسكري في معسكر توكرة كان يديره ضابط واعٍ يدرك أن التحاق الطلبة بالتدريب العسكري لم يكن الغرض منه تحويلهم إلى جنود بقدر ما يهدف إلى إعدادهم بدنيا وذهنيا لمعارك الوطن، وبعد حوار مطول مع الطلاب وبعض الضباط حول الثورة الشعبية وأهميتها في تعزيز حرية المواطن وتحقيق الاشتراكية، وضرورة أن تكون مساهمتها أساسية في الكفاح من أجل الوحدة، بسبب استحالة تحقيق أي قدر حقيقي من التحرر، وتوفير كفاية في الإنتاج بدون إقامة دولة الوحدة، في طريق العودة إلى بنغازي كان موضوع حديثنا بالسيارة زيارة القائد إلى مصر والحادث الذي تعرض له موكبه عند الإسكندرية، وسياسة السادات الانهزامية محور نقاش مطول بيننا طيلة طريق العودة، سرح بنا الخيال إلى التمعن في حال الأمة والإمكانات المتاحة وأهمية طرح مشروع الثورة الشعبية السلمية كوسيلة كفاحية تحقق نتائج مضمونة ولكوننا وحدويين ناصريين، لا نحمل أي تقدير للسادات ولدينا قناعة تامة بأنه مرتد عن الفكر الناصري وخائن للمشروع الوحدوي، ومتراجع عن خط الثورة العربية الناصرية، فاتجه الحوار إلى أهمية التفكير في كيفية تنفيذ منشط عملي يبين للسادات أن الشعب الليبي مع قائده معمر القذافي

ومع مطلب الوحدة الفورية الاندماجية، استقر رأينا في السيارة على التفكير في مسيرة محدودة من طلبة المعسكرات في المنطقة الشرقية إلى امساعد، وإقامة مخيم في امساعد لمدة أسبوع يوم 23 يوليو وهي فرصة نحيي فيها ذكرى ثورة 23 يوليو ونوجه رسالتنا إلى السادات.

توجهنا مباشرة إلى الإذاعة فعلمنا أن الإخوة أعضاء اللجنة الشعبية بالإذاعة موجودون في فندق الجزيرة مع الأخ إبراهيم البشاري الذي كان اختير أمينًا للجنة الشعبية للإذاعة، فقررنا الانضمام إليهم، في الفندق عقد لقاء حضره على ما أذكر الإخوة إبراهيم البشاري عمارالطيف، صالح الشيخي، محمد المصراتي، محمد منصور إبراهيم بكار، محمد الحجازي، ونجيب الحصادي، طرحنا الفكرة المبدئية حول معسكر في قرية امساعد في 23 يوليو، وجدت الفكرة قبولًا وحماسًا شديدين من كل الإخوة ودار البحث حول وسائل تنفيذها ومتطلباتها وبرنامجها اليومي، واتفق على التواصل مع شباب فرع رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين في بنغازي، والإخوة في طرابلس، على أن تبقى سرية إلى حين التنفيذ لنفاجئ القائد بها، خلال المناقشات مع الإخوة أعضاء فرع الرابطة ببنغازي طورت الفكرة لتتحول إلى مشروع تنظيم مسيرة شعبية وليست شبابية يشارك فيها المصعدون في اللجان الشعبية من بنغازي إلى امساعد مع تمثيل رمزي من المنطقة الغربية تنطلق يوم 22 يوليو وإقامة احتفال في امساعد بعيد الثورة الأم كما كنّا نسميها.

اقترح بعض الإخوة أن يبلغ المقدم أبوبكر يونس بذلك ونعلمه أننا نريد أن نفاجئ القائد بحركة جماهيرية تدعم موقفه أمام مماطلات السادات، وأيضا نستشف وجهة نظره ونستشيره في الأمر لكي لا نحرج الدولة ونورطها في مشاكل أمنية بالداخل، ولكي لا يحدث تصادم مع الأجهزة، قمت مع الأخ عمار الطيف بلقاء المقدم أبوبكر، وشرحنا له الفكرة باستفاضة ووأوضحنا أهدافها وكذلك بينا السلبيات المتوقعة، والمتطلبات الأساسية والمثمتلة في تعاون الأجهزة وتأمين المسيرة، رحب بالفكرة وشكرنا عليها، وقال: إنها تعكس روحًا قومية وثورية، وقال إنه سيطرح الأمر على بعض الإخوة في القيادة وسيرد علينا، وفي اليوم التالي اتصل بنا مكتب المقدم أبوبكر وقال لنا: "خوكم يقول لكم أمضوا على بركة الله، ولو احتجتم أي شيء أبلغوني بالموضوع"، انتقل المرحوم إبراهيم البشاري إلى طرابلس ليناقش الإخوة في اللجنة الشعبية للإذاعة وفرع الرابطة بطرابلس في الأمر، وترتيب مشاركة من طرابلس تتمثل في منتسبي معسكر الثورة العربية في جودائم وبعض القيادات، لكن ما أن طرح الفكرة حتى ووُجه برغبة قوية في تنفيذ مسيرة شعبية كبرى تنطلق من رأس جدير إلى امساعد، اتصلوا بنا في الإذاعة ببنغازي وأبلغونا بأن الإخوة في طرابلس سيتولون الترتيبات في المنطقة الغربية، ونحن نتولى الترتيب في المنطقة الشرقية لمسيرة تشارك فيها اللجان الشعبية المصعدة بالمحلات والمحافظات، تم التوافق على شعار للمسيرة "مسيرة اللجان الشعبية من أجل الوحدة العربية" واتفقنا أن تنطلق في يوم 18 يوليو لتصل امساعد قبل يوم 23 يوليو ذكري قيام الثورة في مصر، لكن

الأفكار كانت تتوارد بسرعة، فاقترح بعض الإخوة بأن تتجه المسيرة إلى القاهرة وليس فقط امساعد، وبدأ التحضير على هذا الأساس، تشكلت لجان للتعبئة الشعيبة والتهيئة، وفي الحقيقة كنا نتوقع أن يصل عدد المشاركين إلى بضع مئات فلم نهتم لمسائل الإعاشة والإقامة، توليت أنا والأخ عمار الطيف، وصالح الشيخي الإشراف على الترتيبات في بنغازي، وكلف بقية الإخوة بالانطلاق للتحضير في المنطقة الشرقية.

انتشر خبر تنظيم المسيرة بين الليبيين فلم يعد موضوعًا محدودًا يمكن الحفاظ على سريته، وسقطت فكرة مفاجأة القائد والسادات بعمل تلقائي، لقد علم المصريون بانطلاق المسيرة الوحدوية فعملوا على إفشالها، وأذكر يوم 16 يوليو حضر إلى بنغازي وفد من مصر يضم السيد أحمد كمال أبوالمجد وآخرين للقاء بلجنة تنظيم المسيرة، كانت معلوماتهم أن الناصري محافظ بنغازي وراء الأمر، استقبلهم محافظ بنغازي في مقر الاتحاد الاشتراكي "مقر الكاتدرائية سابقا" لكنه لم يكن مطلعًا بتفاصيل الترتيبات فلم يتمكن من أن يعطيهم برنامج المسيرة، اتصل بنا في الإذاعة وطلب منا أن نلتقي الوفد، وفعلا ذهبت وبعض الإخوة للقاء الوفد في مقر الاتحاد الاشتراكي العربي في بنغازي حيث دار حوار مطول، كان السيد أحمد كمال أبو المجد مثقفًا ومتكلمًا وتحدث في شجون الأمة ومشاكل مصر وأنه يتفهم حماس الشباب لكنه حاول أن يجد المعاذير وتهويل النتائج السلبية التي قد تنجم، وإمكانية

استغلال المسيرة من أعداء الوحدة إلى آخره، كانت إجابتنا صريحة ومحددة، اللجان الشعبية إفراز الشعب الليبي وتريد أن تذهب إلى القاهرة من أجل دعم موقف مصر في معركتها ضد الكيان الصهيوني، وتحطيم الحدود التي أقامها المستعمر وإزالة أسلاك "غريسياني" الشائكة التي فصل بها الشعب الواحد في ليبيا ومصر وإقامة دولة الوحدة، تحدثنا عن شجاعة شكري القويتلي، وشجاعة عبد الناصر، وإعلان الجمهورية العربية المتحدة، وحاولنا أن نقدم كل التطمينات بأن هذه المسيرة ستكون دعمًا للمجهود الحربي المصري في معركة الأمة لتحرير فلسطين ولا يمكن أن نسمح بأن تسيء لمصر أو تهدد أمنها وسلامتها.

صباح يوم 18 يوليو في عرس شعبي في رأس جدير انطلقت المسيرة الوحدوية التاريخية، كان مشهدا حماسيًا رائعًا، آلاف المشاركين من محافظة الزاوية انطلقوا صباحًا ليصل طرابلس عشرات آلاف المشاركين، تفاجأ الإخوة بتلك الحشود الجماهيرية، اتصل بي المرحوم إبراهيم البشاري وقال لي: "يا مصطفى سيكون حدثا تاريخيًا بمعنى الكلمة، أجزم لك أن المسيرة ستكون بمئات الآلاف"، لم أصدق ما سمعت.

كانت ترتيباتنا أن يبيت الناس في بنغازي وأن ننطلق صباح 20 يوليو باكراً متجهين إلى مصر، وجهزنا موقعًا في منطقة تيكا والخضراء لمبيت المسيرة.

مساء يوم 19 يوليو انتظرنا أنا والأخ عمار بوادر المسيرة وقبل غروب الشمس كانت آلاف السيارات تغطي الطريق الساحلي حاولنا إيقافهم دون جدوى ولم يعيروا اهتمامًا لاقتراحنا لهم بالمبيت في بنغازي، وواصلوا السير شرقًا وربما كان ذلك فعلًا الخيار الأمثل إذ توقفت المسيرة على ما أذكر في البيضاء.

بالتأكيد فإن مرور الكم الكبير من المشاركين وسط شوارع بنغازي من مساء 19 يوليو إلى صباح 20 يوليو، كان فعلًا تعبويًا عمليًا لجماهير بنغازي التي انطلقت فجر اليوم التالي إلى مصر بأعداد كبيرة جدًا .

كان عمار يقود سيارة الفولكس التي كنا قد استخدمناها في الحملة التعبوية بعد إعلان الثورة الشعبية، وكنت معه، تعرفنا على النقيب المرحوم حسن الكاسح ضابط شرطة المرور الذي رافق المسيرة، فتمكنا من السير في مقدمتها وهكذا تقدمنا المسيرة التاريخية عبر هضاب الجبل الأخضر ومررنا بدرنة كان لدينا فقط مياه ولم نحمل معنا أية مواد غذائية، وصلنا مساء إلى درنة مررنا على المرحوم فرج بلها والأخ يوسف بن عمران حيت تناولنا غذاء خفيفاً وواصلنا المسير إلى امساعد، التي وصلناها ليلًا.

في امساعد كان الجو متوترًا جدًا، السلطات المصرية قفلت السلوم، عندما وصلنا التقينا مع بعض الإخوة من طرابلس ومنهم المرحوم إبراهيم البشاري، وعبد الله الشكشوكي، عقدنا اجتماعًا على أضواء القمر لترتيب الخطوة القادمة، حضر مدير أمن مطروح ومحافظ مطروح وطلب اللقاء بالمسؤولين على المسيرة، وقع اختيار

الإخوة على المرحوم إبراهيم البشاري، وعمار الطيف، والعبد الفقير لله لمقابلته وفهم ما يحمله من اقتراحات وآراء، كانا شخصين مدركين لأهمية وحساسية الوضع وكانا متفهمين لطبيعة مشاعر الناس بالمسيرة وصعوبة اتخاذ قرار في هذا الجو المفعم بالحماس كان لقاؤنا معهما لقاءً وديًا، ملخص طلبنا أن المتحتشدين في المسيرة رغبتهم الوحيدة الاحتفال مع أهلنا في مصر بذكرى ثورة 23 يوليو وإظهار التضامن مع مصر وجيشها وقيادتها في معركتها التاريخية التي تخوضها دفاعا عن الأمة العربية كلها، وأن نضع إمكانات ليبيا مع مصر، وأنهم يدعون باسم الشعب الليبي إلى تسريع الوحدة الاندماجية بين البلدين، ردهم المنطقي جدًا، أنهم يتفهمون نوايانا ويقدرون مشاعرنا لكن هناك مؤامرات كثيرة على مصر، وفى حالة وصول المسيرة إلى القاهرة فقد تستغلها القوى المعادية وتثير اضطرابات وقلاقل، تكرر منهم الحديث حول حريق القاهرة عام 1952، رسالتهم أن تستقر المسيرة بمطروح ويقام الاحتفال بها، وقالوا نحن سنستقبلكم في مطروح وتأتي كوادر من الاتحاد الاشتراكي لمقابلتكم والتحدث معكم، وهكذا يتحقق هدف المسيرة ونتجنب أية مشاكل جانبية، كان عرضاً جيداً، لكن حماستنا وما رأيناه في وجوه المسيرة دفعتنا لرفض العرض الذي كان ممكنا أن يحول المسيرة إلى حدث إعلامي مهم في مصر وخارجها، وقلنا لهم هذه هي إرادة اللجان الشعبية وأنهم مصممون على الوصول إلى القاهرة، ومن الصعب تغيير قرارهم، لقد كان ذلك قرارًا خاطئًا في وقتها وكان ممكنًا أن نستفيد من عرض المحافظ لفتح حورات جدية

ومعمقة مع الكوادر المصرية التي كانت مستعدة لذلك، أعتقد أن العاطفة كانت هي المسيطرة علينا في ذلك الوقت.

مع ساعات الفجرمن يوم 21 يوليو صب مواطن صاحب "بلدوزر" غضبه على البوابة في امساعد وهدمها وسط الهتافات التي كانت فعلا تعانق عنان السماء في تلك الصحراء المرتوية بدماء الأجداد الذين فصلهم الاستعمار ومنعهم من التواصل إلا عبر اختراق الأسلاك المميتة، زحفت السيارات المليئة بالناس والمزدانة بأعلام اتحاد الجمهوريات العربية الذي ولد ميتا ولم يرى النور منه إلا العلم، وشركة نقل اتحادية، ومجلس أمة صوري، نحو بوابة السلوم كانت تعليمات محافظ مطروح ومدير الأمن بها واضحة بتسهيل مرور المسيرة دون تعقيد.

في مصر بدون جواز ولا وثائق ولا حقيبة سفر!

عندما خرجت من القسم الداخلي مساء 18 يوليو لم أخذ معي أي غرض، كنت أرتدي بنطلون "جينز" وقميص نص كم، قضينا وقتا طويلا من الليل في محاولة لإقناع المشاركين بالمبيت في منطقة تيكا لكن دون جدوى بقت الخيام خاوية، غلبنا النعاس فنمنا سويعات إلى أن أيقظتنا شمس صيف بنغازي الحارقة وعلى عجل وبلا أكل توجهنا إلى ميدان الشجرة حيث تتجمع جماهير بنغازي المشاركة، وغادرنا معها دون أن ندري أننا سنقطع فيافي وبلدان وسنجتاز حدود ومطارات، قبيل أن نصل إلى درنة فتشت جيوبي فإذ هي خاوية لا نقود ولا بطاقات، تذكر الأخ عمار أن عليه أن يفتش جيوبه فلم يجد

سوى رخصة قيادة خاصة وكتيب السيارة التابعة للقوات المسلحة، لم نشغل بالنا بالأمر وكأنه شأن عادي أو لا يعنينا، لم يتبادر إلى ذهننا كيف نسافر لأيام بدون ملابس ولا نقود ولا وثائق؟ الحقيقة إن حماسة انطلاق المسيرة أنستنا كل شيء، فعلا تلك ساعات مجيدة حدث فيها فعل تاريخي قد لا يتكرر، وكانت تدور في أذهاننا فقط صور تلك الألوف المؤلفة والحناجر التي تدعو للوحدة، وكنا نتخيل أي زلزال سيهز الأمة يوم تفرض الجماهير الوحدة بين الشعب الواحد، وكنا نرسم في مخيلتنا صورة الجماهير العربية في مصر وهي تخرج بالملايين لتفرض على السادات أمرًا سيكون تماما كما خرجت في 9 و10 يونيو 1967 لتفرض على عبد الناصر ضرورة الاستمرار في قيادة الأمة ولتقول إن النكسة حدث عابر لن يؤثر في مسيرة أمة بحجم الأمة العربية فكرا وتاريخا ودورا حضاريا، ولم نكن نعلم أننا قد نتضور جوعا وإننا سنحتفظ بملابسنا التي بدأت تتسخ على جلودنا لأسبوع كامل تقريبا.

دون إفطار ولا قهوة الصباح انطلقنا في سيارة الفولكس وسط المسيرة مع الفجر عبرنا بوابة السلوم لكن سيارات المسيرة المندفعة تتجاوزنا الواحدة تلو الأخرى، بعد الظهر وصلنا مدينة مطروح، كانت السلطات المصرية أعدت سرادقا ضخمة لاستقبال المسيرة في مدخل المدينة الغربي، وجهزت كميات مناسبة من الأكل والشراب، إلا أن الأغلبية لم تلتفت إليه وواصلت مسيرها مباشرة تجاه القاهرة ومجموعات قليلة فضلت الراحة وتناول بعض الأكل والشرب، كانت فرصة لي وللأخ عمار أن نتناول بعض الفواكه والمياه، لكننا كنا أيضًا

في عجلة من أمرنا فنحن من قادة المسيرة ويجدر بنا أن نكون في مقدمتها، استلف عمار بضع جنيهات من البشاري في امساعد لنتمكن من ملء خزان الفولكس بالوقود، لكن المسيرة وزخمها أرغمتنا على مواصلة سيرنا لكن في المؤخرة، ما أن وصلنا إلى منطقة فوكا حتى وجدنا حشود المسيرة تتكدس وتتوقف تماما، لم نعلم السبب في البداية لكن سرعان ما علمنا أن السلطات المصرية منعت المسيرة من مواصلة سيرها وتم قطع الطريق بقطار، وانتشر الجنود بالمئات في وضع قتالي على جانبيه.

حدث ارتباك بين الحشود وعمت الفوضى وتضاربت الآراء بعض الغوغائيين طالبوا بالصدام مع القوة التي تقفل الطريق لكن الكثيرون رأوا أن ذلك عبث وفوضى لا تنم عن مسؤولية، التقينا أعضاء اللجنة المنظمة للمسيرة على عجل واتفقنا على الاعتصام إلى حين فتح الطريق وحاولنا دون جدوى البحث عن المسؤولين المصريين.

غربت الشمس وأرخى الليل سدوله، افترقت عن الأخ عمار لأني تجولت قليلا مع الأخ صالح الشيخي بين الناس الذين أخذ منهم التعب كل مأخذ، أما نحن فكان الجوع يضرب أحشاءنا، مررنا على كثيرين وهم يطهون "المبكبكة " لكننا لم نفرض أنفسنا كطفيليين عليهم وهم لم يبادروننا بالدعوة إلى الأكل، وبينما أنا والأخ صالح نشق طريقنا - في مظهر الذي يحاول الإطمئنان على الناس - وفي حقيقتنا نبحث على من يقول تفضلوا تعشوا معنا، جاء أحد ضباط الأمن المصريين بلباس مدني ويبدو أنه أشتم من حركتنا ومررونا على الجموع أنه ربما كان لنا دور في قيادة المسيرة، بادرنا بالسؤال عن

لجنة تنظيم المسيرة، فقلنا له: تفضل نحن من أعضائها أي خدمة، همس في آذاننا أن الرائد مصطفى الخروبي وصل للتو إلى مطروح ويريد مقابلتنا، تبعناه إلى حيث مؤخرة المسيرة، وما أن رآني الرائد الخروبي رحمه الله، حتي بادرني بالقول: "كيف يا مصطفي أنتم هنا وخوكم العقيد مستقيل، هيا رجعوا الناس، المهم أن يبقى العقيد في قيادة الدولة أما الوحدة ملحوق عليها".

لم أكن أعلم أنه نتيجة الحملة الإعلامية من الإعلام المصري ضد المسيرة أن القائد وجه رسالة عبر الإذاعة أشار فيها أنه مستقيل من كافة مناصبه وأنه يدعو كمواطن عادي المسيرة أن ترجع فورا إلى ليبيا، في نفس الوقت لم نكن نقدر حجم الإزعاج والإحراج الذي سببناه للسادات وللدولة المصرية، أخبرنا الشهيد البطل أبوبكر يونس لاحقاً أن المصريين اعتبروا المسيرة عدواناً سافراً على مصر وأنهم سيستخدمون القوة إذا لم ترجع على الفور وأنهم يعتبرون المشاركين بها جنود بلباس مدني، أبلغت الحكومة المصرية أن السلطات الليبية ستعمل ما في وسعها لإرجاع المسيرة العفوية، وأبلغنا رحمه الله أنه كان يفكر في كيفية إسقاط التموين بالطائرات للمسيرة حتي يتسنى رجوع المشاركين فيها آمنيين إلى ليبيا.

وجدت سيارة إذاعة متنقلة فركبتها وأخذت أجوب المسيرة وأوجه النداء، إن أخاكم مصطفى الخروبي ملتحم معكم في المسيرة ويبلغكم أن القائد مستقيل وأنه عليكم العودة فوراً إلى بنغازي، لاقت دعواتنا استجابة فورية وسارع المشاركون في المسيرة بتغيير وجهة سياراتهم وانطلقوا في رحلة عودة ميمونة إلى الغرب.

أما أنا فضربني التعب والإرهاق وتسلل النوم إليَّ دون أن أدري، ولم أتذكر أي شيء سوى أننا في طائرة رفقة المرحوم الخروبي وبعض المسؤولين المصريين متجهين إلى القاهرة، لقد افترقت عن رفيقي عمار فلم أجده من بين الحاضرين، وكان أخي صالح الشيخي، والمرحوم إبراهيم البشاري، ورمضان عبدالله، وعبدالله الشكشوكي وآخرون يجلسون بجانبي، هبطت الطائرة في مطار القاهرة استقبلنا من قبل أحمد كمال أبو المجد، والسيدة فادية كامل وآخرين، استقلينا حافلة انطلقت بنا مباشرة إلى مقر مجلس الأمة حيث وصلنا قبيل الظهر، أتذكر بأنني وأخي صالح كنا الوحيدين الذين تمكنا من الدخول الرسمي إلى القاهرة دون جواز سفر وبلا وثائق، نجلس تحت قبة مجلس الأمة الذي شهد أهم أحداث ثورة 23 يوليو وتردد فيه أصداء خطابات القائد المعلم جمال عبد الناصر، بقميص متسخ وبنطلون "جينز"، وبدون حيثية رسمية، تحدث الإخوة في مجلس الأمة وكان أبرزهم كمال أبوالمجد، وفائدة كامل التي ألقت خطابا حماسيا جلس بجانبي رجل في الخمسينات قال لي: أنت أصغر شخص يدخل مجلس الأمة المصري وأنه أصغر عضو في حركة الضباط الأحرار، أخذ يهمس لي أنه السيد علوي حافظ، قال: "اللي عملوه في المسيرة مش صح"، وأخذ ينتقد بعض المتحدثين، ثم انتقلنا إلى فندق لا أذكر ما اسمه الآن، وسرعان ما استدعينا إلى وجبة غذاء على شرف وفد المسيرة وهكذا كانت التسمية التي أطلقت علينا، بعد الغذاء قيل لنا ستقابلون الرئيس أنور السادات.

نقلتنا الحافلة إلى منطقة القناطر كان للسادات استراحة بها، دخلنا إلى قاعة بها عدد من الكراسي، حضر الوفد الذي ضم تقريبا 10 أشخاص أذكر منهم رمضان عبد الله، وإبراهيم البشاري، وجمعة

سويسي، وعبدالله الشكشوكي، وحميد جلود، مع بعض الشخصيات المصرية منهم رئيس الوزراء وآخرون، وبعد انتظار ليس طويلًا دخل السادات في بدلة رسمية ومعه الرائد مصطفى الخروبي، بدأ يتحدث عن الوحدة العربية وعن اتحاد الجمهوريات، وبدأ ينتقد دور السوفييت، وأسهب في التطرق إلى المشاكل التي تواجه الوحدة وخلص إلى القول إنه لن يستطيع أن يستمر في العمل الوحدوي إلا إذا كان معه معمر القذافى وكامل أعضاء مجلس قيادة الثورة وكرر هذه العبارة عدة مرات وكامل أعضاء مجلس قيادة الثورة.

ثم فتح المجال لبعض التعليقات رفعت يدي، وبطبيعتي الثورية البسيطة قلت له يا أخ الرئيس، نحن جئنا إلى مصر لنحتفل بثورة 23 يوليو وكانت الجماهير متحمسة لكن قطع الطريق بالقطار سيسبب ردة فعل سلبية، وما أن قلت ذلك حتي قاطعني الخروبي وقال يا مصطفى، أي قطار هذا اللي في فوكا، القطار اللي جنب الطريق من مخلفات الحرب، وغير مجرى الحوار وقال للسادات هذا طالب في كلية الطب ومتحمس لمصر ونحن نسميه المصري! فهمت الرسالة وأن الأمور ملغومة وعليا الصمت فشكرت الرئيس واعتذرت، سلم الوفد وثيقة مكتوبة بالدم من أجل الوحدة وتحدث بعض الأخوة حول الوحدة وأهمية التكامل الليبي المصري السوداني، لم يعلق السادات فاستأذن الخروبي وانصرفنا، تقررت عودتنا مباشرة بعد اللقاء إلى بنغازي، عند خروجنا من القاعة وجدت الخروبي ينتظرني بالباب طلب مني أن أذهب معه في السيارة إلى الطائرة ولم يقل لي شيئًا، بعد أن أقلعت الطائرة أخذ في تنبيهي إلى خطورة ما أقدمت عليه وقال لي أنت في مصر والسادات متوتر ويعتقد أننا "مسلطينك" عليه لإهانته، وبعدين الأخ

هذه عندنا ما تمشيش عندهم، وقال لو ما "جبتكش" معي راك في دار خالتك!.

ونحن نتذكر تلك الأيام بما فيها من صعوبات ونضال علينا أن نطرح على أنفسنا السؤال كيف كنا وكيف أصبحنا، من الدعوة إلى الوحدة الاندماجية مع دول الجوار، إلى محاولات لوقف إطلاق النار بين المدن والقرى الليبية!

حوار ساخن في جو مشحون في معسكر البركة!

في الطائرة الخاصة التي نقلتنا من القاهرة إلى بنغازي اتفقنا على آلية للتفاعل مع استقالة القائد ومناقشة ما طرحه السادات، ضمنها أن يذهب بعض الإخوة إلى طرابلس للحوار مع بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة المنسحبين منه، ومن بينهم مختار القروي، وكلف الأخ حميد جلود والشكشوكي وآخرون بمواصلة الرحلة مع الرائد الخروبي إلى طرابلس، ونزلنا البقية في بنغازي وذهبنا مباشرة إلى معسكر البركة، حيت كانت حشود جماهيرية تحاصره للمطالبة بعدول القائد عن استقالته، دخلنا إلى مكتب سليمان محمود ووجدنا بعض الضباط الذين بادرونا بالاتهام بأننا سبب استقالة القائد لأننا ذهبنا لمبايعة السادات، ربما اعتقد بعض الضباط فعلا أن استقالة القائد هي نتيجة للمسيرة، أو ربما هناك شخوص وجهات هي من سربت أن من نظم المسيرة هم السبب في ذلك، في مكتب سليمان محمود أحضر لنا أحد الجنود صحنًا به "زميته"، كنا نأكل الزميته عن جوع وأثناء ذلك أشتد النقاش حول المسيرة والوحدة وتهمة مبايعة السادات! قال الأخ صالح الشيخي لأحد الضباط المتحمسين ضد الوحدة، طالما أنت ضد الوحدة إذا لا تأكل معنا، وأخذ صحن الزميته من أمام الجميع!

النقاش الساخن بني على خليط من السطحية وعدم الفهم والإقليمية والنرجسية الشخصية، وفعلا بعض الضباط تساءل عن وضعه في دولة الوحدة حيث أغلب الضباط الليبيين رتب صغيرة جدًا فلو دمج الجيش فسيكون وضعهم في المراتب العسكرية الدنيا جدا، فالأغلبية ملازمون ونقباء، وفقط أعضاء مجلس قيادة الثورة رواد ومقدمون، بينما مصر بها كل الرتب العسكرية ومليئة بمن يحملون رتبة لواء، كان ردنا غاضباً، وهل نؤجل بناء الدولة القومية لأن رتبة سيادتكم متدنية وننتظر إلى أن تصبح رتبة لواء كثيرة في ليبيا، لكن الأخ إبراهيم البشاري كعادته كان أكثر دبلوماسية فأجاب بأنه، لا مشكلة ستمنح لكم ترقيات استثنائية، يبدو أن محتوى النقاش نقل إلى القائد رحمه الله، فتم استدعاء لجنة المسيرة إلى معسكر البركة ظهر اليوم التالي، وحضر بعض الضباط ومنهم من كان يناقش موضوع المسيرة، كان القائد حاسما وواضحًا أن الحل لنهوض الأقطار العربية هو الوحدة وأن ضغوطًا من جهة ما تمارس على السادات لينكص عن عهوده، أشار إلى أن هدف الضباط الأحرار الأهم هو الوحدة العربية، دار بعدها نقاش معمق واستمع إلى وجهات نظرنا جميعا، بالتأكيد أهم أهداف اللقاء كان ليستمع إلى تقييمنا للمسيرة، لكن أيضاً ليرد على أولئك الضباط الخائفين من رتبهم الصغيرة.

في المساء كانت الحشود قد ملأت المدينة الرياضية وأرغم القائد أمام الإرادة الشعبية على التراجع عن الاستقالة.

لقد كانت أياماً مجيدة لم نذق فيها طعم الراحة لكن معنوياتنا كانت تعانق السماء، فنحن أكرمنا الله بالمساهمة في بناء الأمة والمشاركة في معاركها الأساسية، لقد مارسنا نضالًا سلمًيا شعبيًا من أجل بناء الدولة العربية الواحدة، وأنجزنا مشروعاً تعبوياً وطنياً كانت

له آثار مهمة في تعزيز بناء ليبيا حديثة ديمقراطية تقدمية صاعدة إلى العلا، ووضعنا اللبنات الأولى لتنظيم وحدوي وطني من خلال التواصل المباشر مع القيادات الشابة من كل أنحاء ليبيا.

أصعب الامتحانات!

شغلنا العمل النضالي الشعبي عن الدراسة والامتحانات خاصة نحن طلبة كلية الطب، أغلب جوانب معركة الثورة الشعبية حصلت في فترة الامتحانات النهائية، كان النظام الدراسي لكلية الطب ينقسم إلى ثلاث مراحل، مرحلة العلوم الأساسية وتضم علوم التشريح ووظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية وعلم الأنسجة، ومدتها سنتان متصلتان تنتهي بامتحان نهائي تحريري وعملي وشفوي، والمرحلة ما قبل السريرية ومدتها سنة دراسية وتدرس بها علوم الأمراض والأدوية وعلم الأحياء المجهرية وعلم الطفيليات، ويجرى امتحان نهائي بعد اتمامها، ثم المرحلة السريرية، ومدتها سنتان وتدرس بها علوم الباطنة وفروعها، والجراحة وفروعها، وأمراض النساء، وطب العيون، والطب الشرعي، والسموم، وصحة المجتمع، ولا يسمح بالانتقال من مرحلة إلى أخرى إلا بعد اجتياز المرحلة.

عندما انخرطنا في برنامج التوعية الشعبية كنا في نهاية المرحلة الأولى وكان علينا دخول الامتحانات في شهر يونيو لكننا لم نتمكن، كنا نعتقد في أنفسنا أننا ننجز أعمالًا وطنية تفوق أهميتها دخول تلك الامتحانات، إلا أن اقتراحًا غريبًا ومستفزًا نبهنا إلى أهمية العودة فورا إلى الامتحانات، فبينما كنا في الإذاعة في نهاية شهر يوليو1973 اتصل الأستاذ علي الشاعري من طرابلس، لينقل لنا أن الرائد بشير هوادي أصدر تعليماته باعتماد قرار اللجنة الشعبية لكلية الحقوق بترحيل الطلبة جميعا للعام الدراسي بسبب انخراطهم في الثورة الشعبية، وشمل القرار الطلبة من الكليات الأخرى الذين نفذوا العمليات التعبوية بعد خطاب زوارة.

بالنسبة لي كان خبرًا سيئاً ولم يكن خبرًا سارًا، فهو يسيء لنا أولًا، ويؤثر في مصداقيتنا ثانياً، فسنظهر وكأننا دخلنا المشروع الثوري هروباً من الامتحانات.

في الفيلا حيث يقيم الفريق، والتقينا خمستنا طلبة الطب أحمد التير، وعطية اجعي، ومنصور عيسي، وأحمد راشد، طرحت عليهم الخبر فواجهوه جميعا باستنكار، حقيقة كان الهاجس المسيطر على النقاش، هو كيف سيكون وضعنا مع زملائنا بأن نكون نحن مرحلين وهم اجتازوا الامتحان؟، خاصة وأننا سننتقل من مرحلة إلى أخرى، كما أوردت، في كلية الطب كنا ندرس علوم التشريح والأنسجة والكيمياء الحيوية ووظائف الأعضاء على مدى سنتين متواصلتين كمرحلة واحدة بدون أي نوع من أعمال السنة، ثم يجرى الامتحان النهائي، تحريري وعملي وشفوي، أي أننا مطالبون بالامتحان في كامل المنهج للسنتين، وعلوم المرحلة الأساسية طويلة وصعبة.

لاشك بأن اتخاذ قرار في شأن القبول بالترحيل كان أمراً مستحيلا بالنسبة لنا، فمن جانب سنكون حالة شاذة أمام زملائنا الذين اجتازوا الامتحانات، ومن جانب آخر سيؤثر على وضعنا المهني المستقبلي، أما الجانب المهم هو إن رفض الترحيل يعني دخول امتحان الدور الثاني وضرورة النجاح فيه وإلا سنفقد سنة دراسية، الذي يجعل الوضع معقدا أكثر أننا لم نحضر نهاية المحاضرات التي أعطيت في شهر مايو وأن كنّا قد استكملنا دراسة أغلب المنهج، ولم تتح لنا فرصة للمراجعة طيلة أشهر مايو ويونيو ويوليو، لذلك فإمكانية الإخفاق في اجتياز الامتحان عالية نسبياً لأي منّا، فلن توجد فرصة لدور ثان ولا إمكانية للانتقال إلى مرحلة ما قبل الإكلينيكي السنة الثالثة، خضنا نقاشاً

مسؤولاً خلص إلى رفض جماعي لقرار الترحيل والاستعداد لدخول امتحان الدور الثاني مهما كانت النتائج، عقدنا العزم وقررنا الدخول للامتحان مهما كانت النتيجة فعدم اجتيازه أهون من أن نلتحق بالسنة الثالثة كمرحلين دون امتحان.

اتفقنا على الاعتكاف التام والمذاكرة الجماعية لكي يساعد كل منا الآخر، اتصلنا ببعض الدكاترة لمساعدتنا في شرح بعض المواضيع التي لم نحضرها، في بيت الطلبة رقم 4 عزلنا أنفسنا كليا عن العالم الخارجي طيلة شهري أغسطس وسبتمبر وأثناء الامتحانات، وسيلة التواصل الوحيدة المتوفرة وقتها هي المذياع، الأخ عبد الله المقري كان في السنة النهائية من كلية الآداب ولم يلتحق هو أيضًا بالامتحانات في شهر يونيو، وتضامن معنا في رفض الترحيل أيضًا وقرر دخول الدور الثاني، قرر الإقامة معنا ببيت الطلبة رقم 4 في منطقة سيدي حسين.

كان موعد امتحانات الدور الثاني للمرحلة الأولى يوم 10 أكتوبر 1973 قضى نظام الامتحانات التي أجريت للمرة الأولى في ليبيا بأن يتولى أساتذة زوار من الخارج الإشراف عليها، وامتحان الطلبة شفوياً وعملياً وتصحيح أوراق الإجابة التحريرية، في الدور الأول أستدعي ممتحنون من بريطانيا ومن مصر، كان ذلك أهم تحدي واجهته في مسيرتي الطلابية والعملية، لقد كان قراري الخاص يقضي بضرورة اجتياز الامتحان بنجاح وألا أسمح لنفسي بالفشل تحت أي ظرف، طبعا كنت متوكلاً على الله لكني قررت بذل أقصى جهدي للإلمام بالمنهج الطويل والواسع وباللغة الإنجليزية.

كان شهر أغسطس وشهر سبتمبر بمثابة شهري انتحار، حاولنا جاهدين أن نأتي على المنهج الطويل الممتد لمدة عامين، وتمكنا من الحصول على أسبوع مراجعة عملية في بداية شهر سبتمبر حيث قام عدد من الأساتذة المتواجدين بالكلية بمساعدتنا في الإلمام به وخاصة المرحوم الدكتور علي عبدالله من قسم التشريح، والدكتور أحمد سليم من قسم الكيمياء، وما أن دخل شهر أكتوبر، حتى بدأ العد التنازلي فصرنا نحسب الوقت بالساعات، دخل علينا أيضًا شهر رمضان المبارك فكان علينا مواجهة ساعات الصوم الطويلة، والمذاكرة المضنية والرطوبة العالية التي تتمتع بها بنغازي، إضافة إلى لسعات الناموس الذي يعشعش في غرفنا، كلها أمور ترابطت وتجمعت علينا، لكن لم تكن أمامنا خيارات أخرى.

قبل الامتحانات بأربعة أيام اندلعت حرب أكتوبر، في البدء احتسبناها ضمن معارك حرب الاستنزاف، فلم نكن نتابع المذياع، لكن بعد وقت قليل علمنا أنها حرب حقيقية وعلى كل الجبهات، توهمنا أن معركة التحرير قد اندلعت شرارتها، فلم نستطع أن نبتعد كثيرا عن متابعة الأحداث، وبدأ يظهر شغفنا بالاستماع إلى الأخبار والانتصارات القومية، لكن صرامة الدكتور أحمد التير أجبرتنا أن نلقي بالمذياع جانبا وأن نواصل المذاكرة، كان الأخ عبدالله المقري في غرفة بجانبنا يستمتع بالاستماع إلى البلاغات العسكرية وبين الفينة والأخرى يدخل علينا من البلكونة حاملاً ملخصاً لآخر البيانات العسكرية، كان عبدالله قومياً عاطفياً وأخذ يردد علينا "سأصبح منذ اليوم ساداتياً"، فلقد صور الإعلام أن السادات قارب من تحرير فلسطين، إلا أن صدمة الثغرة التي تحولت إلى "دفرسوار" ومن ثم إلى الخيمة مائة وواحد ردت أخانا عبد الله إلى صوابه.

يوم 10 أكتوبر بدأت الامتحانات التحريرية ولم يتمكن الممتحنون الزوار المصريون من الحضور، وتم الاكتفاء بالممتحنين القادمين من بريطانيا، فكانت تلك صعوبة إضافية لمعاناتنا فعلينا التحدث فقط في الامتحان الشفوي باللغة الإنجليزية، وثانيا الممتحنون الإنجليز لم يشاركوا في التدريس ولم يعرفونا من قبل على عكس المصريين الذي كانوا يحضرون دوريا كأساتذة زوار.

لقد كانت امتحانات تلك المرحلة من أصعب الامتحانات التي خضتها، رغم ثقتي بأنني قادر على اجتياز الامتحان إلا أن خوفي كان يسيطر على ذهني خاصة عدم تمكن أي من الإخوة من اجتيازه فعندئذ سأشعر بالذنب لأني كنت السبب في عدم استفادتهم من قرار الترحيل، ولهذا السبب طلبت من الأستاذ على الشاعري أن يحتفظ بعض الإخوة بحقهم في قرار الترحيل إن فشلوا في الامتحان، غير أن الفكرة لم تكن مقبولة لتطرح على القيادة، الله الرحمن الرحيم اللطيف بعباده الصادقين ساعدنا ووفقنا جميعًا في الامتحان وبتقديرات جيدة، كنّا قد طالبنا بالاحتفاظ بحقنا في التقدير، ووافق رئيس الجامعة آنذاك على طلبنا، حيث اعتبر غيابنا مشروعا.

انتهت الامتحانات، وانتهت حرب التحريك، وتصاعد الخلاف بين القائد والسادات، إذ بين القائد في كلمة له إلى الأمة أن حقيقة تلك الحرب لم تكن لتحرير فلسطين بل لحلحلة الوضع، وأنها ربما كانت سيناريو متفق عليه، لأن فكرة الثغرة و"الدفرسوار" لم تكن مقبولة، ورفض القائد التفاوض علي وقف إطلاق النار غرب السويس عند الكيلو 101 من القاهرة وأن الأجدى صد القوة التي تسللت إلى غرب القناة ومن تم التقدم في سيناء، وكان الجيش الثالث المصري بقيادة الجنرال سعد الدين الشاذلي يحرز تقدمًا كبيرًا في جنوب سيناء، وكان

رد السادات قاسياً، واعتبر أن القائد يستهين بانتصارات مصر إلى آخر ما تردد وقتها.

بمجرد أن خلعنا من على ظهورنا عبء الامتحانات حتى التحقنا بالإذاعة، وبدأنا في توجيه برامج إلى القوى الثورية العربية وقمت أنا والأخ عمار الطيف بتطوير برنامج صفحات على طريق الثورة العربية، كنّا نعد مادته ونقدمه على الهواء مباشرة، تطور هذا البرنامج لاحقا إلى إذاعة موجهة اسمها صوت الوطن العربي الكبير وكلف رمضان عبدالله بإدارتها وكنت أنا والأخوان عمار الطيف ورمضان عبد العزيز في لجنة إدارتها الشعبية.

***

المحطة التاسعة

أطباء تحت التدريب

التدريب الإكلينيكي الطبي في ليبيا

أهم الإنـجازات في مجال التنمية البشرية

كان اهتمام القائد شخصيا والدولة بشكل عام بالتعليم الجامعي كبيرا، كان رحمه الله يتابع كل كبيرة وصغيرة، وكان يحرص على توفير الإمكانات اللازمة والمناخ المناسب لالتحاق أكبر عدد من الطلاب بالتعليم الجامعي، وفتح كل مجالات الدراسة بالداخل، كان القائد على تواصل دائم مع الطلاب بكل الكليات في طرابلس وبنغازي يناقش معهم تفاصيل مشاكلهم، وكان مهتما على وجه الخصوص بطلبة الكليات العلمية خاصة كليتا الطب والهندسة، وأعطى رعاية خاصة لكلية الطب وكان دائما يسألني عن الظروف التعليمية بها، لذلك لم تجد إدارة الكلية صعوبة في الموارد المالية المطلوبة وتوفير الكتب والمراجع ومستلزمات التعليم، تمكنت من دعوة أساتذة كبار من مصر، والعراق، وبريطانيا، وإيرلندا لتدريس طلبة كلية الطب بشكل تام "مقيمين ومتفرغين للتدريس" أو كأساتذة زوار لمدة من الزمن لا تقل على أسبوعين، ولقد كانت الدفعات الأولى محظوظة جدًا بأن تعلمت على أيدي نخب علمية عالمية، وكذلك تم امتحانها في كل المراحل وتمت وإجازتها من قبل ممتحنين عالميين.

كان القطاع الصحي يعتمد في خدماته على أطقم طبية أجنبية في كل البلاد تقريبًا، مع نفر محدود من الليبيين كأطباء أغلبهم حديثو التخرج أو ممرضين أو فنيين في المدن الكبيرة، خريف 1974 للمرة الأولى في تاريخ ليبيا شهدت مستشفيات مدينة بنغازي 41 طبيبًا وطبيبة يلتحقون بالتدريب العملي لطلبة السنوات النهائية لكلية الطب، وهي تجربة لم تكن معهودة للسلطة الصحية، وكذلك غريبة للمرضى وعلى الطواقم الطبية المساعدة، لكنها أيضًا كانت مثيرة إذ أصبح المرضى يلتقون مع أطباء ليبيين يعرفون تفاصيل مشاكلهم ولهجتهم ويدركون طبيعة حياتهم، بعد أن كانت الخدمات الطبية تعتمد على عناصر طبية وافدة سواء الأطباء الصينيين أيام المملكة أو الأطباء المصريين والباكستانيين والهنود، الذين كانت وزارة الصحة تتعاقد معهم فرديًا، أو فرق طبية متكاملة من أوروبا الشرقية الذين تعاقدت معهم لتسيير المرافق الصحية التي أنشئت فى كل مدينة تقريبًا.

بعد اجتياز السنة الثالثة من كلية الطب عام 1974، نظمت لنا رحلة تدريبية إلى بريطانيا للحصول على دورة للتدريب "قبل الإكلينيكي" في مستشفى "قايز" في لندن، بالنسبة لأغلبنا كانت فرصته الأولى ليرى أوروبا، كلف الدكتور إبراهيم كشبور محاضرًا في قسم الميكروبات، ليرافق الرحلة العلمية، استمرت الدورة التدريبية طيلة شهرين، أقمنا خلالها بالبيت الطلابي التابع لجامعة لندن، ما أن وصلنا لندن حتى سرعان ما اقتحمنا مجاهيلها وعرفنا اتجاهاتها ولم نرى لكشبور أي أثر، حيث تركنا وشأننا، لقد غادرنا ولم نلتقه إلا يوم عودتنا، على ما يبدو بالنسبة له الأمر المهم أنه استطاع أن يؤمن سفرا

على حسابنا! انتظمنا في التدريب الإكلينيكي، وتسابقنا على شراء بعض الملابس من شارع إكسفورد.

كنا نحضر المحاضرات والتدريب العملي في الصباح وفي المساء نتفرغ للسياحة، ونظمت لنا رحلات إلى بعض المناطق اللندنية.

من لندن تابعنا مباشرة تفاصيل فضيحة "وترجيت"، التي هزت البيت الأبيض، كما تابعنا خطاب "ريتشارد نيكسون" الشهير إلى الأمريكيين حيث أعلن مكرها استقالته وخلفه نائبه "جيرالد فورد".

ومن لندن أيضًا تابعنا وقع القتال بين الأتراك واليونانيين في قبرص الذي نتج عن التدخل التركي في الجزيرة، وحضرنا مباشرة عراكًا بين الطلبة اليونانيين والأتراك المقيمين معنا بالبيت الطلابي.

رجعنا إلى بنغازي مع بداية شهر أكتوبر للدخول في الدراسة الإكلينيكية بالمستشفيات، وهي: مستشفى الجلاء للجراحة، ومستشفى الجمهورية، ومستشفى الأطفال، كانت ترتيبات الكلية تقضي بأن نمضي طيلة فترة الدراسة بالمستشفى، التخصصات الأساسية هي أمراض النساء، والعيون، وصحة المجتمع، والطب الشرعي، والجزء الأول من تخصصات الجراحة والباطنة والأطفال، في كل تخصص يتواجد الطلبة طيلة اليوم الدراسي بالمستشفى حيث المحاضرة النظرية يليها تدريب إكلينيكي بالأقسام والعيادات، وأخيراً في المساء مناقشة علمية مدتها ساعتان، في مستشفى الجمهورية المركزي انطلقت عمليات التدريب في أقسام النساء والتوليد والباطنة العامة بسلاسة، وكذلك الحال في مستشفى الأطفال المحور حديثا، إلا أن مدير مستشفى

الجلاء للجراحة الدكتور محمد القندوز كان له رأي آخر غريب، منع تدريب مجموعة الجراحة وكذلك منعها من الدخول إلى المستشفى بذريعة أنه لم يتم التنسيق معه، وتمكن بحكم علاقته بمراقب الصحة في بنغازي الدكتور عبد الهادي كويري، وبسبب حساسية شخصية من الدكتور مراد لنقي الذي لم يوافق على ضمه إلى عضوية هيئة التدريس، تمكن من فرض إرادته وتوقف تدريب تلك المجموعة لعدة أيام، رفض البرنامج متعللاً بأن المستشفى يتبع وزارة الصحة ولا يتبع وزارة التعليم والجامعة، حاول الأستاذ بكار أمين عام الجامعة معالجة المشكلة وديا مع محافظة بنغازي لكن تصلب القندوز وعدم مرونة الكاديدي عميد الكلية لم تسمح بحل الإشكالية، صدرت تعليمات من وزير الصحة آنذاك الدكتور المرحوم مفتاح الأسطى عمر بأن يتم تدريب الأطباء، لكن القندوز لم ينفذها، وإمعانا في التحدي كان يأتي للمرضى ويقول لهم: هل تريدون الطلبة أن يتدربوا عليكم؟ بالتأكيد السؤال الماكر مكنه من جمع توقيعات وحملها إلى أمين صحة بنغازي وهكذا حصلت زوبعة طويلة عريضة بسبب تعنت القندوز وتغليبه لمصلحته الشخصية.

أمام عجز الكلية وتعنت مديرالمستشفي وسيطرة العلاقات الاجتماعية على متطلبات العمل في بنغازي، تدارسنا الأمر فيما بيننا باعتبارنا المتضررين من هذا الوضع، اتفقنا أنه لا يبدو وجود حل بدون أن نسافر إلى طرابلس ونطرح الأمر على المسؤولين في الصحة والتعليم وربما نطرحه على القيادة، الذين تربطنا بهم علاقات طيبة أخذنا حافلة من الجامعة جميع طلبة الدفعة الأولى إلى طرابلس، بعد

يوم من السفر عبر الصحراء وتوقفات قصيرة في اجدابيا وبن جواد وسرت وزليتن وصلنا صباح اليوم التالي، تواصلت مع الأخ أحمد رمضان قلم القيادة وشرحت له الأمر وإننا طلبة الدفعة الأولى من كلية الطب لدينا صعوبات في الدراسة ونأمل أن يتدخل القائد لمعالجة الأمر، بعد فترة انتظار قصيرة رد عليا وقال إنه أبلغ القائد الذي وجّه وزير التعليم بالخصوص، سوف يقابلكم الدكتور محمد الشريف وزير التعليم ولديه تعليمات واضحة بالخصوص، وبدل انتظار اتصال الإخوة في وزارة التعليم قررنا أن نذهب مع مجموعة من الإخوة لمقابلة الأخ الوزير وهو صديق لأخي الأكبر المرحوم الحاج علي وابن منطقتي الدكتور المناضل محمد أحمد الشريف، فور وصولنا إلى مقر الوزارة بالظهرة، استقبلنا بحفاوة فى مكتبه كعادته دائما، شرحنا له تفاصيل المشكلة، استمع إلينا بعناية، وشكرنا على حضورنا، قال بكل تواضع كان ينبغي أن يبلغني الإخوة بالجامعة عن المشكلة وأنا من أحضر إليكم، وأن القائد وجهه بمعالجة الأمر مع وزارة الصحة واتخاذ كل ما يلزم من إجراءات، وطلب أن يحضر بقية الطلبة لمقابلتهم، قلنا له إن المشكلة ليست مع وزارة التعليم، بل مع الإخوة في مراقبة الصحة بنغازي، وإننا رغم تقديرنا لمشاغلهم فإننا سنبقى بطرابلس إلى أن تتخذ إجراءات واضحة من وزارة الصحة لحل المشكلة تمامًا ونهائيًا، رحب ببقائنا وأمر بإسكاننا في سكن طلابي مفتتح للتو في منطقة باب بن غشير، حضر في المساء مصحوبًا بالأخ الدكتور المرحوم مفتاح الأسطى عمر وزير الصحة، وفتح نقاشًا موسعًا وتفصيليًا حول طبيعة المشكلة وأسبابها الموضوعية والذاتية، وتطرق النقاش إلى أنه في أغلب دول العالم توجد مستشفيات جامعية تتبع الجامعة إداريًا وماليًا، تنفذ بها البرامج التعليمية والتدريبية لطلاب

كلية الطب، والكليات الصحية الأخرى التي تتطلب برامج التعليم بها تدريبات إكلينيكية، فى ليبيا كانت المرافق الصحية محدودة جدًا، ولقد شرع في إنشاء مستشفيات حديثة وزعت على مراكز المحافظات، وبالنظر لافتتاح كلية الطب في مدينة بنغازي ذات الكثافة السكانية المحدودة وقتها ووجود مرفقين صحيين يمكن استغلالهما للتعليم الطبي وهما مستشفى الجمهورية والجلاء، إضافة إلى مستشفى الأطفال الذي افتتح في ذلك الوقت، وكانت الكلية أنشئت كمباني متنقلة بمستشفى صغير للجيش الإنجليزي بعد الثورة سمي مستشفى 7 أكتوبر، يقدم خدمات محدودة لقلة الكثافة السريرية به، ومستشفى التأمين بالهواري تحت الإنشاء، كان السؤال هل يمكن أن تتنازل وزارة الصحة عن أحد مستشفياتها الكبرى لتتحول إلى مستشفيات عامة متعددة الأقسام وتضم إلى الجامعة؟ عدد مستشفيات بنغازي وعدد السكان وقتها لا يسمح من الناحية العملية بذلك، بعد نقاش توصلنا إلى فكرة لإدارة المستشفيات بشكل مشترك بين الجامعة ومراقبة الصحة في بنغازي، من خلال تأسيس هيئة مستقلة لإدارة المستشفيات التي يتم بها التدريب الكلينيكي، تدار من لجنة من رؤساء الأقسام السريرية بالكلية ومراقب الصحة ومديري المستشفيات، ويختار أمين تنفيذي لها من أعضاء هيئة التدريس، ومجلس أعلى يرأسه وزير الصحة ويضم وزير التعليم، ووكلاء وزارتي التعليم والصحة، وعمداء كليات الطب ومراقبي الصحة في المناطق التي بها كليات الطب، كانت الفكرة مقبولة من الوزيرين، وفى اليوم التالي حضر لنا وكيل وزارة الصحة المرحوم عبد المجيد عبد الهادي الذي حاول في إطار تنازع الاختصاصات وضع اشتراطات على أساس أن ذلك قد يعرقل وزارة الصحة في تقديم الخدمات المطلوبة منها وعدم قدرتها على الإشراف

المباشر عن المرافق الصحية، حاول البحث عن أعذار لإجهاض الفكرة، لكن حماسة الدكتور مفتاح الأسطى عمر حسمت الأمر وقدمت مذكرة مشتركة موقعة من وزيري الصحة والتعليم إلى مجلس الوزراء، قمنا مع مجموعة من الإداريين من الوزارتين بالمساهمة فيها، احتوت على مشروع قرار بإنشاء مجلس المرافق الصحية التعليمة كهيئة إدارة مشتركة بين الصحة والتعليم لإدارة المرافق التي تجرى بها عمليات تدريب طلاب كلية الطب.

نعم الفضل الأول والأخير يرجع إلى طلبة الدفعة الأولي لكلية الطب بجامعة قاريونس الذين فكروا وساهموا في صياغة ولادة هذه المؤسسة التي ساهمت في تذليل الكثير من الصعاب، وشكلت حلًا عمليًا مكن من تحويل أغلب المستشفيات في ليبيا إلى مستشفيات جامعية مضمونا وبقيت مستشفيات تتبع وزارة الصحة إداريًا خاصة بعد الانتشار الأفقي الواسع للتعليم الطبي في كل المدن الليبية تقريبًا، كما تم تجاوز التفكير بعقلية التنافس بين القطاعات والأفراد، تحول أغلب المستشفيات في ليبيا إلى مستشفيات جامعية ساهم في تطويرها وتحسين خدماتها.

رجعنا إلى بنغازي وقبل أن نصل إليها في رحلة العودة صدر قرار مجلس الوزراء بالموافقة على المذكرة المقدمة من وزيري الصحة والتعليم بشأن إدارة المرافق الصحية بالمناطق التي بها كليات طبية، أنشئ بموجب القرار الذي وقعه الرائد الخويلدي الحميدي الذي كان يتولى رئاسة الوزراء بالوكالة وقتها مجلس المرافق الصحية التعليمية وهياكله واختصاصاته.

لقد ساهم تأسيس المرافق الصحية في انطلاق التدريب العملي لطلبة الطب، ووضع أسس عملية لتعاون القطاعات في مجالات إعداد الكوادر البشرية في المجال الطبي.

كان الدكتور مراد لنقي متحمسًا لأن يقضي الطلبة أطول فترة بالمستشفيات للتدريب العملي وهو يعتبر أن الطب مهنة تكتسب بالممارسة وليس فقط بالدراسة، لذلك حرص على إقامة الطلبة داخل المستشفيات من أجل تنفيذ برامج إكلينيكية حقيقية، ولقد نجح في ذلك طيلة السنتين الرابعة والخامسة، انتقل الطلاب من القسم الداخلي للإقامة بأجنحة خاصة ألحقت بالمستشفيات، وانقسم الطلبة إلى مجموعات صغيرة كانت تناوب طيلة 24 ساعة في أقسام الطوارئ والإسعاف بالإضافة إلى التدريب الإكلينيكي الصباحي والمحاضرات والمناقشات، لقد نفذ برنامج تدريس وتدريب راق جدًا ساهم في إعداد متطور لطلبة الدفعات الأولى من كلية الطب.

***

المحطة العاشرة
الثورة المستمرة

تعبئة ثورية في سرت

أثناء عمليات التصعيد الشعبي في مدينة سرت حصلت صراعات قبلية وإشكاليات بين المواطنين بالمدينة، يقطن القذاذفة والفرجان، ومصراتة، والهماملة، وورفلة، ويشكلون ثقلها القبلي، بينما يقطن أولاد سليمان بشكل رئيس في هرواة، والعبادلة في الوشكة، في وقتها سرت لم تكن مدينة ولا حتى قرية كانت توجد بها مدرسة إبتدائية حولت إلى إعدادية بعد الثورة ومحطة وقود، ومبنى للبلدية، ومقهى وبعض البيوت المتناثرة، وسوق شعبي مفتوح، السكان متناثرون في أودية تلال وجارف وسواوه، بعد الانفراج الذي حدث بعد الثورة حصل صعود للتفكير القبلي وحاول الانتهازيون استغلاله للظفر بعضوية اللجان الشعبية وللحصول على حظوة في المنطقة، سرت لم تكن استثناء، فتشكلت لجنة شعبية على أسس قبلية للأسف، صاحبتها تفاعلات عنيفة بعض الأحيان هددت التعايش في سرت، كانت الإشكاليات القبلية المصاحبة للتصعيدات تحل اجتماعيا من خلال لجان التوعية الشعبية وقيادات الاتحاد الاشتراكي، وكان يحضر تدخل الشرطة وأجهزة الأمن في التفاعل الشعبي مهما كانت الأوضاع، وعموما لو قيست نسبة المشاكل القبلية وأعمال العنف التي صاحبت التصعيدات طيلة عقود سلطة الشعب لوجدت أنها قليلة مقارنة بالانسيابية في أغلب المناطق.

في أوائل يناير 1974 استدعيت إلى طرابلس، وطلب مني الأخ القائد رحمه الله تشكيل فريق من الطلاب الثوريين والذهاب إلى سرت والوقوف على حقيقة المشاكل الواقعة بها، وتنظيم لقاءات مع المواطنين وتوضيح معاني السلطة الشعبية لهم، أتصور أن القائد اختارني لهذه المهمة لحساسيتها، ولكون بعض من أفراد قبيلته طرفًا فيها، فهو يبحث عن تقييم موضوعي بعيدًا عن التأثيرات الاجتماعية، ويريد أن يسمع الناس من طلاب الجامعة حقيقة المشروع الشعبي الذي طرحه، وفعلًا اخترت الأخوين إبراهيم صكح، وعبدالله المقري، وشابين من طلبة المرحلة الثانوية بنغازي لم أتذكر اسميهما، وانطلقنا في رحلة توعوية إلى مدينة سرت، في غنيمة حيث يقيم الأخ إبراهيم صكح، تناولنا وجبة إفطار دسمة ثم واصلنا رحلتنا، في سرت أقمنا بالفندق الوحيد الذي كان يسمى فندق المدينة، وبدأنا في الاتصال بالمجموعات الفاعلة والحوار مع المصعدين إلى اللجنة الشعبية، كان عميد البلدية وقتها رجل وقور من قبيلة الفرجان اسمه سالم أبوبريق، كان رجلًا طيبًا استقبلنا استقبالًا حسنًا وشرح وجهة نظره فيما جرى، وكان المصعد بدلا عنه عبدالله علي حصائر وكنا نعرفه فهو من رفاقنا في بنغازي، كان رجلًا بسيطًا مخلصًا ثوريًا وحقيقة لم يكن يرغب في التصعيد بالبلدية فهو يفضل الإقامة في بنغازي لكنه جاء محرجاً من القائد واحتراماً لإرادة الناس، في الواقع لم نلمس مشكلة صعبة معقدة فالسيد أبوبريق غير متشبث بالبقاء في البلدية، والأخ عبدالله ليس حريصا على استلام العمل بها، لذلك كان الشق الأول من مهمتنا وهو تقييم الوضع الحقيقي بموضوعية أمرًا سهلًا، وتمكنا من التوافق مع المصعدين على آلية لتكليف عميد البلدية دون الدخول في صراعات

وفتن قبلية بالمنطقة التي تحتاج إلى جهود الجميع لتنميتها وتطويرها خاصة مع انطلاق مشروعات التنمية الزراعية في وديان جارف وتلال، ثم بدأنا في إجراء اللقاءات مع وجهاء القبائل والفعاليات الاجتماعية، التقيت لأول مرة مع المرحوم خليفة حنيش وكان وقتها مديرًا لمشروع وادي تلال الزراعي، وكان منهمكا في تنفيذ المشروع، أحرج كثيرا عندما طرحت عليه بعض مما سمعناه شفاهة من بعض الناس الذين التقيناهم والذين يتهمونه بأنه المحرك لكل ما جرى، فلم يكن لديه اهتمام كبير بالتصعيد، كان همه الأول تأمين الثورة والمساهمة في إنجاز المشروعات، مناطق أبوهادي وجارف حيث مركز قبيلة القذاذفة أرض صحراوية لا توجد بها مساكن، والناس يقطنون بيوت الشعر والأكواخ، عدد من المساكن الشعبية تحت التنفيذ بالمنطقتين، لا توجد قاعدة القرضابية ولا معسكر أبوهادي ولا شيء من هذا القبيل.

في إحدى اللقاءات تعرفت على الحاج أبوزتايه أبومنيار ابن عم القائد، سألناه عن والد القائد رحمه الله وإمكانية السلام عليه، رحب بذلك ونظم لنا زيارة إليه في جارف، عندما انطلقنا صوب وادي جارف الذي بدأت به عمليات الاستصلاح الزراعي أيضًا ، كان الشابان من بنغازي متشوقين لرؤية والد القائد ويعتقدان أنه يقيم بفيلا، فلم تكن لديهما دراية بحياة البدو في الوديان القاحلة، وصلنا قبيل الظهر إلى خيمة شتوية، ووجدنا والد القائد رحمه الله ينتظرنا فقد أخبره الحاج أبوزتاية بقدومنا، بعد السلام رأيت حجم المفاجأة في وجوه الشابين فلم يكونا متوقعين ومصدقين أن الرجل الطيب البسيط الذي يرحب بنا

ويجالسنا هو المرحوم محمد أبومنيار بلحمه ودمه، فلقد أخذ منهما الذهول كل مأخذ، كانت الخيمة أقل من عادية وبدون أثاث، في ذلك الوقت الذي تطورت فيه حياة الليبيين بعض الشيء، تجاذبنا الحديث حول القائد، وذكريات الجهاد، كان رحمه الله متزوجًا من امرأة أخرى غير والدة القائد المرحومة عائشة بن نيران، حضرت لنا عصيدة، وطلبنا الإذن بالمغادرة، فعلا كما قال كاسترو: "معمر القذافي تربي في أسرة تعيش حياة بلوريتارية حقيقية وليست مصطنعة".

في اليوم التالي عقدنا لقاءً جماهيريًا كبيراً في سرت حضره حشد كبير بملعب المدينة جنوب الطريق الساحلي، وبالمناسبة كانت سرت محصورة فقط في الهضبة شمال الطريق الساحلي، أما التوسع غربا وجنوبا فهو نتاج النهضة العمرانية الكبيرة التي شهدتها ليبيا بعد انبلاج فجر الفاتح، كانت فرصة للحديث مع الناس مباشرة حول الثورة الشعبية والأخطار التي تتهددها، نقلت لهم تحيات القائد وشكره لهم وحرصه على الوئام الاجتماعي في سرت، كانت تلك رسالة قوية، فالقائد لم يختر أحدًا من أقاربه ولا من شيوخ القبائل لنقل رسالته، بل اختار طلابًا من الجامعة ومن مناطق خارج سرت ولا ينتمون إلى قبائلها ليبلغهم ما يريد إبلاغه.

إعلان جربة

حدثنا القائد رحمه الله عن الجهود التي بذلها السيد محمد المصمودي وزير خارجية تونس للوصول إلى الاتفاق التاريخي في جربة بين القائد والحبيب بورقيبة، ودوره في إعداد وصياغة ميثاقها، وكيف رتب للقاءات سرية مع الحبيب أبورقيبة، فهو يدرك أن الفرنكفونيين التوانسة المناهضين للمشروع القومي العربي لديهم نفوذ كبير ولهم القدرة على التأثير على قرارات الرئيس بورقيبة، لذلك اتسمت التحضيرات بالسرية التامة، إحدى اللقاءات نظمت عندما كان أبورقيبه مريضا يعالج بسويسرا وتم ترتيب لقاء بالقائد في جنيف، وكان شرط القائد أن يكون لقاءً شخصيا وسريا، وأن لا يحضره عملاء فرنسا ومنهم الهادي انويرة، وفعلا سافر القائد بشكل غير معلن في رحلة خاصة إلى جنيف لكن النكتة والصدمة كانت عندما وجد الهادي انويره يستقبله في المطار.

كان الصراع في تونس على أشده بين أجنحة الحكم خلف الستار، خاصة بعد إلغاء القوانين الشيوعية التي تبناها النظام التونسي فيما سمي بالإصلاح الاقتصادي لأحمد بن صالح، حيث تم تأميم كل الأنشطة الاقتصادية وطبق نظام شيوعي صارم من خلال التعاضديات، فأممت كل الملكيات الصناعية والزراعية والتجارة، وتأسست التعاضيدات لإدارة الخدمات والإنتاج، التطبيق الفجائي للفكرة وفي كل تونس، ووجود رؤوس أموال كبرى مرتبطة بفرنسا ووقوع تونس تحت الهيمنة الغربية سياسيًا، وسياسة أبورقيبة غير

المستقرة وفرديته في اتخاذ القرارات وتغيير الإتجاهات أزم فكرة التعاضديات وقاد إلى فشلها الذريع، أصبح بورقيبة يصاب كثيرا بالمرض ولا يستطيع متابعة التفاصيل الدقيقة لكن الصراع بين أحمد بن صالح الماركسي والقوى الفرنكفونية الرأسمالية كان شديدا وقويا، وفعلا نجح التيار الفرنكفوني وأقيل بن صالح من وزارة الاقتصاد وألغيت التطبيقات الاشتراكية دفعة واحدة.

عاد الصراع إلى وضعه الأصلي بين العروبيين وتيار فرنسا في السبعينيات، وكان محمد المصمودي وزير الخارجية يشكل واجهة التيار القومي الوحدوي الذي يرى أن مستقبل تونس مربوط بتعاونها مع محيطها العربي وفي تكاملها مع ليبيا، الفرانكفونيين كان يمثلهم انويرة والباجي قائد السبسي، ومحمد الصياح، والخوجات، وهم أدوات ينفذون الأجندة الفرنسية في تونس ويخدمون سياساتها ويعملون على عرقلة أي تقارب ليبي تونسي لأنه في نظرهم يهدد المصالح الفرنسية.

في ذلك اللقاء اجتمع القائد على انفراد مع بورقيبه واتفقا على مقترح المصمودي بإعلان الوحدة الاندماجية بين البلدين وأن يعملا بصمت وفي السر حتى لا ينتبه الأعداء ويفسدوا المشروع قبل ولادته، وفعلا التزم بورقيبة بوعده فلم يبلغ نويره بالتفاصيل، إلى أن كان لقاء جربة التاريخي.

في جربه كان كل شيء معدًا بعناية، حضر بورقيبة والمصمودي، وغاب فريق الهادي انويرة، وتم إعلان الوحدة الاندماجية الفورية بين تونس وليبيا، وتشكلت حكومة الوحدة، واتفق أن يكون بورقيبة رئيسًا لها، كان ذلك زلزالًا عنيفًا محلياً وإقليمياً

ودولياً، في تونس سبب الإعلان هستيريا في وسط الفرنكفونيين التوانسه وصلت إلى حالة الجنون، وفي الجزائر انقلبت الدنيا رأسا على عقب، فالمنافسة الليبية الجزائرية على قيادة المنطقة لم تكن خافية، وفي فرنسا أشعل الإعلان النار في قصر الإليزية فها هو القذافي يقضم أطرافهم ويسلبهم حلفاءهم، لم يجد الهادي انويرة ورهطه من الفرنكفونيين صعوبة في حشد موقف جزائري وفرنسي ضاغط على بورقيبة، استخدموا كل نفوذهم وقوتهم المدعومة فرنسيا، وحركوا الجزائر التي تخشى الوحدة الليبية التونسية لأنها تعتقد بأنها ستكون على حساب مصالحها، فتصاعد الضغط على بورقيبه الضعيف مما أضطره لإلغاء التزامه بتنفيذ بنود الاتفاق الإجرائية، عزل المصمودي من الخارجية بتهمة خداعه للرئيس وعمله لصالح القذافي، وهكذا وعلى الفور دخل إعلان جربة إلى أدراج التاريخ في عداد التجارب الوحدوية الفاشلة رغم ضخامة الأمل الذي عقد عليه لدى الليبيين والتوانسة والعرب عند إعلانه، لكنه بين حقيقة كانت تلمس بين السطور وهي أن الحكام العرب مهما تظاهروا بالقوة والشجاعة في اتخاذ القرار فأمرهم ليس بأيديهم وهم عبيد مأمورون يفعلون ما يشاء أربابهم في دوائر المستعمرين، لقد نكص السادات، وبورقيبة، والحسن الثاني على وعود قطعوها أمام الناس بالوحدة دون خجل ولا وجل، وهم يعتبرون أنفسهم من زعماء الأمة الذين لا يشق لهم غبار.

لقاءات مفصلية!

في أواخر شتاء 1974 نظم على عجل في مزرعة النصر بمنطقة تاجوراء مخيم مصغر استمر لمدة ثلاثة أيام حضره الشهيد القائد، وعشرات من الطلاب الثوريين من الجامعة، كان عبارة عن حلقة نقاش مفتوحة ومتواصلة في القضايا الثورية الفكرية وكيفية تصعيد العمل الثوري وتنفيذ مشروع الثورة الثقافية، أقام القائد معنا في المعسكر وكان يتصرف بالمخيم باعتباره أحد المشاركين به، كان الحوار ينصب بعمق حول الفكر الجماهيري الجديد، ونقد الأطروحات الماركسية، والدينية لإدارة الشعوب والأمم، والفرق بين النظرية الجماهيرية التي يعكف القائد على صياغتها، والفكر الرأسمالي والماركسي، وكانت تدور نقاشات مطولة مع القائد وفي ما بيننا حول تلك القضايا، طرحت تجربة الثورة الفرنسية وحكاية العقد الاجتماعي لـ"روسو"، وظهور الجمهورية بعمق، وكذلك تم التطرق إلى الثورة البلشفية، والصراع داخل الحزب الشيوعي الروسي بين البلاشفة والمناشفة، وانشقاق تروتوسكي وغيرها من الأمور السياسية الفكرية المتعلقة بقضايا الثورة، وتحولات الأمم التاريخية، كذلك طرحت الأسئلة حول التنظيم الطليعي في مصر الذي حاول جمال عبد الناصر بناءه داخل منظومة الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر، وأدواته ولماذا أخفق في الحفاظ على المشروع الناصري، وأهمية تقديم مشروع فكري سياسي واقتصادي متكامل وواضح متضمنا آليات التطبيق السليم والأدوات الحامية له. لم يكن معسكرًا تقليديًا ببرنامج

تقليدي، فلا محاضرة رئيسة، بل حلقة نقاش مفتوحة ومناقشات مطولة، أسئلة وإجابات، تم التطرق فيه إلى كل شيء بدون سقوف ولا محظورات، وتوطدت علاقة شخصية قوية ومتينة بين الشباب والقائد، فلم يكن كل الوقت للحوار السياسي والفكري بل كانت تتخلله حكايات عن الثورة ونشاط القائد مع الدول وما تصاحبها من أمور تثير الضحك أحيانا وتقييمه للقادة والشخوص التي يقابلها، وأيضا بعض النكت والتسلية والشعر.

لقد كان ذلك المخيم أهم ملتقى إعداد فكري وتثقيفي للقوى الجماهيرية قبل انطلاق معسكرات السابع من أبريل في صيف 1976.

غفلة عن عيد الثأر!

يوم 7 أكتوبر 1974 اتصل بي الأخ المرحوم أحمد المقصبي سكرتير مكتب المعلومات بالقيادة، أبلغني أن القائد وصل بنغازي من المنطقة الشرقية وأنه ذاهب إلى بيت الطلبة رقم 5 في جليانة ومطلوب حضوري أنا والأخ عمار الطيف، وعلى عجل استقلينا سيارة الأخ عمار، كنا نرتدي بدلة ليبية عبارة عن قميص وسروال - قبل أن تغزو البدل الصينية السوق الليبي - وما أن وصلنا حتى وجدنا القائد وعددًا من الإخوة الطلبة في حدود عشرة منهم سعد إسماعيل، ومختار القناص، والشارف الفرجاني وآخرون لم أتذكر أسماءهم، فبادرنا بالممازحة أنتم "جائين زي الملائكة " فقلت له لا، رقم 10 أبيض، وهنا أشير إلى فارق الطول بيني وبين أخي عمار، فعلق أحد الإخوة وقال: إن الزائدي لديه عقدة القصر ولهذا لابد أن يرافق أناسًا فارعي

الطول، كان حديثاً ودياً وأخوياً حول الجامعة ومشاكلها ومشاكل الطلبة والوضع العربي بعد حرب التحريك لمدة ساعة، لعله كان ينتظر من الحاضرين أن نفتح موضوعا محددا، فجأة سألنا ما هو تاريخ اليوم، تطوع الجميع بصوت واحد 7 أكتوبر!! صمت برهة "وقال ألا يعني لكم شيئًا"، وأردف "اليوم من الصبح وأنا أتابع الإذاعة وكأن هذا اليوم تاريخ عادي كغيره من الأيام"، وقال "أنا قمت بالثورة في الحقيقة من أجل 7 أكتوبر، لأننا أردنا أن ننتصر للآباء والأجداد ونثأر لهم، يوم 7 أكتوبر أخذنا بالثأر"، وقال بنوع من الحزن "لكن يبدو أن الليبيين لا يعنيهم الأمر"، وقال هازئا "لو تركنا الطليان مرات كان أفضل!" انقلبت الجلسة فورا إلى صمت شديد وظهرت ملامح الجدية لدى القائد والجميع، بدأنا بالحديث مبررين أن الإعلام لم يكن في مستوى الحدث، وأن الجماهير تحتاج دائما إلى من يذكرها بالأحداث المهمة، لم يعلق، ختم بقوله: "زين زين" وغادر.

مباشرة انطلقت أنا والأخ عمار إلى الإذاعة وكانت قريبة جدًا بشارع عبد المنعم رياض، واتصلنا بالإخوة في طرابلس ونقلنا لهم فحوى اللقاء، وأن القائد زعلان بعمق لعدم مواكبة هذا الحدث، وتم تغيير البرنامج العام واستبدل ببث النداءات التي تبين مغزى طرد المستوطنين الطليان وأهمية إحياء ذلك الحدث في البيوت والشوارع في المدن والقرى لأنه حدث تاريخي بامتياز.

حوار بأبوهادي!

في أوائل صيف عام 1975 دعينا أعضاء فروع رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين في طرابلس وبنغازي وسرت والزاوية إلى سرت للقاء القائد، وصلنا مجموعة بنغازي إلى سرت فجرا، انتظرنا رفاقنا من طرابلس والزاوية عند بداية الطريق المؤدي إلى أبوهادي، سرت كانت كباقي المدن الليبية قرية صغيرة بدون منشآت حقيقية، أما أبوهادي فكانت مجرد معسكر تحيط به بعض المساكن الشعبية أنجزت للتو على ضفاف وادي تلال الذي بدأت تخترقه مشروعات هيئة التنمية والإصلاح الزراعي فأصبح أخضرًا يسر الناظرين.

تجمعنا وانطلقنا إلى أبوهادي حيث تناولنا الغذاء وفي المساء التقينا بالقائد داخل صالة صغيرة بالمعسكر، كان الحضور في حدود الخمسين، وكان كالعادة لقاء أخويًا وديًا، لكن به نقاش وحوار معمق وجاد حول الأوضاع والمستقبل وآليات العمل، تركز حديث القائد علي أهمية تصعيد التعبئة القومية بين الجماهير، تطرق للدور الذي كان يتوقعه من الطلبة العرب الوحدويين الناصريين على المستوى القومي وانتقد أداء إدارة الرابطة وأمانتها العامة في طرابلس، وتحولها تقريبا للعمل فقط في ليبيا، في وقت تشتد الهجمة على المشروع القومي الحقيقي، وتمكن التيارات الدينية من استغلال التغيير الذي حصل في مصر في تقوية تواجدها ونفوذها، وتصعيد السعودية لأعمالها التخريبية في العالم الإسلامي، من جانب آخر بروز الوجه الفاشي

للبعث العربي الذي تحول من تنظيم مناضل إلى سلطة عسكرية فاشية في سوريا والعراق، الخلافات والصراع بينهما أشد وأعنف من الصراع بين القوى القومية والرجعية العربية التقليدية، وطرح تخوفات من إمكانية تحول الحراك الناصري الجماهيري إلى حركات شللية، ونبه لمحاولات البعض تحويل الرابطة في ليبيا إلى شكل من أشكال التنظيمات الحزبية ما يمثل من خطورة على العمل الشعبي، خاصة أن الليبيين طيبون ولا يعرفون الألاعيب الحزبية، دار نقاش مطول حول الموضوع بين مدافع عن الرابطة وبين باحث عن تبريرات لعدم قدرتها على استيعاب كامل التيار الناصري في الوطن العربي، وبين باحث فيما هي الكيفية للحيلولة دون ذلك وتحصين الشباب ضد داء الحزبية، وتطرق الحوار إلى فشل الاتحاد الاشتراكي أيضًا في القيام بدور تعبوي حقيقي، بالطبع لم يخل النقاش الذي دام لأكثر من أربع ساعات من الحديث في الشأن المحلي وأوضاع الجامعة، ونقل صورة من الرأي العام الذي يدور حول مختلف المشاكل المطروحة، لم يستكمل النقاش رغم تأخر الوقت فطلب منا القائد البقاء، ونظرا لعدم وجود مقرات إقامة بالمعسكر ولا حتى في سرت، انتقلنا إلى مصيف يجري بناؤه بمنطقة السبعة غرب سرت، وضعت به أسرة على الأرض ووسائد وشراشيف، خلدنا للنوم مباشرة، وفي الصباح وجدنا من يحضر إفطارًا بسيطًا، مع شاي وقهوة، تمكن بعض الإخوة من استغلال الوقت للسباحة في شاطىء سرت الرائع والهادئ، لكن البعض الآخر وأنا منهم ممن لا يجيدون السباحة فضلنا مواصلة النقاش في القضايا التي طرحت في أبوهادي، بدون إنذار ولا ترتيبات أمنية،

ومع عدد محدود من الحراسات لم يتجاوز الخمسة، مع أذان صلاة الظهر حضر القائد ومعه حسن شكال، عندما شاهد رفاقنا وصول القائد رفاقنا خرجوا من البحر والتحقوا بنا بملابس السباحة تحلقنا حول مظلة بسيطة جلس تحتها الأخ القائد ومرافقه، ومباشرة فتح نقاش استمر حتى وقت متأخر، كان حوارًا معمقًا حول أهمية تأسيس تنظيم ثوري شعبي، وأهمية تحصين الأعضاء ضد الحزبية وتبيان أشكالها ومخاطرها، وكان رأي القائد أن تقتصر عضوية الفروع على الطلاب فقط، وأن يخرج منها الموظفون والمكلفون بمهام إدارية، كنت وأخي صالح الشيخي، ورمضان عبدالله، وعزالدين الهنشيري وعبدالسلام زبيدة، وعمار الطيف، وعبدالله كنشيل، وعياد الأربش ومبارك الشامخ، من أكثر المجادلين المدافعين عن الرابطة وأهدافها وآليات عملها، لكني بعد وقت ليس بطويل عرفت أن القائد كانت لديه معلومات من محاولات البعض استعمال الرابطة وفقا لرؤية حزبية.

رحلة إلى بيروت

كلف رمضان عبدالله بأمانة الشؤون العربية بالاتحاد الاشتراكي العربي، وكان يؤمن بالعمل السري المسلح لإقامة الدولة العربية الواحدة مدفوعا بنجاح التجارب اليسارية المسلحة في تحرير وبناء عديد الأمم، ويرى فيها الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها مقاومة التغول الامبريالي والصلف الصهيوني، كان يفكر في تشكيل فصيل ناصري قومي مسلح على مستوى الوطن العربي ينفذ مهاما قتالية أسوة بالفصائل الفلسطينية الوطنية، كان مقتنعاً بفكرة ذراع عسكري

قوي للثورة العربية، لكنه كان طوباويا في تفكيره، توقع أن موقعه في أمانة الشؤون العربية بالاتحاد الاشتراكي العربي سيمكنه من تنفيذ ما يدور برأسه، ويساعده على تأسيس تنظيم ناصري قوي يقود الصراع من أجل التحرر والوحدة وتحقيق العدالة الاجتماعية، متناسيًا أن الناصرية اعتمدت أسلوب الحراك الجماهيري القاعدي للتغيير، ولم تنتهج العمل الحزبي النخبوي، ولعل ذلك كان من أهم أسباب خلافها مع البعثيين والقوميين العرب، عبد الناصر لم يتعامل مع نخب مسلحة أو عزل، بل كان يخاطب الجماهير العريضة، وينتظر تحركها لإحداث التغيير، وهذا ما جعل عبدالناصر يهتم بنشر التعليم في كل أرجاء الوطن العربي التي استطاع الوصول إليها في شمال أفريقيا والجزيرة العربية وفلسطين والأردن والعراق والشام ولبنان والسودان، وفتح الجامعات المصرية مجانا لتعليم عشرات آلاف العرب من كل الأقطار، كان عبد الناصر يؤمن بأن النهضة العربية ينبغي أن تتم من القاعدة بتطوير التعليم والتوسع فى الإنتاج وتحقيق عدالة في التوزيع، وكان يرى أن المقاومة العربية ينبغي أن تتم من خلال مؤسسة عسكرية وأمنية قومية وقوية وليس من خلال عمليات ثورية صغيرة قد تعقد مشاكل الأمة ولا تحلها، لذلك دعم جبهة التحرير الجزائرية بعد أن عمل على توحيد فصائل وأحزاب المقاومة في الجزائر، وعمل على إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية كإطار وطني وليس حزبي لحركة التحرر الوطني الفلسطيني وهكذا كان تعامله مع جنوب اليمن المحتل وغيره.

كلفني الأستاذ رمضان عبدالله في شهر مارس 1975 بالسفر إلى بيروت للقاء مجموعة من الناصريين الذين فاتحهم في موضوع البدء في تأسيس ذراع الثورة العربية في المشرق العربي، ركبت الطائرة مباشرة من بنغازي إلى بيروت واستقبلت من قبل الأخ فؤاد عيتاني وهو المنسق المفترض للمجموعة وعقدنا سلسلة لقاءات مع عديد الإخوة من العراق والشام ولبنان وأخوين من الأردن لم أعد أتذكر اسميهما، ومن خلال المناقشات والحوارات المطولة تولدت لدي قناعة أن تفكير الإخوة في واد، وما أبلغني به السيد رمضان عبدالله صياح في واد آخر، لكنها كانت مناسبة جيدة للتعرف والتواصل مع إخوة رفاق ناصريين حقيقيين، اطلعت عن قرب على إرهاصات تنظيم القوى الناصرية في لبنان التي تتبلور من خلال حركة المرابطون والاتحاد الاشتراكي العربي في لبنان وتيار السيد معروف سعد في صيدا، كما التقيت مع بعض المفكرين الليبيين في معهد الإنماء العربي الذي أسسته ثورة الفاتح ومولته لإطلاق نهضة علمية وثقافية عربية، من خلال استقطاب العلماء والمخترعين والمفكرين والمثقفين العرب وتهيئة الظروف لهم للبحث والنشر، إلا أن ذلك المشروع الطموح قتل في مهده نتيجة سيطرة الطفيليين والانتهازيين على إداراته المتعاقبة.

لقد لمست خلال الزيارة حالة التململ في الشارع اللبناني نتيجة تصرف بعض المنتسبين للمنظمات الفلسطينية، وحالة التعبئة الممنهجة ضد الوجود الفلسطيني في لبنان، ودور الاستخبارات العالمية على الساحة اللبنانية، من الموساد إلى السفاك الإيراني من خلال بروز موسى الصدر، وكذلك دور المخابرات الفرنسية والأمريكية، لكن الأسوء كان صراع المخابرات السورية والعراقية.

بعد العودة من بيروت بأقل من شهرة وقعت حادثة عين الرمانة الشهيرة حيث فُجرت حافلة تقل فلسطينين، كانت شرارة اشتعال الحرب الأهلية اللبنانية المرسومة من الدوائر الاستخباراتية المعادية، والتي استمرت قرابة عقدين من الزمان ولازالت آثارها ممتدة إلى يومنا هذا تضرب النسيج اللبناني.

كانت ثورة الفاتح تدعم بلا حدود مادياً وعسكرياً وسياسياً فصائل الثورة الفلسطينية وتدافع في كل المحافل عن تواجدها في لبنان، وفي كل دول الجوار الفلسطيني، كما كانت تدعم القوى الوطنية اللبنانية المعادية للكيان الصهيوني والداعمة لفلسطين ومقاومتها الوطنية.

إن أحد أهداف إشعال الحرب الأهلية اللبنانية هو إبعاد المقاومة الفلسطينية عن خطوط التماس مع دولة الكيان فبعد ما أبعدت من الأردن عام 1970 نتيجة تأمر الملك حسين وأركانه، في ذلك الوقت جاء الدور على لبنان، وفعلا بعد مقاومة باسلة وتضحيات جمه إلا أن العدو تحقق له ما أراد.

في الحرب الأهلية اللبنانية كان طبيعيًا أن تصطف ليبيا مع القوى الوطنية التقدمية وهي تدافع عن وجودها وعلى الوجود الفلسطيني في لبنان، دعمت ثورة الفاتح القوى التقدمية ضد الانعزاليين المرتبطين بـ"إسرائيل"، ومن أهم القوى التي دعمتها حركة المرابطون بقيادة إبراهيم قليلات، والحزب الاشتراكي التقدمي بقيادة كمال جنبلاط، وكان لموقف ليبيا الدور الأهم في صمود الفصائل التقدمية في الحرب.

بعد قرارات الجامعة العربية بوقف إطلاق النار وإرسال قوة عربية لفرضه كان للقوات المسلحة العربية الليبية الدور الأساس فيها، أرسل آلاف الجنود لدعم القوات العربية التي كلفت بحفظ الأمن، ولقد شارك عام 1976 الأخ الصديق محمد المجدوب شخصيا في العملية وأصيب إصابة بالغة نتيجة رماية مباشرة بمنطقة الدامور انتقل بعدها إلى لندن للعلاج وأجريت له عدة عمليات جراحية.

في هذا المقام لابد من التنويه للدور المحوري الذي قام به ضباط أحرار من القوات المسلحة العربية الليبية في عمليات لبنان دعما وتخطيطا وتوجيها وعلى رأسهم الفريق عبدالله الحجازي والفريق صالح الدروقى، والفريق سالم أبوشريده، ولقد كان الشهيد البطل الفريق أول أبوبكر يونس جابر يرعى مباشرة دعم القوى التقدمية في لبنان.

تأسيس الاتحاد العام للطلبة بنفس ثورية ديمقراطية!

بإعلان الثورة الشعبية وتفاعل الجماهير معها وتمكن اللجان الشعبية المصعدة مباشرة من الجماهير من فرض وجودها، فقدت القوى المعادية للثورة والوطن سيطرتها على الجامعة، فلقد انطلق الطلاب العاديون من خلال اللجان الشعبية للكليات في التفاعل مع المجتمع، وانكسر الحاجز الوهمي الذي حاول الشيوعيون والإخوان معا بناءه بين الطلبة وثورة الفاتح والشعب فلقد كان أحد أهدافهم تحويل الجامعة ومن فيها إلى حالة نخبوية منفصلة عن الجماهير الشعبية وقضاياها الملحة في التنمية، بالرغم من الزخم الشعبي والطلابي الجماهيري عام 1973 في الجامعة إلا أن التنظيمات الحزبية خاصة الماركسية لا تعدم الحيل والأساليب في التعايش مع المستجدات وتسخيرها إلى ما يخدم مشروعها، فأخذت تستغل التذمر لدى بعض الطلاب من التدريب العسكري العام وما صاحبه من تدريبات قاسية لتجديد نشاطها وتجنيد مزيد الطلاب الغاضبين من الثورة لخدمة أهدافها، ذلك لم يكن ميسراً فحالة الوعي الطلابي عالية، فلم تفلح طيلة العام 1974.

في عام 1975 انطلقت دورات إعداد سياسيين للقيادات الثورية والشعبية من كل ليبيا استمرارا لمشروع معسكرات الثورة العربية لكن بصيغة مختلفة بعض الشيء في معهد كان قد أنجز للتو للمعاقين في طرابلس، كان الرائد عبدالسلام جلود رئيس مجلس الوزراء يشرف عليها شخصيًا، كانت مدتها شهرًا واحدًا، وكنت مع عدد من الإخوة الطلاب من الجامعة ضمن الحاضرين لتلك الدورات، وكان الأخوان عمار ضو، وعمار الطيف هما المشرفين على المعسكر بالمعهد وعلى

الدورة، يوميًا كان الرائد جلود مع بعض الوزراء يلقون محاضرات صباحية حول خطة التنمية الثلاثية الجديدة أهدافها وآلياتها بغرض توعية القيادات الشعبية الجديدة في حضور نخبة ثورية وطنية من الجامعة بأهمية التنمية وضرورة توجيهها لتحقيق حاجات الجماهير الملحة، وتحويل ليبيا في أسرع وقت من بلد متخلف فقير تابع إلى بلد متقدم يعتمد على نفسه، في المساء تنظم حلقات نقاش حول المحاضرة بحضور الوزراء المختصين، وفي الليل بعد العشاء يلتقي القائد بالمشاركين، كان يتحدث في قضايا الثورة والعلاقة الدولية والقضايا الفكرية، خاصة تلك المتعلقة بالحزبية، والفكر الماركسي ومخاطره، وخطر التحزب والتمذهب على الإسلام والمسلمين، وعن الوحدة العربية والاشتراكية وغيرها من القضايا ذات العلاقة، بعد حديثه ليليا يدور حوار معه يستمر إلى وقت متأخر.

من بين المشاركين في الدورة التي أطلق عليها الدورة التأسيسية للجان الشعبية، الشاعر نوري المودي من الماية، كان الشعر ينساب من فمه انسيابا، قصائد من عشرات الأبيات رصينة وقوية لغة ومعنى، يتحفنا مع نهاية كل محاضرة للقائد برائعة من روائعه، ولأن السهر مع محاضرات القائد والمناقشات التي تعقبها بحضوره، ومن ثم المناقشات والحوارات في المنامات قبل الخلود للنوم لا تمكن البعض من الاستيقاظ المبكر، كما في حالتي والإخوين عبدالقادر البغدادي، ومفتاح عزوزة، الأخوان عمار ضو، وعمار الطيف يجاهدان لتنفيذ انضباط صارم بالمعسكر، ينزعجان جدًا من تأخر بعضنا عن المحاضرات الصباحية خاصة، فكان علينا العبد لله والشهيد عبد القادر

البغدادي، ومفتاح عزوزة استلام رسائل إنذار يوميا! لم يكن في نيتنا الإضرار بنظام الدورة لكن دائما كان للنوم القول الفصل.

لم نكن نعلم أنه في نفس الوقت كانت مؤامرة 75 التي دبرها عمر المحيشي مع عدد من الضباط تنكشف خيوطها تباعا، وتتضح صلاتها الخارجية خاصة مع السادات، وتبين علاقة قساوة التدريب العسكري العام لطلبة الجامعة بالضباط المتآمرين، ولأن الأخبار تشم ولا تقال، فلقد مضى برنامج الدورة في شكله الاعتيادي، لم يذكر شيء في الدورة عنها ولو تلميحًا، إلا أن الوشوشة أخذت في التسرب بين أفواه وآذان المشاركين، لكن الكل يتحاشى أن يثار ذلك في العلن.

السياسة الإعلامية التي كان يتبعها القائد رحمه الله تقوم على عدم التطرق لتناول المؤامرات رسمياً وعدم التحدث عن تفصيلاته أعتقد أن ذلك كان خطأ كبيرًا، فتكثر التأويلات، والتحليلات وتكون الإشاعات سيدة الموقف، والأخطر من ذلك فإن إعلام القوى المعادية من خلال الماكنة الإعلامية الدولية التي تسيرها الدول المعادية لليبيا تتناول تلك المعلومات بصورة مغلوطة ومعكوسة في كثير من الأحيان فمع الزمن تترسخ فقط الرواية التي تنشر من العدو، على سبيل المثال عندما كتب المقريف عميل السي أي ايه أن القذافي أمه يهودية لم يتم الرد على ذلك لتفاهة القصة ولأن الليبيين يعرفون القذافي وأمه وأبيه لكنها بقيت في أذهان الأعداء واستخدموها في أحداث 2011 في وقت كان تفنيذها غير ممكن لتسارع الأحداث، الحقيقة لم يقل أحد أي شيء عن المؤامرة لكن الكل بالمعسكر يعلمون وجود مؤامرة وكل نسج الرواية التي يعتقد بصحتها، خرجت شعارات تندد بالتآمر وتطالب بضرورة الالتزام بخط ثورة الفاتح، كان بعض الإخوة الذين يشتغلون بالإعلام من أمثال سعد مجبر، وعبد الرحمن شلقم، وعمر الحامدي،

وعمار ضو، سباقين لطرح شعارات رأيناها غريبة في وقتها لكنها تعكس أن شيئًا ما قد وقع ومنها "الثورة مستمرة والخائن يطلع بره" "وعهدا يا قائد ما نخونه الفاتح للأجيال نصونه" لكن سعد، وشلقم خانا عهديهما للأسف الشديد".

حاولت مع الدكتورعبد القادر، ومفتاح عزوزة أن نتعرف على ما يجري من خلال أولئك الذين توقعنا وجود بعض التفاصيل لديهم بالنظر لعلاقتهم المتميزة مع عبد السلام جلود، لكن ما تحصلنا عليه هو تماما ما عرفناه من خلال الوشوشات، وهو وجود محاولة انقلابية يقودها عمر المحيشي وعدد من ضباط مصراتة، وهناك اشتباه في أن عددًا من أعضاء مجلس قيادة الثورة ربما متورطون أو على الأقل كانوا يعلمون بها، كنا ندرك خطورة ذلك على حركة الثورة التي تحاول بناء دولة قوية مهابة، لكن طبيعة الثورات عندما تصل إلى السلطة تنجر إلى صراعات داخلية بين القوى القائدة لها فتتآكل من الداخل وينهار مشروعها.

كان القائد يلقي محاضراته الفكرية اليومية وكأن شيئًا لم يكن، وذات مرة اندفع شاب ثوري من مرزق اسمه عبد السلام نوح، كان شابًا رزيناً واعياً، اندفع إلى لاقط الصوت بينما القائد يحاضر وقاطعه بأنه ثوري ويحبه ويقدسه وأنه يتعرض لمضايقات وتتبع إلى آخره، كانت مفاجأة غير سارة فالرجل يبدو أنه أصيب للتو بحالة نفسية ربما لهول ما سمع، كان من المقربين لي، أسرعت إليه بعد أن أُخرج من القاعة، فتأكدت أن صديقي أصيب بمرض بحالة نفسية قد تكون بسيطة وطارئة أو معقدة، أنا أرجعت السبب للمعلومات حول المحاولة الانقلابية والانقسام داخل مجلس قيادة الثورة فكثير من الشباب

المتحمس ثوريًا لا يمكن أن يتقبلوا تلك الأخبار بسهولة، لاحقا تمت معالجته لكنه لم يشف تمامًا مما أصابه.

مع نهاية الدورة ظهرت إلى السطح معلومات مهمة حول المؤامرة الخطيرة التي تعرضت لها ثورة الفاتح والتي اشترك بها أعضاء من مجلس قيادة الثورة وضباط أحرار، بنيت على أسس قبلية وجهوية صرفة حيث أغلبية الضباط المتآمرين من مدينة مصراتة وبعض القبائل المحددة، وبالرغم من وأد المؤامرة في مهدها والقبض على الضباط المشاركين فيها وهروب المحيشي والهوني وهما أهم قيادتها، إلا أن مواجهة آثارها تمت للأسف على أسس قبلية أيضًا، فاستدعي الصف الفوقي السابق، وتكون تحالف قائم عليه من قبائل ورفلة وأولاد سليمان والقذاذفه والزنتان وانضم لهم من الصف البحري قبيلة المقارحة والفرجان، الترتيبات القبلية سيان كانت بعلم القائد أو فرضت نفسها كرد فعل مبرر للمؤامرة ألقت بظلالها على المشهد السياسي الليبي وربما ساهمت في بسط الاستقرار إلى فترة طويلة لكنها كانت أيضًا سببا في استغلال الوضع ونشر حالة تذمر بين قبائل أخرى.

في العيد السادس للثورة كان الاحتفال في ظروف مشحونة جدا، المؤامرة تخيم على الفاتح العرض العسكري الكبير لم يخف ضبابية الوضع، بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة المشار لهم بالبنان موجودون ولكنهم جلسوا في حواف المنصة وليس في صدرها، كان

خطاب القائد متميزًا ذلك العام فكان بمثابة البيان الثوري الثاني، ملخصه لا بديل عن الديمقراطية الشعبية، ولن يسمح بإقامة نظام حكم عسكري فاشي في ليبيا ولا يسمح بتوقف التحول الثوري الديمقراطي من الثورة إلى الدولة، كانت الهتافات مختلفة بنغمة تحد قوية، لقد أسدل الستار على مرحلة وفتح الباب على مرحلة جديدة ستتسم بالحسم الثوري وتصعيد العمل الشعبي.

لا شك أن مؤامرة المحيشي أعطت جرعة أكسجين للقوى الحزبية في الجامعة، وانضمت إليهم مجموعات الطلبة من المناطق التي لعب ضباط منها دور فيها وخاصة مصراتة، مع بداية العام الدراسي بدأت استفزازاتهم تظهر شكل كتابات على حوائط الجامعة وبعض المنشورات.

في عام 1974 استكملت اللجنة التحضيرية للاتحاد العام للطلبة أعمالها، وأنجزت نظامه الأساسي وهيكليته التنظمية، كانت الجامعة انقسمت إداريًا إلى جامعتين بنغازي وطرابلس، وقضى النظام الأساسي بتشكيل وحدات للاتحاد بالكليات والمعاهد العليا والمدارس الثانوية والمعاهد المتوسطة، وتم تشكيل روابط للاتحاد في الجامعات وفي المحافظات، ومع بداية العام الدراسي 76/75 انطلقت إجراءات تشكيل الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العربية الليبية، وتشكلت لجان للإشراف على انتخابات الاتحاد بالجامعتين وبالمحافظات، مع نهاية أكتوبر وبداية نوفمبر شُرع في اختيار وحدات الاتحاد بالكليات بانتخاب مندوبين عن كل سنة طلابية، وبسبب وجود تنظيمات حزبية

تمكن للأسف بعض الطلاب المناوئين للثورة من الدخول للاتحاد خاصة في كليات القانون والآداب والاقتصاد، أما كلية الطب فنجحنا تماما في تشكيل رابطة من الطلبة المنتمين للثورة، واختير الأخ فتحي ناجي مقررًا لها، في كليات جامعة طرابلس كان الأمر مختلفا فلقد تم اختيار العناصر الثورية في كل الكليات الجامعية، وكذلك كان الحال بالنسبة لروابط الثانويات والمعاهد بالمحافظات، وبدأ الإعداد لتشكيل روابط الجامعة والمؤتمر العام.

سيطر الطلاب الرافضون للثورة على رابطة اتحاد الطلبة بجامعة بنغازي، واختير الترجمان من كلية القانون أمينًا للرابطة، وكان يخضع لنفوذ المجموعات الحزبية التي تدار من خارج الجامعة عن طريق أشخاص ليسوا طلابًا بل من القيادات الحزبية منهم عمر دبوب، وبن سعود، وعبد الله الضراط، وشنوا حملة ضد بقية الروابط وقرروا مقاطعة المؤتمر العام، وبدأوا في ممارسة ضغوط على إدارة الجامعة، وتسخير الرابطة لخدمة أغراض سياسية، كانوا يتواصلون مع المجموعات المعادية من الخارج خاصة في بريطانيا وأمريكا والمجموعات الإسلامية في ألمانيا كذلك مع فرع الاتحاد في القاهرة، أغلب فروع الاتحاد بالخارج كانت من العناصر الوطنية خاصة فروع الاتحاد بأوروبا، في مصر تأسس فرعان في القاهرة والإسكندرية، فرع الإسكندرية كان وطنيًا لوجود قيادات ثورية به من أمثال المناضل محمد المغربي، والمناضل إدريس عزوز، ومحمد بن غشير وغيرهم، أما فرع القاهرة فلقد تمكن بعض الطلبة من ذوي الميول المعادية من التسلل إليه، في أمريكا لأسباب لوجيستيه لم يتشكل فرع للاتحاد.

انعقد المؤتمر العام للاتحاد العام لطلبة الجمهورية، بحضور جميع مندوبي روابط الثانويات ومندوبي كليات الجامعة في طرابلس ووحدة كلية الطب في بنغازي وكلية الدراسات الإسلامية في البيضاء، وتغيب فقط مندوبو كليات القانون والاقتصاد والآداب ببنغازي، تم اختيار المناضل الشهيد عبد القادر البغدادي الطالب بكلية التربية بجامعة طرابلس، أول رئيس للاتحاد العام لطلبة الجمهورية واختير المهندس عزالدين الهنشيري نائبًا له والدكتور عمر السوداني مسؤولًا للعلاقات الخارجية للاتحاد، فروع إلاتحاد بالخارج قادها مجموعة من الطلاب الوطنيين منهم الدكتور المدني الأزهري من فرنسا، والمرحوم علي الشريف من ألمانيا.

لقد كان نجاح القوى الوطنية في بناء اتحاد طلابي حقيقي ضربة قاسية للقوى المعادية، فحاولت المعارضة في الخارج وبعض التنظيمات الحزبية التشكيك في شرعية اتحاد الطلبة، وشن حملة دعائية ضده.

كان الاتحاد العام للطلبة في ليبيا نموذجًا للممارسة الديمقراطية، أسس منظمة طلابية وطنية حقيقية، وبنى أعرافًا وتقاليدًا نقابية طلابية جديدة، من أهمها أن تتغير قيادة الاتحاد سنويًا ولمرة واحدة، وأن تتشكل فقط من طلاب متفرغين للدراسة، وأن تبتعد قدر الإمكان عن العمل السياسي لتكون إطارًا عمليًا وفعالًا يجمع كل الطلاب ويعمل على مساعدتهم في التغلب على المشاكل، ووعاءً يمكن الطلاب من تنظيم إبداعاتهم العلمية والثقافية والفنية، وأن يسهم في إعداد كوادر تمتلك إضافة على المهارة المهنية القدرة القيادية من خلال انخراط القيادات الطلابية في العمل القيادي بمختلف أوجهه، لقد ساهم العرف

الذي تم الالتزام به طيلة سنوات لاحقة في تمكين عدد كبير من الطلاب على التداول على قيادة الاتحاد والمشاركة في مناشطه الداخلية والخارجية، فكون لديهم تجربة عملية ثرية، أغلبهم تدربوا خلاله على قيادة مؤسسات جماهيرية مركزية أو على مستوى المناطق.

وللتاريخ فإن الأخلاق الثورية، والالتزام الوطني لدى المجموعة الأولى التي قادت الاتحاد، وفي مقدمتهم الشهيد عبدالقادر البغدادي، والشهيد عزالدين الهنشيري كان لها الفضل في إرساء تلك التقاليد الديمقراطية التي لم تعرفها تنظيمات طلابية أو نقابية أخرى مشابهة في العالم، في وقت متأخر من التسعينيات والألفية الأولى، استهوت المواقع القيادية في الاتحاد بعض الطلاب، وتدخلت عوامل أخرى لها علاقة بالمصلحة والقبلية، أسهمت في إضعاف دور اتحاد الطلبة القيادي، ومكنت أفرادًا من الاحتفاظ بمواقعهم عدة سنوات وعطلت عمليات الاختيار الديمقراطي السنوية للاتحاد، واحتفظ بعض الأشخاص فى عضوياتهم في اتحادات إقليمية وعالمية إلى سنوات طويلة!

لقد شعرت القوى الحزبية بفداحة خسارتها، وتخوفت من خروجها التام من التأثير في الساحة الطلابية وما تمثله من أهمية سياسية لها ولمشروعاتها المعلنة والمخفية، مما دفعها إلى ضرورة القيام بأعمال معادية للثورة تمكنها من الاحتفاظ بمواقعها في الجامعة على الأقل، وبالتأكيد وجدوا في رابطة جامعة بنغازي للاتحاد العام وسيلة مناسبة لتنفيذ ذلك.

بتنسيق مع بعض المعارضين الذين فروا للخارج بعد الثورة الثقافية حاولت بعض المجموعات الحزبية التي بقت في بنغازي خاصة

من الشيوعيين والطلاب المحسوبين على القبائل المشاركة في مؤامرة 75، في الخفاء والعلن تنظيم تحركات طلابية مناهضة للثورة في كليات جامعة بنغازي وعملوا على تحريك امتداداتهم في كلية الهندسة والتربية في طرابلس للتقليل من أهمية تأسيس أول اتحاد وطني نظامي للطلبة الليبيين في الداخل.

كانت خطة التنمية تقوم في إحدى ركائزها على بناء الإنسان الجديد القادر على البناء والتقدم، وذلك بتطوير التعليم وتوسيعه، وبالنظر إلى إمكانات الجامعة الليبية المحدودة في استيعاب أعداد كبيرة من الطلاب نتاج التوسع الكبير في التعليم الثانوي بعد الثورة بافتتاح مدارس ثانوية في كل مكان تقريبًا، فلقد تم إيفاد آلاف الطلاب للدراسة الجامعية والعليا إلى مختلف دول العالم، خاصة مصر وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة، لذلك تشكلت فروع لاتحاد الطلبة بتلك الدول وبالرغم من جهود المعارضة بالخارج للتغلغل في الوسط الطلابي إلا أنهم فشلوا في تكوين قاعدة حقيقية لهم في أوساط الطلاب وبقوا شخصيات معزولة، في أمريكا على سبيل المثال كان الطلبة الشيوعيين ينتظمون في اتحاد الطلاب العرب ويمثلهم من الليبيين م. شمام، وع. الترهوني، وكان الإخوان المسلمون يعملون من خلال مؤسسة تصرف عليها السعودية، في ألمانيا وبريطانيا كانت حالات المعارضة فردية عدا تكتل البعث الليبي الذي يمثله م. نافع وبعض الرموز الرجعية المرتبطة بالعهد الملكي الفاسد، في مصر كان اتحاد الطلاب بالإسكندرية يقاد من قوى ثورية قومية يمثلهم المناضل محمد مصطفى المغربي وإدريس عزوز، أما القاهرة تمكنت بعض العناصر

المعارضة من السيطرة على فرع الاتحاد، لكنها كانت شخصيات عادية وغير قيادية.

***

المحطة الحادية عشرة
عودة الصراع.. السابع من أبريل

1975 عام التحدي الطلابي الحقيقي

كما أسلفنا في صيف عام 1975 اكتشفت ما عرف بمؤامرة المحيشي، التي شكلت تغيرًا كبيرًا في نهج ثورة الفاتح من سبتمبر، فكون أغلبية الضباط المشاركين في المؤامرة من مصراتة فلقد استدعى ذلك الصراعات القبلية القديمة بما عرف بالصف الفوقي وصف البحر، وربما وجد القائد رحمه الله نفسه مضطرا للاحتماء بالمقربين لحماية الثورة ذاتها، وكان لتأييد قبيلة المقارحة المحسوبة على صف البحر دور كبير في محاصرة المؤامرة، المعلومات المتوفرة لدي والتي سمعتها من مقربين من الدائرة الأمنية الأولى القريبة من القائد تفيد بأن قيادات أمنية مهمة من أمثال آمر سرية الحراسة الخاصة النقيب أبوليفة كانوا منخرطين في العملية المنسقة للإطاحة بالثورة، وفي تقديري المبني على تحليلات وليس معلومات اعتقد أن مخابرات أجنبية كانت ضالعة بشكل أو بآخر في العملية، خاصة وأن زوجة أحد قادة المحاولة الرائد عبدالمنعم الهوني مدير المخابرات العامة السابق، ووزير الخارجية، كانت تحمل جنسية أجنبية، كما أن الغموض الذي صاحب دور بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة فيها يزيد من احتمالات ضلوع جهة أجنبية بها، فلا شك أن هم الأمريكان والإنجليز والسادات الأول كان التخلص من القذافي لقناعتهم

بأنه وفي لمشروع عبدالناصر القومي التحرري، وأيًا كانت معطيات مؤامرة المحيشي فإنها أوقعت شرخا عميقا في الجسم الشعبي المؤيد لثورة الفاتح، ومهدت أرضية لحراك عدائي في الأوساط الجماهيرية وأهمها الوسط الطلابي، ووفرت مساحة كافية للنشطاء من المنتمين لتيارات سياسية معادية كالشيوعيين والإخوان لالتقاط أنفاسهم بعد الضربة التي تلقوها بفعل الثورة الشعبية عام 1973، كما أضيفت لها قوى جديدة تتمثل في القوى المرتبطة اجتماعيا بقادة المؤامرة خاصة الطلبة من مصراتة، فلقد استفاد الحزبيون من "جو المؤامرة" للتعبئة ضد الثورة، والاتصال بالمجموعات الطلابية المحسوبة اجتماعياً كما ذكرت سابقًا ولتصعيد عملياتهم الميدانية ضدها، فلقد توافقت مصالحهم حتى بدون أن تتوافق أفكارهم، فالمحيشي والضباط المتآمرون معه أزعجهم تقليص صلاحياتهم في السلطة لمصلحة المشاركة الشعبية، والحزبيون أدركوا أن ثورة الفاتح تمضي في ترسيخ قاعدتها الجماهيرية على حساب مشاريعهم السياسية، فلقد استكملت خطة التنمية الثلاثية الأولى بنجاح كبير، وتمكنت من حل المختنقات الحياتية الأساسية وقضت على الفقر كليا وأقامت بنية تحتية مناسبة وكافية للانطلاق في التنمية المستدامة، والقضاء على الأمية والجهل والتخلف وانطلقت الخطة الثلاثية الثانية وأشرفت على الانتهاء وانتشرت مشروعات البنى التحتية في كل المناطق، وشملت كل القطاعات الحيوية خاصة قطاعات الكهرباء، والطرق، والتعليم، والصحة، حيث وصلت الكهرباء إلى كل مكان تقريبا، وربطت ليبيا بشبكة طرق برية

حديثة واستكملت منظومة الموجات السنتيميترية التي ربطت ليبيا بالاتصالات الهاتفية، وأنشئت المدارس في كل مكان، وتم بناء المستشفيات الحديثة جميع كل مراكز المحافظات والمراكز الصحية المتطورة، وتم تبني آراء ثورة الفاتح في مجال النفط من قبل منظمة الأوبك، فارتفعت الأسعار وتضاعفت عائدات الخزانة العامة من دخل النفط، أثار ذلك حساسية القوى المعارضة لثورة الفاتح، وفرض عليها على ما يبدو ضرورة تصعيد وتيرة عملها، ولأن أغلبها مرتبط بأجهزة غربية معادية، فكانت تستند في أساليب عملها على سياسة الحرب الدعائية والإعلامية، فعكفت على نشر الإشاعات وتلفيق الأخبار ومحاولة تقديم ثورة الفاتح في شخصية القائد وتصويره كدكتاتور مهووس ومجنون، واتبعت كل الأساليب الدنيئة بدءً من الترويج إلى أن السيد عائشة بن نيران الأم الليبية الفاضلة لم تكن أم معمر القذافي لكن أمه يهودية، إلى أن معمر القذافي، رغم تدينه الظاهر للجميع، وجراءته القوية آنذاك لتطبيق الشريعة الإسلامية بدأ من منع بيع وإنتاج وتناول الخمور وقفل دور الدعارة إلى تطبيق أحكام الحدود في الجرائم من الجلد لشارب الخمور إلى قطع يد السارق وانتهاء برفع أذان الأوقات في كل الإذاعات ومنح فسحة أوقات الصلاة تتوقف فيها البرامج المسموعة والمرئية إلى تشجيع حفظ القران الكريم واعتبار حافظيه حاصلين على شهادة جامعية، وإنشاء جمعية الدعوة الإسلامية، رغم كل ذلك حاول الإخوان المسلمون تقديم القائد معمر القذافي ناكرًا للشريعة والسنة وأفتوا بتكفيره وادعوا كذبا أنه ألغى سورًا من القرآن

وحذف كلمة قل من بعض الآيات، دون دليل وبالرغم من أنه خط الكلمة الأخيرة بيده في المصحف الذي كتبه الخطاط أبوبكر ساسي وهي كلمة "والناس" من سورة الناس، وللأسف لم تهتم ثورة الفاتح وماكنتها الإعلامية بتفنيد تلك التهم السخيفة لشعورها أنها من السطحية والسذاجة والكذب البين ليستحيل تصديقها من أي عاقل، لكن الماكنة المعادية تفننت في الترويج لها ومحاولة ترسيخها في أذهان البعض، والدليل أنه أثناء أحداث 17 فبراير أتضح أن عددًا لابأس بهم من الناس تم تظليلهم بتلك الدعايات.

اكتشفت خيوط مؤامرة الانقلاب العسكري، وتم تفكيك خلايا الانقلابين، ومحاكمة المشاركين فيه وإعدام بعضهم لاحقا.

كانت بالجامعة ثلاثة تنظيمات طلابية، وهي: وحدات الاتحاد الاشتراكي العربي بالكليات والجامعة، التي يتواجد بها المؤيدون لثورة الفاتح، لأن الطلاب المعارضين غير مقتنعين بفكرة الاتحاد الاشتراكي لذلك لم يشاركوا بها، واللجان الشعبية المختلطة من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والإداريين التي تدير الكليات والجامعة، ووحدات اتحاد الطلبة التي كان يتنافس الطلاب الثوريون والمضادون على الوصول إليها، ووفقا للنظم الداخلية كانت انتخابات اختيار اتحادات الطلبة تجرى سنويا في بداية العام الدراسي عادة في شهر أكتوبر أو بداية نوفمبر، وينتخب الاتحاد العام مع نهاية ديسمبر، في تلك الظروف وفي ظل تصاعد الحملة الدعائية المضادة أجريت انتخابات اتحاد الطلبة بالجامعة والثانويات والمعاهد، وتمكن الطلاب المؤيدون لثورة الفاتح من الفوز بأغلب المقاعد تقريبا، جميع كليات الجامعة في طرابلس.

وفي بنغازي سيطر المؤيدون لثورة الفاتح على كلية الطب والهندسة والدراسات الإسلامية، أما الطلبة المعارضون فقد تمكنوا من السيطرة على كليات القانون، والاقتصاد، والآداب والعلوم في بنغازي، وبذلك تحصلوا على أغلبية وشكلوا رابطة اتحاد طلبة الجامعة في بنغازي واختاروا خالد الترجمان أمينا لها.

في شهر ديسمبر وقع خلاف داخل اللجنة الشعبية لكلية الطب مع عميد الكلية الدكتور عثمان الكاديكي، فقرر الطلاب الزحف وتغيير العميد، إلا أن إدارة الجامعة رفضت ذلك فتقرر القيام باعتصام طلابي مفتوح، استغل الطلبة الثوريون الظرف وبدأوا في بث أناشيد ثورية من كلية الطب التي هي جزء تم تحويره من كلية الآداب، من قبيل أنشودة "يا رايس عندك بحرية"، وكان الهدف بث الحماس الثوري في الجامعة التي سيطر على بعض كلياتها طلاب رجعيون.

كان العمل السياسي المعارض بالجامعة في بنغازي يقاد من خارجها، حلقة الوصل شخصان معروفان بميولهما الحزبية وهما عمر دبوب، ومحمد بن سعود، إضافة إلى مجموعة من قادة الإخوان المتمثلين في عبد الله الضراط، وعبد الله بوسن، والمسلاتي، والكبتي إضافة إلى علي بوزعكوك الذي كان يعمل عضو هيئة تدريس بكلية الآداب.

أما في جامعة طرابلس كان الأمر مختلفا فعندما سيطر الطلبة المؤيدون على اتحاد الطلبة لجأت المجموعة الماركسية والمتمثلة آنذاك في الهنيدي، وغنيوه، والماقني، للمعارضة السلبية والإعلامية من خلال صحيفة حائطية اسمها "المحطة"، وكان طلاب فرع الرابطة في

طرابلس يتصدون لهم بالقلم ومنهم عبدالسلام زبيدة وعبدالله كنشيل، وعلي ريح، وسعيد راشد، وعلي طلاق وغيرهم.

في بنغازي تصاعدت النشاطات الاستفزازية للرابطة الطلابية ضد الطلاب المؤيدين، وضد الطلبة بشكل عام، وبدأت التحرشات بهم، وفي إحدى الأيام تعرضت طالبة من مدينة الزاوية اسمها "عائشة" للتحرش والضرب من قبل مجموعة من الطلاب لأنها أظهرت أنها تؤيد الثورة، وكذلك الطالبة من درنة "نجية"، وتمت مضايقة الطلبة من مدينة سرت خاصة الأخ أحمد إبراهيم، وعبد السلام الزادمة.

مر شهر ديسمبر بوضع متوتر للغاية، ولم يتمكن الطلبة الثوريون من حضور المحاضرات بسبب المضايقات والاستفزازات خاصة في كليات القانون، الآداب، والاقتصاد، كانوا يتعرضون للتهديد والاستفزاز يوميا، كانت بيوت الطلبة الجامعية وقتها بجليانة، وفي فندق الريفيرا، كما افتتح بيت داخلي في شارع جمال عبد الناصر سمي بيت رقم 6، وكان بيت طلبة مخصص لطلبة الطب اسمه بيت رقم 4 بمنطقة سيدي حسين، وبيت للطلبة بمطقة الفويهات سمي بيت رقم 8، وبالنظر للمضايقات التي تعرض لها بعض الطلبة الثوريين اتفقت مع مدير الداخلي المخصص لطلبة الطب الأخ صالح أبوشنه على إيواء بعضهم معنا بالبيت، وفعلا أقام الأخ أحمد إبراهيم ومجموعة منهم ببيت الطلبة رقم 4.

في نهاية شهر ديسمبر رأى الأخ أحمد إبراهيم، وبعض الإخوة أن الأمر أصبح لا يطاق ومن الضروري التصدي للرجعيين بالقوة، وتحدث عن أهمية فرض احترام الطلبة الثوريين، طرح الموضوع

للمناقشة في فرع رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين في بنغازي، اتفق الجميع على أهمية مواجهة أي استفزاز من القوى الرجعية، إلا أن عمر السوداني كان له رأي مخالف لتخوفه من تحول الجامعة إلى حلبة صراع عنيف قد لا تحمد عقباه.

يوم الخميس 31 ديسمبر 1975 حضر الإخوة مستعدين للرد على أية استفزازات، وتجهزوا بعصي للدفاع عن أنفسهم، وعند الساعة العاشرة صعد الأخ أحمد إبراهيم إلى درج المكتبة المركزية ليتحدث ويعلن أنهم لن يقبلوا الاستفزاز، وما أن بدأ في كلمته حتي جاء مجموعة من طلاب الرابطة وأخذوا يتهجمون عليه، لكن الطلبة الثوريين كانوا مستعدين فأبرحوهم ضربا، وانطلقت مسيرة في كلية الآداب مع الظهر حضرت إلى الجامعة، لأننا في السنة النهائية كانت محاضراتنا بالمستشفيات يومها كنت بمستشفى الجلاء، وعندما دخلت الجامعة رفقة الأخ عمر السوداني، ويونس معافه، كان الشجار قائمًا.

أخ لم تلده أمي!

بعد الهرج والمرج الذي ساد لبعض الوقت هدأت الأمور وكأن شيئًا لم يكن، تجولت مع صديقي الدكتور عمر السوداني في الجامعة مررنا من كلية الطب باتجاه المكتبة حيث وقعت بعض المناوشات بالعصي والأيدي، في باحة مدرجات كلية الآداب وجدت أحمد إبراهيم

مع بعض أشخاص لا أعرفهم، بعد السلام والاستفسار عما حدث، قدمني لشخص نحيف مبتسم بشنب رفيع، قال لي أخوك محمد المجدوب، وقال له: هذا مصطفى الزائدي الذي حدثك عنه، بدأ لي الرجل وكأني أعرفه من سنين، محمد المجدوب ملازم أول بالصاعقة قذافي من الدرابشه، دائمًا بشوش بقدر صرامته حاد الذكاء عندما تعانقت يدانا لم تفترقا أبدًا، ولم أتذكر أي خلاف في وجهات النظر معه حتى وفاته في ألمانيا عام 2007.

كان محمد المجدوب حسب ما فهمت ضابطًا وطالبًا منتسبًا بكلية الآداب، كان يمتلئ حيوية ونشاط، كان يسكن بالقرب من الجامعة بعمارات إسكان شعبي، مع والده سعود المجدوب ووالدته الحاجة غزالة وشقيقه المرحوم علي، وزوجته مبروكة وابنته الصغيرة.

استكملنا مسيرنا إلى كلية الاقتصاد ورجعنا عبرها إلى مبنى الإدارة العامة للجامعة، تفرسنا الوجه، كان جوًا غريبًا يخيم عليها وكانت الوشوشات في كلية الاقتصاد بين جماعات صغيرة، قلت لعمر ونحن في طريقنا يبدو أن الأمور ليست على ما يرام هناك أمر ما يدبر، علينا الاستعداد لذلك، كنا ندرك أن المعارضين للثورة يبحثون عن فرصة تمكنهم من إثارة البلبلة وإشعال نار الفتنة من الجامعة.

في إدارة الجامعة كانت الأمور هادئة، رجعنا إلى حيث الإخوة في كلية الآداب فوجدت الأخ أحمد وحلقته لازالوا بنفس المكان، بادرته بالقول: الأمور ليست مطمئنة هناك شيء ما يحاك من كلية الاقتصاد، دعوته إلى نقاش خاص حضر معه محمد المجدوب، قلت له: يا أحمد ما حصل اليوم سوف يستغل من المعارضة لتأجيج الرأي العام، والقيام

بأعمال ضد الثورة، وعلينا الاستعداد لذلك، كان الأخ عمر أكثر شدة في الحديث، استهزأ في البداية بقولنا، وقال لي: لا تهتم كثيرًا هؤلاء جبناء لا يمتلكون الشجاعة لفعل أي شيء، فلقد حسم الأمر ولن تجد منهم من يرفع رأسه، لكن محمد المجدوب وافقني على الفور واتفقنا أن نتصل بالفعاليات الشعبية في بنغازي لنمسك بزمام المبادرة في أيدينا، وأن نسبق المعارضين ونصعد العمل الثوري، خرجنا وعمر من الجامعة وفي سيارة أحد الإخوة توجهنا إلى بنغازي التي كانت منفصلة بمسافة فضاء عن قاريونس، اتصلت بالإخوة في الاتحاد الاشتراكي العربي، وقلت لهم سأمر عليكم في أمر انتظرني وقتها عبدالله البركي، والأخ محمود الخفيفي، تحدثنا معهم عما حصل واقترحنا تنظيم مسيرة مؤيدة يوم السبت استباقا لأي عمل معادٍ، لم يقتنعا بفكرتنا، كان رأيهم أنه لن يتجرأ أحد على الخروج، وأن الناس تعي المؤامرة الانقلابية وتوابعها، ولن يجدوا لهم أي صدى في بنغازي، بعد ذلك انتقلنا إلى مقر الإخوة في الاتحاد العام للعمال فوجدنا الأخ بشير الحويج، والأخ عبدالله إدريس الذي رحب بنا، تحدثنا مطولا في مشاغلنا، اقتنع بوجهة نظرنا، واتفقنا على تنظيم مسيرة في بنغازي يوم السبت الموافق 1 يناير.

كانت المرة الأولى التي يلتقي فيها محمد المجدوب بقيادات شعبية وعمالية في بنغازي، كان قليل الحديث، لكن مداخلاته مفيدة رغم اختصارها، منذ تلك الأيام أصبح بيننا تقارب فكري سواء في التحليل أو الاستنتاج، لذلك خضنا معا مسيرة نضالية متواصلة لأكثر من ثلاثين عامًا لم يفرقنا فيها إلا المرض، في الاجتماعات سواء مع

القائد أو في عدم حضوره كانت تتطابق آراؤنا إلى الدرجة أن كثيرون توقعوا أننا نلتقي ونتفق قبل الاجتماعات وهذا لم يحدث أبدا.

محمد المجدوب شخصية قومية خارج إلى حد كبير من التأثيرات الاجتماعية رغم حجم الضغوط التي كان يتعرض لها بحكم وضعه السياسي لاحقا، ورغم تنامي العامل القبلي في السنوات اللاحقة.

حملة دعائية محمومة

سرعان ما تناولت ماكنة الدعاية المعادية الحدث البسيط أمام المكتبة والذي لم يتجاوز العراك بالأيادي والضرب بالعصي، وصورته على أساس أنه حرب طاحنة، ومعارك شرسة تخوضها الدولة ضد الطلبة العزل، وأن القذافي أرسل دبابات إلى الجامعة لسحق انتفاضة طلابية، وأن القتلى بالمئات، تتناثر جثثهم في المدرجات في مشهد مشابه تماما للحملة الإعلامية القنوات المعادية من الجزيرة إلى الحرة، أيام أحداث 2011، تناولت إذاعة "البي بي سي" الخبر كموضوع رئيس، وكذلك الإذاعات والصحف المصرية، ولأن الفضاء الإعلامي لم يكن متاحا للمتابعة كما هو الآن، لم نستمع نحن إلى تلك الأخبار وكذلك عامة الناس، لكنها كانت حملة مدروسة اعتمدت نشر أخبارا كاذبة وترديدها، نجحت إلى حد كبير في نقل صورة غير واقعية إلى الرأي العام والدولي لتهييجه ضد ليبيا وللتمهيد للأعمال العدائية ضدها، فعلت تلك الحملة فعلها في الأوساط الطلابية الليبية من المبعوثين إلى الخارج خاصة في أوروبا ومصر وأمريكا وكانوا

يحصون بعشرات الآلاف، بدأت تصل إلينا أخبار عن احتجاجات من فروع الاتحاد بالخارج والذين في أغلبهم من الطلاب الثوريين أو المحسوبين على الثورة، فاضطر الاتحاد العام لإرسال وفود لهم لشرح حقيقة الموقف، وكما تصورنا استغلت القوى المنظمة حزبيا ومؤيدو انقلاب المحيشي تلك الفرصة لتعبئة الطلاب وتحريضهم للتحرك ضد الثورة.

بعد 2011 وأنا أتذكر السيناريوهات في السبعينيات أيقنت أن الخطة الغربية لزعزعة الدول المناهضة لها تابثة ولم تتغير، الإبهار بالرأسمالية، والإعلام من خلال إذاعات موجهة تسمى الحرة، أوروبا الحرة، العراق الحرة، ليبيا الحرة، ليبيا الأحرار، وتأسيس منظومات عسكرية تتولى زعزعة الأمن ومن ثم التدخل، صناعة أحداث بسيطة تم تهويلها.

السابع من أبريل 1976 عام الحسم الثوري السلمي

انتظمت مسيرات شعبية يوم الجمعة 31 ديسمبر في بنغازي شاركت فيها قطاعات شعبية وقادها اتحاد العمال بالمدينة وقيادات من الاتحاد الاشتراكي العربي، طالبت بإبعاد الجامعة عن التجاذبات السياسية ونشاط الأحزاب، يوم السبت 1 يناير 1976 تمكن الطلاب المعارضون من تدبير خطة لتهييج الطلاب وتحريكهم ضد الثورة بالترويج لدعاية تقوم على أساس أن عسكريين من سرت اقتحموا الجامعة وقتلوا الطلبة، في واقعة خيالية لا صحة لها على الإطلاق مشابهة تماما لحكاية المرتزقة الذين قتلوا المتظاهرين في البيضاء! تقريبا قبل منتصف النهار حسب ما أفادني به بعض الإخوة الطلاب المتواجدون في الكليات، حرضوا مجموعاتهم التي هاجمت أي طالب من سرت على أساس أنه عسكري من الحرس، تعرض طالب مبتور اليد من مدينة بن جواد اسمه أحمد جمعة وافي لضرب مبرح حتى أغمي عليه، من قبل مجموعات بلطجية مسخرة من قبل العصابة التي تسيطر على الرابطة الطلابية، واعتقد الطلبة المتواجدون في موقع الحادثة أنه فارق الحياة، سمع بالحادثة الطالب بكلية الاقتصاد عبدالسلام الزادمه فحضر لنجدته، لكن البلطجية وبعض أعضاء الرابطة وبعض العناصر من خارج الجامعة تجمعوا عليه وحاولوا التعرض له بالضرب، فالتجأ إلى مكتب اتحاد الطلبة بالدور الأرضي بإدارة الجامعة وقفل الباب، قام أحد البلطجية، وحسب ما علمت لاحقا أن اسمه "بشير جربوع " بقفل المكتب بالمفتاح من الخارج، وأحضر

بنزيناً وسكبه تحت الباب وأضرم به النار، حاول عبد السلام رحمه الله فتح الباب فلم يفلح، كان يحمل مسدسا فأطلق عيارا لكسر القفل ليفتح الباب وفعلا كسر القفل ورصاصة ثانية في الهواء لتفريق التجمع المحيط بالنيران المشتعلة لكنها أصابت أحد المتجمهرين، نقل على إثرها إلى المستشفى، أما عبد السلام الزادمة رحمه الله فلقد أصيب بحروق أثناء خروجه وسط النيران لكنها كانت بسيطة في رجليه.

نجحت الخطة المرسومة تماما في تهييج بعض الطلبة وتحريضهم على الخروج في مظاهرة مناوئة للسلطة التي قتلت الطلاب ! ولأن الإخراج جاهز أندفعت المظاهرة مباشرة إلى خارج الجامعة واتجهت إلى فهاجم المتظاهرون وفق مخطط مدبر بليل مقر اتحاد العمال وأضرموا به النار، ثم توجه عشرات المتظاهرين إلى مقر الاتحاد الاشتراكي وأضرموا فيه النيران أيضًا في استعراض رمزي للقوة، حاول العشرات منهم العبث بالممتلكات الخاصة بشارع جمال عبدالناصر مما اضطر قوة من الحرس الجمهوري في البركة إلى التدخل وتفريقهم.

توتر الوضع في الجامعة وفي المدينة بشكل عام، ولأننا نعرف طبيعة وأخلاقيات أولئك المجرمين طلبنا من الطلبة الثوريين في بيت رقم 5 و6 الاحتياط وتغيير أماكن نومهم، اتفق الإخوة أن أسافر إلى طرابلس لوضع القائد في حقيقة صورة الأحداث.

يوم 4 يناير 1976 كان المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي منعقدا، أبلغوني القيادة أن أذهب مباشرة إلى قاعة

الشعب، عند وصولي وجدت النقيب بشير حميد في الحراسة مع بعض الطلبة من كليات جامعة طرابلس ومنهم الشهداء عزالدين الهنشيري، وسعيد راشد، طلب مني أن انضم إلى الحراسة دون تدريب ولا سلاح، قلت له ممازحا أنا طلبت مقابلة وتمت الموافقة ولم أحضر للحراسة، بعد رفع الجلسة الصباحية غادرنا مع القائد إلى معسكر باب العزيزية، جلست مع القائد وشرحت له الموقف بالضبط وكان مغتاظا من تصرف الطلبة الذين قاموا بالمشاجرة يوم الخميس بينت له أنهم كانوا مضطرين لكنه قال لي: ينبغي أن تتصرفوا بذكاء وحكمة لأن الأعداء يريدون جرجرتكم إلى مواجهة غير واجبة وهذا ما حدث، طلب مني أن نهدئ الموقف وأن نبعد الطلبة المستفزين عن الجامعة ومنهم أحمد إبراهيم، وعبدالسلام الزادمة، وإسماعيل الكرامي، والسعداوي الحاج وعدد آخر لم أعد أتذكرهم، وقال لي: أنا معتمد عليكم في حل المشكلة ولا أرغب في الزج بالأمن لأنهم لا يجيدون التصرف خاصة مع الطلبة في هذا الجو المتوتر، طلبت منه أن يبلغوا إدارة الجامعة بالتعاون معنا.

رجعت مباشرة إلى بنغازي واتصلت بالإخوة فوجدت الأخ أحمد في بيت محمد المجدوب ذهبت إليهم ودار نقاش مطول إلى وقت متأخر من الليل حضره الأخ عمر السوداني، والمرحوم أحمد الكيلاني، كان رأيي ورأي الأخ محمد أن ننفذ ما قاله القائد، ورأى أحمد وآخرون بضرورة التصدي للمجرمين وعدم منحهم الفرصة بتعزيز انتصار وهمي خاصة أن من شارك في مظاهرة إحراق اتحاد العمال والاتحاد الاشتراكي عدد قليل لا يتجاوز العشرات، وأنه يجب

أن نلتحم مع العمال في عمل ثوري لتطهير بنغازي من تلك العصابة! لا أدري من كان يمتلك في ذلك الوقت الرأي الصواب لكن رأيي والأخ محمد هو الذي تم قبوله، قررنا أن نستغل فترة الهدوء لتنظيم صفوف القوة الثورية في الجامعة وتعبئتها وعندما نكون جاهزين نحدد نحن ساعة الصراع ونحسمه لصالح الثورة.

حاول المعارضون تصعيد عمليات التظاهر ضد الثورة أيام الأحد والاثنين لكنهم فشلوا، فلم يستجب الطلاب بالجامعة لدعواتهم. فركزوا على الإعلام الخارجي والتحريض والاستفزاز بكل الطرق.

كما حاول إعلام السادات والإعلام الغربي عموما استغلال الأحداث البسيطة وتهويلها، لكن فروع اتحاد الطلبة كانت في أغلبها من شخصيات وطنية فلم تتم الاستجابة لدعوات القوى المعارضة بحراك طلابي في الخارج، وتم إجهاض محاولات الدول الاستعمارية لتسخير الوسط الطلابي ضد ثورة الفاتح.

كان الشهيد البطل عبدالقادر البغدادي، والشهيد البطل عزالدين الهنشيرى، والدكتور عمر السوداني على قدر كبير من الكفاءة في إدارة أول اتحاد للطلبة، وتمكنوا من عزل مجموعة رابطة جامعة بنغازي وتمكين عناصر من كليات الطب والهندسة والدراسات الإسلامية من المشاركة في مناشط الاتحاد المحلية والخارجية.

ابتعد الإخوة أحمد إبراهيم، وعبد السلام الزادمة، وإسماعيل الكرامي، والسعداوي الحاج عن الجامعة للتهدئة وبدأنا في التواصل مع الطلاب لشرح حقيقة هؤلاء الذين تمكنوا من السيطرة على رابطة

الجامعة، للأمانة التاريخية كانت أغلبية الطلاب من أبناء الفقراء العمال والفلاحيين أصحاب المصلحة الحقيقية في ثورة الفاتح، ولم ينجح الحزبيون في تضليلهم وتغيير قناعاتهم وكانت علاقتنا الشخصية بالطلاب متينة للغاية.

جماعة الرابطة الطلابية توهموا أنهم حسموا الصراع نهائيا لمصلحتهم فأخذتهم العزة بالإثم ومارسوا أعمالا مستفزة لإدارة الجامعة والكليات وللطلاب، حاولوا فرض إجراءات لم تكن معتادة في الجامعة، كانوا يتصرفون بفوقية على اعتبار أنهم نخب معارضة، الأمر الذي أثار حفيظة أغلبية الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، وللأمانة أيضًا كنّا نستغل تلك التصرفات لتعبئة الطلاب وأعضاء هيئة التدريس ضدهم، في نفس الوقت انهمكت مع الأخ محمد المجدوب وبقية الرفاق في لقاءات تنظيمية مع الطلاب الثوريين لتنظيم العمل، وبالنظر لوجود علاقة بين بعض ممن يعملون في الأجهزة وتلك المجموعات الطلابية ولقناعتنا أن ما يجري ربما هو استمرار لمؤامرة الضباط في 75 والعناصر التي ربما لم تكشف، كنا نعقد لقاءاتنا في السر وخارج بيوت الطلبة ومن خلال رحلات نقيمها إلى الأبيار والرجمة والباكور، كما أجريت لقاءات لإزالة بعض سوء التفاهم الذي يقع بين الإخوة، كان الأخ عمر السوداني، المرحوم عبدالله أبوسته، المرحوم الشارف الفرجاني، سعد إسماعيل، حسني الوحيشي، مختار القناص، الهادي حامد، الهادي انبية، يونس معافه، محمد الهرمه احتيوش فرج، علي أبوجازية، ميلاد دامان، فتحي ناجي، المرحوم أحمد رضوان، المرحوم فرج مخيون، أحمد إسماعيل، عبد اللطيف

الفقهي، أبوعجيله فكرون، أحمد النويصري، المرحوم علي ميلاد ارحومه، المرحوم المبروك الصل، عيسى الرفادي، فتحي انديشه، محمد حسن، عبدالله سلوم، محمد الغرياني، محمد الحاج، علي الحطماني، عمار احتيوش، عبد القادر الهوني، وعمر علي اشكال وغيرهم كثيرون من العناصر التي لعبت دورًا أساسيًا في تنظيم القوى الثورية الطلابية في الجامعة استعدادا لإنهاء سيطرة تلك المجموعات على الجامعة.

في منتصف شهر مارس 1976 شعرت والأخ محمد المجدوب أن الوضع مناسب وأن الشباب مستعدون لتحريك انتفاضة طلابية ضد شلة الرابطة، وأن نقمة الطلاب علي تلك المجموعات في أوجها. سافر الأخ محمد إلى طرابلس وأبلغ القائد بالوضع، كان جوابه انتظروا مني إشارة.

حقيقة السابع من أبريل لله وللتاريخ

بجهد منظم انطلق عمل ثوري جدي بين الطلاب المؤيدين للثورة، وكنا في سباق مع الزمن للوصول إلى أكبر عدد ممكن من القاعدة الطلابية لتنبيههم لخطورة ما يحاك من مؤمرات لزعزعة العملية التعليمية بالجامعة خدمة لأهداف مجموعات سياسية معينة ترتبط بدوائر أجنبية، كنا نتابع الوضع في الجامعة وما تقوم به الرابطة من أعمال خارج نطاق مهمتها النقابية، وكانت اللقاءات مستمرة مع المرحوم إبراهيم بكار أمين عام الجامعة لتقييم الأوضاع وتوجيهنا حول ما ينبغي عمله في الخطوات القادمة، وإطلاعنا على كل

المخالفات التي تقوم بها الرابطة، المرحوم إبراهيم بكار والمرحوم الدكتور سالم الشيباني مثلا ركنا مهما من القيادة الميدانية لثورة الطلاب في 7 أبريل لكنهما كانا دائمًا لا يحبان الأضواء ويعملان في صمت وكان لآرائهما ومقترحاتهما دور كبير في تصفية الجامعة من القوى الحزبية التي حاولت العبث بها.

استفزاز طلاب الزاوية!

سلمنا الأستاذ إبراهيم بكار رحمه الله صورة رسالة وجهها خ. الترجمان أمين رابطة اتحاد الطلبة آنذاك إلى الدكتور عمر أبوحميرة عميد كلية القانون، الرسالة بدأها "من خالد إلى عمر" وكأنه خالد ابن الوليد يخاطب عمر ابن الخطاب، غضب عمر مولود أبوحميره عميد كلية القانون وقتها، من الرسالة وحضر إلى المرحوم إبراهيم بكار محتجا، وكان يرافقه الدكتور عبدالله الميهوب وهو عضو هيئة تدريس جديد بالكلية، واعتبرت إهانة للكلية والجامعة، لاشك أننا وجدنا كنزا ثمينا سلمنا الرسالة إلى إخوتنا في كلية القانون الذين تداولوها فيما بينهم خاصة الطلاب من المنطقة الغربية وكانوا يشكلون أغلبية طلبة كلية القانون، سألني الإخوة ما العمل؟ اتفقنا أن يدعو إلى اجتماع طلابي بالكلية وتسحب الثقة من أمين الرابطة لأنه مصعد من كلية القانون، ونسقطه من وحدة الاتحاد بالكلية وبذلك يفقد عضويته في الرابطة، يوم 4 أبريل اجتمع طلاب كلية القانون في اجتماع حاشد حضره أمين الرابطة الذي كان يعتقد أن الأمور تسير لصالحه لكن الاجتماع كان صاخبًا، وكان الطلبة الغاضبون يصبون سخطهم على رأسه وشلته، وبالكاد نفذ بجلده بعد أن قفز من الطاولة وسط لكمات

الطلاب بالمدرج، تم حل وحدة كلية القانون وانتخاب وحدة جديدة، عندما أبلغني الإخوة حسني الوحيشي، وأبوعجيلة فكرون بتفاصيل ما حدث في الاجتماع، لم أصدق أن ذلك حدث بهذه السهولة والقوة، لقد كنا نتصور أن إسقاط رابطة الاتحاد سيحتاج إلى جهود مكثفة ووقت ليس بالقصير، التقيت مع الإخوة محمد المجدوب وأحمد إبراهيم، وعمر السوداني في المساء وقيمنا ما حصل بكلية القانون ورأينا أن الوقت مناسب للزحف الطلابي على الرابطة وإسقاطها، اتصلنا بالقيادة في طرابلس وأبلغناهم بالتطور، وطلبنا عرض الموضوع على القائد.

في يوم 2 أو 3 أبريل على ما أذكر في طرابلس وبدون إعلان مسبق انطلقت مسيرة تاريخية لا أعلم من نظمها وزحفت على ميدان الشهداء كانت من أضخم المسيرات التي شهدتها العاصمة طرابلس بعد مسيرات الإجلاء الضخمة، كانت دافعًا قويًا للمضي في تحركنا، قامت خطتنا على مرتكز أساسي وهو إسقاط وحدات الاتحاد بالكليات ومن ثم إعادة بناء الرابطة، وحيث أن ذلك تحقق بسهولة في كلية القانون علينا أن نرتب لنفس الوضع في كليتي الآداب والاقتصاد، كانت وجهة النظر الأساسية تقوم على ضرورة استغلال التطورات التي استجدت في كلية القانون وعدم إعطاء فرصة للقوى المعارضة لإعادة توازنها وترتيب أوراقها فنحن نعلم أنها لا تعدم الحيل.

5 أبريل في مدينة سلوق

استقبلت قبيلة العواقير القائد في مدينة سلوق يوم الخامس من أبريل 1976، وانتظم لقاء جماهيري حاشد، دعينا من القيادة لحضوره، كان أعضاء هيئة التدريس وعدد من طلبة الجامعة من بين الحضور منهم الدكتور الهادي أبولقمه رئيس الجامعة، والمرحوم إبراهيم بكار، وحضر من الطلبة على ما أذكر يونس معافه، وعمر السوداني، والسعداوي الحاج، واحتيوش فرج، وفتحي ناجي، ومختار القناص، وسعد إسماعيل، والمرحوم الشارف الفرجاني، وحسني الوحيشي، وعبد الله سلوم، وعلي أبوجازية، والمرحوم إبراهيم علي، والمرحوم المبروك الصل، والمرحوم نجيب طليبه، وفرج طلوبه، وأحمد رضوان، وعبد اللطيف الفقهي، وعلي ميلاد ارحومه، وعبد الواحد القمودي، وأبوعجيلة فكرون، ومحمد مروان، ومحمد الغرياني، ويوسف قدمور، وعبد السلام خماج، وعبد الله بوسته، ومحمد حسن، من كلية العلوم، وميلاد الحراثي، والطيب الصافي، ومحمد الهرمة، وعامر والشارف تنتوش، تحدث القائد كعادته حول عديد القضايا التي تتعلق بالشأن الداخلي والخارجي، وحول التنمية وأهميتها وما تتعرض له الثورة الفتية من مؤامرات، وتطرق بإستفاضة إلى الوضع في الجامعة وبين لنا أن بقايا اليمين الرجعي يريدون أن يعزلوا الجامعة عن المجتمع ويمنعونها من المساهمة في التنمية الاجتماعية وقيادة التحول الثوري وأن يحولوها إلى قاعدة تختبئ فيها القوى المعادية للشعب الليبي، وأوضح أن الجامعة أنشئت

لتعليم أبناء العمال والفلاحين أصحاب المصلحة الحقيقية في ثورة الفاتح وليست لتكون وكرًا لبقايا العائلات البرجوازية الرجعية المتعالية على الكادحين والفقراء، ووجه نداء إلى الطلاب بضرورة الحفاظ على جامعتهم وأن يدافعوا عنها ضد بقايا اليمين الرجعي، وعليهم حسم المعركة في الجامعة فورا لصالح الشعب وقواه العاملة، وطالب أبناء العمال والفلاحين بالاصطفاف إلى جانب الشعب والوطن ضد وبقايا اليمين الرجعي، وقال: إن الصراع سيحسم سلميا وبدون دماء ولا آهات بالجماهير الطلابية التي ينبغي أن تزحف من صباح الغد على كليات الجامعة وتطهرها من القوى الحزبية الظلامية، وقال لو تمكنت تلك القوى الحزبية من التغلغل في الجامعة فسنحتاج إلى تضحيات جمة وستسيل دماء حتى يمكن أن يعاد الوضع إلى نصابه، قال: إن ثورة الطلاب التي ينبغي أن تنطلق منذ صباح الغد مهمة جدا، وهي الطريق الوحيد لتتبوأ الجامعة موقعها الصحيح في المجتمع الليبي الجديد.

كان طلبة السنوات الأولى بكليات القانون والآداب والاقتصاد يقيمون في بيت الطلبة رقم 8 بمنطقة الفويهات، كانت قيادات ثورية مهمة من بين طلبة السنوات الأولى من الشباب الثوريين حسني الوحيشي، ومحمد مروان، ومحمد الغرياني، والمرحوم المبروك الصل، وأبوعجيلة فكرون وغيرهم، بمجرد انتهاء كلمة القائد التي كانت منقولة مباشرة على الهواء، وفي جو الحماس المخيم منذ إسقاط الترجمان وجماعته، دعي الطلاب المتجمهرون بالبهو حول جهاز الإذاعة المرئية لاجتماع للتداول في كلمة القائد، في المطعم وقبل أن

يستكمل الطلاب حضورهم وجدوا أنفسهم في ساحة القسم الداخلي حيث خرجوا مباشرة في مسيرة طلابة حاشدة باتجاه وسط البلد مرورا بمعسكر البركة وبيت الطالبات وبيت الطلبة رقم 6، وفى نفس الوقت انطلق مجموعة من الطلبة من بيت رقم5 إلى الجامعة، كانت مسيرات عفوية غير منظمة رفعت شعارات ثورة الفاتح وصور القائد.

صباح يوم 6 أبريل أنتظمت مسيرات ثورية في كل الكليات وسيطر الطلاب الثوريون دون أية مشاكل على وحدات اتحاد الطلبة بعد أن أختفى أعضاء الرابطة عن الأنظار، عقد اجتماع ضم الطلبة الثوريين من كل الكليات، بكلية الاقتصاد والتجارة، حضره الدكتور الهادي أبو لقمة، ورئيس الجامعة عبدالحفيظ الزليتني، والأستاذ إبراهيم بكار، ومن أبرز أعضاء هيئة التدريس الدكتور ميلود الحاسية، الدكتور محمد لطفي فرحات، والدكتور فرحات شرننه، والدكتور عبدالسلام العربي، والدكتور عبدالله الميهوب، والدكتور عبدالسلام المزوغي، والدكتور عمر مولود، والدكتور عبدالقادر الشريف، والدكتور محمد المكحل، والدكتور الذويب الأخضر، والدكتور عثمان شلادي، والدكتور سالم الشيباني، والدكتور عبدالسلام البدري، نوقشت التطورات بعد خطاب القائد وإسقاط رابطة اتحاد الطلبة واتفق على تشكيل لجنة لتوجيه العمل بالجامعة سميت لجنة الطلائع الثورية وكلف الدكتور عبدالحفيظ الزليتنى رئيسا لها، والدكتور عبد الله الميهوب، والدكتور سالم الشيباني مساعدين له، والمرحوم إبراهيم بكار مقررًا لها، اتفق على آلية التعامل مع الطلاب الذين انجروا إلى أعمال معادية أدخلت الجامعة في مشاكل وصراعات أثرت على مسيرة التعليم والنشاط الطلابي بها.

كما تم تشكل وفد من أعضاء هيئة التدريس والطلبة من اللجنة لمقابلة القائد ودعوته لزيارة الجامعة، فعلا ذهب الوفد وكنت من بينهم إلى معسكر البركة والتقينا بالقائد وشرحنا له الوضع واتفقنا على لقاء بالجامعة في اليوم التالي.

يوم السابع من أبريل حوالي الساعة العاشرة صباحا استقبل طلاب جامعة بنغازي القائد في مسيرة طلابية ضخمة، أمام المكتبة المركزية ألقى خطابا مهما حول الجامعة ومتطلبات المرحلة القادمة وأهمية أن تشترك الجامعة كمؤسسة وطلاب وبحاث وأعضاء هيئات التدريس في عملية التنمية وأن لا تعزل نفسها داخل أسوارها، ثم التقى بالطلبة وأعضاء هيئة التدريس، وأعضاء لجنة الطلائع الثورية كما سمت نفسها باقتراح من المرحوم الدكتور عبدالله الميهوب في كلية الاقتصاد، حول مهام اللجنة ودورها في إعادة الهدوء للجامعة وتجاوز مرحلة عبث العناصر الحزبية التي شكلت قلقا بالغا للطلبة وللإدارة، وضرورة وتطوير المناهج التعليمية والدخول إلى مجالات البحث العلمي مع التركيز على القضايا العملية خاصة تلك المتعلقة بمشروعات التنمية سواء كانت البشرية أو المادية أو الاجتماعية، وأهمية إبعاد الجامعة عن التجاذبات السياسية.

الساعة الخامسة مساء السابع من أبريل عقد أول اجتماع رسمي للجنة الطلائع الثورية، حضر من الطلاب يونس معافه، المبروك الصل، حسني الوحيشي، الهادي حماد، الصادق عبد النبي، السعداوي الحاج، الشارف الفرجاني، أحمد رضوان، عبد اللطيف الفقهي، مختار القناص، الهادي انبية، طاهر طلوز، علي أبوجازية، محمد الهرمة، محمد حسن، عبدالله سلوم، ميلاد الحاراثي، عمر السوداني، عبدالله

بوسته، فتحي ناجي، احتيوش فرج، الغناي علي الغناي، عمرعلي اشكال، عبدالقادر الهوني، إبراهيم علي، محمد الحاج، نجية انديشه، فتحي انديشه، وريدة المعكف، عائشة الميساوي، أحمد النويصري، عبد الواحد القمودي، يوسف قدمور، إبراهيم القاضي، علي ارحومه، محمد الغرياني، محمد مروان، أبوعجيلة فكرون، حسني الوحيشي، والشارف تنتوش وغيرهم من الرفاق الأبطال الذين غيبت الذاكرة أسماءهم، ومن أعضاء هيئة التدريس الهادي أبولقمه، وميلود الحاسية، وعبد القادر الشريف وعمر أبوحميرة، وعبد السلام البدري، وشعبان التاجوري، والدكتور الذويب الأخضر، والدكتور عثمان شلادي عميد كلية طب الأسنان التي افتتحت ذلك العام.

استمرت اجتماعات لجنة الطلائع الثورية منتظمة يوميا بحثت خلالها تطوير التعليم الجامعي وقانون الجامعات، وتطهير الجامعة من العناصر الحزبية وأعضاء هيئة التدريس غير المؤهلين.

اعتمدت اللجنة عدة أسس لتطهير الجامعة من الطلاب المرتبطين بأحزاب ويمارسون أعمالا تؤثر سلًبا على العملية التعليمية، منها من يثبت بالدليل تورطهم في أعمال تخريبية، وفقا لما يرد من الأجهزة الأمنية، ووحدات اتحاد الطلاب والاتحاد الاشتراكي، على أن تتشكل بالجامعة لجنة برئاسة إبراهيم بكار تبث في الاتهامات، وحددت العقوبات بالإنذار وتعهد أولياء الأمر، والطرد لمدة سنة والطرد النهائي من الجامعة، أما العناصر الحزبية المتورطة عمليا في التخطيط وتنفيذ التخريب بالجامعة وبالمدينة وفتولت أمرها أجهزة الأمن.

لقد طالت العقوبات التي أوقعتها اللجنة عددًا قليلًا جدًا من الطلبة يعدون بالعشرات، وحققت تلك الآلية نجاحا في استيعاب واحتواء عدد كبير من الطلاب الذين انجروا وراء المناشط الحزبية في الجامعة، وبحمد الله لم توقع أي عقوبات على أي من طلبة كلية الطب رغم تورط بعضهم في بعض الأعمال، ولقد قمت والأخوان عمر السوداني، وعبدالله أبوسته بضمانة المتهمين على مسؤليتنا أمام اللجنة، ولم نمن عليهم بذلك ولم نحدثهم به إلى يومنا هذا.

كان عمداء الكليات يختارون من قبل الطلبة بالانتخاب، ورأى بعض أعضاء هيئة التدريس الأعضاء باللجنة أن ذلك يجعلهم ضعافا أمام الطلاب وفي كثير الأحيان يختار المجاملون للطلبة على حساب العناصر القادرة والحاسمة، وحيث أن المرحلة الجديدة تتطلب الجدية والحسم لذلك توجد ضرورة ملحة لتغيير آلية اختيارهم بحيث لا تكون بالانتخاب مباشرة من اللجنة الشعبية للكلية كما كان ساريا منذ الثورة الشعبية عام 1973، رفع الاقتراح إلى القيادة فتمت الموافقة علية ووجه بالمزج بين الأسلوبين وهي أن ترشح اللجنة الشعبية عددًا من الأسماء لا يقل عن ثلاثة إلى وزير التعليم الذي يصدر قرارا باختيار أحدهم عميدا ووكيلا للكلية، وكذلك تقترح اللجنة الشعبية للجامعة عددا من الأسماء يختار من بينهم أو من خارجهم وزير التعليم رئيسًا ووكيلًا للجامعة.

اقترح بعض الإخوة اسم جامعة بنغازي ليتناسب مع العملية الثورية الجارية بها، وبعد حوار طويل اتفق على عرض عدد من الأسماء منها جامعة الثورة العربية وجامعة العرب الدولية وجامعة الثورة إلى آخر القائمة التي لم أعد أتذكر تفاصيلها، وافق مجلس قيادة

الثورة على مقترحات لجنة الطلائع الثورية لكنه قرر تسمية الجامعة بجامعة قاريونس.

ومن المهم تقدير الدور النضالي الذي قامت به رابطة اتحاد الطلبة في محافظة بنغازي لمقاومة الأنشطة الحزبية، وخاصة المناضلين الشريف مراجع، ومحمد عامر فلقد كان دورهما سببا في إنجاح بناء الاتحاد العام للطلبة وفي إفشال مخططات الحزبيين في جامعة بنغازي، وفى إنجاح ثورة الطلاب في السابع من أبريل.

في جامعة طرابلس انتظم احتفال طلابي يوم 6 أبريل ودعي له بعض طلبة الثانويات بمنطقة طرابلس وحضره الرائد عبد السلام جلود الذي ألقى خطابا في ساحة كلية الهندسة، إلا أن بعض الطلبة الشيوعيين حاولوا التشويش على المشهد فتجمعوا عند بيوت الطلبة الأمر الذي أدى إلى الزحف عليهم من الطلاب الغاضبين وتمت بعض المناوشات والاشتباكات بالأيدي وجرى اعتقال بعض الطلاب لوقت قصير حيث أفرج عنهم جميعا قبل ساعات المساء من نفس اليوم بأمر من عبد السلام جلود، كان الشهداء عبد القادر البغدادي وسعيد راشد، وعزالدين الهنشيري مع الإخوة المهدي امبيرش، عمران أبوكراع، على طلاق، عبد السلام زبيده، معتوق محمد، محمد زيدان، موسى زلوم، أحمد الصاوت، مختار ديره، المبروك عثمان، فتحي شتوان، مفتاح عزوزه، عمران حموده، عمران زويد، عبد الله كنشيل، المرحوم يونس ضو، ميلاد دقه، علي ريح، البدري جبريل، محمد كريستا، جمعه مادي، شعبان الطربان، علي فارس، علي زكري، يوسف أبوالأحباس، الشهيد ميلاد الواسع، خليفة الخويلدي، إدريس الطويل، ومحفوظ أبوحميد، من القيادات البارزة في النشاط الطلابي إضافة إلى الأساتذة موسى عمر، بلقاسم خماج، خيري الصغير، إبراهيم

المنتصر، سالم الحضيري، أحمد الحنيش، عبدالمولى البغدادي، سعدون السويحلي، الصديق الشكشوكي، ومحمد الجمل وغيرهم.

كلمة للتاريخ

للتاريخ ورداً على حملة ادعاءات وافتراءات القوى الحاقدة المريضة التي ثبت معاداتها للشعب الليبي باعترافاته الموثقة بالصوت والصورة والتي يتبجحون بها بعد 2011، أقول وبكل مسؤولية قانونية وأخلاقية، لم تحصل أية أعمال عنف في السابع من أبريل في جامعة بنغازى وحصل فقط عراك محدود بالأيدي وقذف بالحجارة دام بضع دقائق في جامعة طرابلس، ولم يتم قتل أي طالب ولا إعدام أي شخص في الجامعة ولا خارجها طيلة عام 1976.

عام 1977 أصدر القضاء الوطني المستقل أحكاما بالإعدام والسجن بحق المتهمين بأحداث يناير 1976 وحرق مقار اتحاد العمال والاتحاد الاشتراكي، وقضية تخابر مع الخارج وتفجير بميناء بنغازي، وتم تنفيذ حكم الإعدام شنقا في ثلاثة مدانين، كما أصدرت أيضا المحكمة العسكرية أحكاما في قضية محاولة انقلاب المحيشي شملت أيضًا أحكاما بالإعدام رميًا بالرصاص وأحكاما بالسجن وتم تنفيذ تلك الأحكام، وفي عام 1983 أصدرت المحكمة الثورية وهي محكمة شرعية شكلت لمحاكمة أول خلية لتنظيم جهادي إرهابي في ليبيا وهو تنظيم البشتي وتم إعدام ثلاثة من قياداته، وفي عام 1984 حاول عملاء المخابرات الأمريكية فيما سمي جبهة الإنقاذ ارتكاب أعمال تخريبية باستخدام السلاح، تم كشفهم ومحاكمتهم شعبيا وتم إعدام بعضهم في صيف 1984، كل تلك الإعدامات التي تمت وفقا للقانون

الساري وقتها والتي لم تتجاوز أعدادها بضعة مجرمين يعدون على أصابع اليدين، وحسبت على ثورة الطلاب المدنية السلمية.

لقد كان الهدف من الدعاية المعادية تشويه الحراك الطلابي الوطني الذي أنهى محاولات الحزبيين للعبث بالجامعة وتحويلها إلى ساحة للصراعات السياسية ولقد نجح السابع من أبريل في تأسيس قاعدة وطنية حقيقية من الطلاب وأحدث استقرارًا مهمًا بالجامعة فتوسعت بعده قاعدة التعليم الجامعي ليصل عدد الجامعات عام 2010 إلى 27 جامعة وهو معدل قياسي عالمي نسبة لعدد السكان.

لقد أندفع طلاب الجامعة وأعضاء هيئة التدريس في عملية ثورية مهمة في جامعتي الفاتح وقاريونس فلقد كانت عملية إنهاء سيطرة القوى اليمينية المعارضة للمشروع الشعبي لثورة الفاتح قد حققت نجاحات كبيرة، لذلك اتفق الإخوة في لجنة الطلائع الثورية والاتحاد العام لطلبة ليبيا على تنظيم معسكرات تثقيفية نوعية سميت بمعسكرات السابع من أبريل.

صيف وخريف 1976 ولقاءات طلابية كبرى

قرر الاتحاد العام للطلبة دعوة الطلاب الليبيين الدارسين بالخارج إلى لقاء واسع في شهر أغسطس 1976، ولهذا الغرض تشكلت وفود للسفر إلى بعض الدول للحوار مع الطلاب ووضعهم في صورة حقيقة الأحداث الطلابية ودعوتهم للمشاركة في المؤتمر، كلف المرحوم سالم الشيباني والعبد لله بالسفر إلى بريطانيا للقاء بالطلبة وتوضيح ما يجري لهم، كانت بالنسبة لي الرحلة الثانية إليها فكنت أعرف بعضًا من دهاليزها، المرحوم سالم الشيباني نعم الرفيق

والصديق، ورغم قصر المدة فلقد كانت رحلة ناجحة جدًا، عقدنا لقاءات مع الطلاب الموفدين، ومع المسؤولين بالقسم الثقافي، ومع وحدة اتحاد الطلبة التي كان يترأسها عبد الرحمن السويحلي، كان الدكتور الشيباني على معرفه سابقة بالسويحلي، حضر إلينا في مقر الإقامة ودار نقاش مطول حول الأحداث، كان وقتها يزعم أنه من رفاق القائد وأنه ساهم في عدم استغلال الطلاب في بريطانيا في أعمال عدائية للثورة، وافق على الدعوة لحضور اللقاء، بالنسبة للطلاب كانت فرصة للعودة ورؤية الأهل، فتذاكر السفر كانت تصرف لهم مرة كل سنتين، والآن تحصلوا على فرصة أخرى للعودة، كان الأخ أحمد قذاف الدم يعمل بالسفارة، أتصور ملحق عسكري لم ألتق به من قبل لكنه فضل أن يلتقينا عدة مرات، ساعدنا في تنظيم اللقاءات بالطلاب.

كان رفاق آخرون قد سافروا إلى ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، أما مصر والولايات المتحدة فلم تستهدف بالزيارات وتم الاكتفاء بالتنسيق مع الأقسام الثقافية بالسفارات لدعوتهم للمشاركة باللقاءات.

بدأت التحضيرات للمؤتمر وشكلت لجان طلابية مع موظفين من وزارة التعليم للإعداد والتجهيز وإدارة الملتقى، وفي الموعد المحدد حضر آلاف من الطلبة المبعوثين من مختلف دول العالم وانطلقت أعمال الملتقى ونفذ برنامج مكثف لمدة أسبوع تضمن لقاء رئيسيًا مع أحد المسؤولين بالدولة، لقاء مسائي مع قيادات الاتحاد، ثم حلقات نقاش مسائية وبرنامج فني ليلي، دارت حوارات معمقة حول القضايا المطروحة، من خلال لقاءات يومية مع رئيس الاتحاد ونائبه،

ولقاء بالإخوة الوزراء، كما التقى الطلاب المبعوثون مع الرائد جلود والقائد رحمه الله.

كان الأخ أبوزيد دورده يشغل وظيفة وكيل وزارة الخارجية، وألقى عدة محاضرات حول السياسة الخارجية الليبية، لكن أهمها محاضرة حول الأطماع الروسية في أفغانستان ومحاولاتهم إسقاط الدولة الأفغانية من خلال العمل ضد الملك محمد ظاهر شاه، وبعدها باكستان للوصول إلى المحيط الهندي، ولأن منطقة آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية وخاصة أفغانستان لم تكن بارزة في الإعلام الدولي فظهر وكأنه يلقي محاضرة من الخيال العلمي وليس من خلال معلومات متوفرة لدى الأجهزة الليبية التي كانت تهتم كثيرا بتفاصيل حياة المسلمين في تلك الدول وتتابع التهديدات التي تتعرض لها الدول الإسلامية في المنطقة، وكانت تهتم جدًا بتفاصيل ما يجري بها، وكان القائد شخصيا يتابع ذلك، فلقد زار المنطقة عدة مرات وارتبط بعلاقات متينة مع "ذو الفقار علي بوتو" من باكستان وملك أفغانستان ورئيس وزراء ماليزيا، وتوترت العلاقات مع "أنديرا غاندي" الهند بسبب موقف ليبيا الداعم لباكستان.

الطلبة الموفدون أثناء المحاضرة وفي حلقات النقاش اعتبروا ذلك مجرد فانتازيا ثورية، خاصة وأن تواجدهم بالدول الغربية وتصورهم أنهم مطلعون على ما يجري بالعالم جعلهم يتوهمون أن ما لديهم من معلومات تفوق ما بجعبة أبوزيد، لكن الأحداث التي وقعت بعد سنتين فقط، من انقلاب الماركسي "لويس كابرال" والتدخل الروسي العسكري لتثبيته في الحكم، وما تبعه من صراع دموي ضرب المنطقة ووصلت شظاياه إلى العالم كله، وما تشهده أفغانستان إلى الآن بينت أن بوزيد لم ينطق عن الهوى بل كشف وقتها ما أعد من خطط

وما ينفذ من مؤامرات على المنطقة بشكل عام، قبل انقلاب "كابرال" بأيام كان الملك محمد ظاهر شاه في زيارة لليبيا وكان ما يجري محل نقاش وكان دعم ليبيا لاستقرار البلاد هو هم القذافي الأول.

كان القذافي وقبله جمال عبد الناصر ينظران إلى الأمن القومي العربي الأوسع، ويران في محيط الوطن العربي أساس الأمن والاستقرار في الوطن لذلك كانت الاهتمام بأفريقيا وإيران والهند وباكستان، وأيضا ذلك كان أساس العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، الموقف من شاه إيران المرتبط بالكيان الصهيوني ليس نتيجة مشكلة في العلاقات الثنائية معه بل بسبب موقفه من القضايا العربية، وهكذا تقيم العلاقة مع إثيوبيا ودول الغرب الإفريقي غانا، وغينيا، والكونغو، ودعم حركات منتهضة الميز العنصري في أفريقيا، وأيضا ذلك كان أحد أهم دوافع تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية وحركة عدم الانحياز ومنظمة التضامن الأفروآسيوية.

كان اللقاء فرصة لبناء فروع الاتحاد في الدول مترامية الأطراف مثل أمريكا حيث كان يصعب تجميع الطلبة في مكان واحد، وفعلا أجريت انتخابات شفافة لاختيار وحدة الاتحاد العام لطلبة ليبيا بالولايات المتحدة الأمريكية، كذلك عقدت عدة اجتماعات تنظيمية مع وحدات الاتحاد بالدول المختلفة.

لقد بذل الإخوة مختار ديره، المهدي امبيرش، شعبان الطربان، عمر السوداني، محمد الهرمه، المبروك الصل، محمد كريستا، التواتي المبروك، امحمد الغول، ويوسف أبوالاحباس جهودًا كبيرة لإنجاح اللقاء.

في نفس الوقت كانت تجرى على قدم وساق معسكرات السابع من أبريل التثقيفية، خاصة أنه في بداية عام 1976 صدر الفصل الأول من الكتاب الأخضر الركن السياسي للنظرية العالمية الثالثة، ولكونه فكرة مستحدثة في العلوم السياسية كان يحتاج إلى نقاش واسع بين الأوساط الثقافية والأكاديمية، وكان أحد أهم البرامج لمعسكرات السابع من أبريل مناقشة الجوانب النظرية والتطبيقية للديمقراطية المباشرة التي يطرحها الكتاب الأخضر، في ذلك الوقت كانت أغلب دول العالم تدار بأنظمة دكتاتورية فاشية وعنصرية خاصة في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وأوروبا الشرقة وكذلك بعض الدول الأوروبية الغربية كإسبانيا والبرتغال واليونان وتركيا، في أسيا كان نموذج حكم شاه إيران العميل للغرب هو المسيطر، لذلك فإن الحديث عن الديمقراطية المباشرة في تلك الأيام أمر شبيه بالحديث عن الخيال العلمي، لكن مهارة الشهيد القائد ومقدرته على تبسيط الأشياء مكّن المشاركين في معسكرات السابع من أبريل من فهم فكر الكتاب الأخضر والتجاوب معه.

وبالنظر لكوني في السنة النهائية من كلية الطب، ولاضطراري لحضور لقاء الطلبة الموفدين للخارج فلم يتسنى لي حضور سوى دورتين فقط لمدة أسبوعين وحضور بعض اللقاءات المهمة.

تولى الأخ عمار الطيف إدارة المعسكر في منطقة تاجوراء وكان القائد يحضر يوميا ليلقي محاضرة أو يستمع إلى مشاركات الطلاب أو يناقش أبحاثهم، كان معسكرًا ممتعًا من الناحية السياسية

والاجتماعية فتشكلت مجموعة وطنية من الطلاب من كل أنحاء ومناطق ليبيا تشربت الأفكار الثورية الشعبية والقومية.

كان بحضور القائد اليومي تجرى أحيانًا مناشط للترفيه، ولعل بعض مما يتذكره الذين شاركوا في تلك المعسكرات، مناكفات الأستاذ مختار ديره، وموسى زلوم رحمه الله، وأشعار زلوم، وعقيل الارتجالية، إضافة إلى نوادر إذاعة المعسكر التي كان يديرها عبدالواحد القمودي، يوسف قدمور، والطيب الصافي، ممزوجة بجدية وصرامة عمار الطيف، وهزلية مفتاح عزوزه، وعبد القادر البغدادي أحيانا.

لقد تكوّنت في ذلك المعسكر قيادات شابة تمكنت من التمرس بسرعه في العمل النضالي وساهمت بفاعلية في بناء ليبيا الجديدة التي أعتمدت على قدراتها الذاتية، وتمكنت في فترة قصيرة من تلييب أغلب قطاعاتها الخدمية والإنتاجية في ظل حرب غير معلنة من الدول الغربية المعادية لمحاولات الشعوب التحرر والتقدم.

في شهر سبتمبر طرحت الأمانة العامة للمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي، فكرة تبني تطبيق سلطة الشعب وإقرارها على المواطنين، من خلال الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكي العربي، وكان الاسم المطروح في الإعلان هو الجمهورية العربية الليبية الشعبية، حضر الشباب الثوريون الذين خرجوا للتو من معسكرات الإعداد الفكري، جلسات الوحدات الأساسية، وهم متشبعون بالفوارق الفكرية بين الأنظمة الملكية والجمهورية ونظام سلطة الشعب المطروح في الكتاب الأخضر في الشكل والمضمون، ومتعمقون في الأسس النظرية للنظام الجديد المفترض تبنيه، والقائم على إلغاء فكرة

الحكومة، وإحلال آلية شعبية قاعدية محلها، ولم يكن مستساغا لديهم استعمال اسم الجمهورية للتدليل على النظام الجديد، من هنا كان الاعتراض على الاسم المطروح فالنظام الجديد ليس جمهوريا، لذلك اجتهدوا في البحث عن اسم آخر، مناقشات مطولة واقتراحات متعددة، لكن الأغلب توافق على اقتراح"دولة الجماهير العربية الليبية" كاسم مناسب للدولة الجديدة.

تبنت الجماهير الليبية بأغلبيات كبيرة في كل مؤتمرات الوحدات الأساسية تقريبا فكرة إقامة سلطة شعبية، تقوم على أساس إعطاء صلاحيات تشريعية لكل المواطنين الأعضاء في الوحدات الأساسية، التي تسمى مؤتمرات شعبية أساسية، وأن تقوم بتشكيل السلطة التنفيذية وهي اللجان الشعبية التي تدير القطاعات وتراقبها.

انتهت الاجتماعات تقريبا نهاية شهر نوفمبر، وكان على الأمانة العامة التي تتشكل وقتها من أعضاء مجلس قيادة الثورة، أن توجه الدعوة لعقد المؤتمر القومي العام، لصياغة ما قررته الجماهير وتبنيه كسياسة وطنية عامة.

حصاد السنين، امتحان الخروج!

نهاية شهر ديسمبر1976 نظمت أول امتحان نهائي النهائية لطلبة الطب في ليبيا، وهو لا شك حدث تاريخي، فليبيا التي كانت من أفقر عشر دول في العالم، والتي منع أبناؤها من التعليم نتيجة العنصرية الإيطالية، تنشر التعليم ليشمل مجالات دقيقة كمجالات تعليم الأطباء، كان حرص الدولة والجامعة على أن يكون مستوى الأطباء الليبيين بمستوى أي طبيب في العالم أو يزيد، لذلك نص نظام

الامتحانات في كل المراحل أن يتكون عموده الفقري من أساتذة وخبراء عالميين لتقييم مستوى الطلاب الحقيقي ولضمان اعتراف المؤسسات الطبية العالمية بالخريجين الليبيين، شارك في الامتحان النهائي الأول ممتحنون من بريطانيا وإيرلندا ومصر والهند والسويد.

بداية شهر ديسمبر نظمت الكلية دورات تنشيطية للطلبة، شارك بعض الممتحنين الخارجيين في تقديمها حول الامتحانات وآلياتها، وفي هذا السياق أسرد واقعة غريبة وقد تبدو غير منطقية لكنها حدثت بتفاصيلها التي سأرويها، أغلب شهودها أحياء يرزقون، ذات يوم وبينما كنت منشغلا بمراجعة مادة الجراحة في مستشفى الجلاء مع دكتور من مصر اسمه الدكتور فكري، لم أتمكن من حضور مناقشة علمية تدريبية في مستشفى الأطفال نظمها أستاذ زائر من بريطانيا اسمه الأستاذ "وودروف" كانت المناقشة الساعة الثانية ظهرا لكني حضرت متأخرا حوالي الساعة الثالثة انتهت المناقشة مع الساعة الرابعة، كان عدد الحضور قليلًا في حدود عشرة طلبة، ما أن انتهت المناقشة حتي أخذني زميل فلسطيني اسمه عبدالرحمن لافي جانبا، وقال لم يفتك شيء لأن نصف المناقشة كان حولك، قلت كيف؟ قال: إن الأستاذ بدأ ممتعضا لأن عميد الكلية الدكتور عثمان الكاديكي، استدعى مجموعة من الأساتذة الزائرين وطلب منهم الموضوعية والجدية في الامتحان، وأن هناك طلبة لا يحضرون بانتظام لا ينبغي أن يجتازوا الامتحان السريري والشفوي حتى لو كان أداؤهم فيه ممتاز، وكان المثل الذي قدمه طالب اسمه مصطفى الزائدي! على رأي عبد الرحمن لافي، كان الأستاذ ممتعضا جدا، وأخذ في انتقاد النظام الذي ينبغي أن لا يتدخل في الامتحانات، تصور الأستاذ وودروف أن مصطفى الزائدي الذي حدثهم العميد حوله معارض للنظام، وأنه لا ينبغي أن ينجح لأنه لم يتصور أن العميد يمكن أن يكون

من كارهي النظام، وأن الطالب المذكور في طلبه من مناصري النظام، التحق بناء في الحديث مع الدكتور لافي صديقي الدكتور أحمد راشد مباشرة ودون أن يعلم فحوى الحوار بيننا قال مازحًا: عليك توصية قوية أنصحك لا داعي أن تتعب نفسك! وفي وقت قصير تكونت حلقة من بقية المجموعة الحاضرة، سألتهم هل هم مستعدون للشهادة بذلك لو طلبت منهم أمام المسؤولين بالجامعة، كانت إجاباتهم جميعا بالإيجاب، مباشرة من مستشفى الأطفال، غادرت ركضا إلى بيت المرحوم إبراهيم بكار الكائن بمنطقة الفويهات ولا يبعد كثيرا عن المستشفى، خرج لي إبنه الكبير، اسمه سعد قال إن والده راجع للتو وهو نائم، قلت سأنتظره، وما هي إلا لحظات حتى خرج لي المرحوم إبراهيم وقال أكيد فيه "دعوة" كبيرة أتت بك في هذا الوقت"، قلت نعم بعد أن حضر الشاي قلت له سأحكي لك قصة أنا أجزم أنك لن تصدقها لكني أرجوك أن تسمعها إلى آخرها ولا تستهين بها، حكيت له الحكاية وفعلا لم يصدق، قلت له غدا سآتي أنا والزملاء الذين رووا لي الحادثة.

في الصباح ذهبت ومعي عدد من الإخوة إلى مكتب المرحوم إبراهيم بكار لكنه وبدل أن ندخل إلى مكتبه خرج إلينا وقال ضاحكا كعادته، لا داعي للشهود "الفقومه دايرها" كان المرحوم إبراهيم يشك في الرواية لغرابتها، لكنه للتأكد اتصل بالكاديكي وسأله عن الأمر، فكانت إجابة العميد صاعقة، كانت الإجابة القاطعة بنعم "طلبت من الزوار ذلك"، تبريره أن الزائدي غير ملتزم بحضور المحاضرات والتدريب العملي، فرد عليه بكار، لكن هناك لوائح بالجامعة من يتغيب نسبة معينة يحرم من دخول الامتحان بدون شوشرة وفقا للقانون، ولا يجوز إبلاغ الممتحنين وإعطائهم صورة سيئة عن أول امتحان بكالوريوس طب يجرى في ليبيا، وصل الأمر إلى الدكتور عبد الحفيظ

الزليتني رئيس الجامعة، والأستاذ المرحوم سالم الشيباني وكيل الجامعة وكان أمرا مثيرا لغضبهم واشمئزازهم.

في تقديري لأسباب لم أدركها، الدكتور الكاديكي لم يرغب أن أكون ضمن الدفعة الأولى لكلية الطب، ربما بسبب وشايات فهو كان محل احترام مني، وكنت من ضمن الطلبة الذين فرضنا وجوده في الكلية رغم اعتراضات المرحوم الدكتور رؤوف بن عامر الذي ربما كان محقا فيها، بل أسقط بن عامر وجئنا به كعميد للكلية، صحيح لأسباب عديدة زحفنا عليه في نهاية 1975 للمطالبة بتطوير نظام التعليم في الكلية، المهم ربما فشل في إيجاد صيغة قانونية لحرماني من الامتحان بسبب الغياب، وفي هذا السياق أبلغني عام 1991 الدكتور عبد الواحد خليل رحمه الله بحضور مسجل كلية الطب آنذاك الأخ بدر عطية وآخرين، أن الكاديكي طلب منه أن يسجل الطالب مصطفى الزائدي غياب لكنه لم يتجرأ على فعل ذلك، لأني كنت أحرص على حضور المحاضرات، وكنت والدكتور أحمد التير نذهب عندما يسمح لنا الوقت له في عيادته الخاصة لحضور بعض الحالات، ولقد ساهم رحمه الله في تعليمي وبقية الدفعة الأمراض الصدرية وحببنا فيها إلى درجة أن يكون اختياري الأول للتخصص جراحة الصدر.

أعترف أن ما حدث شكل زوبعة نفسية مهمة فما هي إلا ساعات ويكون الامتحان الفاصل في حياتي، ولم أعلم هل كل ما فعله الكاديكي تلك المعلومات التي علمتها أم أنه اتخذ إجراءات أخرى لم تظهر لي، الواضح أنه على رأي المثل الليبي "وضعني في رأسه" في هذا الجو النفسي الناتج عن الرهبة من الامتحان والخوف من مكائد العميد وتأثيراتها، دخلت الامتحان وكنت أمام تحد مزدوج، إذ كان عليا أن

أثبت إني جدير فعلا بنيل بكالوريوس الطب خاصة بعد الدوشة التي تعمد العميد سامحه الله افتعالها ضدي.

تكون الامتحان من ثلاث مراحل تحريري وسريري وشفوي، ولا يمكن اجتياز الامتحان بدون اجتياز الامتحان السريري، كنت انتظر في الامتحان الشفوي والسريري إلى آخر المجموعات لأن الامتحان كان يرتب بالحروف الأبجدية، كنت دائما من المنتظرين مع دكتور ميلود الأجنف، والدكتور نوري مجبر، والدكتور معتوق عقبل.

لقد وفقني الله في اجتياز الامتحان بتقدير في كل المواد جيد جدًا ماعدا الباطنة تقدير جيد وكذلك طب المجتمع.

تخرج 41 طبيبًا، شكلوا قاعدة للمدرسة الطبية الليبية، وأثبتوا كفاءة مهنية عالية، وقادوا بعد سنوات قليلة من تخرجهم وحصولهم على الدرجات العلمية العليا التعليم الطبي في ليبيا، حيث أصبحت ليبيا من كبريات الدول التي تخرج أطباء نسبة لعدد السكان، حيث تعمل الآن أكثر من 13 كلية للطب بمستويات تعليمية عالية، وتمكن الأطباء الخريجون من كليات الطب الليبية - كفاءتهم على المستوى العالمي - تمكنوا من المنافسة في السوق العالمية حيث يعمل آلاف منهم في الدول الأوروبية والأمريكتين إضافة إلى عديد الدول العربية.

المحطة الثانية عشرة
إلى العمل

ليبيا بلا دستور؟

استقلت ليبيا عام 1951 بقرار من الأمم المتحدة بعد توافق الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية على تقاسم المستعمرات الإيطالية.

فلقد تولت بريطانيا إدارة الشمال الليبي من امساعد إلى رأس اجدير، وتولت فرنسا إدارة الجنوب، لكن السلطة الإيطالية الضعيفة التي استسلمت لـ"مونتيجمري".

المستوطنون الإيطاليون استمروا في لعب دور في ظل الإدارة البريطانية، فنفوذهم الاقتصادي الذي امتلكوه أثناء فترة الاستعمار الإيطالي لم يتغير كثيرًا، وإن كان الجانب الأمني انتقل كليا للسلطة الإنجليزية، لكن الموظفين الليبيين الذين عملوا مع الطليان استمروا في أعمالهم، وأصبحوا أدوات تشتغل بها السلطة الاستعمارية الجديدة.

كان هدف الإنجليز الأساسي إقامة دولة مستقلة في برقة تخضع لسلطتها وتتبع نفوذها في مصر، وتكوين دولة في طرابلس تتبع الإدارة الأمريكية، وأخرى في فزان تحت النفوذ الفرنسي، وتدور في فلك مستعمراتها في الجزائر والغرب الإفريقي، لكن ذلك لم يكن مهمة

سهلة فالتمازج الاجتماعي القوي وحركة الرفض الشعبي لم تمكنهم من ذلك.

أرسلت الأمم المتحدة بعثة برئاسة "أدريان بلت" ضمت مجموعة من القانونيين والسياسيين من الدول المنتصرة، التي تواصلت مع عديد القيادات الوطنية بشأن الاستقلال، ولعب أول أمين عام لجامعة الدول العربية السيد عبد الرحمن عزام، دورًا مهمًا في تحديد ملامح الدولة الليبية الجديدة، حيث ساهم نتيجة خبرته أيام معارك الجهاد بالقيادات الوطنية التي لم تتلطخ أياديها مع الطليان في دفع تلك القيادات لتصدر مرحلة الاستقلال، كان الإنجليز قد أعلنوا مع نهاية الحرب إمارة برقة المستقلة، وكلف قائد القوات البريطانية إدريس السنوسي أميرا لها، وشكلوا حكومة برئاسة عميلهم محمد الساقزلي، لكن القوى الوطنية في برقة لم تتعاون معها وسارت بقوة في مطلب الاستقلال التام.

في ذات الوقت عقدت لقاءات سرية بين وزيري خارجية إيطاليا وبريطانيا اتفقا خلالها على تقاسم النفوذ في ليبيا فيما عرف بمشروع "بيفن سافورزا" نسبة إلى اسميهما، لكن الموقف الدولي وخاصة الأمريكي والروسي، والرأي العام الليبي الذي وصل صداه نتيجة جهود كثيرة كان السبب الرئيس في إحباط ذلك المشروع المصمم لتقسيم ليبيا الواحدة.

دستور 51 وثيقة لها فقط شرعية دولية!

انصياعا للضغوط الإنجليزية ولرغبة بريطانيا في تقسيم ليبيا شكل السيد "أدريان بلت" بالتنسيق مع الإدارة الإنجليزية لليبيا لجنة لوضع دستور البلاد من 60 شخصية عرفت بلجنة الستين، تكونت اللجنة من المناطق الليبية الثلاث بالتساوي، بالرغم من الاختلاف الكبير في عدد السكان وقتها، ففي حين كان الثقل السكاني بالساحل كان سكان واحات فزان وقتها يعدون ببضع آلاف، ويبدو أن نية الإنجليز كانت تنصب على تمرير التقسيم من خلال تلك اللجنة، وبالنظر للنقص في إعداد المتعلمين في ليبيا في ذلك الوقت، وعدم استعانة اللجنة بالبعض القليل من المتعلمين في مصر أو في الشام، كان على البعثة أن تعد وثيقة الدستور التي أقرتها اللجنة، ورفضت اللجنة تقسيم البلاد وقبل مندبو طرابلس وفزان بتعيين إدريس السنوسي ملكا على ليبيا الموحدة، لم يستفتى على وثيقة للدستور المتوقع لتتبناها اللجنة، وفعلا وضعت تلك الوثيقة على أساس الإطار الفيدرالي الذي يرغبه الإنجليز لوضع قاعدة للتقسيم في المستقبل وتشكلت مؤسسات دستورية وفقا على ذلك، لكنها بعيدة كل البعد عن الواقع الاجتماعي والديموغرافي الليبي، فتشكلت سلطة تشريعية من غرفتين، نواب وشيوخ تماهيا مع النظامان البريطاني والأمريكي في وقت لم توجد فيه طبقية في ليبيا، فالشعب الليبي كله من الفقراء المسحوقين، أما الطبقة الغنية فهي الأقلية الإيطالية المستوطنة في ليبيا وبعض من اليهود ونفر قليلًا جدًا من بعض العائلات التركية التي تعايشت مع الطليان.

لقد وافقت لجنة الستين تلك على الوثيقة المقدمة من البعثة ودخلت مباشرة حيز التنفيذ بدون استفتاء الشعب عليها وبدون مناقشتها في الأمم المتحدة، وعلى أساسها تشكلت مؤسسات دولة الاستقلال، لقد قبلت القوى الوطنية الليبية فكرة الدولة الفيدرالية التي اشترط الإنجليز لقيامها أن ينصب إدريس ملكا عليها، وعموما هذا السياق الذي اتبعه الإنجليز بعد الحرب الأولى في المشرق إثر تنفيذ خارطة "سايكس بيكو" التي قسمت الوطن العربي في المشرق إلى دويلات نفوذ فرنسي وأخرى نفوذ إنجليزي، في مناطق الإنجليز فرضت بريطانيا ملوك من عملائها من أبناء الشريف حسين، خاصة في الأردن وفلسطين والعراق، ودعمت مملكة عبدالعزيز، والإمام أحمد في اليمن، وأبقت على الخليج كمحميات يديرها محليا بعض شيوخ القبائل، أما مناطق النفوذ الفرنسي فإن الفرنسيين وانطلاقا من الهوس بالجمهورية أسسوا جمهوريات تابعة في سوريا ولبنان وتونس، وضموا الجزائر كليا للدولة الفرنسية واستوطنوها على الطريقة الإيطالية وحكموها مباشرة، ووجدوا صعوبة في زعزعة الملك محمد الخامس وأسرته حتى مع نفيه، خلاصة القول أن الإنجليز قامت سياستهم في المنطقة على أنظمة حكم ملكية من عائلات عميلة، والفرنسيين على جمهوريات صورية برؤوساء من العملاء.

أجريت انتخابات صورية لمجلس نواب أشرفت عليها الإدارة الإنجليزية وتم تزويرها لمصلحة الحزب الفيدرالي الذي تكون من العناصر العميلة لبريطانيا، وتشكل مجلس النواب، لكن الدستور لم يعرض على مجلس النواب، وعدل بأمر ملكي في عام 1963 ولم تعرض تلك التعديلات على الشعب ولا على مجلس النواب لاعتمادها،

إن دستور 1951 يستمد شرعيته فقط من موافقة الأمم المتحدة، ولم يحظى في أي وقت بشرعية شعبية بأي شكل كان تماما كوثيقة الصخيرات التي فرضت عام 2015، لكن فيما عدا الفصول التي تتعلق بنظام الحكم فإن دستور 51 يعتبر من أفضل الدساتير في المنطقة، وإن كان تطبيقه يتم وفقا لرغبة الملك التي هي فوق كل شيء.

رغم أن النظام الملكي قام وفق وثيقة دستورية لم يقرها الشعب والملك سمي بإرادة أجنبية ولم يكن لليبيين أي دور في تعيينه ملكا، ورغم أن ثورة الفاتح التي فجرها الضباط الوحدويون الأحرار أسقطت الملكية وطردت التواجد العسكري والاستيطاني الأجنبي من ليبيا، لتقود البلاد إلى استقلال حقيقي وبناء دولة وطنية كاملة السيادة على أراضيها، إلا أن الدعاية الغربية ضد ثورة الفاتح، تركزت على أن ثورة الفاتح مختصرة في شخص القذافي الدكتاتور الظالم، الذي يدير ليبيا بمزاجه المتقلب وآرائه الشخصية بدون أية ضوابط قانونية، ولا مؤسسات سياسية أو عسكرية أو أمنية، وبلا دستور!.

تلك الدعاية بنيت عليها التبريرات لكل الأعمال العدائية ضد ليبيا لا شك أن تلك أكذوبة مختلقة من أعداء الثورة تفندها الحقائق السياسية الموثقة.

فبعد أيام من قيام ثورة الفاتح في شهر سبتمبر، صدر إعلان دستوري عن مجلس قيادة الثورة، متطور جدًا خاصة فيما يتعلق بالحريات وحقوق الأفراد والمجموعات، وأسس للعدالة الاجتماعية، وحوى مبادئ مهمة حول حقوق الإنسان وفي التعليم والصحة والعمل، تركز على المساواة التامة بين الليبيين، بني على الإيجابيات في دستور 1951، عدل نظام الحكم، وأعطى صلاحيات تشريعية لمجلس قيادة الثورة خلال المرحلة الانتقالية، لقد كان مكسبا مهما مقارنة بالدساتير التي كانت سائدة وقتها، وأحدث تطويراً في حجم المشاركة الشعبية،

ووضع أسسًا جدية للشفافية والحكم الرشيد، ولقد استمر العمل ببعض القوانين السارية التي لا تتعارض معه، وصدرت قوانين تقدمية جدا، خاصة القانون الصحي 106 الذي يعتبر من أفضل القوانين الصحية في العالم، وكذلك قانون الضمان الاجتماعي المتطور جدا، وقانون التعليم وقانون العمل، ولقد مكنت تلك القوانين من المساواة التامة بين الليبيين وتضمنت حقوقا متساوية للمرأة مع الرجال.

بعد الإعلان عن قيام الاتحاد الاشتراكي العربي عدل الإعلان الدستوري ليقلص من الصلاحيات التشريعية لمجلس قيادة الثورة ويمنحها إلى المؤتمر القومي العام.

وفي عام 1973 اتفقت ليبيا وسوريا ومصر على إعلان إقامة اتحاد الجمهوريات العربية، وصيغ دستور لدولة الاتحاد تم الاستفتاء الشعبي عليه يوم 9/1/ في كل من مصر وليبيا وسوريا في نفس اليوم وحظى بموافقة شعبية واسعة من مواطني الدول الثلاثة، استمر العمل به إلى حين قيام سلطة الشعب، وقيام السادات بزيارته الخيانية إلى دولة الكيان الصهيوني.

عام 1976 صدر الفصل الأول من الكتاب الأخضر، الذي تضمن أطروحات نظرية للديمقراطية المباشرة، طرح الأمر على الليبيين من خلال وحدات الاتحاد الاشتراكي العربي، فعقدت اجتماعات شارك فيها كل من رغب من الشعب الليبي دون أية قيود طيلة شهري سبتمبر وأكتوبر عام 1976 تبنت خلالها الجماهير تطبيق سلطة الشعب، وفي نهاية فبراير 1977 انعقد المؤتمر القومي العام في مدينة سبها لمدة أسبوع ناقش قرارات الجماهير في الوحدات

الأساسية، انتهت الاجتماعات في 2 مارس 1977 وأعلن عن قيام سلطة الشعب بوثيقة مختصرة، حددت آلية ممارسة الديمقراطية المباشرة عن طريق المؤتمرات الشعبة واللجان الشعبية، وتبنت الاشتراكية كنظام اقتصادي، وأن الدفاع عن الوطن مسؤولية الجميع ذكورا وإناثا، وأن القرأن الكريم هو شريعة المجتمع العربي الليبي.

لقد اتخذ القرآن الكريم شريعة للمجتمع ليصبح دستور البلاد، الذي وفقًا لتعاليمه تصاغ القوانين واللوائح وتصدر القرارت، وتنفذ أحكام الشريعة الإسلامية، لقد انتقلت الصلاحيات التشريعية في الدولة التي كان يمارسها مجلس قيادة الثورة وكذلك الرقابية إلى الشعب مباشرة يمارسها من خلال منظومة المؤتمرات الشعبية الأساسية، ينظمها عدد من القوانين الأساسية التي تتعلق بنظام الحكم واللامركزية الواسعة، وآليات ممارسة سلطة الشعب، وآليات الرقابة، واختصاصات المؤسسات التنفيذية، وحقوق وواجبات الأفراد، وصدرت وثائق دستورية تاريخية تتعلق بحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل، وحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة.

لقد كانت ليبيا طيلة عهد ثورة الفاتح تدار بمؤسسات يُختار قادتها على أساس الكفاءة والوطنية تحت شعار **"الوظيفة تكليف وليست تشريف"**، وتأسست أجهزة أمنية وطنية مائة بالمائة تمكنت من مقارعة أعتى الأجهزة الدولية حافظت على ليبيا آمنة مستقرة قرابة نصف قرن.

يتدرع بعض المغرضين بتدخل القائد في كثير من الشؤون الداخلية والخارجية، والقرارات الصادرة عن المؤتمرات والتي تنص

على أن توجيهات القائد واجبة التنفيذ، وهذه حجج واهية ومردود عليها، فبعد الإعلان عن قيام سلطة الشعب لم يتولى معمر القذافي أية وظيفة سياسية ولا إدارية وإن احتفظ بموقعه كقائد أعلى للقوات المسلحة العربية الليبية، وتلك الصفة لا تسمح له بالتدخل في الشأن العام، وبالنظر لدور القائد معمر القذافي في تحرير ليبيا وإعادة بنائها على أسس حديثة، ولثقة أغلب الليبيين في شخصه، أصدرت المؤتمرات الشعبية قرارات تخول القائد معمر القذافي التدخل لتوجيه المؤسسات المدنية وفقا لمصلحة الشعب التي تعكسها قراراته ولضمان التطبيق الأمثل للسلطة الشعبية التي يمتلك هو حق ملكيتها الفكرية.

وللتاريخ كان تدخل القائد في الشأن السياسي في حدوده الدنيا، وربما ركز جهوده على تقوية موقف الدولة الليبية في السياسة الخارجية بما يخدم الأمن القومي العربي ويعزز الدور الإقليمي والدولي لليبيا.

حوار حول دور القائد

في شهر فبراير 1977، قبل انعقاد المؤتمر القومي العام في مدينة سبها، أقيم معسكر حواري حضره مئات من الطلاب وأعضاء هيئة التدريس وقيادات الاتحاد الاشتراكي العربي في منطقة السواني في المكان الذي عرف لاحقا بمعسكر 7 أبريل، تركز موضوع النقاش حول توصيات الوحدات الأساسية للاتحاد الاشتراكي بشأن إقامة سلطة الشعب وحضر القائد الشهيد وعبد السلام جلود أجزاء طويلة من الحوار وكان عبارة عن حلقة نقاش مجمعة، كان السؤال المطروح حول الدور الذي ينبغي أن توضع فيه قيادة الثورة بعد تبني سلطة الشعب كنظام للحكم، فلقد كان من الصعب تصور الفصل بين قيادة الثورة والمؤسسة التي تدير الدولة، ولا شك أنه لو تمت الإجابة عن ذلك السؤال بشكل جذري وحقيقي في ذلك الوقت لما تعثر تطبيق سلطة الشعب لاحقا.

كان عبد السلام جلود يطرح فكرة دور إشرافي إرشادي واضح للقائد ينبغي أن ينص عليه في الإعلان تماما كدور "تيتو" في يوغسلافيا أو "أتاتورك" في الجمهورية التركية، لكن الرأي العاطفي الذي كان سائدًا بين المناقشين، كان يتوجه إلى تطبيق كلي وفوري وشامل للسلطة الشعبية بعيدًا عن الاعتبارات الشخصية للقيادة، وذات مساء حصلت ملاسنة بين الرائد جلود وبين الأخ صالح الشيخي الذي اشتط في طرحه وقال: إن معمر القذافي فرد وعليه أن يمارس السلطة من مؤتمره الشعبي في أبوهادي ولو صعد إلى لجنة شعبية مرحبا به،

غضب جلود وقال: هذه سطحية وتتفيه لدور القائد، فرد عليه الأخ صالح الشيخي بنوع من الحدة، وكان علينا التدخل لإسكات الأخ صالح: "أعتقد أن تسجيلات تلك المعسكرات موجودة في مكان ما أتمني أن يعثر عليها ونشرها لأنه بها الكثير من الحقائق التي تؤكد صدقية ثورة الفاتح في تبني مشروع سلطة الشعب وفي الآراء المختلفة حول مسألة الدستور".

لقد كان لصياغة فكرة الدستور المختصرة في اعتبار القرآن الكريم شريعة للمجتمع جدلًا واسعًا، فالبعض كان يريد أن يضاف القرآن والسنة والإجماع والقياس وآراء الفقهاء إلى آخره، وآخرون كانوا يرون أهمية تبني نصوص دستورية مستندة إلى القرآن تنظم الحياة السياسية والشؤون العامة في النظام الجديد، وأذكر جوانب من نقاش جانبي مع أحد المشاركين وهو من ذوي التوجهات الإسلامية حول الحديث ومدى التيقن من صحته استمر إلى صلاة المغرب وعندما قام للصلاة لوحده بعد أن أتممنا صلاة الجماعة، ربما لعدم قناعته بمن تولى إمامة الصلاة، اتجه غربا فقلنا له ليس هذه وجهة القبلة قال دوختوني قريب نسيت حتى نفسي!

طرح أيضًا موضوع الاسم المناسب للدولة بدل تسمية الجمهورية المطروحة لكونها لا تعكس فكرة سلطة الشعب، ولا تنسجم مع المؤسسات الشعبية الجديدة، وتم التأكيد على تسمية الدولة الجديدة بدولة الجماهير، كان القائد رحمه الله في كثير الأحيان يستمع إلى الحوار وقلّما يتدخل لكنه كان يسجل الملاحظات.

تاريخ سيذكره التاريخ

في الثاني من مارس عام 1977 وبحضور المناضل الكبير "فيديل كاسترو"، عقد المؤتمر القومي العام في مدينة سبها في قاعة حورت خصيصا للغرض وهي قاعة الشعب بسبها، وتم استعراض قرارات الجماهير الليبية حول تبني صيغة الديمقراطية المباشرة بالآليات التي أوضحها الكتاب الأخضر، حيت يمارس المواطنون العاديون دون استثناء من الرجال والنساء فوق سن 18 عام سلطات الأجهزة التشريعية والرقابية، فتنقسم البلاد إلى عدد من المؤتمرات الشعبية الأساسية حسب عدد السكان والبعد الجغرافي بما يمكن المواطنين من الاجتماع والنقاش والوصول إلى قرارات في كل ما يتعلق بشؤون حياتهم ومستقبلهم ويضعون السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يتوافقون عليها، وسياسات العلاقات مع الدول والشعوب، وتتشكل بالاختيار الشعبي المباشر العلني أمانات لها تدير الاجتماعات وتصوغ خلاصة المناقشات في شكل توصيات وقرارات، ثم تصعد من بينها لجان شعبية لتنفيذ تلك القرارات في كل القطاعات السيادية والخدمية والإنتاجية، في المناطق من مجموع المؤتمرات الشعبية الأساسية تتشكل مؤتمرات شعبية غير أساسية من أمانات المؤتمرات الأساسية تتولى فقط صياغة قرارات المؤتمرات الأساسية التي تتعلق بالمنطقة بشكل موحد، وتكليف لجان شعبية لإدارة المناطق وتنفيذ السياسات التي تقرها المؤتمرات الأساسية، وهكذا الحال على مستوى الوطن حيث تشكل أمانات المؤتمرات الشعبية الأساسية، وأمانات المؤتمرات الشعبية غير الأساسية، وأمانات النقابات، وأمانات اللجان الشعبية، مؤتمر الشعب العــام كلجنة وطنية

عليا لصياغة ما يقرره الناس في مؤتمراتهم الأساسية، لتصار إلى قوانين وقرارات وأوامر لازمة التنفيذ، وملزمة لكل مؤسسات الدولة، كما يتولى المواطنون تشكيل لجان للرقابة والمتابعة الشعبية تتولى مراقبة أداء الأجهزة التنفيذية وتقييمها ومقاومة أي انحرافات إدارية أو مالية، بينما يكون الجهاز القضائي مستقلًا عن اللجان الشعبية التنفيذية ويخضع فقط لما تصدره الجماهير من قوانين وقرارات.

حسب القانون الأساسي المنظم للمؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية تعقد المؤتمرات جلسات عادية وجلسات استثنائية إذا دعت الضرورة لذلك، فتعقد جلسات موحدة في نهاية كل سنة تناقش القضايا العامة للدولة، وفي بنود جداول أعمالها الدائمة، بند التقارير، تقارير من الأمانة واللجنة الشعبية العامة حول وضع تنفيذ قراراتها، وتقارير من اللجان الشعبية حول عملها السنوي، وتقرير الرقابة الشعبية حول أداء القطاعات، ثم بند القوانين حيث يتم مناقشة القوانين الجديدة المطروحة وتعديلات القوانين السارية مادة مادة، والبند الثالث الدائم بند الميزانية حيث يناقش المواطنون في المؤتمرات تقارير متابعة الموازنات للسنة المنقضية، وتفاصيل الموازنات التي تقتترحها اللجان التنفيذية، والبند الرابع هو بند القضايا العامة حيث تناقش الموضوعات المقترحة من المؤتمرات الأساسية أو من الأمانة أو اللجنة الشعبية، ثم بند السياسة الخارجية حيث تطرح كل جوانب القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية بما فيها مذكرات التفاهم والاتفاقيات والمعاهدات، ثم البند الأهم هو المساءلة حيث تطرح مساءلة المواطنين للمسؤولين في الأمانات واللجان الشعبية العامة والمؤسسات المركزية ثم في منتصف السنة تعقد المؤتمرات جلسات تناقش الشأن المحلي بالمناطق،

وفي شهر أكتوبر تعقد جلسة لوضع بنود جدول أعمال الدورة العامة في نهاية العام.

وهكذا بمقارنة ذلك بالأنظمة الديمقراطية السائدة، فإنه في ذلك اليوم أعلن عن قيام سلطة الشعب لأول مرة في التاريخ، تطبيق الديمقراطية المباشرة عبر آليات بسيطة غير معقدة وتقديم نموذج جديد لممارسة الديمقراطية الحقيقية، حيث يتمكن المواطن العادي من المساهمة في تقرير مصيره دون وصاية، حدث ذلك في بلد خارج للتو من مرحلة استعمارية وحشية فرضت عليه تخلفًا ثقافيًا وتخلفًا ماديًا، وشعب خارج من الفقر والبؤس والجوع، يحتاج إلى إشباع حاجات حياتية ضرورية والاستمتاع بالإنجازات المادية التي تهدف لتحويله من مجتمع بدوي متنقل هامشي في الحياة السياسية إلى مجتمع مدني متطور، وفي محيط إقليمي لا يختلف كثيرًا عن حالته فهو أيضًا خارج لتوه من مرحلة الاستعمار والهيمنة الأجنبية، ومنبهر بالزعامة الوطنية التحررية، وفي مناخ دولي استعماري تسيطر عليه عقد الانتصار في الحرب العالمية الثانية ونزعة التعالي العنصري وعقد تفوق البيض الأوروبيين.

اشتق القائد الشهيد اسم الجماهيرية للدولة الشعبية الوليدة نسبة لحكم الجماهير، اختار المؤتمر أمانة جديدة له من قياديين مدنيين، هم الأستاذ محمد الزروق رجب، والأستاذ محمد الزوي، وآخرين، وصعدت لجنة شعبية عامة لتحل محل مجلس الوزراء برئاسة الأستاذ عبد العاطي العبيدي.

اصطحب القائد في رحلة عودته إلى طرابلس الأعضاء المتبقين من مجلس قيادة الثورة وأسماهم القيادة التاريخية للثورة، وأعلن أنهم مستمرون في ممارسة واجباتهم الثورية لترشيد وتوجيه سلطة الشعب وحمايتها.

لم يغطي ذلك الحدث المهم على زيارة "فيديل كاسترو" التي كانت تاريخية بمعنى الكلمة فلقد جاب كل ليبيا تقريبا وتعرف على الحياة البسيطة البروليتارية للقائد، والتقى بوالده في وديان سرت وزار الكفرة، ثم قدم لزيارة بنغازي حيث استقبلته جماهير غفيرة، كاسترو المناضل الثوري اليساري اطلع على الجهود الثورية لثورة الفاتح في القارة الأفريقية ودعمها لحركات التحرر ومقاومة الميز العنصري.

توجيهات القائد أوامر واجبة التنفيذ

يتحجج مناهضو ثورة الفاتح، بأن القائد رحمه الله لم يكن صادقا في تطبيق فكرة السلطة الشعبية، وأنه اتخذها غطاء لحكم فردي ديكتاتوري، وتركزت الدعاية المعادية على ذلك بطرح أسئلة تشكيكية من قبيل لماذا يقوم القائد بهذه المهمة وتلك وهو شخص بدون صلاحيات دستورية؟ ويذهبون إلى أبعد من ذلك بقولهم أنه يسير الدولة على هواه وبدون مؤسسات ولا قوانين ولاضوابط، كيف يستقبل الرؤساء ويقوم بالزيارات الرسمية للخارج دون صفة، لماذا يحضر جلسات مؤتمر الشعب العام ويتحدث فيها، وتنفذ الجهات التنفيذية ما يقوله.

كل تلك الأسئلة إضافة إلى حملة الأكاذيب والافتراءات كان هدفها الأساس تشكيك الشعب في فكرة السلطة الشعبية، بالرغم من أن الشعب الليبي احتفظ للقائد بمنصب القائد الأعلى للقوات المسلحة، الأمر الذي الذي أتاح له الإشراف على القوات المسلحة والمشاركة في إدارتها، وكذلك توافق الليبيين على قيام القائد بدور المرشد لتجربة السلطة الشعبية بقصد ترسيخها وتثبيت أركانها، لكن لم تكن له سلطة دستورية قانونية على إدارة الدولة، بل اكتفى بدوره الترشيدي لمؤسسات السلطة الشعبية من أجل ضمان تطبيق أمثل للمشروع الجماهيري واستكمال التنمية الشاملة، التناقض بين ممارسة الثورة وإقامة بنيان راسخ للدولة كان قد طرح مبكرا في السبعينيات في ندوة الفكر الثوري، لكن لم يحصل السؤال الذي طرح فيها حول مسألة الديمقراطية في مرحلة التحول الثوري على إجابة ناجعة.

لذلك اكتفى بالتفاهم غير المكتوب بين الشعب والقائد، حيث حاول القائد عدم التدخل في إجراءات الدولة بينما كان الناس ينظرون له كصمام أمان وراع للتنمية والاستقلال الوطني، في وقت لاحق وجدت المؤتمرات الشعبية ضرورة لإصدار قررات تعطي للقائد الحق في توجيه الدولة بما يخدم قررات المؤتمرات الشعبية ويساهم في عدم حدوث خلاف بين مؤسسات السلطة الشعبية المختلفة، تقضي بأن تكون توجيهات وخطب القائد واجبة التنفيذ، ومع ذلك استخدم القائد دوره هذا من خلال آليات نقاشية مع المؤسسات، ولم تصدر عنه أية أوامر أو تعليمات مكتوبة تلزم الجهات بالتنفيذ، إن ذلك لا يلغي اختباء البعض

خلف توجيهات القائد للهروب من المسؤوليات، وحدث أن اضطر القائد رحمه الله إلى إغلاق مكتب المعلومات لأيام وأسابيع ليمنع التعامل معه كرئيس للدولة، المشكلة ناجمة من جانبين الأول حرص القائد المفرط على استقلالية القرار الشعبي الوطني، والثاني ثقة شريحة كبيرة من الليبيين في أن القائد يعبر عن تطلعاتهم وآمالهم، لذلك وقع بعض سوء الفهم وبعض التناقض الظاهر بين الأقوال والأفعال، لقد كان بإمكان القائد أن ينتخب بنسبة عريضة مسؤولا أولا في الدولة، لكنه آثر المضي في تطبيق سلطة الشعب مهما كانت الإخفاقات.

لكن من الإنصاف القول بأن تلك الازدواجية في السلطة بين مؤسسات سلطة الشعب ومؤسسة القيادة والناتجة عن حسن نية وتدبير كما نراها نحن أنصار ثورة الفاتح، أو عن قصد سيء لإفراغ المشروع الديمقراطي من محتواه كما يراها الخصوم، أثرت سلبا في تطور مشروع سلطة الشعب، وكمعاصر لها ومساهم فيها بشكل كبير يمكنني القول إن عنفوان السلطة الشعبية كان قويًا وحققت زخمًا شعبيًا كبيرًا مع بدء انطلاقها في السبعينيات، لكن مع الوقت أخذ الحماس والزخم الشعبي يفتر باستمرار، حتى تحولت إلى مراسم شكلية في السنوات الأخيرة، في تقديري ذلك راجع إلى عدة أسباب، أولها وجود مؤسسة القيادة وممارستها لأدوار واسعة في العمل السياسي خاصة الخارجي، وثانيا تعرض الدولة إلى حملات عسكرية في الثمانينيات، سواء الاعتداء المباشر أو حرب الاستنزاف في تشـــاد والتي شاركت فيها دول استعمارية كبرى، كأمريكا وفرنسا، ودول إقليمية قوية، العراق

والسودان، وثالثا الحصار الاقتصادي الذي صاحب أزمة لوكربي المصممة لإسقاط المشروع الثوري الوطني في ليبيا، كل ذلك اضطر القائد إلى مزيد التدخل لقيادة المواجهة العسكرية والسياسية، لكن الأمر الذي أثر أكثر من غيره في تقديري ظهور مشروع التوريث وبرناج سيف الإسلام وعدم اقتناعه بالسلطة الشعبية كفكرة من الأساس، وطرح برنامج ليبيا الغد الذي يدعو إلى قيام دولة تقليدية، وحدوث ازدواج في القرار على مستوى القيادة، وبروز خطين متناقضين يتصارعان خارج الضوء وابتعاد القائد شيئا فشيئا عن التدخل في الشأن المحلي لمصلحة سيف الإسلام الذي ظهرتدخله في إدارة الدولة عمليا منذ 2007.

أحكام بالإعدام

أصدرت المحاكم العسكرية أحكامها ضد المتهمين في مؤامرة 75 أو ما عرف بمؤامرة المحيشي، وأصدرت المحاكم المدنية أحكاما في أحداث تفجير ميناء بنغازي وحرق اتحاد العمال ومقر الاتحاد الاشتراكي، وقضت بعض الأحكام بالإعدام شنقا لعدد من المدانين ونصت أن تنفذ في أماكن وقوع الجرائم، يوم 6 أبريل 1977 علمنا من المرحوم إبراهيم بكار أمين عام الجامعة وقتها بأنه أبلغ عن طريق أمين التعليم بأن أحكاما بالإعدام قد صدرت وأن اثنين من المحكومين سيعدمون في جامعة قاريونس واثنين سيعدمون في ميناء بنغازي، تم الاتصـــــال بالإخوة وفي لقاء حضرته مع الإخوة محمد المجدوب، عبدالله السنوسي، أحمد إبراهيم، وعمر السوداني وغيرهم لمناقشة الموضوع، استقر الرأي على أن إعدام أشخاص في الجامعة سيكون

حدث غير مقبول، وسيسيء للثورة وقد يشكل أرضية لعمل معاد يستغل تلك الظروف، وأن ثورة الفاتح الشعبية لا يمكن أن تلوث تاريخها بإجراء دون أي جدوى سياسية ويتعارض مع قيمها الإنسانية، تواصلت أنا والإخوة عمر السوداني، وأحمد إبراهيم ومحمد المجدوب مع القيادة وطلبنا لقاء عاجلا مع الأخ القائد رحمه الله.

بالمصادفة كان القائد الشهيد رحمه الله موجودًا في بنغازي، مع الساعة العاشرة ليلا تقريبا، انتقلنا إلى معسكر البركة وكان القائد يجلس في كوخ خلف المعسكر، استقبلنا وكان من الحضور الإخوة عبدالله السنوسي والمرحوم حسن اشكال، بعد مناقشات عامة حول بنغازي والجامعة أبلغه المرحوم إبراهيم بكار بما دار بينه وبين أمين التعليم، ونقل وجهة نظره بأن الموضوع سيثير الرأي العام، لكن القائد كشخص ثوري يهتم هل الفعل صحيح أو لا، ولا يقيس أقواله وأفعاله على ردود فعل الآخرين، أصر على تنفيذ الأحكام كما صدرت ليعتبر الناس، ولكي لا يقال أن الثورة تعدم الناس في الزنزانات، وأن عدم تطبيق الأحكام طيلة السنوات الخمس أظهر لبعض القوى المريضة أن الثورة ربما عاجزة عن الحسم، لذلك تتكرر المؤامرات وأعمال التخريب ومحاولات عرقلة التنمية والتحول إلى دولة عصرية، استمر الجدل طويلا وكان القائد يصر أن يتم تنفيذ العقوبات في موقع الجريمة حتى يكون للقصاص معنى، كانت وجهة نظرنا مختلفة، صحيح القانون ينبغي أن يطبق مهما كانت قسوته لحفظ الأمن والاستقرار.

لكن لا ينبغي أن نغفل وضع الجامعة وحساسيتها، وكذلك مناظر الإعدام قد تولد تعاطفًا مع المجرمين وينسى الناس جرائمهم، ثم قلنا إنه في كل الأحوال الجريمة لم تقع في الجامعة والمدانون ليسوا طلابًا،

هنا استدرك القائد الأمر وقال: صحيح لماذا قالوا لي إن موقع الجريمة في الجامعة، اتصل مباشرة بوزير العدل المرحوم محمد الجدي ليبلغه برأينا واقترح عليه أن ينفذ الإعدام في موقع الجريمة وهو الميناء ومقر الاتحاد الاشتراكي، وإعدام عدد الضباط المدانين في مؤامرة المحيشي رميا بالرصاص في معسكراتهم، وأعدم أربعة أشخاص في بنغازي في الميناء وأمام الكتدرائية التي كانت اتخذت مقرا للاتحاد الاشتراكي العربي.

يوم الإعدام حضر إلى غرفتي بالقسم الداخلي البيت رقم 4 المرحوم عبدالله أبوستة وكان محبطا لأنه شاهد عملية الإعدام، بعد حين وبدون موعد حضر الأخ محمد المجدوب لم تعجبه حالة الوجوم عند المرحوم عبدالله فأخذ يمازحه، كان فحوى النقاش أن هؤلاء المجرمين لو تمكنوا من السيطرة على البلد سيسحلون الناس في الشوارع وبدون محاكمات، وستتناثر الجثث كما تتناثر أعقاب السجائر، وأن القصاص ضروري أحيانا ليعلم الناس مصير وهوية المجرمين.

لا شك أن المرحوم عبدالله أبوستة لم يكن حالة فردية فكثير من المواطنين البسطاء شعروا بما شعر به، كان علينا التفكير في كيفية التعامل مع هذه الحالة الإحباطية ورفع معنويات الناس، وتجاوز الحدث، وكسر حالة الوجوم المسيطرة على الوسط الطلابي خاصة والشعبي عامة، في تلك الأيـــام أعدت الجامعة ورابطة اتحاد الطلبة مناشط لإحياء الذكرى الأولى للسابع من أبريل، كان في البرنامج إقامة حفل موسيقي تحييه فرقة الجامعة بقيادة الطبيب المبدع الفنان محمد نجيب اسميو بالمجمع المغلق بالمدينة الرياضية، كان الجو في الوسط الطلابي يوحي بأن الحفل سيكون فاشلا، وكان علينا تحريض الطلاب

على المشاركة الواسعة في الحفل، ذهبنا إلى الاحتفال وقام الشباب الحاضرون بتحميس الجمهور الحاضر الذي بدأ يتكاثر حتى امتلات المدرجات تقريبًا، مع نهاية الحفل الموسيقي انطلق الحضور في مسيرة من المجمع الرياضي إلى وسط المدينة التحمت بها جماهير غفيرة لم نكن نتوقعها، لقد كان حدثًا مبهرًا فعلا، فالناس بعفويتها امتصت صدمة مشاهد الإعدام وخرجت بروح معنوية عالية تنظر إلى المستقبل وتتحدى الأعداء، بالنسبة لي تلك المسيرة الليلية العفوية تكررت فقط أيام أعراس التحدي في التسعينيات، وفى أول يوليو 2011 عندما اقتحم مليون ليبي شوارع طرابلس، في الليالي اللاحقة تكررت تلك المسيرات الليلية وتطورت إلى حملة شعبية لمداهمة أوكار الفساد من مخدرات وغيرها.

برنامج الامتياز

في النظام الدراسي بكليات الطبية لا تمنح شهادات التخرج بعد اجتياز الامتحانات فقط بل يلزم الطلبة الناجحون بالمرور بسنة تدريب عملي في فروع الطب الأساسية وهي الباطنة العامة، والجراحة العامة، وطب الأطفال، وأمراض النساء، وطب العيون وصحة المجتمع، وشهر اختياري بين إحدى التخصصات الفرعية في الأمراض الباطنية أو الجراحية.

مع بداية فبراير 1977 انتظمت في برنامج الامتياز، من ضمن ترتيبات الكلية لأول مجموعة من الخريجين أن يقيم أطباء الامتياز في المستشفيات، فأقيمت أجنحة خاصة لنا في كل مستشفى وهي الجلاء والجمهورية ومستشفى الأطفال حديث الافتتاح، وبالنظر إلى قلة عدد

الأطباء الليبيين في مستشفيات بنغازي والذين يعدون على أصابع اليد الواحدة، فإن عناصر التمريض الليبيين والفنيين وكذلك الإداريين والمرضى كانوا يعاملوننا معاملة خاصة جدًا، ولقد تمكنا بمساعدة الأطباء الأجانب العاملين بتلك المستشفيات من القيام بأغلب التدخلات الطبية بما فيها الجراحية وكان الأطباء النواب وأغلبهم من مصر والهند يمدون لنا يد العون، شخصيًا أجريت بمفردي عددًا كبيرًا من عمليات الزائدة الدودية، وعمليات الفتوق، وإزالة المرارة، واستئصال الثدي والبواسير، وهي عمليات تجرى من قبل مختصين لكن كثرة الحالات وقلة الأطباء وحرص النواب على تعليمنا مكننا من ذلك، لقد كان الإخصائيون وهم من مصر والهند وبولندا يقفون معنا في غرف العمليات داعمين لنا، في أمراض النساء، قمت بعمليات التوليد والكحث، وفي أمراض العيون كانت متاحة فقط عمليات الظفر، وكنا نمارس مناوبات مستمرة طيلة 24 ساعة ثلاثة أيام في الأسبوع، كانت الطواقم الإدارية وقتها سواء بوزارة الصحة أو مجلس المرافق الصحية التعليمية أو المستشفيات ينظرون لنا بتقدير كبير ساهم ذلك في حثنا على مزيد التدريب، طبعا في تلك الأيام الوسائل التشخيصية لم تكن متطورة، فالموجات فوق الصوتية آخذة في الظهور والمناضير محدودة جدًا، والتصوير المقطعي والرنين لم يدخلا الخدمة بعد، فكان التشخيص والعلاج يعتمد فقط على المهارات الإكلينيكية.

للأمانة وليس من باب الإطراء كان خريجو الدفعة الأولي من العناصر الجادة المخلصة وتمكنوا من فرض قدراتهم أمام زملائهم المتخرجين من الدول الأجنبية وكان لانتشار أكثر من 40 طبيبًا

وطبيبة ليبيين في المستشفيات أثر مهم في الروح المعنوية للشعب وللثورة، فهي كما تبني المستشفيات تخرج الأطباء الأكفاء.

في ذلك العام وبالنظر إلى كثافة البرنامج التدريبي في الامتياز لم أجد وقتا كافيا لممارسة العمل الثوري والسياسي فكانت مشاركاتي جد رمزية ومحدودة.

زواج وسط الحرب!

وزير يسكن وأسرته غرفة في منزل العائلة لسنوات.

كنا نقيم في بيت شعر في محيط مزرعة المستوطن الإيطالي جولياريو، يجاورنا رجل من القذاذفة اسمه عمر القذافي متزوج من سيدة حسناوية اسمها أم السعد كانوا قد عادوا مثلنا من هجرة من جور الطليان، تزوج أخي الأكبر علي من ابنة عمنا صالح، وكانت قد تربت في بيت زوج أمها شيخ قبيلة أولاد زائد وقتها محمد المخزوم، أتذكر قليلا بعضًا من مراسم الزواج في عام 57، منها مأدبة الغذاء البسيطة المكونة من بازين بلحم الجدي للضيوف من الرجال فقط، كان أعمامي وجارنا عمر القذافي وجيراننا من قبيلة المرازيق هم من أحيوا الفرح، وأذكر أيضًا أن العروس زفت في سيارة ابن المستوطن الإيطالى فيات 128، بعد أقل من عام رزقنا بطفلة جميلة أسماها والدي وكان لازل حيًا "ساسية" على اسم اخته التي اختفت مع أخويه في معركة جنزور، كانت ساسية نور البيت فأمي لم تبقى بنتها الوحيدة امباركة على قيد الحياة، كانت علاقتي بساسية قوية جدا، أصررنا أن تذهب

معنا إلى المدرسة، وهكذا كانت أول بنت تدخل المدرسة في كامل منطقة سوق السبت، ثم واصلت تعليمها في طرابلس.

كنت خطبت زوجتي وهي أخت صديقي المرحوم الدكتور محمد عبدالله كريستا عام 1975، لكن وفاة ساسية المفاجئة في حادث شنيع عطلت كل برامج الزواج، وعمليا صرفت النظر عنه.

عام 1977 أصر إخوتي على إتمام الزواج في الصيف لأنه من غير المعقول أن تبقى المرأة معلقة هكذا لأكثر من سنتين، وافقت على مضض، الانخراط في الامتياز لم يعطني فرصة كبيرة للمشاركة في ترتيبات الفرح، أخي امحمد قام بالدور الأهم، اتفق مع أهل العروس على كل شيء، ولم يرفض لهم طلبًا، حدد الموعد، اتصل بي على الهاتف وقال: الفرح يوم 7/28، وأخذ في التحضيرات، الأفراح في منطقة النواحي الأربعة كانت رجالية في جانبها الأهم حيث تعتمد في بهجتها على عروض ميز الفروسية الشعبية، ونظرا للتحسن الكبير في الحالة المادية للناس كانت تتسم الأفراح بالبذخ المفرط أحيانا، إذ كان مئات الفرسان يحضرون حتى من المناطق البعيدة نسبيا.

كان عليَّ أن أتدبر إجازة من برنامج الامتياز المرهق، تقدمت بطلب إجازة، وافق الدكتور مراد لنقى أن يمنحني إجازة زواج أسبوعان، كانت حمى التاريخ المتناسق 7 / 7 / 1977 منتشرة على أساس أنه تاريخ مميز لا يتكرر، وبعض الزملاء طلبوا إجازات في نفس التاريخ، وفعلا عقدت العزم على الزواج في ذلك التاريخ لكن الأسرة فضلوا تأخير الموعد فوافقت 28 / 7/ 1977 قبل شهر

رمضان المبارك وقتها بأسبوعين، بدأت التحضيرات للفرح من قبل العائلة وكنت منهمكا في التدريب والتطبيب.

كان للسادات رأي آخر، إذ اندلعت الحرب على ليبيا في 20 يوليو، وتحولت المنطقة الشرقية إلى جبهة قتال من الكفرة إلى طبرق، انقطع الاتصال بطرابلس وتوقف الطيران لأغراض المدنية حيث خصص لنقل الجنود والمتطوعين والمقاومة الشعبية، وتحولت المستشفيات إلى داعم للمجهود الحربي وذهب عدد كبير من الأطباء ومنهم الزملاء بالامتياز إلى خطوط المواجهة في الكفرة وطبرق، وتشكلت لجنة لتنظيم المجهود الطبي وتوفير المتطلبات الصحية في مستشفى الجلاء كلفت رئيسا لها، فنسيت أمر الزواج!.

تمكنت جهود الرئيس هواري بومدين، والرئيس ياسر عرفات من احتواء الأزمة وترتيب وقف لإطلاق النار، وإنهاء الأعمال الحربية بعد يومين من اندلاعها.

يوم 26 يوليو جاءني الأخ المرحوم علي الشريف، وكان مكلفا بالشؤون الإدارية بالقيادة في مكتب الأخ بشير سعد إلى المستشفى وقال: إن الأخ بشير حميد اتصل به لأن إخوتي حضروا إليه وطلبوا ضرورة حضور زفافي! وأنه استأذن المرحوم أبوبكر يونس ووافق، تكلمت بالهاتف مع الأخ بشير احميد، وقررت العودة لكن كيف السبيل فالطيران شبه متوقف!.

بعد عدة محاولات فاشلة لم أجد وسيلة للسفر، ولأنه لا توجد وسيلة للاتصال الهاتفي بسوق الخميس لعدم وجود اتصالات بريدية وقتها بالمنطقة، طلبت من الأخ بشير إبلاغ إخوتي بإمكانية تأجيل الفرح، فكان ردهم مستحيل فالفرسان بدأوا يتوافدون على المزرعة، لم يكن أمامي ظهر 7/27 إلا مقترح الأخ المرحوم علي الشريف وهو السفر برا، كان علينا طلب سيارة من مؤتمر بلدية بنغازي.

في رحلة لا أتذكر كثيرًا من تفاصيلها سافرت إلى طرابلس يوم الأربعاء 27-7-1977 في سيارة نوع بيجو عائلية، رفقة الشريف، قطعنا الطريق الطويل وكنت في أغلب مراحل الرحلة اغط في نوم عميق وبسرعة قد تكون جنونية أحيانا وصلنا إلى المزرعة بسوق الخميس مع ساعات فجر يوم الفرح.

كانت الفرحة لا توصف في عيون أمي رحمها الله وإخوتي وزوجاتهم عندما وجدوني في الصباح مرميا في المربوعة، ولا أذكر كيف نزلت وما فعل الله بعلي الشريف هل نام معي أم غادر إلى تاجوراء.

كان الرفاق في طرابلس، وفي مقدمتهم الشهيد سعيد راشد والشهيد عزالدين هم العوالة الرئيسيين فعلاقتهم بي وبعائلة كريستا وسكنهم في طرابلس جعل من أمر الزفة شيئا ممكنا، كان الخلاف في موعد الزفة فعندنا ينبغي أن تصل العروس إلى بيت زوجها قبل الغروب وفي عوائد أهل طرابلس تتم الزفة في وقت متأخر من الليل،

لكن فطنة المهندسين دللت العقبات وكانت عوائد أهل النواحي هي التي طبقت.

في ذلك الوقت لم نكن نهتم بالمنزل والأثاث، فلقد تزوجت في غرفة ببيت العائلة، وبقيت بها ومعى زوجتي إلى عام 1989 حيث انتقلت إلى منزلي الخاص الذي استمر بناءه عقدًا كاملًا من الزمن، وأنشئ بقرض من جمعية العزيزية الإسكانية كوسيط لدى المصرف التجاري الوطني واستمر سداده إلى نهاية الألفينيات، بالطبع أثناء تلك الفترة قضيت بعض الوقت في بنغازي تقريبا سنتان، وسكنت لوقت قصير بالمساكن الخاصة بمستشفى الخضراء العام، وأقمت بالخارج فترة الدراسة العليا، لكن أقمت وأسرتي وأبنائي الثلاثة بثينة ومصعب، وعدي، في غرفة ببيت العائلة، بالرغم من تلقدي لمنصب وزير الصحة وإلى غاية 1989، أجزم كثيرون ممن لا يعرفوني لن يصدقوا ذلك لكنها الحقيقة التي يعلمها عالم الغيب وما نسر وما نعلن وكل من يعرفني وله علاقة بي وبأسرتي.

مبادرات ثورية

يوم 21 يوليو 1977، قامت للأسف الطائرات المصرية بقصف القرى الحدودية ومدينة الكفرة وقاعدة جمال عبد الناصر الجوية، وقامت القوات المسلحة العربية الليبية بالرد على إعتداء السادات، وبدأت حملة تعبئة وطنية، حيت التحق الطلاب والمقاومة الشعبية بصنوف القوات المسلحة وتم الزحف إلى الشرق، لكن بالنسبة للقيـــــادة الليبية كانت الحرب أسوء قرار قد يتخذه قائد سخر حياته

للمطالبة بالوحدة العربية فيجد نفسه يدافع بالقوة على حرمة حدود إقليمية.

وجد الإقليميون الليبيون الفرصة سانحة للتشكيك في جدوى طرح فكرة الوحدة العربية، وتعالت أصواتهم بكلمات حق يراد بها باطل، حول مطامع المصريين في الثروة الليبية، ومطالبات بضرورة إدارة ظهورنا للعرب والعودة إلى حضن القوة الرجعية العربية، لقد كانت الأجواء الشعبية مختلطة ومتضاربة، فالجماهير جاهزة لأسباب مختلفة للوقوف ضد العدوان الساداتي غير المبرر، ولكن وراء الأكمة ما وراءها، فلا يليق لنا نحن الوحدويون الناصريون الجماهيريون المؤمنون حتى النخاع بحتمية وضرورة بناء دولة عربية واحدة من المحيط إلى المحيط، لا يليق بناء أن ننجر وراء حرب أقل ما يقال عنها إنها تجسد القطرية وتصب في مصلحة الإقليمية، من جانب آخر نعي جيدا أن السادات ينفذ الأجندة الاستعمارية ضد الأمة العربية، ويحاول من خلال مواقفه والتي لن يكون آخرها العدوان على ليبيا، ويحاول أن يدق أسفين في قضية الوحدة العربية، فلاشك أن قطرات الدماء التي تسيل من الحرب غير المبررة ستشكل حاجزا ضخما ضد المطالب بالوحدة الاندماجية الفورية مع مصر، ذلك المطلب الذي سيطر على حركة القوى القومية في ليبيا منذ انطلاق ثورة الفاتح، في هذا الجو المفعم بالمشاعر المختلطة مررت على منزل الصديق الطيب الصافي، وتناقشنا في الأبعاد الخطيرة لعدوان السادات وتأثيراته السلبية على المشروع القومي العربي، مصادفة في مكتبة الأخ الطيب وجدنا كتابًا حول المواجهة العربية الصهيونية، وحرب الاستنزاف، كان على غلافه صورة مهمة وخطيرة وتعبر عن الرد الحقيقي على الإقليميين، يظهر فيها القائد الخالد جمال عبد الناصر والشهيد الصائم

معمر القذافي في زيارة لأحد المواقع الحربية في الجبهة، كانت صورة تعكس مشهدًا رائعًا لقادة الفكر القومي العربي، رأينا أهمية نشر هذه الصورة على نطاق واسع، بطبعها في ملصق يعلق في شوارع بنغازي، وفعلا أخذنا الكتاب واتصلنا بالأخ المسؤول عن مطابع الثورة العربية في بنغازي وكان رجلا قوميا وطرحنا عليه فكرة طبع الملصق فوافق بدون تردد وقال تعالوا إلى المطبعة وسننفذ الأمر بشكل فوري، وما هي إلا ساعات وإذ بين أيدينا آلاف النسخ من ملصق كتبنا تحته شعار **"حماية الجماهيرية بداية الفتح الوحدوي"** اتصلنا بالشباب الموجودين في القسم الداخلي ورابطة بنغازي لاتحاد الطلبة، وبدأنا بإلصاق الملصق في شوارع بنغازي في وقت متأخر من الليل، أنا والأخ الطيب ومجموعة من الشباب كنا نقوم بإلصاق الملصق بشارع جمال عبد الناصر، وإذ برتل الأخ القائد يمر من الشارع ذاهبا في اتجاه فندق عمر الخيام، حيث كان المرحوم ياسر عرفات وصل في محاولة لترتيب وقفا لإطلاق النار، في ذلك الوقت كان رتل الأخ القائد يضم عددًا محدودًا من السيارات في حدود ثلاث أو أربع سيارات، ربما انتبه إلينا القائد، بعد وقت ليس طويل عاد الرتل إلى معسكر البركة وحضر الأخ امبارك عتيق إلى حيث كنا نلصق المطبوعة ولم يكن يعرف هويتنا ولا ما نقوم به، وعندما وجدني أنا والأخ الطيب انهمر بالضحك وقال: أنا كنت مستغرب كيف أن القائد رحمه الله يطلب منه أن يحضر الزائدي ومن معه إلى المعسكر وأنه ينتظرنا، ركبنا سيارة المرحوم امبارك عتيق واتجهنا إلى المعسكر فوجدنا القائد رحمه الله جالسًا بكوخ خلف المعسكر وأحد المرافقين يحضر في شاي على نار حطب، بادرنا بالسؤال ماذا تفعلون في عقاب الليل؟، أخرجنا له الملصق وقلنا له هذه مساهمتنا في التصدي للعدوان،

فشعر براحة وقال فعلا آثار هذه الحرب الحقيقية هي تكوين حواجز نفسية ضد الوحدة وهذا ما كان السادات يهدف إليه، ثم شرح لنا بالتفصيل مبادرة الرئيس عرفات ومبادرة الرئيس هواري أبومدين، وكان رحمه الله متأثر شديد التأثر وقال بحسرة: بدل أن نهجم جميعا على فلسطين لنحرر أرضنا ها نحن الآن نبحث في وقف إطلاق النار في امساعد والسلوم، وأنه أبلغ الرئيسين أبومدين وعرفات، بالنسبة لليبيا لا مطالب ولا شروط المشكلة عند السادات، لقد أحسسنا بحجم الحرقة والإحباط لدى القائد، الذي كان يعمل لبناء جيش ليبي قوي لدعم المجهود الحربي العربي لتحرير فلسطين وليس لتثبيت الحدود الليبية الإقليمية التي صنعها الاستعمار، استمر الحديث إلى ما بعد صلاة الفجر، واليوم وأنا اتذكر تلك الحادثة لعلكم تدركون حجم إحباطنا وإحباط القوى القومية العربية والشعوب العربية ونحن نرى الليبيين والسوريين واليمنيين والعراقيين وهم يبحثون في وقف إطلاق النار بين أحياء المدينة الواحدة وبين عشائر القبيلة الواحدة !

فعلا لقد نجحت الصهيونية والاستعمار في الوصول إلى هدفهما الأساسي وهو منع بناء دولة عربية قوية تحمي حدودها وتؤمن مواطنيها وتستغل ثرواتها لمصلحتهم وتسهم في التطور الحضاري الإنساني وللأسف ربما لقرون قادمة.

المحطة الثالثة عشرة
تأسيس اللجان الثورية

التنظيم الثوري: حوار ساخن في الظلام!

شهد صيف 1977 استمرارا قويًا لمعسكرات السابع من أبريل للإعداد الفكري والسياسي، ودورات التثقيف الجماهيري، ضمت المعسكرات مجموعات كثيرة من أمانات المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية والقيادات النقابية والطلاب، تناولت عدد من القضايا الفكرية التي تتعلق بالفكر الجماهيري، وآليات تطبيق السلطة الشعبية، وتم البحث في فكرة أن سلطة الشعب تحتاج لمجموعة قيادية طلائعية تتولى تبنيها وشرحها وتوعية الناس بطريقة ممارستها الصحيحة، وآلية حمايتها من خصومها، في نهاية شهر أكتوبر من نفس العام انعقد ملتقى كبير ضم عديد الشخصيات والفعاليات التي حضرت المعسكرات في طرابلس، وبالرغم من انهماكي في برنامج الامتياز، اتصل بي الأخ بشير محمد سعد، وطلب مني ضرورة الحضور للمشاركة في ذلك الملتقى الذي سيناقش نتائج الدورات لمدة يومين، سافرت إلى طرابلس والتحقت بالملتقى المقام في معهد المعلمين بالهضبة الشرقية، أطلق عليه لاحقا معهد الفاتح للإعداد العقائدي، كان عدد المشاركين يتجاوز ثلاثة آلاف من الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والمثقفين، إضافة لقيادات المؤتمرات واللجان الشعبية والنقابيين، وكانت أهم الموضوعات المطروحة للنقاش هي التنظيم الثوري الذي يقود مشروع سلطة الشعب، ماهيته وآليات عمله، وعدم اختلاطه مع آليات السلطة الشعبية، واشتراطات الانضمام إليه، انقسم الملتقى لعدة

حلقات نقاش، كلفت موجها لإحداها، دار نقاش حول الموضوع بكل شفافية وتجرد، للبحث في مخرج بين متناقضين، أهمية التنظيم الثوري العقائدي الذي يضمن استمرار مشروع الثورة واستكماله حتى بناء مؤسسات السلطة الشعبية، وخطورة أية أداة منظمة على تطبيق سلطة الشعب، لأن كل ما ستتولاه من مهام ستكون خصما من فكرة سلطة الشعب، مهما كانت نوايا الشخوص القائمين على التنظيم، في اليوم الثاني التقينا صباحا منسقي حلقات النقاش في محاولة لصياغة ورقة تعرض على الملتقى العام في المساء لإقرارها، للأمانة لم نتفق على صياغة مناسبة ودار جدل استمر إلى ما بعد العصر، بعد صلاة المغرب فوجئنا بحضور القائد الشهيد وعبدالسلام جلود مبكرًا، التأم الملتقى العام في خيمة كبيرة مكونة من مجموعة خيام بنيت متصلة خوفا من هطول المطر، في ذلك الوقت لم تكن الإجراءات الأمنية الخاصة بالقائد وأعضاء مجلس قيادة الثورة مشددة كما حصل في السنوات الأخيرة بسبب تغيير وسائل وأدوات التهديدات الأمنية، طلب الأخ القائد الاستماع إلى نتائج المناقشات، فتفضل الإخوة بشرح طبيعة الجدل والمحاذير، وأثناء النقاش قام الأخ محمد الحجازي وكان مشرفا على حلقات نقاش المجموعات النسوية، بتوزيع ورقة قائلًا: إن حلقات النقاش التي يشرف عليها اتفقت عليها وتقضي بتأسيس "الحركة القذافية"، أجزم أن الذهول أصاب أكثر الحاضرين فذلك ينسف كل المحاذير والتخوفات التي طرحت من الإخوة بشأن ولادة مشروع إنساني خطير مشوه وغير قابل علي الحياة، تحدث بعض الأخوات على الورقة، وتوقع بعض الحاضرين أن الأمر لا يعدو كونه صياغة لرغبة القائد الشهيد، طلب عدد من الشباب المقتنع وقتها بأهمية فكر الكتـــــاب الأخضر الكلمات، وبدون تنسيق ولا ترتيب وفى ارتجالية ثورية اعتبرها من أهم لحظات الإبداع الثوري الذاتي، تناوبوا على

تفنيد المشروع ورفضه جملة وتفصيلا، كان أكثر المتحمسين في الرفض الأخ عبدالسلام ازبيدة، والأخ الأسير أحمد إبراهيم فك الله أسره، أذكر أن الأخير، قال أنا من قبيلة القذاذفة ولا أقبل أن ينسب من يؤمنون بتنظيمكم إلى قبيلتي لو شئتم سموها الحركة المعمرية.

أتوقع أن عبد السلام جلود أصابه ما أصاب بعض القوم، وأنا من القلة الذين كنا ندرك أنه منافق وله مآرب يبحث عنها، توهم حسب تحليلي أن الأمر لابد أن يكون موصي به من القائد، فأخذ الكلمة وبدأ يهاجم كل متحدث ينتقد الفكرة، وصب جام غضبه على أعضاء رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وأذكر أنه قال أنتم تريدون أن تفعلوا بنا مثل ما فعله الناصريون المصريون بالسادات، كانت زلة لسان من ذهب، استخدمناها لتسفيه وتتفيه ما قال.

بعد هرج ومرج وجدل، تدخل القائد الشهيد، قال اصمتوا قليلا ثم انطلق يتحدث بعد دقائق انقطعت الكهرباء عن الخيمة، طلب لاقط صوت يدوي واستمر يتحدث، تحدث قرابة ساعة في الظلام واستمر بعد مجيء الضوء، قال ما يقوله الشباب صحيح لو كنّا نريد أن نحكم سنحتاج إلى حركة مغلقة تحافظ على حكمنا، لكننا نريد أن يحكم الشعب وأي تنظيم سيكون عاملا سلبيا على مشروع سلطة الشعب، التفت إلى جلود هؤلاء الشباب الذين يقولون في وجوهنا لا لحزب باسم فلان وعلان هم الضمان أن لا يسرق المشروع الثوري في ليبيا. "أين تلقانا نحن عندها" على رأي المثل صار الشباب ينفشون ريشهم ويشعرون بالأنفة، انطلقت الهتافـات من الحناجر، عند منتصف الليل قال القائد أولا، نهتم بسلطة الشعب ونبني مؤسساتها ومن بعد ننظم القوة الثورية التي تحميها وترعاها.

تأسيس حركة اللجان الثورية

في نهاية شهر يوليو سنة 1978 استدعينا مساء يوم الخميس إلى طرابلس مجموعة من الشباب والتقينا بالقائد في القيادة بباب العزيزية أذكر منهم الأخ محمد المجدوب، أحمد إبراهيم، عمر السوداني، مفتاح بوكر، الطيب الصافى، عبد الحميد بن موسلا، بشير احميد، إبراهيم بجاد، عبد القادر البغدادي، عزالدين الهنشيري، سعيد راشد، عمار الطيف، المهدي امبيرش، مختار ديره، فتحي شتوان، فرج مخيون، الشارف الفرجاني، محمد المصراتي، حسني الوحيشي، أبوعجيله فكرون، محمد مروان، المبروك الصل، إبراهيم علي إبراهيم، محمد النفار، فوزية شلابي، محمد زيدان، علي ريح، محمد الصل، خليفة الخويلدى وآخرين، وليس من بينهم المدعي عبدالرحمن شلقم، كان الحوار إعادة للمناقشات حول التنظيم الثوري، ودار نقاش حول الآليات العملية لبناء حركة ثورية جماهيرية تثقيفية، تحدث الجميع حول سبل تطوير ممارسات سلطة الشعب، ودور القيادات الثورية في ذلك، استمر النقاش إلى وقت متأخر من الليل ولم ينتهه اللقاء، طلب القائد منا الاستمرار في اليوم التالي فعلًا التقينا وكان يوم جمعة في طريق المطار بالمكان الذي عرف لاحقا بالمربعات، وكانت كثبان رملية يتم تشجيرها وإصلاحها، التقينا في الصباح فقدم لنا القائد بطاقة اللجان الثورية، وقرائها بتأني، بالنسبة لنا حسم القائد الأمر، لقد قدم مشروعا يعكس كل المناقشات ويرد على التخوفات، فاللجان الثورية حركة فردية وجماعية في ذات الوقت، فهي تتكون من الأفراد

الذين يؤمنون بالنظرية الجماهيرية ويعملون على بناء المجتمعات وفقها، لكن حركة الفرد منفصلة تصبح عملية انتحارية، لذلك على الأفراد المؤمنين بتلك المبادئ والأهداف التنادي إلى بعضهم البعض لتكبر فعالية أدائهم، فهي جماعية في التخطيط والتنفيذ والمتابعة، وفردية في التفكير والخلق والإبداع، إنها ليست تنظيما هرميا من قاعدة كثيرة تفعل ما تؤمر به من قمة قليلة، فهي حركة قاعدية أعضاؤها متساوون في المسؤوليات، وهي حركة يضبطها الإيمان بالفكرة وليس بالمصالح، فهي لا تسعى لتصبح في قمة السلطة لتحدث التغيير بل مهمتها قيادة الجماهير من وسطها ليصل كل الأفراد إلى كرسي الحكم في حالة نادرة تاريخيا من المساواة التامة بين الأفراد في الحقوق والوجبات، وهذا يقفل باب الانتهازية والنفعية ويقطع الطريق على الشللية والتشرذم، كان لقاءً وديًا أخويًا رفاقيًا أتمنى ممن يمتلك صورة تذكارية له أن ينشرها، لأن مكتبتي وذاكرتي أحرقت في أحداث فبراير.

البطاقة الخضراء التي قدمها القائد وشرحها حوت تلك الأهداف وجاء بها:

- اللجان الثورية هي الإطار السياسي والعملي للقوة الثورية لثورة الفاتح العظيمة، وهي القيـــــادات الثورية للجماهير

العريضة التي تقودها نحو مواقع متقدمة كل يوم، وهي العصب الذي يحرك الجماهير، وهي التي تشكل شرايين

المجتمع الذي يتحول ثوريا، وهي أداة التبشير بالحضارة الجديدة، وهي أداة الدعوة للوحدة القومية والدينية.

- عضو اللجان الثورية هو مثال للإنسان الجديد النموذجي الملتزم دينيا وقوميا، وقدوة في المهارة والمسلك، وهو رسول الحضارة الجديدة والمبشر بعصر الجماهير.

مقار اللجان الثورية:

هي المثابات التي تلتقي فيها القوة الثورية، وهي العنوان الدائم الذي يتم به الاتصال بالقوة الثورية.

واجبات اللجان الثورية:

1- تحريض الجماهير على ممارسة السلطة.
2- ترسيخ سلطة الشعب.
3- ممارسة الرقابة الثورية.
4- تحريك المؤتمرات الشعبية.
6- ترشيد اللجان الشعبية وأمانات المؤتمرات.
7- حماية ثورة الفاتح والدفاع عنها والدعاية لها.

وتترك إجراءات العمل التفصيلية لهذه الواجبات للجان الثورية لتضعها على شكل منهج عمل يومي وأسبوعي وشهري وسنوي.

دار نقاش حول آلية وتوقيت إعلان الحركة، واتفقنا أن يتولى الإخوة في طرابلس التنسيق مع القوى الثورية في المنطقة الغربية والجنوبية ونحن ننتقل إلى المنطقة الشرقية.

كانت البطاقة تطرح أسلوبا جديدا في التنظيم وهي التنادي بدل الاستقطاب، وتطرح آلية جديدة للعمل، وهي الجماعية وليس التراتبية، وتطرح أسلوبا مختلفا، وهو الدعوة والتحريض والترشيد، تلك أمور ليست معتادة في عمل التنظيمات السياسية العلني والسري إلى يومنا هذا وتحتاج إلى عمليات معقدة للتوعية والتثقيف والبناء.

المجموعة الحاضرة من المنطقة الشرقية رجعنا في نفس اليوم إلى بنغازي، واتفقنا على دعوة كل القوى الثورية من الجامعة والاتحاد الاشتراكي سابقا والنقابات والاتحادات إلى لقاء نشرح فيه المشروع الذي طرحه القائد، وفعلا التقينا يوم الاثنين التالي في مدرسة بنغازي الثانوية للبنات، وحضر قرابة ألف شخص، وقمت مع الأخوين أحمد إبراهيم ومحمد المجدوب بشرح الفكرة بالتفصيل، وبالتأكيد كانت الأجواء ثورية وطنية فرحب الجميع تقريبا بالانضمام إلى الحركة وصغنا بيان تأسيس اللجنة الثورية بنغازي أعلناه في نفس اليوم في الإذاعة.

الإخوة في طرابلس اتخذوا منحى مختلفًا، إذ التقى عدد من الإخوة هناك وقرروا أن يكونوا هم اللجنة الثورية، وحذا حذوهم الأخ الشهيد عزالدين الهنشيري في ترهونه، حيث بادروا قبلنا يوم السبت بإعـــلان اللجنة الثورية ترهونة مقرونة بأسماء أعضائها وتلاه يوم الأحد إعلان اللجنة الثورية طرابلس من 19 عضوا أعلنت أسماؤهم في الإذاعة.

بالتأكيد إعلان عدد من الأسماء استفز أعدادًا كبيرة من قوى ثورة الفاتح الذين احتجوا لدى القيادة، وتم تعديل تشكيل اللجان الثورية في بقية المناطق وفقا للآلية التي اتبعناها في بنغازي.

واليوم بعد قرابة أربعة عقود من ذلك الإعلان التاريخي عن ولادة أول حركة ثورية قاعدية، لا أعلم هل كنا نحن على صح أو خطأ؟ هل أدى فتح باب العضوية إلى عدم استثارة الرأي العام الثوري والوطني لكنه سمح لعديد الانتهازيين والمصلحيين من الدخول إلى الحركة وربما عرقلة برامجها، سؤال حائر؟ الإجابة عليه ستبقى فقط في إطار كلمة "لو" التي تفتح عمل الشيطان.

انطلق الإخوة في فرق عمل لتأسيس الحركة وكان نطاق عملنا من سرت إلى امساعد وهكذا كان، وهنا لابد من استمطار أشابيب الرحمة على أرواح أعداد من المناضلين الشرفاء الذين أسسوا أهم حركة قاعدية جماهيرية في التاريخ المعاصر خاصة في المنطقة الشرقية، ومنهم الشهيد البطل محمد المجدوب، والشهيد البطل فرج مخيون، والمرحوم عبد الفتاح موسى، والمرحوم فرج بلهة، والمرحوم أبوبكر الشوبكي، والمرحوم رمضان الفيتوري، والمرحوم عبد السلام الزادمه، والمرحوم إبراهيم بكار، والمرحومة عزيزة الشهيبي، والمرحوم علي ميلاد ارحومه، والمرحوم علي الشهيبية، والمرحـوم علي الشاعري، والمرحوم عبدالله أبوستته وغيرهم من الرجال والنساء الذين لا تحضرني أسماؤهم.

انطلقت عملية بناء اللجان الثورية في كل ليبيا وكان لها دور مهم في إحداث زخم اجتماعات المؤتمرات الشعبية في بداية تشكيلها، وتمكنت من خلق تواصل مهم بين الجامعات والوسط الشعبي فحدث اندماج للجامعة في التعامل مع مشاكل الجماهير، وعلى الفور توطد التواصل مع الحركات النضالية ضد العنصرية والفاشية وشكلت حركة اللجان الثورية إضافة مهمة للكفاح العالمي ضد بقايا الاستعمار، وتحولت ليبيا إلى مثابة عالمية لمكافحة الفاشية والتمييز العنصري والصهيونية.

مؤتمر الطلاب العالمي

نجح الشهيد عبدالقادر البغدادي ورفاقه في بناء الاتحاد العام لطلبة الجماهيرية وجعلوا منه منظمة وطنية مهمة، وكان لدعم الأخ الدكتور محمد أحمد الشريف وزير التعليم وقتها دورًا مهمًا في تمكين الاتحاد من أداء رسالته، بعد استكمال بناء الاتحاد في المناطق والجامعات والمعاهد وفروعه بالخارج، انطلق في ربط علاقات مع الاتحادات العربية والقارية والدولية، ونجح في تأمين عقد المؤتمر العام لاتحاد الطلاب العالمي في ليبيا، في خريف 1976 تمت دعوة المؤتمر العالمي للطلاب للانعقاد في طرابلس، وهو منظمة للاتحادات الطلابيـــة التي تدور في فلك الاتحاد السوفييتي، والمنظمات الشبابية التي تتبنى الأفكار اليسارية، في مواجهة منظمات أخرى للاتحادات الطلابية التي تدور في فلك الدول الرأسمالية، كان مقر الاتحاد في براغ، ونجحت رئاسة الاتحاد العالمي والاتحاد الليبي في حشد أكبر

تجمع طلابي من مختلف دول العالم في طرابلس حضره طلاب من دول لم نكن نسمع عنها، من سورينام إلى بيساو إلى ترنيناد، كان حضور الوفود على مستوى قيادي عال، وبفعل جهود منضبطة من كوادر الاتحاد تم ترتيب إجراءات استقبال مبهرة لهم وحجز فندق الشاطئ وهو أكبر فنادق طرابلس وقتها بالكامل لإقامة الوفود، وعقدت الاجتماعات بقاعة الشعب، كان جدول الأعمال ينصب على مناقشة قضايا تنظيمية تخص الاتحاد العالمي للطلاب، وقضايا سياسية تركزت على قضايا الميز العنصري خاصة في أفريقيا، ودور الشركات متعددة الجنسية في تخريب الاقتصاد العالمي وتصاعد حالة الفقر في أغلب دول العالم الثالث، كما دار نقاش فكري ثنائي مهم مع التنظيمات الماركسية، كان علينا عند مناقشة بنود جدول الأعمال التحدث من تحليلات النظرية الجماهيرية الصادرة للتو، وبدون معلومات وفيرة وعن الركن الاقتصادي الذي صدر في وقت لاحق لكننا اطلعنا على بعض مما ورد به من خلال المعسكرات واللقاءات مع القائد.

كان أغلب الحاضرين من كوادر الشيوعيين العقائديين وليسوا طلابا عاديين إلا القليل منهم، كانت فرصة لدخول ليبيا إلى الاتحاد وتولي أحد مواقعه القيادية، إضافة للمناقشات حول القضايـــا الفكرية والسياسية العامة، عقدت سلسلة اجتماعات بين الاتحاد العام لطلبة الجماهيرية والاتحادات الوطنية المشاركة في المؤتمر.

أجهد الأخوان المرحومان عبد القادر البغدادي، وعز الدين الهنشيري في مقابلات الوفود، وكان عليّ في كثير الأحيان أن أتولى الترجمة إلى الإنجليزية بلغتي الركيكة وقتها.

***

المحطة الرابعة عشرة
من عاصمة إلى أخرى

عام الرحلات التاريخية والتصعيدات الاستراتيجية

عام 1979 كان عامًا حافلًا بالنشاط الثوري المحلي والخارجي، في بدايته تصاعدت الثورة الشعبية الإيرانية ضد حكم الشاه، فلقد كانت إيران بلدا عدوا للأمة العربية وشكلت داعمًا قويًا وحيدًا في قارة آسيا للعدو الصهيوني، وسخرت إمكاناتها لمحاربة المشروع القومي العربي في العراق والشام، وفي حرب 73 فتحت نفطها بالكامل لدعم الكيان الصهيوني، وكانت تحكم قمعيا بواسطة جهاز السافاك سيء السمعة، وهي ساحة مغلقة تماما على ليبيا، ولم تتوفر معلومات كافية حولها، بالرغم من الصراع معها بسبب تدخلها في دول الخليج خاصة دعمها للسلطان قابوس ضد ثورة ضفار القومية، لكنها داخليا كانت تعج بالقوى المعارضة لنظام الشاه وتوجهاته الغربية، خاصة التنظيمات الماركسية المتمثلة في حزب توده الماركسي، التنظيم الإسلامي اليساري توجها والمتمثل في منظمة مجاهدي الشعب "مجاهدي خلق" وكذلك المعارضة الشعبية الشيعية التي يقودها رجال الدين الشيعة خاصة بعد إعلان الخميني لنظرية ولاية الفقيه.

في بداية الخمسينيات نتيجة الوضع الاقتصادي المنهار حدثت تحركات شعبية واسعة في طهران وكل المدن الإيرانية، بغرض إسقاط

الشاه، وتمحورت القوى السياسية خلف الشخصية الوطنية التقدمية محمد مصدق، الذي حمل مشروعا مناهضا للهيمنة الأمريكية على إيران ومطالبة بعزل الشاه، وفعلاً نجح مصدق باكتساح في الانتخابات العامة، وأجبر الشاه على التنازل وتشكلت سلطة وطنية لم ترق سياساتها للدوائر الغربية خاصة أمريكا، فقامت المخابرات الأمريكية بوضع مخطط جهنمي للإطاحة بحكومة مصدق وإعادة الشاه، ونفذت سيناريو يشابه السيناريو الذي طبق في أوروبا الشرقية والوطن العربي فيما عرف بـ"ربيع براغ" والربيع العربي، وباستخدام الأموال تمكنت المخابرات الأمريكية من اختراق بعض القيادات العمالية، وبدأت تمول احتجاجات هنا وهناك مع ضغط اقتصادي، ونجحت في النهاية في إسقاط المشروع الوطني وعودة الشاه.

ولاية الفقيه مصطلح فقهي قديم في الفقه الشيعي الإثني عشرية منذ الغيبة الكبرى للإمام محمد المهدي، حيث يعتبرها الفقهاء ولاية حاكمية الفقيه الجامع لشرائط الفتوى والمرجعية الدينية المعبر عنها بالمجتهد في الأحكام الشرعية في عصر غيبة الإمام، وينوب الولي الفقيه عن الإمام الغائب في قيادة الأمة وإدارة شؤونها والقيام بمهام الحكومة الإسلامية، وإقامة حكم الله في الأرض.

آية الله روح الله الموسوي الخميني، رجل دين شيعي ثوري تبنى تطبيق نظرية "ولاية الفقيه" إذ يعتبر الشيعة أنه للإمام دور أساسي في إدارة الأمم، ويحظى بمعصومية شأنه شأن الأنبياء فهو لا يخطئ وما يقوله أو يفعله جزء من الدين، آخر الأئمة غاب عن الظهور

وهو الإمام الثاني عشر محمد المهدي، وهم على قناعة بعودته ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا، وبغض النظر عن صحة المعتقدات الشيعية من عدمها، وبعيدًا عن التفسيرات غير الدقيقة للفقه الشيعي، فإن غياب إمام الزمان أثر كثيرًا في أداء المذاهب الشيعة.

نظرية ولاية الفقيه عملية ثورية في الفكر الشيعي فهي تقضي بأن يختار العلماء من بينهم أكثرهم علما ليتولى مهمة نائب إمام الزمان إلى حين عودته، ويكون للولي الفقيه كامل السلطة الدينية على اتباع المذاهب الشيعية وعليهم السمع والطاعة، ثم يسمى الولي الفقيه من بعده الأئمة اللاحقون.

وهكذا عندما نفي الخميني إلى العراق في الستينيات من القرن الماضي أخذ في شرح نظرية ولاية الفقيه ودعا تلاميذه لتبنيها، وتتلمذ على يديه صهره موسى الصدر، الذي ذهب إلى جنوب لبنان، وسمي وليا فقيها على شيعة جنوب لبنان، وأصبغ عليه لقب الإمام موسى الصدر، وهذا يفسر اهتمام الشيعة البالغ بقضية اختفاء موسى الصدر، لكن علماء من أمثال محمد باقر الصدر غير مقتنعين بتلك الولاية، لا في العراق ولا إيران.

بسبب الأوضاع المعيشية نظمت القوى المعارضة في إيران احتجاجات قوية ضد النظام، وكان لآيات الله وحجج الإسلام دور كبير في تأجيج الرأي العام ضد الشاه، في نفس الوقت حضر كثير من الشباب الإيراني إلى جنوب لبنان للتدريب العسكري ضد الشاه وقامت حركة فتح بتدريب أعداد كبيرة من الإيرانيين المعارضين للشاه في سبعينيات القرن الماضي، نتيجة الحالة العدائية بين العراق وإيران،

كان الخميني يقيم بالنجف يمارس دورًا مهمًا في دعم الاحتجاجات، وعندما شعر الشاه بالخطر المحدق طلب بعقد اتفاق مع العراق، والتقى مع الشهيد صدام حسين في الجزائر، حيث اتفقا على وقف الحالة العدائية، والحرب الإعلامية، وترسيم الحدود، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدين، كما نص الاتفاق على طرد الخميني من النجف، فهاجر إلى فرنسا، حيث وجد مناخا مناسبا للترويج للثورة الإيرانية، وأخذ في تسجيل نداءات وفتاوي على الكاسيت وإرسالها إلى إيران حيث يتم إعادة نسخها، وهكذا سميت الثورة الإيرانية **بثورة الكاسيت**.

كان القائد في كل خطبه يحرض على الثورة ضد نظام الشاه المرتبط بالاستعمار والصهيونية العالمية، وما أن ظهرت إلى العلن أخبار الاحتجاجات الجماهيرية ضد الشاه في طهران وغيرها حتى كلفت كل الأجهزة الثورية والاستخباراتية بضرورة البحث للوصول إلى من هم وراء تلك التحركات الثورية، تم التواصل في باريس مع الخميني عن طريق الأخ سعيد حفيانه، لكن المحيطين بالخميني كانوا من أقرباء موسى الصدر الإيراني الذي كان يعمل بلبنان، والذي ادعى أنه غيّب في ليبيا، وكانوا يضمرون حقدا علي ثورة الفاتح وقائدها لم نكن نعرف حجمه، كلف عدد من العناصر للتسلل إلى إيران منهم الأخوين المرحوم إبراهيم البشاري، وسعد مجبر، بشكل شخصي وسري للبحث في التواصل المباشر مع قيـــادة الثورة الإيرانية على الميدان، وفعلا تمكن الأخوان من التواصل مع شخصيات مهمة منهم محمد المنتظري بن آية الله محمد المنتظري وآية الله طالقاني، وحسين

الخميني، بسرعة البرق تصاعدت وتيرة المظاهرات الشعبية في المدن الإيرانية وتمت مواجهتها بقمع شديد من السافاك "الجهاز السري الإيراني"، لكن الغضب الجماهيري كان شديدا ونجحت الآلية التوجيهية لعلماء الدين في تعبئة الجماهير لاستمرار الانتفاضة وتصعيدها، وكانت الجمعة الدامية في إيران في شهر يناير 1979 بمثابة المسمار الأخير في نعش "الشاهنشاهية".

حاول الشاه إجراء تعديلات في سياسته الداخلية واستعان بمؤيديه المخلصين، لكن رياح الثورة العاصفة لم تمهله، أمر بإنزال الجيش، إلا أن الجيش التحم مع الشعب ووضع الجنود الزهور في فوهات بنادقهم كإعلان عن رفضهم مواجهة الجماهير الغاضبة بالرصاص، انفلتت الحالة الأمنية في طهران وباقي المدن الإيرانية، وفي محاولة يائسة جاء الشاه بشهبور باختيار الشخصية المقبولة شعبيا نوعًا ما لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكنه كان قد تأخر كثيرا، واضطر الشاه للهروب في جنح الليل، غادر بطائرته وبعض من حاشيته لكنه تفاجأ برفض كل دول العالم استقباله باستثناء السادات الذي استقبله استقبال الأباطرة وأمنه في مصر بعد أن رفضت أمريكا مجرد عبور طائرته فوق أجوائها، فما بالك نزوله على أراضيها، وتلك سياسة الغرب المستمرة تجاه عملائها فهي عندما تستنزفهم أو تلفظهم شعوبهم ترمي بهم في الزبالة.

كان هروب الشاه هو البيان الذي أعلن انتصار الثورة الإيرانية الإسلامية، ومهدت الطريق لعودة الخميني مظفرا إلى قم صنو النجف الأشرف في إيران، وما أن هبطت طائرة الخميني أرض مطار طهران

حتى زحف ملايين الإيرانيين في أضخم استقبال شعبي لزعيم ثوري في إيران.

بعد عودة الخميني إلى إيران تمكن الأخ إبراهيم البشاري والأخ سعد مجبر من مقابلته في قم، وإبلاغه تأييد ثورة الفاتح للثورة الإيرانية، وكان الخميني شخصا واعيًا سياسيًا، يعلم موقف ثورة الفاتح من نظام الشاه العميل، وكان متابعًا لكل مواقف الفاتح مع حركات التحرر العالمية، اقترحوا عليه زيارة وفد من القيادات الثورية إلى إيران لبحث توثيق وتطوير العلاقة بين ثورة الفاتح والثورة الإيرانية، فرحب بالفكرة، في يوم 23 أبريل 1979 وصل وفد كبير كنت أحد أعضائه برئاسة عبدالسلام جلود وكان به أيضًا الأستاذ أبوزيد عمر دورده، والأستاذ محمد الزوي، والأستاذ رجب أبودبوس، والأستاذ إبراهيم الغويل، والأستاذ علي فضيل، والأستاذ محمد أحمد الشريف، والمرحومه عزيزة جبريل، ونعيمة المغربي، وسعد إسماعيل، وسعيد التواتي وآخرون لم أتذكرهم.

لم تكن الأحوال الأمنية والسياسية في إيران قد انتظمت، شكل الخميني حكومة مؤقتة برئاسة مناضل وطني هو مهدي بازركان وضمت عناصر محسوبة على الخميني، ومجموعة على علاقة بموسى الصدر منهم: إبراهيم يزدي للخارجية، ويعقوب زاده، ومصطفى شمران وزير الدفاع المرتبط بقوة أيضًا بجماعة الصدر، هبطت الطائرة في مطار طهران مساء وجاء مصطفى شمران وزير الدفاع وهو من جماعة الصدر ووزير الخارجية إبراهيم يزدي وهو صدري أيضًا لاستقبال الوفد، كان الاستقبال فاترًا، جلسنا في قاعة

كبار الزوار، قالوا لنا سنذهب مباشرة بطائرة عمودية لمقابلة الخميني، كان الوضع مشبوها ومتوترا وكانت المعاملة غير ودية لكننا لم نكن نعلم ماذا يخطط لنا، انتظرنا لوقتًا ليس بقصير لحضور العمودية، لكنها لم تحضر، وحضرت قوة مسلحة من مليشيا ثورية يقودها حفيد الخميني حسين الخميني ومحمد المنتظري، وسيطرت على المطار، أبلغونا أن شمران كان يدبر خطة لخطف جلود ونقله إلى لبنان ربما للمطالبة بموسى الصدر، وأنهم اكتشفوا المؤامرة وأبلغوا الخميني بها، وكانوا قد رتبوا سيارات لنقل الوفد، وانطلقوا بنا إلى طهران حيث أقمنا في فندق شيراتون.

تغيرت المعاملة في طهران وكان المنتظري الصغير والخميني الحفيد من الثوريين المتحمسين، المقتنعين بصدقية ثورة الفاتح وقائدها والمؤمنين بضرورة التحالف الاستراتيجي بين ليبيا وإيران من أجل نشر قيم الثورة الإسلامية، وغير مبالين ولا مهتمين بالاتهامات حول موسى الصدر، رتبوا للوفد برنامجا حافلا شمل لقاءات مع المسؤولين في الحكومة المؤقتة، وقيادات الثورة الخمينيين، "يطلقون عليهم خط الإمام" والذين بدأوا في تأسيس حزب الجمهورية ومنهم: آية الله على الخامنئي، وعلي رافسنجاني، وعلي ولايتي، والمرحوم محمد بهشتي، ومحمد مطهري، والحسن بني صدر الذي صار رئيسا للجمهورية ثم انقلب على الخميني وفر إلى فرنسا وآخرون، كذلك لقاءات بالمجموعات الطلابية ومنهم علي الخامنئي، وأحمدي نجاد وغيرهم.

رتبت زيارة إلى مدينة قم التي تحوي أهم الحوزات العلمية، لمقابلة الخميني وكان علينا قطع طريق طوله في حدود مائة كيلومتر

في زمن تجاوز 7 ساعات، بالنظر لكثافة الناس الذين ينتقلون إلى قم للنظر إلى الإمام الخميني، في قم كان بيت الخميني محاطا بملايين البشر، دخل الوفد إلى البيت بصعوبة بالغة من شدة الزحام، واستقبلنا الخميني في غرفة متواضعة كان جالسا على الأرض، محاطا ببعض آيات الله وحجج الإسلام، جلس بعضنا وبقي أغلبنا واقفين، تحدث عبد السلام جلود بالعربية دون مترجم، حول الثورة الإسلامية وأبلغ الخميني بأنه يحمل رسالة من القائد معمر القذافي، وأنه ينظر في الثورة الإيرانية كأهم حدث في المنطقة يبشر بالقضاء على الكيان الصهيوني، وتحدث عن أهمية توحيد القوى الثورية الإسلامية، رد عليه الخميني بالفارسية، شكرًا لحضوركم، وقال إنه يتابع جهاد ثورة الفاتح ومقارعتها لقوى الاستكبار العالمي، وأبلغ موافقته على التعاون والتنسيق، لكنه لم يأت لا من بعيد أو قريب على قضية موسى الصدر، بعد خروجنا من المقابلة ذهبنا مباشرة للقاء آية الله المنتظري وكان ثوريا تقدميا يساريا، متفتحاً على القومية العربية، كان حديثه أكثر وضوحا فهو يؤمن بضرورة توحيد الجهود الإيرانية والليبية لخدمة المشروع الإسلامي، وتحدث مطولا حول قضية فلسطين باعتبارها قضية تهم كل المسلمين، وطرح أهمية تشكيل حلف ثوري إسلامي من إيران وليبيا وسوريا وفلسطين وربما الجزائر لمواجهة المد الصهيوني الرجعي.

رجعنا في وقت متأخر من الليل إلى طهران وفى مساء اليوم التالي كانت لنا لقاءات مع السياسيين الثوريين في طهران وخاصة حزب الجمهورية الإسلامية برئاسة آية الله بهشتي، وهو متنور شيعي،

وأبوالحسن بني صدر أول رئيس جمهورية انشق فيما بعد وفر إلى باريس، وحاولت رباب الصدر شقيقة الصدر تنظيم مظاهرة من عشرات الأشخاص أمام الفندق لكن الحرس الثوري الآخذ في التشكل طردها.

في طهران كانت فرصة ثمينة للاطلاع على الفكر الشيعي، وفى بازار طهران، كانت مكتبة تتوسط السوق بها كل ما هو منشور من الأدبيات الشيعية والإسلامية بشكل عام، اقتنيت كزملائي أعدادا مهمة من الكتب والمراجع الشيعية، وكانت فرصة لمناقشات بين الوفد حول المذاهب الدينية المختلفة استفدت منها استفادة كبرى، خاصة مطارحات الأستاذ أبوزيد دورده، والأستاذ إبراهيم الغويل، والبرفسور رجب أبودبوس، والدكتور محمد الشريف، في الفكر الإسلامي والفلسفة والثرات الإسلامي.

سؤال في قم، أين الإمام؟

أثناء الزيارة اغتيل العلامة الشيعي آية الله المطهري، وهو من المفكرين الشيعة الكبار، وكان لكتبه وأحاديثه دور أساس في تفجير الثورة، فهو إضافة إلى المفكر "علي شريعتمداري" يعتبران من أهم أقطاب المفكريـــــن الثوريين الذين شكلت أفكارهم وتحليلاتهم قاعدة

الثورة الإيرانية، دفن في طهران في جنازة مهيبة دعينا لحضورها، في اليوم التالي نظم بمدينة قم حفل تأبيني حضره الخميني ودعينا إلى حضوره، كان البرنامج مقررا الساعة العاشرة صباحا، لذلك ولكي

نصل في الموعد كان علينا الخروج من طهران فجرا، في الطريق المزدحم إلى قم أخذ منا الإعياء كل مأخذ، لذلك كان النوم سيد الموقف في الحافلة التي أقلتنا، باستثناء جلود الذي كان لا ينام إلا قليلا، عند مشارف قم استقبلنا عدد من رجال الدين في مقدمتهم ثوري متهور هو آية الله خلخالي رئيس المحاكم الثورية، صعد إلى الحافلة وجلس بجانب عبد السلام جلود، كان يتحدث بصوت جهوري، تحدث عن مطهري ومآثره ودوره الفكري في الثورة، وأشار الى الجهات التي تقف وراء اغتياله، ومن ضمن ما ذكر أن مخابرات الشاه "السافاك" ومخابرات الكيان الصهيوني "الموساد" والمخابرات الأمريكية "سي أي أيه" هي المستفيدة من اغتياله وهي بلا شك وراءه، كما قتلت بن بركه، وعبد الناصر، والصدر إلى آخره.

وصلنا الحسينية التي يقام بها الحفل وهي عبارة عن مبنى دائري، يحيط بساحة كبيرة، دخلنا إلى المبنى بصعوبة بالغة بين حشود الحاضرين، وكان الخميني وبعض رجال الدين بالشرفة يحيون الناس، ذهب جلود إلى الشرفة وأجلس بجانب الخميني، ولأن الرحلة كانت متعبة استلقى بعض الإخوة وأنا منهم بالمكتبة التي تطل على الشرفة.

أخذ المتحدثون يتكلمون على مآثر الفقيد المطهري، وطلب من جلود أن يتكلم، للأمانة لأول مرة أستمع إلى جلود وهو يلقي خطابـًا بتلك العفوية والسلاسة ودون تلعثم، فعادة ما كان يكرر الكلام في كل أحاديثه فهو لم يكن خطيبا مفوها، بدأ بالآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ" وقال في آخر كلامه، إن من قتل المطهري هو من قتل عبد الناصر، وجنبلاط، وبن بركة، وموسى الصدر، وما أن

انتهى المترجم من ترجمتها حتى ارتفع صوت واحد رهيب من كل الجمهور "الإمام مات!" كانت ضربة صاعقة للوفد فلقد تغير الموقف، حيث في السابق كان الشيعة يعتقدون أن الإمام مختفي وهذا أمر طبيعي عندهم، لكن جلود أعلن أنه مات، ساد هرج ومرج لبرهة من الوقت وتوقف جلود عن الحديث، مباشرة أخذ الخميني لاقط الصوت وتحدث عن مآثر الفقيد وعن الثورة الإسلامية وفلسطين وحيا وجود وفد من ليبيا ولم يعلق على ما قاله جلود الجالس جنبه.

لقد تمكن الخميني من امتصاص غضب الناس بتجاهل ما قاله جلود، فلو كان الأمر مهما لما سكت عليه الإمام، خرجنا بصعوبة وسط الحشد الجماهيري واتجهنا إلى بيت المنتظري الذي حاول أن يخفف من وطأة الكلام بقوله إن المترجم أخطأ في ترجمة ما قاله جلود، لكن لم نشعر بالطمأنينة حتى خرجنا من قم ووصلنا فجر اليوم التالي إلى طهران، بقينا فيها عدة أيام، أعتقد من بين أسبابها أن جلود لم يرغب في المغادرة حتى لا يقال إنه خاف بعد كلمته، فكانت لقاءاتنا محدودة، ذهبنا إلى الجامعة زرنا معالم طهران ومنها مقبرة الشهداء، لكن الوقت الأهم كنا نقضيه في الفندق في جلسات حوار بيننا أو في البازار حيث المكتبة الغنية بالكتب الرخيصة والثمينة.

في رحلة العودة إلى بنغازي بعد ثلاثة أسابيع نصحنا أن تقلع الطـــــائرة وتهبط عدة مرات للتمويه خوفا من عمل إجرامي تقوم به جماعات الصدر المتغلغلين، لكن بينما نحن في الطائرة حتى تفاجأنا بوجود شاب إيراني على متنها، بداية توقعه الإخوة بالأمن أنه من رجال الخدمات بالمطار إلا أنه لم يغادر، قبل الإقلاع طلب منه جماعة الأمن النزول فرفض، وقال إنه يريد أن يذهب إلى ليبيا للبحث عن

موسى الصدر! طبعا حضر جماعة المنتضري وأخذوه عنوة من الطائرة.

***

تصعيد شعبي نموذجي

بعد إعلان سلطة الشعب، وتشكل حركة اللجان الثورية، اتفق على تنفيذ برامج تعبوية وحركية لتقوية بنيان سلطة الشعب بتقليل المركزية وتقوية سلطة اللجان الشعبية المحلية، فكان من الضروري إعادة هيكلة الدولة، واستحداث نظام أكثر استقلالية للإدارة المحلية وتوسيع صلاحياتها، فتقرر تقسيم ليبيا إلى 45 بلدية على أسس سكانية وجغرافية واقتصادية، أُعطيت لها كافة الصلاحيات الإدارية والمالية، ووجه القائد بأهمية تصعيد لجان شعبية محلية قادرة على بناء بلديات قوية تستطيع إحداث تنمية مكانية حقيقية، أجريت مناقشات في مثابات اللجان الثورية حول أهمية تصعيد لجان شعبية من الكفاءات والابتعاد عن المحاصصة القبلية التي أنتجت في السابق أدوات إدارية ضعيفة لم تستطع ضمان تقديم حتى الخدمات البسيطة، وتم تكليف فرق متابعة من اللجان الثورية في المنطقة الشرقية وزعت على كل المناطق، توليتُ والأخ المرحوم محمد المجدوب الإشراف على التصعيد في بلدية بنغازي، وتوزع باقي الإخوة في المنطقة الشرقية على بقية البلديات، تركز برنامج العمل على تنفيذ مناشط تعبوية للجماهير حول أهمية اختيار قيادات قادرة لتقديم الخدمات للمواطنين، وكذلك لبناء سلطة شعبية نموذجية، يتأكد من خلالها المواطن أنه مطمئن على قرارته، وأنه لا يمارس عملية عبثية صورية، ولتنفيذ مهمتنا نظمنا حملة لقاءات شعبية واسعة مع كل الفعاليات الاجتماعية لإقناعهم بأهمية المرحلة القادمة، وضرورة التركيز على الخبرات وليس القرابة الاجتماعية عند تصعيد اللجان الشعبية.

تواصلنا مع مجموعة من أساتذة الجامعات لإقناعهم بأهمية تولي المواقع التنفيذية في اللجان الشعبية، وقمنا بالدفع بأسمائهم إلى الفعاليات الاجتماعية، لم يكن الأمر سهلا بل غاية في التعقيد، فلقد كان أساتذة الجامعات في معظمهم معزولين عن الجماهير وغير معروفين شعبيًا، وكان الطامعون في تصعيد أنفسهم يمارسون الدعاية السلبية، بالقول إن أساتذة الجامعات أكاديميون ولايدركون حاجات الناس، ويصعب التواصل معهم من قبل المواطنين العاديين، لذلك كان علينا بذل جهود مضاعفة لضمان اقتناع الجماهير بقدرة أساتذة الجامعات والخبراء التكنوقراط، وإقناع الطامعين في التصعيد حتى لا تشكل معارضتهم عامل إفشال للمشروع، تمكنّا من تحييد بعضهم بالقول إن الأساتذة والعناصر التقنية سوف يستفاد منهم في البلدية أو على مستوى الدولة، وبمجرد تصعيدهم ستكون مواقعهم في المؤتمرات الأساسية شاغرة وسيصعد أولئك لها.

لقد تمكنّا من تحقيق نجاح باهر في ذلك التصعيد، حيث شاركت أعداد كبيرة قدرت بعشرات الآلاف في كل فروع بلدية بنغازي، وتم اختيار أغلب الشخصيات التي قدمت بقناعة شعبية تامة، وأذكر أن الأخ محمد المجدوب أخبرني وهو كان يشرف على التصعيد الشعبي في منطقة البركة بملعب نادي النصر أن شخصًا حاول أن يقدم نفسه ويزايد على المرشحين وهم من الخبرات في بنغازي، فزحفت عليه الجماهير واضطر للقفز من السور الخلفي للملعب، اتضح الآن أنه العميل سليمان زوبي.

في بنغازي تشكلت لجنة شعبية نموذجية برئاسة المرحوم إبراهيم بكار، وعضوية عبد الحفيظ الزليتني، ومراد لنقى، ومصطفى

النويصري، ومصطفى أبوشعاله، ومحمد المبروك وإبراهيم قويدر، ولطفي فرحات، وفرحات شرننه، ومفتاح بوكر وآدم كويري وغيرهم، وكانت في وزن حكومة مركزية من حيث الكفاءة، وهكذا كان الحال في أغلب البلديات.

في بلدية اجدابيا، لم تتمكن اللجنة المكلفة وكانت برئاسة الدكتور عبدالسلام العربي من كلية الاقتصاد من الحصول على توافق، نتيجة الخلاف القبلي بين الزوية والمغاربة وحلفاء كل منهما، وحصلت مشادات وعراك وسقط بعض الجرحى، وكلفت من القيادة بالذهاب إلى اجدابيا لمعالجة المشكلة، فطلبت من الأخ المرحوم محمد المجدوب مرافقتي في المهمة القبلية الصعبة خاصة وأني غير مطلع جيدا على التركيبة الاجتماعية هناك، بالتنسيق مع مدير الأمن وكان من مدينة البيضاء التقينا بكل الفعاليات الاجتماعية في اجدابيا، وبعد حوار طويل ومواعظ حول أهمية التوافق والاستقرار وضرورة تكليف عناصر ذات كفاءة ودراية لتتمكن من إنجاز تحولات حقيقية، دخلنا في الموضوع، وطلبنا إليهم أن تقدم كل قبيلة أسماء المتعلمين منهم، ومن ثم نجري مع بعض ومباشرة عملية فرز ثم نتفق جميعا على قائمة موحدة ننزلها للجماهير أثناء التصعيد، تلك هي الآلية التي نجحنا في تطبيقها في بنغازي، لكن الاستقطاب القبلي كان قد وصل إلى مدى يصعب التراجع عنه، فبعد أكثر من 13 ساعة متواصلة من النقاش فشلنا في إعداد القائمة، كنا عندما نتفق على اسم محسوب على طرف يقوم الطرف الآخر بإفساده، بشعارات أن ذلك تدليس على الجماهير والتي من حقها وحدها اختيار من تراه، ومرات أخرى بالقول إن المتعلمين لا يدركون اهتمامـــات الناس، لكن الأغرب ما واجهني به

الشيخ الفاضل المرحوم عبدالنبي الهتش عندما قال لي غاضبا "يا زائدي المثقفين والمتعلمين هم من يتآمر على الثورة، نحن أعطينا كلمة للأخ معمر، ولكن لو ضغطوا علينا وقبلنا بعرب ما نعرفوها لا نستطيع الإيفاء بكلمتنا، كنت أدرك أنها كلمة أريد بها فقط تخريب التوافق، ومع هذا خرجنا بخفي حنين، اتصلت بالأخ أحمد رمضان وأبلغته أننا لم نستطيع إنجاز توافق وعلينا الاستمرار في التصعيد الشعبي ومن المهم اختيار لجنة تصعيد قوية، اقترحت عليه الأخ محمد المجدوب وأن يوجه بتواجد أمني قوي، وهكذا كان.

في بلدية العزيزية

الإخوة في طرابلس وباقي المناطق كانوا يتبعون نفس الطريقة، وهي تحريض الناس على تصعيد كفاءات، كنت أيضًا ضحية تلك الفكرة، ففي بلدية العزيزية تم تصعيدي أمينا توافقياً للجنة الشعبية، دون علمي ولا رغبتي، ولم أكن أفكر في تولي موقع إداري بل كنت أطمح في استكمال دراستي التخصصية، بعد عودتي من زيارة إيران حاولت جاهدا التهرب وعدم الاستلام، قابلت الأستاذ محمد الزروق رجب دون جدوى.

الإخوة أحمد إبراهيم، وسعيد راشد، ومحمد المجدوب اقنعوني بأن أغلب المصعدين دفع بهم هكذا وليس لديهم الرغبة والحماسة، ولو انسحبت فسيكون مبررًا لانسحاب كثيرين، أما الأخ محمد الزروق رجب أمين مؤتمر الشعب العام وقتها فلقد كان رفضه مبررا بأنه لا يستطيع إعادة التصعيد لأن ذلك سيدخله في دوامة لن تنتهي ووعدني بتدبر الأمر في أوقات لاحقة، وهكذا كان عليّ أن ألتحق بالعمل نهاية شهر مايو 1979 أمينا للجنة الشعبية لبلدية العزيزية، ويسرني بعد

عقود أن اتوجه بالشكر والتقدير إلى كل الإخوة أعضاء اللجنة الشعبية للبلدية، وأعضاء اللجان الشعبية النوعية وأمناء المؤتمرات الشعبية على دعمهم اللا محدود حتى تمكنت مع زملائي من تنفيذ بعض الإنجازات المادية للبلدية.

لقد تمكنّا من وضع خطة تنموية في مجالات الإسكان والمواصلات والتعليم والاقتصاد، فلقد حولنا مشاريع الإسكان العام إلى قروض منحت للمواطنين في مزارعهم للقضاء على الأكواخ، وفعلا تم توزيع آلاف القروض ربما ساهمت وقتها في تمكين آلاف الأسر في البلدية من بناء بيوت صحية في مزارعهم، كما تم ربط البلدية بشبكة طرق طولية وعرضية، وأيضا تم إنشاء عشرات المدارس النموذجية الحديثة والمعاهد العليا، وكذلك المراكز الصحية النموذجية ومستشفيين في اسبيعه والزهراء، وفي مجال الاتصالات تم تركيب محطات هاتفية متنقلة في كل فروع البلدية "سيدى السايح وسوق الخميس واسبيعه والعزيزية" بمفاتيح دولية، وأنشئت شبكة من الأسواق العامة ومركز استراتيجي للسلع التموينية، ولا أنكر فشلنا في التعاقد على مجاري العزيزية بسبب ضعف اللجنة الشعبية للمرافق.

تضم بلدية العزيزية الجزء الجنوبي من قبائل ورشفانة والنواحي الأربعة، لأن الجزء الشمالي كان موزعًا بين بلدية قصر بن غشير والسواني وبلدية جنزور، كان الأستاذ جادالله عزوز الطلحي قد اختير أمينا للجنة الشعبية العامة، والأستاذ محمد الحجازي أمينا للبلديات، والأستاذ أبوزيد دورده للاقتصاد، والمرحوم موسى أبوفريوه أمينا للتخطيط، والمرحوم محمد عبدالله المبروك أمينا للخدمة العامة، وقد قدموا لي شخصيا كل الدعم للنجاح في إدارة البلدية وأعترف أني تعلمت منهم الكثير من الخبرة الإدارية.

بكار يصرخ من بوشنه هذا!

اهتم القائد رحمه **الله** باللجان الشعبية المصعدة، وضرورة تطبيق سلطة لامركزية واسعة تمكن المواطن من سهولة الحصول على الخدمات، وتساعد في وتيرة التنمية المحلية والقضاء على الفقر ومن أهم مظاهره الأكواخ، ففي شهر مايو عقد لقاءات مطولة وموسعة مع اللجان الشعبية للبلديات، أسبوعان متصلان يلتقي بأمناء اللجان الشعبية بكل قطاع على حده من كل البلديات، في كلية الاقتصاد بجامعة قاريونس، كان يحضر اللقاءات أمين اللجنة الشعبة العامة الأستاذ جاد الله عزوز، وأمين اللجنة الشعبية العامة للقطاع وأمناء اللجان الشعبية للبلديات، يقدم القائد وجهة نظره حول كيفية تطبيق الإدارة الشعبية النموذجية للقطاع، ووجهة نظره في الخطط التي ينبغي أن يضعها القطاع وينفذها وهكذا، كان علينا حضور كل اللقاءات، عندما بدأت اللقاءات لم أستلم بعد العمل، ولم التق بلجنتي الشعبية وكنت لا أعرف أغلبهم.

في لقاء قطاع المواصلات، حضر اللقاء الأستاذ جاد الله عزوز، والدكتور نوري الفيتوري المدني أمين المواصلات، وكانت خطة المواصلات التنموية قطعت أشواطا ممتازة، بعد أن فتح باب المناقشة أُعطيت الكلمة لأمناء لجان المواصلات في البلديات، لكن أمين مواصلات بلدية بنغازي فتح النار بشكل استفزازي على الدكتور نوري الفيتوري، واصفـــًا إياه بأنه لازال يعمل بعقلية الوزير، وأنه متعال على اللجنة وأن الموظفين في الأمانة هم من يتحكم في كل شيء، وأنه يمارس مركزية مقيتة إلى آخره، بالتأكيد كان الأمر محرجا للدكتور نوري الفيتوري، لكن الممتعض الأكثر كان الأستاذ إبراهيم

بكار رحمه الله أمين اللجنة الشعبية لبنغازي، الذي كان يعلم أن أمين مواصلات بنغازي لم يكن مؤدبا في حديثه وأن الدكتور نوري سوف يأخذ على خاطره من بنغازي، وأن القول كلام مرسل فاللجان الشعبية بالقطاعات تشكلت للتو ولا يمكن تقييم أداء الأمناء بهذه السرعة.

ما أن أكمل أمين مواصلات بنغازي كلمته النارية حتي طلب أمين مواصلات بلدية بالعزيزية الأستاذ زائد علي زائد الكلمة، وكان يرتدي الزي الليبي وشنة حمراء، وهو إنسان عادي غير متعلم وكبير في السن، أعطاه القائد فرصة الحديث، تحدث بلهجة عامية، نافيا ما قاله أمين مواصلات بنغازي جملة وتفصيلا، وأثنى على الدكتور نوري، قال إنه إنسان متواضع، وتحدث عن عدد الاجتماعات التي حضرها خلال الشهرين، وأنه أطلعهم على تفاصيل كل شيء في القطاع والأمانة، وأنه أصدر تعليمات إلى الموظفين بأن يعتبروا أي أمين مواصلات في البلدية هو أمين المواصلات على مستوى الدولة، إلى أخره، واختتم كلمته بأن الأخ أمين مواصلات بنغازي حضر اجتماعًا وحيدًا ثم قرأ الآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ" صفق له كل أعضاء لجنة المواصلات، الأستاذ إبراهيم بكار كعادته في سرعة البديهة والفكاهة أخذ ينظر إلي ويسألني "من وين لاقيه بوشنة هذا" لأنه كان يدرك بأن الدكتور نوري سيقدر جدًا هذه الشهادة من شخص لا يعرفه وفي مقام غير ملائم لأن يدافع عن نفسه.

في اللجنة الشعبية مرغم أخاك لا بطل اشتغلت ما استطعت كان تخوفي أن يؤثر عملي في اللجنة على ممارسة مهنة الطب خاصة أني كنت في بداية الطريق المهني، لكن بحمد الله كان أغلبية الفريق الذي

صعد في اللجنة من الشباب الوطنيين المتحمسين، فعملنا بشكل جماعي كفريق واحد متجانس، كانت الصلاحيات مطلقة لكل أمين قطاع وكنت فقط أمينا للجنة أدير اجتماعاتها، لذلك تحصلت على فسحة من الوقت لأواصل مسيرتي، تعرفت على أصدقاء في منزلة الإخوة، كنت جادًا في ممارسة مهنة الطب، وعزمت أن لا تثنيني إدارتي للجنة الشعبية للبلدية عن ممارسة مهنتي، واتفقت مع الإخوة في اللجنة على ذلك بأن أحضر يومان في الأسبوع.

ذهبت إلى مستشفى الخضراء بطرابلس دون المرور على الدكتور المرحوم مفتاح الأسطى عمر أمين الصحة، وكان صديقًا عزيزًا، طلبت مقابلة المدير وهو الدكتور فوزي الكيب ولم يكن يعرفني من قبل، قابلته كطبيب عادي، استقبلني برسمية مفرطة، لكنه تفهم ظرفي، قال لي تفضل أحضر لي الشهادات ويستر الله، في اليوم التالي حملت الملف وقابلته، في هذه المرة كانت المقابلة أكثر ودية، علمت أنه يعاني نفس المشكلة إذ صعد أمينًا للصحة في صبراتة ولا رغبة لديه في ذلك، المهم مكنني من العمل ومنحني شقة بالمستشفى للإقامة كانت مخصصة للطواقم الفرنسية التي انتهت تعاقداتها.

في البلدية كان عليّ معالجة كثير من المشاكل، منها تلك المتعلقة بالخلافات القبلية الناتجة عن التصعيدات وهي عملية ليست سهلة بل معقدة، فرضت القيـــام بعديد الزيارات الاجتماعية، وتقريب وجهات النظر وعدم السماح باستغلال مشاكل التصعيد عند قيام الأمناء بأعمالهم، وكنت حريصا على إشراك أعضاء اللجنة المصعدين من المؤتمرات في كل ما يخص عمل القطاع في مناطقهم، بشكل عام

كانت الإشكاليات في قطاعي التعليم والاقتصاد ولقد نجحت في وضع آلية توافق داخل لجنتي التعليم والاقتصاد بالبلدية.

دعوت أغلب أمناء اللجان الشعبية العامة لزيارة البلدية، وعقدنا اجتماعين لكل اللجنة الشعبية العامة بالبلدية، وتمكنا من تنفيذ برامج عديدة، المشكلة الثانية كانت مشكلة الشباب، حيث لم توجد مناشط للشباب، نجحت بمساعدة الأستاذ مفتاح اكعيبة أمين الشباب وقتها من بناء ساحات رياضية شعبية في فروع البلدية الرئيسة هي الوحيدة الموجودة إلى يومنا هذا.

لقد نجحت في بناء ترابط بين قبائل النواحي وقبائل ورشفانة وتجاوز بعض الخلافات التاريخية التي سببها الأتراك ومن بعدهم الطليان، وكان للاهتمام بالفروسية الشعبية دور مهم في تقوية تلك الروابط.

وفاة عائشة بن نيران

حدثني الأخ عويدات المجدوب وهو من الأشخاص الذين استمروا في العمل بقلم القيادة، أنهم وبينما كان القائد معسكرا في وادي ثامت يكتب الفصل الثالث من الكتاب الأخضر وصله خبر مرض والدته فقرر العودة إلى طرابلس، وفي منتصف شهر يوليو الصيف عام 1979 على ما أذكر انتقلت المرحومة عائشة بن نيران إلى جوار ربها، نتيجة مرض بسبب كبر السن، وصلنا الخبر وعلمنا أنها ستدفن بجارف بسرت، وأن القائد سيقبل العزاء في جارف، نظمت وفدا للتعازي من الإخوة في أمانة مؤتمر البلدية واللجنة الشعبية للبلدية وعدد من القيادات الشعبية بالبلدية وانطلقنا إلى سرت. وصلنا إلى سرت بعد صلاة العصر، استقبلنا القائد، قدمنا له العزاء وكان المعزون

من مختلف المناطق وعندما علم أننا غادرنا بعد العزاء أرسل خلفنا سيارة طلبوا منا الرجوع لأن العشاء جاهز وفعلا رجعنا وعاتبنا القائد على مغادرتنا وتناولنا العشاء معه بالخيمة.

حدثني الأستاذ عبد المجيد القعود وكان وقتها يشغل وظيفة أمين الاتصال، بأن وزير خارجية ألمانيا السيد "هانس جينشر" كان في زيارة إلى طرابلس وكان لديه موعد للقاء القائد في الصباح، وعندما علم الأقلام بخبر وفاة المرحومة عائشة بن نيران، فكروا في إلغاء المقابلة، وبينما كان المهندس عبدالمجيد يبحث عن مدير المراسم لإبلاغه بإلغاء المقابلة، اتصل به القائد رحمه الله، قال فقدمت له العزاء، قال بعد ذلك بادرني أين الوزير قال فأجبته أني سألغي اللقاء، قال رد عليا القائد لماذا، دعه يأتي الآن أقابله قبل أن اتجه إلى سرت، قال القعود عندها كان مدير المراسم ينتظر على التلفون فأبلغته أن يحضر الوزير فورا، وفعلا جاء "جينشر" واستقبله القائد وناقش معه كل شيء قرابة ساعة ونصف، وكان القائد يتصرف وكأن لا شيء حدث، قال ثم خرج الوزير فرافقته إلى السيارة وأنا أودعه أبلغته أن والدة القائد توفت الآن وكنت بصدد إلغاء اللقاء لكن القائد أصر على لقائك، قال تأثر الوزير كثيرا وأصر على الرجوع للخيمة لتعزية القائد وهكذا فعل، قال أثناء المغادرة قال لي إنكم تملكون رجلًا عظيمًا، قادر على كبت مشاعره فلم أشعر بأن الراجل قادر على إخفاء حزنه على والدته إلى هذا القدر.

***

المكاتب الشعبية

في بداية شهر أغسطس 1979 التقى القائد رحمه الله بنا أنا والأخ محمد المجدوب، والأخ أحمد إبراهيم، والمرحوم سعيد راشد، والمرحوم عزالدين الهنشيري، والأخ عمار الطيف، وموسى كوسا وبشير حميد، وطرح علينا فكرة تصعيد الثورة الشعبية في الخارج، وأنه علينا ترتيب الزحف على السفارات وتحويلها لمكاتب شعبية، ونبه لحساسية العملية وخطورتها وأضرارها الممكنة بسبب وجود السفارات في أراضي دول أجنبية، والمخاوف من إمكانية استغلال الأمر من قبل بعض المجموعات المعارضة، والقيام بأعمال قد تضر بعلاقات ليبيا مع بعض الدول، وعلينا تنظيم العمل بدقة متناهية وسرية كاملة، والاستعداد للزحف وأخذ المبادرة وأنه سيعلن عن ذلك في العيد العاشر للثورة.

تحول مكتب الاتصال باللجان الثورية بقصر الشعب إلى غرفة عمليات تعمل في ظروف صعبة، فمن جانب نريد أن يبقى الخبر سريا، ومن جانب آخر نريد أن نختار عناصر قادرة لتتولى مسؤولية العمل بالمكاتب الشعبية، وعناصر أخرى تتولى تنظيم وقيادة الزحف على السفارات، ولابد من تسريب تلك العناصر إلى الدول قبل وقت كاف، شكلنا فرق عمل وانهمكنا في اقتراح أسماء لتكون أعضاء في اللجان الشعبية بالمكاتب المستهدفة وأمنائها، ولجان لتنظيم الزحف من الجاليات المتواجدة في الدول المختلفة وتأمين عمليات الزحف، وتمت مناقشة الموضوع مع الإخوة في أمانة مؤتمر الشعب العام وقتها بعدما كنا نناقش التفاصيـــل مع الأخ القائد، وفعلًا مع نهاية شهر أغسطس

استكملت الاستعدادات واتجه الإخوة المرشحون لعضوية اللجان الشعبية بالمكاتب واللجان المشرفة على الزحف إلى الدول إذا كانوا من غير المتواجدين بها، وكذلك انطلقت اللجان إلى الدول المختلفة.

كلفت بالإشراف على تصعيد المكتب الشعبي واشنطن، وتم اختيار اللجنة الشعبية من بين الطلبة المقيمين بأمريكا، واختير المرحوم الدكتور علي الحضيرى أمينًا لها، وصلت إلى واشنطن والتقيت بالإخوة العاملين بالسفارة وشرحت لهم المهمة، وأنهم غير مقصودين بالزحف في أشخاصهم، إنما يعني ممارسة العمل الشعبي مع الخارج، وعقدت لقاءات مع الطلبة الدارسين بأمريكا، وقتها كانت أعدادهم بالآلاف الذين أوفدوا للدراسة على حساب المجتمع، وتم الاستعداد للاحتفالات بعيد الفاتح، وبالنظر لفرق التوقيت كان علينا الاستيقاظ فجرا لكي نستمع إلى خطاب القائد في الصباح.

في العيد العاشر أقيم احتفال رسمي وشعبي ضخم في بنغازي، بحضور عدد كبير من قادة الدول العربية والصديقة، شهد عرضًا عسكريًا ضخمًا لم نستطع متابعته لعدم توفر وسائل الاتصالات في ذلك الوقت، واكتفينا بالاستماع إلى خطاب القائد عن طريق إذاعة صوت الوطن العربي المسموعة، بعد انتهاء القائد من كلمته انطلقت الزحوف على السفارات وتم تحويلها إلى مكاتب شعبية بسلاسة، بالنظر إلى الترتيبات التنظيمية التي اتخذت، وربما المفاجأة حقيقة كانت في عدم تسرب معلومات لا في الداخل ولا الخارج.

في نفس اليوم كان الطلبة المستهدفون بالزحف قد تمت دعوتهم إلى واشنطن للمشاركة في اجتماع، وتم زحف الطلاب على السفارة وتشكيل اللجنة الشعبية دون أية حوادث جانبية، ضمت اللجنة كلًا من: عبدالله الزبيدي، وعلي الرمرام، وتمت الدعوة لمؤتمر صحفي وتلاه بيان الزحف، وأرسلت برقيات للإذاعة الليبية تعلن استيلاء الليبيين المتواجدين بأمريكا على السفارة وتحويلها إلى مكتب شعبي، وتشكيل لجنة شعبية لإدارته بهدف ربط علاقة شعبية بين الشعوب، في الظهيرة حضرت الشرطة إلى موقع السفارة واطمأنوا أن ما حدث عمل داخلي وأرسلت مذكرة إلى الخارجية الأمريكية بالخصوص.

كانت مدة إقامتي في واشنطن أسبوعين، وأتأسف الآن أني لم أرى من أمريكا سوى مبني السفارة ومنزل الأخوين محمد عبدالمالك وأحمد المنفي رحمه الله، والفندق الذي أقمت به والذي لم أتذكر اليوم حتى اسمه! لقد كنا مندفعين بالثورة ولم نفكر بأنفسنا.

الزحف على السفارات سار بشكل طبيعي ماعدا في الهند حيث فرّ السفير محمد المقريف بما حول له من أموال لنشر الدعوة الإسلامية، وفى النمسا حيث اعترض بكل الوسائل السفير عز الدين الغدامسي، أما إسبانيا فلقد انقلب أمين اللجنة الشعبية المقترح على اللجنة وتصرف كسفير مما استوجب استبداله في الحال.

رحلة إلى أمريكا الوسطى

في شهر أكتوبر 1979 قام ضابط في السلفادور يدعى العقيد "ميجانو" بانقلاب عسكري استولى به علي السلطة في أوج مرحلة سيطرة العسكر اليمينيين المرتبطين بالولايات المتحدة على أمريكا الجنوبية والوسطى، كانت ثورة الفاتح تقاوم ذلك، وتقدم دعمًا سياسيًا

وماديًا للحركات الثورية اليسارية في القارة، ربما أهمها الجبهة السنديانية في نيكاراغوا وحزب العمال البرازيلي، وأتباع سلفادور الندي في تشيلي، والفاراك في كولومبيا، وحركات السكان الأصليين في بوليفيا، والحركات اليسارية في الإكوادور، وتدعم الحركة البيرونية في الأرجنتين، العقيد "ميجانوا" كان قد زار ليبيا ضمن فعاليات دورة عالمية في الشطرنج، وقابل الأخ القائد ويرتبط بعلاقة شخصية مع رئيس اتحاد الشطرنج الليبي آنذاك محمد شاهين، الذي قدم مذكرة بالخصوص إلى القائد وقال إنه يستطيع مقابلة "ميجانو"، استدعاني القائد وطلب مني تشكيل وفد ثوري للسفر إلى السلفادور وتقييم الموقف وتقديره، بعد نقاش مع الأخ محمد المجدوب اتفقنا أن يرافقني الأخوان الدكتور يونس معافه، والأخ خليفة الخويلدي، انطلقنا برفقة الأخ محمد شاهين وسافرنا إلى مدريد، حيت اصطحبنا شاب ليبي يعمل بعقد محلي ويجيد الإسبانية اسمه رمضان رحيم، وغادرنا إلى بنما حيث استقبلنا الأخ الصديق الشيباني القائم بالأعمال في السفارة، وكان نشطا وله علاقات جيدة مع القوة الثورية في المنطقة، اتصل بالسفارة السلفادورية لتحديد موعد مع الرئيس، ورتب لنا جملة من اللقاءات مع الجالية العربية التي لم أكن أعرف أنها بذلك الحجم والتأثير في جنوب القارة الأمريكية، ومع المنظمات الثورية الموجودة في بنما، وبترتيب من الأخ الصديق استضافنا أخ عربي في مدينة كولون البنمية على شاطئ الكاريبي وهو من التجار الكبار وحضر بعض الإخوة من لبنان ودار نقاش ساخن آخر حول الإمام الصدر الغائب، لكن مضيفنا وهو شخص قومي عربي وضع حدًا لتدخلات أخ شيعي، في تلك الأيام كان جهيمان العتيبي مع 200 من أتباعه قد اقتحموا الحرم المكي أول محرم 20 نوفمبر 1979 وتحصن به

واضطرت السلطات السعودية لطلب تدخل فرنسا التي استخدمت الغاز للسيطرة على الحرم المكي، في طريق عودتنا من كولون إلى بنما رأينا طبيعة جغرافيا الخيط الذي يربط شمال القارة الأمريكية بجنوبها، كما أتيحت لنا فرصة للتمعن في عبقرية "ديليسيبس" الهندسية الذي فكر وخطط لتنفيذ قناة تربط بين المحيطين الهادي والأطلسي، فقناة بنما أعجوبة هندسية، بالنظر إلى فارق المنسوب الطبيعي الكبير فلم يكن بالإمكان حفر قناة انسيابية تصل المحيطين، بل استخدمت فكرة تقسيم القناة إلى عدة أحواض تملأ بالماء واحدة تلو الأخرى إلى أن تصل السفينة إلى وجهتها.

وبعد أن وافقت السلطات السلفادورية على استقبالنا، ذهبنا إلى سان سلفادور وكانت مدينة بائسة من أكواخ الصفيح، استقبلنا العقيد "ميجانو" بالقصر الجمهوري، لكن صدمتنا كانت قوية لأن مستشارا أمريكيا حضر اللقاء، كان كلامه طيبا ونقلنا له اهتمام القائد وتأييده له ورجعنا بنوع من خيبة الأمل، فلم يكن انقلابا لصالح الشعب بل كان حلقة في سلسلة الترتيبات التي تقوم بها الإدارة الأمريكية لإحكام قبضتها علي البلد.

في سان سلفادور لاحظنا حياة البؤس والفقر وحياة الإقطاع، وكانت المظاهرات تجوب الشوارع يوميا، أخونا يونس معافه المندفع كان يصر للمشاركة فيها، لكننا كأغراب كنّا متخوفين من ذلك، وجدنا مقرًا لمنظمة عربية اسمها "النادي العربي" فتوجهنا إليه استقبلنا ببرود شديد وبعد أن علم المسؤول أننا من ليبيا أصر على دعوتنا للعشاء، في العشاء اكتشفنا سبب البرود في الاستقبال وهو أنه يتوافد عليهم باستمرار أشخاص يدعون أنهم من المقاومة الفلسطينية ويطلبون

الدعم، بعد يومين قضينها في استضافة حكومة العقيد "ميجانو" رجعنا إلى بنما وبدأنا في ترتيب رحلة العودة.

رحلة إلى غانا

يوم 31 ديسمبر 1981 استولى النقيب "جيري رولنجز" على السلطة في غانا، كان "رولنجز" مرتبطًا بعلاقة مع اللجان الثورية عن طريق شعبة اللجان الثورية العالمية وخاصة الأخ معاوية الصويعي، قاد انقلابًا عسكريًا عام 1979 وتولى السلطة لمدة شهور ثم سلمها في سبتمبر 1979 إلى حكومة مدنية، لكن الأوضاع السياسية والاقتصادية استمرت في التدهور مما اضطر المناضل الثوري "جيري رولنجز" التفكير ثانية في إنقاد البلاد.

في نهاية ديسمبر كنت في طرابلس في إجازة أعياد الميلاد، التقينا على عجل في مكتب الأخ محمد المجدوب، بحضور الأخ معاوية الصويعي، والدكتور المرحوم عبدالقادر البغدادي، وموسى كوسا، والأخ المرحوم سعيد راشد، لمناقشة التطورات في غانا، وسبل الاتصال برولنجز وماهي المساعدة التي يمكن تقديمها له، وبينما نحن نناقش الموضوع اتصل القائد رحمه الله بالأخ محمد المجدوب يستفسر عن انقلاب غانا فأبلغه أن قائد الانقلاب هو "رولنجز" الذي سبق وأن التقاه القائد وإننا في اجتمـــاع لمناقشة ما ينبغي فعله، وجه بضرورة سفر وفد بشكل عاجل إليه، تم تشكيل الوفد من كل من الأخ المرحوم الدكتور عبد القادر البغدادي، والأخ الدكتور محفوظ أبوحميدة، وموسى كوسا، والأخ معاوية الصويعي، والشهيد عز الدين الهنشيري،

تم ترتيب طائرة خاصة من الخطوط الليبية شحنت بكمية من المواد الغذائية كمساعدة، في المساء انطلقنا نحو غرب أفريقيا، هبطنا في كوتونو عاصمة بنين حيث كانت علاقتنا بالسيد أحمد كريكو رئيس الجمهورية ممتازة، وكان الأخ مصطفى بوسته أمين المكتب له شبكة علاقات جيدة مع الدولة، أقمنا بكتونو ليلة وصولنا، وبدأت الاتصالات باكرًا لترتيب انتقال الوفد إليها، كانت الأجواء لازالت مغلقة، وما أن علم السيد "رولنجز" بالوفد حتى طلب حضورنا على الفور، صباح اليوم الثاني من يناير انطلقت الطائرة دون أية أذونات إلى أكرا وما أن دخلنا أجواء غانا حتى حلقت جانبنا طائرتان للسلاح الجوي الغاني، لم نكن نعلم هل هي مرحبة أو معادية، استمرت ساعات الخوف لدى الطيارين الشجعان الذين قادوا الطائرة وبين الوفد إلى أن أذن لهم بالهبوط في أرض المطار، لكن دهشتنا وخوفنا تبددا عندما هبطنا بسلام، وعلمنا أن السيد "رولنجز" أمر باستقبال رسمي كبير للوفد، عندها كان علينا تقديم الدكتور عبدالقادر البغدادي كرئيس للوفد، كان في الاستقبال رئيس الأركان العامة للجيش وعدد من قيادات المجلس الأعلى للدفاع عن الثورة الذي شكله "رولنجز"، وبعد كلمات الترحيب والتصريح للصحفيين المحليين والأجانب على اعتبار أننا كنا أول وفد أجنبي ينزل باكرا مؤيدًا للانقلاب.

مباشرة من المطار إلى مقر قيادة "رولنجز" في المعسكر الرئيسي باكرا، ومباشرة للقاء النقيب طيار "رولنجز" رئيس مجلس الدفاع الوطني على الثورة، كان لقاءً حارًا، حضر مساعده الأول والأهم "تشيكتا" الذي كان مثقفًا ماركسيًا ومناضلًا غانيًا صلبًا.

طلب من الوفد أن يبقى فترة ليلتقي بقيادات لجان الدفاع عن الثورة ويقوم بتثقيفهم بالنظرية الجماهيرية، تقرر أن أبقى أنا والدكتور محفوظ أبوحميدة، والأخ معاوية الصويعي لاستكمال المهمة، وعاد باقي الإخوة إلى طرابلس وأطلعوا القائد على حقيقة الأوضاع ومدى سيطرة "رولنجز" على الأمور.

استمر برنامجنا في أكرا لمدة أسبوعين، في الصباح نلتقي بكوادر الدفاع عن الثورة وفي المساء تقريبا يوميا حوارات معمقة مع الرفيق تشيكيتا، وليليًا نلتقي بالرئيس رولنجز.

في قبضة جند خائفين

كان للرئيس "رولنجز" صديق لبناني لم أتذكر اسمه وهو في عمرنا وقتها وكان مرافقا دائما لنا، ذات ليلة وبينما كنا في طريقنا إلى الرئيس استوقفنا الجنود وكان صديقنا اللبناني يعرف كلمة السر، وما أن قالها حتى تغير الوضع وأخذ الجنود وضع إطلاق النار وطلبوا منّا أخذ وضع الانبطاح وأن نتقدم إلى البوابة زحفا وبدأت الاتصالات عبر اللاسلكي تنهال على البوابة، طلب منا التقدم زحفا ببطء، كانت لحظات رأينا فيها الموت يقف على رؤوسنا لم نعلم شيء، جنود يحاذوننا ونحن نزحف يشتاطون غضبا لو نبس أحد منا بكلمة، وصلنا البوابة تقدم آمر الحرس إلينا في وضعية هجومية قتالية، سأل من أنتم وماذا تعملون هنا، أجبته بلهجة متلعثمة ذكرتني بكلمات عادل أمام في مسرحية شاهد ماشافش حاجة، كرر السؤال لكنه تمكن في الأخير من تفهم أننا وفد ليبي مطلوبين من القائد "رولنجز" هكذا كانوا يسمونه لأنه لم يصبح

رئيسا بعد، بعد قرابة نصف ساعة حضر إلى البوابة الضابط المرافق لرولنجز ولما نظر في حالنا بدأ في التأسف عما حصل لنا، وأن خطأ قد وقع، أبدينا سرورنا ليس قبولا لاعتذاره لكن لنجاتنا من قبضة جند خائفين من أي شيء، علمنا بعدها أن معلومات قد وصلت بقيام مرتزقة بالهجوم على المعسكر وأنهم تعرفوا على كلمة السر، لذلك غيرت كلمة السر ووضعت حراسات المعسكر في وضع تأهب قصوى، لم يبلغ صديقنا اللبناني بذلك التغيير.

في تلك الليلة ولأن الخوف قد يولد الإبداع أحيانا، استمر حوارنا الفكري والسياسي مع الرئيس "رولنجز وتشيكيتا" إلى الفجر.

بعد أسبوعين حضرت من طرابلس طائرة بها الأخ المرحوم عزالدين الهنشيري وموسى كوسا، عدت بها أنا والأخ محفوظ وبقي معاوية سفيرًا في أكرا.

***

المحطة الخامسة عشرة
ميدان الصحافة

تأسيس الزحف الأخضر

في طرابلس أيام العهد الملكي كانت تصدر صحيفة طرابلس الغرب، والرائد وعدد من الصحف المملوكة لشخصيات محسوبة على النظام الملكي وتدور في فلكه، ما عدا صحيفة البلاغ التي عبرت عن خط وطني إلى حد ما، فمنع صدورها لعدة مرات كان آخرها عام 1963 لنشرها مقالات تطالب بالجلاء، ونشر قصيدة للشاعر المعارض جعفر الحبوني مطلعها "وين ثروة البترول يا سمسارة .. اللي مغير في الجرائد نسمعوا في أخباره"، وفي بنغازي تصدر صحيفتا الحقيقة والبشائر، وكانت الحقيقة تتمتع بشعبية لنشرها مقالات للأديب الكبير الصادق النيهوم، بعد الثورة استمرت كل الصحف في الصدور، كما عادت صحيفة البلاغ إلى الصدور، وتأسست صحيفة الفجر الجديد وصحيفة الجندي، وعدد من الصحف الخاصة، في عام 1971 أممت الصحف الخاصة وتم إعادة تنظيم الصحافة بحيث كانت الفجر الجديد من أهم صحف الرأي، ثم صدرت صحف تعبر عن النقابات لعل أهمها صحيفتا العمال والطالب، ثم تحولت صحيفة الفجر الجديد إلى صحيفة إخبارية، وأصدرت الأسابيع السياسي والثقافي والرياضي وغيرها.

تسلل عدد من الكتاب الشيوعيين إلى الأسابيع وبدأوا في استخدامها منابر للتشكيك في الثورة، وكانت صحيفة الطالب صحيفة ثورية تعبوية أصدرها الاتحاد العام للطلبة وتولاها طلاب نشطون هم: الدكتور محمد عبدالله كريستا، وامحمد الغول، والتواتي المبروك، وشكلت رغم ضعف إمكاناتها خطًا إعلاميًا ثوريًا متميزًا، كانت تمويلاتها ذاتية من الاتحاد العام وهي محدودة جدًا، فلم تمول من الخزانة العامة، وكان لطباعتها مجانا في مطابع التوجيه الثوري السبب الأهم في استمرار صدورها المنظم لعدة سنوات، لقد ساهمت الطالب مساهمة كبيرة في نشر الوعي الجماهيري بين المواطنين.

بعد الإعلان عن تشكيل حركة اللجان الثورية برزت أهمية إصدار صحيفة فكرية سياسية تتبنى الدعوة للنظرية الجماهيرية والتحريض على تطبيقها بصورة صحيحة، كلفتُ والأخ أحمد إبراهيم، والأخ محمد المجدوب بتشكيل فريق من عدد من الإخوة للتفكير في إصدار صحيفة فكرية سياسية ثقافية مختلفة في شكلها ومضمونها عن النمط السائد في الصحافة الليبية والعربية وقتها، وفعلا تم تشكيل فريق من الإخوة ضم كلا من: الدكتور رجب أبودبوس، والأستاذ عمار الطيف، والأخ عبد القادر البغدادي، والدكتور المهدي امبيرش، والدكتور محمد فرحات، والأخ علي الأصفر، والدكتور محفوظ أبوحميدة، والأخ امحمد الغول وآخرين لم أتذكر أسماءهم، تم التوافق على تصميم الصحيفة وشكلها ووضع تصور لمضمونها وأبوابها، تقرر إصدارها أسبوعيا كل يوم اثنين، وكلف الدكتور محفوظ أبوحميدة رئيسًا للتحرير، والأخ امحمد الغول مديرًا للتحرير، وشكلت هيئة

للإشراف، وانطلقت الصحيفة في الصدور، فصدر العددان صفر والأول، واختير نوع ورق جيد، ووضع الشعار، وكان خط الصحيفة فكريا مباشرا تقريبا، ولقد بذل الإخوة المحررون والكتاب والفنيون والمخرجون جهودا مضنية وكانوا يسهرون الليالي ليقرأ الليبيون صباح كل اثنين الزحف الأخضر.

بعض الصحفيين اليساريين لم يجدوا مكانا في الصحيفة فاشتكوا إلى الأخ القائد، طلب السماح لهم بالكتابة فلم تقبل هيئة التحرير ذلك على بياض وطلب منهم إرسال مقالاتهم فإن كانت تتماشى وخط الصحيفة تنشر وإلا فلا، على اعتبار أن الصحيفة تعبر عن خط أيديولوجي واضح وليست صحيفة رأي ورأي آخر.

الأخت فوزية شلابي والأخت فاطمة محمود كانت كتاباتهما استفزازية في كثير الأحيان ولا تتماشى مع منهج الصحيفة وأسلوبها وخطها، وكان الأخ الدكتور محفوظ يتحفظ كثيرا على مقالاتهما وأحيانًا يمتنع عن نشرها، اشتكتا إلى الأخ القائد من ممارسات رئيس التحرير ضدهما، طلبني والأخ محمد المجدوب إلى بنغازي، وسألنا عن أسباب عدم السماح لهما بالكتابة في الزحف الأخضر بالرغم من أنهما مثقفات ثوريات، كان ردنا واضحا أنهما تكتبان بأسلوب مستفز للجماهير خاصة فيما يتعلق بمقالتهما المتعلقة بالدين وبالمخالفة لخط الصحيفة الفكري الجماهيري، وأنهما تستخدمان أسلوب الإثارة وما يعنيه من رفض وامتعاض لدى القراء، وبينا أن الإخوة في هيئة التحرير يرون أن تكون مقالات الصحيفة واضحة وغير مستفزة لأنها تخاطب الشريحة العريضة من الشعب وهي ليست صحيفة متوجهة بخطابها فقط للنخبة.

بعد يومين علمنا أن الأخ القائد وجه أمانة الإعلام التي كان يتولاها الأستاذ محمد الحجازي بالسماح للأخت فوزية شلابي بإصدار صحيفة جديدة، وفعلا خرجت إلى النور صحيفة الجماهيرية التي تبنت خطا مختلفا عن الزحف الأخضر ولكنها شكلت إضافة مهمة للحياة الثقافية والثورية.

اعتمدنا مقالين مهمين للرأي في الصحيفة أحدهما في الصفحة الأولى باسم الصحيفة، وآخر في الصفحة الأخيرة باسم الكاتب، إضافة إلى رئيس التحرير توليت كتابة مقالات الرأي في صحيفة الزحف بالتناوب مع الإخوة أحمد إبراهيم، وعمار الطيف، والدكتور رجب أبودبوس، وكان علينا بناء خط فكري للصحيفة يتبعه المحررون لاحقا، كانت الكتابة وكذلك العمل في الصحيفة تطوعيا وبدون أي مقابل واستمر العمل بالصحيفة لعدة سنوات إلى أن غادرت للدراسة بالخارج، لكن الزحف الأخضر استمرت وتطورت وتعاقب على إدارتها وتحريرها مئات الصحفيين وساهمت في بناء أعداد كبيرة من الصحفيين والإعلاميين المتميزين، ولا شك في أنها أثرت تأثيرا كبيرا في الحياة الثقافية في ليبيا لعقود، توقف إصدار الصحيفة بعد سقوط طرابلس في أيدي عملاء الناتو، لكنها حتما ستبقى حاضرة في وجدان أجيال الثمانينيات والتسعينيات والألفينيات وستخرج من جديد.

طبعا لابد من الإشارة إلى أن الأخوين الدكتور محفوظ أبوحميده، وامحمد الغول ومجموعة من الفنيين بذلوا جهودا مضنية لتكون الصحيفة في المستوى الذي أردناه لها.

من الطرائف النادرة، أني كنت مكلفًا من إدارة التحرير بكتابة مقال الصفحة الأخيرة، لكني انشغلت في المستشفى، وفي وقت متأخر جاءني الأخ امحمد الغول وطلب المقال فكان ردي أنه غير جاهز قال نحن في ورطة! ذهبت معه إلى مقر الصحيفة، يومها كان القائد ألقى محاضرة في جامعة الفاتح حول الشيوعية والمطامع السوفيتية في أفغانستان ومحاولاتهم الوصول إلى المحيط الهندي وبحر العرب، فقلت له "راحت ولقيناها"، أخذت تفريغ الوكالة وقلت لهم يصاغ وينشر، المحاضرة كانت نقدًا شديدا للاتحاد السوفيتي وللفكر الماركسي، بعد منتصف الليل تم إخراج الصحيفة فنيا، حمل مدير التحرير الأخ امحمد الغول الصحيفة إلى المطبعة وعاد إلى بيته قبيل الفجر بعد أن تأكد أن كل شيء على ما يرام من الناحية الفنية والبدء الفعلي للطبع، كنت أقيم بشقة بمستشفى الخضراء بدون هاتف، انتبه الإخوة بالمطابع لخطورة المقال فعرضوا الأمر على القيادة التي وجهت بحجب الصحيفة، مع ساعات الصباح الباكر طلب الأخ إبراهيم بجاد الأخ الغول للتحقيق، اتصل الغول بالأستاذ إبراهيم ابجاد الذي كان يتابع الإعلام بأمانة الاتصال أو ما نسميه مكتب معلومات القائد، حوالي الساعة التاسعة صباحا حضر إلى شقتي الأخ الغول مضطربا، وأبلغني بأن الأخ بجاد يطلبنا للتحقيق حول مقال الصفحة الأخيرة وأن الصحيفـة قد تمت مصادرتها، لكي أهدي من روعه قلت له باستهزاء هل أبلغت الأستاذ بجاد بعنواني، رد في غموض لا ولكن لماذا؟، قلت له أنا من صغت المقال، ولا أحد يعرف عنوان بيتي ولا أملك هاتف،

لو أردت تفضل أدخل المربوعة ونام وإلا أنت لم تراني ولم أراك، وضحكت قلت له الأمر متوتر الآن في المساء سيكون الوضع مختلف، لكنه لم يستمع نصيحتي فذهب وتعرض المسكين لسيل من الأسئلة التي لا معنى لها من الأستاذ إبراهيم ابجاد، في المساء ذهبت إلى مكتب الاتصال الذي كان وقتها يتخذ من قصر الشعب مقرا له، فوجدت الغول مرهقا فهو لم ينم، ووجدت أن الأمر عادي، فقلت له مازحا ألم يكن من الأفضل لك أن تستمع إلى وجهة نظري.

رغم الجحود والنكران فلقد كانت الزحف الأخضر مدرسة صحفية خرجت عشرات الصحفيين المحترفين المهرة، وطورت مهارات مئات الشباب من الذكور والإناث، وبنت مدرسة صحفية تنويرية تختلف عن صحافة الإثارة والمشاغبة فكانت في مجملها صحيفة رصينة اهتمت بقضايا الوطن بعيدا عن التدجيل والنفاق.

***

المحطة السادسة عشرة
إلى الخارج

دراسة في الخارج موافقات بالصدفة

استمريت في العمل باللجنة الشعبية لبلدية العزيزية بشكل متقطع، حيث كنت أداوم ثلاثة أيام في الأسبوع بالمستشفى، حتى نهاية 1980، وكنت أبحث دائمًا عن أماكن مناسبة لاستكمال الدراسة التخصصية العليا في مجال الطب، كانت معلوماتنا حول التدريب بالخارج أن المدرسة الألمانية تعتمد التدريب العملي وتفضله على الدراسة النظرية، بينما المدرسة الإنجليزية تركز على النظري، وبعد الحصول على التخصص يتمكن الطبيب من تلقي المهارة العملية، أغلب الزملاء سافروا إلى بريطانيا، لكني كنت أبحث عن مكان مختلف للتدريب، النمسا كانت خيارًا مناسبًا لي لأنها مدرسة ألمانية، ولعدم وجود طلبة بها ولوجود أصدقاء بالمكتب الشعبي سيساعدونني في إجراءات القبول، عندما تواصلت بالإخوة باللجنة الشعبية بالمكتب الشعبي بفيينا شجعوني على ذلك، ورتبوا لي قبولا بجامعة فيينا بالنمسا.

لقد عينت معيدا بجامعة قاريونس، لكن بالنظر إلى تعقيدات إجراءات الحصول على قرار إيفاد عن طريق التعليم وصعوبة تغيير مكان الدراسة بسهولة، وبالنظر لغموض البرنامج التعليمي بالنسبة لي في النمسا فضلت السفر من خلال دورة تدريبية قصيرة، يمكنني تحويلها لاحقا لبعثة دراسية، وفعلا تقدمت بطلب للأخ المرحوم محمد

المبروك أمين الخدمة العامة وقتها، والمسؤول عن الدورات التدريبية بالخارج عن طريق المرحوم الدكتور مفتاح الأسطى عمر، وأصدر مشكورًا، قرار إيفاد لمدة سنة في دورة تدريبية إلى النمسا.

بعد أن استكملت الإجراءات بشكل عادي جدًا ودون أدنى شوشرة، لتخوفي من اعتراض الإخوة وخاصة محمد المجدوب وأحمد إبراهيم على سفري للدراسة، وقد يطرحون الأمر على القائد الذي قد يرفض، وسأكون وقتها في موقف محرج، قررت استئذان الأخ القائد بطريقة مختلفة، ورأيت في الأستاذ جادالله عزوز الطلحي أمين اللجنة الشعبية العامة وقتها وسيلة مناسبة، طلبت مقابلة مع الأستاذ جاد الله عزوز الطلحي بصفتي أمين اللجنة الشعبية لبلدية العزيزية، تحدد الموعد في اليوم التالي الساعة السابعة صباحا، فلقد كان يأتي إلى مكتبه مبكرا ويداوم فعليا الساعة السابعة، ذهبت في الزمان المحدد، توقع مني مناقشة بعض المسائل المتعلقة بالبلدية، قلت له بعد السلام والترحاب ممازحا إني هنا استغل وظيفتي فقط لتحديد المقابلة، لكنني قادم في شأن شخصي، لا شك أنه استغرب الأمر وأصابه فضول حول مطالبي الشخصية، فلم يحصل أن حدثته في أمور شخصية من قبل، شرحت له رغبتي الملحة في مواصلة الدراسة التخصصية، وأن دراستي للطب كانت عن رغبة قوية لأكون طبيبا ولم أعد نفسي لأعمال إدارية، وأبلغته بأني قد رتبت قبولا للتدريب العملي في النمسا، وأبلغته تخوفي من ممانعة القائد رحمه الله، حاجتي لواسطة وتوصية منه للقائد وإقناعه بأهمية استكمال دراستي، كان الأستاذ جاد الله ذكيا ولماحا ومهتما بالتنمية البشرية ومدركا للحاجة لإعداد كوادر وطنية تقود التنمية في المرحلة القادمة، لم أحتـــاج إلى نقاش طويل لإقناعه، وافقني الرأي ووعد بأنه سيبذل جهوده، الحظ كان دائمًا في جانبي

والحمد لله، لا أعلم هل هي صدقية لبرج القوس؟، ففي حوالي الساعة الثامنة والنصف وقبيل أن أطلب الإذن بالمغادرة اتصل القائد بالأستاذ جاد الله، وكان رحمه الله يقوم بجولة ميدانية بمدينة اجدابيا، ليوجه الأستاذ جاد الله ببعض الإجراءات، وكعادته عند الاتصال بالمسؤولين يسألهم هل بمفردهم أو معهم ضيوف، أجابه الأستاذ جاد الله أن بمكتبه فقط مصطفى الزائدي جاء يستأذن لاستكمال دراسته بالخارج وأنه تحصل على قبول بمركز متقدم، قال له القائد وأنت ما رأيك، كان رده واضحًا وصريحًا: من المهم أن يستكمل الشباب تعليمهم لأن البلد تحتاج إلى خبراء، فقال له لا مانع، ثم طلب أن يحدثني، سألني القائد رحمه الله أين ستدرس وما هي مدة الدراسة، قلت له النمسا لمدة ثلاث أو أربع سنوات، قال لي لا تسافر إلى أن آتي إلى طرابلس، قلت له لن أسافر الآن احتاج لبضعة أشهر لترتيب بقية المتطلبات.

كان يوما سعيدا بالنسبة لي، أذكر أني ذهبت مباشرة إلى الأخ محمد في مكتب الاتصال، قلت له سأذهب إلى الدراسة ما رأيك قال القائد لن يوافق قلت له لا، القائد وافق وشرحت له القصة، قال لي رحمه الله: "أنت يهودي كبير، ضحكنا تحول ذلك إلى نكتة يرددها دائما هو والأخ العزيز أحمد إبراهيم".

1980 عام التنقل للبحث عن موقع دراسة مناسب

كان الخيار الأول الدراسة في النمسا بتشجيع من الإخوة في اللجنة الشعبية بالمكتب الشعبي، لكنها لم تكن مفتوحة من قبل أمام الطلاب الليبيين لدراسة الطب، بحثت عن مستشفى للبدء في التدريب للحصول على التخصص لكن إجراءاتهم بالنسبة لتدريب الأطباء الأجانب كانت معقدة جدا، ويقتصر قبولهم لحاملي الجنسية النمساوية، كان الإخوة بالمكتب الشعبي يعتقدون أن الدراسة العليا في الطب دراسة أكاديمية فرتبوا لي قبولا لدراسة الدكتوراه من جامعة فيينا، لكن الموضوع مختلف، نصحت بالاتصال بجمعية طبية أمريكية نمساوية تهتم بترتيب تدريب مؤقت للأطباء الأجانب بالنمسا وتعطي إفادة بعد استكمال فترة التدريب، بعد المناقشات معهم اتضح أنهم فقط ينظمون برامج لأطباء ضيوف بدون مسؤولية كاملة في إطار تبادل الخبرات بين المراكز الطبية، ولم يكن ذلك ما أبحث عنه، الأستاذ المرحوم سليمان العريبي صعد أمينا للمكتب الشعبي بأستراليا، وهو صديق، تواصلت معه فشجعني بشدة على الحضور إلى أستراليا، رتب لي قبولا للتدريب التخصصي في سيدني، تحمست للأمر وتواصلت مع الأخوين الدكتور عبدالله أبوسته، وعامر رحيل اللذان لم يتحصلا على مكان تدريب مناسب في أمريكا فوافقا على الانتقال لأستراليا، وافق صديقي ورفيقي الدكتور عطية اجعي على الفكرة وبدأنا في الاتصالات والتنسيق، وبعد استكمال أغلب الإجراءات بما فيها التأشيرة عدلنا عن الأمر لبعد أستراليا عن الوطن، وأنا من المصابين "بالهوم سيكنس"، لكن ورطنا الدكتورعبدالله أبوسته رحمه الله، والدكتور عامر في الموضوع فسافرا إلى أستراليـــا والتحقا بالتدريب

في مالبورن، الدكتور عامر لم يتمكن من استكمال المشوار فرجع والتحق بالتدريب في المجر، أما الدكتور عبدالله رحمه الله فكابد حتى تحصل على الزمالة الأسترالية في جراحة الأوعية الدموية.

الزميل الدكتور المبروك مسلم كان قد التحق بالعمل والدراسة في وارسو، بعد الاتصال به، شجعني والإخوة في المكتب الشعبي الليبي في بولندا على القدوم إليهم، فالالتحاق بالتدريب العملي سهل نتيجة للعلاقات السياسية التي تربط ليبيا ببولندا، استهوتني الفكرة لكني قررت أن أنظر بنفسي وأقيم الوضع، ذهبت رفقة الدكتور عطية إلى وارسو، وبترتيب من الإخوة بالمكتب تواصلت مع المستشفى الجامعي، بعد المناقشات مع رئيس الأقسام الجراحية تبين لي أنه لديهم برامج تدريب مختلفة للأطباء الأجانب عنها بالنسبة للأطباء البولنديين، فتشكلت لدي قناعة بأن التدريب في بولندا مجرد إضاعة للوقت والحصول على شهادة بدون خبرة.

قررنا العودة إلى النمسا، واتفقنا على السفر إلى ألمانيا بعدما تأكدنا بأن النظام الألماني التدريبي هو الأنسب لنا واستحالة وجود برامج تدريبية في وسط وشمال أوروبا باللغة الإنجليزية، وأن فرص العمل والتدريب كبيرة جدا، وشجعني أيضًا وجود صديقي العزيز الدكتور المهدي امبيرش بالمكتب الشعبي بون، لكن كان لزاما تعلم اللغة الألمانية وإجادتها للحصول على عمل بالمستشفيات الألمانية.

في رحلة برية ممتعة شمال الألب رفقة صديق العمر الدكتور عطية اجعي والسيد فاروق المترجم في المكتب الشعبي فيينا، وصلنا إلى مدينة مرناو البافارية والتحقت بمعهد جوثا لتعليم اللغة الألمانية، أمضينا ستة أشهر كاملة لتعلم الألمانية، وحصلنا على شهادة بذلك،

وبدأت رحلة البحث عن الشغل في مستشفى جامعي للتدريب بمساعدة الإخوة في المكتب خاصة الدكتور المهدي امبيرش أمين المكتب الشعبي، والدكتور محمود أبوخريص مسؤول المكتب الصحي، تم ترتيب وظيفة لي في المستشفى الجامعي "فينوسبيرج" ببون بقسم جراحة الصدر.

وبالنظر لغلاء المعيشة وظروف الحياة وقلة منحة التدريب أقمت مع صديقى الدكتور عطية وعائلته بمنزل واحد بقرية محاذية لبون اسمها "ماكنهايم" واشترينا سيارة "ب م ف 316"، كان الدكتور عطية تحصل على وظيفة بقسم الأطفال بمستشفى جامعي بمدينة سانت أوجستين القريبة من بون، كان بالمستشفى طبيب آخر في قسم العيون لم أتذكر اسمه، كان المرتب الصافي في حدود ستة آلاف مارك وهي كافية بالإضافة للمنحة، لذلك قمت بتأجير بيت قريب من المستشفى بينما استأجر الدكتور عطية بيتا بالقرب من المستشفى الذي عمل به.

كان البرفسور "ستنشلر" أستاذ الجراحة العامة والمختص في جراحات القولون والشرج يترأس القسم، بينما يترأس قسم جراحة الصدر البرفسور "كليزمان"، وكأي حالة إنسانية كان هناك تنافس غير شريف أحيانا بين كبار الأطباء في الأقسام المختلفة وكان علينا نحن الأطباء الصغار تحمل نتائج خلافهم واختلافهم، توطدت علاقات أخوية مع الزملاء العاملين بقسم الجراحة خاصة الأطباء المناوبين، وكنا نتوافق على استراتيجيات التعامل مع كبار الأطباء كل حسب مزاجه، لم أجد صعوبة في الانخراط مباشرة في العمليات الجراحية

بالنظر للخبرة العملية التي اكتسبتها في بنغازي أو في مستشفى الخضراء بطرابلس.

الجراحون الألمان لديهم الخبرة الكبيرة في تقدير مدى قدرة الأطباء الصغار على القيام بالمهام الجراحية، لكن جزءًا كبيرًا من وقتنا كنا نقضيه في الأقسام لكتابة ملفات المرضى وإجراء الغيارات الطبية وما إليها.

كان الدكتور "كروننج" إخصائي جراحة الأوعية الدموية مهتم بالجراحة المجهرية التي بدأت بوقت ليس بعيد، وحضرت معه عمليتين، فشلتا للأسف ما اضطر "استنشلر" لعدم الموافقة على إجرائها إلا بعد عدة شهور.

فينوسبيرج جبل يطل على بون المدينة الصغيرة الهادئة وقتها ينتصب فوق سفحه مستشفى ضخم بالطراز القديم، فتنتشر المباني غير المرتفعة تفصلها حدائق غناء.

كان العمل منضبطًا ومضنيًا وشاقًا في ألمانيا فالدوام قبل السابعة صباحا والخروج بعد الخامسة مساء تتخللها فترة غذاء قصيرة منتصف النهار، بالمستشفى الجامعي بون كان هناك عدد كبير من الليبيين يتداوون على نفقة المجتمع، وكان عليّ مساعدتهم في كثير من الأحيان، كانوا يطمئنون لوجود طبيب ليبي يعرف حقيقة مشاكلهم الصحية وطبيعة الأعراض المرضية لديهم، وكان يعمل بالمستشفى طبيب بقسم العيون لم أذكر اسمه.

كنت أعاني بشكل مستمر من التهاب اللوزتين الحاد، وكانت النصيحة الطبية استئصالها، وفعلا قام رئيس قسم الأنف والأذن والحنجرة بتوصية من البرفسور "استنشلر" بإجراء عملية جراحية على اللوز، لكن آلام ما بعد العملية استمرت لفترة غير قصيرة، كانت سببًا في فقدان الوزن الزائد الذي اكتسبته أثناء وجودي في النمسا.

***

المحطة السابعة عشرة
نضال ثوري عالمي

ليس من النضال الثوري مفر

عام 1981 صعد اليمين المتطرف إلى قمة السلطة في أمريكا وانتخب "رولاند ريغان" واجهة للإنجيليين الجدد، وتمكن رجل السي أي أيه "جورج بوش" من تولي دفة السياسة الأمريكية، أعلن حربا بربرية غير مبررة على القوى الثورية والتقدمية تحت ذريعة محاربة الإرهاب، وأدخل مصطلح الدول الراعية للإرهاب، وضعت ليبيا على رأس القائمة، ووُصف القائد معمر القذافي بأنه أخطر رجل في العالم.

في نهاية 1979 تم تأسيس ما سمي جبهة الإنقاذ برئاسة العميل محمد المقريف كأداة للمخابرات الأمريكية لشن حرب على ثورة الفاتح، سخرت لها إمكانات مادية ولوجستية ضخمة من الغرب وخاصة أمريكا، حيث منحوا الأموال وجوزات السفر وتحملت الدول الغربية تكلفة إقاماتهم وتنقلاتهم وأسرهم، وأيضا من الدول العربية التي كانت تدور في فلكه والمشتبكة مع ليبيا في صراعات سياسية، كالسودان، والعراق، والسادات، والسعودية، والمغرب.

في فترة وجودي في ألمانيا كان نشاطها المعادي السياسي والعسكري والإعلامي في أوجه، وكانت أهم مراكزها القيادية في ألمانيا وبريطانيا بعد الولايات المتحدة.

في تلك الفترة ظهر نشاط متزايد للمجموعات الإسلامية ومن أهمها منظمة الإخوان المسلمين في مصر وليبيا وسوريا، وتوج بعملية كبيرة في سوريـــا بمدينتي حماة وحلب في 1980، واجهتها الدولة

السورية بقوة غاشمة فأفشلت مشروعها لعقود، ونجحت في مصر عملية إرهابية أدت لاغتيال السادات، لكن الرئيس حسني مبارك شن حربا عليها ونجح في تقليص تأثيرها، في ليبيا نشطت مجموعات من التكفيريين الذين جندوا في السعودية في إطار موجة مواجهة المد الشيوعي في أفغانستان، بقيادة البشتي، والصادق الغرياني فيما عرف لاحقا بخلية القصر، وفي أوروبا كان ينشط تنظيم الإخوان في بريطانيا بإشراف عاشور الشامس، ومحمد رمضان، وبتواصله مع محمود الناكوع، ومحمد المقريف، وفي ألمانيا نشط الإخوان بقيادة وجدي الأمير، وشخص يدعى سليمان، وخرجت منه مجموعة صغيرة سمت نفسها الجماعة الإسلامية بقيادة الغرياني وشلادي، ومن المتسرب أن عمليات تدريب مكثفة على أيدي خبراء أمريكيين للمتطرفين الإسلاميين تجرى في معسكرات سرية في ألمانيا تابعة للقوات الأمريكية التي تحتل ألمانيا عمليا منذ الحرب الثانية.

كانت التعبئة الإعلامية ضد ثورة الفاتح وقائدها على أشدها، في ذات الوقت، كان مئات الليبيين يتوافدون على ألمانيا لغرض الدراسة والعلاج والسياحة، وكانت ليبيا تجد في ألمانيا متنفساً مهماً في أوروبا الغربية، وكان كثير من السياسيين الألمان يبدون تعاطفا مع ليبيا ويسعون لتطوير العلاقات معها، وكان هناك متحمسون لتلك العلاقة ومنهم وزيرالخارجية "هانس ديتريك جينشر" ووزير الدولة عن الحزب الليبرالي "موليمان" الذي مات لاحقا في ظروف غامضة بسقوط طائرته الشراعية.

حركات الخضر والبديل والسلام

عام 1981 كانت الانطلاقة قوية لحركة شعبية واسعة عمت أوروبا خاصة ألمانيا والنمسا مناهضة للتسلح في أوروبا، ومعارضة للسياسات الرأسمالية، هي حركات الخضر والبديل والسلام المناهضة لسباق التسلح النووي، وكانت المظاهرات يومية في أغلب المدن الأوروبية وخاصة في وسط وشمال أوروبا.

في النمسا تعرفت على شابين نمساويين نشطين في تلك الحركات الجديدة بعد أن اتصلا بالمكتب الشعبي فيينا مبدين رغبتهما في التواصل مع ليبيا بسبب موقفها المناهض للإمبريالية، وهما "سيب أور"، و"ولفجانج شميدت"، كانا مؤيدين للقضية الفلسطينية ومن المعجبين بالقائد معمر القذافي كقائد تقدمي، زارا طرابلس عام 1980 للمشاركة في احتفالات الفاتح وقاما بتصوير شريط وثائقي عن ليبيا وثورة الفاتح، كان عملا فنيا يصور ليبيا بمنظار شباب أوروبي متحمس، وكانا يمارسان نشاطًا مهمًا ضمن حركة السلام والخضر ولديهما علاقات مع قادتها، تمكنت مع الأخوين انبية وادي، والمهدي امبيرش من خلالهما من ربط اتصالات قوية مع قادة تلك الحركات ومنهم السيد "رولاند فوكت" والجنرال المتقاعد "الفرد ميختس هايمر" من حركة السلام، و"اتو شيلي" الذي تولى لاحقا منصب وزير داخلية ألمانيا بعد أن التحق بالحزب الاشتراكي، وفيشر وغيرهم من حركة الخضر الألمانية وباكو كاسيرو من حركة الفلاحين بالأندلس وعديد القيادات من مختلف الدول الاوروبية.

في مدينة سالسبورج النمساوية نظمنا أول حلقة نقاش فكرية وسياسية ضمت عديد قيادات الخضر والبديل الأوروبية، والحركات الأنارشية، والحركات القومية، ونشطاء الأقليات، استمرت حلقة النقاش لمدة ثلاثة أيام تمكنّا خلالها من تقديم الفكر الجماهيري إلى تلك الشخصيات المهمة، ونجحنا في الخروج بتوصية لتأسيس آلية تواصل بين تلك الشخصيات والتنظيمات، ونجحنا في دخول حركة اللجان الثورية ضمن المنظومة الأوروبية لحركات البديل والخضر وحركات السلام بالرغم من الحملة الشعواء التي كانت تقودها الدول الغربية ضد ثورة الفاتح وقائدها.

رجعت إلى طرابلس وشرحت الأمر للأخ القائد وأبلغته بالموضوع، وأن هناك شخصيات مناضلة أوروبية يقودون نضالا عمليا في الشارع ضد المنظومة السياسية والفكرية المسيطرة وأنهم يتحدثون عن مشروع فكري جماهيري تقريبا، فهم ينادون بالديمقراطية القاعدية المباشرة، وهم ضد الرأسمالية كنظام اجتماعي ويحملونه المشاكل التي تعاني منها الشعوب في كل مكان، وهم لايؤمنون بالأدوات الحزبية لتحقيق أهدافهم ويطرحون المبادرات الشعبية المباشرة كآلية للوصول إلى أهدافهم الشعبية، فهم غير منظمين وهناك انقسام بينهم، وبعضهم يطرح بقوة السؤال، هل يشكلون حزبا للخضر أو لا؟.

اقترحت على القائد رحمه الله أهمية إجراء حوار فكري معهم، وفعلا أثناء زيارته إلى النمسا عام 1982 رتبت لحوار تاريخي بين القائد رحمه الله وعدد من قادة حركة الخضر والسلام في أوروبا دام عدة ساعات، حضره "رولاند فوكت"، و"ألفريد ميختس هايمر"،

و"اوتوشيلي"، و"سيب أور"، و"ولفجانج شميدت"، تم خلاله التطرق إلى الجوانب الأساسية في النظرية العالمية الثالثة، وأسباب الصراع في العالم، وقدم الضيوف وجهة نظرهم الفكرية وتقدموا بعديد الاستفسارات والأسئلة المهمة، وتم الاتفاق على ترتيب لزيارة وفد كبيرمن قيادات الخضر من كل أوروبا إلى طرابلس.

تم التنسيق لزيارة الوفد والتقوا بالقائد رحمه الله، عقدت معهم عدة لقاءات حوارية مهمة حضرها من جانبنا المرحوم محمد المجدوب، والأخ أحمد إبراهيم، والدكتور رجب أبودبوس، والمهدي امبيرش، والأستاذ عمار الطيف، وموسى كوسا وغيرهم، ووصلنا لتفاهم فكري عام وسياسي تام، واتفق على عقد حوارات على مستوى القواعد لتلك التنظيمات، ولتسهيل التواصل تأسست في النمسا جمعية البديل التي نظمت عددا من اللقاءات الفكرية بين حركات الخضر والبديل وحركة اللجان الثورية، أهمها مؤتمرا تاريخيا في مالطا ضم أغلب حركات الخضر والبديل في أوروبا نظمه السيد "القسيس منتوف" شقيق رئيس مالطا السابق "دوم مينتوف" وحضره قرابة 300 شخصية قيادية من كافة تنظيمات البديل والخضر في أوروبا، وأعقبه مؤتمر كبير في سرت لحركات الخضر والبديل، وتطور العمل إلى تنسيق واسع بين حركة اللجان الثورية وتلك الحركات، تداول على متابعتها عدد من الإخوة أعضاء حركة اللجان الثورية.

لكن المؤسسة الرأسمالية القوية أمنيا وماليا تمكنت من احتواء حركـــــات البديل والخضر وحركة السلام الأوروبية، وتقزيمها في

أحزاب تعمل وفق اشتراطات المنظومة الرأسمالية، مثل سفينة حركة السلام الأخضر وبعض حركات الاهتمام بالبيئة، وفقد الحراك الجماهيري الواسع زخمه.

***

المحطة الثامنة عشرة
تهديدات بالحرب

ملتقيات اللجان الثورية

في 8 مارس 1979 عقد لقاء عام للجان الثورية في المدينة الرياضية بنغازي كان تجمعا ثوريا تعبويا حضره القائد، لم تتم به مناقشات لموضوعات محددة، ولم تصدر عنه قرارات معينة، لكن القائد الشهيد أعلن فيه عن تشكيل مكتب للاتصال باللجان الثورية، وتميز بتوجيه نداء إلى شباب حزب البعث للدخول في الحركة الجماهيرية الشعبية، حركة اللجان الثورية كنواة لحركة عربية واحدة تنهي التشظي الذي ضرب القوى القومية المختلفة.

في 23 سبتمبر1979 نظم الملتقى الثاني حيث دعيت اللجان الثورية إلى مخيم في منطقة الدرسية بالجبل الأخضر، استمر لمدة أسبوعين، للنقاش وللمساهمة في تشجير الجبل الأخضر بغطاء نباتي في عمل يرمز إلى أن حركة اللجان الثورية هي حركة بناء وزرع للقيم الثورية التي تعني الحياة والنماء، شارك القائد الشهيد، والمرحوم مصطفى الخروبي، وعبد السلام جلود، والمرحوم الخويلدي الحميدي في المخيم، قسم برنامج العمل إلى عمل في حملة تشجير في الصباح، ومحاضرات وحلقات نقاش في المساء، ولقاء مع القائد في الليل، وتمت مناقشة عديد القضايا الثورية، وصدر بيان الدرسية الذي حدد موقف الحركة من كثير من القضايا الثورية، خاصة المسائل الاقتصادية في إطار تحقيق المساواة بين الليبيين.

في 2 فبراير 1980 وجهت الدعوة لعقد الملتقى الثالث لحركة اللجان الثورية في جامعة قاريونس ببنغازي، استبق القائد الملتقى بتنظيم حلقة نقاش مطولة حضرها رحمه الله، وانعقدت لعدة ليالي متتالية في كوخ "براكة" بمعسكر البركة، كما حضرها مجموعة من القيادات الثورية من المدنيين والعسكريين في حدود 20 شخصية، وكان لي شرف أن أكون من بينهم، رفقة المرحوم محمد المجدوب، والأسير أحمد إبراهيم، والدكتور عمر السوداني، والدكتور احتيوش فرج، والدكتور يونس معافة، والطيب الصافي، ومفتاح بوكر، وعمار الطيف، والشارف الفرجاني وعدد من الشباب المتواجدين في مدينة بنغازي لم أتذكر أسماءهم، وعدد من الضباط الوحدويين الأحرار منهم الفريق عبدالله الحجازي، وعبد الرحمن الصيد، والمرحوم حسن اشكال، والأسير عبدالله السنوسي، كما حضر بعض اللقاءات عبد السلام جلود.

كانت المناقشات تدور حول تصعيد العمل الثوري وتثبيت بعض المفاهيم والمصطلحات الجماهيرية، ومواجهة الحملة العدائية الغربية ضد ليبيا، طرحت عديد الأفكار حول تصعيد ثورة الاشتراكية، ومداهمة الفاسدين والسراق والمرتشين، كان الحوار يتركز حول سبل تطبيق الاشتراكية كحل للمشكل الاقتصادي، وكيفية التعامل مع الطبقة الغنية التي بدأت تطفو على السطح من خلال ممارسات غير قانونية، وكان الحوار شفافًا ومعمقًا، وكان القائد يستخلص ليليا بعض الاستنتاجات من النقاش.

تبلورت من النقاش عدة أفكار ومقولات فقهية حول أهمية إدارة الصراع بوسائل مناسبة لتجريد القوى المعادية للشعب من أسلحتها الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك فكرة أن التصفية الجسدية قد تكون المرحلة النهائية في الصراع، إذا لم تنجح عمليات التجريد السلمية لأسلحة القوى المعادية في شل فعاليتها، كما تم مناقشة عقد الملتقى الثالث في بنغازي وتم التطرق لآلية إدارته، أذكر أن الأخ عبدالله حجازي أقترح على الأخ القائد أن يستخدم التموين الجاف للجيش لتموين المشاركين في الملتقى، ووافق على ذلك يوم 25 يناير على ما أذكر حضر أعضاء اللجان الثورية الملتقى، افتتحه القائد ثم انقسم العمل إلى حلقات نقاش، وشكلت كالعادة لجنة للصياغة تشرفت بأن أكون أحد أعضائها الذين من بينهم حسب ما أذكر، الأستاذ أحمد إبراهيم، والشهيد عبد القادر البغدادي، والشهيد سعيد راشد، والأستاذ أبوزيد دورده، والأخ عبدالله الحجازي، والأخ نصر المبروك، والأخ عمار الطيف، والأخ المهدي امبيرش وآخرين، توصلنا إلى كتابة بيان ختامي مطول، وعندما أرسلناه للقائد للاطلاع، لم يوافق عليه واستدعانا لمناقشته، عملنا إصلاحات توقعنا أنها نهائية لكنه لم يوافق عليها، يوم 27 أو 28 كان يوم الاختتام انتظرنا موافقة القائد على البيان الذي صغناه من واقع الملاحظات الواردة منه ونتائج حلقات المناقشة، لكن القائد أرسل لنا صياغة مقتضبة لبيان قال هذا يكفى، أضفنا لها فقط إشارة لانتفاضة القوى الثورية في قفصة التونسية التي

انطلقت يوم 27 يناير، وتضمن البيان قرارًا بإعادة تنظيم مكتب الاتصال باللجان الثورية بقيادة عبد السلام جلود.

كان بيان الملتقى الثالث نقطة تحول مهمة بالعمل الثوري في ليبيا، واستخدمت القوى المعادية المدعومة من الغرب مقولة التصفية الجسدية وجردتها من سياق ورودها، وتناولها الإعلام الغربي لتصوير ثورة الفاتح على أنها حراك فاشي قمعي.

بعد الملتقى عقدت عدة لقاءات مع القائد بحضور عبدالسلام جلود، تركزت على محاربة الفساد، ومقاومة الكسب غير المشروع وتطبيق قانون من أين لك هذا، تشكلت محاكم ثورية من قيادات شعبية وثورية وطنية ورزينة لمساءلة بعض الأفراد الذين أساؤوا استعمال السلطة من موظفي الدولة، ومن مارسوا فسادا، على أن تكون المساءلة علنية وتبث عبر الإذاعة المرئية ومن خلال إجراءات موثقه، بثت وقائع المحاكمات الثورية على الهواء مباشرة وكانت تتناول فقط محاكمة جرائم الفساد وخاصة تقاضي رشاوي من قبل المسؤولين التنفيذيين عن المشروعات، واشتهرت تلك المحاكم بقول المذنبين بأن الشيطان قد أغواهم، قضت أحكام المحاكم الثورية فقط بإرجاع الأموال التي قبضت كرشاوي إلى الخزينة العامة.

وكأي عمل جماهيري طارئ كان لا بد أن تصاحبه أخطاء عن حسن نية بسبب الطبيعة الثورية للإجراء وسرعة البث في القضايا، وبالتأكيد حصلت بعض التجاوزات من بعض الأفراد، لكن غرفة عمليات تشكلت برئاسة المرحوم محمد المجدوب حدّت من تلك التجاوزات لدرجة كبيرة، فكانت المعلومات التي ترد من الأجهزة

الأمنية ومثابات اللجان الثورية تقيم في الغرفة أولا ثم تدفع من يوجد اشتباه بها إلى غرف تحقيق وجمع استدلالات تشكلت من ضباط شرطة، بعد ذلك تحال ملفات المتهمين إلى المحكمة الثورية للبث بها.

في إطار حماية الأمن الوطني كانت أجهزة الأمن تتابع بدقة الأعمال المعادية لليبيا والمتورطين فيها، وكانت تقارع أجهزة استخباراتية كبيرة وبإمكانات هائلة، ومن الأهمية بمكان القول إن عبارة التصفية الجسدية التي وردت في بيان الملتقى الثالث، حاولت المعارضة المرتبطة بالدوائر الاستعمارية تضخيمها واستعمالها في الحرب الدعائية المفتوحة ضد ثورة الفاتح وقائدها، لم تعني قرارا بتصفية مناوئي الثورة كما روج له الإعلام المعادي، وإلا لماذا لم ينفد ذلك القرار؟ لقد نسب للأمن الليبي قتل عدد 5 شخصيات ليبية لأسباب مختلفة إلى ذلك العنوان، مع أن من قام بالتنفيذ في أوروبا قبض عليهم وحوكموا ولم يثبت لدى السلطات القضائية الأوروبية تورط مباشر للدولة الليبية وإلا كانو أقاموا الدنيا ولم يقعدوها، والمثال واضح الموقف الإنجليزي خاصة والغربي عموما من قضية الشرطية البريطانية التي قتلت في إطلاق نار مزعوم من السفارة الليبية في لندن على معارضين ليبيين يتظاهرون أمام السفارة.

لقد تركزت الحملة العدائية ضد ثورة الفاتح على إدعاء تصفية المعارضين، وكان للإخوان المسلمين الدور الأكبر في الترويج لهذه الدعاية، ونظرا لتقييمهم لظهور تنظيم سياسي يتبنى أفكار ثورة الفاتح وما يمثله من خطر على مشروعهم التدميري، ركزوا حملتهم على تشويه هذا التنظيم الوليد لكي لا يتمكن من الانتشار وتنفيذ مهامه

الأساسية، ومباشرة ألحقت تهمة التصفية الجسدية إلى حركة اللجان الثورية وقياداتها وهم منها براء، وأساسا لم يكن ضمن برنامج الدولة مشروع اسمه التصفية الجسدية، بدليل أن أغلب قيادات الإخوان والقوى المعارضة للثورة كانوا بالسجن وأفرج عنهم في مشروع أصبح الصبح التصالحي في 3 مارس 1988، وحتى الجماعات الإرهابية الإجرامية أفرج عنها عام 2006 فيما عرف ببرنامج ليبيا الغد للمصالحة.

بالنسبة لمكتب الاتصال باللجان الثورية لم يكلف أبدًا في أي وقت بمهمة متابعة المعارضين في الخارج، ولم تتشكل به غرفة أو لجنة من حركة اللجان الثورية أو غيرها للتصفية الجسدية كما يدّعي أعداء ثورة الفاتح، كان من مهام الأجهزة الأمنية النظامية والشرطة الأساسية متابعة وضبط والتحقيق مع المخالفين في الداخل وملاحقة العملاء المرتبطين بأجهزة معادية بالخارج، بالتأكيد كان ذلك مادة خصبة للقوى المعادية والأجهزة الاستخبارية الغربية، والدول المعادية قامت بالنفخ فيها وتضخيمها، واستخدامها لتبرير العمليات التي نفذت ضد ليبيا وقيادتها لاحقا.

في شهر أغسطس 1981 كنت في إجازة بطرابلس وكانت الاستعدادات لعقد الملتقى الرابع للحركة، وكان قد اتفق على أن يعقد الملتقى على شكل تجمعات بدأ بتجمع في البيضاء وطرابلس، واختتم بتجمع نهائي بمدينة سبها، في ذلك الملتقى قمت مع بعض الإخوة منهم: الأستاذ أحمد إبراهيم، والشهيدين عبدالقادر البغدادي، وسعيد راشد، والأستاذ رجب أبودبوس، والدكتور المهدي امبيرش، والدكتور محمد لطفي، بصياغة بيان فكري للملتقى، ضم عديد الضوابط لعمل الحركة،

وافق عليه القائد الشهيد، ومنها لا ثوري بلا فقه ثوري، والجماعية سمة العمل الثوري، ولا علاقة بين لجنة ثورية وأخرى إلا في وقت الحسم الثوري، كان الهدف منها تأكيد هوية حركة اللجان الثورية كحركة قاعدية جماهيرية تثقيفية لتمييزها عن الأحزاب والتنظيمات المركزية، وأنها تمارس مهامها من خلال رفع وعي الجماهير وتحريضها على الثورة الشعبية ثورة الغد، في إطار مقولة الثورة الشعبية ثورة الغد واللجان الثورية أداتها.

بعض الإخوة كانوا يرون أهمية ضبط تنظيم حركة اللجان الثورية وشكل بعض المتطرفين داخل الحركة مجموعة تدعو لما أسموه التنظيم الحديدي، وربما حصلت اتصالات معهم من قبل المعارضة دون أن يعلموا لكن تم اكتشافهم ومحاكمتهم ثوريا، وكتب القائد تعقيبا على ذلك الموقف التعميم رقم واحد الذي حدد موقف الحركة الثورية من الانحراف العقائدي والمسلكي ومسألة الغرضية في تناول الثوريين والمواقف الثورية، والفرق بين العنف الثوري الضروري في بعض الأحيان وممارسة الإرهاب المادي والمعنوي، وأعتقد أن ذلك التعميم الذي لم ينل حقه من التحليل والشرح، ويعتبر من أهم الوثائق الثورية الجماهيرية في القرن الماضي، وهو بيان ثوري مختصر مفيد.

عقد الملتقى الخامس في مدينة مصراته في أوج الصراع المباشر مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، والقوى الرجعية في المنطقة، وحرب الاستنزاف في الجنوب من خلال تحريك العميل حبري ليكون رأس حربة ضد ثورة الفاتح، وفي ظل انخفاض غير مسبوق في أسعار النفط، كان شعاره الأساسي التحول للإنتاج والحد من الاستهلاك.

لم أتمكن للأسف من المشاركة فيه لوجودي خارج الوطن، ولقد صيغت فيه مقولات مهمة، مثل مقولة لا حرية لشعب يأكل من وراء البحر، ورفع شعار إنتاج الحد الأقصى من الغذاء واستهلاك الحد الأدنى منه وردد الملتقى هتاف " قررنا الحياة بالخبز والماء".

عام 1983 عقد الملتقى السادس التاريخي للحركة، سبقه مؤتمر تحضيري عقد في قاعة الشعب بطرابلس حضره مئات من قيادات الحركة ومثقفيها، شارك القائد وعبد السلام جلود في أعماله، وطرحت به أسئلة مهمة وتاريخية ربما أخطرها، استمرار المشروع الفكري في غياب صاحبه، وآلية تقوية المؤسسات الجماهيرية، والمشاكل الناتجة عن إدخال الحركة في مهام استثنائية، وشهد المؤتمر التحضيري جدلا واسعا بين الإخوة، وقدم الأخ أحمد إبراهيم ورقة لإعادة تنظيم الحركة وتفعيلها، ودخل في ملاسنة مع عبدالسلام جلود انسحب على إثرها من المؤتمر التحضيري، ولم يحضر الملتقى، كنت ومجموعة من الإخوة في لجنة الصياغة التي شهدت نقاشا فكريا هاما نتج عنه ورقة تاريخية قدمت إلى الملتقى السادس واعتمدها، وكان للإخوة الدكتور رجب أبودبوس، وفوزية شلابي، والشهيد عبد القادر البغدادي، والمرحوم سعيد راشد، والشهيد عزالدين الهنشيري، والأخ إبراهيم أبوخزام، والأخ المهدي امبيرش، ومفتاح بوكر جهود كبيرة في أعمالها.

لقد كان الأمر الحاكم في كل المناقشات التي صاحبت ملتقيات الحركة هو المواءمة بين كون الحركة الثورية منظمة جماهيرية قاعدية لا تسعى للوصول إلى السلطة، وبين دور قيادتها كمحرض

ومرشد للمؤسسة الجماهيرية وكيف يراه الآخرون كرأس للدولة الليبية، وبين أهمية الانخراط في مهام استثنائية بقصد تأمين النظام الجماهيري وتحقيق أهداف ثورة الفاتح، لقد دخلت الحركة في مهمة بناء الاشتراكية مع اتحاد المنتجين وما صاحبها من بعض السلبيات التي كانت متوقعة، وانخراط بعض أعضائها في إدارة الشركات والمؤسسات لتطوير أدائها تحت شعر السلطة شعبية والإدارة ثورية وما صاحبها أيضًا من بعض التجاوزات المتوقعة، وكذلك انهماك الحركة في مساعدة الأجهزة الأمنية في مقاومة ظاهرة الزندقة فكريا وأمنيا أبعدها قليلا عن مهامها الأساسية.

لقد كان الملتقى السادس آخر الملتقيات التنظيمية تقريبا حيث استكمل النقاش في الشكل التنظيمي القاعدي للحركة وكذلك تمت صياغة آلية العمل الشعبية التوعوية الجماهيرية، وكذلك المقولات الفكرية التي تحدد طبيعة مشروع الحركة، لكن الدعاية المضادة التي استخدمت ماكنة إعلامية عالمية ضخمة نجحت في الحد من انتشار الحركة وتقديمها كأداة فاشية لحاكم دكتاتوري، بقية الملتقيات كانت إجرائية ولمتابعة نشاط الحركة تصدر عنها بيانات سياسية تتناول الوضع الداخلي والخارجي.

المحطة التاسعة عشرة
في أوروبا

تمكنت الأجهزة الغربية من تجنيد أعداد من الليبيين للقيام بنشاطات ضد بلادهم، وكان أهمهم محمد المقريف القيادي الإخواني والسفير السابق في الهند، الذي تمكن من سرقة أموال كانت محالة له من جمعية الدعوة الإسلامية لدعم المسلمين في الهند، وصهره إبراهيم صهد السفير في قوايانا، والذي كان أحد ضباط العهد الملكي المباد من الذين لم تبعدهم الثورة، بل كلفتهم سفراء ووزراء مفوضين بالخارجية، وكذلك أحمد حواص، وفائز جبريل، صهر المقريف، وعدد من الأشخاص الذين أسسوا بتوجيه وتمويل وكالة المخابرات الأمريكية ما سمي جبهة الإنقاذ، وكانت أيادي الغرب سخية في دعمهم، كذلك كانت أيادي الدول العربية المرتبطة بها والتي كانت تقف دائمًا موقفًا معاديًا لحركة القومية العربية، ولكل التوجهات المعادية للغرب، وخاصة لليبيا وقيادتها.

ركزت الجبهة نشاطها الدعائي وفق الخطط الموضوعة من الأجهزة الاستخباراتية المعادية، وكثفت نشاطها الاستقطابي داخل أوساط عشرات الآلاف من الطلاب الليبيين الذين أرسلوا للدراسة بالخارج مستغلة أية ظروف مناسبة كقطع المنح لأسباب أكاديمية أو تأخرها، أو اتخاذ إجراءات تأديبية ضدهم.

ألمانيا كانت إحدى الساحات المهمة لنشاط تلك الجبهة، لكن الأغلبية الساحقة من الطلاب المتواجدين بالساحة الألمانيـــة كانوا من العناصر الوطنية، فلم ينجروا وراء المؤامرة، وعلى العكس كان فرع الاتحاد العام للطلبة الليبيين برئاسة المرحومين جمال الأزهري وعلي الشريف، من الفروع النشطة جدًا، وكان أحد أهم التنظيمات الأجنبية على الساحة الألمانية، ضمت المعارضة في ألمانيا ما سمي بالجماعة الإسلامية، وكذلك تواجد أحمد حواس، محمد المقريف، وعلي زيدان وغيرهم.

كان علينا كعناصر ثورية تعبئة الطلاب ضد الدعاية المعادية، وهكذا بدأنا في لقاءات مع الطلبة عن طريق فرع الاتحاد العام، وشعر المعارضون بالخطورة التي نشكلها على نشاطهم بأن نمنعهم من الوسط الذي يعتقدون أنهم قادرون على استقطاب عناصر منه، لذلك كثفوا دعايتهم ضد أشخاص العناصر الثورية ومنهم الدكتور المهدي امبيرش، والأخ محمود أبوخريص، وعلي الشريف، وجمال الأزهري، وعبد الرحمن محمد، وعبدالله يحي، وجمال قرمان، والعبد الفقير لله، وغيرهم، بدعوى أنهم يعدون لتصفية المعارضة إلى آخر الاسطوانة.

وفى أحد اجتماعات فرع اتحاد الطلبة بمدينة "بون" في شهر نوفمبر 1982 وبحضور أكثر من 300 طالب في بيت الشعب بألمانيا الذي كان مقرا للسفير، وأصبح بيتا للضيافة واللقاءات بعد تصعيد المكتب الشعبي، استغل المعارضون الظرف وأبلغوا السلطات الألمانية بأن خلية إرهابية تابعة للقذافي تعمل في ألمانيا، ثم رأوا أن تختصر التهمة في شخصي والأخ عبدالله يحي على اعتبار أننا مقربان من القائد، ذهبت الأمور عادية إلى شهر مارس 1983 فوجئت وأنـا

خارج من المستشفى في بون بشرطي يحمل أمر القبض عليّ، وفعلا ذهبت معه وأودعت السجن يوم 25 مارس وبدون أية تحقيقات، بدأت محكمة يوم 18 أبريل بتهمة تشكيل تنظيم إرهابي، وبالرغم من عدم منطقية التهمة وقيام المحامين بتفنيذها استمرت جلسات المحكمة حتى 15 مايو 1983 أي بعد أقل من شهر قررت المحكمة إبعادنا عن ألمانيا لوجود مشاكل في الإقامة! بالتأكيد المحكمة لم تجد أدلة على الاتهام وإلا ما أقدمت على تسفيرنا دون حكم في التهم الموجهة لنا، رغم ترويج المعارضة بأن التسفير جاء في إطار صفقة الإفراج عن مهندسين ألمان احتجزوا في طرابلس، في رسالة من القيادة الليبية على الاهتمام بمواطنيها وعدم السماح بملاحقتهم دون تهم، ولا أعتقد أن عاقلًا يصدق أن الحكومة الألمانية تملك سلطة إبرام صفقات تضر بسمعة القضاء.

الحقيقة التي أؤكدها اليوم أن تلك التهم الكاذبة التي روجت ضدي لم تكن سوى فبركة من مجموعة جبهة الإنقاذ، للحد من النشاط الثوري في ألمانيا، ولتشويه كوادر اللجان الثورية وتقديمهم في صورة وحشية تجعل الناس ينفضون من حولهم، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، استغلت حادثة الشجار التي وقعت بين الطلاب لتختلق تهمة جنائية بدون أدلة ولا منطق، وللتدليل على ما أقول حضور أحمد حواس كل جلسات المحكمة للتأكد من سير القضية.

وفي خريف 1984 كان حواس والحصائري - وهو أحد الشباب المستقطبين من ألمانيا وكان يدعي الثورية ومقرب من عبدالباسط البركي مسؤول الأمن بالمكتب الشعبي - وشباب آخرون يخترقون الحدود التونسية في محاولة لتنفيذ مخطط إرهابي في ليبيا تم

كشفه والإطاحة به في مهده، انتهت المحكمة إلى إبعادي أنا والأخ عبدالله يحي من ألمانيا وفعلا تم ترحيلنا إلى طرابلس، صحيح ربما مارست الدولة الليبية ضغوطا قوية على ألمانيا دفاعا عن مواطنيها الذين انتهكت حقوقهم في ألمانيا، لكن لا يمكن أن يتصور المرء أن القضاء الألماني يستجيب لتلك الضغوط كما حاولت ماكنة الإخوان الإعلامية أن تصور من خلال الشامس في بريطانيا، وبن حميده في ألمانيا.

***

المحطة العشرون
في فيينا

نهاية 1983 تحصلت على قبول بالمستشفى الجامعي فيينا في النمسا لاستكمال تدريبي في مجال تخصص الجراحة، لكوني كنت أعمل في ألمانيا وبشهاداتي المعتمدة منها، سافرت إلى النمسا ثانية، والتقيت البرفسور "أرنست فولنر" رئيس أقسام الجراحة، الذي عندما اطلع على أوراقي التي بينت أن تدريبي كان في مجال جراحة الصدر، أفادني بعدم وجود أماكن شاغرة بقسم جراحة الصدر في ذلك الوقت، وعليّ أن أنتظر سنة للحصول على وظيفة، لكنه اقترح عليّ الالتحاق مؤقتا لو رغبت بقسم جراحة التجميل لوجود فراغات به، ويمكنه قبولي فورًا به، وفعلا قبلت الوظيفة والتحقت في اليوم التالي بالتدريب مع البرفسور "يورجن هولي" والبرفسور "جيرهارد فرايلنجر" وهما من الخبراء العالميين في المجال.

كانت جراحة التجميل تتطور بسرعة مذهلة، وكان أغلب الخبراء في العالم الذين يقومون بالابتكارات والتطويرات أحياء يمارسون مهامهم ومترابطون من كل الدول الغربية.

ومن المعلوم أن حقبة السبعينيات والثمانينيات كانت العصر الذهبي لنمو الجراحات التجميلية وظهور تقنيات جراحية جديدة بها، خاصة بعد ظهور الجراحة المجهرية باستخدام الميكروسكوب وجراحة الأعصاب الجانبية، وتوسعت مجالات الجراحات التجميلية

لتستقطع جراحات مهمة من تخصصات جراحية أخرى، فالجراحة المجهرية أحالت تخصص جراحة اليد وجراحة الأعصاب الجانبية إلى جراحة التجميل، وهكذا تطورت جراحات الوجه والفكين وجراحات الجمجمة، لم تعد جراحة التجميل تعني فقط الجراحة الجمالية أو التزيينية بل أصبحت تهتم بكل جراحات الترميم وإعادة تشكيل الأعضاء فسميت "plastic and reconstructive surgery" أي جراحة إعادة تشكيل الأعضاء وترميم الأنسجة، لقد أصبح جرّاح التجميل ملمًا بكل التخصصات الجراحية، وعضوًا مهمًا في أي فريق جراحي، فلابد أن يكون مختصا في الرعاية المركزة للمرضى المصابين بحروق، ولابد أن يتعامل مع جراحي العيون فيما يختص بترميم الجفون وتجميلها، وكذلك معالجة إصابات وتشوهات عظمة محجر العين، وهكذا الحال مع جراحي الأنف والأذن والمسالك وأمراض النساء والعظام والأعصاب والجراحة العامة وجراحات الأورام،لقد أتيحت لي فرصة مهمة ربما لم تتح لزملاء آخرين بأني كنت لسنوات الطبيب المتدرب الوحيد بقسم يضم أكبر علماء جراحة التجميل في النمسا والعالم، منهم العلامة "يورجن هولي" و"هانو ميليزي"، و"جيرهارد فرايلنجر"، و"ألفريد بيرجر"، و"مانفرد فراي"، تعلمت منهم الكثير من التقنيات الجراحية الحديثة من مصمميها مباشرة، استكملت الدراسة التخصيصية في شهر أبريل عام 1987 وكنت أول طبيب ليبي يتحصل على شهادة التخصص "fach artzt" في مجال الجراحة التجميلية من نقابة أطباء النمسا.

كنت على اتصال دائم بالإخوة في ليبيا، خاصة الأخوين المرحوم محمد المجدوب، والأخ أحمد إبراهيم، وكنت أتابع المناشط الثورية والأخبار عن طريق الإخوة بالمكتب الشعبي فيينا.

حاول السفير الليبي السابق في النمسا عمل المستحيل لمضايقتي في إطار محاولات جماعة ما سمي بجبهة الإنقاذ، مضايقة العناصر الوطنية الثورية بالوشاية لدى السلطات النمساوية بأننا نقوم بأعمال مخلة بالأمن، لكن السلطات النمساوية لم تقم بأية إجراءات مضايقة، وأنا على يقين بأنهم كانوا يراقبون نشاطي عن قرب.

***

العدوان البربري على ليبيا

في شهر أبريل 1986 تصاعدت التهديدات الأمريكية والغربية ضد شخص القائد وليبيا عمومًا، وكان الإعلام الغربي يشن حملة محمومة ضدها، كانت الأجواء تندر بعمل عسكري وشيك وكانت التهديدات تطلق من المسؤولين الغربيين، استغل الرئيس "ريغان" حادثة الاعتداء على ملهى ليلي في برلين يرتاده جنود أمريكان للقيام بعملية عسكرية ضد ليبيا، كنا نتابع الأخبار في المحطات الأوروبية التي كانت تشحن الناس استعدادًا للحرب.

ليلة 15 أبريل حوالي الساعة الثانية والنصف فجرا، اتصل بي في وقت متأخر الأخ موسى الحوامدة من أمريكا، وهو أخ فلسطيني ناصري يعمل في الولايات المتحدة ومرتبط معنا بعلاقات وثيقة سياسية وشخصية فهو صديق لي وللأخ محمد المجدوب ولكثير من الإخوة، وكان من قيادات رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، اتصل وسألني كيف الأحوال في ليبيا، قلت له: الأمور لابأس وإن كان الإخوة ينتظرون عدوانًا في أي وقت، سألني متى كان آخر اتصال لك بهم؟ قلت له اليوم ظهرا، قال الآن أذاعوا في الأخبار بأنهم أغاروا على طرابلس، وأن أخانا ربما قتل، وقع الخبر كالصاعقة، بعد لحظة صمت لا أعلم كم من الوقت استغرقت شكرته وقلت له سأتأكد، وجدت أنه قفل الخط أثناء صمتي المخيف! بعد محاولات عديدة للاتصال ببدالة القيادة ومكتب الاتصال تمكنت من الاتصال ببدالة المكتب، وكان الإخوة بالبدالة يعرفون صوتي، قلت لهم من المناوب قـــالوا المهدي

الفهري، أحالوني عليه مباشرة، سألته طمني كيف الأخبار، قال اطمئن الأمور تمام، قلت له: ما هي أخبار القائد علمت أن البيت قصف، قال نعم قصفوا البيت لكن القائد تمام، وقبل قليل جاءنا في المكتب وخرج، المكتب في ذلك الوقت يقع بمبنى مصنع ملحق بمعسكر باب العزيزية، كانت معنويات الأخ المهدي عالية جدا، الأمر الذي أدخل طمأنينة غير عادية إلى قلبي لن أنساها أبدا.

أخذت في الاتصال بالإخوة الحاج امبية وادي أمين المكتب والإخوة الزملاء وأبلغتهم بالأحداث، الساعة الخامسة فجرا كان أكثر من عشرين مواطنا ليبيا متواجدين في المكتب، في الصباح كانت الأخبار أكثر وضوحا وصوت عبد الحميد امبيرش من صوت الوطن العربي أكثر قوة، لم تكن هناك حاجة لعودة الإخوة إلى ليبيا، لكن الدعاية الإعلامية تصاعدت فإذاعة "بي بي سي" جزيرة زمان!، تعلن أن القذافي غادر على متن طائرة متجهة إلى قبرص وخبر آخر إلى اليمن، وخبر آخر أن انقلابًا قد وقع، وخبر بأن القذافي قتل، تلك البلبلة الإعلامية لم تجد أي صدى لدينا لأننا كنا على اتصال بالإخوة مباشرة.

كان علينا طمأنة الطلاب في أوروبا وأمريكا، اتصلت إحدى المحطات الكندية بالأخ امبية تطلب لقاء مباشرا، رفض في بادئ الأمر، وعندما استشارني شجعته على الحديث، كانت حجته أنه لا يملك معلومات كافية وقد يستدرج في الأسئلة قلت له المباشر مدته قصيرة لأنه مكلف ماديا للمحطة وعليك التهرب من الأسئلة المحرجة بالحديث في أمور أخرى جانبية، وفعلا تمت المقابلة وكان الأخ امبية

موفقا، وكان أول مسؤول ليبي نقل عنه الإعلام الخارجي في اليوم التالي للغارة أن القائد لم يمسه سوء وهو يقود المقاومة الشعبية، وأن عدوانًا بربريًا من الأطلسي وقع على ليبيا.

بدأنا الاتصال بالمنظمات الصديقة وخاصة أصدقاءنا في حركات الخضر والبديل وقررنا تنظيم مظاهرة تتجه إلى القنصلية الأمريكية وفعلا باشر الأصدقاء بالإجراءات القانونية لأخذ الإذن للمظاهرة الغاضبة، وقمنا بجهود لدعوة الجالية الليبية والعربية للمشاركة توقعنا العدد بضع مئات، لكن المفاجأة أن مئات الآلاف من النمساويين والجاليات بالنمسا انطلقوا في أكبر مظاهرة تشهدها فيينا منذ الحرب العالمية حسب شهادات وسائل الإعلام وقتها، أمام القنصلية أحرق العلم الأمريكي لأول مرة في فيينا منذ سقوطها في أيدي الحلفاء!.

***

المحطة الحادية والعشرون
حرب الصحراء

حصلت تشاد على استقلال صوري عن فرنسا عام 1960، ونصب "فرنسوا تومبلباي" وهو من الأقلية المسيحية من جنوب تشاد، رئيسا عليها، إلا أن الأغلبية المسلمة في الشمال تمردت على الحكومة المركزية وشكلت حركة معارضة مسلحة في جبال تبيستي، "فرولينا" التي حظيت بدعم من ثورة الفاتح في ليبيا أسوة بحركات التحرر الأخرى في أفريقيا والعالم.

عام 1979 تمكنت الحركة من إسقاط حكومة "فيليكس معلوم" بدعم من ليبيا وسيطرت على العاصمة أنجامينا، إلا أن حسين حبري تفرد بالسلطة، واستبعد أهم قيادات فوريلينا خاصة قيادات التبو ومنهم "كوكوني واداي"، و"آدم توجوي" وغيرهما، اللذان لجأ كلاهما ثانية إلى ليبيا بحثا عن الدعم لوقف ممارسات حسين حبري.

حاولت ليبيا معالجة الخلافات بين حبري وقيادة الجبهة لكن تعنت حبري حال دون ذلك، لذلك قررت ليبيا دعم جبهة "فورلينا" في مواجهة حبري الذي استعان بالفرنسيين والصهاينة ونظام السادات والنميري، وفي حرب خاطفة خاضتها القوات المسلحة العربية الليبية لدعم الجبهة، تمكنت القوات الليبية عام 1980 من السيطرة خلال أيام على تشاد والدخول إلى أنجامينا، وتمكين فلورينا بقيادة كوكوني واداي من تولي السلطة.

أمنت القوات الليبية العاصمة التشادية والسلطة الثورية الجديدة، إلا أن الضغوط الفرنسية على الرئيس كوكوني واداي، وخداعه والإدعاء بأنها ستؤيده، دفع الرئيس "كوكوني" لطلب انسحاب القوات الليبية من العاصمة، وفعلًا استجابت ليبيا دون شروط لطلب الحكومة التشادية، وانسحبت القوات إلى الوطن خلال أيام معدودة، فاستغل حبري فرصة خروج القوات الليبية وبدأ في تنظيم قوته انطلاقا من السودان مستغلا العلاقات العدائية بين ليبيا ونظام النميري، وطلب المساعدة من الفرنسيين ومن النميري الذي يعيش عزلة عربية وأفريقية، ومن صدام حسين الذي يبحث عن الانتقام من ليبيا نتيجة لمواقفها من الثورة الإيرانية، ومن الحرب الإيرانية العراقية التي خطط لها الغرب ومولتها بعض دول الخليج.

تمكن حبري من الاستيلاء على السلطة ثانية في أنجامينا، والزحف إلى الشمال، وكان صدام حسين يريد فتح جبهة جنوب ليبيا، وكان السادات يقوم بدور نيابة عن الغرب والكيان الصهيوني في معاقبة ليبيا بسبب دورها في دعم المقاومة الفلسطينية، أما النميري ففتح السودان ساحة للصراع ضد ليبيا.

الفرنسيون كانوا مغتاظين من التدخل الليبي في أفريقيا الفرانكفونية ويعتقدون بأن تزايد النفوذ الليبي في أفريقيا يتم على حساب النفوذ الفرنسي، تم استدعاء العملاء الليبيين في ما سمي بجبهة الإنقاذ لغرض فتح قاعدة لهم، يحاولون من خلالها زعزعة الدولة الليبية، ومدير الاستخبارات العسكرية الصهيوني تموضع في أنجامينا لقيادة المعركة ضد ليبيا باعتبارها العدو الأهم للكيان الصهيوني، وفتح

صدام حسين جسرًا جويًا لنقل الأسلحة والضباط للمساعدة في الحرب على ليبيا، أتصور أن الكاذب المقريف ربما صور لهم سهولة تقويض النظام الثوري في ليبيا وأنه بمساعادات كافية "نصفها توضع في جيبه الخاص كما ظهر لاحقا" يمكنه إسقاط القذافي وتكوين نظام عميل.

لقد أجبرت ليبيا على الدخول في حرب إقليمية كبرى في الصحراء الكبرى ضد محور فرنسي صهيوني مستخدما العملاء العرب والليبيين، من أهدافه الأساسية الحد من الدور الليبي المتنامي أفريقيا وعالميا، والسيطرة على المقدرات الليبية في الجنوب، لقد كانت حرب استنزاف طويلة استمرت أكثر من ست سنوات، تعاملت فيها القيادة الليبية بكل جدارة وأبلت فيها القوات المسلحة بلاء حسنا، وتمكن الضباط والجنود الليبيون من مقارعة جيوش قوية تمتلك دعما استراتيجيا دوليا، في ذروة العداء السافر مع الغرب والتهديد الأمريكي المباشر والمواجهات المتكررة التي بدأت في 1981 في خليج سرت عند خط الموت!، وانتهاء بالعدوان الأطلسي عام 1986 بمشاركة أكثر من 70 طائرة استهدفت طرابلس وبنغازي، كما فقدت القوات المسلحة العربية أعدادا من جنودها البواسل سقطوا في معركة الدفاع عن الحدود الجنوبية لليبيا، ولقد تصاعدت تلك الحرب إلى أوجها عام 1987 عندما هاجمت قوات حبري مدعومة بغطاء جوي فرنسي ودعم عراقي قاعدة الدوم ومعطن السارة وقرية أوزو، ولقد استبسلت القوات المسلحة حتى استعادتها.

لقد عايشت حرب تشاد التي يصفها البعض بإنها حرب عبثية، وهي في الحقيقية كانت حربًا دفاعية لتأمين الحدود الصحراوية الجنوبية لليبيا، في سنواتها الأخيرة كمسؤول عن القطاع الصحي، الذي يضم الخدمات الطبية المدنية والعسكرية، وكنت مسؤولا على الخدمات الطبية العسكرية، والإمداد الطبي، وعمليات نقل الجرحى والمصابين، والمستشفيات الميدانية، وهنا لابد من توجيه التحية والشكر والتقدير إلى مئات الأطباء والممرضين والفنيين الذين كانوا جنودا مجهولين في ملحمة الصحراء الكبرى، وأن أترحم على جميع الشهداء منهم ومن القوات المسلحة العربية الليبية، كما أشير إلى جهاز الاسعاف الطائر الذي لعب دورًا محوريًا في إخلاء الجرحى إلى المستشفيات الميدانية.

يوم سقوط معسكر وادي الدوم وانسحاب القوات، سافرت إلى الكفرة لتقييم الموقف عن قرب، التي كانت نقطة إخلاء أولية قبل نقل المصابين إلى بنغازي، وكذلك يوم سقوط السارة، وقرية أوزو في أيدي قوات حبري المدعومة من فرنسا، ومن المهم التذكير بالخطاب المعادي الذي كانت تستخدمه الماكنة الإعلامية الغربية كجزء من الحرب النفسية والتي حاولت تصوير أن تشاديين عزل تمكنوا من مواجهة جيش جرار، ذلك لم يكن الواقع فالحرب بين القوات المسلحة العربية الليبية والقوات الفرنسية والسودانية والخبراء العراقيين والصهاينة، واليوم انكشفت الكثير من الخبايا التي كنا نعلمها ونتصرف وفقها لكنها لم تكن واضحة أمام الجماهير الشعبية.

لقد نجحت القوات الليبية في استرجاع أوزو والسارة بعد وقت قليل من سقوطهما بخطة عسكرية محكمة أربكت كل تكتيكات الأعداء، مما اضطر الرئيس "فرنسوا ميتران" للقبول بالتفاوض المباشر مع القائد، فنظم بواسطة يونانية لقاء كريت.

الحرب في تشاد ينبغي أن ينظر لها كملحمة وطنية، وأن محاولات تسفيهها تأتي فقط في إطار إضعاف الروح المعنوية لليبيين وتشكيكهم في قدراتهم ومصالحهم الوطنية، لقد قدم عديد الشهداء أرواحهم دفاعا عن الأمن القومي الليبي، وشارك عديد الإخوة في الحملات التعليمية والتثقيفية للشعب التشادي المصاحبة لعمليات القوات المسلحة.

كان في نفس الوقت النضال الثوري والدعم القوي للقوى الشعبية السودانية يتصاعد، ونجح السودانيون عام 1986 في إسقاط الذيل نميري، وتكونت سلطة وطنية بقيادة حلفاء ليبيا هما السيد أحمد الميرغني من الحزب الاتحادي، والصادق المهدي من حزب المؤتمر، لقد قلبت تلك الثورة الشعبية الوضع في تشاد وشكلت عونا مهما لثورة الفاتح إلى أن انقلب عليهم الإخوان بقيادة الترابي والبشير.

في 25 مايو 1989 أعلن القائد إيقاف الحرب من جانب واحد ودعا لحل مشكلة أوزو عبر التحكيم الدولي من قبل محكمة العدل الدولية، وتحول الجهد من التواجد العسكري المباشر إلى العمل السري مع القوى الوطنية التشادية، فتم التواصل مع إدريس دبي وزير دفاع حبري، لكن محاولته الانقلابية على حبري فشلت مما اضطره إلى شن حرب جديدة على النظام التشادي معتمدا على قبيلته الزغاوة في أبشة شرق تشاد، وبدعم عسكري ولوجيستي من ليبيـا وفعلًا تمكنت قوات

دبي عام 1990 من دخول العاصمة وهروب حبري، وتم الإفراج عن الأسرى الليبيين، إلا أن حبري أقدم على جريمة وحشية بإعدام بعضهم ومنهم الشهيد عبدالسلام سحبان والطيار شرف الدين.

كان دخول دبي المفأجي قد بعثر أوراق القوى المتأمرة على ليبيا فقامت بإجلاء عملائها من تشاد على عجل.

لقد طوي ملف أخطر حرب استنزاف ضد ليبيا من الصحراء الكبرى ونجحت ليبيا في تحويل تشاد إلى حليف استراتيجي كان له دور مهم في دعم ليبيا، وتأمين حدودها الجنوبية وفي فك الحصار الذي فرض لاحقًا عليها.

لقد نظم برنامج تناوب دقيق بين الأطباء والمهنيين الصحيين المساعدين للعمل في الجبهات القتالية، ولقد ساهم كل الأطباء العاملين في ذلك الوقت في المجهود الطبي مساهمة فعالة، وأعتقد أنهم الأجدر بتقديم شهاداتهم حول حقيقة حرب تشاد، وأدعو القادرين منهم أن يرووا ذكرياتهم بالخصوص لإنها مهمة لتقديم التاريخ الليبي على حقيقته.

***

المحطة الثانية والعشرون
في أمانة الصحة

في شهر يناير 1987 كنت في إجازة، استدعاني القائد مع الأخوين محمد المجدوب، وأحمد إبراهيم في منطقة المربعات بطريق المطار، واقترح علينا التفكير في أسماء لعرضها على مؤتمر الشعب العام لتطعيم اللجنة الشعبية العامة ببعض الأمناء، وقتها كان الأخ أحمد قد صعد أمينا للجنة الشعبية العامة للتعليم في اللجنة التي كان الأستاذ جاد الله عزوز الطلحي أمينًا لها.

طرحت عديد الأسماء للقطاعات المختلفة ودار نقاش حولهم وحول قدراتهم على إدارة القطاعات المرشحين لها، وخبراتهم ونزاهتهم.

كان المعيار الأساس الكفاءة ونظافة اليد، والبعد عن الثأتيرات القبلية والجهوية، ثم سألني لماذا لا تتولى أمانة اللجنة الشعبية العامة للصحة؟ كان السؤال مفاجئا لكن الرد كان جاهزًا، قلت له يا قائد أنا أرغب في ممارسة مهنة الطب، ولقد خرجت من البلدية لهذا الغرض، وأنا على وشك إنهاء الدراسة في تخصص جديد ومهم ومتطور وغير موجود في ليبيا، وأريد أن أسس هذا التخصص بها، قال لي لابأس اعمل الأمانة في المستشفى.

المفروض العمل تتولاه اللجان الشعبية بالمناطق وتتابعه الوحدات الإدارية المتفرغة بالأمانة، أمـــا الأمين يكون شخصًا عاديًا

يمارس مهنته ويشرف على توجيه أداء الأمانة فقط، ولا ينهمك في العمل الإداري اليومي، أذكر أننا اقترحنا عددًا من الأسماء منهم الدكتور فرحات شرننه، والدكتور عبدالسلام العربي، والأستاذ عبد السلام البدري، والدكتور محمد لطفي فرحات، والدكتور طاهر الجهيمي، ومحمد البخاري للقطاعات المالية والاقتصادية، والدكتور رجب أبودبوس، والأخ علي أبوجازية، والأخت فوزية شلابي للقطاع الإعلامي، على أن يترك مجال للقائد لاختيار من يراه مناسبا لتولي الأمانة، في ذلك الوقت كانت اللامركزية المطلقة في أشدها فكل الصلاحيات لدى اللجان الشعبية للبلديات التي كان عددها 13 بلدية، وكانت أغلب القطاعات تنتهي في البلديات، وبقي فقط 11 قطاعًا مركزيًا، وهي: الخارجية، والإعلام، والتعليم، والصحة، والمالية، والتخطيط، والصناعة، والمواصلات، والخدمة العامة، والاقتصاد، والتعبئة الجماهيرية، في نهاية اللقاء أكد القائد على أن أتولى الإشراف على قطاع الصحة وأن أجهز نفسي لذلك، قلت له إني سأنهي الدراسة في نهاية شهر مارس، وأحتاج شهرين لترتيب إجراءات الشهادة وما إليها.

في شهر مارس عقد مؤتمر الشعب العام اجتماعاته العادية في مدينة سبها، وتم تصعيد اللجنة الشعبية العامة، وكلف المرحوم عمر المنتصر بأمانة اللجنة، واخترت أمينا للجنة الشعبية العامة للصحة.

كان البرنامج التدريبي الخاص بي لنيل التخصص ينتهي بنهاية شهر مارس، وكان عليّ أن أنتظر حتى منتصف شهر أبريل للحصول على الشهادة، في بداية شهر مايو رجعت إلى طرابلس، اتصلت بالمرحوم الأستاذ عمر وأبلغته بوصولي، كنت بعد تصعيدي مباشرة

قد اتصلت بالأخ عبدالله خضورة أمين اللجنة السابق وطلبت منه الاستمرار في تسيير الأمانة إلى حين التسليم والاستلام.

كانت توجيهات قد صدرت بنقل كافة الأمانات وأمانة اللجنة الشعبية العامة، وأمانة مؤتمر الشعب العام، وكافة الهيئات المركزية والقيادة العامة للقوات المسلحة إلى مدينة الجفرة لتكون العاصمة الرسمية لليبيا باعتبارها تتوسط الوطن، ولطبيعة موقعها الاستراتيجي كان الانتقال فجأة، فانتقلت فقط القيادات وبقيت الدووان تعمل كما هي من طرابلس.

كانت المقرات الإدارية والسكنية محدودة جدًا بالجفرة، لكن تم التصرف وفقاً لما هو متاح، فخصص المقر الإداري للجنة الشعبية العامة، واستغل دوران كمكاتب للأمناء ودور للإقامة، بعد التسليم والاستلام الرسمي من الدكتور عبد الله انتقلت إلى الجفرة للالتحاق باللجنة، وكانت أجواء أخوية وإن كان العمل محدودًا لضعف الاتصالات والتواصل مع الأمانات في طرابلس، أتصور أن القائد كان مهتمًا جدًا بعاصمة جديدة في وسط البلاد، لكنه أيضًا بإصراره على الانتقال السريع إلى الجفرة يحاول أن يعطي فرصة للجان الشعبية بطرابلس لتعمل بعيدا عن تدخل القطاعات المركزية.

في ظروف اقتصادية صعبة، وحرب استنزاف خطيرة تشن من تشاد، وتنفذها مجموعات إرهابية مدعومة بشريا ولوجيستيا من دول عظمى، كان عليّ أن أسير القطاع الصحي بدون صلاحيات حقيقية فأغلب الصلاحيات كانت لدى أمناء الصحة بالبلديات، وبموازنة تقشفية محدودة، وفي ظل مطالبـــــات كبيرة جدًا من القطاع، فحرب

الاستنزاف في الصحراء، وهبوط أسعار النفط، وفي إطار السياسات العقابية الغربية المعادية لليبيا التي تهدف للضغط الاقتصادي خاصة بعد قرار الحكومة الأمريكية والبريطانية بمغادرة شركاتهم النفطية ليبيا وفرض حظر على صناعة النفط الليبية.

في بداية شهر مايو 1987 قمت بزيارة قصيرة إلى مقر الأمانة في طرابلس بعمارات زاوية الدهماني، وقابلت موظفي مكتب الأمين وكنت أعرفهم سابقا برئاسة الأخ ضو التومي، وطلبت منه أن يتصل بالأخ الدكتور عبد الله خضورة للاستمرار في تسيير العمل في طرابلس وأنا سوف أذهب إلى الجفرة، وفعلًا في صباح اليوم التالي غادرت في طائرة إلى الجفرة.

الزميل الدكتور عبدالله خضورة شخصية وطنية طيبة وبسيطة، لم أكن أعرفه سابقا لكن وجدته دمث الأخلاق متواضعًا، فطلبت منه أن يستمر كما كان في الإشراف على الأمانة وأن ينهي الإجراءات التي بدأها، أبقيت على كل القيادات الإدارية بالأمانة وقد كانوا متخوفين من دخول شخصية ليست منهم على ديوانهم العتيق، ولأن الصلاحيات في أغلبها بما فيها التعيين والتعاقد كانت لدى البلديات، أمرتهم بتحول الأمانة إلى جهاز للتخطيط والإشراف والمتابعة.

للتاريخ أمانة الصحة بكوادرها وخبراتها تأسست بعد ثورة الفاتح على يد الدكتور مفتاح الأسطى عمر، وله يرجع الفضل في وضع تصورات الخطط التنموية الثلاثية التي انطلقت بعد الثورة فأغلب المرافق الصحية تم إنشاؤها أو البدء فيها، ومن بعده كانت فترة الدكتور مراد لنقي التي اتسمت بالتطور النوعي في القطاع.

أما الدكتورعبدالله خضورة لم يستمر طويلا وكلف في أوج حرب الاستنزاف فلم ينجز الكثير.

كان عليّ النظر فيما أستطيع إضافته لهذا القطاع الحيوي في ظل الظروف المحيطة، قضيت أسبوعا في دراسة وضع الأمانة، والقطاع بشكل عام والاختناقات التي كانت به، ثم عقدت جلسات استماع مع كل القيادات الإدارية والفنية بالأمانة استمرت أيامًا طويلة استمعت إليهم عن كل شيء، انتقاداتهم، مقترحاتهم، كلفت فريقًا ضم الأستاذ حبيب تامر مدير إدارة التخطيط، والمهندس عون الهادي عون، والدكتور كامل الكحيلي، والدكتور فاطمة المقرمد، والأستاذ ضو التومي، والدكتور بشير العلاقي، والمستشار القانوني سالم الجابري لتدوين كل شيء، ثم جلسنا عدة أيام مع لجنة الصياغة لاستخلاص نتائج وآراء يمكن الاستفادة منها في إعداد خطة عملنا، ولحسن الحظ فإن البنية التحتية كانت مكتملة فيما يخص المستشفيات والعيادات المجمعة والمراكز الصحية، وتحتاج فقط إلى صيانة وإدامة وتفعيل وتشغيل مناسب، وأن المشكلة تكمن في تطوير الأداء الفني والإمداد الطبي.

كانت العديد من المستشفيات والعيادات في أغلب المناطق بما فيها طرابلس وبنغازي تدار من خلال طواقم طبية من أوروبا الشرقية، بالنظر إلى النقص الحاد في العناصر الطبية والطبية المساعدة، وكانت التكلفة المالية عالية بعض الشيء والسيطرة الإدارية عليهم ضعيفة لكونهم يعملون من خلال بروتوكلات عامة وليست تعاقدات فردية، بالنظر لانخفاض دخل النفط، وتذبذب مخصصات القطاع فلم يكن بالإمكان الإيفاء بالالتزامات التعاقدية، ودفع مستحقات الفرق في

أوقاتها، لقد تأثر من جراء ذلك القطاع الصحي بشكل مباشر، يضاف إلى ذلك المتطلبات الطبية للمجهود الحربي في الجنوب والتزامات العلاج بالخارج، في نفس الوقت أصدرت اللجنة الشعبية العامة قرارات حدية لتقليص العمالة الأجنبية بالقطاعات وأهمها قطاع الصحة، حيث وجهت بتقليص حاد في العناصر الطبية المساعدة وحددت أرقاما غير مسموح بتجاوزها أذكر منها 929 مهنيًا طبيًا مساعد في بلدية طرابلس، و626 في بنغازي، و323 في سبها في إطار توجيهات ثورية لتلييب القطاعات، في وقت لم يكن الاهتمام كافٍ بالمعاهد الصحية، وأيضا رغبة الشباب في الدخول إليها كانت محدودة جدًا فلم تكن مهنة التمريض من المهن الجاذبة للشباب، لقد كانت تلك الإجراءات دافعا قوياً لتركيز الاهتمام بتعليم وتدريب المهن الطبية المساعدة، وكانت أولى الإجراءات أن أطلب مهلة سنتين لأتمكن من إعداد الحد الأدنى من طواقم التمريض والفنيين وبعد تدخل من القائد وافقت اللجنة الشعبية العامة على مقترحاتي.

كذلك وجدت ملاحظات جوهرية من الأخ القائد، ومن المؤتمرات الشعبية حول تعثر بعض البرامج الوطنية المهمة، وعدم انتظامها ومنها الصحة المدرسية والرعاية الصحية الأولية، والتوثيق الطبي، لذلك كان من المهم البحث الجدي في تطوير تلك البرامج واستحداث برامج جديدة.

بعد أن استكملت الدراسة وجدت أنه من الضروري طرح خطة تطويرية جذرية وثورية للقطاع الصحي انطلاقًا من واقع القطـــــاع

وبإشراك الجميع، لذلك دعوت إلى عدة ملتقيات وحلقات نقاش منها ملتقى للإخصائيين الليبيين الذي انعقد لمدة ثلاثة أيام استمعت خلالها إلى آراء الأطباء الموجودين، الذين يقدمون الخدمة والذين يعانون المشاكل، وانتقاداتهم الموضوعية وغير الموضوعية، وكذلك عقد مؤتمرا للأطباء الصغار وقتها لتقييم وضع الخدمات من زاوية أخرى، وعقد مؤتمر للفنيين الطبيين، وللمهنيين الطبيين المساعدين.

نتيجة تلك الملتقيات تم تشكيل عدة فرق عمل من الإخصائيين والأطباء والفنيين لوضع خطة مكتوبة وقابلة للتنفيذ للنهوض بالقطاع، منها: فريق عمل لتطوير العلاج بالداخل، وفريق عمل لتطوير خدمات الإسعاف، وفريق عمل لتطوير التعليم الطبي في المعاهد الصحية، وفريق عمل لتطوير برامج الرعاية الصحية الأولية ومنها مكافحة الأمراض المعدية، وللملف الصحي، وتطوير خدمات الصحة المدرسية.

كانت تلك الفرق في حالة لقاء يومي وحضرت أغلب اجتماعاتها واستكملت اللجان أعمالها خلال شهر فقط، في نهاية شهر يونيو دعوت أمانة اللجنة الشعبية العامة للصحة المتكونة أمناء الصحة في البلديات، وعددهم "13" شاركوا في أغلب الملتقيات والاجتماعات، إلى الاجتماع وتمت مناقشة مقترحات اللجان وإقرارها، ومن بعدها دعوت إلى مؤتمر موسع للجنة الشعبية العامة للصحة ضم كل أمناء الصحة في المؤتمرات الشعبية الأساسية وعددهم 450 عضوا وشرحت لهم الخطة لضمان تعاونهم في انطلاق العمل بجدية، ووضعها موضع التنفيذ.

كلفت فريقًا برئاسة الأستاذ الدكتور محمد السويحلي بتصميم ملف صحي يحوي المعلومات الصحية والإجراءات الطبية لكل مواطن، في شكل كتيب مصنوع من ورق جيد وبغلاف بلاستيكي غير قابل للتلف، في ثلاثة نماذج ملف للأطفال دون سن 15 سنة، وملف للرجال وملف للنساء، وبالنظر للحالة المادية للقطاع، استنجدت بالأخ محمد الحويج رئيس شركة الاستثمارات الخارجية وقتها لطبعه في الخارج لطبيعة المواصفات الخاصة بالغلاف، وفعلًا تحمل مشكورًا تكاليف الطبع في مطبعة تتبع شركة الاستثمارات في إيطاليا، مع شهر الفاتح كان الملف الصحي في كل مركز صحي في ليبيا، وشرع في تطبيقه بالرغم من عدم تعاون كثير من العناصر الطبية في البداية في ملء المعلومات الطبية لأنهم يعتقدون أنها تستقطع جزءًا كبيرًا من وقتهم، الأمر الذي فرض علينا إقامة دورات قصيرة للعاملين بالقطاع الصحي بالمناطق لتعليمهم آلية وضع البيانات في الملف.

انطلقت في تطوير خدمات الإسعاف، وكلفت لجنة برئاسة الأستاذ الصديق الحبيب تامر لوضع تصور لتنظيم خدمات الإسعاف، واقتراح آلية لضبط حركة سيارات الإسعاف وضمان نقلها فقط للمرضى من خلال نموذج محكم للحركة يمكن أجهزة الضبط القضائي في أي وقت من التأكد من أن السيارة تقوم فعلا بإسعاف المرضى ولا تتحرك لأغراض أخرى، وتم شراء في حدود خمسمائة سيارة إسعاف حديثة منها مائتي سيارة إسعاف صحراوية، بالإضافة إلى خمسين سيارة إسعاف مجهزة كغرف عناية مركزة، وتم الإستحداث جهاز لخدمات الإسعاف، وشرع في تنفيذ خدمات الإسعاف إلى المنازل وانطلقت الخدمة في بعض المدن، وكذلك تم تطوير خدمات الإسعاف

الطائر، لكن توسيع خدمات الإسعاف كان يتطلب توفير أسطول من سيارات الإسعاف الأمر الذي لم يكن متاحا إلا بعد سنة.

وكلفت لجنة برئاسة الأستاذ الدكتور سليمان أبوسريويل بدراسة تطوير الرعاية الصحية الأولية قامت مشكورة بتقديم عدة اقتراحات منها تشكيل لجان وطنية من المختصين تتولى التخطيط والإشراف والمتابعة للبرامج الوطنية، وقمت بإصدار قرارات بتلك اللجان التي تكونت من الإخصائيين والخبراء في الرعاية الصحية الأولية لأول مرة في ليبيا لإشراك الجميع في التخطيط والمتابعة، وتم تطوير مركز مكافحة الدرن إلى المركز الوطني لمقاومة الأمراض المعدية، وتم تأسيس المركز الوطني لمقاومة الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان برئاسة الدكتور شعبان عبد المولى اتخذ من مدينة الزاوية مقرا له.

نجحت اللجان الوطنية لبرامج الرعاية الصحية الأولية خلال سنة من وضع برامج وطنية للتعامل مع الأمراض المعدية، وتم تطوير برامج التطعيمات، واعتمدت برنامج التطعيم الإجباري للفيروس الكبدي البائي للأطفال، والاختياري للمعرضين للإصابة من مختلف المهن لأول مرة في أفريقيا والشرق الأوسط، وكانت ليبيا من أوائل الدول في العالم التي تطعم كل المواليد ضد إصابات الفيروس الكبدي البائي، وفي عام 1988 أعلنت في منظمة الصحة العالمية أن ليبيا تخلصت تماما من مرض شلل الأطفال فكانت من أوائل الدول المتقدمة التي حققت هذا النجاح الباهر.

كما كلفت لجنة برئاسة المرحوم الأستاذ الدكتور بشير العلاقي لدراسة برامج المعاهد الصحية المتوسطة، والمعاهـــد التقنية الطبية

العليا، التي أعدت خطة متكاملة لتطوير المعاهد الصحية، وتحويلها من تعليم نظري بحث إلى تدريب عملي مهني بالمستشفيات باعتماد برامج تدريب مكثف من خلال إلحاق المعاهد الصحية بكل مستشفى، وينقسم البرنامج التعليمي إلى تدريس المناهج المعتمدة في المعاهد الصحية، ويخصص وقت كبير في الفترات الصباحية للتدريب العملي بغرض تحقيق تلييب فعلي وناجح لقطاع التمريض كليا خلال 3 سنوات وفق برنامج إعداد عناصر تمريض مؤهلة نظريًا وعمليًا للقيام بذلك الواجب، وفي إطار الخطة تقرر فتح معاهد عليا للتمريض والفنيين بغرض تأهيل عناصر تمريض تخصصي، كما افتتح المعهد العالي للتقنيات الطبية في أبوسليم بطرابلس ومصراته وبنغازي، وتطوير معهدي براك وهون بقصد تخريج فنيين صحيين بكفاءة عالية، كما اتفقت مع الأستاذ أحمد إبراهيم أمين التعليم على فتح كليات عليا للتمريض بالجامعات.

كلفت لجنة برئاسة الصديق الدكتور أبوالقاسم الباروني لدراسة ملف تطوير العلاج بالداخل للتقليل من إيفاد المرضى للعلاج بالخارج، وآفاق العمل الطبي الخاص، وفعلا تقدمت بمذكرة إلى اللجنة الشعبية العامة للمطالبة بالإذن لفتح العيادات الخاصة بما لا يؤثر على الخدمات الطبية بالمرافق العامة، وتم الشروع في إعادة تأهيل المستشفيات التخصصية وهي: مستشفى القلب بتاجوراء، ومستشفى الكويفية للأمراض الصدرية، ومستشفى شحات للأمراض الصدرية، كما تم افتتاح مراكز تخصصية هي: مستشفى العيون بطرابلس، ومستشفى الزهراء لزراعة الكلى، ومستشفى اسبيعة لجراحة المخ والأعصاب،

ومستشفى الحروق والتجميل، كما تم الشروع في تجهيز مركز طرابلس الطبي.

تشكلت لجنة برئاسة الدكتور كامل الكحيلي، والمرحوم محمد فحيمة، والمرحوم سعيد قاسم، لدراسة الإمداد الطبي واختناقاته، وكان الإمداد الطبي يتم عن طريق شركتين إحداهما لاستيراد الأدوية والأخرى للمعدات الطبية تتبعان القطاع شكليا وهما المسؤولتان عن إمداد القطاع بكل احتياجاته، فاقترحوا عدة إجراءات لتطوير منظومة الإمداد الطبي منها إعادة هيكلة الشركات، فتمت إعادة هيكلة الشركات إلى ثلاث شركات، تقوم على توزيع المهام وفقا لما هو مطلوب، بحيث تتولى جهة توريد كافة متطلبات القطاع، وتقوم جهة أخرى بتشغيل وصيانة وإدامة المعدات الطبية، وأن تشرع الدولة في تصنيع ما يمكن تصنيعه محليًا من المواد الطبية المختلفة سواء كانت أدوية أو مستلزمات، وهكذا أصدرت قرارات بإنشاء ثلاث شركات، الأولى للتوريدات الطبية، وتضم الأدوية والمعدات والمستلزمات، والثانية لصيانة المعدات الطبية وتطويرها، والثالثة الشركة العامة لصناعة الأدوية، كان هناك رأي يقول إن فصل التوريد عن الصيانة لا يمكن من تدبير موارد للصيانة والشركات الموردة هي التي ينبغي أن تتولى الصيانة، وكذلك الحال عند فصل شركات توريد الأدوية عن الصناعة الدوائية، أخذ ذلك الأمر وقته من الجدل لكن رأيي ورأي اللجنة الشعبية أن الناس تتجه إلى الأمر السهل، فالتوريد أسهل شيء في قضية الإمداد، ولن يهتم المسؤولون عن التوريد كثيرًا بالصيانة والصناعة، وكان لنا دليل من الواقع، فالشركات المنحلة كان مناط بها الصيانة والتصنيع لكنها لم تهتم بـــالأمر، وفعلًا أشعر أني قدمت إنجازًا مهمًا

بتأسيس قاعدة لصيانة المعدات الطبية وأساسًا لانطلاق برامج تصنيع الأدوية والمستلزمات رغم تعثرها لاحقًا، فقد تم إنشاء مصنع الماية وافتتاحه رسميًا، ويعد من أكبر المصائع الداوئية في المنطقة.

من أهم النجاحات التي تحققت هي تفعيل برنامج الرعاية الصحية الأولية وإحداث نقلة نوعية في التعليم الصحي، وابتكار فكرة الملف الصحي المحمول لدى المواطن، لقد صممت فكرة الملف الصحي المحمول لدى المواطن بسبب ضعف التوثيق الطبي بالوحدات الصحية، وصعوبة ربط المواطن الليبي بوحدة صحية محددة، فكان المريض ينتقل حسب رغبته ومكان تواجده من مركز صحي إلى آخر، ومن طبيب إلى غيره، لذلك وجدنا أن توثيق المعلومات الصحية لدى المواطن ليعرضها في حالة المرض أيًا كان مكان الكشف الطبي أكثر عملية، لقد حملت الملفات الطبية المعلومات الضرورية، من التحصينات والحالة عند الطفولة إلى توثيق للأمراض المزمنة، والتدخلات الجراحية، والأدوية الموصوفة، والمراجعات والمتابعة الطبية.

إن كثيرًا من المواطنين التزموا لفترة طويلة بالملف الطبي، لكن بسبب تغير إدارات الأمانة وعدم تفهم البعض ممن تولوا لأهمية ذلك، أهمل المشروع.

انعكست الأزمة المالية الحادة على القطاع الصحي، واتخذت تدابير تقشف قاسية جدًا شملت وقف كثير من التوريدات، وضبط فتح الاعتمادات، وتقليص التحويلات للعمالة الأجنبية وأغلبها كان بالقطاع الصحي، رغم تلك الظروف تمكنا من تسيير القطاع بالحد الأدنى، وتمكنت من تدبير تمويلات لتجهيز وافتتاح عدد من المستشفيات

المهمة منها: مستشفى العيون بطرابلس، ومستشفى جراحة الأعصاب باسبيعة، ومستشفى أمراض وجراحة الكلي بالزهراء، ومستشفى الحروق بطرابلس، ومركز طرابلس الطبي الذي افتتح لاحقا، وكذلك تعاقدات باستكمال صيانة عدد من المستشفيات في مدن: سبها، زليتن، زوارة، شحات، طبرق، البيضاء، الخمس، ومصراته، واستكمال وافتتاح عدد من المستشفيات القروية والمراكز الصحية النموذجية.

بالنسبة لتوريد الأدوية تمكنت بمساعدة مدير مصرف الجمهورية آنذاك من السحب على الأحمر من حساب شركة توريد الأدوية والمستلزمات بما يغطي حاجة السوق، وفعلا لم يتأثر الإمداد كثيرا بالقيود على الاعتمادات.

الانفتاح الاقتصادي

لا أذكر التاريخ بالضبط شهر يونيو أو يوليو، استدعى القائد اللجنة الشعبية العامة وأمناء اللجان الشعبية بالبلديات إلى مقر القيادة بباب العزيزية، وكانت المرة الأولى التي يلتقي فيها القائد باللجنة، وطرح علينا أهمية التفكير في معالجات اقتصادية لتجاوز الأزمة المالية ومعالجة مشاكل المواطنين وندرة السلع، وضرب مثلًا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوقف تطبيق الحدود في عام الرمادة، وأنه يمكن تعطيل تطبيق بعض الإجراءات الاشتراكية لضمان التعاطي مع الأزمة وللحد من آثارها، تحدث أثناء اللقاء بعد القائد بعض الإخوة منهم الدكتور رجب أمين الإعلام وطرح مسألة التجارة وقال كلمته المشهورة "الدولة لا يمكن أن تكون تاجر بقدونس".

بعد اللقاء اتفقنا على الاجتماع لمناقشة توجيهات القائد ووضع مخطط لتنفيذها، وكان مقررًا سلفًا أن تجتمع اللجنة العامة مع أمناء اللجان الشعبية للبلديات، وكانوا من القيادات المعروفة بمدينة الكفرة، وفعلا سافرنا إلى الكفرة، وكان وقتها المرحوم نصر المبروك أمينا للجنة الشعبية بها، كان طرح القائد هو البند الرئيس في الاجتماع، وكان الإخوة فى البلديات في غاية الحماس لتطبيقه على الفور ومنهم المرحوم إبراهيم بكار، والمرحوم عبد المجيد القعود، وأبوزيد دورده، ومحمد الحجازي، استمر النقاش لمدة يومين ثم انتقلنا لاستكمال المناقشة في الخمس، في عام 1986 تقرر نقل الأجهزة المركزية وقيادة القوات المسلحة إلى مدينة الجفرة، وصدرت تعليمات بعدم عقد اجتماعات للجنة الشعبية العامة أو أمانة مؤتمر الشعب العام بمدينة طرابلس، لضمان انتقال فعلي للأجهزة إلى الجفرة.

استكمل النقاش في الخمس وتم التوصل إلى صيغة بتشكيل لجنة من الإخوة أمناء الاقتصاد والتخطيط، وأمناء بعض البلديات لإعداد مشروع قرار بلائحة لممارسة الأنشطة الاقتصادية تتيح الفرصة لعودة التجارة وتسمح للقطاع الخاص بالعمل.

أمانة مؤتمر الشعب العام تقرر خصم شهر من مرتبات أعضاء اللجنة الشعبية العامة!

في اليوم التالي، استدعى عبد السلام جلود اللجنة للاجتماع بمقر اللجنة بطرابلس حضر جانبا منه، وكان مصرًا على اتخاذ قرار بعودة كل الأنشطة دون انتظار اللائحة، تم غادر القاعة إلى مكتب أمين

اللجنة، بدأ النقاش وكان يوجد بعض التحسس بيني والأخ أحمد إبراهيم من جانب، وعبدالسلام جلود من جانب آخر، بسبب نقاش سابق حول التعليم! بدأنا في استعراض اللائحة، وأخذت الكلمة، كان تعليقي ينصب على أهمية الأخذ في الاعتبار الأسباب التي أدت لإلغاء التجارة الخاصة ومنع أنشطة ما يسمى القطاع الخاص، وتحدث عن التخوف من عودة الرأسمالية المتغوله لذلك يجب التدقيق في النصوص، لكن جلود كان يتابع اللقاء وطلب إصدار قرار يسمح بمزاولة الأنشطة دون لوائح، وقلت إن القول بإعادة النشاط دون انتظار اللوائح قول غير مسؤول، ونتيجته الفوضى لا شك في ذلك، ما أن أنهيت حديثي حتى دخل غاضبا إلى القاعة، وأخذ الكلمة من الأستاذ عمر وقال: كيف يا زايدي بقال برجوازي؟، فقلت له: أنا لا أتحدث عن البقال أتحدث عن السمسرة والرشاوي والفساد الذي سيظهر في حالة العمل دون لوائح ودون ضوابط قانونية محددة وواضحة، فازداد غضبه ورد بعصبية: إن اللوائح تقيد النشاط الفردي، وحاول أن يشجع الإخوة على الشروع في التنفيذ فورا، لكن الذين يفهمون طبيعة جلود لم يأخذوا كلامه على محمل الجد، بعد مغادرته استمر النقاش في نصوص اللائحة.

بعد يومين أبلغني الأستاذ عمر أن الدكتور مفتاح الأسطي عمر رحمهما الله، أبلغه بخصم شهر من مرتب الأمناء بسبب ذلك الاجتماع المشؤوم.

كانت لي مع جلود إشكالية أخرى، إذ كان يرتبط بعلاقات شخصية مع بعض الأطباء، منهم من كان متحمسًا جدًا لفتح عيادات خاصة، ناقشنا في أمانة اللجنة الشعبية العامة للصحة موضوع

العيادات الخاصة وآثارها الإيجابية والسلبية على القطاع، واستقر الرأي على ضرورة الفصل بين العمل العام والخاص، فعلى من يرغب في العمل الخاص أن يترك العمل في القطاع العام، وهذا هو الحال في أغلب الدول المتقدمة خاصة الدول الأوروبية، عرضت الأمر على الأخ القائد رحمه الله في لقاء جمعني به مع الدكتور المرحوم مفتاح الأسطى عمر، فأقرني على ذلك الرأي، كان الدكتور مفتاح رحمه الله اشتراكي تقليدي وكان من الأساس ضد العمل الطبي الخاص، كان شعاره أن التطبيب خدمة إنسانية لا يمكن أن توضع في إطار أسواق التجارة، وكنت من المقتنعين بذلك، فلا يجوز أن ينتظر الطبيب زيادة أعداد المرضى ليزيد من دخله الصحيح أن الطبيب ينبغي يفرح ويبتهج عندما يتقلص عدد المواطنين المصابين بأمراض.

اشتكى بعض الأطباء إلى جلود حول موقفي من السماح لهم بفتح عيادات، اتصل بعمر المنتصر وطلب منه أن يصدر أمرًا يسمح بفتح العيادات الخاصة، لكن الأستاذ عمر تفهم وجهة نظري واحترم قرار أمانة اللجنة الشعبية للصحة، ذات يوم طلب مني الأستاذ علي فضيل مدير مكتب جلود الحضور، لأن جلود يريد مقابلتي، ذهبت إليه في قصر الشعب، وعندما حضرت وجدت ثلة من الأطباء بقاعة الاجتماعات، سألت من علي فضيل عن ماهية اللقاء فلم يملك إجابة، قلت له من المهم أن أقابل الرائد قبل الاجتماع، قال لي إنه طلب أن انتظر في القاعة، قلت له: إن لم أقابله قبل الاجتماع فلن أحضر، وهممت بالمغادرة دخل مسرعًا إلى مكتب جلود وخرج ليطلب مني الدخول إليه، بعد السلام والسؤال عن الأحوال "قلت له يا رائد عبد السلام هؤلاء من في القاعة يعملون في القطاع تحت إدارتي فلو

انتقدتني أمامهم فستضيع هيبتي، إن كانت لديك ملاحظات فمرحبا بها وإلا أعذرني عن حضور اللقاء"، على غير المتوقع قال: لا أنت ابننا وأنا أريد أن أتحدث عن مشاكل الصحة، دخلت معه القاعة وللأمانة كان اللقاء على غير ما أراده بعض الحاضرين، وأخذ في انتقادهم فردًا فردًا وكشفهم وقال لهم أنتم كل واحد يأتي إلي ويطعن في الأمين وفي الآخرين، ثم قال: هذا شاب ثوري نحن كلفناه بإدارة القطاع، من لا يريد التعاون معه يستقيل، بصراحة لم أتوقع ما قاله ولا أعلم إلى الآن هل هو تأثر بما قلته في مقابلتي القصيرة قبل الاجتماع أو أن القائد الشهيد طلب منه ذلك.

جمعة ساخنة

في أحد أيام – وكان يوم الجمعة - عام 1988 استدعينا صباحا على عجل إلى مقر القيادة، وجدنا أعضاء مجلس قيادة الثورة وأمانة مؤتمر الشعب العام، وأمناء اللجان الشعبية للبلديات القريبين من طرابلس، حضر أيضًا الأستاذ محمد الزروق رجب محافظ مصرف ليبيا المركزي، لا أحد يعلم سبب الاجتمـــاع، لكن القائد بدأ منزعجًا جدًا، طلب من محمد الزروق قراءة تقريره حول الوضع المالي واحتياطات العملة الصعبة التي وصلت إلى 150 مليون دولار فقط، كان تقريرًا مزعجًا بين الانخفاض الكبير في الدخل نتيجة انهيار أسعار النفط، واستمرار المصروفات بنفس الوتيرة العادية، الأمر الذي دفع المصرف للصرف من الاحتياطي من العملة الصعبة التي أخذت في النضوب، وجه سؤالًا بنبرة حادة كيف أنتم تعلمون بهذا الوضع المالي الخطير ولم تهتموا به؟ كيف لم تناقشوا هذا الأمر الخطير ولم تفكروا في حلول أو تتخذوا إجراءات حاسمة لرفع أرصدة العملة الصعبة التي

هي ضمانة الاستقلال والاستقرار بدل استنزافها، كان القائد منزعجًا بشكل لم أره فيه من قبل، وتساءل عن عدم مناقشة التقرير قبل تقديمه، رد المرحوم عمر المنتصر أمين اللجنة الشعبية العامة وقتها بأن التقرير لم يعرض على اللجنة ولا الأمانة، والآن فقط علمنا به ولا حتى اللجنة المالية التي يحضرها السيد المحافظ، فازداد غضبه من اللجنة ومن المحافظ، وقال إذا أنتم غير جادين، ثم أخذ في تلاوة فقرات من التقرير مشيرًا لحجم طلبات الإنفاق من بعض قطاعات خاصة الأمن أو القوات المسلحة والصحة والتعليم، بعد نقاش مستفيض اتفق على ضرورة العمل الفوري على رفع رصيد العملة الصعبة، والتقييد في تطبيق السياسة المالية التقشفية.

وفعلا وجه بضرورة تجنيب نصف دخل النفط والتصرف في النصف الآخر فقط مهما كان حجم الدخل، وألغيت أغلب الاعتمادات للمواد الاستهلاكية، وخفضت إلى الثلث مستحقات القوات المسلحة والأمن والصحة والتعليم، ووجه بأن تناقش الاعتمادات من قبل المصرف حالة بحالة وأن تعرض على القيادة قبل البث فيها، لقد فاقم ذلك الوضع من ظروف القطاع الصحي الصعبة وتأثر بها أيما تأثير، خاصة أن القطاع كان مثقلًا بأعباء إضافية نتيجة الحرب في الجنوب وما تشكله من التزامات، بالنظر إلى أن أمانة الصحة كانت مسؤولة عن الخدمات الطبية العسكرية أيضًا، ورغم ذلك وضعت اللجنة الشعبية العامة سياسة نجحت في امتصاص المشكلة الاقتصادية.

مؤتمر رأس لانوف

في 2 مارس 1988 انعقد مؤتمر الشعب العام بمدينة رأس لانوف النفطية لصياغة قرارات المؤتمرات الشعبية، وحضر الجلسة الافتتاحية عدة وفود عربية وأجنبية، كلمة القائد في جلسة الافتتاح كانت نقطة تحول ثورية في مسيرة ثورة الفاتح الوطنية، إذ أعلن قراره بالإفراج عن جميع السجناء المتهمين في قضايا سياسية، وهدم السجون التي يعتقل بها ناشطون سياسيون مهما كانت آراؤهم السياسية مختلفة مع ثورة الفاتح ووجه الدعوة لهم بنبذ الأساليب الحزبية والاندماج في ممارسة الديمقراطية الشعبية.

الثالث من مارس 1988 وقع الحدث المشهود وترددت منذ الصباح أنشودة المطرب السوداني محمد وردي من شعر محمد الفيتوري "أصبح الصبح فلا السجن ولا السجان باق".

ذهب القائد رحمه الله إلى سجن أبوسليم وهدم البوابة وأمر الحراس بأن يسمحوا للمسجونين بالخروج، وكانت صورة تاريخية تعكس الفرح بهذا القرار الثوري الشجاع، استثنى المسجونين في قضايا الإرهاب وأخلى سبيل بقية المسجونين، في اليوم التالي ذهب القائد إلى مبني الإدارة العامة للجوازات في شارع السيدي وألقى بكل الجوازات المتحفظ عليها من الشرفة، وطلب من أصحابها أخذها، ووجه بمنع حظر السفر على الليبيين، وألغى تأشيرات الخروج التي كان معمول بها في أغلب دول العالم ومنهم ليبيا.

بعد انتهاء المؤتمر التقى القائد بمجموعة من الإخوة كنت من بينهم مع الأخ إبراهيم أبوخزام أمين مساعد مؤتمر الشعب العام والأخ رجب أبودبوس أمين الإعلام، والأخ عمر اشكال، والأخ أحمد إبراهيم، والأخ إبراهيم بكار، والأخ محمد المجدوب، والأخ عبدالقادر البغدادي، والأخ سعيد راشد، والأخ عزالدين الهنشيري وآخرين، وطلب منا إعداد وثيقة تثبت الحقوق والواجبات للأفراد في الدولة الجماهيرية تعتبر مرجعية قانونية وسياسية للدولة الليبية، وفعلا تم توسيع المجموعة وعقدت طوال شهري مارس وأبريل عدة لقاءات توجت بصياغة الوثيقة الخضراء، في شهر مايو دعيت المؤتمرات الشعبية الأساسية لمناقشتها ولأن الوقت كان شهر رمضان المبارك فإن بعض المؤتمرات عقدت ليلا، شاركنا في شرح بنود الوثيقة للجماهير في جلسات مذاعة على الهواء مباشرة وكلفت بحضور مؤتمرات منطقة حي الأندلس والنواحي الأربعة بطرابلس، ولأن الوثيقة مصاغة بعناية فلم نجد صعوبة في إقناع المواطنين الأعضاء بالمؤتمرات لتبنيها.

يوم 11 يونيو 1988 انعقد مؤتمر الشعب العام لصياغة قرارات المؤتمرات الأساسية بخصوص الوثيقة في مدينة البيضاء بقاعة مجلس النواب سابقا والتي أطلق عليها "قاعة الحرية" ليلا عقدنا لقاء ختاميا مع القائد رحمه الله وتناولنا في لقاء مطول بنود الوثيقة بندا بندا، وصيغة بشكلها النهائي وأعلنت يوم 12 يونيو 1988.

***

حوارات في مجلس وزراء الصحة العرب

في أول مهامي الخارجية حضرت في المنامة بالبحرين اجتماعات المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة العرب، وكان الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة في الكويت مهيمنا على المجلس لكونه رئيس المكتب التنفيذي، ولكونه أقدم الوزراء، ولكفاءته أيضًا، فهو شخص مرح ودود، التقيت به في الجناح المخصص لي بالفندق ودار حديث حول جدول الأعمال، كانت العادة أن تدان إيران بسبب الحرب مع العراق الممولة خليجيا ولما تشكله من خطورة على أمن المنطقة، لكن بالنظر إلى موقفنا من الحرب الإيرانية العراقية، طلبت منه حذف الإدانة، دخلنا في حوار عميق وقلت له إن العراق يشن حربا نيابة عن الغرب وبما يخدم مصالح الكيان الصهيوني، لكن رده أضحكني كثيرا حيث قال: "يا مصطفى العدو الحقيقي إيران أما إسرائيل لا تساوي شيئًا نفخة هواء وتطير"، قلت له نحتاج إلى كوابس هواء عملاقة لننفخ إسرائيل، كانت إيران قد أقفلت السفارة الصهيونية في طهران وسلمتها إلى منظمة التحرير وأسمتها سفارة فلسطين، المهم قرر حذف الفقرة، خاصة بعد إصراري على إدانة فرنسا ومصر والسودان بسبب تدخلهم في تشاد وشن حرب على ليبيا من الجنوب.

تمكنت من توثيق علاقة جيدة مع أغلب الوزراء الذين كان يغلب عليهم الطابع الفني وليس السياسي، في العشاء تحدثنا عن الوضع العربي، وكنت قد تقدمت بمبادرة لتطوير التنسيق بيننا في مجال

السياسات الصحية وتوحيد التشريعات بهدف توحيد الخدمات الإنسانية.

كان رأيي يستند إلى أن العرب من الصعب أن يتوحدوا سياسيًا وأمنيًا لكن كل الأنظمة لن تمانع في توحيد القطاعات الخدمية والبشرية خاصة التعليم والصحة، لأن الأجهزة الأمنية لن تعتبرها خطرًا على الأنظمة، تحمس أغلب الوزراء للفكرة، لكن في العشاء قال وزير الصحة الأردني الدكتور زيد حمزة ممازحا: وهل يرضى القذافي بأن نوحد الخدمات الصحية؟، قلت له نعم، وعلى العكس سيشجع ذلك، وأردفت أن تكامل قطاعاتنا الطبية سينعكس إيجابًا على الاقتصاد وسيمكن من توفير الموارد، لو فتحنا العلاج لمرضانا في الدول العربية ستكون التكلفة أقل وربما النتائج أفضل، قال: لكن نحتاج إلى موافقة القيادات، قلت: بالتأكيد عندما ننجز الموضوع سوف نطلب الموافقات وأنا متأكد بأننا سنحصل عليها، كانت العلاقات الليبية الأردنية مقطوعة وتسودها حالة من العداء الشديد سائدة، قلت: أنا أستطيع أن أزور الأردن رغم العلاقات السياسية السيئة بيننا بسبب الاختلاف السياسي، قال: محرجا تفضل مرحبا بك، قلت: له ممازحا إذا سارافقك على الطائرة، شعرت بحجم الحرج الذي سببته له لكنه لم يرد، صباح اليوم التالي جاءني بالجناح وقال: يا أخ مصطفى لو أنت جاد تفضل أنت مرحب بك في الأردن، أيقنت أنه استأذن، وأن الدولة الأردنية تبحث عن وسيلة لإعادة التواصل مع ليبيا، لم أتردد وافقت على الفور، اليوم التالي ركبت طائرة إلى عمـــــان رفقة الدكتور زيد

حمزة، لم أتمكن من الاتصال بالقيادة لكني كنت على ثقة بأن خطوتي ستكون مقبولة.

كان الاستقبال جيدًا، واستقبلني رئيس الوزراء وولي العهد الأمير حسن، زرت عددًا من مصانع الأدوية والمستشفيات الخاصة، وأبرمت اتفاقا ينص على استجلاب عناصر طبية وطبية مساعدة أردنية لسد حاجة المراكز الطبية الليبية، وتوريد الأدوية الأردنية وإرسال المرضى الليبيين للعلاج بالأردن.

بمجرد عودتي أبلغت قلم القائد وطلبت مقابلة، وفعلا استقبلت مساء من قبل القائد رحمه الله، شرحت له فكرة مجلس وزراء الصحة العرب، والمبادرة التي طرحتها، وزيارتي غير المرتبة مسبقا للأردن، أعجب القائد بمبادرة توحيد القطاعات الخدمية بين الدول العربية تمهيدًا لأي وحدة سياسية وبتقوية الروابط العربية في مجال التعاون الطبي وشجعني على الاستمرار فيها، ورحب بمبادرة زيارة الأردن.

بعد شهر وجهت دعوة إلى الدكتور زيد حمزة لزيارة ليبيا لاستكمال التباحث في مجالات التعاون، لبى الدعوة، أثناء الزيارة تم استكمال توقيع الاتفاقيات، وأبلغت القيادة بوجوده، اتصل بي قلم القيادة وأبلغني أن القائد في انتظار الوزير في سرت، وفي اليوم التالي تم ترتيب طائرة صغيرة وانطلقنا إلى سرت.

دخلنا على القائد في خيمته بالعثعث، وبعد السلام والمقدمات الدبلوماسية من الوزير، التف إليه القائد وسأله أنت زيد حمزة، ما صلة قرابتك بفلان حمزة؟ رد الوزير أنه شقيقي لكن السؤال كان مفاجـــأة

كبرى على الوزير، شقيقه كان ضابطًا بالجيش الأردني انشق في الستينيات وفر بطائرته إلى مصر، إلا أن قصته طواها النسيان، تحول بعدها الحديث إلى الوضع العربي والمستقبل المظلم وإلى أهمية توحيد الجهود، وقال القائد: إنه يشجع بقوة التعاون الصحي بين البلدين وطلبنا أن ندمج الوزارتين، ورحب بفكرة سفر المرضى للعلاج بالأردن بدل أوروبا، رجعنا إلى طرابلس وكان الوزير الأردني منبهرا بذاكرة القائد واهتمامه بالتفاصيل وثقافته الواسعة، قال لي: أنتم مقصرون في تقديم حقيقة الرجل واستكنتم للدعاية المعادية له.

في منظمة الصحة العالمية

حضرت في نهاية شهر مايو 1987الاجتماعات الدورية لمنظمة الصحة العالمية، كان يصادف شهر رمضان المبارك، في جنيف مقر المنظمة في شهر مايو كان النهار طويلًا والمغرب متأخرًا الساعة التاسعة مساء، لم يكن صائمًا من الوزراء العرب المشاركين في المؤتمر سوى العبد الفقير لله، والدكتور حسين أبوصالح وزير صحة السودان الذي عين أعقاب الثورة الشعبية التي أطاحت بالنميري والتي قادتها نقابة الأطباء ممثلة في الدكتور الجزولي دفع الله، والدكتور أبوصالح، وفى حوار جانبي مع مدير إقليم شرق المتوسط وهو سعودي الذي كان يحتسي القهوة أثناء الاستراحة قلت له: هل يجوز إظهار الإفطار في رمضان بهذا الشكل الذي يعكس عدم التزام المسلمين بدينهم؟، رد عليّ "بأن الله يحب أن تؤتي رخصه كما تؤتي

عزائمه"! وأنه من المكروه الصوم والإنسان على سفر، سألته متهكما وماذا عن قوله عز وجل و"أن تصوموا خير لكم".

كانت المناقشات في أروقة منظمة الصحة العالمية كغيرها من المنظمات الدولية المتخصصة فنية في معظمها، وكانت تلك الاجتماعات تعقد في ظل هيمنة الحرب الباردة بين الشرق والغرب.

وزير الصحة التشادي بدعم فرنسي تهجم في كلمته أمام الجلسة العامة على ليبيا وادعى أن ليبيا استخدمت الغازات السامة في قصف المدنيين، قمت بالرد عليه وأوضحت طبيعة الصراع في تشاد وأن أراضي تشاد تستخدم كموطئ قدم لقوات دولية تحارب ليبيا، وقلت: إن بلادي تدافع عن سيادتها وسلامة أراضيها، وأنها لا تمتلك غازات سامة، فلماذا لا نقول إن فرنسا هي من تستخدم الأسلحة الكيمياوية في تشاد، وذكرت بالتلاحم الليبي التشادي إبان مرحلة الاستعمار، وأن عمر المختار كان يقاتل ضد فرنسا في تشاد وأن المجاهد قجه التشادي كان يقاتل الإيطاليين مع المجاهدين الليبيين، وكان عليّ القيام بجهود واتصالات واسعة لتفنيد تلك الأكاذيب.

عام 1988 كان حضورنا أكثر تميزا فلقد طرحت على وزراء الصحة العرب في اجتماعهم الدوري بشهر مارس فكرة المطالبة بإدخال فلسطين كعضو في المنظمة بالنظر إلى حاجة فلسطين لدعم منظمة الصحة العالمية، كان يترأس وفد فلسطين الدكتور فتحي عرفات شقيق الشهيد ياسر عرفات، وكان يشغل وظيفة رئيس الهلال الأحمر الفلسطيني، تمت الموافقة على المقترح، وتبنته المجموعـــة

العربية وقدمنا طلبًا رسميًا إلى أمين عام المنظمة، واجه الطلب معارضة قوية من المجموعة الغربية بذريعة أن ذلك شان سياسي من اختصاص الجمعية العامة للأمم المتحدة، إلا أن ردنا استند إلى أن منظمة الصحة العالمية بالرغم من أنها إحدى وكالات الأمم المتحدة إلا أنها تهتم بالقضايا الإنسانية، وأن دول كثيرة ليست عضوات بالأمم المتحدة وهي عضو بالمنظمة ومنها الدولة المضيفة سويسرا، بعد مناقشات طويلة، عرض الأمر للتصويت، طلبنا أن يكون التصويت علنيا وبتسمية كل دولة وتعلن موافقتها أو رفضها، رفض القرار بأغلبية بسيطة نتيجة للضغوط التي مارستها أمريكا والدول الغربية، بعد التصويت المتبع في جلسات المنظمات الدولية تقوم كل دولة بتبرير تصويتها، تناوبت الدول على أخذ الكلمات لتشرح مبررات موقفها من البند المطروح، عند كلمتي قلت: **"إنه يوم حزين في تاريخ المنظمات الإنسانية وأنه نكسة للمطالبات الشعبية الواسعة في العالم والمنادية باحترام حقوق الشعوب، وأشرت أن دولًا غير معروف مواقعها على الخريطة تعترض على عضوية فلسطين في المنظمة، فلسطين مهد السيد المسيح وموقع المسجد الأقصى وما يعني ذلك من دلالات روحية لأغلب سكان العالم، كنت أقصد بعض الجزر غير المعروفة فعلا مثل جزر الكوك وسليمان وغيرها من الجزر الصغيرة المتناثرة في المحيط الهادي والكاريبي، على ضم دولة بحجم فلسطين وما تعنيه في التاريخ الإنساني والنضالي"**.

في اليوم التالي كتبت الصحف السويسرية أن وزير الصحة الليبي يتساءل من جنيف أين تقع سويسرا على الخارطة؟ الأمر الذي

يبين حجم سيطرة الصهيونية على الإعلام العالمي وقدرتها على تزوير الحقائق واختلاق الأكاذيب!.

في شهر مارس عام 1989 نظمنا في طرابلس الاجتماع العادي لمجلس وزراء الصحة العرب، كان اجتماعا مهما، حيث حضر لأول مرة كل وزراء الصحة، واستقبلهم القائد مطولا، وتم أثناء حضورهم افتتاح مستشفيات تخصصية منها: مستشفى الكلى بالزهراء، ومستشفى الحروق، ومستشفى علي عسكر لجراحة الأعصاب.

كان هناك مطالب من وزير صحة العراق ودول الخليج للمطالبة بعودة مصر إلى المجلس، وبالنظر إلى حساسية الأمر اتفقت مع رئيس المكتب التنفيذي وهو مغربي اسمه الطيب ابن الشيخ على عدم إدراج البند لما سيشكله من حساسية لنا، فوافق ورفض الطلب بأنه إذا قررت القمة العربية إعادة مصر إلى الجامعة العربية فستكون عضوًا تلقائيًا بمجلس وزراء الصحة، اتخذت عدة قرارات تتعلق بالعمل العربي المشترك في مجال الصحة كما اتفق على ترتيبات التحرك في الجمعية العامة لمنظمة الصحة العالمية.

بعد تولي زين العابدين بن علي الحكم في تونس في 7 نوفمبر تطورت العلاقات السياسية بين البلدين، كان بن علي يبحث عن علاقة وثيقة مع ليبيا ويطلب دعمها له لإخراج تونس من أزمتها، توسع التنسيق في المجال الطبي بين ليبيا وتونس خاصة مع تكليف الصديق الدكتور حمودة بن سلامة وزيرًا للصحة، وكنت أعرفه سابقا في اتحاد

الأطباء العرب، كان الدكتور حمودة أيام حكم الرئيس أبورقيبة معارضًا سياسيًا ومناضلًا قوميًا، في زيارته إلى ليبيا تم توقيع عدة اتفاقات تكامل حقيقية بما فيها عطاء موحد للأدوية والمستلزمات الطبية، وتشجيع الليبيين على العلاج في المصحات التونسية وتسهيل إجراءاتهم، كانت سياستي تقوم على أن المواطن الليبي يرغب في التأكد من حالته الصحية في الخارج مهما كانت نوعية الخدمات المقدمة في ليبيا، وذلك يمكن أن يتأتى بصورة أفضل في الدول العربية، حيث تنتشر مصحات خاصة، لذلك عملت على فتح وسائل علاج في الأردن وتونس، ولم يكن قبلها الليبيون يتوجهون لها ولا أدري الآن هل كان ذلك أمرًا مفيدًا أو ضارًا بالنسبة للقطاع الصحي.

علاقات مع الجزائر

عام 1988 بعد زيارة تاريخية للرئيس الشاذلي بن جديد حصل تحسن كبير في العلاقة الليبية الجزائرية، وتم فتح حوار تاريخي لتوحيد البلدين وخلق تكامل حقيقي بينهما، وفتحت مجالات واسعة للتنسيق.

كنت في زيارة رسمية إلى المجر لمناقشة العلاقات الصحية، حيث كان للمجر فرق طبية في ليبيا وكانت شركات مجرية تنفذ بعض الأعمال الإنشائية في ليبيا، تم تغيير طبيعة العقود مع الخبراء المجريين بحيث يتم التعاقد فرديا مع الخبراء المجريين بعد الاطلاع على سيرهم المهنية، بعد حوارات مطولة وصعبة قبل الجانب المجري

بذلك، وفتح ذلك الاتفاق الطريق لنقاشات بقية الدول التي لديها فرق طبية في ليبيا خاصة بلغاريا، ويوغسلافيا، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا، وألمانيا الديمقراطية، وكوبا، وكوريا الشمالية.

بعد انتهاء الزيارة بنجاح قررت العودة عبر النمسا فهي فرصة لزيارة بعض الأصدقاء هناك ولمحاولة الاستفادة من الخبرة الطبية النمساوية، اتجهت إلى فيينا بواسطة سفينة عبرت نهر الدانوب أحد أطول وأعرض أنهار أوروبا، وهو نهر متفرد حيث يتجه جنوب شرق ليصب في البحر الأسود عكس كل الأنهار الأوروبية التي تتجه شمالا، كانت رحلة نهرية ممتعة، بمجرد وصولنا فيينا وبعد الحجز في الفندق مباشرة جاءني الإخوة بالمكتب الشعبي وأبلغوني أن القيادة تبحث عني بشكل مستعجل وضروري، اتصلت بقلم القيادة، فطلبوا مني التوجه فورًا ومباشرة إلى الجزائر لأن الرائد عبدالسلام جلود متجه إلى هناك في زيارة مهمة وأنا من ضمن الوفد، من حسن الحظ كانت رحلة فيينا الجزائر صباح اليوم التالي فأخذت الطائرة إلى مطار هواري أبومدين، وهي أول مرة أزور فيها الجزائر، التحقت مباشرة بإقامة الوفد الذي يقوده الرائد عبد السلام جلود بإقامة الميثاق المخصصة للوفود الأجنبية.

كان من ضمن الوفد المرحوم عمر المنتصر أمين اللجنة الشعبية العامة، والأخ امبارك الشامخ أمين المواصلات وقتها، والسيد سعد مجبر أمين المكتب الشعبي بالجزائر، وعدد من الإخوة الفنيين، مباشرة بدأت جلسات المباحثات بين الوفدين، حيث ترأس الوفد الليبي

الرائد عبدالسلام جلود، والوفد الجزائري محمد الشريف مساعديه أمين جبهة التحرير الجزائرية، وضم الوفد رئيس الوزراء الجزائري الأستاذ عبدالحميد الإبراهيمي، ووزير النفط العربي بلخير، ووزير شؤون الرئاسة، ووزراء الصحة والمواصلات والاقتصاد وعدد من الفنيين والقيادات القومية منهم العربي الزبير، لقد كان الحوار جادًا ومعمقًا حول المشاكل التي تواجه القطرين خاصة في مجالات الطاقة والاقتصاد والتعليم والصحة، وأن ذلك يمكن معالجته ببناء تكامل فعلي بين ليبيا والجزائر، - خلصت الاجتماعات التي استمرت ثلاثة أيام متواصلة في جلسات صباحية ومسائية - إلى توافق حول النقاط المطروحة للبحث، وتطور النقاش لضرورة دمج البلدين سياسيًا واقتصاديًا، وتم تشكيل فرق عمل لصياغة وثيقة الاتحاد بين الدولتين واقتراح آليات تكاملية جدية بين القطاعات، عندما رجعنا إلى ليبيا كان القائد في بنغازي، فتوجهنا مباشرة إلى بنغازي بدل طرابلس كما كان مبرمجًا، واستقبلنا القائد رحمه الله بمجرد وصولنا، قدم عبدالسلام جلود ملخصا بالنتائج، وحماسة الإخوة الجزائريين للتكامل والوحد، نظر القائد رحمه الله إلى خارطة معلقة على جدار المكتب للوطن العربي ورسم بالخطاط على الخارطة حدود ليبيا والجزائر وموقعًا، وعلق لو تحقق هذا فعلا فستولد دولة عملاقة في قلب شمال أفريقيا ومغرب الوطن العربي وجنوب المتوسط، من خلال النقاش بدا القائد متشككا في حقيقة النوايا الجزائرية تجاه الوحدة، بينما كان جلود متحمسا معتقدا بوجود تحول حقيقي في التفكير الجزائري نحو قضية الوحدة مع ليبيا وأهميتها.

للأسف لم تتطور إجراءات الوحدة وبقيت حبيسة أوراق المحاضر رغم انعقاد جلسة حوار ثانية، وفعلا صدقت شكوك القائد في حماس الجزائر للوحدة.

لكنها بالنسبة لي كان فرصة لبناء علاقات تعاون في مجال الصحة، ووجدت في وزير الصحة الجزائري وقتها السفير جمال حوحو شريكًا مناسبًا، فتكررت الزيارات بيننا وتعرفنا على تفاصيل النظام الصحي في البلدين واتفقنا على التنسيق في قضايا توريد الأدوية.

عند إعلان قيام اتحاد المغرب العربي وجدنا في توافقات التعاون بين ليبيا وتونس والجزائر قاعدة لتقريب النظام الصحي في ليبيا وبقية دول المغرب العربي، وكان أيضًا للأستاذ الطيب ابن الشيخ وزير الصحة المغربي دورًا مهمًا في بناء تعاون جدي، تمثل في عطاء مغاربي موحد للأدوية، وتوحيد برنامج التحصينات، وتنفيذ يوم مغاربي للتطعيمات في كل دول الاتحاد، ومشاركة الأطباء الليبيين في مناشط جمعية الأطباء المغاربية، لكن تلك الجهود الكبيرة التي أريد لها أن تكون لبنات في التكامل السياسي والاقتصادي في المغرب العربي، تعطلت نتيجة وضع الاتحاد في الفريز، ولا أحد يعلم لماذا وكيف توقفت كل المجهودات الوحدوية رغم ثبات قيادات تلك الدول، ربما كان للعشرية السوداء التي تفجرت في الجزائر دور في ذلك، فعمدت على معالجة مشاكلها وتفرغت لمحاربة الإرهاب.

حكاية المصمودي

وكعادة العرب الكلام طيب والفعل قليل، "وكلام الليل مدهون بالزبدة " لم تنتج أشياء مادية فعلية من الحوارات التي تكررت كثيرا مع الجزائريين، وكان الحال كذلك في القطاع الصحي، لكني نجحت في تكوين علاقات صداقة جيدة مع وزراء الصحة الذين تبادلوا على الوزارة وأولهم السفير جمال حوحو، والذي زار ليبيا مرتين، وزرت الجزائر في عهده أكثر من مرة، كان حوحو سفيرا للجزائر لدى مصر قبل زيارة السادات إلى القدس، ذات مرة دار بيني وبينه حديث على أمور عدة، سألني عن دبلوماسي ليبي اسمه ميلود كان قنصلا سابقا لليبيا في مصر، لم أكن أعرف الرجل، لكن حوحو أخبرني بأن الرجل بعد القطيعة بين مصر وليبيا عام 1977 بقي في مصر وكانت له علاقات ممتازة مع عدد من المصريين، وكان يرتبط بعلاقة جيدة مع السفير حوحو، يقول السيد حوحو: "ذات ليلة حوالي منتصف الليل قدم ميلود إلى البيت وأصر على مقابلتي دون اتصال مسبق وبلا ترتيب، يبدو أنه لا يريد للأمن المصري أن يعرف بالزيارة نتيجة للمكالمة الهاتفية، أبلغني الحارس بالأمر، استقبلته فأفادني بأن محمد المصمودي وزير خارجية تونس سابقا ومصمم مشروع الوحدة الاندماجية بين تونس وليبيا، وصل مساء اليوم إلى القاهرة وأخذ إلى مكان مجهول وربما يتم تسليمه إلى تونس صباح الغد"، قلت له: مـــا العمل؟ قال: ضروري التصرف، ولأن علاقة عادية تربطني بالمصمودي، فكرت في الأمر ونظرًا للطبيعة الاستعجالية لم أنتظر إلى الصباح لأستاذن الحكومة وقتها فيما أفعل، اتصلت برئاسة

الجمهورية في مصر وأبلغتهم أن معلوماتي تؤكد وجود المصمودي في القاهرة وأني آمل تأمينه إلى حين الرد من الجزائر لأني أبلغت السلطات الجزائرية بالأمر، أبدى موظف الرئاسة استغرابه، حاول إفهامي أنه لا علم لهم بمجيء المصمودي وربما هو في زيارة خاصة، وقال: إنه سيستفهم على الموضوع ويفيدني، لقد كان إستغرابه الأشد على سرعة وصول المعلومة إليّ في السفارة الجزائرية، كتبت رسالة مشفرة إلى وزارة الخارجية ذكرت لهم ما قمت به في الليل، اليوم التالي جاءني الرد من الجزائر وأنهم يرحبون بالمصمودي، كما اتصلت بي الرئاسة المصرية وأفادوني أنه فعلا المصمودي قد وصل، وأنه شخص غير مرغوب فيه ويمكنه السفر بلا شوشرة إلى الجزائر وهكذا كان.

في عام 1988 تعرفت على وزير الصحة قاصدي مرباح وكان رجلًا فذًا من رجال بومدين، وكان مسؤولا عن الأمن، ومسؤولا عن التصنيع لكنه بعد وفاة بومدين وضع كغيره على الرف بسبب مواقفه من السلطات التي جاءت بعد بومدين، نتيجة للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر التي سببت انتفاضة 1988 استعانت الحكومة الجزائرية بالكفاءات القديمة ومنهم مرباح، في لقاءت الوحدة بين ليبيا والجزائر التقيت مرباح في اجتماع مطول لكنه لم يكن مستوعبا لطبيعة القطاع الصحي الذي كلف به، لم يستمر طويلًا في وزارة الصحة حيث عين رئيسًا للحكومة الجزائرية وتم اغتياله في عملية إرهابية، القرار في الجزائر كان معقدا وبيروقراطيا، وكانت الجزائر تمر بأزمة حقيقية تراها في أعين الناس، وكانت إرهاصات

انتفاضة بارزة يلاحظها الزائر إلى الجزائر دون عناء، كانت أزمة السكن في أشدها وكذلك البطالة وكانت المعالجة الأمنية عاجزة تماما حيث أن بن جديد ليس بومدين ولا يمتلك قوته وقدرته، لكل ذلك لم نتمكن من تطوير تعاون حقيقي بين قطاع الصحة في البلدين مقارنة بالتطور الذي شهدته العلاقة مع تونس والأردن وسوريا.

إعلان زرالده

في العاشر من شهر يونيو 1988 التقى القائد معمر القذافي والحسن الثاني، والشاذلي بن جديد، وزين العابدين بن علي، ومعاوية ولد الطائع، بالجزائر واتفقوا على إنشاء اتحاد المغرب العربي وشكلوا لجانًا لوضع الوثائق الخاصة به، وفي 1989/2/17 في قمة مراكش أعلن تأسيس الاتحاد رسميًا كمجموعة تكامل بشري وسياسي واقتصادي في إقليم المغرب العربي، وتشكلت أمانة عامة له واتخذ من الرباط مقرًا له، ومن بين أهدافه:

- تمتين أواصر الأخوة التي تربط شعوب المغرب العربي، وتحقيق تقدم ورفاهية مجتمعاتها والدفاع عن حقوقها.
- فتح الحدود بين الدول الخمسة، ومنح حرية التنقل للأفراد والسلع ورؤوس الأموال.
- التنسيق الأمني والعسكري للدفاع على أمن وسيادة الدول الأعضاء.
- صيانة استقلال الدول الأعضاء.

- نهج سياسة مشتركة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- تحقيق التنمية الصناعية والزراعية والتجارية للدول.
- تنمية التعليم بالاتحاد وصيانة الهوية القومية والحفاظ على القيم الروحية وفقا لتعاليم الإسلام السمحة.

وتألف هيكله الإداري من:

1- مجلس الرئاسة الذي يتكون من القادة.

2- مجلس وزراء الخارجية.

3- لجنة المتابعة.

5- اللجان الوزارية المختصة وهي: لجنة الأمن الغذائي، ولجنة الاقتصاد والمالية، ولجنة البنية الأساسية، ولجنة الموارد البشرية.

وتكونت مؤسساته من أمانة عامة يترأسها تونسي ومقرها الرباط، ومجلس شورى مقره الجزائر، والهيئة القضائية، والأكاديمية المغاربية للعلوم، وجامعة المغرب العربي، ومصرف المغرب العربي للاستثمار والتجارة الخارجية.

بعد إعلان اتحاد المغرب العربي تشكلت فرق عمل مختلفة لبناء مؤسسات اتحادية، منها لجنة تعمل في مجال الموارد البشرية تضم وزراء التعليم والصحة والتدريب والشباب، كانت فرصة لطرح فكرة تكامل حقيقي لخدمات القطاع الصحي رغم الاختلاف بين النظام الصحي في ليبيا المبني وفقا للمدرسة الإنجليزية والنظام الصحي في بقية دول المغرب المبني على المدرسة الفرنسية، بذلت أمانة الصحة في ليبيا جهودا كبيرة للتنسيق من أجل دمج القطاع وتوحيد التشريعات،

وقدمت مشروعات حقيقية من قبيل العطاء الموحد للأدوية ويوم المغرب العربي للتطعيمات، إضافة لتوحيد التشريعات الصحية، وتسهيل إجراءات تنقل المرضى والطواقم الطبية بين بلدان المغرب العربي، لكن أغلبها وضعت في الثلاجة كما وضع الاتحاد نفسه فيها.

للأسف ككل المحاولات الوحدوية، كان مصير اتحاد المغرب العربي فوضع في وضع التجميد التام، خاصة بعد اندلاع الاضطرابات العنيفة في الجزائر، ودخولها دوامة العنف.

مصنع الرابطة

في عام 1989 تصاعد الضغط الغربي بذريعة امتلاك ليبيا للسلاح الكيماوي وإنتاجه في مصنع الرابطة، كما ازدادت وتيرة التهديد بالعدوان العسكري وتدمير المصنع، كانت الدعاية الغربية حول المصنع في أوجها، واتخذت الدولة كافة التدابير للتصدي لأي عدوان محتمل، وتم تحصين المصنع قدر الإمكان، كما نظمت الجماهير الليبية احتجاجات واعتصامات مدنية بمقر المصنع بالرابطة كدروع بشرية لحمايته، اتصل بي قلم القيادة وأبلغني أن صحفية أمريكية تعمل مراسلة لعدد من المحطات واسعة الانتشار اسمها "بربارا" قابلت القائد حول موضوع مصنع الرابطة، وأنه أشار إليها أن تقابلك لأنه لديك تفاصيل أوسع حول الموضوع، كانت المعنية تقيم بالفندق الكبيـــر بطرابلس، تواصلت معها واتفقنا على اللقاء في بهو الفندق، وكعادة الغربيين حاولت المراوغة بالقول إنها متعاطفة مع ليبيا وإنها قادمة للمساعدة لإخراج ليبيا من هذه الأزمة، وأن الأمر بسيط لو تمكنت من زيارة المصنع وتصويره ونشر الصور مباشرة عبر المحطات الأمريكية، فذلك سيغير الرأي العام الأمريكي والعالمي الذي سيضغط على

الحكومات بعدم المجازفة بأي إجراء عسكري ضد ليبيا، وفي لغة تنقل رسالة تهديد بدأت وكأنها تبيح لي سرًا بأن خطط الهجوم على المصنع متكاملة وأن ساعة الصفر ستكون في غضون ساعات وليس أيام، ومن المهم أن تنجز مهمتها الآن وإلا فإن الأمر سيتأخر وتخرج الأمور من يدها وستكون عاجزة عن تقديم المساعدة، ولأني أدرك بالعقلية الغربية وأساليبهم في الوصول إلى أهدافهم، سألتها ضاحكا وهل الغرب ليس لديه صور لمصنع الرابطة لينتظر وصول صورك المباشرة، ليتغير الرأي العام؟، قلت لها: أنتم ترسلون صورًا مباشرة من القمر، فهل يصعب التقاط صور لقرية ليبية اسمها الرابطة؟، فهمت ما أرمي إليه، وقالت إن القذافي وعدني بأن يسمح لي بزيارة المصنع! قلت لها: لو وعدك القذافي لماذا طلبت مقابلتي!، قالت: لإنه أشار عليا بمقابلتك لأنك سترتب الأمر، قلت لها: إذا هنا بيت القصيد، يا سيدتي مصنع الرابطة مصنع للأدوية، وأنا مسؤول عن قطاع تصنيع الأدوية ولا أرى داعيًا لتصوير مصانعنا وبثها على الهواء ليرضى عنا الغرب، امتعضت وتكلمت في نبرة تحد؛ لكني سأزور المصنع! قلت لها: هذا شأنك! لكن أنا مسؤول فني ولا علاقة لي بالسياسة، مصنع الرابطة للأدوية وحكومتكم تعلم ذلك، وهي تبحث عن ذرائع لمهاجمة بلادنا وستجد ذرائع أخرى حتى لو أسقطنا ذريعة مصنع الرابطة.

بعد المقابلة اتصلت بالقلم وأبلغتهم بما دار معها، وعلمت منهم أنها أحرجت القائد وأنه أحالها إليَّ للتخلص من إلحاحها، وقد سر جدًا بطريقتي في التعامل معها.

زار ليبيا الدكتور زيتوني وزير الصحة الجزائري، وأثناء الزيارة أصابني تقلص حاد في عضلة الظهر أجبرني على الإقامة بالمستشفى، وقام الصديق الأستاذ مراد لنقي بمعالجتي بحقن، كانت

أشد ألما من ألم الشد العضلي، لم أتمكن من مصاحبة الوزير في زيارته وتولى الأمر الأخ حبيب تامر الكاتب العام بالأمانة، أبلغت قلم القيادة بزيارة الوزير فطلبوا مني إمكانية زيارة مصنع الرابطة للأدوية، وفعلا بالرغم من الشد العضلي اصطحبت الوزير وذهبنا إلى الرابطة حيت تجولنا في مجمع الورش التابع للمصنع، وتم بث الصور، وكانت أول صور تنشر لبعض مواقع مجمع الرابطة للصناعات.

تصاعد الضغط الغربي حول مصنع الرابطة وتصاعدت معه المواقف المتصلبة لليبيا تجاه لغة التهديد، واستمرت الحشود الشعبية من كل ليبيا في التوافد على الرابطة، ولتشتيت انتباه الدوائر الغربية نشب حريق مفتعل في بعض أجزاء المصنع واستغل الحادث لتوجيه الاتهام للدوائر الغربية، في تقديري الخاص أن الغرب كان يدرك خطورة امتلاك ليبيا لسلاح ردع استراتيجي خاصة بالنظر لسهولة تصنيع القنبلة الكيماوية قنبلة الفقراء كما يسميها القائد رحمه الله، لكن الغرب أيضًا لم يكن راغبًا في تصعيد عسكري جدي مع ليبيا لذلك ركن إلى لغة التهديد والوعيد.

تصاعدت التهديدات الغربية بذريعة الصناعة الكيمائية في الرابطة، وكما أسلفت تحدى الليبيون تلك التهديدات بالاعتصام البشري المستمر، طلبت من الإخوة في المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة العرب وكان يترأسه الطيب ابن الشيخ، دعم ليبيا في مجال صناعة الأدوية، والوقوف معنا ضد التهديدات الغربية وفعلا كانت الاستجابة قوية من وزراء الصحة العرب، حيث حضر وفدًا ضم وزراء ووكلاء وزارات وموظفين كبار ليشاركوا في الاعتصام الذي انتظم على مدار الساعة بالمصنع، وأشير هنا إلى الدور الهام لاتحاد الصيادلة العرب

برئاسة الدكتور علي إبراهيم، واتحاد الأطباء العرب الذي كان يسيطر عليه الاتجاه القومي برئاسة الدكتور حسن خريس، قبل أن يتمكن الإسلاميون من التسلل إلى صفوفهم في إطار مخطط التمكين الذي يتبنونه على المستويات القطرية والقومية.

عودة مصر

بعد زيارة السادات المشؤومة إلى دولة الكيان الصهيوني عام 1979، طردت مصر من عضوية جامعة الدول العربية، ونقل مقر الجامعة إلى تونس واختير السيد الشاذلي القليبي أمينا عاما لها، ولذلك خرجت مصر من كل المنظمات التابعة للجامعة العربية وقتها مجلس وزراء الصحة العرب، عام 1989 توافق القادة العرب على إرجاع مصر إلى الجامعة العربية، وحضر حسني مبارك القمة العربية العادية التي عقدت بمدينة الدار البيضـــــاء بالمغرب، على هامش القمة التقى الرئيس حسني مبارك مع القائد رحمه الله، تقرر فيه إعادة العلاقات بين ليبيا ومصر إلى طبيعتها، وفتح آفاق التكامل الاقتصادي بين البلدين الشقيقين.

بعد عودة القائد إلى الجماهيرية من المغرب، استدعيت أنا والأخ أحمد إبراهيم فك الله أسره إلى منطقة السدادة، حيث التقينا بالقائد الشهيد في لقاء ودي، حدثنا فيه عن قمة الدار البيضاء وما دار بها من نقاش وعراك بين المرحومين صدام حسين وحافظ الأسد، والاتهامات المتبادلة والتي استمرت لساعات، وأن القائد جلب كراسي ونام عليها

إمعانا في الاستهزاء بالحوار، إلى بعض التفاصيل الأخرى حول المناقشات والمناكفات، وحدثنا عن لقائه بحسني مبارك وأنه كان لقاءا حميما وتم فيه استيضاح أمور كثيرة، وأن الرئيس حسني مكبل باتفاقية "كامب ديفيد" وأنه لا يستطيع الخروج منها لكنه لن يزور الكيان الصهيوني ولن يسمح بالتطبيع معه، وكان الأخ أحمد يمازحه ويقول له احفظ كلمة مبارك حتى لا تخطئ وتقول البارك.

واقترح القائد علينا أهمية فتح قنوات تواصل بالمصريين، وإعادة العلاقات إلى طبيعتها ومساعدة الرئيس مبارك في الخروج من ورطة "كامب ديفيد".

في اليوم التالي، اتصلت بوزير الصحة المصري الدكتور محمد راغب دويدار، وكنت أعرفه من خلال منظمة الصحة العالمية ودعوته لزيارة ليبيا لفتح آفاق التعاون الصحي بين البلدين، بعد يومين رد بالموافقة، وفعلًا وصل مطـــــار طرابلس على رأس أول وفد رسمي مصري يزور الجماهيرية منذ عام 1977، وعقدنا عدة اجتماعات ونظمنا له لقاءات مهمة تعرف من خلالها على مستوى الخدمات الطبية في ليبيا، ووقعنا اتفاقات تعاون في المجال الصحي والدوائي، وتشرف بمقابلة القائد الذي طلب منا إدماج قطاع الصحة في البلدين ليبيا وفي مصر.

في عام 1990 وبينما كنت حاضرًا لاجتماع لجنة الموارد البشرية التابعة لاتحاد المغرب العربي قبل أن يوضع في الثلاجة، أنا والإخوة أحمد إبراهيم، ومعتوق محمد، وعلي الشاعري، اتصل بي قلم القيادة وطلب مني العودة فورًا أنا والأخ أحمد إبراهيم، وأخبرني بأن طائرة خاصة في طريقها لنقلنا إلى سرت، وفعلًا بعد أقل من ساعة

اتصل بي كابتن الطائرة وأبلغني أنه بمطار تونس ينتظرنا، على عجل لملمنا حقائبنا واستقلينا الطائرة، أبلغنا الطيار أن الوجهة هي مدينة سرت، لم نعلم الأمر الذي أدى إلى هذه العجلة، لكن ما أن وصلنا حتى علمنا أن القائد سيزور مصر في اليوم التالي، ومطلوب منا مرافقته، سافرنا برا إلى بنغازي ومنها بالطائرة إلى مدينة أسوان كان في الرحلة الدكتور فتحي شتوان، والمهندس عبد المجيد القعود.

تلك هي المرة الأولي التي يحط فيها القائد الأراضي المصرية منذ حرب 1973، كان يتجنب زيارة القاهرة كأول محطة بسبب وجود سفارة الكيان الصهيوني، كان استقبال القائد من قبل الرئيس مبارك رائعًا، وشعرنا أن علاقة قوية بدأت تتكون بين الرجلين، عقدنا نحن مباحثات بين الجانبين، ترأس الجانب الليبي الأخ أحمد إبراهيم، والجانب المصري عصمت عبد المجيد وزير الخارجية آنذاك، وحضر القائد والرئيس مبارك جانبا من المباحثات.

يقول الأخ عبد المجيد القعود مازحًا: إن الزائدي لم يتعود على الألقاب الوزارية فكان يقول لكل شخص: "يا معالي سعادة فخامة إلى آخره..." لم يكن يعلم أن الليبيين سيضطرون يوما للتعرف على هذه الألقاب النفاقية البائسة.

مع سانكارا

توماس سانكارا قائد أفريقي ثوري، نجح فريق عمل ساحة غرب أفريقيا بمكتب الاتصال باللجان الثورية في التواصل معه في فولتا العليا سابقا، عندما كان ضابطا صغيرا في الجيش يتموقع في منطقة حدودية مع مالي، بدعم من الإخوة في الفريق أسس تنظيمًا ثوريًا يساريًا مع مجموعة من الضباط الصغار منهم "بليز كامباوري"،

و"جلبيرت"، و"ساليف ديالو" وغيرهم، خططوا لانقلاب على الحكومة الفولتية المرتبطة بالفرنسيين، كانوا أيضًا على تواصل مع "جيري رولنجز" و"تشيكتا" في غانا، ارتبطوا بعلاقات وطيدة مع الأخ المدني الأزهري، وعبدالله الحجازي ومعاوية الصويعي، تم تدريب قوتهم ومدهم بالأسلحة المطلوبة وفعلًا نجحوا في الاستيلاء على السلطة عام1983، وحولوا فولتا العليا إلى دولة ثورية موالية لليبيا، وغيروا اسمها إلى بوركينا فاسو واتخذوا إجراءات ثورية لتطوير واحدة من أكثر الدول الأفريقية فقراً رغم ثرواتها الطبيعة التي كان ينهبها المستعمرون، بعد وصولهم إلى السلطة قدمت لهم ليبيا يد العون في كل المجالات، وشكل "توماس سانكـــارا" و"جيري رولنجز" قوة قيادية مهمة في غرب أفريقيا لم تتردد في إعلان ارتباطاها الثوري القوي بليبيا، وفي إعلان معاداتها ورفضها للنفوذ الفرنسي والإنجليزي في أفريقيا، وأعادوا إلى الأذهان حقبة الستينيات والمربع الثوري ناصر، و"نكروما"، و"لومومبا"، و"سيكيتوري"، الذي كان أساسا مهما لإطلاق حركة تحرر أفريقية مهمة ضد العنصرية وشكل قوة فاعلة عملت على طرح فكرة قارة أفريقية موحدة ومتكاملة اقتصاديا تطورت إلى تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية.

كان "سانكارا" واضحا في إعلان بوركينا فاسو كجماهيرية ثانية وكان يعمل بخطى حثيثة لتطوير ذلك البلد الإفريقي المهمل والمنسي ووضعه في موقع مهم في قيادة أفريقيا، وارتبط بعلاقات شخصية خاصة مع الأخ القائد رحمه الله، وكان يأتي دائما لتوسيع مداركه في الفكر الجماهيري، كما كانت لقاءاته مع القائد و"رولنجز"

تتركز على بناء منظومة ثورية جماهيرية في غرب أفريقيا تقود مجددًا القارة إلى التحرر التام والوحدة الحقيقية.

بالرغم من الظروف التي كانت تمر بها ليبيا في تلك الفترة من حرب الصحراء الكبرى، وانخفاض دخل النفط، والعدوان الأمريكي المباشر في عامي 1981 و1986 إلا أن القائد كان يهتم بالتطورات السياسية في غرب أفريقيا ويعتبرها قضية أمن قومي عربي، فهو يدرك حجم التآمر الاستعماري على الأمة العربية لعزلها عن محيطها الأفريقي والآسيوي، بل تحويل حدودها الجغرافية إلى أماكن خطرة من خلال تمكين أنظمة معادية للعروبة والإسـلام بها والسيطرة على منابع المياه التي تغذي أهم الدول العربية سكانا، مصر والسودان والشام والعراق، وكان على وعي بالانتكاسة التي أصابت حركة التحرر الأفريقي وعودة النفوذ الاستعماري القوي إلى الدول الأفريقية التي دفعت أثماناً باهضة من أجل استقلالها، فلقد تحولت منظمة الوحدة الأفريقية إلى منتدى خطابي بدون محتوى، وانحسر تأييد حركات المقاومة للميز العنصري، وعادت فرنسا وأمريكا وريثة بريطانيا في عرش النجلوفون تتحكم في سياسات عدد كبير من الدول الأفريقية بل حولتها إلى قاعدة انطلاق للتآمر على الدول العربية والأفريقية التقدمية، لذلك ركز اهتمامه على استنهاض أفريقيا مجددًا، وسخر جهده ووقته لبناء أنظمة أفريقية تحررية وإعادة الزخم لحركة التحرر الوطني الأفريقي، وحركات مقاومة الميز العنصري، وتطوير منظمة الوحدة الأفريقية لتكون أكثر فاعلية، من هنا كان اهتمامه ودعمه بالثورة في غانا وبوركينا فاسو.

في أغسطس 1987 كلفت بترأس وفد ليبي سياسي وعسكري للمشاركة في احتفالات الثورة البوركينية، شكلنا وفدًا كبيرًا يليق بموقف ليبيا من بوركينا فاسو، وتم تخصيص طائرة لنقل الوفد المشكل من الاتصال الخارجي، والقوات المسلحة، واللجان الثورية، وكان يرافقني المرحوم ضو سويدان وكيل وزارة الخارجية وقتها، في واجادوجو استقبل الوفد استقبالًا كبيرًا، وكان في مقدمة المستقبلين السيد "ساليف ديالو" وزير الزراعة وقتها، بعد إقامة ليلة في وقادوقو انطلقنا إلى مدينة "بوبوديلاسو" الجنوبية حيث يقام الحفل الرسمي، حضرنا العرض الرسمي والشعبي مع "سانكارا"، وفي الليل أثناء حفل استقبال للوفود المشاركة أخذني النقيب "بليز كامباوري" على جنب وأبلغني أن أسلم على القائد، وأنه يعد لأمر هام لم أسأله عن طبيعته وهو لم يقل لي تفاصيله، في صباح اليوم التالي أخبرتنا مراسم الرئاسة أن الرئيس "سانكارا" سيغادر إلى وجادوجو على طائرتنا فرحبنا به أيما ترحيب، بقينا أسبوعًا في واجادوجو وتشرفت بأن أحضر فعاليات عديدة منها افتتاح بعض المشاريع ووضع حجر أساس لمشاريع أخرى رفقة "سانكارا"، خلال ذلك الأسبوع توطدت علاقتي الشخصية بـ"توماس سانكارا" و"جلبيرت"، لكن لم أتمكن من مقابلة "بليز" ثانية لأستوضح منه موضوع رسالته الغامضة لأنه غادر مباشرة من "بوبوديلاسو" إلى الشمال.

في أكتوبر من نفس العام قاد "بليز كامباوري" انقلاباً دموياً، قتل فيه "سانكارا" في ظروف غامضة وتولى "بليز" السلطة، وأعلن أنه على نفس سياسة الثورة البوركينية، واستمرت علاقته الثورية مع ليبيا ووقف معها بكل قوة ودون تردد، وكان لقرارات قمة واجادوجو

دور مهم في فك الحصار على ليبيا، لكن "رولنجز" لم يهضم أبدًا انقلاب "بليز" على "سانكارا"، واستمرت العلاقة عدائية بين الرجلين.

حدثني المرحوم مسعود عبد الحفيظ رحمه الله، أنه في إحدى الزيارات للرئيسين "جيري" و"بليز" إلى سرت حاول القائد أن يأخدهما معا في نفس السيارة في جولة صيد مسائية، طلب من مسعود قيادة السيارة، وكان يريد أن يُجلس "بليز" و"جيري" معًا في الخلف، لكن الأخير انتبه للأمر، فأسرع وركب بالكرسي الأمامي وترك القائد وصديقه "بليز" بالخلف، يقول مسعود رحمه الله، كانت بندقية الصيد مملوءة بالكرسي الأمامي، وكان "رولنجز" يعبث بها وفوهتها متجهة صوب "بليز" فخفت أن تنطلق منها إطلاقة ويحدث أمرًا لا تحمد عقباه، قال: "قلت للقائد إن العبد اللي جنبي مش ناوي على خير أفضل نرجع"، ربما كان للقائد نفس الشعور فرجع بعد وقت جد قصير.

قطاع الصحة في البلديات

لقد نجحت في تشكيل فريق عمل متجانس من الإخوة أمناء الصحة في البلديات بإقحامهم في كل مهام الأمانة المركزية بما فيها المشاركات الخارجية، ولابد من التنويه بكفاءة بعضهم والتقدير للبعض الآخر على التعامل بروح الأخوة التامة، وفى هذا الصدد أتذكر المرحوم الصديق الدكتور سالم عبد الهادي أمين الصحة في طرابلس، والمرحوم الدكتور إدريس البشاري أمين الصحة في بنغازي وهو أحد الكوادر الطبية بالقوات المسلحة، ومن بعده الصديق الدكتور سعد العمروني، والدكتور عبدالله الطرابلسي أمين الصحة بخليج سرت،

والدكتور علي بلعيد أمين الصحة بالمرقب، والدكتور عمر المشاي أمين الصحة بالجبل الغربي، والدكتور أبوبكر زقوقو أمين الصحة بالبطنان، والدكتور محمد التريكي أمين الصحة بالجبل الأخضر، والدكتور أحمد أبوحربه أمين الصحة بالزاوية، ومن بعده الدكتور سالم الصقري، والأخ عمر عثمونه أمين الصحة بسبها والدكتور محمد أبوغراره أمين الصحة بأوباري، والدكتور صالح أبوفائد أمين الصحة بالكفرة وهو أيضًا طبيب عسكري، كما نجحنا في وضع خطة تشغيل للإخوة أمناء الصحة بالمؤتمرات الشعبية الأساسية حيث كلفوا بالإشراف على المراكز الصحية الواقعة في نطاق مؤتمراتهم.

لقد كان التركيز الكلي في تطوير أداء القطاع الصحي على الآتي:

1- الاهتمام بالرعاية الصحية الأولية، بتنظيم البرامج الصحية ووضع آليات قابلة للتنفيذ لتطبيقها، ومنها تطوير برامج مكافحة الأمراض المعدية، واستحداث خدمات الإسعاف، وتطوير العلاج بالداخل بوضع خطة مستعجلة لاستكمال المستشفيات المتوقفة وتجهيزها وتطوير المستشفيات العاملة.
2- التركيز على الموارد البشرية برفع كفاءة تدريب العناصر الطبية والطبية المساعدة والفنيين الصحيين، بتنفيذ برنامج عملي للتعليم من خلال العمل، والتوسع في برامج استجلاب الأطباء الزائرين لغرض العلاج والتدريب.
3- تنفيذ مشروع وطني للملف الصحي يمكن من متابعة الحالة الصحية للمواطن الليبي من الولادة حتى الوفاة، وإدخال التقنية الحديثة إلى

الإدارة الصحية، ورفع مستوى الإداريين الصحيين من خلال إنشاء معهد عال للإدارة الصحية، وإدخال تخصص الإدارة الصحية في المعاهد المتوسطة.

لقد استمر العمل الدؤوب في القطاع من أجل الوصول إلى تلك الأهداف، وفى هذا المقام لابد أن أشيد بالدور التاريخي الذي بذله الإخوة القادة الإداريون والفنيون بديوان الأمانة في تنفيذ سياسات القطاع، وهم: الأستاذ الخبير الدولي في التخطيط الصحي والإدارة الصحية حبيب إسماعيل تامر الذي استعنت به وكلفته كاتباً عامًا لأمانة الصحة، والمرحوم الدكتور بشير العلاقي، والدكتور عبدالسلام الجعيدي، والمرحوم الطاهر المنتصر، والمرحوم سعيد قاسم، والمرحوم محمد افحيمة، والدكتور كامل الكحيلي، والمهندس عون الهادي عون، والدكتورة فاطمة المقرمد، والدكتور عمر المشاي، والمرحوم أحمد زواوا، والأستاذ الصادق عبد النبي، والأستاذ امبية وادي، والمهندس إدريس المغربي، والمرحوم الدكتور يونس معافه، والأستاذ ضو التومي، والأستاذ صالح العجيلي والمرحوم المهندس سالم جمعة، والدكتور خالد قدقود، والمهندس شعبان مصاك، وكافة العاملين بالقطاع والشركات التابعة له، الذين أداروا القطاع بكفاءة عالية في ظل أصعب أزمة اقتصادية ومالية شهدتها ليبيا منذ ثورة الفاتح وفي ظل الانخفاض القياسي لأسعار النفط حيث وصلت إلى 8 دولارات للبرميل أي ما يساوي تقريبا تكلفة إنتاجه، وفي ظل حرب استنزاف خطيرة في الصحراء الكبرى.

لقد ساهم العمل كفريق متجانس بين الإخوة أمناء الصحة بالبلديات والعاملين بديوان الأمانة في إنجاز الكثير، في وقت كانت فيه الظروف المالية لا تساعد على العمل، فلقد صدرت توجيهات في إطار التقشف بتخفيض موازنة القطاع إلى الثلث تقريبا ووضعت شروط صعبة لتشغيل الخبراء الأجانب بالقطاع.

شهادة للتاريخ

لقد حققت خطة التنمية الثلاثية الأولى والثانية انجازات كبيرة في قطاع الصحة، حيث تم بناء سلسلة مستشفيات مركزية في كل مراكز المحافظات، وجهزت تجهيزًا عاليًا ومتطورًا، وأنشئت مراكز صحية، وتم التوسع في برامج إعداد الممرضين والممرضات، وأدمجت الخدمات الصحية لقطاع الضمان الاجتماعي والخدمات الطبية العسكرية في منظومة واحدة هي وزارة الصحة، كما تم إنشاء عشرات المستشفيات القروية بحيث لم تخلو قرية ليبية من مستشفى متطور بسعات من 60 إلى 120 سريرًا، وأنشئت أيضا عيادات مجمعة مركزية نموذجية ومئات المراكز الصحية النموذجية، وهي مراكز قسمت حسب طبيعة الخدمات التي تقدمها إلى "أ، ب، ج" كما أنشئت مراكز الأمومة والطفولة، حقيقة تأسست بعد ثورة الفاتح بنية تحتية متكاملة ومتطورة من المرافق الصحية المبنية على قواعد حديثة جدًا.

لكن الأمر الأهم كان إصدار القانون الصحي 106 لسنة 1970 والذي يعتبر مكسبا للشعب الليبي ومفخرة لثورة الفاتح فهو

من أهم القوانين الصحية المتطورة في العالم إلى يومنا هذا والذي اعتبر الرعاية الصحية حقًا لكافة المواطنين بغض النظر عن إمكاناتهم المادية، وإذا كانت انجازات كثيرة وكبيرة تتباهى بها ثورة الفاتح فإن القانون الصحي وقانون الضمان الاجتماعي الليبي يأتيان في مقدمتها.

وهنا لابد من العرفان بالمجهودات التي بذلها المرحوم الدكتور مفتاح الأسطى عمر في بناء القطاع الصحي الوطني من لا شيء.

وللتاريخ أيضًا فإنه طيلة سنوات إدارتي للجنة الشعبية العامة للصحة لم يتدخل القائد شخصيا في سياسات إدارة القطاع، ولقد تمت كل الإجراءات التي نفذت في القطاع استنادا إلى قرارات المؤتمرات الشعبية، وما تتفق عليه أمانة اللجنة الشعبية العامة للصحة، ولم تعدو توجيهات القائد التي نقلت إليَّ عن طريق قلم القيادة، ثلاثة أو أربعة توجيهات، منها توجيه دائم لكل أمناء الصحة يقول **"لا ينبغي التفريق بين الناس في المرض والحياة والموت"**، ويشدد على عدم الوساطة في علاج المرضى في الداخل والخارج والمساواة التامة بين المواطنين.

لقد كان القائد رحمه الله بشكل عام ضد العلاج في الخارج ويتحسس جدًا من علمه بأن بعض أقربائه يعالجون في الخارج، ولقد طلب مني عدة مرّات مراجعة حالات بعض أقربائه وما مدى احتياجهم للعلاج بالخارج.

كما أنه كان غير متحمس للاستعانة بالأطباء الأجانب في متابعة حالته الصحية، الإخوة الذين سبقوني في إدارة القطاع أنشأوا عيادة صغيرة ملحقة بمعسكر باب العزيزية، وكلف طبيب باكستاني اسمه محمد ابرار بالإشراف عليها، وكان طبيبا عاديًا غير متخصص،

وبالنظر إلى تقدم القائد في السن وكثرة حركته، كان الدكتور مراد لنقي كلف أطباء بالمناوبة في العيادة، وهنا أشير إلى أنه لم يكن للقائد طبيب خاص، بل كان أطباء الباطنة بالمستشفيات بطرابلس يتناوبون على العمل أسبوعيًا في العيادة وفى وقت متأخر تم تكليف جراحين بالمناوبة.

وعند إصابة القائد رحمه الله بأي مرض كان يتم استدعاء متخصصين من الأقسام المختلفة، وتمت كل ولادات أبنائه في مستشفى الجلاء للولادة بطرابلس، وكانوا يتابعون من قبل أطباء ليبيين في مستشفى الأطفال.

كان القائد كثير التعرض لالتهاب الحنجرة والحلق، كما عانى من كيس بالجيوب الأنفية تمت إزالته بواسطة الدكتور الصديق الرتيمي، كما كان يعاني من آلام في الظهر بسبب كثرة الحركة بالسيارة، وتتم مراقبة الحالة من قبل الأستاذ محمد راشد، وعبد الرؤوف القبرون وآخرين، أما الدكتور إبراهيم الشريف، والدكتور محمد أبوبكر فكانا يستدعيان دائما لمتابعة المشاكل التي تتعلق بالأمراض الباطنة.

كان القائد في حالة المرض مثالياً على رأي الأطباء يتبع النصائح بكل دقة، وإن كان لا يحب تناول الأدوية فنضطر لإقناعه في كثير الأحيان، كما كان القائد قارئًا ممتازًا ويتطلع على مختلف العلوم، كانت معلوماته الطبية واسعة جدا، ويبحث دائمًا عن تبريرات علمية لحالته ولما يوصف له من أدوية.

كانت ثقة القائد في الأطباء الليبيين كبيرة، وكان حريصا على تشجيعهم، على خلاف بعض أقربائه وبعض المسؤولين الذين ربما

يجدون في السفر من أجل العلاج الوسيلة الوحيدة لقضاء إجازة بالخارج.

سنة 1990 بدأت أسعار النفط في التحسن وتم بعون الله توقيع عقود تجهيز وتأثيث مركز طرابلس الطبي، وهو أكبر مركز حديث في القارة الأفريقية، واعتمادها من قبل اللجنة الشعبية العامة، ووقع العقود الأستاذ حبيب تامر الكاتب العام للأمانة، مع شركة عالمية متخصصة في التجهيزات الطبية لأول مرة تدخل السوق الليبي، وبأسعار منافسة جدًا للشركتين اللتان كانتا تحتكران السوق وهما "هوسبيتاليا" و"فيلبس".

***

توضيح واجب

يقول السيد عقيل حسين عقيل في أحد كتبه التي تمنيت أنه لم يصدرها لما تحتويه من معلومات غير صحيحة، أنه كان على خلاف مع القائد ومع الأخ أحمد إبراهيم تخصيصا وذلك كلام ينافي الحقيقة، في نهاية الثمانينيات كان الأخ عقيل أميناً للتعليم بطرابلس وكلف الأخ أحمد إبراهيم أميناً للجنة الشعبية العامة للتعليم، الأخ أحمد لم يكن على وفاق مع عبد السلام جلود الذي حاول استغلال أمين تعليم طرابلس لعرقلة البرامج التي حاول الأخ أحمد إدخالها لإصلاح منظومة التعليم، استغل الدكتور عقيل الاستقلالية الواسعة للبلديات في ذلك الوقت لتجاهل بعض القرارات التي كان يتخذها الأخ أحمد، مما أوقع خلافاً بينهما وصل إلى حد المناكفة، حيث قررت اللجنة الشعبية العامة للتعليم إيقاف أمين تعليم طرابلس عن العمل ولم يمتثل الأخير للقرار، فوصل الأمر للقيادة، فى أحد الأيام طُلبت للقاء القائد في سرت ووجدت الأخوين أحمد إبراهيم، وعقيل قد سبقوني، لم أكن أعلم سبب المقابلة، لكني فهمت أنها تتعلق بذلك الخلاف بين الرجلين، تساءل القائد عن المشاكل في التعليم وخاصة تلك التي بين الدكتور عقيل والأخ أحمد، وأشهد الله أن الأخ عقيل قال قولا حسنا وقدم إطراء طويلاً في الأخ أحمد، ونوه بجهوده في النهوض بقطاع التعليم، وإنهم زملاء دراسة ولا يمكن أن يختلف معه وأن الأمر لا يعدو كونه سوء فهم، وكان رد الأخ أحمد مختلفا بعض الشيء لكن في إطار ودي، وبين أسباب إيقاف الدكتور عقيل عن العمل وطالب بضرورة تنفيذ القرار، لأن عدم تنفيذه يشجع آخرين على عدم الالتزام بقرارات اللجان الشعبية، استمر اللقاء أكثر من ساعتين، وفى الختام خرجنـــا مشيا أمام الخيمة قبيل صلاة

المغرب، وخاطبني قائلا: كيف هؤلاء يصلون إلى هذه الدرجة من الحماقة ولا يرجعون إليك وأنت لا تردهم، ضحكت محاولاً تغيير مسار الحديث، ومازحته "يا قائد سيبك منهم هذيم حتى الرسول سيعجز فيهم، هم أصحاب لكن يمارسون المناكفة في أقصي درجاتها"، قال: لا هؤلاء الأثنين أنت مسؤول عليهم وأي حاجة نسمعها عليهم سوف أسألك أنت، قلت مازحًا: إذا نضيف قطاع في اللجنة الشعبية العامة باسم عقيل وأحمد وأتولى إدارته!.

بعد اللقاء ذهبنا إلى بيت الأستاذ أحمد واستمرت المعاتبة بلغة ودية ونجحت في تسوية المشكلات بينهما وقبل أحمد أن يجمد قرار إيقاف الدكتور عقيل، وعادت العلاقة بين الرجلين إلى طبيعتها.

في شهر الفاتح 1990 التقينا بالقائد في معسكر باب العزيزية، وكان هناك مشكلة بين الأخوين أحمد إبراهيم وصالح إبراهيم، الذي كان يتولى مسؤولية شعبة المؤسسات التعليمية بمكتب الاتصال، حاولنا مناقشتها، ثم انتقلنا إلى موضوع تدخل عبد السلام جلود في القطاعات وضغطه على المرحوم عمر المنتصر بعدم تسييل أموال للقطاعين لإظهارنا بمظهر الفاشلين، كان انتقاد الأخ أحمد لاذعًا، وقال: أن جلود لا يفهم في الإدارة، وكل ما يردده هو ما يسمعه في سهراته الليلية، زعل القائد من تلك الملاحظة، وللأمانة التاريخية وما أعلمه وأقوله إحقاقاً للحقيقة فإن القائد يتحسس جدًا من تناول رفاقه في القيادة أو الضباط الأحرار، ورد على أحمد بشدة وقال لنا: أنتم فقط تخلقون المشاكل لعبد السلام.

الذي هدأ من الأجواء خبر عاجل حمله أحمد رمضان بأن قوة إدريس دبي تقترب من قصر حبري في أنجامينا، تغير الحديـــث إلى

تشاد وكان الأخ أحمد ضليعا في التفصيلات التشادية الداخلية، اتصل القائد بالمرحوم إبراهيم البشاري وحمله رسالة إلى وزير خارجية فرنسا آنذاك "رولاند دوما" مفادها أن ليبيا تحمل الحكومة الفرنسية السلامة الشخصية لكل الأسرى الليبيين لدى حبري.

لقد تمكن القائد من الخروج ببراعة من الوحل التشادي بإعلانه في 25 مايو 1989 الاعتراف بحكومة حبري وتنفيذ الهدنة عن خط عرض 16 مع الفرنسيين وكذلك سحب القوات العربية الليبية من تشاد، ثم انطلق العمل مع الفصائل التشادية المعادية لحبري، وتم استقطاب إدريس دبي الذي كان يشغل وظيفة وزير الدفاع ثم انشق هو والمقدم جاموس وفرا إلى شرق تشاد، وتم ربطهما بالقوى التشادية المعادية لحبري، وهكذا بدعم تكتيكي وتسليحي من ليبيا تمكن من العودة إلى أنجامينا وأسقط العميل حبري الذي فر إلى السنغال، بعد أن أعدم بعض الأسرى الليبيين ومنهم الشهيد البطل عبدالسلام سحبان، والشهيد البطل محمد شرف الدين.

***

المحطة الثالثة والعشرون
التفرغ للطب

في شهر الفاتح 1990 عقدت جلسة مؤتمر الشعب العام العادية، اتفقت مع الأخ أحمد إبراهيم على تقديم استقاليتنا إلى المؤتمر، لكن التخوف من أن القائد قد يزعل من ذلك التقينا بالأخ عمر اشكال وشرحنا له الأمر، أثناء المساءلة قدمت استقالتي من أمانة الصحة على الهواء وكنت قدمت صيغة مكتوبة إلى الأخ عمر اشكال أمين شؤون المؤتمرات آنذاك، وبررت الاستقالة بأني استنفذت كل قدراتي الشخصية لتطوير القطاع، وفعل الإجراء نفسه الأخ أحمد إبراهيم، والشهيد عزالدين الهنشيري، لكن إمبارك الشامخ تردد ولم يعلن استقالته.

في اليوم التالي حضر القائد رحمه الله اجتماع المؤتمر وأشار إلى بند المساءلة، وقال أنا كلفت شبابًا ثوريين لمساعدتكم في إدارة القطاعات، وقال كلام تاريخي أعتز به في حقي وأشاد على الهواء بجهودي في تطوير قطاع الصحة، ثم طرح فكرة لتطوير آلية اختيار اللجان الشعبية بأن تتشكل من النقابات وليس من المؤتمرات، بأن النقابات التابعة لكل قطاع هي التي تشكل اللجنة الشعبية للقطاع في المؤتمرات الشعبية واللجنة الشعبية العامة، ثم أشار إلى الازدواجية في الإدارة بين القطاعات المركزية والقطاعات على مستوى البلديات وطرح فكرة إلغاء البلديات وتوسيع القطاعات مركزيًا.

انتهي مؤتمر الشعب العام لاعتماد قراراته العادية ودعوة المؤتمرات الشعبية لدراسة ما طرحه القائد فيما يخص الهيكلة الإدارية للدولة، والهيكلة الإدارية للقطاعات، وفعلا ناقشت المؤتمرات المقترح، وفى نهاية شهر أكتوبر انعقد مؤتمر الشعب العام في مدينة مصراته، وتم اختيار اللجان الشعبية العامة للقطاعات من النقابات، كما تم تصعيد لجنة شعبية عامة جديدة برئاسة الأخ أبوزيد دوردة، واختير الزميل أستاذ الجراحة العامة الدكتور زيدان بدر أميناً للصحة.

ابتعدت كليًا عن إدارة قطاع الصحة أو المشاركة في أية مناقشات حوله، ولم أحضر أي اجتماع يخص القطاع إلا لمامًا، مرة عندما كان الأخ سليمان الغماري أمينًا للصحة عام 1998 ومرات قليلة عندما كلف الدكتور محمد راشد في 2007، وأخيرًا عندما كلف الأستاذ محمد الحجازي عام 2010 بسبب ترأسي لمجلس التخصصات الطبية.

***

تأسيس مجلس التخصصات الطبية

عام 1994 وبمبادرة مني دعوت بعض الإخوة الأساتذة بكلية الطب بجامعة الفاتح، وجامعة العرب الطبية منهم: الدكتور بلقاسم الباروني، والدكتور محمد راشد، والدكتور محمد السويحلي، والدكتور محمد معافة، والدكتور محمود اشتيوي، والدكتور إبراهيم الشريف، والدكتور صلاح قريو، والدكتور منصور بن عامر، والدكتور الصادق مخلوف، والدكتور أبوخريص الوندي، والدكتورة مبروكة القنين، والدكتور خليفة مصباح، والدكتور سليمان أبوسريويل، والدكتور عبد الغني البدري، والدكتور مصطفى مرمش، والدكتور رجب حريشة، والدكتور عبدالمجيد أبوراوي، والدكتور محمود الناجح، والدكتور الهادي حسين، والدكتور محفوظ النبال، والدكتور نورالدين الشيشكو، والدكتور طلعت القلهود، والدكتورة سعاد الورشفاني، والدكتور عبدالحميد السهيلي، والدكتور عبدالله أبوستة والدكتور عوض أبودجاجة وغيرهم، وطرحنا مشكلة تكدس أعداد كبيرة من الخريجين، وعدم مقدرة الدولة على إيفادهم للتخصص بالخارج، وكيفية المساهمة في حل هذه المشكلة خاصة لعدم وجود برامج للدراسة العليا بالجامعات ومحدودية قبول أطباء للتدريب في المجلس العربي للتخصصات الطبية، وأيضا لعدم دفع ليبيا لمساهماتها فيه.

طرحت فكرة إنشاء مجلس ليبي للتخصصات الطبية ينطلق من تطوير برنامج المجلس العربي بما يناسب الحال في ليبيا، تشكلت لجنة تحضيرية لمناقشة تأسيس برنامج أهلي يتولى مساعدة الأطباء للحصول على تدريب عملي وشهادات تخصصيـــة تمكنهم من العمل

في ليبيا أو في أي مكان كإخصائيين، وتشرفت بترأس تلك اللجنة التي عكفت على التفكير في برنامج عملي وقابل للتطبيق في ظل الظروف الليبية والإمكانات المادية الشحيحة بالنسبة للأطباء.

وبعد سنتين من الدراسة تم التوصل إلى مشروع متكامل بتشكيل مجلس التخصصات الطبية استند إلى الخبرة المكتسبة من مجلس التخصصات العربية، والذي كان للجماهيرية دور رئيس في تأسيسه، آخذاً في الاعتبار أن استيعاب مجلس التخصصات العربية محدود جدًا كذلك عدد التخصصات الفرعية المتاحة محدود أيضًا.

تم استكمال تصميم برامج تدريب أشرفت على إعدادها بشكل شخصي مع الدكتور أبوالقاسم الباروني وعدد من الأساتذة، كما تم إعداد برنامج مفصل ودقيق لنظام الامتحانات التي شملت امتحان قبول، وامتحان جزء أول تحريري، وامتحان نهائي بعد انتهاء فترة التدريب يتضمن امتحان تحريري وشفوي وإكلينيكي، كما صمم برنامج للبحوث التي يطلب من الأطباء تقديمها أثناء فترة التدريب وقبل الدخول إلى الامتحان النهائي.

كما وضعت معايير للاعتراف بمراكز التدريب والتخصصات المختلفة المناسبة لكل مركز، كما وضعت شروط قبول المدربيين ومشرفي التدريب، وكذلك اشتراطات تعيين الممتحنين المحليين، واشترط الاستعانة بممتحنين من الدول المتقدمة على الأقل في السنوات الأولى.

بعد تصعيد لجنة شعبية جديدة برئاسة المهندس عبدالمجيد القعود كلف الدكتور البغـــــدادي المحمودي أمينًا للصحة، والمهندس

معتوق محمد أمينًا للتعليم، عرضت عليهما ما تم التوصل إليه من برنامج متكامل محكم لتدريب الأطباء بالداخل للحصول على درجة التخصص العليا في مختلف فروع الطب، ولأن البرنامج كان واضحًا ومتكاملًا، وافقا على تبني المشروع، وصدر قرار مشترك من أميني الصحة والتعليم باعتماده المقترح، وبالاعتراف بالبرنامج التدريبي والشهادة التي يمنحها المجلس معادلة لشهادة الدكتوراه في الطب والجراحة، وكلفت أمينًا للمجلس وطلب مني إعداد القرارات التنظيمية.

انعقدت اللجنة التحضيرية في إطار المستجدات، واتفقنا على تشكيل أمانة المجلس على أن يكون العمل بها تطوعي وبدون أي مقابل مادي وهكذا كان.

كلفت الدكتور عوض أبودجاجة رحمه الله، والدكتور محمد السويحلي أمينين مساعدين، والدكتور إبراهيم الشريف أمينًا للتدريب، والدكتور أبوالقاسم الباروني أمينًا للامتحانات، والدكتور عبدالرؤوف القبرون رئيسًا للجنة العليا لتقييم الشهادات الصادرة من الخارج، كما سمينا رؤوساء المجالس العلمية ولجان التدريب والامتحانات والبحوث بها.

وفعلا انطلقت بمجهودات ذاتية وبدون موازنة من الدولة واعتمادًا فقط على ما توفره المستشفيات من أموال لتدريب الأطباء العاملين بها، أول وأوسع عملية تدريب في ليبيا التحق بها آلاف الأطباء وضمت أكثر من 17 تخصصًا عامًا ودقيقًا، من الباطنة العامة إلى جراحة المخ والقلب والتجميل، ومن تخصص أمراض النســـاء

والتوليد إلى الطب العام، البرنامج الرائد في الوطن العربي لتأهيل أطباء عامين لكن متخصصين، فقط في عام 2000 أثناء ترأس السيد امبارك الشامخ للجنة الشعبية العامة اعتمد البرنامج ضمن برامج الدولة ورصدت له موازنة بسيطة بدأت بعشرات الآلاف من الدنانير، ووصلت عام 2010 إلى مليون ونصف مليون دينار، شملت برامج تدريب بعد الحصول على شهادة المجلس بالخارج لمدة 6 أشهر.

كان عدد المنخرطين في البرنامج في 2010 أكثر من 7 آلاف طبيب وطبيبة، واستكمل عام 2009 أكثر من 700 طبيب وطبيبة برامجهم التدريبية وتحصلوا على شهادة المجلس يتولون قيادة الخدمات الصحية في ليبيا، واعتبرهم شخصيًا مهما كانت مواقفهم السياسية مفخرة للمدرسة الطبية الليبية، في عام 2008 انطلقت برامج ثورية لتطوير التدريب استكمالا لمشروعات بدأت منذ سنوات، فتم تطوير منظومة المكتبة الإلكترونية المركزية في مقر المجلس في طرابلس، وبنغازي، والبيضاء، ومصراته، وسبها، إضافة إلى المكتبات العادية بمراكز التدريب، كما تم افتتاح فروع للمكتبة الإلكترونية في كل مراكز التدريب المعتمدة، واستخدمت كلمات مرور لدى أمناء المكتبات مكنت آلاف المتدربين والأطباء من الإطلاع على أكثر من ألف مجلة طبية متخصصة تم الاشتراك بها عن طريق مكتبة منظمة الصحة العالمية في جنيف، ومكتبات دولية مشهورة، كما تم تزويد مكتبات المجلس وفروعه ومكتبات مراكز التدريب دوريا بآخر إصدارات وطبعات المراجع الطبية، لقد مكنت المكتبة الإلكترونية

والعادية الأطباء المتدربين من متابعة آخر المنشورات الطبية، وساهمت في تسهيل إعداد البحوث الطبية المطلوبة من المتدربين.

من أهم التطويرات إنشاء مركز التدريب على المهارات الإكلينيكية وخاصة في مجالات الإسعاف والطوارئ، والمبادئ الجراحية والأجهزة الحديثة، واشترط على المتدربين ضرورة المرور على دورات المركز المجانية، وزود المركز بتجهيزات حديثة للتدريب على الدمى، ونظمت دورات في أغلب مراكز التدريب للمهارات الإكلينيكية.

ثم دخل المجلس في برامج التعليم والتدريب والتعليم عن بعد وتم لأول مرة في ليبيا تركيب منظومة التعليم عن بعد بواسطة مؤتمرات الفيديو المباشرة والتي أتاحت النقاش بين المتدرب والمحاضر، ونظمت عدة دورات عام 2010 بين مراكز التدريب الرئيسة في طرابلس، وبنغازي، والبيضاء، ومصراتة، وسبها، كما تم تجهيز وحدات للتشخيص عن بعد بتركيب أجهزة تنقل الصور الإشعاعية وتقارير المعامل وصور شرائح الأنسجة من أي مركز تدريبي إلى المركز، كما تم تركيب منظومة تعليم إلكتروني بالاتفاق مع الحكومة الهندية من خلال مشروع للتعاون في مجال التعليم بين أفريقيا والهند، وكان يتم عن طريق المنظومة نقل مباشر لمحاضرات ودورات تدريبية حية من 50 مركزًا طبيًا هنديًا إلى مقر المجلس، وكان جدول المحاضرات ينشر أسبوعيًا ليتمكن المهتمون من تنظيم برامجهم وحضور المناشط، إضافة إلى ذلك نجح المجلس في إيفاد الأطباء الخريجين في دورات لمدة 6 أشهر إلى عدد من الدول التي تمكن من عقد اتفاقات تدريب مجاني معها، واتفق مع منظمة اليونيسكو

على تولي الصرف على الموفدين، فتم إيفاد الأطباء إلى فرنسا وإيطاليا ومصر وألمانيا.

لكن الإنجاز الأهم في نظري هو النجاح في تصميم برنامج خاص لتدريب أطباء عامين يتولون الرعاية الصحية الأولية من خلال ابتكار برنامج الطب العام الذي لايوجد له مثيل في المنطقة بحيث يكون الطبيب الذي يواجه المرضى في أول اتصال بهم ملمًا بكل أساسيات الفروع الطبية، صمم البرنامج بحيث يمر الأطباء الراغبون في تخصص الطب العام بتدريب مكثف في الباطنة والجراحة، والأطفال، وأمراض النساء، والولادة، والعيون، والمسالك البولية، والأنف، والأذن والحنجر،ة والحروق، وطب الطوارئ، ونظم البرنامج بحيث يضاف للتدريب العملي، في مراكز التدريب يتلقى المتدربون دورات تعليمية نظرية من خلال خبراء من الداخل والخارج.

كذلك تم استحداث برنامج تدريبي لطب الطوارئ وكلف مجلس علمي لإدارته وانطلقت برامج التدريب، أيضًا انطلق برنامج التدريب لجراحة المخ والأعصاب وبرنامج جراحة الحروق والتجميل وجراحة المسالك البولية، وانطلق أيضًا برنامج خاص لطب المختبرات، وتم الاتفاق مع دولة روسيا البيضاء على برنامج تدريبي إعدادي للمجموعة الأولى من المنتسبين للمجلس، وانطلق برنامج تدريب علم الأمراض، كما تم تخريج أطباء من برنامج الأشعة التشخيصية والعلاجية، لكن برنامج طب الأسنان وجراحة الفكين لم ينطلق رغم الانتهاء من تصميم البرنامج ووضع خطة التدريب والامتحانات.

كانت حفلات تخريج الأطباء الذين اجتازوا الامتحانات بعد استكمال التدريب، تقام دورياً كل عامين يصحبها مؤتمر علمي للخريجين تلقى فيه بحوث التخرج بكل تخصص وتمنح جوائز لأفضل بحث من كل تخصص يتم اختيارها من خلال لجان تقييم تحضر المؤتمر، للأسف بعد أحداث 2011 لم أتابع ما حدث بالمجلس لكن الإخوة المحترمين من الأساتذة والإداريين نجحوا في المحافضة عليه وتسييره بالحد الأدنى في غياب كلي للإمكانات، وفي ظروف أمنية خطرة.

لقد اعتمدنا سياسة التوزيع الأفقي لمراكز التدريب، لهدفين الأول تقليل هجرة الأطباء من المناطق والمدن إلى طرابلس وبنغازي، وثانيا لتطوير الخدمات الطبية في المناطق الداخلية، ولتوجيه الأساتذة والمدربين للعمل بالمدن والقرى الداخلية، وهكذا اعتمدت أهم المستشفيات بالمناطق كمراكز تدريب للتخصصات العامة وهي: مستشفيات الجميل، وصبراته، والزاوية، والزهراء، واسبيعة، وترهونة، والخمس، وزليتن، ومصراتة، وسرت، وسبها، والبيضاء، والمرج، ودرنة، وطبرق، وأوباري، كما وضع عرف لإعطاء خريجي المناطق الداخلية الأولوية في الإيفاد إلى دورات التدريب القصيرة.

لقد اتفق مع منظمة اليونيسكو لتولي مصروفات التدريب من خلال وديعة رسمية لديها، ولتسهيل إجراءات الخبراء الأجانب فتح حساب بالعملة الصعبة بالمصرف المركزي تصرف منه مكافآت الزوار، وكذلك وضعت وديعة لدى منظمة الصحة العالمية لتوفير الكتب والمراجع وتكاليف المكتبة الإلكترونية.

في الحقيقة أديرت موازانات المجلس المحدودة جدًا بشفافية كاملة، وكانت حسابات المجلس الختامية تقفل أول بأول قبل نهاية الربع الأول من العام التالي، الأمر الذي لقى استحساناً وتقديراً من الإخوة في أمانة الخزانة وديوان المحاسبة.

وهنا لابد من تقدير الإخوة في اللجنة الشعبية العامة، وأمانتي الصحة والتعليم، والإخوة في المصرف المركزي على دعمهم لمجلس التخصاصات الطبية واعتباره من المؤسسات الاستراتيجية، كما أنوه بجهود جميع الشباب الإداريين والفنيين بالمجلس وفروعه على جهودهم، واعتبار أن عملهم بالمجلس وكأنهم يعملون لأنفسهم سواء الإخوة بقسم الحركة الذين يرون في ضيوف المجلس ضيوفًا شخصيين لهم، وقسم العلاقات علاوة عن المجاهدين بالعمل في إدارات التدريب والامتحانات والبحوث والشؤون الإدارية والمالية وسيادة المسجل العام ومنسقو المجلس في مراكز التدريب، أما التحية الخاصة فهي إلى الزملاء الأساتذة الذين بذلوا جهودا تطوعية لا تقاس من أجل إنجاح المجلس وبرامجه.

الخريجون والمتدربون لا شك أنهم يشعرون بالفخر لأنهم أثبتوا جدارتهم العملية وبينوا أن التدريب بالداخل أكثر جدوى من إيفاد أطباء للخارج، أغلبهم لا يعودون إلى الوطن وبعض ممن عاد منهم عادوا من دون شهادات أو بشهادات دون خبرة.

عام الدعوة للوحدة العربية

كان القائد رحمه الله يعي جيدا طبيعة المخاطر المحدقة بالأمة العربية، ويرى بوضوح طبيعة المؤامرة التي تحاك للمنطقة بهدف تأمين دولة الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي وتعزيز قدراتها، وكان يرى الحل في الوحدة العربية، وبناء التكامل الاقتصادي، وتطوير القدرات الدفاعية للدول العربية، وترك المعارك البينية والتفرغ للمواجهة الحقيقية، وكان دائمًا يعمل على الخروج من حالات الإحباط الناتجة عن فشل المحاولات الوحدوية بين الدول العربية، فبعد حادثة الانفصال في الجمهورية العربية المتحدة عام 1961، كانت كل المحاولات الوحدوية تجهض قبل أن ترى النور، فإفشال اتحاد الجمهوريات العربية الذي أقرته الشعوب العربية في مصر وسوريا وليبيا بأغلبية كبيرة في الاستفتاء التاريخي الذي أجري يوم 1973/9/1، وكذلك عدم تنفيذ اتفاقيات الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا، وإفشال الوحدة الليبية التونسية الناتجة عن إعلان جربة عام 1974، وكذلك الوحدة الليبية المغربية التي تقررت وفق إعلان وجدة التاريخي، وتجميد اتحاد المغرب العربي، لكن القائد لم يكل ولم يمل من طرح المشروعات الوحدوية، فاقترح على الجامعة العربية تأسيس الاتحاد العربي كإطار تنسيقي للدول العربية بتغيير آليات جامعة الدول العربية.

في عام 1991 أعلن القائد رحمه الله أنه سيتفرغ للدعوة للوحدة العربية، وللترويج لمشروع الاتحـــــاد العربي وخلق أرضية

شعبية من القوى السياسية والمدنية والاجتماعية لتغيير الواقع وتهيئته لتبني مسائل الوحدة.

المشروع المقدم تضمن آليات عملية لبناء مؤسسات اتحادية فعالة انطلاقًا من الواقع السائد، فاقترح تشكيل مؤسسة رئاسة من القادة، ومؤسسة تنفيذية من رؤساء الوزارات وبرلمان عربي، واقترح حرية التنقل والعمل والإقامة بين الدول العربية دون عراقيل، وتطوير الكيانات الإقليمية لتكون نواة للدولة العربية.

في ذلك الإطار تشكلت مجموعة وفود للاتصال بالمكونات السياسية والتنظيمات والمنظمات والمثقفين والأكاديميين والنقابيين في كل الدول العربية وشرح المشروع والاستماع إلى مقترحاتهم وتصوراتهم لرفعها للقائد، كلفت بترأس وفد الأردن الذي تشكل من عدد من القيادات السياسية والثورية والمثقفين من بينهم الأخ الطيب الصافي، والدكتور المهدي امبيرش، والأخ ميلاد الشيباني، والأخ سالم العجيل، والأستاذ مختار ديره، كانت العلاقات مع الأردن حساسة، وبالنظر لأهمية وحساسية الموضوع المعروض واللقاءات التي يتطلب إجراءها، طلبت من المرحوم إبراهيم البشاري أمين هيئة أمن الجماهيرية وقتها أن يعلم المخابرات الأردنية بطبيعة المهمة حتى لا يتعرض من نقابلهم لمضايقات، بالنظر لعلاقته بالمخابرات الأردنية وأن يطلب لي موعدا مع المخابرات، وفعلا عند وصولي قابلت مدير المخابرات الأردنية آنذاك مصطفي القيسي، ونقلت له تحيات الأخوين إبراهيم البشاري، وعبدالله السنوسي، وبمزحة قلت له يا سيدي أنا دخلت الأردن من الباب الأكثر أمنًا، نحن مكلفون بمهمة الاتصال

بأهلنا في الأردن لشرح مشروع الاتحاد العربي، والقائد أوصاني أن أستشير قبل أن أبدأ، وأن لا أزعج السلطات، ضحك وقال: "لا يا زلمى الأردن أمامك وتفضلوا وأنتم أهل"، وفعلا تمكنا خلال أسبوع من عقد سلسلة من اللقاءات مع مختلف القوى السياسية والثقافية، في عمان وأربد والزرقاء، ولقد كان للزيارة صدى واسعًا لأن الدعوة جاءت في أعقاب حرب الخليج الأولى، حيث استشعر المثقفون العرب خطورة ما يدبر للأمة، لكن لم تكن لديهم الشجاعة للتفاعل الجاد مع المبادرة التاريخية للشهيد معمر القذافي.

في نفس الوقت كانت وفود تعقد لقاءات في دول عربية أخرى شملت كل البلاد العربية باستثناء الخليج، طرح المشروع على جامعة الدول العربية، التي تبنته تحت إلحاح القائد، لكنها ميّعته بتشكيل لجان لم تلتئم ربما إلى الآن.

***

المحطة الرابعة والعشرون
الحصار والفقدان

عام الحصار

في شهر أبريل عام 1992 نجح الغرب في فرض قرار غريب عجيب على مجلس الأمن تحت الفصل السابع، طلب من ليبيا الاعتراف بالمسؤولية عن إسقاط الطائرة الأمريكية فوق قرية لوكربي البريطانية، وتسليم المتهمين الذين أعلن عنهم الغرب إلى بريطانيا أو أمريكا لمحاكمتهم، وتعويض أهالي الضحايا الذين سقطوا في تحطم الطائرة، ونبذ الإرهاب، مرر القرار على عجل في ظروف انهيار الاتحاد السوفييتي، وسعي الإدارة الأمريكية البوشية على فرض أمر واقع جديد في العلاقات الدولية الذي أسماه بوش النظام العالمي الجديد.

أعطي المجلس لليبيا مهلة شهر للالتزام بتنفيذ ذلك القرار الذي يقضي بفرض حصار جوي وتجاري، وتجميد الأموال الليبية بالدول المختلفة، وتعالت أصوات الغرب التهديدية لإجبار ليبيا على الانصياع لتلك القرارات دون قيد أو شرط، لكن ليبيا رفضت القبول أساسا بالقرار الغريب الذي صيغ بطريقة تفضي في كل الأحوال إلى إدانة مسبقة لليبيا، كان تفكير الإدارة الليبية في كيفية مواجهته، وخاصة في شق الحصار، ولقد نجح الخبراء الاقتصاديون الليبيون خلال فترة الشهر المحددة في القرار، من نقل أغلب الأرصدة الليبية من المصارف والمحافظ الاستثمارية الممكن خضوعها لعمليات التجميد، في عملية مصرفية استخباراتية معقدة لم يسبق لها مثيل، وفي سرية

تامة، أدت إلى تجنيب أغلب الأرصدة الليبية خطر التجميد نتيجة لقرار مجلس الأمن، باستثناء مبلغ 600 مليون دولار بالمصارف الأمريكية كانت موضوعة تحت التجميد نتيجة قرارات إدارات أمريكية سابقة منذ الثمانينيات.

كان هم القيادة الليبية الأول هو إبعاد الأموال الليبية من خطر التجميد ولم تهتم ببنود القرار الأخرى، وفى نفس الوقت أرسلت وفودا إلى الدول العربية والدول الصديقة لشرح موقف الجماهيرية وتبيان المخاطر التي يتضمنها القرار، وعدم استناده إلى القانون الدولي، أو امتلاكه لأية مشروعية سياسية أو إخلاقية، بتحويل قضية جنائية عادية إلى جهة سياسية دولية تهتم بالأمن والسلم الدوليين، كلفت مع الأخ عبد الحميد عمار أمين شؤون المؤتمرات الشعبية بأمانة مؤتمر الشعب العام وقتها بالسفر إلى الأردن وسوريا ولبنان لشرح طبيعة القرار، وطلب تعاونهم في مواجهته، كانت الزيارة خلال شهر رمضان، ولم نحظى بمقابلات مهمة في الأردن حيث استقبلنا وزير الأوقاف، أما في سوريا فكان لنا لقاء مع عبد الحليم خدام نائب الرئيس وقتها، والشيخ كفتارو مفتي سوريا، وتوفيق صالحه عضو القيادة القطرية لحزب البعث، والسيد عبدالله الأحمر مساعد الأمين العام لحزب البعث، لقد كان موقف سوريا واضحًا وقويًا رافضًا للقرار من الأساس، وفى لبنان قابلنا رئيس لجنة الخارجية بالنواب وليد جنبلاط، ونائب وزير الخارجية، وكان موقفهما جيدا، رجعنا في آخر طائرة قبل دخول الحظر الجوي حيز التنفيذ.

كانت خلاصة تقريرنا أن الدول العربية يبكون معك وعليك لكنهم لا يقدمون ولا يؤخرون شيئا.

زيارات الوفود الأخرى للقارة الأفريقية والمغرب والمشرق العربيين لم تختلف نتائجها كثيرًا، كان الموقف واضحًا علينا بأن نعتمد على أنفسنا، وأن نستعد لما هو أسوأ، لقد ظهرت بوادر صراع لن يكون سهلًا، ولابد من تحريك كل الإمكانات لمواجهته وإفشال المشاريع المخطط لها في بلادنا.

حدث جلل ومصاب عظيم

وفاة أغلى الناس وأعزهم لي والدتي رحمها الله.

كانت والدتي غرسة محمد بن سالم بن طريق العروي العلوي الترهوني رحمها الله، لاتزال تهتم بي وكأني طفل صغير، وكانت لا تنام حتى أمر عليها ليليا، كنت أتناول معها الإفطار والشاي كل صباح، ما لم أكن خارج طرابلس، لقد توفي والدي رحمه الله وأنا في سن الخامسة وكان إخوتي صغارًا، وتحملت والدتي تربيتنا من الألف إلى الياء، كانت تعمل بالزراعة وتتولى كافة شؤوننا إلى أن ترك أخي الأكبر المرحوم علي الدراسة والتحق بالعمل ليوفر لنا ما يمكننا من العيش، كانت تهتم جدًا بدراستنا، فهي تعلم أن مستقبلنا في تعلمنا، وكنت مطيعا لها في كل أمر، لذلك كانت تحفني برعاية فوق الخاصة وربما أيضًا لأني "مصماص الكرشة!".

في الخمسينيات والستينيات كانت الحياة في المناطق المحيطة بطرابلس صعبة جدًا، فالإيطاليون أمموا كل الأراضي الصالحة للزراعة، واستوطنوها ولم يسمحوا لليبيين باستخدامها، فقط كانوا يعملون بها في وضع شبيه بعمالة السخرة من شظف الحياة، فكان الليبيون يعيشون حياة البداوة البسيطة لكن في مساحات ضيقة لم تسمح بامتلاك قطعان إبل ولا حتى أعداد كبيرة من الأغنام والماعز.

عندما رجعنا من العجيلات في عام 1947 نزلنا في ركن من مزرعة إيطالي كبيرة، فعمل والدي لديه في الفلاحة، زرع الطماطم والفول السوداني والبطيخ والدلاع، وكـــــان والدي ينال الربع مقابل

إنتاجه، بعدما توفي والدي تولت المرحومة إدارة شؤون الفلاحة بنفس الطريقة، وكانت مع إخوتي الأكبر سناً يشتغلون في جمع محاصيل الزيتون واللوز، أخي الأوسط امحمد كان حاد الذكاء تمكن في سن مبكرة من التقاط فن سياقة الآلات الزراعية فشغله الإيطالي على إحداها بثمن زهيد، أخي الأكبر ذهب للعمل في مصنع للتونة في صبراته، ثم عمل لدى وكالة بسوق الثلاثاء مع صديق اسمه الفرجاني، محاسباً، ولثقته فيه شاركه في محل، وتطور الحال لاستيراد الفواكه والخضروات والشتول من الخارج.

عندما التحقت بالمدرسة كانت أمي كأنها متخرجة من الجامعة فكانت تسألني عن دروسي وواجباتي، ولم أكن أعلم وقتها أنها لا تقرأ ولا تكتب، فكنت حريصا على أن أريها كل ما كتبت وما قرأت، وهي توهمني بأنها تتابعني، حتى بعد أن تزوج إخوتي وأنجبوا أطفالا استمرت أمي في ممارسة دور رب الأسرة، فكانت الأب والأم، ونجحت في احتضان كنائنها وربطتهن بها، وتشكلت ألفة كبيرة داخل أسرتنا الصغيرة.

في السنوات الأخيرة عانت من مرض ضغط الدم المرتفع، مع ضعف في أداء عضلة القلب نتيجة لذلك، وكانت تحت الرعاية الطبية لزملائي الأستاذ الدكتور محمد أبوبكر، والأستاذ الدكتور إبراهيم الشريف، كانت متابعة جيدة للأخبار والأحداث، وعندما بدأ التلويح بالحصار شعرت بقلق شديد حيال مستقبل البلد ومستقبلنا، ولما لا وقد عاشت محنة الاستعمار الإيطـــالي والحرب العالمية الثانية، تعرفت

عن قرب على كل أصدقائي المقربين، ومنهم: الشهيد سعيد راشد، والمرحوم محمد المجدوب، والشهيد عزالدين الهنشيري، والشهيد عبد القادر البغدادي، والطيب الصافي، وشعبان الطربان، وأحمد إبراهيم، ومفتاح بوكر، وكل الإخوة الرفاق، عندما اعتقلت في ألمانيا ظلمًا وزورًا، زارها المرحوم محمد المجدوب فقابلته وكأن شيئًا لم يكن، وعندما هم بالخروج قالت له هذه المرة الأولى التي تأتي إليَّ ومصطفي ليس معك، أبلغني أنه تأثر جدًا بتلك الجملة طمنها، لذلك عندما عدت من ألمانيا أصر أن لا أسلم على أمي إلا وهو معي، رحمهما الله جميعا.

كانت أمي محور رابطة عائلتنا الصغيرة، وترابطنا الذي حسدنا عليه البعض، فإلي يوم هجرتنا جميعنا نأكل على قصعة واحدة على رأي المثل الليبي، وكان دور أخي الأكبر المرحوم علي المحوري في العائلة يتكامل مع أدوارنا نحن، ولقد نجحت في بناء عائلة كبرت، نحمد الله أنه لم يكن بيننا أحد قد يقال عنه أي شيء يسيئ إلى سمعته أو سمعتنا.

يوم سقوط طائرة ياسر عرفات في صحراء الكفرة انزعجت من الخبر، عندما مررت عليها صباح يوم 12 مايو كانت صحتها جيدة ولم تشعر بأية مشاكل إضافية، لكنها كانت في غاية الإنزعاج على سقوط طائرة عرفات، حاولت أن أخفف من قلقها دون جدوى في تلك الساعات كانت الأخبار شحيحة جدًا على مصير الرجل وهل مات في رمال الكفرة؟ وهل هو حادث عرضي أم عمل مدبر؟ ذهبت كالعادة إلى المستشفى، عند حوالي الساعة العاشرة اتصلوا من البيت وأخبروني أن الحاجة "تاعبة قليلاً"، وأنهم في الطريق بها إلى المستشفى.

وصلت إلى مستشفى الحروق، وطلبت الصديق الدكتور بشير العلاقي للكشف عليها، حضر على عجل وشخص الحالة بأنها بداية ذبحة صدرية بسيطة، لكن صحتها تدهورت بسرعة، فنصحوني بنقلها إلى عناية القلب بقسم الأمراض الباطنية، وبالرغم من كوني طبيبًا وأعلم جيداً حجم المشكلة إلا أني لم أكن أتوقع أنها ستغادرني وتتركني إلى الأبد! حضر الزملاء خليل الهباش، وإبراهيم الشريف، ومحمد أبوبكر، وحضر الأصدقاء محمد المجدوب، والطيب الصافي، وسعيد راشد، وعزالدين الهنشيري، وعبد القادر البغدادي، وإبراهيم بكار، اقترح إبراهيم بكار نقلها للخارج، لكن الزملاء لم ينصحوا بذلك، مع غروب الشمس كانت روحها الطاهرة تصعد إلى بارئها، سقط أخي الحاج امحمد وهو يكبرني بسنين مغشياً عليه، أما أنا فلقد أنزل الله عليا صبراً وشجاعة تكررت معي فقط يوم علمت بخبر وفاة أخي ووالدي الحاج علي عام 2013، عندما وصلنا للبيت وجدنا ازدحاماً من الأهل والجيران وكان المرحوم الحاج علي يصلي، قلت له عظم الله أجرك، رد والدمع يملأ عينيه، اللهم اغفر لها وارحمها.

لن أتحدث عن مآثر أمي لأن كل أم هي كذلك لكنها ربتنا في زمن إملاق، وزرعت فينا شيماً لم نندم عليها، كانت أمًا وأباً وأختاً، ربطتنا برباط عائلي قوي.

في العزاء الذي استمر عدة أسابيع جاء كل معارفنا للتعزية، كما تشرفنا بمجيء القائد رحمه الله لتعزيتنا، وأثناء تواجده كان يوجه حديثه لإخوتي لن تشعر بأنك يتيم إلا عندما تفقد أمك مهما بلغت من

العمر، وهذا سر إلهي، لا شك أن القائد رحمه الله كان يعيش مأساة فقدان أمه عائشة بالنيران التي كان يرتبط بها بشدة.

أعراس التحدي

بضغط من الولايات المتحدة فرض الحصار الجوي والاقتصادي على ليبيا، ومنعت حركة الطيران المدني كليا من وإلى ليبيا، وبالرغم من الحصار الاقتصادي المشدد على قطاعات مهمة منها النفط والنقل الجوي والقطاع الصناعي، استطاعت ليبيا الصمود في وجهه ووضعت خططا بديلة للتعامل معها وعملت بكل الطرق لمواجهة نتائجه والتخفيف من أضراره، ولم ترضخ لمنطق القوة الذي حاولت الدول الغربية الكبرى فرضه للضغط عليها للقبول بتنفيذ قرارات مجلس الأمن الجائرة.

وضعت الدولة ترتيبات عاجلة لتوفير الاحتياطات اللازمة بتجنيب نصف دخل النفط خوفا من تصعيد العقوبات على ليبيا، ولتسهيل انسياب السلع الضرورية بدون عوائق ولتسيير القطاعات الخدمية كي لا يتأثر المواطن من تلك الإجراءات.

وتمكنت الدبلوماسية الليبية رغم هيمنة القطب الأمريكي الواحد على السياسة الدولية من تحقيق اختراقات مهمة خاصة في القارة الأفريقية، ونجحت في تشجيع القادة الأفارقة المرتبطين سياسيا بليبيا وبالقائد معمر القذافي على اتخاد إجراءات عملية لرفض الضغوطات الغربية على ليبيا وخرق الحظر الجوي، وكان لرئيس النيجر العقيد إبراهيم مناصرة السبق في فك الحصار على ليبيا ودعوة القائد لزيارة نيامي، وهكذا تبعه الرئيس إدريس دبي، والرئيس النيجيري إبراهيم ابشه الذي استقبل القائد استقبال الأبطال في كانو وأبوجا.

في 1993 تم ضبط خلية من الضباط على تواصل مع جهات أجنبية معادية تعد خطة للإطاحة بالثورة، وتنقل معلومات عسكرية سرية إلى المخابرات الأمريكية، تمت مراقبة المجموعة لمدة من الزمن، تم صدرت التعليمات بتوقيفهم والتحقيق معهم ومحاكمتهم.

في عيد الثورة أشار القائد تلميحا إلى تلك المؤامرة ونبه الضباط الذين قد يستغلون من قبل قوى معادية، وفي طريق عودة القائد من مدينة سرت نظمت في تاجوراء استقبالات شعبية كبيرة حيث خرج عشرات آلاف الناس لاستقباله، في اليوم التالي حضر إلى القيادة وفد من قيادات سوق الجمعة لدعوته لزيارة سوق الجمعة، وفعلا خرج أهل سوق الجمعة عن بكرة أبيهم في مسيرة استقبال لم تشهد لها مثيلا وخاطبهم القائد، ثم التقى بالفعاليات الشعبية بها وبعدها تناول عشاء كنت مدعوًا إليه في بيت المرحوم نوري سويدان، استقبالات سوق الجمعة انتشرت بين الناس، وأصبحت المناطق والمدن تتسابق لدعوة القائد التي لباها جميعا فيما عرف بأعراس التحدي، إذ بمجرد الترتيب للقائد للقاء قيادات المنطقة حتي يخرج مئات آلاف الناس لاستقباله ثم يلتقي بالقيادات، ومن ثم يتناول العشاء في أحد البيوت، ونظرا لتكرار المشهد تكون ذاتياً فريق إعداد من الإخوة عبدالله السنوسي، وعمار الطيف، وسعيد راشد، ومنصور ضو، وعبدالله منصور، وموسى كوسا ليتولى تنظيم زيارات القائد وبرمجتها وتنسيقها، تحولت الاستقبالات إلى مهرجانات شعبية فعلية، لقاء الزاوية والعجيلات وصبراته والجميل وزوارة وصرمـــــان كانت مميزة ومتمايزة، التقى

بجماهير ورشفانة بطبولهم السبع بعد أن كان التقى بجماهير قصر بن غشير وبالنواحي الأربعة في سوق الخميس امسيحل، وفي غريان والأصابعة والرابطة والزنتان وككلة وجادو ونالوت وغيرها، كانت الاستقبالات غير مسبوقة ولم تشهد تلك المدن زحوفا بشرية مماثلة إلى عام 2011، ترهونة، ومسلاتة، والقره بوللي، وقصر الأخيار، والخمس، وزليتن، ومصراتة، كانت أيضًا في مهرجانات مشهودة ورددت جماهير مصراته عفويا هتاف "مصراته هي مصراته تحمي الفاتح وإنجازاته" ثم انتقل الحراك الشعبي شرقا إلى اجدابيا وبنغازي والمرج والبيضاء ودرنة وطبرق، ثم جنوبا في كل مدن وقرى الجنوب الليبي.

حدثني الدكتور محمد أحمد الشريف أن أحد الأمريكيين المتواصلين مع إدارة بوش أبلغوه إنه أبرز الأسباب التي منعتهم من تنفيذ عمل عسكري هو صور مشاهد الاستقبالات المتواصلة للقائد، الأمر الذي أوضح لهم حجم شعبية الرجل بين مواطنيه، وربما دفعهم لتغيير تكتيكاتهم للتعامل مع الملف الليبي، لقد تطورت تلك المسيرات الشعبية لإفراز منظومة قيادة وطنية سميت القيادة الشعبية، اخترت ضمنها منسقا للقيادة الشعبية النواحي الأربعة، لكن اتفقنا مع الإخوة في قصر بن غشير على تكوين قيادة واحدة للمنطقة وتنازلت طوعا وبكل التقدير للأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف الذي اختير أول منسق عام لتلك القيادة ولمدة ستة أشهر.

لقد عاد الغرب إلى استراتيجياتهم القديمة، وهي التآمر السري وزعزعة الأمن والاستقرار، لقد نجحت الاستخبارات الأمريكية بالتعاون مع بعض الدول العربية وبتمويل منها في تجنيد عشرات من

الشباب العربي عموما والليبي خصوصا في إطار ما عرف بالجهاد ضد الملحدين الروس في أفغانستان، ولأن الليبيين متدينون بشكل عام فإن نشر الأفكار الجهادية والوهابية كان أمرا متيسرًا، تم تكوين منظمة إرهابية سرية أطلقت على نفسها اسم الجماعة الليبية المقاتلة التي بايعت في وقت لاحق زعيم القاعدة أسامة بن لادن، وجد الغرب ضالتهم لزعزعة الاستقرار في ليبيا، انطلقت الجماعة في عملها من داخل السودان، وقامت بتمويل وتدريب خلايا لها ليبيا، لكن الأجهزة الأمنية الليبية كشفتهم في وقت مبكر وبدأت في ملاحقتهم، حيث دارت ملاحقات مهمة في ليبيا خاصة في بنغازي ودرنه واجدابيا والزاوية وصبراته انتهت باعتقال أغلب خلايا التنظيم.

شهدت ليبيا منذ 1994 إلى نهاية التسعينيات حربًا ضروسًا ضد الإرهاب، بالرغم من أن ليبيا مصنفة أمريكيا وغربيا دولة داعمة للإرهاب، ألقى القبض على أغلب خلايا المجموعات الإرهابية، واستشهد خلالها عدد من قادة وأفراد الأجهزة الأمنية، حيث كانت تكتيكات الإرهابيين الانتحار بالقنابل اليدوية والأحزمة الناسفة عند القبض عليهم، كانت عمليات غسيل المخ للمغرر بهم للدخول لتلك التنظميات قوية جدًا حيث أفهموا أنهم يقاتلون مجتمعاً كافراً بما فيهم ذويهم الأقربون، ربما من الأخطاء التي وقعت فيها الدولة بقاء معركتها ضد الإرهاب سرية تمارسها أجهزة الأمن، وبقت أوراقها وجرائمها حبيسة أدراج تلك الأجهزة ولدى هيئات القضاء، الأمر الذي مكن الإخوان المسلمين مدعومين من الغرب من القيام بحملة دعائية لتشوية حقيقة تلك المعركة التي خاضها الأمن الليبي لحماية الليبيين والحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم، ودفاعا عن العالم، وصورت تلك

الجماعات الإرهابية كأنها معارضة سياسية تقوم أجهزة النظام بقمعها، ولم تظهر حقيقة تلك الجماعات إلا بعد سنوات بعد أن اكتوى الليبيين بنيرانهم ودمرت ليبيا بأفعالهم.

رحلات التحدي

فرضت الدول الغربية الكبرى التي تفردت بالسيطرة على القرار الدولي بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، حظراً جوياً شاملاً على ليبيا، بمجرد دخول قرار مجلس الأمن حيز التنفيذ أرجعت جميع الطائرات الليبية من الجو وامتنعت كل الخطوط العالمية عن الطيران إلى ليبيا، كان قرارًا عنصريًا وعقابًا جماعيًا لليبيين عن جرم لم يثبت، وأن ثبت فمسؤوليته تقع على مرتكبه فقط، اضطر آلاف المسافرين الليبيين بالخارج للبحث عن طرق بديلة للعودة بدلًا من طريق تونس ومصر برًا ومالطا بحرًا، فكان مطار جربه منفذًا بديلًا ومناسبًا، وكذلك مطار فاليتا، لذلك انتظمت رحلة بحرية يومية من طرابلس إلى مالطا والعكس.

لكن القائد كان يفكر دائمًا في كسر الحظر الجوي، ويبحث عن طرق مبتدعة لإحراج المجتمع الدولي والحكومات العربية التي خضعت دون مبرر لقرارات مفروضة على مجلس الأمن.

كان المسافرون عن طريق مالطا يقضون ليلة كاملة على ظهر الباخرة طليطلة أو غرناطة التي تسير رحلات تنطلق مساء من طرابلس لتصل مالطا في الصباح وتعود من مالطا مساء، كانت الباخرتان تتقابلان ليلا وسط المتوسط، من مالطا يستطيع

المسافرتحديد وجهته، وكانت ليبيا قد أبرمت اتفاقات تنقل وإقامة خاصة مع مالطا سهلت إجراءات دخول الليبيين إلى أراضيها.

طليطلة وغرناطة تحولتا أيضًا إلى ناقلتين مهمتين للشباب من تجار الشنطة الذين يأتون ببضائع رخيصة من طرابلس لتباع في مالطا، وينقلون ما يحملونه من بضائع قادمة من الصين أو تركيا إلى طرابلس، ولتخوف بعضهم من الجمرك المالطي لن تستغرب إذا اقترب منك شباب ساعة النزول وطلبوا منك أياً كانت سنك أن تحمل معهم بعض الحقائب إلى ما بعد بوابة الجمرك.

بالنسبة لي بسبب كثرة السفر توطدت علاقاتنا مع ربابنة وبحارة طليلطلة وغرناطة، فكنت أفضل السفر عبر مالطا على جربة، فهي مريحة من ناحية وأسهل من ناحية أخرى فقط بدل أن تقضي ليلة في البيت أو الفندق بمالطا تقضيها في غرف مريحة بالباخرة.

رحلة جربة كانت أكثر تعبًا فرغم قرب المسافة في حدود 300 كيلومتر إلا أن المرور من بوابة رأس جدير لم يكن بتلك السهولة واليسر فعلاوة على الازدحام بالبوابة فإن إجراءات الجوازات والجمارك بطيئة جدًا تستنزف كثيراً من الوقت، وعادة ما يفقد المرء رحلات مبرمجة من مطار جربة بسبب التأخر في الوصول.

أما بالنسبة للمنطقة الشرقية فكان الخروج والدخول عن طريق امساعد القاهرة، لكنها تأخذ وقتاً أطول بسبب تعقيدات البوابات في السلوم.

مصائب قوم عند قوم فوائد، لقد تحول ميناء فاليتا ومطار جربة إلى مكانين يكتظان يوميًا بالمسافرين من وإلى ليبيا من كل الجنسيات،

وفتحت إدارة المراسم والشركات النفطية والمؤسسات الكبرى مكاتب استقبال لها في جربة ومالطا لتسهيل حركة سفر الوفود الرسمية والشركات والعمالة الأجنبية من وإلى ليبيا، فتحول مطار جربة من مطار موسمي لنقل السياح إلى جزيرة جربة إلى مطار دولى يعج بالمسافرين القاصدين ليبيا أو الآتين منها برًا، كمحطة بديلة عن المطارات الليبية.

لم تعترف ليبيا بشرعية قرارات مجلس الأمن وكان شغل القيادة الشاغل هو كسر الحصار، حاولت دبلوماسيا مع عديد الدول دون جدوى، فسيطرة الولايات المتحدة الأحادية على العالم خاصة بعد حرب الخليج الأولى لم تسمح لدول الجوار بإتخاذ قرارات جريئة ومستقلة فيما يتعلق بالحظر الجوي، وأكتفت بتقديم تسهيلات للمسافرين من وإلى ليبيا.

استوعبت الدولة تأثيرات حظر الطيران بشكل أو بآخر، وفي نفس الوقت بحثت عن وسائل عملية لدفع الدول لكسر الحصار مستغلة التعاطف الشعبي العالمي مع ليبيا، من بين البرامج التي نفذت **الحج على ظهور الإبل** حيث قام مئات الشباب من الرجال والنساء بترتيب قافلة للحج على ظهور الإبل لنقلهم إلى الديار المقدسة، يحملون رسالة مفادها أن الحظر الجوي منع الليبيين من الحج، وفعلا وصل مئات من الحجاج الليبيين إلى مكة على الإبل وسط صمت الإعلام العربي والأجنبي الذي لا يسمع ولا يرى، رغم أن الحج على الإبل اختفى منذ قرون، ورغم أن العدد لم يكن رمزيًا بل عددًا كبيرًا، تم الانتقال من ليبيا إلى مصر برًا ومن القاهرة إلى مكة تم السفر في قافلة الإبل، وفي محاولة أكثر جرأة للفت نظر الرأي العام تقرر العام التــالي الحج إلى

القدس بدل مكة في رسالة مفادها أن الليبيين ظلموا ومنعوا من الحج ولم يأبه بهم أحد، فسيحجون إلى أولى القبلتين وثالث الحرمين القدس، إمعاناً في إحراج الأنظمة العربية، وفعلاً انتقل عدد من الشباب إلى القدس عبر غزة في عملية استفزازية، لكن ضمائر الحكام العرب لم تكن قابلة للاستفزاز، عندما لم تنجح تلك العمليات الاستفزازية في إحداث حراك شعبي ورسمي ضد الحظر الجوي على ليبيا بعد أن تأكد أن الانظمة العربية غير قادرة على تقديم مبادرات للتخفيف من معاناة الليبيين تقرر كسر الحظر الجوي، والحج بالطائرات مباشرة من ليبيا إلى جدة ودون انتظار موافقات العبور أو الهبوط، وفي 28 مارس 1995 أعلن القائد أثناء الاحتفال بطرد القواعد البريطانية ذلك القرار التاريخي من قاعدة جمال عبدالناصر بطبرق، قال لن يمنعنا أحد من الحج هذا واجب على المستطيعين وحق لليبيين لن يخضع لترتيبات مجلس الأمن الخاضع لسيطرة أمريكا عدو الإسلام والمسلمين، وقال: من الغد ستتوجه الطائرات مباشرة من ليبيا إلى الأراضي المقدسة ونحمل المسؤولية لكل من يتعرض لها بسوء، اندفع مئات الناس المتحمسين يتسابقون للفوز بشرف كسر الحظر الجوي بالرغم من عدم ترتيب التأشيرات والإجراءات العادية التي تطلبها حكومة السعودية، وفعلا انتقلت أول طائرة من طرابلس إلى طبرق ثم مباشرة إلى جدة دون أذونات مرور أو هبوط، وفي رحلة تحدي حقيقية تمثلت فيها شجاعة قائد الطائرة والطاقم المرافق له والحجاج الذين كانوا يتسابقون على الركوب بها، حاولت السلطات المصرية منع الطائرة لكنها لم تفعل شيء أمام تعنت قائد الطائرة وإصراره على إكمال رحلته إلى جدة.

لقد اتخذت السلطات السعودية بتوجيهات من المرحوم نايف بن عبدالعزيز إجراءات شجاعة وسمحت للطائرة بالهبوط وللحجاج بالنزول وسهلت كافة إجراءات دخولهم بالرغم من عدم حصولهم على تأشيرات مسبقة، زودت لطائرة بالوقد ورجعت من حيث أتت سالمة، عند هبوطها في طرابلس استقبل طاقم الطائرة استقبال الأبطال، تعاقبت الطائرات التي تنقل الحجاج، وأصبحت تلك الطائرة عنوانا لقصائد الشعراء ودخلت التاريخ الليبي من أوسع أبوابه باسم "طائرة التحدي".

القائد يكسر الحصار

بعد انقطاع للقمم العربية دام 6 سنوات نتيجة تداعيات حرب الخليج، وفي محاولة من مصر للملمة الموقف العربي، دعت لقمة عربية طارئة في القاهرة في 21 يونيو 1996، ودعي القائد رحمه الله للمشاركة بها، ورغم تحفظه على القمم العربية التي تحولت إلى محفل شكلي دون قرارات جدية رغم المخاطر التي تتهدد الأمة إلا أنه وتحت إصرار الرئيس حسني مبارك لبى الدعوة، وقرر المشاركة، يوم انعقاد القمة صباحا استقل القائد الطائرة ونزل في مطار القاهرة وسط ذهول العالم وعجزه عن مواجهة هذا التحدي، المصريون برروا استقبالهم للطائرة بأن الوفود السياسية والحجاج لا ينبغي أن يكونوا في إطار الحظر من السفر، وأن القائد حضر للقاهرة للبحث في مخارج لأزمة لوكربي، غطى الحدث على القمة فضاعت بين الخطوات التي خطاها في مطار القاهرة، تناولت القمة كما كان متوقعا قضايا عادية منها الموافقة المبدئية على إنشـــاء محكمة العدل العربية التي لم ترى

النور، وكذلك اتفاقية تجارة حرة بين الأقطار العربية بقيت حبيسة الأدراج، والحفاظ على وحدة العراق، وتكرار الموافقة على مبادرة السلام العربية التي ولدت ميتة، لكن اقتراح ليبيا بتحويل الجامعة العربية إلى اتحاد عربي يوفر قدراً أوسع من العمل العربي المشترك فتشكلت لجان لمزيد من التمحيص والفحص، والقصد واضح هو التمييع.

عند رجوع القائد إلى طرابلس ذهبنا مجموعة لتهنئته بسلامة الوصول كان من بينهم عدد من الإخوة الضباط الأحرار والقيادات الثورية، تحول إلى لقاء لم يكن مبرمجا وحلقة نقاش استراتيجية حول الفساد وأخطاره وسبل مواجهته ومقاومته، وكذلك آليات تطوير العمل الشعبي ومواجهة الحصار.

الرؤساء الأفارقة يكسرون الحظر الجوي

بعد رحلات الحجيج بالطيران ورحلة القائد إلى القاهرة جوا، كان الرئيس النيجري إبراهيم باري مناصرة أول القادة الأجانب الذين كسروا الحظر الجوي المفروض على ليبيا، ففي موقف شجاع أخذ طائرته وحط في مطار طرابلس العالمي في تحدٍ قوي لقرارات مجلس الأمن الظالمة.

كان الرئيس إبراهيم باري مناصرة قد وصل إلى السلطة عقب انقلاب عسكري ضد الرئيس حسين كونتشي الذي كان يتخذ موقفاً غير ودياً لليبيا وقيادتها، وكان إبراهيم مناصرة ثورياً شجاعاً وحظي بدعم سياسي واقتصادي مهم من ليبيا، اتخذ الرئيس مناصـــــرة قرار كسر

الحظر الجوي على ليبيا فحضر بطائرته لمقابلة القائد وللإعلان على أن الأفارقة لا ينبغي أن يقبلوا فرض عزلة على ليبيا وعلى القائد معمر القذافي، فذلك حسب رأيه فقط لمنع تواصل الشعوب الأفريقية ولعرقلة مساهمة ليبيا في قيادة المشروع التحرري والتنموي الأفريقي، بعد رحلة إبراهيم مناصرة التاريخية توالى وصول الرؤساء الافارقة بطائراتهم إلى طرابلس، بدأت بإدريس دبي وبعده ألفا عمر كوناري، وبليز كامباوري وهكذا.

في شهر مايو 1997 قام القائد بالخطوة الأهم لكسر الحصار الجوي فسافر جوا إلى أنجامينا ثم اصطحب الرئيس إدريس دبي وغادرا إلى نيامي وصاحبهما إبراهيم مناصرة رئيس النيجر إلى كانو عاصمة الشمال النيجيري، حيث أمّ القائد مئات آلاف المصلين في جمعة جامعة، ومنها طار إلى أبوجا حيث عقد لقاء مع الرئيس النجيري ساني ابشا، وعاد جوا إلى سبها.

لقد كان لي شرف التواجد في الصلاة الجامعة في كانو ومرافقة القائد إلى أبوجا ومن ثم عودته إلى سبها، وفي تلك الرحلة حكايات مهمة وتاريخية تحتاج لمساحة خاصة.

إن الضربة الأولى لكسر الحظر على ليبيا فعلها القادة الأفارقة في غرب أفريقيا، الأمر الذي تطور إلى قرار قمة هراري ومن بعده قمة واقادوقو برفض قرارات مجلس الأمن على ليبيا والتهديد باتخاذ قرارات أحادية لاختراق تلك القرارات، وهنا لابد من تبيان الدور المهم الذي لعبته شخصيات ليبية ثورية كانت تتواصل مع القارة الأفريقية، ومنهم الأستاذ الفاضل محمد أحمد الشريف، والأستاذ بشير صالح، والدكتور المدني الأزهري، والأستاذ مختار القناص، والدكتور سعيد حفيانه، والدكتور علي التريكي، والأخ قرين صالح، والأستاذ

عمر الحامدي، وموسى كوسا، والمناضل عبدالله السنوسي، والمناضل حسين الكوني، والدكتور أحمد الفيتوري والعبد الفقير لله، وعديد الدبلوماسيين من قادة الجهاز الدبلوماسي والأمني الليبي والسفراء والمبعوثين.

البعض ينظر للقادة الأفارقة بأنهم ضعفاء أمام المستعمر نتيجة اعتمادهم عليه، وبالنظر لظروف الشعوب الأفريقية الاقتصادية، إلا أن الحقيقة عكس ذلك تماما، فالنخبة الأفريقية في عمومها تحررية ومعادية للمستعمر وتحمل روحا وطنية عالية، وأغلب القادة الأفارقة من طينة تلك النخبة ويتحلون بالشجاعة، ومقارنة بالنظام العربي فلقد نجح الأفارقة رغم اختلافهم القبلي والأثني واللغوي في تطوير منظمة الوحدة الأفريقية إلى كيان أفريقي أكثر ترابطاً وتنسيقاً، عكس جامعة الدول العربية التي تأسست قبل منظمة الوحدة الأفريقية بعقود، القمة الأفريقية منتظمة مرتين في العام، دورة تناقش القضايا العامة وأخرى تناقش القضايا الاقتصادية والمالية والأمور التنظيمة ومواعيدها معروفة ومحددة مسبقا، ونادراً ما يتغيب القادة الأفارقة عن حضورها إلا لظروف قاسية جدا، المجالس المتخصصة كمجلس السلم والأمن ومحكمة العدل الأفريقية والمجموعات الإقليمية داخلها أكثر فاعلية وتماسك، والقادة الأفارقة يلتزمون بكلامهم وينفذون ما يتعهدون به دون نقصان، عكس حال أغلب قادتنا يتكلمون كثيرًا ولاينفذون شيء.

عملية الشاطئ

عام 1996 كان القائد بمدينة سبها وفي طريق عودته إلى طرابلس قررت جماهير الشاطئ تنظيم استقبال شعبي له، وبالنظر إلى الظروف الأمنية واكتشاف تنظيم الجماعة المقاتلة، كانت الأجهزة الأمنية تطلب من المستقبلين المرور من أقواس تفتيش للكشف عن الأسلحة، لكن حضور القائد المبكر لم يسمح للأجهزة بتنفيذ خطتها، تمكنت خلية إرهابية من الجماعة الليبية المقاتلة تحمل عدة قنابل يدوية من التسلل بين المحتشدين، عند وصول القائد وتحركه وسط الجماهير للصعود إلى المنصة تمكن أحدهم ويسمى القريو من إلقاء قنبلة يدوية على القائد، لم ينتبه الحرس الخاص لذلك، لكن القائد ركلها برجله وصعد إلى المنصة، أخذ الحرس المقذوفة وذهبوا بها خلف المنصة وكانت الدهشة العظيمة، إنها قنبلة يدوية بدون مسمار أمان، لم تنفجر بحمد الله، القائد عرف أنها قنبلة لكنه صعد إلى المنصة وكأن شيئًا لم يحدث، هرع آمر الحرس إليه بينما مراسم الحفل الجماهيري قد انطلقت، همس في أذنه، علينا المغادرة، إنه فخ، ما ألقي كان قنبلة يدوية لم تنفجر بحمد الله، رد القائد كان غاضباً أعلم أنها قنبلة، وهل توقعتم أنها علبة شكلاطه؟ الآن عليكم القيام بواجبكم، تحدث للجماهير لمدة تعمد أن تكون طويلة وكأن شيئًا لم يحدث واستكمل الحفل كما كان مخططاً له.

لقد قام الحرس بإبعاد الجمهور إلى مسافة آمنة وتمكنوا في وقت قصير من استطلاع وتأمين المنطقة المحيطة تحسبا لوجود قنابل أخرى أو أسلحة بديلة.

تواصل معي بعض الإخوة وأبلغوني ما حدث، بعدها اتصل أحد الإخوة المنظمين للحفل سألته عن الأخبار فوجدت أن المنظمين والجمهور لم ينتبهوا إطلاقا لما حصل وذلك بسبب الطريقة التي تعامل بها القائد مع الحادثة.

يقول نعمان بن عثمان وكان أحد قادة التنظيم آنذاك، لأحد الأصدقاء، إن منفذي العملية كانا شخصين حملا ثمانية قنابل، وتمكنا من التسلل بين جماهير المستقبلين، وأن القنابل تم قراءة الرقية الشرعية عليها لإبطال مفعول أي سحر، لأنه كانت لديهم اعتقادات بأن القائد يستعين بالسحرة لإبطال الأعمال الإرهابية ضده، سائق السيارة دخل على المنصة بالعكس فبدل أن يكون باب السيارة من جهة المنصة كان من جهة الجمهور أي أن القائد كان أقرب لمنفذي العملية، وأن القريو أمسك بالقنبلة أطول وقت ممكن لضمان انفجارها، لكن إرادة الله كانت أقوى فلم تفلح الرقية ولا المسافة ولا القريو، ركلها القائد رحمه الله برجله وصعد إلى المنصة واستمر الحفل وكأن شيئًا لم يكن.

بعد العملية غادر القائد الشاطئ وبدأت التحقيقات الجدية في وقت قياسي تم التعرف على هوية المنفذ المسمى القريو بالرغم من أن الصور المتوفرة لدى الأمن كانت قديمة، الذي تسلل مع خليته إلى تاجوراء واستأجر بيتا قريبا من بيت موسى كوسا لظنه أنه مكان آمن لا يتوقع الأمن اختباء إرهابيين به، لكن الأمن وبسرعة تعرف على المكان وحاصره وتمت مداهمته في عملية أمنية مفاجئة، وقتل القريو

ومرافقوه خلال الاشتباك مع القوة الأمنية أثناء محاولة اعتقاله بتفجير نفسه.

جراحة للقائد على الهواء مباشرة

في بداية شهر يوليو 1998 وبينما كانت الاستعدادات تجري كالعادة للاحتفال بالمولد النبوي في مدينة البيضاء، واستضافة عشرات رؤساء الدول والعلماء المسلمين من كل أنحاء العالم، وبينما كانت الوفود تتقاطر على البيضاء، كان القائد يستعد كعادته لمثل هذا الحدث التاريخي، فهو منذ 1973 يحيي سنويا في لقاءات دينية محلية وخارجية ذكرى المولد النبوي باعتباره أهم حدث تاريخي وهو مولد آخر الرسل الذي حمله الله سبحانه وتعالى رسالته الأخيرة للعالمين كافة، تماما كاهتمامه بضرورة إحياء ذكرى وفاته التي تعني انقطاع الوحي من الله عز وجل عن البشر نهائيا إلى يوم القيامة، فلقد اكتمل الدين وارتضى الله الإسلام للناس منهاجا وشريعة، وهكذا وجه بضرورة تسجيل التاريخ الإنساني من يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس من يوم هجرته، ولا يوم ولادة المسيح غير المحددة بدقة، فأصبحت الدولة الليبية تؤرخ ميلاديا بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كان القائد رحمه الله يجد في ذكرى المولد النبوي الشريف، مناسبة لتوسيع الدعوة لنشر الإسلام وتبيان حقيقته وفضح محـــاولات

الغرب تشويه صورته، وتقديمه للناس كما أمر الرحمن الرحيم، رحمة للعالمين وتشجيع الدعاة من كل أقطار العالم.

صبيحة ذلك اليوم انزلق القائد رحمه الله في حمام بيته في مدينة البيضاء ووقع على الأرض فكسر "عنق عظم الفخذ" ولم يستطع الحراك جاء الأطباء المرافقون له في الرحلة وهم طبيب جراح، وطبيب باطنة، وطبيب تخذير، فتبين من الكشف الإكلينيكي حالة كسر في عنق عظم الفخذ، هذا الكسر من النوع الحساس إذ يمكن أن يقطع الشريان الوحيد الذي ينقل الدم إلى رأس الفخذ في مفصل الورك، مما يؤدي إلى تلف لرأس الفخذ وما سينتج عنه من مضاعفات تؤثر على حركة الطرف السفلي وتؤدي إلى إعاقة قد تكون معقدة، وكالعادة ينصح الأطباء باتباع طرق مأمونة لحركة المصاب لكي لا يحصل التواء عند الكسر ويصاب الشريان المشار إليه، وفعلا تمكن الأطباء المرافقون من إجراء الإسعاف الأولي بكفاءة وتم نقل القائد إلى التصوير العادي والتصوير المقطعي وفعلا تأكد التشخيص.

كنت قد عدت ليلاً إلى طرابلس من مدينة سرت حيث كنت في عزاء صديقي ورفيقي محمد المجدوب في وفاة ابنه ناصر، اتصل بى الأخ عبدالله السنوسي وأخبرني بالحادث، فتواصلت مع إخصائي العظام وهم البرفسور محمد راشد، والبرفسور عبد الرؤوف القبرون، والبرفسور مراد لنقي، كان البرفسور راشد قد أبلغ من عيادة القيادة بالأمر وسافر إلى البيضاء وتولى مباشرة الإشراف على الحالة أثناء الاتصال بالبرفسور راشد أبلغني بطبيعة الحالة، وضـــرورة التدخل

الجراحي العاجل، وأن الإمكانات متوفرة بالبيضاء، ولا داعي للقلق وأنه ينتظر قدومي لأن الأخ القائد طلب منه ذلك.

في المساء تم ترتيب طائرة، سافرت مع الأخوين مراد لنقي وعبد الرؤوف القبرون إلى مدينة البيضاء، واتجهنا مباشرة إلى البيت حيث يقيم القائد، استقبلنا الأخ محمد راشد وشرح لنا الحالة وأطلعنا على الصور فكان رأي الأخوين ضرورة تثبيت الكسر فوراً لمنع أية مضاعفات، ثم قابلنا القائد وكانت معنوياته عالية، ناقشنا معه طبيعة المشكلة ومضاعفاتها أبلغه البرفسور راشد بضرورة العملية وشرح له مضاعفاتها الممكنة، وأن الإمكانات المتوفرة تسمح بإجرائها في البيضاء، فوافق على أن يكون التخدير موضعي ونصفي وليس كلي، كان طبيب التخدير المرافق الدكتور علي الشريف غير متحمس للتخدير النصفي، فطلب استدعاء البرفسور عدي أدهم إخصائي التخدير لأخذ استشارته، نقلت إحدى طائرات الإسعاف الدكتور عدي أدهم إلى البيضاء وبعد الكشف على الحالة وتقييمها قرر إجراء التخدير النصفي وفعلا تم ترتيب غرفة العمليات بسرعة وفى حدود الساعة 9 ليلا أدخل القائد إلى الغرفة، وقام البرفسور أدهم بإجراء التخدير النصفي، وباشر البرفسور محمد راشد، والبرفسور القبرون إجراء العملية وكنت مع البرفسور لنقي داخل غرفة العمليات، لم نكن نعلم أن المصور المرافق والذي كان يصور العملية يبث العملية على الهواء مباشرة إلا بعد انتهاء الجراحة!.

أعتقد إنها المرة الأولى في تاريخ الطب التي تجرى فيها جراحة كبرى لشخصية مشهورة أو حتى لمواطن عادي وتبث على الهواء في

المحطات التلفزيونية، لكن ربما لحسن الحظ لم ينتبه كثيرون أن تلك العملية التي تبث من الإذاعة هي عملية للقائد الخالد وأنها تنقل على الهواء من مدينة البيضاء، استغرقت العملية حوالي ساعة ونصف وتمت بنجاح.

بعد انتهاء العملية، انتقلت والإخوة مراد، وراشد، والقبرون وأدهم إلى حيث يقيم الأطباء المرافقون للرحلة في البيضاء، كانت النصائح الطبية في مثل هذه الحالات تقضي ببقاء المريض في الفراش لعدة أيام قبل بدء الحركة البطيئة والتدريجية التي تأخذ وقتا طويلا ليسمح بالحركة العادية، إلا أن القائد أصر في اليوم الثاني على حضور اللقاء مع الرؤساء والمشايخ والضيوف المدعوين للحفل السنوي بذكرى المولد النبوي، دار جدل طويل ثم اتفقنا معه ومع الحراسات أن تحضر الوفود إلى مقر الإقامة، وأن لا يتحدث وأن لا يطيل الجلوس على الكرسي المتحرك وبحد أقصى نصف ساعة، ولأن شهر يوليو في البيضاء بارد بعض الشيء خاصة في المساء، فتم تجهيز سرادق مغطاة أمام مقر الإقامة على عجل وجاء الضيوف وأخرجنا القائد على كرسي متحرك ليحييهم ويسلم على بعضهم، بعد أن انتهى رؤساء الوفود من السلام عليه توقعنا أن الأمر انتهى بسلام ووفق المخطط الطبي لكنه أصر أن يحييهم بكلمة قصيرة، بدأ يتحدث وكأن شيئًا لم يكن وكأن نصائح الأطباء لم تعد واردة، وأسهب في حديثه الذى تجاوز الساعة، لم يعر اهتماما لتدخلاتنا وإشاراتنا، بعد أكثر من ساعة كنت خلف القائد طلبني أحد الحراس وأبلغني أن الدكتور محمد راشد يريدني

فورًا، خرجت إليه فقال لو استمر القائد جالسا لمدة ربع ساعة أخرى معناها الذي قمنا به البارحة فشل، عليكم إعادته فورا إلى السرير، كتبت ورقة للقائد بعد خمس دقائق رماها واستمر يتحدث وكأن شيئًا لم يكن! استنجدت بالأخ قرين صالح وكان سفيراً لليبيا في تشاد أن نستعين على القائد بالرئيس دبى، وفعلا صعد الرئيس إدريس دبي وقاطع القائد، وقال ضاحكاً يا أخوة القائد مريض والأطباء قلقون جدًا لأنه أطال الجلوس نحن سعيدون ومهتمون بالاستماع إلى ما يقوله لكن الأطباء يقولون إنه لو استمر لدقائق فإن العملية التي أجراها ونجحت والحمد لله سيضطرون لإعادتها وفي تلك الحال نتائجها غير مضمونة، وأنا مضطر لاستخدام سلطاتي كصديق وأخ وضيف لإعادته لسريره، عاصفة من التصفيق ووقف الجميع يؤيدون الرئيس دبي الذي جرّ الكرسي المتحرك للخلف، بعد عودته للسرير شعر القائد ببعض الآلام فقام الدكتور أدهم بحقن مسكن موضعي في الظهر.

كثر الازدحام على القائد للاطمئنان عليه، من الذين حضروا الفريق أبوبكر يونس، اللواء الخويلدي الحميدي، واللواء الخروبي، وعبدالسلام جلود، الذي جاء غاضباً وصاح في وجه الأخ عبدالله السنوسي وبقية الحرس كيف لا تبلغوني، أنا القائد أخي، أنتم تعزلونه عنا وأخذ في إلقاء سيل من السباب عليهم لكن صدورهم كانت أوسع من المحيط، كانوا فقط يعتذرون، الضباط الأحرار والضباط بمختلف رتبهم والقيادات الشعبية والسياسية وأهالي البيضاء، ولا شك فإن

ازدحام الزيارات يؤثر على شفاء المريض، لكن الزوار في أغلبهم بصفات وقيادات يصعب منعهم من السلام على القائد.

كان الأطباء يعولون عليّ في تقليل زحمة زيارة القائد لكني في الواقع لم أكن قادراً على ذلك في كثير الأحيان لطبيعة الزوار كما ذكرت من الضيوف والإخوة الضباط والقيادات فكان يستحيل منعهم، في اليوم الثالث وصل الشهيد المعتصم بالله رحمه الله إلى البيضاء، وكانت تربطني به علاقة جيدة لكونه طبيب في الأساس، شرحت له الموقف، فساعدنا في التقليل من الزيارات، المشكلة في الزيارات تكمن في بساطة القائد ومجاملته للزوار فكان كلما أبلغ بزيارة أحد يقرر الجلوس على الكرسي وليس في السرير وذلك يزيد من الحركة والضغط على المفصل المصاب.

أطباء زوّار

أرسل الرئيس حسني مبارك فريقاً طبياً للوقوف على حالة القائد والاطمئنان عليه، عندما أبلغته بوصولهم، قال لي يأتوا فقط للسلام، أما الوضع الصحي فناقشوهم أنتم، وفعلاً استقبلتهم مع البرفسور القبرون، ولنقي، ومحمد راشد، وعرضنا عليهم الإجراء الذي أتخذ في عموميات وطلبنا إن كان لهم رأي آخر، فأجمعوا على أن التدخل كان سليماً، وقال أحدهم ممازحاً أنتم انتحاريون كيف جاءتكم الشجاعـــة لإجراء هذه العملية الكبرى في هذا الوضع، كان يفترض أن تجرى في مركز طبي مجهز ومتطور.

بعدها بساعات وصل وفد طبي تونسي أرسله الرئيس بن علي من تونس، واتبعنا معه نفس الإجراء، وفى اليوم الرابع هبطت طائرة لمطار البيضاء تحمل فريقًا طبيًا ألمانيًا أرسله الأخ سيف الإسلام، وضم نخبة من الخبراء في مجال جراحة العظام، وعندما أبلغت القائد أنا والدكتور إبراهيم الشريف وبشير العلاقي بوصولهم، وطلبنا تمكينهم من تقييم الحالة، رفض بشدة وقال ليناقشهم الدكتور محمد راشد أنا أموري طيبة وفعلاً استقبلهم الإخوة أساتذة العظام ولم يتمكنوا من مقابلة القائد.

بعد أسبوع تقريبا استقرت حالة القائد وقرر العودة إلى طرابلس، بالطبع كان من غير الممكن أن يقطع الطريق جالسا على كرسي فلا يمكنه الوقوف، فلم يكن هناك من بديل من أن يتنقل بالحافلة المجهزة المرافقة "كارفان" لكن الصعود إليها يحتاج إلى ترتيب وفعلا تمكن الإخوة في الحراسة من تصنيع سلم خاص يدفع فوقه الكرسي المتحرك إلى الباب، انطلقت الرحلة في الصباح إلى طرابلس عبر الطريق الصحراوي، وفى المساء وصلنا إلى مدينة البريقة، وأثناء تواجدنا هناك أبلغنا أن المرحوم ياسر عرفات قادم للسلام على القائد، كانت هناك شبه قطيعة بين الرجلين نتيجة مشاركة منظمة التحرير في مدريد واتفاق "أوسلو" وما إليها إلا أن عرفات وما أن علم بإصابة القائد رحمه الله حتى استقل طائرة وحط في جربة ومن بعدها انتقل برًا إلى طرابلس وجوًا إلى البريقة، حضرت جزء من اللقاء كان ودياً وحاراً ويعكس تقدير الرجال الكبار لبعضهم البعض.

حادث غريب في هراوة

بينما نحن في البيضاء ثاني أيام إصابة القائد، وقع حادث غريب للمرحوم الصديق عبد السلام الزادمة في بيته بمدينة هراوة، كان عبد السلام قد عزم على الزواج من امرأة أخرى، وأقام عرسا في مدينة هراوة، في يوم الفرح وبينما كان يهم بركوب فرسه أراد أن يمسح بوجها لكنها هزت رأسها فأصابته في رأسه فوقع مغشياً عليه، نقل رحمه الله إلى مستشفى سرت، وشخصت حالته على أنها إصابة شديدة بالجمجمة نتج عنها ارتجاج وتهتك شديد في أنسجة المخ والمخيخ.

اتصل بي الإخوة من سرت، وطلبوا مشورة إخصائيين من مركز جراحة الأعصاب في مستشفى الدكتور على عسكر بمنطقة سبيعه، وفعلا تواصلنا مع الإخوة وتم إرسال فريق من أخصائي جراحة المخ والأعصاب والأشعة، وعند وصولهم وبعد الكشف السريري والاطلاع على الصور الإشعاعية والمقطعية والتحليلات الطبية أبلغوني بأن الحالة ميؤوس منها، لم أشأ إبلاغ القائد عن طبيعة الحالة بالنظر لمعرفتي بأن ذلك سوف يؤثر على حالته النفسية واتفقت أنا والأخوان الدكتور بشير العلاقي، وإبراهيم الشريف بأن لا نتبرع بإبلاغ القائد بأي شيء إلا إذا سألنا.

كان رأيي أن ينقل المرحوم إلى مستشفى علي عسكر للتخفيف من حالة الصدمة لعائلته، لكني كنت أعلم أن أخي عبد السلام كان قد

انتقل إلى عداد الأموات، وكان عليا التصرف كصديق للمصاب وكطبيب وعليا كتم حزني على فقد رفيق وصديق.

عندما كنت في وفاة ابن الأخ محمد المجدوب كنت أقيم مع الأخ المرحوم عبدالسلام الزادمة في مقر كتيبة الساعدي وكنا نمضي وقتا طويلاً في الحديث عن كل شيء، وتناولنا قصة زواجه الجديد وكنت معترضاً بشدة بسبب العلاقة مع عائلة زوجته، لكنه كان مصرا وقال إن القائد كان يقول له نفس الكلام، أبلغني أن زوجته موافقة كتابياً فقلت ممازحاً لابد أن الموافقة أخذت تحت التهديد أو التخدير.

طوال الليل كنت والأخ الدكتور إبراهيم الشريف نناقش كيف سنتناول الموضوع مع القائد ونحن نعرف علاقته بالمرحوم عبدالسلام، مؤكدين أننا لن نتبرع بمعلومات، إلا إذا طلبت منا تفاصيل نقدمها.

في الصباح طلبني القائد وسألني مباشرة ماذا حدث لعبدالسلام الزادمة قلت له وقع حسب معلوماتي من فرس فأصيب بارتجاج في المخ وكسور بالجمجمة وحالته مستقره وسينقل إلى مستشفى جراحة الأعصاب باسبيعة، قال هل حالته خطرة؟ قلت له مبدئياً نعم لكن لننتظر حتى يصل إلى مستشفى الأعصاب وسوف يتم تقييم الحالة، عندما أبلغت الدكتور إبراهيم بفحوى الحوار فرح لأنه خرج من مسؤلية متابعة الحالة.

بعد الإفطار خرج الركب من البريقة باتجاه طرابلس، وعند مرورنا بهراوة طلب القائد من بعض الإخوة المرور على عائلة عبد السلام ومواساتهم ونقل تحياته لهم وهكذا كان، كانت والدة المرحوم

عبدالسلام شديدة العزم صبورة جدًا فقدت ثلاثة من أبنائها وكانت تقابل الناس رأبطة الجأش، وصلنا ظهراً إلى استراحة بسيطة في الهيشة، كان القائد متأثرا لما أصاب الزادمة، وفتح نقاشًا حول حالته وتطورات علاجه وبينما نحن منهمكون في نقاش علمي مع الدكتور إبراهيم، ومراد، وراشد، والقبرون، دخل الشهيد المعتصم إلى الخيمة وسألني هل حالة عبدالسلام ميؤوس منها، قلت له نحن نناقشها لكن اليأس ليس في قاموس الأطباء، لكن الوضع الحالي يبين حسب المعلومات أنه في حالة موت سريري للأسف، قال إذا ننقله فوراً للخارج ـ بعد صمت لبرهة ـ قلت له لوتأكدنا إنه بحالة الوفاة السريرية فنقله للخارج لن يغير من الأمر شيئاً علينا الانتظار، ثم تذكرت أن مجلس التخصصات الطبية دعا أستاذ سويسري شهير لزيارة طرابلس بقصد إعداد برنامج التخصص لجراحة المخ والأعصاب، قلت له إنه أحد أشهر أساتذة المخ والأعصاب في العالم موجود مصادفة بطرابلس وهو البرفسور "تريبوليه"، كان الاسم معروفًا لديه كما كان لكثير من الليبيين لأن أغلب حالات جراحة المخ والأعصاب التي كانت ترسل إلى الخارج لتعذر علاجها محلياً كانت ترسل إلى المستشفى الجامعي جنيف وهو رئيس أقسام جراحة المخ به، وانني طلبت منه قبل انطلاقنا الكشف على الحالة وإفادتـــــي، سأتصل به الآن وأرى تقييمه، وقتها لم تكن وسائل الاتصال متاحة مثل الآن، لكن الاستراحة كانت مربوطة ببدالة القيادة، وفعلا حققت اتصالا مع الأستاذ الزائر الذي أفادني أن عبدالسلام من الموتى في حقيقة الأمر سألته عن إمكانية نقله للخارج فكانت إجابته وهل في الخارج إمكانية لإحياء الموتى، لاحظ

الحاضرون من تعابير وجهي أن الأمر جلل، لكن المعتصم لم يستطع أن يكتم حزنه وسألني هل قال لك أن عبد السلام مات؟ حاولت أن أتصرف كطبيب رابط الجأش بالرغم مما يربطني بالمرحوم من علاقة أخوة.

قبل ذلك في شهر يونيو، كان المرحوم محمد المجدوب في رحلة علاجية بسويسرا حيث كان يقوم بمتابعة دورية للمرض المزمن الذي أصيب به وهو "scleroderma" وهو مرض مناعي يصيب الأنسجة الضامة ويؤدي إلى تلفها، كان من النوع البطيء الذي يحتاج إلى متابعة في مركز متخصص بالنظر إلى ندرة المرض بشكل عام، كان المرحوم مواظبًا على العلاج متفهما تماما لحالته التي اكتشفت عام 1979 في طرابلس، بعد سفري إلى ألمانيا والنمسا رتبت له لدى مراكز متخصصة في الأمراض المناعية، لكنه استقر على طبيب في جنيف اسمه "ايرليى" اطمأن له وتكونت بينهما علاقة صداقة شخصية، كان يتابع حالته ويراقب تطورها، ويذهب الأخ محمد سنويا لإجراء فحوصات تامة على حالة الأعضاء الداخلية وما مدى تأثرها بالمرض، كان المرض يتطور سلبياً في شكل قفزات، إذ تستقر الحالة لسنة أو اثنين ثم يحدث تطور مفأجي وهكذا، وبالنظر لعدم وجود علاج ناجح، كانت الخطة العلاجية تقوم على حماية الرئة والكلى والمخ من آثار المرض ومعالجة الأعراض.

في نهاية شهر يونيو على ما أتذكر اتصل بي أحد الإخوة من قلم القيادة في وقت متأخر من الليل ليبلغني أن ناصر الابن الأكبر للمرحوم المجدوب وقع له حادث سير أدى إلى وفاته، كانت صدمة

شديدة بالنسبة لي، وكنت أعي وقعها على الأخ محمد فهو إبنه الأكبر ويرى فيه صورة شقيقه علي الذي توفي بألمانيا نتيجة حادث سير أيضًا وترك آثاراً نفسية على الأخ محمد إلى حين وفاته، وكنت أعلم حجم ارتباطه بناصر منذ أن كان طفلا.

في الصباح تكرر الاتصال من الإخوة في القلم وطلبوا مني إبلاغ محمد بالحادث وأن أطلب منه العودة، بالتأكيد لم يكن الطلب بسيطا ومستساغا بالنسبة لي فليس الأمر سهلا، جمعت كل ما امتلك من الشجاعة وضبط النفس واتصلت بالأخ محمد تظاهرت أن أكون عادي في حديثي ثم طلبت منه العودة فورا وإننا سنرتب له طائرة، الأخ محمد من النوع الذي يهتم بالتفاصيل سألني لماذا قلت له ضروري ترجع يوم أو يومان، ثم استدركت لقد كانت زوجته وبعض بناته مرافقان له! وعليّ مطالبته بعودتهن معه، قلت له روحوا كلكم الحاجة والبنات، هنا ذهب الشك إلى قلبه وعقله، سألني ما الذي حدث قلت له لا شيء مهم "مع أني أعرف أن ما حدث بالنسبة له هو أهم الأحداث التي قد يصاب بها"، سألني ماذا حدث لأعود بهذه السرعة هل من مكروه أصاب الحاج سعود أو الحاجة غزالة، "والديه،" قلت لا هم بخير وصحة جيدة، ولأنه سياسي بارع لم يتبـــادر إلى ذهنه أن أمراً جللًا وقع في بيته، فذهب تفكيره إلى أشياء تتعلق بالثورة والقيادة، وربما وشاية من وشاة لم يكفوا يوما على فعلها، قلت لا شيء مزعج أطمئن، ارجع وستعلم السبب، قال حاضر، تنفست الصعداء، طائرة على عجل تنقله إلى جربة ومنها برا إلى زوارة، ذهبنا مجموعة من رفاقه لاستقباله في مطار جربة أتذكر منهم الحاج بشير حميد، ومحمد ميلود، وونيس الشاوش، في مطار جربة، وبعد السلام امتلك الحاج

بشير الشجاعة لينقل له أسوء خبر في حياته قال له عظم الله أجرك في ناصر، صمت لبرهة من الوقت ثم كرر إنا لله وإنا إليه راجعون، كان رجلا شجاعا بعد لحظة صمت ثانية لم تكن قصيرة، ذهبت فيها نفسه بين التصديق للخبر أو عدم تصديقه، التفت إلينا وطلب أن لا نخبر الحاجة إلا بعد أن ندخل ليبيا، وهكذا كان، كنا قد رتبنا سيارات ضيافة من الخارجية استقليناها وأخذنا عائدين إلى زوارة في السيارة حيث رافقته مع الحاج بشير كان أغلب الرحلة صامتا، يقطعها أحيانا بتساؤلات حول ما حدث بالضبط أو تكرار "إنا لله وإنا إليه راجعون"، في زوارة أبلغ زوجته وبناته المرافقات له فكانت لحظة حزن شديدة، كانت بعض النساء من أقربائه حضرن إلى مطار زوارة فتحولت صالة المطار البسيطة إلى خيمة عزاء.

نقلت الأسرة وبعض المعزين جوا إلى سرت، رافقته إلى سرت بقيت معه مدة أسبوع أواسيه، أقيم ليلا بمعسكر الساعدي مع المرحوم عبدالسلام، وناقشت عبد السلام الزادمة رحمه الله في الخطأ الذي يرتكبه بالزواج ثانية، ورغم تبريراته لم اقتنع، لكني ما إن عدت إلى طرابلس حتى وقع حادث القائد في البيضاء.

عند مرورنا بسرت أرسل القائد عددًا من الإخوة لتقديم واجب العزاء للمرحوم محمد المجدوب أيضًا.

***

جراحة أخرى للقائد! ووشاية من النوع الثقيل!

في شهر يونيو 2007 تدهورت صحة المرحوم محمد المجدوب وسافر للعلاج إلى سويسرا، اتصلت بالطبيب المعالج الدكتور "ايرلي" فأبلغني أن وضعه غير مطمئن وأن تأثيرات المرض على الرئتين تفاقمت بشكل يصعب معه معالجتها، وأن الحل الوحيد وهو غير ممكن في حالته هو زرع قلب ورئتين، قررت السفر إلى جنيف للوقوف إلى جانبه في أيامه الأخيرة، رافقني صديقي المرحوم الدكتور بشير العلاقي، ذهبت مباشرة لزيارته في المستشفى، كان وضعه شبه مستقر لكنه في غرفة العناية المركزة، كان المرض قد ألحق ضررًا كبيرًا بالأنسجة الضامة بالرئة، أدت إلى فشل شبه كلي للجهاز التنفسي، بعد يومين كان الأطباء مضطرين لوضعه على أجهزة التنفس الصناعي وإدخاله إلى غرفة العناية المركزة، أنا والدكتور "ايرلي" كنا نعلم أننا سنصل إلى هذا الوضع، فالمسألة كانت مسألة وقت ولا يوجد علاج لوقف تطور المرض، اتصلت بالأخ عويدات المجدوب ابن عم المرحوم وشرحت له الأمر وطلبت منه القدوم للوقوف إلى جانب العائلة لأن أي أمر قد يحصل في أي وقت، وفعلا حضر الأخ عويدات، وما أن انتشر خبر تدهور صحة الأخ محمد حتى كثرت الاقتراحات غير العملية، بعضهم اقترح نقله إلى أمريكا، وبعضهم شجع فكرة زرع رئة، كثير من الاقتراحات كانت لأسباب عاطفية وبعضها لدوافع أخرى ربما، كنت أعلم أن تلك الأمور غير مجدية لكني لم أشأ أن أزرع الإحباط في نفوس أحباء المجدوب.

عندما وصل الأخ عويدات وهو شخصية واعية متزنة وتربطه علاقة خاصة بالمجدوب، فعلاوة على كونه ابن عمه هو بمثابة الأخ والصديق بالنسبة له، تحدث معه بالتفصيل عن الحالة وعن الممكن وغير المجدي وكان الدكتور بشير العلاقي وهو كبير أطباء عيادة القيادة معي يؤكد على ما أقول، الأخ عويدات يعلم علاقتي ومحبتي للأخ محمد فكان يستمع لوجهة نظري ويعمل بها، أخيرا استقر الرأي على نقله إلى ألمانيا "برلين" بناء على نصحية بعض أقرباء العائلة لم أمانع مع معرفتي أن ذلك لن يغير كثيرا من الحالة.

ذات يوم أبلغني الأخ عويدات أن الأخ أحمد رمضان من القلم يطلبك ضروري، اتصلت بالقلم فطلبوا مني العودة إلى طرابلس على الفور، كان الوقت ليلا فقلت سأتدبر الأمر، لحسن الحظ كانت هناك رحلة عادية صباح اليوم التالي جنيف طرابلس للخطوط الأفريقية تمكنت من الحجز وتغيير التذكرة، وكان الأخ أحمد رمضان يتابعني في كل التفاصيل، لم أتجرأ بالسؤال عن سبب هذا الاستعجال لأني كنت مدركاً أن أمراً مهماً يتطلب وجودي وإن متابعة أحمد رمضان وشبه تفرغه لمتابعة عودتي تعني فقط أن الأمر يتعلق بالقائد شخصياً، وأكثر ما تبادر إلى ذهني إمكانية وجود وشاية من النوع الثقيل، لذلك لم أهتم كثيراً بمعرفة السبب وقلت في نفسي سويعات ويتضح الأمر فلماذا أشغل نفسي وتفكيري بشيء سيكون معلوماً بعد قليل.

بمجرد وصولي إلى المطار وعلى غير المعتاد ولا المتوقع وجدت سيارة من قلم القيادة تنتظرني على سلم الطائـــرة، لتنطلق بي

مباشرة وبدون انتظار حقيبتي إلى معسكر باب العزيزية، طلبت من أحد الإخوة الذين جاءوا لاستقبالي تدبر أمر الحقيبة.

في الطريق الذي قطع في دقائق تحسب بالعشرات كانت آلاف الأسئلة تراودني وكانت المسافة تطوي وكأنها استغرقت من الوقت ساعات! السؤال الدائم يا ترى ما الأمر.

مجرد دخولنا المعسكر قيل لي أن القائد ينتظرك بالخيمة، مباشرة إلى القائد، وجدته جالساً وبجانبه الدكتور المعتصم رحمه الله والرائد خميس رحمه الله، شعرت بالراحة فالقائد بخير، بعد السلام سألني متى رجعت، ضحكت وقلت: من"المطار على طول جري" قلت له إن شاء الله خير، قال: لا خير يبدو أن أحمد رمضان أستعجلك بدون سبب وضحك، قلت: المهم إنك بخير، سألني ماذا أعمل بسويسرا وكان رحمه الله لا يستسيغ سفر الناس للسياحة إلى أوروبا، فقلت له اطمئن لم أكن في رحلة سياحة فنحن بدو حرمتنا حياة البداوة في طفولتنا من الاهتمام بالترفيه، قال: ماذا كنت تعمل؟، أنا كنت متأكد من كونه يعلم تفاصيل مهمتي خاصة بعد أن بحث عني، قلت له: كنت في زيارة إلى الأخ محمد، قال كيف حالته بالضبط؟ شرحت له الوضع، ثم أخذ مرآة صغيرة بجانبه قال لي: أنظر هذا الذي في وجهي، كان بخد القائد الأيسر وحم ليفي، قلت: ما به فهذا قديم، قال: ألم تلاحظ أنه ازداد حجمه؟، قلت له بلى ازداد، قال ما هو قلت له هذا وحم ليفي لا خطورة منه، ممكن يتطور في حالات نادرة إلى ورم جلدي شبه حميد " basal cell carcinoma"، قال كيف إخصائي الجلدية عصام ساسي أبلغني بالأمس إنه سرطان! هنا علمت سبب عجلة الجميع! وسبب الدعـــوة

الملحة! سرطان! قصة كبيرة وعندما قيلت في العيادة نقلت إلى القلم وهكذا ساد التوتر الجميع، وحسب ما علمت لاحقا من الدكتور المرحوم محمد أبرار أن القائد رحمه الله قال اسألوا مصطفى أولًا وبعدين لكل حادث حديث، والدكتور أبرار نقل الرأي لأحمد رمضان، قلت له فقط إساءة في الترجمة، ضحك الدكتور المعتصم وقال: إن الزائدي دائما يهون في الأشياء، علينا الاهتمام بالأمر، استرجعت عقلية الأستاذية عندما كنت أعطيه دروسا في الجراحة التجميلية وكان أحد الموضوعات التي نشرحها للطلبة بالتفصيل أورام الجلد، فقلت له: دخولك للجيش أنساك الطب، هذا المرض اسمه كذا لكنه يتصرف كورم حميد وهو قابل للشفاء بنسبة مائة بالمائة بعد الإستئصال البسيط ولا يحتاج في الغالب إلى علاجات مكملة كيميائية أو إشعاعية، لكن بالتأكيد سنهتم بالحالة ليس لأن المرض خطير لكن لأن القائد يستحق الاهتمام! ضحك القائد وقال للمعتصم أنا أريدك دائما أن تتصرف كطبيب.

ونحن في الأثناء جاءنا المهندس سيف بلباس عادي يبدو أنه قادم من البحر وعندما اقترب رجع على الفور، كان يعتقد أن القائد لوحده وعندما لاحظ وجود ضيف، لم يشأ مقابلته بلباس البحر، بعد أن خرجت اتصل بي الدكتور سيف الإسلام فك الله أسره، اعتذر أولاً أنه لم يعلم أني كنت الضيف لأن أحداً لم يبلغه بوجودي وثانياً سألني عن حالة القائد فشرحت له الأمر، ثم سألني عن حالة الأخ محمد المجدوب، فشرحت له الحالة وأن المرض أصاب الرئة لكن وضعه مستقر، قال: هل هو في غيبوبة؟ قلت له لا لكنه يحتاج إلى أجهزة تنفس مساعدة، ثم عاد فسألني عن حالة القائد فشرحت له الوضع بالضبط.

في اليوم التالي طلبت من القائد أخذ رأي الأستاذ الشافي وهو أستاذ مختص في الأمراض الجلدية من الباكستان مقيم ويعمل في ليبيا لعقود الذي أكد تشخيص للحالة، وبعد مناقشة مع الدكتور إبراهيم الشريف والقائد رحمه الله، استقر الرأي على استئصال الوحم الليفي بالتخدير الموضعي، وفعلا تمت العملية بنجاح، وقد شارك في العملية أستاذ من النمسا صديق كان يقوم بزيارات دورية إلى ليبيا وكان مصادفة في زيارة وقت إجراء العملية، وأكد التحليل النسيجي التشخيص الإكلينيكي، وأن الاستئصال كلي وأن المسافة الآمنة خالية من أية خلايا مرضية.

***

المحطة الخامسة والعشرون
العمل الخارجي

شعبة العلاقات الخارجية

بعد استقالتي من أمانة اللجنة الشعبية العامة للصحة استدعاني الأخ القائد، وطلب مني أن ألتحق بمكتب الاتصال باللجان الثورية لمساعدة الأخ محمد المجدوب، قلت له أنت تعلم أني لا أستطيع التفرغ خاصة وأن مستشفى جراحة الحروق والتجميل بدأ نشاطه يتسع ويحتاج إلى جهود كبيرة، قال لابأس أنت فقط تساعده عندما يحتاج وممكن أن تتابع ملفًا معين.

أبلغت المرحوم محمد بما دار بيني وبين القائد ضحك كثيرًا وقال لي إنه هو من طلب ذلك.

العلاقة بالمرحوم محمد المجدوب لا يمكن وضعها في القياسات العادية، فهي أكثر من الصداقة وأكبر من الأخوة، طيلة أكثر من ثلاثة عقود كانت آراؤنا متطابقة في كل أمر تقريبا، وهو إنسان جاد في العمل، شديد في الإدارة متواضع في العلاقات مع الناس، قلت له: ولماذا تدخل القائد في الأمر أنا لم أتردد في مساعدتك، كان رده: إن المشكلة ليست مع القائد لكن مع آخرين، كنّا نفهم على بعض؛ على رأي الإخوة في الشام.

موسي كوسا المثابة العالمية

تأسست المثابة العالمية لمقاومة العنصرية والصهيونية والفاشية سنة 1982، عند تشكيل مكتب الاتصال تكونت شعبة للتواصل مع اللجان الثورية في الخارج، وكلف موسى كوسا منسقًا لها، لم تكن علاقته بالمرحوم المجدوب منسجمة تمامًا في أغلب الأحيان، إلى درجة أنه حاول الاستقلال بها عن المكتب مستندًا بعض الأحيان على مواقف عبد السلام جلود.

في أحد الأيام في بداية الثمانينيات وبينما كنت في زيارة إلى ليبيا استدعينا إلى القيادة، مجموعة من الإخوة بينهم: عبد القادر البغدادي، وسعيد راشد، وعزالدين الهنشيري، وسعيد حفيانه، وموسى كوسا، والدكتور سالم بن عامر، وميلاد الفقهي وآخرون، وطرح القائد تشكيل جهة بالحركة تتولى التعامل مع كل المنظمات والأحزاب والتشكيلات وحتى الدول المناهضة للعنصرية والصهيونية والإمبريالية والفاشية، وندعوها لمؤتمر، ونؤسس آلية للتواصل معها، على اعتبار أن نشاط شعبة اللجان الثورية العالمية، كان يقتصر على تشكيل حركة لجان ثورية بالخارج.

بعد اللقاء دعونا لاجتماع أوسع بالمكتب لمناقشة التوجيه ووضع آليات تنفيذه وتواصل الاجتماع لمدة يومين، وضعنا آليات العمل، وتم اقتراح هيكلة على شكل ساحات، وأضفنا بعض الملفات النوعية مثل ملف الخضر والبديل، واقترحنا الإخوة الذين يمكن الاستفادة منهم في العمل من خريجي الجامعات، كان الأخ محمد يميل إلى تكليفي بإدارة

المثابة، لأنه لم يكن راغبا في بقائي بالخارج للدراسة، ولا يريد تكليف شخصية أخرى لا تنسجم معه، لكني اعترضت بشدة خاصة وقد التحقت ببرنامج تدريب جيد لاستكمال الدراسة، ذهبت أنا والأخ محمد لتقديم نتائج المناقشات للقائد رحمه الله، وعرضنا عليه خطة العملة وكانت متكاملة، أهداف المثابة، مكوناتها، الأشخاص الذين سيعملون بها، وكذلك مسح أولي للأحزاب والتنظيمات المطلوب التواصل معها.

وافق القائد على المقترح، ثم سألنا من يشرف عليها، استبقت المناقشة باقتراح موسى كوسا، لكونه منسق شعبة اللجان الثورية العالمية، ولربط هذه المكونات للمثابة بحركة اللجان الثورية، للأمانة تردد بعض الشيء ثم أضفت ونشكل له فريق من عناصر جادة من أمثال الدكتور سعيد حفيانه، والأستاذ مختار القناص، والدكتور سالم بن عامر، صمت قليلا وقال زين، الآن اتصلوا بشكل مبدئي بهذه التنظيمات وأدعوها لاجتماع في طرابلس وبعدين ساهل.

كان علي أن أبذل جهودًا صعبة وأن استعين بأخي أحمد إبراهيم لإقناع المرحوم محمد المجدوب، لهضم "موسى كوسا" منسقا للمثابة العالمية، وقد قبل ذلك على مضض!.

وافق القائد رحمه الله على المقترح، وكلف الأخ موسى منسقًا للمثابة، والدكتور سعيد حفيانه مساعدًا له، وكلف الإخوة بمختلف الساحات وفرق العمل بها، وكلفت بالإشراف على متابعة ملف الخضر والبديل لعلاقتي السابقة بقياداتهم.

في صيف عام 1984 التأم بقاعة الشعب بطرابلس لقاء تاريخي بين زعماء وقادة التنظيمات والأحزاب والحركات والجبهات

والدول الثورية في العالم من نيكاراغوا إلى الفلبين مرورًا بحركات التحرر في أفريقيا، وحركات الثورة اليسارية في أمريكا الجنوبية والحركات التقدمية في آسيا، وبحضور مناضلين كبار من أمثال "موجابي" من زمبابوي إلى "أورتيجا" من نيكاراغوا، و"لولا ديسلفيا" فى البرازيل إلى شفيق حنضل عن حركة "فارابوندومارتي" بالسلفادور، و"باولو ريس" من الفاراك بكولومبيا، وممثلين عن المؤتمر الوطني الأفريقي، وغيرهم من قادة وزعماء النضال الوطني التقدمي.

انطلق العمل في المثابة وتم دمج جهود مكتب حركات التحرر ومنظمات أخرى واقتصر دورها على البلدان خارج الوطن العربي، وبدأت فرق من الشباب الثوري بتشكيل حملة اتصالات مع مختلف التنظيمات والحركات التحررية التقدمية، لكنها أهملت بناء لجان ثورية تعمل لنشر النظرية الجماهيرية، الأمر الذي دفع المرحوم محمد المجدوب في نهاية الثمانينيات إلى طرح فكرة إعادة تشكيل شعبة بمكتب الاتصال باللجان الثورية تهتم بمتابعة بناء اللجان الثورية في الخارج وكذلك تنسق مع شعبة العمل القومي، وفى البداية تشكلت شعبة للعمل الخارجي تضم العمل القومي والعمل في بقية دول العالم، وكلف الأخ سليمان الشحومي منسقا لها في بداية التسعينيات.

بعد توجيه القائد رحمه الله بالتحاقي بالعمل بالمكتب، توليت مهمة منسق لشعبة العمل الخارجي بعد أن فصلت عنها شعبة العمل العربي التي استمر الأخ سليمان الشحومي منسقا لها إلى وقت متأخر.

كان العمل في مكتب الاتصال ليس على سبيل التفرغ وأغلب الإخوة المكلفين بالعمل به عدا بضع إداريين يمارسون مهامهم الأصلية وبعد انتهاء أعمالهم يقومون بأداء مهامهم في المكتب، بالنسبة لي كان

عملي فقط منسقا للشعبة فلم أُداوم بالمكتب بل كنت أحضر الاجتماعات الدورية للمكتب أيام السبت ظهرًا وبالشعبة أيام الأحد مساء، وكانت مهمتي هي التواصل مع الأقسام وتوجيه فرق العمل بالاتصال باللجان الثورية بالخارج وتنظيمها، كذلك التفاعل مع المهام الثورية التعبوية والحركية للمكتب بالداخل، والقيام بالواجبات التي نكلف بها من قبل الحركة.

حركة اللجان الثورية نضال بالمجهود الذاتي

بالرغم من الدعاية المكثفة التي شنها أعداء الشعب الليبي خاصة زمر الإخوان المسلمين والعملاء فيما سمي بجبهة الإنقاذ ضد حركة اللجان الثورية وتصويرها كمنظمة فاشية قمعية، إلا أن الليبيين يعرفون حقيقة هذه الحركة التي تشكلت من مناضلين شرفاء أغلبهم من أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة وهم العمال والفلاحون والمعلمون والطلاب والجنود، وأنهم كان يناضلون للدفاع عن حرية ليبيا واستقلالها، ولقد أثبتت نتائج أحداث فبراير حقيقة أولئك الرجال والنساء الشجعان ومدى نزاهتهم وصدقهم مع أنفسهم وشعبهم.

تكونت اللجان الثورية بالتنادي بين القوى الوطنية المؤمنة بالنظرية الجماهيرية والوحدة القومية للأمة العربية وبمناهضة الاستعمار بكافة أشكاله، وتتخذ من شكل تنظيمي بسيط قاعدة لعملها إذا كل عضو فيها يمارس عمليات التعبئة والتثقيف بإمكاناته الذاتية، وليكون عمله أكثر فاعلية وتأثيرًا يلتقي بمن يحملون نفس فكره في اللجنة الثورية التي هي أداة التفكير والتخطيط الجماعي، وكذلك المتابعة، لذلك يشكل أعضاء اللجنة من بينهم فريقا للتنسيق والمتابعة

يتغير دوريا، ومثابة اللجنة الثورية ليست مقرا لتنفيذ برنامج الحركة الأسبوعي والشهري بل هي عنوان للاتصال بأعضاء اللجنة، مكتب الاتصال باللجان الثورية كان أداة تواصل بين القائد والحركة ووسيلة للتنسيق بين اللجان الثورية على المستويين المحلي والخارجي.

لم تكن حركة اللجان الثورية في حاجة لتمويلات كبيرة خاصة أن تنفيذ مهامها الثقافية والتوعوية تتم فرديًا، أما البرامج والمناشط العامة كالمخيمات التثقيفية فتمول من القطاعات التي تضعها في موازناتها، لذلك لا تحصل الحركة على تمويلات مباشرة من الخزانة العامة، بل اعتمدت في أغلب مناشطها على التمويل الذاتي وعائد المشروعات الصغرى التى أنشأتها الحركة.

لم تتجاوز ميزانية الحركة السنوية عشرة مليون دينار، مقسمة على الشعب المختلفة وهي شعبة العمل الداخلي، وشعبة المؤسسات التعليمية، وشعبة التثقيف التي تصدر صحيفة الزحف الأخضر، وشعبة اللجان الثورية بالقوات المسلحة والأمن، وشعبة العمل الخارجي.

كان نصيب شعبة العمل الخارجي السنوي لا يتعدى نصف مليون دينار، تغطي كل نشاطات الشعبة بما فيها استقبال الوفود وإرسال وفود ودعم اللجان الثورية في بعض الدول، وقد لا يصدق كثيرون أن المخصص الشهري لمثابات اللجان الثورية في المؤتمرات الأساسية مائة دينار شهريًا فقط ولا غير.

أنا متأكد أن هذه الأرقام وهي حقيقة لن تكون قابلة للتصديق خاصة من المشككين، لأنه لو حسبنا الإنفاق المتوقع قياسا لحجم نشاط الحركة ودورها وتأثيرها في الداخل والخارج لكانت الأرقام تقدر

بعشرات وربما مئات الملايين! لكن الأرقام التي ضربت بها أمثلة هي واقع تمويل الحركة! لاشك أن وثائق الحركة المالية وغيرها وقعت بين أيدي المليشيات، وهم أمام تحدي تاريخي أن ينشروا الوثائق التي بحوزتهم حول موازنات الحركة ومواردها ومصروفاتها، يحق لأعضاء حركة اللجان الثورية أن يفتخروا بأنهم أدوا مهاما تاريخية لصالح الشعب الليبي بمجهوداتهم الذاتية فكانوا نموذجًا للرجال والنساء الشرفاء والشريفات.

ومن نافلة القول إن مصروفات حركة اللجان الثورية طيلة قرابة ثلاثة عقود هي ندر يسير إذا ما قورنت بما تصرفه أصغر مليشيا سنويًا بعد فبراير.

وهنا وللموضوعية لا بد أن أشير إلى أن الشعبة كانت تستفيد من مناشط الدولة لتغطية مصروفات بعض المهام الخارجية، ولقد نجحت الشعبة في ربط علاقات تنظيمية مع قوى ثورية في كثير من الدول خاصة في أفريقيا وأمريكا الجنوبية وبعض دول الاتحاد السوفييتي سابقا، ولعل تلك القاعدة النضالية ساهمت في تأسيس موقف كثير من الدول تجاه المؤامرة.

لقد عمل الكثير من الإخوة الرفاق بكل جدية على التواصل مع الدول والتنظيمات والأحزاب لربط علاقة قاعدية مع الشعوب، وساهمت حركة اللجـــــان الثورية في تأسيس ملتقى الحوار العربي الديمقراطي في محاولة لاستنهاض الأمة، وكذلك في التعاون مع الإخوة في المثابة العالمية خاصة عندما تولى إدارتها الأخوان الدكتور سعيد حفيانه، والأستاذ مختار القناص.

كانت مهام الشعبة تقتصر على التواصل مع الشخصيات والمنظمات التقدمية في الوطن العربي والعالم، وتقوم بتقديم النظرية الجماهيرية لتلك القوى، وتهتم في هذا السياق بتنظيم مناشط تثقيفية شارك بها عديد الأساتذة من الجامعات الليبية كما تولت ترشيح طلاب للدراسة في كلية الدعوة الإسلامية، وجامعة ناصر الأممية، كما اهتمت بالتواصل مع الحكومات التقدمية وربط علاقة معها، وبالتاكيد كان لجهود شعبة العمل الخارجي إضافة لجهود المثابة العالمية لمكافحة الإمبريالية والعنصرية والفاشية والصهيونية، وجمعية الدعوة الإسلامية، وجهات ليبية أخرى دور في نشر الدين الإسلامي الوسطي، وتقوية القوى المناهضة للهيمنة الاستعمارية، وطرح مشروعات جادة للتحرر في أفريقيا توج بإنشاء الاتحاد الإفريقي، وتصعيد الكفاح في أمريكا الجنوبية ضد الامبريالية، كما ساهمت في الضغط على دولة الكيان الصهيوني وطردها من القارة الأفريقية، وتأمين منابع المياه خاصة للنيل ودجلة والفرات، للأسف الشديد هذه المكاسب انهارت بعد فوضى الربيع العربي.

عام التطهير

في ظل الإجراءات التي اتخذها مجلس الأمن الدولي ضد ليبيا تحت الفصل السابع من الميثاق، وما نتج عنها من حصار اقتصادي ومنع الطيران، طفحت إلى السطح بعض مظاهر الفساد التي لم تكن شائعة في ليبيا، فظهر فرق في سعر الصرف وصل أحيانا إلى ضعف السعر الرسمي، كما ظهرت عمليات التهريب للخارج خاصة المواد المدعومة من الدولة مثل السلع التموينية والوقود، مما اضطر القائد عام 1996 للتركيز على أهمية محاربة الفساد واجتثاثه من ليبيا، وكان القائد يعتقد أن الآليات العادية الموجودة في النظام الجماهيري ومنها جهاز الرقابة الشعبية والقوافل الثورية المتحركة والرقابة الثورية، لم تعد قادرة على تنفيذ حملة ثورية ضد الفساد للقضاء عليه جذريا، ففي الفاتح 1996 التقى القائد بعدد من الضباط الصغار في معسكر قاريونس في محاكاة لثورة الفاتح، كان الضباط المدعوون للحضور من رتب صغيرة، نقيب فما دون، أي ملازم أول وملازم ثان، وقال لو غيرنا الأرقام قليلا فإن 1996 و1969 متشابهات، تحدث عن دوافع ثورة الفاتح الأساسية وهي انتشار الفساد في النظام الملكي وتبعية الدولة الليبية للدول الاستعمارية، وتدني مستوى حياة أغلبية الليبيين، لكن بعد عقود من الثورة الوطنية الحقيقية تمكن بعض الحذاق والسراق من التسلل إلى الدوائر التنفيذية ومارسوا فسادا يتناقض مع أهداف ثورة الفاتح، وقال لهم هذه الليلة مثل الفاتح وأنتم مثل الضباط الأحرار، عليكم الانطلاق منذ هذه اللحظة في كل ليبيا والتفتيش على كل المؤسسات والشركات والإدارات والقضاء على الفساد ثوريا وتحويل المخالفين إلى محكمة الشعب ولا يستثنى من ذلك أي شخص ولا مؤسسة.

انطلق مئات الضباط الصغار فيما سمي لجان التطهير، للتفتيش على المؤسسات ولكي لا يكون الأمر عبثيا وفوضويا يؤثر على أعمال مؤسسات مهمة، وبعد نقاش بيننا في مكتب الاتصال باللجان الثورية اقترحنا على القائد ضرورة تقنين تلك العملية والاستفادة منها في ترسيخ النظام الجماهيري، اقترحنا عليه تشكيل لجان تطهير برئاسة قاض وعدد من الضباط الصغار تتولى عمليات التفتيش والمراقبة والمتابعة والإحالة إلى القضاء، وبالفعل وافق القائد على المقترح وتمت إحالته إلى مؤتمر الشعب العام لإصدار القرارات المناسبة.

انطلقت لجان التطهير من الضباط الصغار إلى كل مكان وتم توقيف عدد من المتهمين بالإفساد في معسكر في تاجوراء، لكن لا أعتقد أن تلك الحملة أتت بالنتائج التي توخاها القائد الشهيد، وعلى العكس ربما سببت بعض الاحتقانات نتيجة للممارسات الخاطئة التي تصاحب أي عملية من هذا النوع.

عودة إلى اللقاء الدائم

اللقاء الدائم أعلى مستوى تثقيفي وإعداد حركي للقيادات الثورية بعد المدرج الأخضر، وتقوم فكرته على لقاء متواصل بين القيادات الثورية والأخ القائد، وقد عقدت أولى لقاءات اللقاء الدائم التي ضمت في حدود عشرين قياديًا من الحركة في بداية الثمانينيات، وكان القائد يتعرض بالنقاش لأساليب العمل الثوري وطرق الاستقطاب والمتابعة وآليات التثقيف الجماهيري، استمر البرنامج إلى أواخر الثمانينيات، لكنها انقطعت لفترة من الوقت بسبب تطورات قضية لوكربي وأعراس التحدي، لقد تم تسجيل وتوثيق العناصر الثورية التي حضرت اللقاءات متصلة أو منفصلة وهم في حدود مائة شخصية قيادية، وكان اللقاء

الدائم فرصة لطرح كل وجهات النظر والآراء مع القائد الشهيد بكل شفافية.

بالنظر إلى الاحتقانات التي نتجت عن الحصار الظالم، وضعف أداء بعض المؤسسات، اتفقنا في مكتب الاتصال على عقد اللقاء الدائم ثانية حتى في عدم حضور الأخ القائد، وبالفعل تمت دعوة أكثر من مائتين من القيادات الثورية لجلسات متصلة بمقر المكتب بمنطقة بوستة، وبعد مناقشات عامة لعدة أيام تم تحديد محاور العمل وهي:

- تفعيل عمل آليات السلطة الشعبية وبناء الكومونة النموذج.
- معالجة الصعوبات التي تتعرض لها المؤسسات الاقتصادية.
- مقاومة الظواهر الهدامة.
- معالجة القصور في آليات البرامج الثقافية وتعبئة الجماهير.
- تنظيم العمل السياسي الخارجي وآليات التنسيق بين قنواته.

وتم تقسيم اللقاء إلى فرق عمل وكل فريق ينجز مهمته يصوغ نتائج عمله في ورقة تعرض في اللقاء العام للمناقشة العامة.

استمر العمل لأكثر من 3 أشهر، وكنت ضمن فريق العمل الخارجي، واللجنة الثقافية التي ضمت كلًا من: الأخ الدكتور عبدالقادر البغدادي، والأخت فوزية شلابي، وعبد الرحمن شلقم العائد من إيطاليا ولم يكلف بعمل، والدكتور عقيل حسين، والدكتور المهدي امبيرش، والدكتور رجب أبودبوس، والأخ إبراهيم الغويل وآخرين.

لقد أنجز اللقاء الدائم أوراق عمل مهمة جدًا كانت قاعدة كل البرامج الاقتصادية والثقافية التي تبلورت في الألفينيات حتى وإن لم يشر لها كمصدر.

لقد أنجز الفريق الاقتصادي ورقة محكمة حول بناء الاشتراكية الشعبية، تضمنت آليات تفصيلية لتمليك المؤسسات الاقتصادية الكبرى لقطاع واسع من المواطنين، وجدول زمني مضبوط للإجراءات التنفيذية، حددت أسس التمليك التي تضمن التوزيع الاشتراكي للثروة يحول دون استحواذ الرأسماليين وعلى المؤسسات الاقتصادية، بحيث ينصب العمل على توسيع قاعدة الملكية، كذلك بما يضمن حقوق العاملين في تلك المؤسسات، وأكدت الورقة على ضرورة حصول العاملين على أسهم في المؤسسة بما يكفل تأثيرهم في القرارات الإدارية للشركة، وكذلك تحديد أسهم المالكين من غير العاملين، وأيضا حصة الدولة، لقد كانت الفكرة الأساسية تتركز على توسيع قاعدة الملكية، وتمكين المؤسسة من حرية العمل كقطاع خاص، وضمان إشراف المجتمع من خلال مساهمة الخزانة العامة.

كذلك خلصت اللجنة الثقافية إلى تبني خطة عمل ثقافي استراتيجي تهتم بمسائل التعبئة الوطنية والقومية والإسلامية، بما يرسخ مفهوم حب الوطن والإيثار، والاعتماد على العقل والتفكير، وأشارت إلى أهمية الإعلام في تكوين العقول واقترحت زيادة الإنفاق على قطاع الإعلام بكل صنوفه، إلا أن حرص القائد الشهيد على ضبط الإنفاق لم يعطي مجالًا لتلك الخطة للتنفيذ.

كما أعد فريق بناء الكومونة النموذج مقترحا عمليا لتطوير آليات سلطة الشعب من خلال التفكير في تشريع قانوني ينظم آليات

ممارسة السلطة الشعبية ويحدد واجبات ومسؤوليات المؤسسات الجماهيرية المختلفة والذي انعكس في القانون رقم 1 لسنة2001 الذي ينظم ذلك والذي يعد تشريعا دستوريا أساسيا، وباشرت الأمانة في تنفيذه إلا أن دخول من أطلقوا على أنفسهم اسم إصلاحيين ومنظري مشروع ليبيا الغد وأفكار إعادة الهيكلة الغربية الليبرالية على الخط أجل التنفيذ وضرب سلطة الشعب في مقتل.

لقد حاول اللقاء الدائم الموسع الإجابة على السؤال ماذا نعمل في هذا الظرف الذي نواجه فيه تهديدا حقيقيا سيؤثر لا شك على مستقبل الوطن، لقد كان النقاش مفتوحا وبدون خطوط حمراء ينطلق فقط من تصور لمستقبل زاهر لليبيا، ولقد كان الإخوة المشاركون فيه في منتهى الجدية والموضوعية، وكانت المناقشات العامة التي تناولت مقترحات اللجان المشكلة تفصيليا كلمة كلمة تقريبا تعكس الحس الوطني العالي للقيادات الثورية.

لقد صيغ برنامج وطني انطلاقا من الإمكانات المتاحة والأهداف المرجوة وتطلعات المواطنين.

المحطة السادسة والعشرون
تصعيد العمل الثوري

تهديد في السابع من أبريل

في ذكرى ثورة الطلاب في السابع من أبريل عقد يومي (7 – 8) أبريل 1998 مهرجان طلابي كبير في مدينة سبها، حضره عدد من القيادات الثورية وكنت من ضمنهم، وحضر القائد اللقاء الطلابي الصاخب، كانت الجماهيرية قد أنجزت للتو الاتفاق بخصوص معالجة قضية لوكربي نتيجة لإصرار القادة الأفارقة وللدور البارز الذي لعبه المناضل "نيلسون مانديلا"، وكانت شائعات كثيرة تدور حول استغلال البعض لظروف لوكربي لتحقيق مكاسب مادية على حساب معاناة الشعب الليبي، ألقى القائد كلمة قوية تناول فيها تلك المسألة وقال بالحرف: "لابد من محاسبة كل من حاول التلاعب بالليبيين وهم في محنة اقتصادية، وإن ذلك يعتبر نوعًا من الخيانة العظمى تتطلب المحاسبة والعقاب، حتى لو أدى الأمر للتضحية بالكثير من الأشخاص"، كان الطلاب فى أشد درجات الحماس، حاول بعض المتطرفين من قيادات اتحاد الطلبة دفعهم للانطلاق مباشرة في عمليات مداهمات لتنفيذ ما جاء في خطاب القائد، في المساء التقيت بالطلاب وحاولت أن أهدئ من اندفاعهم بالقول: إن القائد يتحدث عن فئة استغلت الظروف لتحقيق مكاسب فعلينا تحديد تلك الفئة أولاً ومن ثم الشروع في اتخاذ إجراءات من خلال آليات السلطة الشعبية، بعد هرج

ومرج وبضع مزايدات وخطاب عاقل من قيادة اتحاد الطلبة التي كان يمثلها وقتها الأخ ميلاد معتوق، تمكنا من تهدئة الأمر وتكليف الجهات المختصة بوضع ما جاء في كلمة القائد موضع التنفيذ.

في الليل دعينا مجموعة إلى لقاء القائد، أتذكر منهم: المرحوم محمد المجدوب، والشهيد عبد القادر البغدادي، والشهيد سعيد راشد، والشهيد عزالدين الهنشيري، والإخوة أحمد إبراهيم وعلي أبوجازية، ومعتوق محمد معتوق، وميلاد الفقهي، واحتيوش فرج احتيوش، وعبدالله السنوسي، وأحمد قذاف الدم، وميلاد معتوق وآخرون أرجو منهم المعذرة لصعوبة التذكر، وكعادته بادر الأخ أحمد بالحديث بشكل حدي واستفزازي، حيت احتج على كلمة القائد رحمه الله وطلب منه أن يشكر الليبيين الذين وقفوا بصلابة أثناء سنين الحصار الظالم ودعوه إلى بيوتهم وألا يهتم بجرم فئة قليلة توجد في كل المجتمعات ويمكن التعامل معها بالقانون، وطالب بالابتعاد عن الأعمال الاستثنائية والمداهمات لما تشكله من أضرار بالغة بالمسيرة الديمقراطية، أعتقد أن الأخ أحمد فك الله أسره وضع خطًا للحوار استمر على نفس النسق باستثناء مداخلتين الأولى للأخ ميلاد الفقهي الذي رأى أن الوقت مناسب للفرز ومحاسبة المخطئين، وأنه على الجميع أن يتعرضوا للمساءلة، والدكتور عبد القادر البغدادي الذي طلب من القائد أن يهتم بقضايا الأمة وقضايا أفريقيا لعدم وجود زعامات قومية وأفريقية قادرة على الفعل الاستراتيجي، لقد أنصت القائد بعناية كعادته ثم علق وقال: "أنتم شوفوا الآلية المناسبة لكن لا يجوز أن نترك من استغل ظروف الشعب لتحقيق مكاسب شخصية يمر دون حساب"، وأثنى على حديث

الدكتور عبدالقادر البغدادي، أنا والأخ محمد المجدوب رحمه الله فضلنا الصمت فما قيل يعبر عن وجهات نظرنا.

ترك الموضوع للإخوة في الاتحاد العام لطلبة الجماهيرية لمتابعة تنفيذ ما ورد في حديث القائد بطريقة هادئة ووفقا للقانون ومن خلال فرق عمل تتشكل بالتنسيق مع الأخ أمين اتحاد الطلبة الأخ ميلاد معتوق، وتشكلت فرق عمل من حركة اللجان الثورية واتحاد الطلبة، وتكونت من فرق لقطاع الخدمات وأخرى لقطاع الإنتاج والقطاع المالي وقطاع العمل الخارجي، ومن أجل عقلنة تلك الفرق ومنع أية تجاوزات بها، وجه القائد أن يشرف عليها بعض الإخوة المعروفين، وكلفت بالإشراف على لجان تصعيد الثورة الشعبية بقطاع الخدمات، وكانت فرصة لي للتواصل المباشر مع الطلاب الثوريين المتحمسين، والتعرف عليهم عن قرب، واستقطاب الفاعلين منهم للعمل الثوري، وفعلا أعتقد الآن أن تلك المناسبة كانت فرصة سانحة للدفع بدماء شابة إلى حركة اللجان الثورية.

نفذت لجان تصعيد الثورة الشعبية حملات تفتيشية عن الفساد والفاسدين، وأعدت ملفات مهمة أحيلت إلى أجهزة الرقابة الشعبية والادعاء الشعبي.

ولعل من أهم نتائجها الزج بمجموعات طلابية شبابية في العمل الثوري الشعبي كانت لأغلبهم أدوارًا مهمة في الساحة الوطنية، وأعطوا دفعة قوية للعمل الثوري وأضافوا زخما مهما لحركة اللجان الثورية.

اللجنة الثورية للمتابعة

في سنة 2002 طلبنا القائد الشهيد على غير عادته في الصباح الباكر عند الساعة 7 ونصف صباحا بينما كنت متجها إلى العمل في طريق المطار اتصل بي الأخ أحمد رمضان وطلب مني المرور عليه توقعت أن الأمر متعلق بتوصية ما من القائد لي، لكني فوجئت بوجود الأخوين أحمد إبراهيم، والمرحوم محمد المجدوب بمكتب الأخ بشير صالح، في حدود الساعة الثامنة طلبنا القائد في خيمته، عندما ذهبنا وجدناه جالسًا في "خص" جنب البيت بادرناه بالتحية وكعادة أخي أحمد في المناكفة سأله: "صباح يا فتاح مش عوائدنا مع الفجائر" مصحوبة بضحكة، رد القائد بصوت فيه كثير من الجدية "صح لكم تناموا"، عرفنا أن أمرًا ما بالغ الأهمية يدور بخلد القائد، بدأ في الحديث بحسرة وامتعاض عن الفساد واستشرائه على نطاق واسع وحالة الإهمال الشديد في القيام بالواجبات، وقال إنه يبدو أن الفساد تمكن من هزيمة اللجان الثورية، وأصبحت تتعايش معه كأمر واقع، وأشار إلى عجز مؤسسات الدولة في محاربته، وكذلك تقاعس أجهزة الرقابة الشعبية حتى صار الإهمال هو سيد الموقف، وتطرق لأجهزة السلطة الشعبية المحلية التي تبنى بطرق متخلفة من خلال قيام القبائل بتوزيع المناصب بينهم اعتقادا منهم بأنهم ممثلون لهم في الإدارة يمكنهم خدمتهم على حساب القبائل الأخرى، بسبب ذلك تمكن الفاسدون من الضحك على الجماهير بحيث أصبح من يكلف يهتم بمصالحه ومصالح شلته ولا يهتم بمصالح الناس، وضرب عدة أمثله بسيطة ومعقدة منها إشارته إلى سيارة خردة مرمية على الطريق العام منذ سنوات أمام مستشفى

اسبيعة وأنه كل ما يمر من الطريق يجدها في مكانها ولا أحد فكر في إبعادها من جنب الطريق، وكذلك الحال عن خردة مرمية في طريق غريان العزيزية، وقال إن عشرات المسؤولين يمرون يوميا من هذه الطرق فكيف لم يلاحظوا هذه الأشياء البسيطة، وتساءل عن الوضع على جوانب الطرق التي لا يمر هو منها، ثم تطرق إلى الموظفين الذين يتقاضون أكثر من مرتب، وكذلك توريد أشياء استهلاكية غير مطلوبة، كذلك ظاهرة العلاج في الخارج والغش في الامتحانات، وأيضا مسائل الرشوة التي بدأت تظهر للعيان.

أسهب القائد رحمه الله في شرح أوضاع الفساد والإهمال، وتكلم بحسرة شديدة عن خطورة ذلك على الدولة والوطن ومستقبل الأجيال، استمر يتحدث لأكثر من ساعة وخلص إلى مطالبتنا باقتراح تشكيل حكومة ثورية تعمل تحت إشرافه المباشر، ونوقف مؤقتا عمل مؤسسات السلطة الشعبية إلى حين إعادة تنظيم البلد، ثم نعيد العمل بالسلطة الشعبية، قال: الأمر يتعلق بتعليق مؤقت تمامًا كما تفرض حالات الطوارئ مؤقتًا وتزول بزوال دوافع فرضها، استمعنا بإنصات وتمعن شديدين ولاحظنا الجدية فيما يقول، لكن شعرنا بأنه يريد رأينا ولم يتخذ قرارًا جادًا بعد في الموضوع، تناول كل منا التعليق، الذي يمكن تلخيص ما أتذكر منه في ثلاثة جوانب، الأول التأكيد على صدق وحقيقة ملاحظاته، مع محاولة تقديم تفسيرات لبعضها تتعلق بالتقلبات الإدارية من مركزية مطلقة إلى لا مركزية شاملة، وعدم وجود ضوابط قانونية واضحة وصـــــارمة للمصعدين، ونقص التمويلات

للقطاعات المحلية والمركزية، والثاني التأكيد على أهمية معالجة ما أشار إليه القائد بكل جدية وحزم، من خلال تعبئة وطنية شاملة ضد الفساد والإهمال، والثالث التأكيد على البحث عن آليات المعالجة بما لايؤثر على صدقية ومصداقية المشروع الجماهيري، وأن يكون هناك توافق بين ضرورات محاربة الفساد والإهمال، وتجذير مؤسسات السلطة الشعبية وتطويرها، كان السؤال الذي كررنا ثلاثتنا طرحه، وهو هل نضمن لو تشكلت حكومة ثورية من عناصر مشهود لها بالنزاهة النجاح في محاربة الفساد والقضاء على الإهمال؟ أم أن الفساد كظاهرة تحتاج إلى آليات معقدة لمحاربته؟، ولاشك أن النجاح سيكون جزئيًا ومحدودًا كما حصل في المحاولات السابقة، عندها ستكون النتيجة عكسية وسيبقى حال الفساد كما هو عليه، ونخسر المشروع الجماهيري، استمع القائد رحمه الله إلى ملاحظاتنا بتمعن أيضًا ولم يقاطع أيًا منّا.

كان الأخ بشير صالح يسجل الملاحظات، بعد أن انتهينا ثلاثتنا من الحديث عند حوالي الساعة العاشرة والنصف، وقف القائد وقال: لنغير المكان، استقلينا سيارة القائد وذهبنا إلى المربعات، في السيارة استمرت تعليقاتنا، عندما وصلنا إلى خيمة المربعات بدأ نقاش تاريخي واستراتيجي أعتقد أنه مسجل في مكان ما، كان النقاش يتلخص في كوننا بين معضلتين، هناك هدف سامٍ وهو بناء مشروع جماهيري حقيقي، وهناك حاجة لإجراءات استثنائية لبناء دولة حديثة متطورة.

تعامل الليبيين مع السلطة الشعبية يتم للأسف بسطحية ناتجة أحيانا عن عدم التصديق بحقيقتها وبجدية القائد في بنائها، وذلك ناجم من حجم الدعاية المضادة لثورة الفاتح ومن ضعف الآليات الإعلامية، لقد كان القائد الشهيد يراهن على ثقة الناس فيه، وأعتقد أن تقييمه لتلك الثقة كان مبالغ فيه.

في ذلك الحوار الاستراتيجي الجريء وضعنا مع القائد النقاط على الحروف أولًا، ماذا نريد؟، هل نريد بناء دولة بأي ثمن؟ أم نريد بناء دولة يكون الشعب فيها حرًا وسيدًا؟ الإجابة تحدد آليات الوصول إلى الهدف، لقد كان القائد يستمع ويناقش وكانت فرصة لنضع تقييمنا الناتج عن تجربة نضالية ليست قصيرة، وعن معايشة لصيقة بالمشروع الجماهيري، ومعرفة عميقة بجزئيات الممارسات المصاحبة لبناءات السلطة الشعبية، وليس فقط من فهم نظري للمشروع.

استمر النقاش إلى المساء، اتفقنا في نهايته أن نفكر في آلية تضمن مقاومة الفساد والإهمال وتساعد على تقوية مؤسسات سلطة الشعب على أن نلتقي صباح اليوم التالي، نظرًا لمرض المرحوم محمد المجدوب ذهب إلى البيت، ثم ذهبت أنا والأخ أحمد إلى منزل أخيه علي إبراهيم في تاجوراء، وكان تحت الإنشاء أمضينا ساعات في مناقشة البدائل من كل جوانبها، ثم اهتدينا إلى فكرة تكليف مجموعة ثورية بإشراف القائد تعمل على تحريك ومتابعة أداء مؤسسات السلطة الشعبية فيما يتعلق بمحاربة الفساد، على أن تنفذ ما تراه مناسبـــا من

خلال الجهات الشعبية سواء أمانات المؤتمرات أواللجان الشعبية أو الرقابة الشعبية، من خلال تنفيذ قرار المؤتمرات الشعبية بتخويل القائد بالتدخل في طرح ما يراه يخدم المشروع والوطني والجماهيري على المؤسسات الشعبية، وأن تبتعد عن ممارسة المهام الاستثنائية، تمكنت والأخ أحمد من بلورة شعار تصعيد الثورة الشعبية من أجل تقوية سلطة الشعب، ثم صغنا مقترحًا تفصيليًا تضمن تشكيل لجنة عليا لتصعيد الثورة الشعبية من عشرة أفراد تعمل بإشراف مباشر من الأخ القائد، كل عضو منها يتولى الإشراف على عدة مناطق، ويشكل فرق عمل تتولى التفتيش على أداء القطاعات، وتعمل من خلال أمانة مؤتمر الشعب العام وبالتنسيق مع أمانة اللجنة الشعبية العامة، واللجان الشعبية للشعبية بالشعبيات على تنفيذ ما يتفق عليه من إجراءات بشكل فوري، وتحيل المخالفات مباشرة إلى الجهاز الشعبي للرقابة والمتابعة الشعبية على أن يوجه الأخ القائد أمانة مؤتمر الشعب العام واللجنة الشعبية العامة بذلك، وبالإضافة للتوزيع المناطقي لفرق العمل تم تشكيل فرق عمل تتعلق بمتابعة القطاعات العامة فيما يتعلق بقضايا الخدمات والإنتاج والعمل الخارجي وما إليها.

في وقت متأخر من الليل أرسلنا ورقة مكتوبة بخط اليد إلى الأخ بشير صالح الذي بقي ساهرًا ينتظرها ويتواصل معنا كل برهة من الزمن حول إنجاز أي شيء من عدمه، في اليوم التالي ظهرا التقينا بالقائد ثانية، شرحنا له فكرة الورقة وأعجبه المقترح، لكنه تساءل **"ومن يربط الجرس في رقبة القط"** بمعنى من هم أولئك الأشخاص

الذين سنختارهم والذين يستطيعون تنفيذ المهمة دون أن يتأثروا بالواقع، وبعد نقاش مفصل وطرح عديد الأسماء وافق على تكليف عشرة أشخاص من القيادات الثورية للقيام بالمهمة وهم بالإضافة إلى ثلاثتنا، الأخ عبد القادر البغدادي، والدكتور حسني الوحيشي، والدكتور محمد الهرمة عامر، والأخ عمران أبوسته، والأخ رمضان البريكي، والمرحوم إبراهيم علي إبراهيم، وكلف الأخ عيسى كوسا متابعًا مباشرًا من القلم لسرعة الاتصال بالقائد، والأخ رمضان البريكي مقررًا للفريق، واتفق أن تسمى اللجنة العليا للمتابعة.

عقد لقاء مع الإخوة المكلفين لشرح الموضوع وتوزيع المهام وتقسيم الشعبيات لمتابعتها بينهم والتواصل مع الفعاليات الشعبية والثورية بالمناطق لشرح طبيعة المهمة ولوضع الخطط للتقليل من أي آثار جانبية على مؤسسات السلطة الشعبية، كان المهندس امبارك الشامخ محسوبًا على حركة اللجان الثورية عندما صعد أمينًا للجنة الشعبية العامة، وكان من الضروري وضعه في الصورة، وكعادة المسؤولين في الجهاز الإداري تخوف من إمكانية التداخل مع مهامهم لكني أوضحت له الأمر وطلبت منه التعاون، ثم التقى الفريق مجتمعا بالقائد للاستماع إلى ملاحظاته، واتفق أن تقوم الفرق بوضع خطة تحرك وطنية.

تم تقسيم العمل على النحو التالي؛ حيث تولى المرحوم محمد المجدوب متابعة طرابلس الكبرى، والدكتور عبدالقادر البغدادي لمتابعة شرق طرابلس، والدكتور حسني الوحيشي لمتابعة المنطقة الغربية،

والأستاذ أحمد إبراهيم لمتابعة الجنوب، وعمران أبوستة لمتابعة الجبل الغربي، والدكتور محمد الهرمة عامر لمتابعة اجدابيا والواحات، وكلفت بمتابعة منطقة بنغازي، والدكتور رمضان البريكي بمتابعة الجبل الأخضر، كما تم اقتراح تشكيل فرق عمل للرقابة الثورية بالشعبيات، وتشكيل لجان على المستوى الوطني لتصعيد العمل الثوري بغية تطوير أدائها، ومنها لجنة لتثوير قطاع الخدمات كلفت منسقا لها، ولجنة لتطوير قطاع الإنتاج، وهكذا القطاع الاقتصادي، وقطاع العمل الخارجي.

انطلقت العملية الثورية لتحقيق الأهداف الأتية :

1- التفتيش الميداني على مظاهر الفساد ومعاقبة مرتكبيها من خلال المؤسسات القانونية.
2- الوقوف الميداني على حالات الإهمال والتسيب.
3- التفكير في مشروعات استراتيجية للتنمية، وتقديمها من خلال المؤسسات الشعبية.
4- البحث في معالجات ثورية لتدني خدمات بعض القطاعات.
5- البحث عن آليات تساعد على دفع الجماهير إلى الجدية في ممارسة السلطة الشعبية.

لقد انخرط مئات الشباب في عمل ثوري وطني حقيقي، وجرت عمليات تفتيش ثورية واسعة على أداء القطاعات، وبالتأكيد ساهمت تلك العملية في الحد من الإهمـــــال والفساد، بالرغم من أنها لم تنجز أهدافها كاملة لتوقفها بعد وقت قصير لإفساح المجال أمام المؤسسات الدستورية الشعبية للقيام بواجباتها.

فكرة ثورية لتطوير قطاع الصحة والتعليم لم يكتب لها النجاح

من خلال اللجنة الثورية للمتابعة في قطاع الخدمات تم تشكيل فريق من المختصين ضم الشهيد الدكتور عبد القادر البغدادي، والدكتور محمد الفيتوري، والمهندس علي السهولي وآخرين لدراسة خطط مبتكرة للتطوير والتعليم، وتشكل فريق مني وعدد من المختصين في القطاع الصحي، والأستاذ محمد الحويج أمين الخزانة لدراسة تطوير القطاع الصحي، وتم الوصول إلى أن السبب الأهم يكمن في عدم قدرة الخزانة العامة على توفير تمويلات مناسبة ومنتظمة لتسيير القطاعين، بالنظر لحجم الانفاق الضروري بهما وللتطور المستمر في التجهيزات التقنية خاصة بالنسبة لقطاع الصحة، وما يعنيه ذلك من ضعف المرتبات للعاملين بالقطاع الصحي والتعليمي، وعدم انتظام توريدات المستلزمات الصحية والتعليمية، وفي نفس الوقت عدم قدرة ما سمي القطاع الخاص على القيام بتطوير حقيقي لأن أهداف أصحاب المشروعات التعليمية والصحية يتركز بالدرجة الأولى على تحقيق الأرباح بغض النظر عن الأداء، ولأن الليبيين نتيجة لثورة الفاتح يعتقدون بأن الصحة والتعليم حق ينبغي أن تتحمل الدولة تكاليفهما أيًا كانت إمكاناتها.

إن ضعف دخول العاملين بالقطاعين اضطر بعضهم للعمل في القطاع الخاص وما قد يعنيه ذلك من إهمال، وأدى إلى تكدس الموظفين بالقطاعين وتدني في مستوى أدائهم، ولم تنجح كل عمليات تطبيق ملاكات وظيفية في القطاعين في الحد من تكدس العاملين بها.

أجرينا دراسات على الحجم الحقيقي للانفاق، والبيروقراطية المصاحبة لعمل القطاع العام، وضرورات متابعة التوسع المستمر للقطاعين الأساسيين، وبحثنا مع مختصين تجارب الدول المتقدمة وآلياتها في تمويل تلك الخدمات، خاصة أوروبا الغربية في عمومها والدول الاشتراكية منها مثل اسكندينافيا، وألمانيا، والنمسا، وفرنسا، حيث التعليم والصحة تقدم مجانيا للمواطنين من خلال آليات متعددة.

التطبيق الاشتراكي هو الحل

بعد نقاش مستفيض ومعمق استمر لعدة أسابيع، واستبيانات ودراسات ميدانية، توصلنا إلى فكرة تطبيق اشتراكي في القطاعين يقوم على الأتي:

- يكون تقديم الخدمات الصحية والتعليمية لكافة المراحل بمقابل حسب التكلفة الحقيقية تحددها قطاعات الصحة والتعليم والمالية وتستثنى من ذلك مؤقتا برامج الرعاية الصحية الأولية.
- تملك انتفاعا كافة المؤسسات التعليمية والصحية للعاملين بها، وتدار من قبلهم، وتحت إشراف دقيق ومباشر من قطاعات الصحة والتعليم، وتطبق بها كافة الضوابط التي تضعها.
- تتولى الخزانة العامة تحمل كامل تكلفة الخدمات الصحية والتعليمية وتسددها مباشرة لإدارات المؤسسات الصحية والتعليمية.
- توزع دخول المؤسسات نظير خدماتها لتوفير المستلزمات والصيانة والتطوير، وكمرتبات للعاملين وفق جداول تعد من اللجنة الشعبية العامة.

فوائد النظام المقترح:

- أثبتت الدراسة أن دخول المعلمين والأطباء والممرضين والفنيين تتضاعف لو صرفت فقط الموازنات التي تصرف في ذلك الوقت على القطاعين، وأن أداءهم سيتحسن لأنه مربوط بعملهم مباشرة.
- لن يسمح بتكدس للعاملين ولا الإهمال والتسيّب لأن الدخول ستكون مرتبطة بالأداء، "ساعات التدريس الفعلي، عدد المرضى المعالجين، إلى آخره".
- ستتنافس المؤسسات التعليمية والصحية على تقديم الخدمات مما يضطرها إلى تطوير أدائها وتحديث تجهيزاتها.
- سيتم اختيار الإدارة الناجحة التي تضمن تقديم خدمات أفضل.

وبعد عرض الأمر في لقاء مع القائد في مدينة سرت، تمت مناقشة المشاكل الجانبية التي قد تنتج من تطبيق متسرع لهذا المقترح، وطرحت فكرة توزيع دخل النفط نقديًا على المواطنين لأول مرة، باعتبارها تحد كبير قد يمنع الفساد ويمكن الناس العاديين من الحصول على نصيبهم من دخول النفط، كانت وجهة نظري والأخ الدكتورعبد القادر أن نبدأ فوريا بتطبيق المقترح بعد توسيع دراسته والاستعداد لمواجهة سلبياته التي قد تظهر في البداية، لكنه لم يتحمس للموضوع واقترح أن نجربه جزئيا في بعض المدارس والمرافق الصحية ثم نرى نتائجه.

اتفق على تجربة فكرة الخدمات التشاركية في قطاعي الصحة والتعليم، ورأى أن يتم اختيار عدد من المؤسسات التعليمية في مناطق مختلفة وتطبيق المشروع بها ومتابعته ميدانيًا، وفي حالة نجاحه تعاد

التجربة في القطاع الصحي، وبعدئذ يمكن عرض تصور شامل على المؤتمرات الشعبية، وبالفعل اختيرت عدد من المؤسسات التعليمية للتعليم المتوسط، وشرع في تطبيق المشروع بها في عدد من المدن والمناطق.

مع انطلاق فكرة تصعيد الثورة الشعبية تصاعد نفوذ الأخ سيف الإسلام، وبدأ يندمج في العمل السياسي، أتوقع أن المهندس سيف الإسلام من خلال اتصاله بمجموعات من المعارضة بالخارج خاصة جماعة الإخوان المسلمين تم خداعه بالقول: إن مشكلتهم ليست مع القائد ولا أسرته ولا حتى ثورة الفاتح، بل مشكلتهم في ممارسات اللجان الثورية والأجهزة الأمنية وفكرة سلطة الشعب، التي حملوها أسباب كل المشاكل التي تعاني منها الدولة، كما أوهموه أن حل الملفات العالقة مع الغرب تتطلب حل الملفات الداخلية، رغم أن أغلبهم أرتموا في أحضان المستعمر قبل ظهور حركة اللجان الثورية وقبل إعلان سلطة الشعب.

أتوقع أيضًا أن المهندس سيف تسرع كثيرًا في بناء ثقة في غير محلها ولا وقتها مع تلك المجموعات التي ربما وجدت فيه وسيلة مناسبة للتسلل إلى الخيمة وهدمها.

لقد كان لتدخلات سيف الإسلام المعنونة بتحديث الدولة وإطلاق التنمية سببًا مباشرًا في عرقلة ممارسة السلطة الشعبية فصار يتدخل لتقليص مهام اللجان الشعبية المحلية، وطالب بضرورة مركزة كثير من الإجراءات في يد اللجنة الشعبية العامة، عقبها إلغاء اللجان الشعبية في الشعبيات واستبدالها بمكاتب تتبع الأمانات المركزية.

كما دخل المهندس سيف الإسلام في جدل وصراع في بعض الأحيان مع حركة اللجان الثورية، والأجهزة الأمنية والقوات المسلحة، ولقد تعاملت معه تلك الجهات بهدوء وحذر شديدين نتيجة لإحترام تلك التكوينات للقائد، وخوفاً من إثارة أزمة في غير وقتها داخل الخيمة.

استغل بعض المحيطين بسيف الإسلام الذين كانوا تحت تأثير الإخوان وأدواتهم، ونجحوا في دفعه على تبني خطاب ضد تلك المكونات في محاولة للتأثير السلبي على دور تلك الأجهزة الثورية وبالنتيجة عرقلة السلطة الشعبية وتجميدها، وإفساح المجال للإخوان المسلمين وأذرع أجهزة استخبارات معادية وتمكنيهم من التسلل إلى ليبيا التي كانت أبوابها موصدة في وجهها، ونظرًا للحرج الذي أصاب بعض القيادات الوطنية المهمة صار السكوت على برنامجهم المعادي مبررًا في إطار عدم السماح بتصدع الجبهة الداخلية، وفي ظل طمأنينة غير واقعية بأن القائد قادر على إرجاع الأمر إلى نصابه، فصارت القرارات الهامة تصاغ في دائرة ضيقة أهم رموزها محمد الهوني، وعبد الرحمن شلقم، ومحمود جبريل، ومحمد إسماعيل، وعبدالرحمن كرفاخ، وفيصل الزواوي، ومصطفى زرتي وغيرهم، وتفرض على الدكتور البغدادي المحمودي لتمريرها، ولم تعد تطرح على المؤتمرات الشعبية قضايا أساسية، كما جرت محاولة سحب اختصاص مناقشة القوانين وإصدارها من المؤتمرات، وتم استبدالها بفكرة أن المؤتمرات تناقش فقط روح القانون وأما الصياغة فتتم في اللجنة الشعبية العامة.

أنا لا أشك أن منطلق ذلك ربما كان لتطوير الدولة وإخراجها من الأزمات، لكن نوايا من كانوا وراء تلك الأفكار كانت أشياء أخرى يمكن تلخيصها في القضاء على ثورة الفاتح لما تمثله من حجر عثر

أمام المشروع الاستعماري في المنطقة، والقارة الأفريقية والعالم وهكذا كان.

تم إخراج الخطط التي وضعتها حلقة النقاش في اللقاء الدائم، وتم تبني المشروعات الواردة بها، لكن البعض حاول أن ينسبها لنفسه مع أنها موثقة بالصوت والصورة، وعرضت على اللجنة الشعبية العامة وفي عهد مبارك الشامخ، ولا شك أنها متوفرة بأرشيفها إن لم يعبث بها، بالطبع قام كثير من المختصين بتحديث بعض جوانبها وتطوير جوانب أخرى ثم أعطت المؤتمرات الشعبية الإذن للانطلاق في تنفيذها.

في ذلك الإطار حاول المهندس سيف الإسلام بناء على طلبات من الإخوان طرح ملفات أوهموه بأنها مغلقة وبها أمور خطيرة، ولو فتحت سوف يتم تسوية ملف صورة النظام بالخارج، وبالنظر إلى طبيعة الأفراد المحيطين بالمهندس سيف الإسلام ورفض الأجهزة الأمنية والثورية تبني وجهات نظرهم، اتجهوا إلى الإعلام لإحراج سيف الإسلام من ناحية، ولإحراج القيادة من ناحية أخرى، فتم تناول القانـــــون رقم 4 الخاص بالبيت لساكنه بذريعة أن الملاك لم يتلقوا تعويضات كافية، وفتح موضوع مراجعة التعويضات، وتم تشكيل لجان برئاسة قضاة لمراجعتها وفقا لأسعار 2005 وليس 1984، وفعلا دفعت تعويضات مرة ثانية للملاك، ونظم الإخوان في إطار المؤامرة الدولية وقفات احتجاج على ما سمي مشكلة أبوسليم، وطرح موضوع تعويض الضحايا لغلق الملف، وحسب المعلومات المتوفرة لي حول القضية فإن سجناء المقاتلة حاولوا التمرد وقتلوا بعض

الحراس وافتكوا أسلحتهم فتصدت لهم قوة الحراسة في محاولة لضبط السجن، وقتل عدد من الحراس والموقوفين، وكان كل العدد الذي قتل من المتهمين في المقاتلة سواء بتمرد السجن أو أثناء الاعتقال في حدود 270، لكن إعلام الإخوان هول ذلك الأمر وتحدث عن مجزرة وأن ضحاياها 1200، ساعدهم في ذلك عدم تناول النظام لها وعدم الرد عليها على تقديمها كحقيقة للعالم، واليوم تبين بعد سنوات من سيطرة الإخوان على الدولة لم يتم تقديم دليل واحد على صحة ذلك الادعاء وحكم القضاء الليبي في محكمة الاستئناف بأن لا وجه لإقامة الدعوة، المهم الإخوان اقنعوا سيف الإسلام بأهمية فتح الملفات السرية لأجهزة الأمن، وفعلا بتوجيهات من القيادة فتح ملف القتلى أثناء مطاردات وتمردات المقاتلة، وكلف مصطفى عبدالجليل وزير العدل بترأس لجنة خاصة لذلك، وتم تحديد تعويضات دفعت لأسرهم، لكن الإخوان راهنوا على رفض مطلبهم وتفاجؤوا بجدية الدولة في قفل الملفات والدخول في مصالحة وطنية جادة، لذلك أوعزوا للمتطرفين برفض التعويضات، ومن إجمالي 270 رفض 12 شخص التعويضات، ونظموا وقفات أسبوعية في بنغازي بقيادة الإخواني تربل تأسيسًا لمؤامرة فبراير، لم يهتم النظام لهم، وربما لم يدرك خفايا ما يسعون إليه خاصة في إطار تبني سيف لفكرة التظاهر والاحتجاج السلمي، كما فتح سيف ملف ادعاءات التعذيب الذي مارسته الأجهزة الأمنية ضد المعارضين، وعندما لم تتوفر وقائع محددة، وثبت أن الأمر كله يتعلق بفبركات جماعات الإخوان، لم يتحقق لهم شيء، لكن آثاره كانت

سلبية على جهاز الأمن، واستغل الإخوان ذلك وربما كان هو هدفهم الحقيقي في توسيع نشاطهم السري مختبئين خلف سيف الإسلام.

لم يكن هناك أي اعتراض على إطلاق خطة تنموية في ليبيا خاصة بعد زوال العوائق الخارجية، وتسوية الملفات مع الدول الغربية، بل بالعكس كان مطلب كل القوى الثورية أهمية إدارة عجلتها بالسرعة الممكنة، لقد كانت الأفكار والخطط وحتى المشروعات جاهزة، وكانت مناسبة استغلها المهندس سيف الإسلام في الحديث عن برنامج ليبيا الغد التنموي، لكن الإخوان حاولوا استغلاله بتحويله إلى مشروع سياسي مناقض لثورة الفاتح، وفي الواقع هم كانوا يلحقون الليل بالنهار للتدبير للإطاحة بالثورة، وفعلا استغلوا في عام 2006 غضب الدولة الليبية ضد الرسومات المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وتسللوا إلى المظاهرات السلمية المنددة بتلك الرسوم لتفجير الساحة في وجه النظام الوطني، لقد نظمت في شهر فبراير عام 2006 مظاهرات في طرابلس وبنغازي ضد وزير إيطالي تبجح بتأييد أولئك الرسامين، وأرتدى قميصا طبعت عليه الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، اللجان الثورية بالتنسيق مع الأوقاف نظمت الاحتجاجات ضد السفارة الإيطالية رغم علاقة الصداقة التي أخذت في التطور بين القائد و"برلسكوني".

في طرابلس حشود ضخمة خرجت، ووجهت رسالتها الواضحة القوية، يوم 2/17 في بنغازي نظمت أيضًا مسيرة حاشدة، لكن الإخوان استعدوا لها وخططوا جيدًا لإحراج الدولة، توجهت المسيرة إلى القنصلية الإيطالية في المدينة لكن إرهابيين تسللوا بها

وقرروا حرق القنصلية بمن فيها، كان المخطط أن تكون المسيرة سلمية، لكن ذلك التطور الميداني أربك رجال الأمن القلائل الذين يحمون القنصلية واضطروا لإطلاق النار، مما سبب في سقوط ضحايا.

وهنا كمنت غاية الإخوان فاستغلوا الموقف لتطوير عمليات شغب بالمدينة!، وكانت الخطة نقل حرفي لما حصل في طهران بتدبير من المخابرات الأمريكية في الخمسينيات من القرن الماضي ضد حكومة محمد مصدق الوطنية، وتماما كما حدث في ربيع أوروبا الشرقية في التسعينيات.

أجهزة الأمن تمكنت بحنكتها من احتواء التحركات، واستيعابها، وفوتت الفرصة على المخربين، لكن المهندس لم ينتبه للعبة، واستمر الإخوان يحيكون دسائسهم عن قرب، وربما داخل الخيمة!

القائد يعيد الكرة

في شهر ناصر 2009 استدعيت ليلا إلى القيادة كان الوقت متأخرا فتوقعت أن أمراً ما قد وقع، لم أسأل عن السبب، فلقد كانت الساعة تقارب منتصف الليل، فبعد أن أبلغت الإخوة بالقلم بأني في البيت بسوق الخميس إلا أنهم طلبوا حضوري، وصلت قبل الواحدة ليلا فوجدت من الإخوة سعيد راشد، وإبراهيم علي إبراهيم، وعمر اشكال، والأسير البطل أحمد إبراهيم، والأستاذ حسني الوحيشي، كان القائد ينتظرنا بالخيمة، فبادرنا بالسؤال مازحًا ماذا تريدون في أنصاف الليالي؟، قلت له: "كنا مارين رأينا نار بالخيمة قلنا نمروا انهدرزوا"، بعد تعليقات جادة من المرحوم سعيد، ومازحة من الرفيق أحمد بادرنا بالقول: إن الغرب يتسلل إلى ليبيا!، وأنتم نائمون؟ وأخذ يتحدث عن الاختراقات في القضاء وفي النقابات، وتسلل ما يسمى منظمات المجتمع المدني، وقال: إنها عبارة عن جواسيس، وقال: عليكم بالتحرك بسرعة لمعالجة الأمر، بعد نقاش مطول إلى قبيل طلوع الفجر استقر الرأي على إعادة بناء النقابات، والتواصل مع أمانة الشؤون الاجتماعية لإصدار قانون لتنظيم العمل الأهلي يضمن عدم استغلاله من وسائط استخباراتية أجنبية.

في مساء اليوم التالي عقدنا سلسلة لقاءات ضمت عديد الإخوة من حركة اللجان الثورية، وأمانة مؤتمر الشعب العام، واتفق على الشروع في تصعيد النقابات من القاعدة والحرص على أن تكون ممثلة حقيقية لمنتسبيها ولا تستخدم من قبل مجموعات حزبية أو إيديولوجية، وكذلك وضع ضوابط لما يسمى منظمات المجتمع المدني.

تشكلت لجنة من الخبراء القانونيين منهم الأستاذ المستشار عبدالرحمن العبار، والمستشار محمد المصراتي، والمستشار إبراهيم عبد السلام، والمستشار محمد مروان، والمستشار عبد الرحمن أبوتوته، والأخ مختار الكاسح، والمستشار عبدالرحيم العرفي، والأستاذ حسني الوحيشي، وكلفت باللقاء بهم مع المرحوم إبراهيم علي إبراهيم، لوضع تصور لتطوير عمل الهيئات القضائية وإعادة تشكيل مجلس القضاء الأعلى وإعداد هيكلة لذلك ووضع الضوابط لاستقلال منظومة القضاء وعدم استغلالها من قبل مجموعات سياسية.

تم توسيع الفريق بضم عدد من الإخوة منهم الدكتور رجب أبودبوس، والشهيد عبد القادر البغدادي، والدكتور رمضان البريكي، والأخ ونيس الشاوش، وبعد نقاشات موسعة، استندت إلى أهمية تنفيذ توجيهات القائد بضبط المنظمات الأهلية وتحصين القضاء وبناء نقابات حقيقية وفعالة، وضرورة مراعاة الشفافية الكاملة، تم التوصل إلى مجموعة إجراءات تنفيذية منها:

- اقتراح فكرة تأسيس مركز للإعلام الجماهيري.
- تطوير مجلس القضاء الأعلى.
- تصعيد النقابات.

انطلقت حركة شعبية للبدء في إعادة بناء النقابات على مستوى الشعبيات، بحيث شرع في عمل قاعدي ومن ثم تصعيد الأمانات العامة للنقابات، جرت عمليات التصعيد بكل سلاسة ماعدا في نقابة المحامين بنغازي، حيث تمكن محامون شبان بقيادة المحامي أبوبكر السهولي من النجاح في النقابة، وإسقاط مجموعة شللية كانـــت تسيطر عليها

بقيادة عبدالحفيظ غوقة منذ سنوات، ولم تقدم خدمات للمحامين، وللتاريخ لم يحدث أي تدخل من أجهزة الدولة في انتخابات النقابات، لكن غوقة وشلته رفضوا التسليم بالأمر الواقع في طرابلس أسفرت انتخابات النقابة على فوز المجموعة التي يتزعمها النقيب السابق محمد العلاقي، كانت علاقتي بالعلاقي جيدة منذ أيام الجامعة، اتصل بي مشتكيا من تدخل أمانة النقابات ضد مجموعة بنغازي، فسألته ولماذا لم تتدخل في طرابلس، اختير المحامي بشير الطوير من الزاوية نقيبا للمحامين، لكن شلة غوقة لم تتعاون ورفضت التسليم للنقابة الجديدة.

صدر قرار من اللجنة الشعبية العامة بإنشاء مركزالإعلام الجماهيري يتولى إدارة مشاريع إعلامية لإعادة التوازن للخطاب الإعلامي خاصة بعد تمكن الإخوان ممثلين في سليمان دوغة، وأسامة الصلابي، والصادق الغرياني، من خداع المهندس سيف الإسلام وسيطرتهم على مؤسسة ليبيا الغد الإعلامية، ورصد تمويلات كبيرة لفضائية الليبية، وصحيفتي قورينا وأويا، وتمكنت مجموعات معادية للنظام من التسلل إليها وبث سمومهم من خلالها، تولى المركز إدارة قناة البديل الفضائية، وصحيفتي الزحف الأخضر والجماهيرية لكنه لم يتمكن من تطويرها لعدم رصد تمويلات له!.

بخصوص القضاء اقترح الفريق المشار إليه إعادة تشكيل محاكم الاستئناف من قضاة مشهود لهم بالنزاهة والوطنية، وفقا للأقدميات القضائية ليتشكل مجلس القضاء الأعلى من تلك القيادات القضائية المحترفة والمحترمة، وكف عبث أمين العدل مصطفى عبدالجليل في القضاء، وكان ينظر له على أســـــاس أنه بسيط وغير

مدرك لما يقوم به ولم نكن نعلم أن عبثه بالقضاء كان في إطار تهيئة الجهاز القضائي لاستخدام عناصره في مؤامرة 2011.

عرض المقترح على الأخ القائد وبعد نقاش مستفيض معه أحاله على ما يبدو إلى الدكتور البغدادي أمين اللجنة الشعبية العامة للتنفيذ، لكنه وصل إلى أيدي مصطفى عبد الجليل المتستر بغطاء ليبيا الغد، فلجأ إلى مسرحية، حيث تظاهر بالزعل، وقدم استقالته لأن هناك من يتدخل في القضاء، وأن النائب العام المستشار محمد المصراتي لا ينفذ تعليماته إلى آخره، والنائب العام شخصية قضائية مستقلة لا ينبغي أن ينفذ تعليمات إدارية فيما يخص القضاء، المهم عمل زوبعة، واستغل المهندس سيف الإسلام في تعطيل تطبيق المقترح إلى أن قامت أحداث مؤامرة فبراير، أعتقد جازماً لو تمت تطبيق المقترح لتم إعادة هيكلة القضاء بطريقة ربما كانت حالت دون انجرار كثير من القضاة الفاسدين ووكلاء النيابة الموتورين والمحامين المأجورين في مؤامرة 17 فبراير، أن نماذج تعّرف الليبيون على حقيقتهم بعد أحداث 2011 من أمثال سليمان زوبي، وفتحي تربل، ومهدي كشبور، وعمران بورويس، وعبدالحفيظ غوقه، وحذيفة الهوني، وخليفة زواوي، وعبد العزيز حصادي، ومحمد العلاقي، وجمعة عتيقة الذي صور له مشهد راقص مبتهجًا بالقبض على بعض الشخصيات الوطنية في جلسة منقولة على الهواء لما سمي المؤتمر الوطني، والمليشياوي عبد الرحمن الكيسة الذي قتل في معارك سرت، لقد مارس أولئك وأمثالهم أعمالاً مادية في قمع وتعذيب الأبرياء، وأعمالا دعائية، واشتركوا في تمكين الإرهاب من ليبيا ودعم المليشيات الإجرامية، في أعمال

تتناقض كليا مع سماحة وعدالة رجال القضاء، علاوة لمناقضتها لكل القيم الإنسانية، وكانت الأحقاد الدفينة هي محركهم الأساسي فضربوا بعرض الحائط أخلاقيات القضاء ومصالح الشعب، ما كان لهم أن يتصدروا المشهد السياسي والقضائي لكنها إرادة الله، وعسى أن نكره أمرًا فيه خير لنا فلربما بقاءهم مستورين كان أكثر إيذاءً للشعب!

صراع مفتعل مع ليبيا الغد

منذ بروز سيف الإسلام على الساحة السياسية وتمكن مجموعات الإخوان والمعارضين بالخارج من التواصل معه، وإقناعه بأنهم يدعمونه لتولي السلطة، ومعالجة الملفات السياسية أو الاقتصادية، وأنهم ليسوا ضده ولا ضد والده، وإنما هم يعملون لإصلاح حال البلاد وأنهم فقط ضد اللجان الثورية وأجهزة الأمن، بالرغم من أن أغلبهم انضموا للتنظيم الإرهابى وأظهروا العداء لليبيا قبل ظهور اللجان الثورية للوجود، وأدعو أن همهم كف أذى اللجان الثورية والأجهزة الأمنية عن الشعب، وكان للدوائر الغربية خاصة البريطانية والأمريكية التي تسللت إلى تفكير المهندس الشاب سيف الإسلام، دور مهم في تسويقهم، وفي إقناعه بأهمية العمل مع تلك المجموعات لتأمين استقرار في البلاد.

لقد أعدت جماعة الإخوان خططًا محكمة معتمدة على تكتيكات الحرب النفسية والخداع والتقية للإيقاع بين المهندس سيف الإســـلام والقيادات الثورية والأمنية والسياسية، وصورتهم كعدو أساسي يحول ضد طموحه في الوصول إلى السلطة، ونجحت للأسف في إشعال فتيل

صراع ظاهر أحيانا، ومستتر في كثير الأحيان داخل أركان النظام، الأمر الذي أربك المؤسسة الأمنية، وأعطى غطاء نجحت خلاله أجهزة إستخبارية معادية في التسلل والتوغل في ليبيا التي كانت أبوابها موصدة أمامها، حاول القائد بوعيه وفهمه لخبايا التآمر التاريخية والدولية، وضع حدٍ لذلك الصراع الخفي المعلن بين المهندس الذي حاول أن يقدم نفسه كبديل مستقلًا عن توجهات ثورة الفاتح في إطار مشروع فضفاض أسماه ليبيا الغد، واستفاد من جملة من الخطط وضعتها اللجان الشعبية لإطلاق التنمية مجدداً بعد تجاوز أزمة لوكربي والحصار الجائر الذي كان مفروضاً، وما نتج عنه من آثار اقتصادية بالغة، وبين القيادات الثورية المؤمنة بالمشروع الجماهيري، وفي حقيقة الأمر كان استمرارًا للصراع الفكري والسياسي بين ثورة الفاتح من سبتمبر التي تعبر عن طموحات الشعب الليبي وبين أعداء الشعب المتمثلين أساساً في منظمة الإخوان المسلمين.

وكعادة الغرب في شخصنة الخصوم وسيلة للقضاء عليهم حاول منظرو مشروع ليبيا الغد السياسيون وهم من قادة الإخوان المسلمين توجيه أصابع الاتهام إلى عدد قليل من الأفراد وتحميلهم مسؤولية كل الإخفاقات التي حصلت بالرغم من أنهم خارج دائرة القرار الفعلية، لقد كانت حركة اللجان الثورية تعتمد على الجهود الذاتية لأعضائها، وعلى إمكانات تمويلها الذاتي المحدودة جدا، مما قلل من تأثيرها عمليا منذ عدة سنوات، وتمكن منظرو ليبيا الغد من إضافة قيود أخرى على حركتها واستخدموا الماكنة الدعائية للإخوان المرتبطين بالدوائر الاستخباراتية الغربية لتشويه عناصرها البارزة من خلال صحف

إلكترونية أهمها صحيفة المحطة لصاحبها الأمريكي من أصل ليبي إبراهيم اغنيوه، وصحيفة أخبار ليبيا لصاحبها الإخواني الإنجليزي من أصل ليبي عاشور الشامس، التي استغلت المناخ السائد بمحاربة الفساد للترويج لمصطلحات استخدمت في دوائر ليبيا الغد منها القطط السمان، وعصابة الأربعة، وكان المقصودون المرحوم محمد المجدوب، والشهيد الدكتور عبد القادر البغدادي، والأسير أحمد إبراهيم، والعبد الفقير لله، في محاولة للضغط علينا ولتشكيكنا في ثقة القائد الشهيد بنا، إن حملة مسعورة لتشويه اللجان الثورية وإضفاء صفة القمع على الأجهزة الأمنية التي كانت تعمل بحرفية ومهنية عالية جدًا وروح وطنية وبقيادة ضباط أكفاء نجحوا في مقارعة وكالات استخباراتية كبرى لقرابة نصف قرن، شنت الحملة لعدة سنوات واعتقدت تلك الدوائر أنها نجحت في زرع شك بين الجماهير الشعبية وقياداتها الثورية والشعبية وأدواتها الأمنية، وكان الإخوان يمارسون أرقى درجات النفاق مع الأخ سيف الإسلام ويدفعونه لاتخاد إجراءات أكثر جرأة لهز الدولة الليبية المتماسكة، ودفعه لارتكاب أخطاء فادحة في حق قيادات وطنية مهمة لا مجال هنا لتناولها، وكذلك استفزاز المواطنين بعمليات هدم عشوائية لمرافق شعبية بحجة تطويرها، وكان هدف الإخوان من ورائها تأليب الرأي الشعبي ضد الثورة في محاولات لإشعال فتيل المؤامرة، وللأسف تحقق لهم ذلك دون عناء كبير، كما نجحوا في إقناعه بطرح مشروعات جدلية من قبيل فكرة المراجعات التصحيحية، وفكرة المنابر، ونزع أسلحة الحرس الثوري، والضغط على أجهزة الأمن، ومركزة الإدارة، وإلغاء دور اللجان الشعبية في البلديات، وسحب صلاحياتها.

اعترف أننا كنا في موقف صعب جداً، فنحن ندرك أن القصد دفعنا لخوض صراع في غير وقته سيؤدي إلى تدمير الدولة، فليس من الحكمة الخوض في صراع يتصدره أحد أبناء القائد، ويروج له وكأنه من أجل تجديد الثورة وتطوير البلاد من خلال أطروحات نظرية لبعض الليبراليين المشتبه في انتماءاتهم الوطنية من أمثال: محمود جبريل، وفتحي البعجة، وفيصل زواوي، ومصطفى زرتي، وغيرهم، مع يقيننا بأن من يقف في الصف الآخر حقيقة هم جماعة الإخوان وعملاء المخابرات الأجنبية، ومن جانب آخر لا يمكن السكوت عن مؤامرة تنفذ ببطء ضد البلد، لم يكن ممكناً طرح نقاش مفتوح ومعمق مع الأخ القائد رحمه الله بالخصوص، وإن كان أخي أحمد إبراهيم طرح ذلك عدة مرات ومباشرة وبوضوح سبب في زعل القائد منه عدة أشهر، أيضًا الشهيد المعتصم بالله معمر القذافي أدرك ما يجري، وتواصل معي ومع الأخ أحمد، وأبلغنا أنه يواجه صعوبة في كبح النفوذ المتنامي للإخوان المتسللين تحت عباءة أخيه سيف الإسلام، وللأسف تعرض الدكتور المعتصم رحمه الله إلى عدة مؤامرات داخل الخيمة للحد من تأثيره.

دار نقاش معمق مع كثير من الإخوة القياديين في الحركة حول طريقة التعاطي مع هذه المعضلة الحقيقية والخطيرة، واختلفت الآراء، فالبعض يرى أنه لاشك أن القائد مدرك لما يجري وهو من يسمح به وسيوقفه في الوقت المناسب، والبعض يرى أن القائد قد لايستطيع أن يفعل أي شيء لو تمكن الإخوان من مفاصل الدولة، لكن الأخ أحمد إبراهيم كان يرى أهمية الجهر بالصراع، وأن يوضح للرأي العام حتى

لا يؤخذ الشعب على حين غرة، فبادر بإلقاء مجموعة محاضرات هامة جدًا بيّن فيها ما يجري، ونبه إلى المخاطر المحدقة، وعقد لقاءات علنية في الجامعات والمناطق، وتحدث صراحة عن خطورة مشروع ليبيا الغد على الوطن، ولقد كان في الكثير مما قاله الأخ أحمد نقاطًا مستفزة ومثيرة استخدمت في وغل صدر المهندس سيف الإسلام عليه، والذي كان ينقل ذلك إلى القائد الشهيد، وكنت لمرات متعددة أمام نقاش حاد مع القائد لأوضح حقيقة وأهداف ما كان يقوله أخي أحمد، ومن جانب آخر كنت في حوار متصل مع أخي أحمد في محاولة للحد من اندفاعه وتبيان ما يكتنفها من محاذير نحن في غنى عنها، فقد نجر للصدام دون أن ندري مع القائد الذي نؤمن بمشروعه الفكري والسياسي.

لقد كانت مسألة التوريث مستفزة لنا بشكل كبير، وكان التلويح بها وإيهام المسؤولين بأن قرارًا متخذًا في الخصوص يجعلنا مضطرين أمام سذاجة البعض وسطحية البعض الآخر إلى أن نجهر برفضنا للمشروع، والتأكيد على أنه لن يكون ضمن الأمور المقبولة، مهما كانت التضحيات، فعلاوة على استحالة قبوله من الليبيين، كنا ندرك أن الإخوان الذين كانوا خفية وراء الهمس به إلى المهندس سيف الإسلام، إنما يفعلون ذلك لإقناع الشعب بعدم صدقية ما يقوله القائد، ومن جانب آخر وهو الأهم نحن نؤمن بأن سلطة الشعب هي الوسيلة الأسهل والأسلم لبناء مجتمع مدني متطور في مجتمع شبه قبلي متخلف لا يمكن أن تتأسس فيه مؤسسات ديمقراطية تقليدية والبديل سيكون حكم وراثي مقيت ومتخلف.

لقاء ليلي في البيضاء

في شهر مايو 2007 انعقد الملتقى العام لحركة اللجان الثورية في جامعة قاريونس، وكان القائد قد تغيب عن حضور الملتقيات الأخيرة للحركة لأسباب لم نعلمها، اقترح الأخ حسن الكبير آمر الحرس الثوري وقتها دعوة الأخ سيف الإسلام لافتتاح الملتقى، لكن الأمر لم يكن مستساغاً لدى المرحوم محمد المجدوب، وكان رده أن الأخ سيف الإسلام لو هو مقتنع بالحركة ومشروعها يستطيع حضور الملتقى كعضو حركة، يبدو أن تلك المعلومة نقلت إلى الأخ سيف بطريقة ما، فزادت من غضبه من الحركة، ربما كان ذلك الدافع للأخ عبدالله السنوسي ليطلب مني أن ألتقي المهندس سيف الإسلام في البيضاء، حيث اتصل بي الأخ عبدالله وأبلغني بضرورة زيارة سيف ومناقشته في أمور مهمة، واقترح أن يكون معي الأخ الطيب الصافي، ناقشت المقترح مع الإخوة أحمد إبراهيم، ومحمد المجدوب، وعبد القادر البغدادي، واستقر الرأي أن نذهب للمقابلة لنقييم ما يدور بتفكيره ولنوضح له آراءنا في ما هو مقتنع به، وفعلاً ذهبنا مساء إلى البيضاء وتوجهنا إلى حيث إقامة المهندس لكنه لم يكن موجودا بل كان في رحلة صيد فى أحد الأودية وحضر متأخراً حوالي الساعة العاشرة مساء، اعتذر عن تأخره لأنه لم يعلم بوصولنـــــا إلا عندما عاد إلى البيضاء، المهم حضر لنا عشاء وفتحنا نقاشاً ودياً، استمر حتى أذان الفجر حيث ودعناه وعدنا إلى بنغازي.

كان حديثا صريحا وديًا أخويًا، وكان المهندس سيف الإسلام بصدد طرح مشروع ليبيا الغد، وخاصة ما يعتقد أنه معالجات لملفات

مغلقة، ومنها ملف أبوسليم، وقضية البشتي، وموقفه من اللجان الثورية والأمن الداخلي والخارجي، وموقفه من سلطة الشعب إلى آخره، وأشهد الله أننا تحملنا انتقاداته، وتحمل ردودنا الواضحة المحددة إلى درجة قلت له: إني اتفهم موقفه من سلطة الشعب، فقال ماذا، قلت له: أنت تتوقع بأنك لن تصل إلى الحكم من خلالها، قلنا له نحن نخاف على ليبيا ليس منه لكن من الغرب، ضحك وقال أنا عميل الغرب، قلت له يا أخي نعم الغرب يستخدمون عملاء دون أن يدرون، لقد كانت ليلة طويلة من النقاش المفتوح الصريح لم نخفي فيه شيئًا لكن قناعاتي ترسخت بأن المهندس سيف الإسلام مخطوف فكريا من قبل الأعداء، وأنه معبأ ضد مشروع ثورة الفاتح وشخوصها وعلينا التعامل معه بذكاء لإعادته عن الطريق الذي يسير فيه، والذي يهدد أمن الوطن والثورة.

التقيت والإخوة في طرابلس بعد عودتي لتقييم اللقاء وحضر المرحوم عزالدين إضافة إلى أحمد، ومحمد، وعبد القادر ولم يحضر الأخ الطيب لأنه بقي في بنغازي، كان رأي الإخوة أن أنقل انطباعاتي إلى القائد لوضعه في الصورة.

التقيت الأخ الشهيد القائد، قلت له ممازحاً حاولت استقطاب سيف للحركة لكني فشلت، سألني عن الموضوع فشرحت له فحوى ما دار في اللقاء بالتفصيل، كان الحديث ونحن نتمشى بالمربعات بعد أن أكملت، رجعنا إلى الخيمة، شعرت بأن القائد أنصت إليَّ واستوعب رسالتي، بعد أن صلى المغرب جاء إلى الخيمة وجدني في الانتظار، قال لي مهم أن تستمروا في تقوية الحركة والحرس الثوري ومهم أن

تنبهوا إلى الوسائل التي قد يستعملها العدو للتسلل إلى الجبهة الداخلية، ولا تتركوا مجال يضحك به الأعداء على الشعب، ثم حضر بعض الإخوة الآخرين وتغير مجرى الحوار إلى شأن آخر.

في شهر الفاتح 2007 عقد ملتقى اللجان الثورية في البيضاء واقترح بعض الإخوة ومنهم الأسير البطل عبد الله السنوسي ضرورة التفاهم مع المهندس سيف الإسلام، وتبني مشروعه بشكل واضح، وفعلًا التقينا بالاستراحة بالأخ سيف الإسلام، ودار نقاش معمق لم نصل إلى تفاهم، لأن الأخ سيف الإسلام كان وقتها مندفعاً لحل مؤسسات الدولة، خاصة الأمنية، وإلى تركيز الإدارة والقرار في يد اللجنة الشعبية العامة، ولم يكن مقتنعًا بآليات السلطة الشعبية ولا لتطويرها، كان يعتقد أنه قادر من خلال مركزية الإدارة من تنفيذ أفكاره وتصوراته، وقادر على الإمساك بزمام الأمور بكل سهولة.

في لقاء البيضاء المهم تحدث القائد بتوسع عن الفساد الذي بدأ يستشري وضرورة محاسبة الفاسدين، وطلب من كل القيادات العسكرية والأمنية والسياسية والثورية ضرورة الإفصاح عن ممتلكاتهم وتبريرها في إطار قانون من أين لك هذا، وفعلا تشكلت لجنة بالمحكمة العليا برئاسة المستشار عبدالرحمن أبوتوته، وعضوية الرقابة، وديوان المحاسبة، وطلب من كل المعنيين تقديم إقرارات الذمة المالية لهم ولأسرهم في أجل محدد، أتصور أن تلك الإقرارات شهادات براءة تبين نزاهة ومصداقية قيادات ثورة الفاتح، وأتمنى أن ترى النور ليعلم الشعب الليبي طبيعة أولئك الرجال والنساء الذين تحملوا لسنوات

خدمة بلادهم في ظل مواجهة عسكرية وسياسية وأمنية مع قوى استعمارية كبري.

بعد أن انتقل المرحوم محمد المجدوب إلى الرفيق الأعلى في شهر مارس 2008 صدر توجيه إلى الأخ بشير احميد في المكتب بطلب يقضي بعدم مشاركة أعضاء الحركة في جنازته بسرت، بذريعة حوادث السيارات، اتصل بي المرحوم بشير احميد وكنت وقتها أنا والأخ أحمد إبراهيم نرتب للسفر إلى سرت لاستقبال الجثمان، وأبلغني بعدم الذهاب إلى سرت وألحّ على ذلك، تظاهرت بالقبول لكن مباشرة ودون تأخير انطلقنا إلى سرت عبر السدادة لعلمنا بأنه ستصدر تعليمات للبوابات للتأكد من هوية المسافرين ومنع القيادات، وفعلاً هكذا كان، ومنع كثير من الشباب من المرور إلى سرت واضطروا للعودة، ولم يشاركوا في مراسم دفن المرحوم محمد المجدوب.

بالنسبة لي والأخ أحمد، محمد المجدوب شيء مختلف، فلم يكن مجرد رفيق أو صديق أو أخ، كان أكبر من ذلك، وكنا متفقين تماماً في كل القضايا، وفاة محمد المجدوب في ذلك الوقت كانت تعني خسارة كبيرة لنا ولنضالنا من أجل ترسيخ الفكرة الجماهيرية، لقد كنا مقتنعين تمامًا أن قوة ثورة الفاتح في قوة مشروعها الفكري والسياسي، وليس في قوة شخص قائدها، وكنّا نقول بوضوح إن اختصار ثورة الفاتح في شخص القائد هو تسفيه لحقيقة هذا الحدث الوطني الهام في التاريخ الليبي، لذلك كان همنا هو مضاعفة الجهود لبناء نموذج على الأرض للجماهيرية، لكن في كثير من الأحيان لم تجد طموحاتنا مكاناً للتطبيق، وكان لظهور المهندس سيف الإسلام على المشهد السياسي، وسعيه

للعب دور قيادي فيه، واعتماده على عناصر معادية في أغلبها للفكر الجماهيري، دور مهم في عرقلة سعينا ذلك، كان المهندس سيف الإسلام يمازحنا بأننا عصابة الأربعة ورابعنا هو الشهيد الرفيق الصديق عبد القادر البغدادي، يعتبرنا القوى الأساسية في عرقلة مشروعه، لذلك كان هناك رباط شخصي وفكري وسياسي بيننا وبين المرحوم محمد المجدوب، في سرت استقبلنا الجثمان، وكانت لحظة محزنة ونحن نواري أحد أعز رفاقنا التراب في مقبرة بن همال، ارتجل الأخ أحمد إبراهيم أبياتاً مؤثرة من الشعر.

في موقع العزاء بقيت ليلتين أنا والرفيق أحمد، ثم غادرت إلى طرابلس حيث كان الإخوة بالمكتب قد نظموا عزاء في بيت الفقيد حضره ولعدة أيام الإخوة أعضاء اللجان الثورية، والفعاليات الشعبية، وكل محبي الفقيد، من ضمن المعزين كان الشهيد البطل الدكتور المعتصم الذي كان يحترم كثيراً حركة اللجان الثورية وقياداتها.

لا شك أن وفاة المرحوم محمد المجدوب ألقت بظلالها على نشاط حركة اللجان الثورية، خاصة مع موقف المهندس سيف الإسلام منها، وتم تكليف الأخ بشير حميد بإدارة المكتب، وكان يحظى باحترام أعضاء الحركة، ولقد وجدت جماعة ليبيا الغد الفرصة سانحة لتحجيم حركة اللجان الثورية انطلاقاً من الوهم بأن ما يطرح في الحركة إنما يعبر عن وجهة نظر مجموعة قليلة يمكن محاصرتها، ولم يكونوا على دراية بحقيقة تعمق الفكر الجماهيري التحرري التقدمي لدى أعضاء الحركة، جرت مساعي من بعض العابثين لنشر انشقاقات داخل صف الحركة لكنها باءت بالفشل، عندما عقد مؤتمر منظمة الشباب الليبي في سرت في شهر 8 سنة 2008 اتصل المهندس سيف الإسلام بالأخ بشير حميد وأبلغه بضرورة تغيير منسق شعبة العمل الداخلي، ومنسق

فريق العمل الثوري البركة، وكان وقتها الأخ صالح الزوبيك، اتصل بي الأخ بشير فحضرت إلى مكتبه في أبو سليم، ووجدت لديه الأخ ونيس الشاوش، فطرح علينا الأمر وكان من حين إلى آخر يتصل شخص ما به ويطلب منه إرسال القرار قبل أن يتحدث المهندس.

قلت ممازحاً للأخ بشير لا يجوز تغيير منسق شعبة إلا بالرجوع إلى لجنة التنسيق، فقال أغلبية لجنة التنسيق حاضرة، وكانت مناسبة للضحك، ما أضحكنا توهم البعض أن وظيفة منسق شعبة أو فريق عمل أمر مهم، ويمكن إيذاء أشخاص بعزلهم منها، ولا يعلمون أن تولي ممارسة تلك المهام هي فقط من باب الالتزام وليس من قبيل التشريف.

2005 مليونيه تحد وطنية

في شهر الصيف 2005 عقدت ما تسمى بالمعارضة الليبية، مؤتمراً في لندن لتوحيد الجهود الرامية لإسقاط النظام الجماهيري وسخرت له حملة إعلامية ضخمة، وكانت بداية التنفيذ الفعلي لمؤامرة فبراير على ليبيا، إذ جمعت الدوائر الاستخباراتية الغربية المعادية عملاءها المنتشرين في أمريكا وأوروبا لتوحيدهـــــم في عملية تنفذ بأساليب متعددة لإسقاط ثورة الفاتح، وحظي المؤتمر بتغطية إعلامية كبيرة لتضخيم حجم المعارضة، ولتقديم مبررات للتدخل العسكري اللاحق في الشأن الليبي، وقاطعت حركة الإخوان المسلمين المؤتمر في الظاهر لإيهام القيادة الليبية بأنها ملتزمة بالمصالحة معها، لكنها في الحقيقة كانت جزء فاعلًا في المؤتمر.

أثناء انعقاد المؤتمر زارني بالبيت كل من المهندس سيف الإسلام، والأخ عبدالله السنوسي، وإبراهيم علي إبراهيم، لم تكن الزيارة مرتبة، لكن أتصور أن الأخ عبدالله كان يقصد من ورائها جسر الفجوة التي أخذت في التكون بين سيف الإسلام واللجان الثورية، كان الحديث عامًا في الشأن الوطني، وتطرقنا إلى مؤتمر لندن وطبيعة أهدافه، وصرح المهندس سيف الإسلام أن الإخوان لن يحضروه، فشككت في ذلك، ثم قال إنه نسّق مع شباب سوف يدخلون المؤتمر، سيتحدثون فيه وسيهاجمون المشاركين به، كان ردنا أن ذلك لن يكون سهلاً، فالمؤتمر منظم بتأمين إنجليزي ولن يسمح لأحد من الاقتراب منه، وسيصعب حتى معرفة مكان انعقاده قبل بدايته، وأن الأعمال الطائشة قد تؤدي إلى نتائج عكسية، كان لقاءً هادئاً وودياً لكن دون

التطرق إلى أشياء بعينها، كنت مدركاً أن الأخ عبدالله كان يريد الزيارة لأسباب اجتماعية فقط.

في مكتب الاتصال باللجان الثورية تم التفكير في رد شعبي قوي على مؤتمر لندن التآمري ولتوجيه رسالة للدول الراعية له، وفعلًا اتفق على تنظيم تظاهرات شعبية في المدن والقرى، واستقر الرأي على إحياء أعياد ثورة الفاتح بشكل جديد، وذلك بتنظيم مسيرة مليونية في طرابلس، لتشكل ردًا شعبيًا لا لبس فيه يؤكد التحام الشعب الليبي بقيادته.

طرحت الفكرة على الأخ السيد قذاف الدم المنسق العام للقيادة الشعبية الاجتماعية وقتها الذي تحمس لها، وناقشها مع منسقي القيادة الشعبية الاجتماعية بالمناطق، وعلى الشهيد البطل الفريق أول أبوبكر يونس جابر الذي أبدى أيضا حماسًا للموضوع.

اقترحنا تشكيل لجنة لإعداد المناشط بوقت كاف، كما تشكل فريق للاتصال بالمناطق واللقاء مباشرة بالقيادات الشعبية وأمانات المؤتمرات الشعبية، واللجان الشعبية، وفرق العمل الثوري للتحضير للمسيرة المليونية، تكونت اللجنة من الأخ السيد قذاف الدم، والأخ الطيب الصافي، والأخ علي أبوجازية، والعبد الفقير لله، وانطلقنا في لقاءات يومية في كل مدن المنطقة الغربية، كما شارك في لقاء طرابلس الشهيد الفريق أبوبكر يونس، كانت فرصة للتباحث مع القيادات الشعبية والثورية في المناطق حول المخاطر التي تتهدد الوطن، وأيضًا حول آليات التحصين وكانت فرصة لحوار دام عدة أيام مع الفريق السيد قذاف الدم الذي وجدنا تطابقًا تامًا في وجهات نظرنا حول الأوضاع

المحلية، خاصة محاولات تسلل الإخوان المسلمين، ومجموعات العملاء بالخارج إلى الوطن عبر نافذة الإصلاح التي يفتحها سيف الإسلام دون ضوابط، والأخطر هو تسلل أجهزة الاستخبارات المعادية خاصة الأمريكية والبريطانية إلى ليبيا بعد أن كانت ساحة مغلقة تمامًا في وجهها.

انتقلنا صحبة الفريق أبوبكر إلى سبها وبنغازي، فقد وجه الفريق أبوبكر بأن تكون المليونية وطنية بمشاركة ولو رمزية من الجنوب والشرق، ونظمت اجتماعات مهمة مع القيادات بالمناطق، كانت أيضًا مناسبة لحوار معمق استمر ساعات طويلة حول أهداف المظاهرة وسبل إنجاحها والتأكيد على أن تكون ذاتية بحيث يتمكن من يرغب في المشاركة من ذلك دون صعوبات.

بالتأكيد كانت القيادات الشعبية تحتاج بعض المصروفات البسيطة لتغطية الحركة التي أجزم أنها كانت ذاتية وبمجهودات فردية ودون تكلفة على الدولة، لكن خبرًا كاذبًا أرسل إلى القائد بأن اللجان الثورية تقوم بمنح 100 دينار لليبيين لدفعهم للمشاركة في المسيرة، وكعادته ودون تحقق أمر بتجميد حسابات كل المؤسسات الشعبية في الشعبيات حتى لا تتصرف في أموال تحت بند دعم المسيرة، وكان الأخ أمين المالية وقتها الأستاذ محمد الحويج أكثر حرصًا فاستغل التوجيه، لكي يأمر الشركات العامة بعدم صرف أي أموال، كذلك منع الصرف من حساب مكتب الاتصال باللجان الثورية والقيادة الشعبية، وهنا أذكر ونحن في طريقنا للقاء القيادات في ترهونة قال الأخ السيد قذاف الدم: يبدو إن الأخ القائد لا يريد المسيرة ونحن لم نستشره، فكان

رد الإخوة: على العكس من المهم الاستمرار في تنظيم المسيرة مهما كلفنا الأمر.

كان رأي المرحوم محمد المجدوب أن لا نبلغ القائد حول موضوع الحسابات، وأن نستمر في عملنا ونعتمد على مساهمات المواطنين الشخصية، وفعلًا كان الأمر كذلك، حددنا يوم 31 هانيبال (أغسطس) بين صلاة العصر والمغرب موعدًا لوصول المسيرات إلى الساحة الخضراء.

اتخذت ترتيبات أمنية قوية للحيلولة دون استهداف المسيرة ونشرت بوابات منظورة ومخفية، ظهيرة اليوم الموعود كان للجنة تنسيق المسيرة مكتب بأمانة الأمن العام، التقينا وكان معنا الأخ عبدالله السنوسي، وموسى كوسا، واقترح الإخوة القيام بجولة ميدانية لتفقد البوابات، ولمنع تعطيل حركة المسيرة، انطلقنا بسيارة الأخ عبدالله يرافقنا الفريق المرحوم الهادي امبيرش، وموسى كوسا، كانت الشوارع خالية تقريبًا إلى درجة أننا تنقلنا من الساحة الخضراء إلى تاجوراء إلى بوبة طريق المطار إلى بوابة الغيران وعدنا في أقل من ساعة، كان المرحوم الهادي قلقًا، وأذكر أنه أبدى قلقه إلى الشهيد الفريق أبوبكر، كان رحمه الله بعد المجهودات الشاقة يخشى أن تفشل المسيرة، فالليبيون عادة لا يكترثون للمسيرات قلت له تريث فالوقت لايزال مبكر جدًا، والليبيون دائما في الموعد.

لكن مع ساعات العصر بدأت الزحوف البشرية تنهال إلى الساحة الخضراء ولم تأتٍ صلاة المغرب إلا والساحة وشارع عمر المختار إلى قاعة الشعب، وشارع الشط إلى نادي الفروسية، وشوارع الفاتح، وامحمد المقريف، وشارع المدينة القديم إلى باب البحر، مكتظة بالجماهير، كان مشهدًا رائعًا لم تشهده طرابلس منذ يوم الفاتح 1969.

من ضمن فعاليات التظاهرة، قامت القيادات الشعبية بحملة توقيعات لمبايعة ثورة الفاتح وقائدها وصلت إلى أكثر من مليوني توقيع حفظت في سجلات بالمتحف بالسرايا الحمراء، ولقد بذلت جهود من القيادات الثورية لجمعها بطريقة واقعية حقيقية.

يوم التظاهرة الكبرى مساء 31 أغسطس 2005 كان القائد رحمه الله صائمًا ولم يحضر المسيرة مبكرًا، لكنه أصر على تحية الجماهير قبيل صلاة العشاء، حيث قدمت له الوثائق الممهورة بالتوقيعات من أبناء الشعب الليبي العظيم.

الإعلام الغربي والرجعي لم يتناول ذلك الحدث بما يتناسب معه بالرغم مع أنه من الأحداث المهمة في التاريخ الليبي، للأسف لم نتمكن من البناء داخليًا على ذلك الحراك الشعبي، واستمر بعض المتسترين بمشروع ليبيا الغد في التقليل من أهميته وإهماله، فكان للأسف جهدًا ضائعًا تقريبًا.

بداية التسلل

استغل الغرب التطورات السياسية على الساحة الليبية، وخاصة الخروج من مشكلة لوكربي المفتعلة، وظهور برنامج سيف الإسلام، للتسلل من أجل القضاء على ثورة الفاتح ومشروعها الوطني التقدمي، وكانت فكرة نشر الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان السلاح الأكثر استعمالًا لتهديد استقرار الدول التقدمية، وفعلا بدأ تكوين وتمويل جماعات محلية للتمهيد لهذا العمل واختلقت شخصيات دفع بها للترويج لحملة إعلامية عالمية تمهد لذلك، فظهرت شخصية فتحي الجهمي الهزلية الذي قدم كمناضل حقوقي معارض وحظى بتغطية إعلامية فاقت حجمه، وتصدر فتحي تربل وغوقة المشهد الحقوقي، وتم تصنيع خبراء من خلال قناة الجزيرة وتقديمهم كخبراء عالميين في الاقتصاد والترويج لهم، حتى تسعى الدولة الليبية إلى استقطابهم، لما يعلمونه من اهتمام الدولة بأبنائها الخبراء وتشجيعهم، لقد تولى محمود شمام إدارة الملف الإعلامي شخصيًا بتعيينه رئيسًا لمجلة نيويورك تايمز العربية، ثم عضوًا بمجلس إدارة قناة الجزيرة التي أنشئت حتى تستطيع توجيه الرأي العام العربي بما يخدم مشروع الشرق الأوسط الجديد، وما تلاه من تفصيلات كبرنامج الفوضى الخلاقة، والربيع العربي، وتعيين الإخواني إسماعيل القريتلي مسؤولًا عن ملف ليبيا بالقناة، فتم دسه أولا في وسائل إعلام ليبيا الغد التي أنشأها الإخوان وسيطروا عليها بخديعة سيف الإسلام، وأخذ وقتًا كافيًا

في إعداد وتجهيز مادة إعلامية استخدمت مع بدء شرارة مؤامرة 2011.

جمعية القذافي لحقوق الإنسان التي أسسها سيف الإسلام وأشرف عليها أيضًا، كانت هدفاً لجماعات الإخوان والمعارضين بالخارج تم استغلالها لإحراج الدولة وأجهزتها، وتأسيس منظمات من قبل أفراد ينتمون لها، واستدعاء منظمات أجنبية مشبوهة لتنظيم مناشط في ليبيا بقصد استفزاز وإحراج السلطات.

نظمت في بنغازي دورة للتدريب على الديموقراطية برعاية جمعية واعتصموا التي كانت تشرف عليها الأخت عائشة معمر القذافي بتمويل وتنظيم مركز طلال بن عبد العزيز، استفزني الحدث، كتبت رسالة إلى الأخت عائشة قلت لها فيها: إنه من المؤسف أن يأتي من يؤمنون بالملكية الوراثية ليعلموا الليبيين الذين يمارسون الديمقراطية المباشرة أصول الديمقراطية، ونبهتها أن ذلك هو تمهيد لتسلل وزرع عناصر معادية لزعزعة استقرار ليبيا، بعد أيام اتصلت بي ويبدو أنها عرضت المذكرة على والدها وأبلغتني أنها مقتنعة بما ورد بالرسالة وأن للقائد نفس الرأي، لكن نحن لا نخشاهم وهم أضعف منا إلى آخره.

كانت وكالة المخابرات الأمريكية قد أسست مؤسسة لدعم الديمقراطية في شمال أفريقيا ترعى وتمول أنشطة أدوات إعلامية معادية بالغرب، منها مشروعات عاشور الشامس الإعلامية، وأنشطة علي أبوزعكوك السياسية والإعلامية، مولت تلك المؤسسة عام 2010 اجتماعًا لمنظمات وجمعيات دعم الديمقراطية في طرابلس في شهر رمضان الذي كان يصادف شهر سبتمبر، وأصدر الاجتماع بيانا

أعلن فيه تشكيل المجلس الأعلى للديمقراطية في ليبيا، انزعج القائد كثيرًا من الإعلان، وعلم أن ذلك بداية تواجد حقيقي للقوى المعادية في الداخل، في صباح اليوم التالي اتصل بي الأخ أحمد رمضان وأبلغني أنني والإخوة عبدالله السنوسي، والدكتور عبدالقادر البغدادي، وعبدالله منصور، والدكتور رجب أبودبوس، والدكتور رمضان البريكي، كلفنا من القائد باستدعاء القائمين على البرنامج ومحاورتهم وسؤالهم عن أية ديمقراطية يتحدثون؟ وتنبيههم بأنهم يخدمون أجندات العدو، التقينا بمكتب الدكتور البغدادي بمكتب الاتصال جميعنا ووضعنا خطة عمل، وحددنا الأسماء المستهدفة بالحوار وهم: محمد العلاقي، وأحمد إبراهيم الفقى، وعزة المقهور، وآخرين لا أتذكر أسماءهم، بدأنا مساءً باستدعاء المعنيين ومحاورتهم حول أهداف من يدعون أنهم منظمات مجتمع مدني، وخطورتهم على استقرار المجتمعات، وحكاية أكذوبة الديمقراطية التي يروجون لها، والأمثلة في الصومال، وهايتي، والعراق، يؤسفني القول اليوم بأن الثلاثة الذين حضرت مناقشتهم كانوا أكثر من عرفت نفاقاً ورياءً، أحمد إبراهيم الفقى، قال إنه توقع الندوة رمضانية، وأنه رد عليهم بنفس أفكارنا، وكان طوال الوقت يردد وجهة نظرنا حول تلك المجموعات ومواقفه البطولية ضدهم، عزة المقهور قالت إنها ثورية ولا يمكن أن تشترك في عمل ضد من تعتبره في مقام والدها معمر القذافي، وأن أكبر إهانة لها أن تستدعى مع هذه المجموعة النتنة، حسب تعبيرها الحرفي الذي لم أنساه، أما العلاقي فقال إنه مضطر للحضور لكونه رئيس جمعية حقوق الإنسان بمؤسسة القذافي، وأنه سيستقيل منها طالما القائد غير راضٍ عنها، وفعلاً قام بذلك بمجرد خروجه من الاجتماع.

كنا نعلم أن منظمي الاجتماع كانوا متسترين بالمهندس سيف الإسلام دون علمه، لذلك كنا حذرين جدًا في تناول الموضوع فكل الفريق اتفق على أنه لا ينبغي أن نثير خلافًا بين المهندس ووالده وعلينا التحلي بالصبر والحكمة، كان سيف الإسلام في زيارة للصين، طلب من الدكتور رمضان البريكي اللحاق به، طلبنا من البريكي عدم إبلاغه بموضوع التحقيق حتى ننهي أعمالنا فوعد بذلك وغادر في رحلة طويلة إلى الصين، أنا كنت منشغلاً بأعمال بالمستشفى، فطلبت من الإخوة العذر، وأني سأوقع على ما يتوصلون إليه، استكمل الإخوة عملهم، وحاولوا تهدئة الوضع وعدم توسيع الشقاق، واعتبروا اللقاءات تنبيهًا قويًا للبعض الذي يحاول خدمة أجندات معادية.

ناقوس الخطر

في إطار قفل الملفات التي قد يستغلها الغرب، صدرت توجيهات بالتواصل مع المعارضين بالخارج، ومعالجة أسباب خروجهم، تولى هذا الأمر في أمريكا الأخ أبوزيد دوردة بجدارة، فتواصل مع أغلبية المتواجدين، وتعرف على أسباب تواجدهم في ذلك الموقف، وتبين أن أغلبهم خاضعون لحرب نفسية دعائية، وبدأ في تنسيق عودتهم وصرف جوزات سفر لمن يريد، كما ساهم أحمد قذاف الدم في التواصل مع كثير من المعارضين ورتب أوضاعهم.

كانت المجموعات بالخارج تنقسم إلى ثلاثة أصناف، مجموعات مرتبطة بفكر الإخوان المسلمين، مع مجموعات تنتمي للنظام الملكي، وعملاء لأجهزة غربية تم كشفهم من الدولة ففضلوا البقاء في الخارج،

المجموعة الثانية تتكون من شباب غادروا بسبب التدريب العسكري العام وسياسة التوجيه للكليات العسكرية، وتعرضوا لحملة تشويش بسبب ذلك، وهم لم ينظموا فعليا لأية أعمال معادية للدولة، المجموعة الأخيرة تكونت من مبعوثين للدراسة بالخارج على حساب الدولة، لكنهم فضلوا البقاء بالمهجر وعملوا هناك في مؤسساته.

عندما أسست وكالة المخابرات الأمريكية ما سمي بجبهة إنقاذ ليبيا في بداية الثمانينيات "وفقا لما أكده رئيسها المقريف في حوار مطول مع قناة الجزيرة 2019" كانت تهدف لتشكيل قوة عسكرية ليبية تزج بها في عمل عسكري من ليبيين للإطاحة بالنظام الوطني، الآن أصبحت هذه التكهنات والشكوك سابقا حقيقة بعدما كشف الستار عن حقيقة تلك المنظمة الإرهابية، ففي عام 1984 دفع المقريف بمجموعة من الشباب غير المدربين إلى ليبيا فيما يسمونه عملية باب العزيزية، هذه المجموعة عند تسللها من الحدود التونسية تعاملت قوات الأمن مع رئيسها الإرهابي أحمد حواص في مدينة الجميل، فقتل عند محاولة اعتقاله، ووجد بحوزته مفكرة حوت أرقام هواتف خلايا في ليبيا، ومنها مجموعة مسلحة تقطن شقة بشارع أبوهريدة، قامت قوات الأمن بمداهمتها فاشتبكت معها، وأدى ذلك إلى قتل عناصر الخلية، وبعد ذلك تم تتبع بقية المجموعة، فقبض عليهم في سوق الجمعة، وبنغازي، والجبل الغربي، وقدموا للمحاكمة التي قضت بإعدام بعضهم بتهمة ارتكاب أعمال إرهابية، ونفذ بهم حكم الإعدام في الصيف التالي، وهذا ما يعتبره جماعة الجبهة عمل بطولي، ويتهمون النظام بأنه شنق الشباب في شهر رمضان، الواقع أنه تم إعدام مجموعات إرهابية

تسللت إلى ليبيا بدعم من دول أجنبية وثبتت التهم عليهم قضائيًا، فنفذ بهم حكم القضاء.

في وقت لاحق وبسبب توتر في العلاقات مع الجزائر بعد وفاة الزعيم هواري بومدين، حاول الأمريكان استغلال ذلك الوضع وأقنعوا السلطات الجزائرية بضرورة تبني مجموعات ليبية مسلحة ستهاجم ليبيا من جبهة غدامس، لكن المعلومات كانت متوفرة لدى الأمن الليبي وتم إجهاض المشروع التآمري في مهده، والتفصيل وارد أيضًا في مقابلات المقريف في قناة الجزيرة المشار إليها رغم ما بها من ادعاءات بطولية وأكاذيب.

وفي منتصف الثمانينيات كما أوردنا سابقًا، حاول الأمريكان والغرب عموما إيجاد ثغرة لاختراق الجنوب باستغلال تشاد كنقطة تمركز ودفعها لحرب استنزاف مع ليبيا، بدعم من النظامين السوداني والعراقي.

لكن في التسعينيات تحولت العمليات المعادية في أغلبها إلى الجماعات الدينية المتطرفة، فتم تشكيل الجماعة الليبية المقاتلة من بقايا إرهابيي أفغانستان على يد المخابرات الغربية، وبالتنسيق مع نظام الإخوان في السودان نجحوا في التسلل إلى ليبيا، حيث واجهتهم قوات الأمن واعتقلت أهم قياداتهم، وأفشلت مشروعهم التدميري في ليبيا في عمليات أمنية يمكن أن تدرس في أكاديميات الأمن العالمية، بالرغم من قلة الإمكانات وانعدام التنسيق الخارجي باستثناء مصر وسوريا، ودعم مخابراتي دولي لتلك الجماعات الإرهابية بالمال والسلاح ودعم آخر لوجيستي.

لذلك ربما تغفلت أجهزة الأمن عن الدور المتنامي لما سمي بمنظمات المجتمع المدني، وكذلك الخطاب الإعلامي المسموم الذي بدأ يتوسع تحت غطاء سيف الإسلام، فسخرت قناة الليبية مساحة كبيرة جدًا للإرهابي الصادق الغرياني الذي لم يكن معروفاً حتى في تاجوراء منطقته وليس في ليبيا، واستحوذ الأخوان الصلابي على دور مهم في القرار الإعلامي والأمني، وأوحوا جميعم للمهندس سيف الإسلام بفكرة المراجعات ليتمكنوا من إخراج قياداتهم من السجن، وهكذا وباستخدام الحيلة والرياء والنفاق والخداع أقنعوا سيف الإسلام بضرورة تبني مؤسسته الإفراج على جماعة الإخوان المدانين، وعلى معتقلي الجماعة الليبية المقاتلة، وفي نفس الوقت نجحوا في دس السم في العسل بالحديث عن تسوية الملفات، وخاصة من قتل من الجماعات الإرهابية أثناء المواجهة مع الأمن وأثناء تمرد سجن أبوسليم، استخدموا رقم قضية سجن أبوسليم لدى الادعاء العسكري 1200 ليشيعوا في العالم أن 1200 سجين قتلوا بدم بارد من قبل قوات الجيش، لم تعر الدولة اهتماما بتلك الأكاذيب فأخذت تكبر وتتدحرج في محاولة لجعلها قضية رأي عام، وبخبثهم أقنعوا المهندس سيف الإسلام أن قفل الملف نهائيًا يفرض تعويض ذوي القتلى، وفعلا تبنى مصطفى عبد الجليل الذي تسلل لموقع أمين عدل بريائه وادعائه الورع والوقار، شكلت لجان للتعويض، وحصر المقتولون طيلة فترة ملاحقة الزنادقة 271 فردًا تم تعويض أغلبهم.

وتحت شعار ليعلم العالم أننا أصبحنا ديمقراطية حتى يرانا العالم، سمحت مؤسسة القذافي للمدعو فتحي تربل بتنظيم وقفات أسبوعية لما سمي بأسر ضحايا أبوسليم، الهدف كان واضحًا وهو تأليب الرأي العام المحلي والدولى ضد النظام لكن بذكاء.

عندما عاد أبويصير إلى بنغازي، والرابطي إلى طرابلس حاول البعض تقديمهما كبطلين، وبالتزامن مع الظهور المتبجح لمنظمات المجتمع المدني وانفلات إعلام ليبيا الغد الذي يديره عمليًا الإخواني دوغه، شعر القائد بالخطر المحدق الذي يحف بالدولة واستقرارها وأمنها، وبدأ يعيد كثيرًا من الحسابات، لكن في تصوري كان الوقت قد تأخر والداء قد أستفحل، فلم يكن ممكنا إيقاف عجلة الانهيار من الدوران وبوتيرة متسارعة، ويحسب للإخوان أنهم استطاعوا تنفيذ خطة محبكة ودقيقة فوضعوا سيف الإسلام في مواجهة مباشرة مع النظام الوطني بذريعة حمايته وتطويره.

إعلام معادٍ بثوب وطني

في إطار ما عرف بمشروع ليبيا الغد، أسست مؤسسة القذافي للأعمال الخيرية مؤسسة إعلامية لتبني أطروحات حرية التعبير والرأي والرأي الآخر، ونجح الإخوان في قيادتها بشكل مباشر عن طريق كوادرهم الإعلامية الذين مثلهم إسماعيل القريتلي، وسليمان دوغة، فتم إنشاء فضائية الليبية ترأسها في البداية شخصية عادية هو عبدالسالم المشري، لكن الإخوان قفزوا إلى إدارتها المباشرة بتكليف سليمان دوغة بذلك، ولقد نجحت في تسويق آل الصلابي، والصادق

الغرياني، وحمزة أبو فارس كمرجعيات فقهية لم تكن معروفة لدى الليبيين، فكان أسامة الصلابي يبث برنامجًا مباشرًا استمر عدة ساعات كل يوم جمعة مع الصادق الغرياني، وحمزة أبوفارس وغيرهم من كهنة الإخوان والتطرف الكبار، كان برنامجًا مفتوحاً يتصل فيه الغرياني مباشرة بالناس، ويفتي لهم عن تساؤلاتهم الدينية والدنوية، كما تولت تسويق شخوص تدعي الدعوة للدين من كل العالم، وخاصة مشائخ الإخوان والمتطرفين، فتم تقديم القرضاوي، وسليمان العودة، والعريفي وغيرهم من أساطين الحركة الإسلامية الظلامية والحزبية.

كما كانت الخطة الإعلامية تقضي بالتناول السلبي لمشروع ثورة الفاتح وقيادتها في إطار دس السم في العسل، فلكي يضمنوا تمرير الخطاب أمعنت القناة في شكر وتملق القائد رحمه الله بشكل ممجوج، وكانت تكيل الشتائم للنظام وكوادره وأركانه خاصة اللجان الثورية وأجهزة الأمن، في ذلك الوقت كان القائد يصب كل اهتماماته في توحيد القارة الأفريقية وبناء الوحدة الأفريقية، ولم يهتم بما يجري في الداخل من فصول مؤامرة تحاك ببراعة، ساعد في ذلك عدم رغبة الجميع في تفجير بؤر صراع داخل الخيمة، لأن ذلك سيؤدي إلى إسقاطها واستنادا إلى أن الأمور سرعان ما ستتضح وتعالج.

تبنى بعض الإخوة الترويج لفكرة نقل سلطة القائد الثورية إلى المهندس سيف الإسلام، لكن أهم القيادات الثورية لم تتحمس لذلك، بل رفضته وحاولت تسفيه الطرح لتعارضه مع مشروع ثورة الفاتح القائم أساساً على الديمقراطية المباشرة، الإخوان استغلوا تلك المعارضة في إيغال صدر سيف الإسلام ضد تلك القيادات، وحاولوا اختصار

المعارضة في رباعي أطلق عليهم الدكتور سيف عصابة الأربعة، وهم المرحوم محمد المجدوب، والشهيد عبدالقادر البغدادي والأستاذ أحمد إبراهيم، ومصطفى الزائدي، وعملوا من خلال سيف ما استطاعوا لإبعادهم عن دائرة التأثير، لكن علاقتهم الشخصية بالقائد لم تمكنهم من تحقيق أهدافهم في ذلك، الحقيقة أن معارضة فكرة التوريث لم تكن إطلاقاً مقتصرة على هؤلاء، بل كانت وجهة نظر أغلبية أعضاء اللجان الثورية والقيادات السياسية والأمنية، وعلى العكس فإن مؤيدي مشروع الوراثة كانوا قلة لم يستطيعوا الجهر بوضوح بفكرتهم، وكانوا يقولون في السر إن القائد يريد ذلك.

وللأسف ظهر صراع بين الدكتور سيف الإسلام والشهيد المعتصم مستشار الأمن القومي، أرجع سببه دون يقين إلى عمل الإخوان، وكان المعتصم يميل كثيرًا لوجهة نظر القيادات الثورية والأمنية، ويرفض السياسات التي تطرح.

كما أسست المؤسسة صحيفتي قورينا في بنغازي، وأويا في طرابلس، وسخرت لهما موازنات كبيرة لمنافسة الصحف التي تصدر وهي: الشمس، والجماهيرية، والزحف الأخضر، وتم استكتاب أقلام كبيرة بمقابل، في حين كانت الكتابة في الصحف الرسمية مجانية، كان أحد أهداف الصحيفتين محاولة طرح مشروع بديل للمشروع القائم وذلك بتسفيه القائم والترويج للمشروع الجديد غيرواضح المعالم، ولكي يبسط الإخوان سيطرتهم.

كلف دوغة بترأس شركة الغد الإعلامية التي تدير الفضائية والصحيفتين، كان الشعار الخادع في الصحيفتين هو الرأي الآخر، والقول يكتب عندنا أفضل من أن يكتب من الخارج وهي قولة حق

أريد منها باطل، فالحقيقة أن الإخوان نجحوا في السيطرة على وسائل إعلام مهمة بلا جهد ولا عناء وبتمويل وحماية من الدولة ذاتها.

نشرت قورينا مقالًا خطيرًا للبعجة بعنوان "ليبيا إلى أين"، كان بالمقال خطة طريق لما ينوون القيام به في ليبيا، توقف القائد عند المقال، واستشعر في تصوري للمرة الأولى خطورة ما يجري، تم فتح تحقيق مع الصحيفة، وعزل رئيس التحرير، وكلف الدكتور رمضان البريكي بترأس تحرير الصحيفة.

حدثني الدكتور رمضان أنه استدعي مع الأستاذ الصحفي محمود البوسيفي إلى القيادة، وقابلا القائد الذي أبلغهما بكل حزم ووضوح بمحاولات من قبل الإخوان ومن في حكمهم للتسلل إلى ليبيا متخذين من الصحيفتين معبرًا لذلك، كما أمر بقفل الفضائية الليبية، وإعادتها إلى الهيئة العامة لإذاعات الجماهيرية.

المحطة السابعة والعشرون
عودة للنضال الفكري

عام اللقاءات التاريخية

نظمت نهاية 2008 لقاءات كبيرة استمرت طيلة أسبوعين لكافة القيادات الثورية، والاجتماعية، والأمنية، والسياسية، والنقابية والشبابية، وعقدت اللقاءات بالقيادة بباب العزيزية بسرادق ضخمة، وضم كل لقاء عشرات آلاف، الحضور المنتقون من بين الفئات المذكورة، وكان القائد يعيد رسالته بنفس الألفاظ تقريبًا، لم تبث تلك اللقاءات، ولا أعلم إن كانت مسجلة ومحفوظة في مكان ما؟

تلخصت رسالة القائد على ما أذكر في الآتي: إن التطورات المحلية والدولية تفرض انفتاحًا أوسع، وأن المعارضين بالخارج قد يرجعون في إطار مصالحات وطنية، وأن ذلك سيضع مؤسسات السلطة الشعبية في محك حقيقي، فأولئك سوف يعملون بكل الطرق على ضرب السلطة الشعبية والتسلل للوصول إلى السلطة واحتكار الثروة، وهذا يعني أن مكاسب الليبيين طيلة عقود ستكون في مهب الريح، كما أن أولئك يمثلون في أغلبهم مصالح دول معادية وسيحاولون إعادة نفوذ تلك الدول في بلادنا، لذلك طالب القائد بالحذر الشديد من أولئك العائدين، وضرورة تقوية منظومة سلطة الشعب، وتوحيد جهود كل أنصار ثورة الفاتح.

بعد انتهاء اللقاءات عقد اجتماع بمكتب الاتصال باللجان الثورية ضم المنسق العام للقيـــادة الشعبية الاجتماعية، وأمين مؤتمر الشعب العام، وأمين الشؤون الخارجية بمؤتمر الشعب العام، ومنسق عام مكتب الاتصال باللجان الثورية، وبعض أمناء النقابات، للاتفاق على برنامج عمل لمتابعة ما ورد في لقاءات القائد، وخلصت اللجنة لضرورة التنسيق بين أنصار الفاتح، وتكوين منظمة تضم كل الأنصار في بوتقة واحدة.

وهنا أريد أن أوضح أمرًا مهمًا حسب رأيي، بعد لقائنا في جمعية أنصار الكتاب الأخضر بسرت، ذهبت والأخوان إبراهيم ابجاد، وأحمد إبراهيم إلى القائد فوجدناه قد غادر، عدنا أدراجنا إلى سرت ومنها إلى طرابلس، بعد يومين اتصل بي الإخوة في القلم للقاء القائد بالمربعات، وعندما وصلت وجدت أمامي الأخوين إبراهيم ابجاد، وأحمد إبراهيم، بعد السلام قال: تفضلوا شن عندكم، تفاجأنا بالسؤال فنحن مستعدون للقاء، هنا أوضح القائد أنه أبلغ بحضورنا إليه في سرت لكنه غادر ولم يتمكنوا من إيجادنا للحاق به، قلنا له: كنا فقط راغبين في السلام، تحول اللقاء لحديث ودي في كل شيء ثم أخرج ورقة كانت أمامه وقال: "أقرا سليمان الشحومي بيعمل حزب باسم أنصار النظام"، الحقيقة أن الأخ سليمان تحمس لتنظيم تلك القوة الكبيرة، لكن من كتب الورقة من القانونيين ذهب بعيدًا وأعد ورقة لتشكيل حزبي متكامل الأركان، وقال ضاحكا: إني نبهت الناس من خطورة الأحزاب، وتطلبون منهم تأسيس حزب، قال ممازحًا: مطلوب

مني نوقع وندخل في الحزب، ثم انتقل بدون مقدمات إلى أن مبارك الشامخ أمين مؤتمر الشعب العام حضر إليه وسأله دون خجل ولا وجل حسب ما قال القائد: "إذا تريد سيف كلفني وأنا سأعمل الإخراج اللازم"، قال: صعقت كيف شاب ثوري مثل مبارك تربى معنا يسألني هذا السؤال؟

وجد الأخ أحمد كعادته الفرصة لتسفيه أطروحات التوريث، ونقلنا بالحديث إلى الرفاق، وهنا كرر القائد أن الرفاق فكرة توسعت كثيرًا حتى أنه وجد أبناء فريد أشرف البعثي من ضمن الرفاق، وأعاد على مسامعنا كيف أنه بعد النكسة حاول مقابلة المجموعات الحزبية القومية في بنغازي، فتم ترتيب لقاء بالرجمة مع فريد أشرف، قال: طرحت عليه إننا كعسكريين يمكننا تأمين بعض الدخائر والسلاح والمتفجرات من وحداتنا، لكي يتم تنفيذ عمليات عسكرية ضد المعسكر الإنجليزي والجنود الإنجليز في بنغازي، وحاولت إقناعه بفرز مجموعات ندربها لهذا الغرض، ثم وافق على مقترحي، ووعدني بالتواصل، قال: بعد أسبوع حضر لي شخص من ودان وأبلغني أن فريد أشرف سلمه رسالة ليسلمها إلى محمد التبو وكان من القيادات البعثية في الجنوب، قال: الصدمة كانت أنه يخبر التبو بأن ضابطًا أقاربه بفزان واسمه فلان، قومي وجيد ويطالبه بضمي إلى حزب البعث. قال من يومها أيقنت أنه عند الحزبيين الحزب هو الأساس، وما غيره مجرد شعارات ليس إلا.

جمعية أنصار الكتاب الأخضر

كان المرحوم أحمد الشحاتي قد أسس مركزًا لدراسات وأبحاث النظرية العالمية الثالثة، ونظم عديد اللقاءات والمؤتمرات للتعريف بها في العالم، وشـــــارك في العمل عدد كبير من البحاث والدارسين، ثم تغيرت التسمية إلى مركز دراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، وتعاقب على إدارته عدد من الإخوة منهم: الأستاذ إبراهيم ابجاد والمرحوم الرماح الجرد، ثم كلف به عبدالله عثمان، الذي حوله إلى مركز للاتصال بالقوى السياسية المختلفة بما فيهم المعارضين للدولة، ليتحول عن هدفه الأصلي بتعميق النظرية الجماهيرية وبحث في سبل تطبيقها وتقديمها للعالم، إلى مكان لتبادل الآراء حول الشأن السياسي، وشكل أول نقطة اتصال بجماعات الإخوان المسلمين، وكذلك إلى نقطة لبناء قاعدة علاقات شخصية في جانبها الأكبر وسخرت الإمكانات المخصصة له لذلك الغرض، وتحت غطاء ندوات ولقاءات لاعلاقة لها بموضوع المركز أقيمت عدة مناشط، كان الغرض الأساس منها فتح قنوات تواصل مع جهات كان محرم التواصل معها، وخاصة الجماعات المتسترة بالدين، فنظم دورة للإعلام الإلكتروني أدارها الإخواني سليمان دوغه، وتواصل عن طريقه بقيادات الإخوان في سويسرا وبريطانيا، وارتبط بعلاقة مع القيادي الإخواني عاشور الشامس، وكان يمده بمعلومات عما يدور في ليبيا لينشرها في موقعه الإخباري "أخبار ليبيا" الذي يمول من الوكالة الأمريكية للتنمية والديمقراطية، حسب ما جاء في أحد التقارير المنشورة للمنظمة، وربما جهات أخرى، وتحول المركز لموقع يعج بمجموعات الليبراليين والإسلاميين، وشكل نقطة تواصل بين المجموعات المعارضة،

وعندما طرح مشروع ليبيا الغد تبناه المركز متمثلًا في قيادته وأدار من خلاله معظم الاتصالات مع جماعات الإخوان، وأشرف بشكل مباشر على ما سمي بالمراجعات التصحيحية، وكان عراب المشروع علي الصلابي صاحب الكلمة الأهم في المركز، وتبنى فكرة المنابر كمقدمة لفتح البلاد أمام قوى مناهضة للدولة لشرعنة تواجدها في شكل أحزاب، وفعلا تكللت تلك الجهود بمؤامرة 17 فبراير.

ربما شعر القائد بأن المركز انحرف بشكل خطير عن دوره، فقام عام 2009 بتكليف الأستاذ أحمد إبراهيم بإدارته، فكان عليه إعادة بناء المركز، كمؤسسة بحثية، يهتم فقط بالشأن الثقافي والقومي، وفعلًا أسس مكتبة كبيرة بالمركز، وطور فروعه بالداخل وافتتح فروعًا بالخارج، واتفق مع جامعات دولية لتخصيص كراسي للدراسات الليبية ودراسات الكتاب الأخضر، ونظم عدة محاضرات ولقاءات بالداخل والخارج تهتم بالفكر الجماهيري، لاشك أن ذلك لم يروق لجماعة ليبيا الغد وخاصة القوى المرتبطة بالإخوان وكذلك الخط الليبرالي المثمتل في البعجة، والمغيربي، والعلاقي، واعتيقة وجبريل، فعملوا على إيغال صدر سيف الإسلام ضد المركز وضد شخص أحمد إبراهيم، وعملوا ما بوسعهم للحد من نشاطاته، فكانت الوشايات تنهال على القائد لكنه بفهمه لطبيعة الصراع كان يصم أذانه عنها في كثير الأحيان.

ولأنه من اختصاص المركز إنشاء الجمعيات الثقافية قرر الأخ أحمد إبراهيم تأسيس جمعية في ليبيا تحت اسم "أنصار الكتاب الأخضر" تتولى تعميق الفكر الجماهيري، وشرحه للناس خاصة بعد ما تعرضت له حركة اللجان الثورية من تضييق، وإلغاء برامج الإعداد الثقافي للشباب من خلال برامج البراعم والأشبال والسواعد، وتهميش

السلطة الشعبية القاعدية لمصلحة مركزية مقيته، وازدياد نفوذ المستشارين الذين يحملون جنسيات أجنبية.

عقد الاجتماع التأسيسي للجمعية بمدينة سرت وحضر القائد رحمه الله افتتاحها، واتفق أن تكون نشاطاتها مقتصرة على الجوانب الثقافية وأن تنأى بنفسها عن الشأن السياسي قدر الإمكان، كان لدينا شعور قوي بأن هناك مؤامرة خطيرة تحاك، وأنه تم اختراق أسوار الدولة التي كانت حصينة، وتسلل الجواسيس إلى داخلها، وأن الشعارات المرفوعة حول قفل الملفات والمصالحة وعدم استعداء الغرب والقبول بطلباته التي تقدم في عسل ممزوج بالسم، ما هي إلا مقدمات خطيرة ينبغي التعامل معها.

دارت حوارات واضحة وقوية مع القائد رحمه الله، وللأمانة كان الرفيق أحمد إبراهيم أكثرنا صراحة ووضوحًا في التحذير من الأخطار المحدقة، وأن العدو أصبح يتحرك بسهولة بين ظهرانينا، كانت أحداث 2006 جرس إنذار يشير إلى قدرة الجماعات الإسلامية على تغيير تكتيكاتها، فبعد فشل أسلوب العمل العسكري المباشر الذي تبنته في التسعينيات، ونجاح أجهزة الأمن في إحباطه، وجدوا فرصة سانحة للتغلغل من خلال ترويج الخطابات المدنية الخاذعة، في فبراير 2006 نجحوا في استدراج الأمن في مواجهة مع قوى مدنية بعد أحداث القنصلية الإيطالية، من خلال استغلال التظاهر السلمي وتحويله إلى عمل وحشي يحرج النظام، فخططوا لحرق القنصلية الإيطالية بمن فيها احتجاجًا على إرتداء وزير إيطالي قميص يحمل الصور المسيئة للرسول، مما أحدث اضطرابًا لدى الشرطة التي تحرس القنصلية،

وأطلقت النار وقتل في الحادث المفجع عدد من الأشخاص، كانت الجماعات قد نظمت كل شيء فاستغل الحدث لتظاهرات ليلية محدودة نسبيًا لكنها ارتكبت أعمال شغب واسعة، وهاجمت المحاكم ومراكز البحث الجنائي والشرطة وأحرقت ملفات أصحاب السوابق، أنا شخصيًا وقتها لم أصدق أن الشباب يتناولون حبوب الترامادول المهلوسة أو ما يعرف بأقراص الشجاعة بعلمهم أو بشرب مياه توزع عليهم مذاب بها كميات من الأقراص، لكني رأيته يعاد تماماً عام 2011، تعاملت الدولة بحكمة مع الحدث وتم استيعابه، لكنها لم تتعمق في أسبابه، وكان وقتها للمركز العالمي دور في تتفيهه، وتحويل الأنظار عن المعطيات الحقيقية عن سابق قصد أو بالمصادفة، فكان النقد يتوجه إلى اللجان الثورية والحرس الثوري لأنهم لم يتصدوا للمتظاهرين المشاغبين، وكان هناك سؤال ملغوم طرح بقوة، أين اللجان الثورية؟ للتاريخ عند اندلاع الحادثة كان القرار في مكتب الاتصال أن لا تتدخل اللجان الثورية في العملية، وأن لا تصطدم بالمتظاهرين لأن ذلك ربما يؤدي إلى تعقد المشكلة وتفاقمها، وهكذا اكتفت الحركة في بنغازي بالمتابعة الدقيقة تحسبًا لأية تطورات، وترك أمر معالجة المظاهرات للأجهزة الأمنية، وقيادة المنطقة العسكرية بإمرة اللواء عبدالفتاح يونس.

ناقشنا مع الإخوة في الأجهزة التنفيذية هذا الحادث، وكنا على يقين بأنه ناقوس خطر ينبغي أن ينبهنا، لكن نفوذ جماعة ليبيا الغد والمركز العالمي وقتها وقدرتهم على تقديم معلومات مغلوطة لم تمكننا من ذلك، ساعدهم في ذلك عدم رغبتنـــــا في إحداث شقاق مهما كان

حجمه داخل الخيمة، وأيضا ثقتنا في أن القائد سيحسم الأمر ولن يترك السفينة تغرق، لكن ذلك لم يحدث.

لقد تأسست الجمعية في هذه الظروف العصيبة وفي ظل استقطابات غير محددة المعالم ومتداخلة في كثير الأحيان، حاول منظرو ليبيا الغد حصر القوى التي انتبهت لخطورة المشروع في معارضة شخصيات محدودة لمشروعهم، لكن ذلك لم يكن دقيقًا بل استخدم في إطار الحرب النفسية التي يتقنها الإخوان، الواقع أن كل اللجان الثورية وأغلب قيادات اللجان والمؤتمرات والنخب الوطنية كانت متوجسة لمخاطر مشروع ليبيا الغد، يشاركها في ذلك كل أعضاء القيادة وعدد كبير من الضباط الأحرار، الدافع الوحيد لهم جميعا أن ثورة الفاتح مشروعًا وطنيًا نهضويًا وليس مشروعًا للحكم، لذلك في كل مناقشاتنا للقائد لم نضع في اعتبارنا المثل الليبي "ندعي على ولدي ونكره من يقول آمين" بل كان اهتمامنا ينصب على المصير الذي ستؤول إليه ليبيا في حالة تمكن الجماعات المتسترة بالدين وعملاء الدول الأجنبية من السيطرة عليها.

انصب الجهد في 2010 على توطين الجمعية وتنظيمها ولم يكن بالإمكان تنفيذ مناشط كبرى لها، لكن أحداث المؤامرة لم تترك مجالًا واسعًا لعمل الجمعية وانتشارها.

المؤامرة الكبرى

في بدية سنة 2010 انطلقت صفحة على شبكة التواصل الاجتماعي من سويسرا بعوان 17 فبراير 2011 يوم الغضب، أو شيء من هذا القبيل، تدعو لتنظيم عمل في 17 فبراير ضد الدولة، وقام فتحي تربل الذي أخذ صفة محامي ضحايا أبوسليم بتنظيم وقفات أسبوعية كل يوم سبت في بنغازي، يشارك فيها عدد من الأفراد يحصون على أصابع اليد الواحدة، متخذين من جمعية القذافي لحقوق الإنسان غطاء لهم، لكنه في الواقع كان يهيئ لعمل مشابه لما حدث عام 2006 بالتنسيق مع دوائر معادية.

يقول السيد السنوسي الوزري الخبير الأمني البارز ومسؤول الأمن الداخلي في بنغازي: إن المعلومات الأمنية كانت تشير إلى وجود مخطط كبير خلف تلك الأعمال، وطالب بالقبض على تربل ومن هم وراءه، وهم مرصودين من الأمن، إلا أن التعليمات جاءته بتجاهلهم.

قناة الجزيرة وبدون مقدمات أعلنت تغيرات مهمة في إدارتها كلف لها مجلس إدارة من خمسة كان من بينهم محمود شمام مواطن أمريكي من أصول ليبية، وعمل موظفًا لدى الاستخبارات الأمريكية وترأس مجلة تصدرها الوكالة، وهي نيوزويك العربية، كما كلف وضاح خنفر مديرًا لها، وهو إعلامي برز أثناء غزو العراق، وقدم كمحترف لكن واضح ارتباطاته بالإدارة الأمريكية وهذا ما أظهرته رسائل "كلينتون" في بريدها السري الذي رفعت عنه السرية.

بدأت القناة في بث مواد اتضح فيما بعد أنها ضمن مخطط الربيع العربي، منها نشر تقرير غريب حول الطوارق في الصحراء الكبرى ومعاناتهم وحقوقهم، وهو كلام في ظاهره مقبول لكنه حمل رسائل ملغومة، وكان به غمز حول دور ليبيا في معاناتهم، بالرغم من تبني ليبيا للطوارق ومساعدتهم ونجاح مبادراتها في حل المسائل العالقة مع حكومتي مالي والنيجر، والوصول لاتفاقات سلام مهمة.

الملفت كان برنامج الاتجاه المعاكس الذي خصص حلقتين للتعرض لليبيا ولثورة الفاتح، وكانت مباشرة تقريبا تتحدث فيه عن الدكتاتورية، لكن الأمر لم ينظر له بجدية من الدولة الليبية، تواصلت مع الأخ عبدالله منصور مستفسرًا عمّن وراء تلك الحلقات المسيئة لليبيا، أبلغني أنه اتصل برئيس القناة مباشرة الذي اعتذر له ووعده بأن لا يتكرر، قلت له يا أخي هذا ليس خطأ يعتذر عنه بمكالمة بينك وبينه، عليه بث برنامج بنفس المساحة يفند ما ورد بالحلقتين إن كان صادقا، لكن الأخ عبدالله منصور لم يتحمس للموضوع.

في نفس الوقت كانت الحملة ضد تونس تتصاعد، تتحدث عن الديمقراطية والعدالة وغيرها، وتم تقديم طبيب أعشاب هو المنصف المرزوقي كزعيم وطني، وصار ضيفا دائما تقريبا على قناة الجزيرة

الحقيقة لم يعط خطاب قناة الجزيرة الاهتمام المناسب وتم تجاهله ولم يقيم بحقيقته، فقد نجحت في خداع المسؤولين في الدول المستهدفة بمشروع الفوضى الخلاقـــــة، وكان حمد بن جاسم وزير

خارجية قطر بارعًا في تقديم قناة الجزيرة كمشروع إعلامي حر لا يخضع للسياسة القطرية.

في شهر ديسمبر اندلعت أحداث سيدي أبوزيد في تونس التي لا يشك أحد الآن إنها مصطنعة من قبل الدوائر المرتبطة بالغرب، وتم تأجيج الوضع بالتغطية المستمرة والمباشرة من قبل قناة الجزيرة، والحرة، والقنوات الأوروبية الناطقة بالعربية، وقناة العربية، وتم تضخيم حدث انتحار البوعزيزي البائع المتجول الذي صورعلى أنه نتيجة لطمه من قبل شرطية، كانت فضائية الجزيرة وأخواتها، وعلى مدار الساعة تبث وتضخم حجم المظاهرات المتناثرة، وصور انتحار البوعزيزي، وكانت جوقة المحللين الفارغين الذين يدعون الليبرالية وينفخون في كير الفتنة.

تشكلت لجنة برئاسة المرحوم الشهيد عبدالقادر البغدادي وعضوية عدد من الإخوة المختصين في الساحة التونسية لمتابعة أحداث تونس، والتواصل مع من يقودون الاحتجاجات، كان أعضاء اللجنة يرون في نظام بن علي نظاما غير شعبي ومرتبطًا بالغرب ويؤيدون تغييره، بعضهم متحمس لحركة التغيير والبعض الآخر يطرح تسأولات حول من يحركها، أما القائد رحمه الله فكان موقفه ثابتًا وواضحًا، يتلخص في أن العملية مؤامرة، ويجب الوقوف مع بن علي لإفشالها، ولقد بين رأيه بوضوح في لقاء خاص مع قناة نسمة حذر فيه من النتائج المتوقعة، قوبل اللقاء بانتقادات واسعة في تونس، وأيضا من قبل اللجنة التي كتبت ورقة للقائد طالبت فيها بضرورة التحدث ثانية لمحو آثار اللقاء السلبية وقتها في الساحة التونسية.

في شهر يناير انعقدت الدورة العادية للمؤتمرات الشعبية الأساسية في كل ليبيا لمناقشة القضايا العامة ومنها قانون الميزانية وما إليها، كان القائد مشاركًا في قمة بتشاد، وأثناء عودته توقف في سبها، وكان أثناء انعقاد الدورة العامة للمؤتمرات الشعبية الأساسية يحضر جلسة أحد المؤتمرات لشرح رأيه في جدول الأعمال، وإبداء رأيه في بعض القضايا المهمة، وفعلا حضر جانبا من اجتماع المؤتمر الشعبي الأساسي بسبها بقاعة الشعب، وبعد حديث القائد تدخل أحد الحاضرين وأثار نقطة توزيع البيوت الجاهزة، وأنها لم تعطى لمستحقيها، فقال القائد معلقا هذه البيوت بنيت لكم وزعوها بالطريقة التي ترونها مناسبة.

ما أن انفض اللقاء حتى كان عشرات آلاف الناس يحتلون المشاريع الإسكانية في كل المناطق الليبية، وكأن قوة منظمة مدربة كانت وراء العمل، وعلى الفور عقدت لقاءات ضمت القيادة الشعبية الاجتماعية وأمانة مؤتمر الشعب العام واللجنة الشعبية العامة وحركة اللجان الثورية وأجهزة الأمن لدراسة الظاهرة ووسائل التعامل معها، وخلصت الاجتماعات إلى التعامل الحذر مع الأمر ومعالجته بوسائل اجتماعية وليست أمنية، وتقرر تشكيل فرق عمل بالشعبيات من القيادات الاجتماعية، وأمانات المؤتمرات، واللجان الشعبية، واللجان الثورية، والأجهزة الأمنية، والتفاعل مع الموضوع حالة بحالة ووفقا لظروف كل شعبية.

كان التخوف أن تكون تلك العملية بداية تنفيذ عمل ما في ليبيا، لكن الأجهزة الشعبية والثورية والأمنية نجحت في احتواء الموقف وربما تفويت فرصة كانت سانحة لعمل تخريبي.

كانت المعلومات متوفرة لدى أجهزة الدولة تفصيلية حول ما يحيكه الإخوان والمجموعات المرتبطة بالدوائر المخابراتية الغربية ضد ليبيا، ووضعت خطة متابعة دقيقة لها، وكان لاندلاع الأحداث وتطورها في مصر دور في رفع وتيرة الاستعداد للأسوأ.

كان المزاج العام في ليبيا مختلطًا نتيجة الدعاية المركزة ضد بن علي، ومصر، لكن الأغلبية كانوا يدركون أن الأمر لا يعدو كونه مؤامرة دبرت لخدمة المشروع المعادي للأمة العربية والإسلام، لم تتح فرص حقيقية لتنفيذ برامج تعبوية قاعدية، فكان على الأجهزة السياسية والثورية والأمنية متابعة التطورات التي تتلاحق بشكل مذهل.

عام النكبة

كانت مجموعات المعارضين الذين تسللوا إلى الداخل وكذلك خلايا الإخوان، تكثف نشاطها سرًا للبدء في تنفيذ المؤامرة، وكانت أجهزة الأمن ترقب عن كثب، لكنهم نجحوا في تأمين أنفسهم من خلال الاحتماء بمؤسسة القذافي للأعمال الخيرية، ونجحوا في تسريب فكرة شيطانية تتلخص في أن يقوموا هم في إطار المؤسسة من قيادة عمل شعبي ولو شكلي وهذا سيحقق أمرين، الأول، يقطع الطريق على أي

عمل آخر قد يهدد النظام، والثاني، يضغط على القائد للتخلص من نفوذ القوة الأساسية في الدولة، وخاصة المتشددين الثوريين، وحركة اللجان الثورية، والأجهزة الأمنية خاصة جهاز الأمن الخارجي القوي، الذين كانوا يعارضون سياسات ليبيا الغد ويعتبرونها مضرة جدًا بالأمن الوطني الليبي.

في بداية فبراير قدم إلى طرابلس الأخ الطيب الصافي، ومباشرة من المطار حضر إلي في البيت، وأبلغني أن الأمور في بنغازي ليست على ما يرام، لم تكن لديه معلومات محددة لكن المناخ العام يشير إلى أن عملًا ما يطبخ تحت الأرض، مجموعات تربل وسعت نشاطها وكثفته خلال شهر يناير مستفيدة من مناخ المظاهرات في تونس ومصر، الشعارات المرفوعة أصبحت أكثر جرأة ضد الثورة، الدعاية السلبية أخذت في الظهور بشكل مكثف، وبثت إشاعات بطريقة حرفية من أخطرها إشاعة أنه تقرر صرف مبالغ مالية من المصارف مباشرة للشباب، وتفاجأت الدولة عموماً والمصارف خاصةً، في بنغازي بمئات الشباب يقفون طوابير أمامها انتظاراً لصرف المبالغ المزعومة، ويمكن تصور حجم الإحباط الذي أوقعته تلك الإشاعة في النفوس، ومدى تأثيرها على الرأي العام، وللأسف لم تتعامل أجهزة الإعلام بجدية ولا حرفية مع هكذا إشاعة خطيرة مما أفسح المجال إلى مزيد الإشاعات التي تسببت في التأثير السلبي على الرأي العام.

كان الأخ الطيب منزعجًا جدًا، انتقلنا سوياً إلى طرابلس ومررنا على الدكتور عبدالقادر، في الطريق تواصلنا مع القيـــــادة وأبلغناهم

هواجسنا وطلبنا عقد لقاء مع الطيب، وفعلا صدرت تعليمات إلى الدكتور البغدادي المحمودي أمين اللجنة الشعبية العامة الذي دعا في اليوم التالي لاجتماع بمكتبه حضرته مع الأخ المرحوم عبدالقادر البغدادي، والأخ بشير حميد، والأخ أبوزيد دوردة والتهامي خالد، وعبدالله السنوسي، ومنصور ضو، وأحمد قذاف الدم وعبدالله منصور، وعبدالرحمن العبار، تحدث الأخ الطيب حول تخوفاته، وتحدث الإخوة في الجهاز الأمني عن معلوماتهم، وخلص الاجتماع إلى أن فرصة خروج ناس للتظاهر أمر وارد جدًا، لكن المهم عدم استفزاز الأمن، وضرورة ضبط النفس، وتفريق أية مظاهرات بوسائل بسيطة، وكذلك تنظيم تحركات شعبية واسعة لمواجهتها، كما تم التوافق على تشكيل غرف عمليات بالشعبيات من القيادات الشعبية والثورية الأمنية لتتعامل مع التطورات ميدانيا، واتفق على سفر الإخوة إلى بنغازي للوقوف على طبيعة الوضع ميدانيا.

يوم 15 فبراير وبينما كنت بمكتب المرحوم عبد القادر البغدادي، ورد اتصال من البيضاء بأن مجموعة صغيرة تتظاهر بالميدان، وأنها تهجمت على مراكز الشرطة وأن تعليمات مدير الأمن فرج البرعصي أتت بعدم التعرض لها، لكنها في وقت متأخر حاولت اقتحام مكتب الأمن الداخلي وحرقه، فتصدى لها العاملون به وقتل شخصان، ربما لم يكونا من قبل المجموعة، على الفور حولت قناة الجزيرة بثها إلى ليبيا ونفخت في الحادث، في نفس الوقت قام الإخوان والمقاتلة بالبيضاء بتأجيج الرأي الشعبي، فبعد دفن القتـــلى في اليوم

التالي بدأت أعمال شغب، وتم تسريب إشاعة وجود مرتزقة أجانب لقمع الشعب الليبي فتم التعرض لكل الليبيين من ذوي البشرة السمراء.

في درنة ملاذ المقاتلة الآمن تم اغتيال منسق فريق العمل الثوري المزيني بدم بارد وسيطر الإسلاميون على المدينة، في البيضاء ازداد الشغب، وتمت محاصرة الكتيبة بشحات التي صدرت لها أوامر بعدم التعرض للمتظاهرين.

أرسل وزير العدل مصطفى عبدالجليل إلى البيضاء لمعالجة المشكلة وأعطي كل الصلاحيات للتعامل مع الموضوع، في الحقيقة كان مصطفى عبدالجليل جزءًا من الخطة فتحول من موفد للدولة للمعالجة إلى رأس حربة في موجة الشغب وأعلن انشقاقه عن النظام وانضمامه لمن أطلق عليهم "الثوار".

في الزنتان وبنغازي حدثت تحركات بسيطة تمكنت أجهزة الأمن من احتوائها والسيطرة عليها، إلا أن تعليمات غريبة صدرت بانسحابها والسماح للمتظاهرين بالتظاهر، وبمعالجة المشكلة ودياً معهم.

في بنغازي قبض على تربل، وغوقة، وهما من قاد الشغب أمام مديرية الأمن، لكن تعليمات صدرت أيضًا بالإفراج عليهما وإرجاعهما إلى بنغازي، بعد أن تعهدا بالعمل على تهدئة الناس ونكثا فورًا بوعديهما.

قناة الجزيرة كانت تفبرك النداءات، وتلفق شهود العيان وتنشر أخباراً كاذبة خيالية بأن النظام يقصف المتظاهرين بالطيـــران، وأن

الناس تحرق في بيوتها، وكانت الصرخات الكاذبة لسرقيوه "بيحرقونا" مشهد يعاد كل بضع دقائق، مع فتاوي الغرياني بتكفير النظام ووجوب الخروج عليه وفتاوي القرضاوي المماثلة وادعاءات تربل، وغوقة، والبعجة، والمسماري، وابن الطيب إلى آخر الجوقة من المأجورين الذين كان دورهم القيام بدعاية مسمومة للتمهيد للتدخل الخارجي، فالغرب يدرك أنه من المستحيل تحريك جموع ليبية كبيرة لتغيير النظام، ويدركون قدرة الدولة على تنظيم حراك شعبي مضاد وأكثر فاعلية.

في يوم 17 حاولت مجموعات الخروج في طرابلس ومصراتة، والزاوية، وصرمان لكن تم احتواؤها، لجنة المتابعة في مصراته تمكنت من السيطرة التامة على المدينة، وبالرغم من قتل أحد المواطنين في ظروف غامضة تمكنوا من تهدئة الوضع، لكن أوامر صدرت من الدكتور سيف بوجوب عودة الفريق كاملاً من مصراتة، وعدم التدخل بذريعة أنهم يثيرون الناس، وكلف عبدالحميد الدبيبة بمساعدة المتظاهرين والسماح لهم بالاعتصام، لا شك عندي أن تلك الفكرة الشيطانية لابد أن أحد الإخوانيين همس بها في أذن المهندس سيف الإسلام، ونجح في تسويقها له، تلك في نظري كانت اللحظة الفارقة التي قسمت ظهر الدولة.

تطورت الأحداث بشكل متسارع في بنغازي ومصراتة، ونجح الإخوان أيضًا في خديعة النظام بالموافقة على سحب كتيبة الفضيل الأمنية من بنغازى بمفاوضات قام بها أسامة الصلابي مع عبدالفتاح

يونس، وعبدالله السنوسي، لكنهم كانوا قد أعدو العدة، فمع دخول بعض من آليات الصاعقة لاستلام الكتيبة تسلل الإرهابيون وبدؤوا في إطلاق النار، وحدث ما لم يكن في الحسبان.

في طرابلس يوم 19 فبراير اتفقت أنا والدكتور عبدالقادر البغدادي على ضرورة تسليح اللجان الثورية والحرس الثوري فالأمور قد تفلت، وفعلا اتصلت بالقائد وطلبت منه تسليح الحركة وكانت المفاجأة أنه لم يعلم أن عناصر الحرس الثوري واللجان الثورية عزل بدون سلاح حتى من المسدسات الشخصية، أبلغ الأخ أحمد رمضان الأخ بشير احميد بتسليح الحرس الثوري فورًا، طلبنا من أعضاء الحركة في المنطقة الغربية استلام السلاح، بعد حوالي ساعتين اتصل المرحوم الهادي امبيرش بالأخ بشير احميد وأمره بالتوقف عن تسليم السلاح بناء على تعليمات الدكتور سيف الإسلام، أبلغ الحاج بشير الدكتور عبدالقادر بذلك، الذي رفض بشدة وقال: دع الهادي امبيرش يكلمني، وليبتعد عن الإحراج، خرجنا معاً بعد أن أعطى تعليمات مشددة للأخ عمر الكبير بعدم أخذ أي تعليمات بخصوص السلاح إلا منه، أو إذا كلمه القائد شخصيًا، وفي كل الأحوال كانت أعداد كبيرة من الشباب استشعرت الخطر المحدق بالوطن ولم تترك مجالا للتراجع عن التسليح.

بعد سويعات صدرت تعليمات إلى منصور ضو آمر الحرس الشعبي بتسليح الحرس الشعبي أيضًا، وهكذا تم افتكاك المبادرة في طرابلس، وصمد الشبــاب الوطنيون بها وأسقطوا المؤامرة رغم حمم

الصواريخ التي تساقطت على مدار الساعة، ولم يدخلها الساقطون إلا تحت حراب الأباتشي ورفقة المارينز الأمريكيين والجنود الفرنسيين والمرتزقة القطريين!

خرجت مع الدكتور عبدالقادر في سيارته، ذهبنا إلى تاجوراء كانت هادئة تماماً، ثم رجعنا الى وسط البلد عن طريق الشط وواصلنا إلى قرقارش، هناك كان بعض المراهقين متجمعين قذفوا سيارتنا بالحجارة فعدنا أدراجنا، كان الوقت قبل صلاة المغرب، قررنا المرور على مقر أمانة مؤتمر الشعب العام، وفعلاً وجدنا الأستاذ محمد الزوي والإخوة أعضاء الأمانة في اجتماع طلبوا منا المشاركة لأن الأمر يتعلق بقضية عامة، ثم دخل الأخ عبدالرحمن العبار الذي وصل للتو من بنغازي، كان الأستاذ محمد الزوي، وإبراهيم ابجاد، وسليمان الشحومي في لقاء مع القائد وطلب منهم الترتيب لعقد جلسة للمؤتمرات الشعبية الأساسية، بعد جدل طويل وصلنا إلى قناعة أن الأحوال تتدهور، ومن المهم اتخاذ إجراءات أمنية وشعبية قوية، وإلا الزمام سيفلت، وإن الوقت غير ملائم لدعوة المؤتمرات.

اتفقنا على ضرورة استيعاب أية تظاهرات في طرابلس سلميًا، مع إبداء التخوفات من إمكانية استخدام البعض الذي قد يندس في التظاهرات للسلاح، بقصد جر الدولة إلى مسلسل عنف كما حدث في بنغازي، فكل المؤشرات الأمنية ببنغازي أكدت أن أغلب حالات إطلاق النار تمت من وسط المتظاهرين، من قبل عناصر إرهابية متطرفة منها أجانب، ولقد تبين صحة تلك التقارير لاحقا.

تشكلت غرفة متابعة بمكتب الاتصال باللجان الثورية، وغرفة مركزية ضمت مكتب الاتصال والحرس الثوري والحرس الشعبي والأجهزة الأمنية، اتفقنا في غرفة مكتب الاتصال على تشكيل غرف بالمناطق، كما اتفق على تكوين فريق للتعامل مع المساجد وعدم ترك فرص للمتطرفين لتهييج الناس بها خاصة أثناء صلاة الجمعة، وفعلا نجحت تلك الخطة وتم تحييد كل مساجد طرابلس من المشاركة في أعمال الشغب.

كما تشكلت لجنة إعلامية، ولجنة سياسية لإدارة وتوجيه الخطاب الإعلامي والتحرك السياسي، التحقت في البداية باللجنة الإعلامية ثم اللجنة السياسية.

لقد انهمكت الدولة الليبية في مواجهة تاريخية مع حلف الناتو وعدد آخر من الدول التي تحالفت معه وبعضها دول عربية، لقد رسم التدخل العسكري الدولي في ليبيا طريقا مغايرة في العلاقات الدولية، وأصبح التدخل في الشأن الداخلي للدول أمر واقع.

خاضت القوات المسلحة العربية الليبية والقوة المساندة لها من الحرس الشعبي، والحرس الثوري، وآلاف المتطوعين حربًا غير متكافئة طيلة ثمانية أشهر، في ظل حصار اقتصادي وسياسي ومالي شامل وواسع، وعلى طول جبهة امتدت لآلاف الكيلومترات، ولقد نجحت القوات المسلحة العربية الليبية في إحراج القوة النارية الضخمة للناتو وحلفائه، تغيرت تكتيكات الجيش الليبي من حيث التحرك على الطرقات بحيث تحولت أغلب القوة لاستعمال سيارات صغيرة وعادية، واستخدمت وسائل مختلفة في الاتصالات، كما استخدمت خطط مبتكرة

في تأمين المواقع، فشلت القوات المعتدية في اختراق خط البريقة وخط الدافنية وتاورغاء لشهور، بالرغم من القصف البحري والجوي على مدار الدقائق وليس الساعات.

كانت تكتيكات القيادة الليبية تقوم على استيعاب واسع للهجوم بالصمود وإطالة المعركة، لأنها كانت تدرك أن المجتمع الدولي المشارك في العدوان لا يستطيع التحمل لفترات طويلة، فتحولت الحرب في الصحراء الليبية إلى حرب استنزاف لطاقات حلف الناتو وحلفائه العسكرية والمادية، كما كان التعويل على إمكانية حدوث تصدع داخل أركان الحلف وإمكانية تغيير الموقف الروسي وتقوية الموقف الأفريقي.

وبالرغم من الحظر السياسي الشامل، حاولت الدبلوماسية الليبية البحث في نقاط ضعف بصف القوى المعتدية، سافر وزير الخارجية عبدالعاطي العبيدي إلى تركيا، ومالطا، واليونان، وسافر الأمين المساعد للتعاون إلى البرتغال، ومالطا، والباكستان، والهند والصين، وأوفد الدكتور محمد أحمد الشريف إلى روسيا، لكن لا نتائج تذكر فالضغط الغربي على العالم كان شديدًا، الاتحاد الأفريقي رغم الضغوط الفرنسية والأمريكية والتي ظهرت جلية في البريد الإلكتروني للسيدة "هيلاري كلينتون"، حاول مساعدة ليبيا، شّكل اللجنة الخماسية رفيعة المستوى برئاسة "ساسي انجيسوا" التي زارت طرابلس، لكن في بنغازي أوعز الغرب لعملائه بمعاملتها بسوء وهذا ما فعلوا ليقال إنها ليست وسيطا نزيها، الخطة الأفريقية كانت عمومية لكن بها بعض النقاط التي وجدنا أنه يمكن البناء عليها تشكلت لجنــة

فنية وضعت بعض التفصيلات وأرسلت إلينا وإلى جماعة المجلس الانتقالي للرد عليها، كان فريقنا في اللجنة الفنية برئاسة الأستاذ جمعة إبراهيم مدير الإدارة الأفريقية، الذي تعامل مع الملف بحرفية بعد أن وضعنا ردودنا ومقترحاتنا في شهر يوليو تبين أن الطرف الآخر لم يهتم بالمقترحات الأفريقية.

كنا ندرك أن الغرب وجد فرصة مواتية ولن يتركها حتى يطيح بالنظام الوطني التقدمي وينصب نظاما رجعيا مواليا له، لذلك تركز العمل على المجهود الحربي والمجهود الإعلامي، وفعلا ورغم الظروف القاسية نجحنا في الصمود عسكريًا لفترة قياسية لم تحصل منذ الحرب العالمية الثانية، وتمكن الجهاز الإعلامي التابع للثورة من فضح المشروع المعادي، وتحصلنا على معلومات مهمة ساهمت في التعبئة الداخلية، لكن العدو لم يعدم الإمكانات والحيل، وقرر في سابقة دولية أن يمنع بث الإذاعات الليبية عبر القمر الصناعي الأوروبي أولا في شهر مايو خوفا من التأثير في الرأي العام الغربي، وفي شهر يونيو منع من البث عبر القمر الصناعي العربي العرب سات، ومن العجائب أن ليبيا من الدول الممولة الرئيسة للمشروع ومن تلك التي تمتلك المساهمة الأكبر، لكن كل شيء في الواقع خاضع للإرادة الغربية المعادية للشعوب، وفي شهر يوليو وفي عملية مسرحية دفع محامون مصريون للتقدم بالشكوى ضد القمر الصناعي النايل سات لوقف بث القنوات الليبية بتهمة أنها تحرض على القتل، وأصدر القضاء الإداري المستعجل "ولا أحد يعلم وجه الاستعجال" تحت ضغوط الإخوان المسلمين الذين أصبحـــوا نافذين في مصر قرارًا غريبًا يلزم شركة النايل سات بوقف بث القنوات الليبية بالمخالفة للعقود وللقانون التجاري.

في شهر يونيو 2011 كلفت أمينًا مساعدًا للخارجية، وكان عليّ البحث في آليات مبتكرة للتواصل السياسي مع الدول والمنظمات لشرح القضية الليبية، كان ذلك صعبا بالنظر للحصار السياسي والضغط الذي مارسته الدول الكبرى على الدول الصغرى، كان تركيزنا على الاتحاد الأفريقي والدول التقدمية في العالم، كان عدد السفارات والقنصليات المتبقون في ليبيا قليل جدًا من الدول الصديقة لليبيا ربما أهمهم سفير فنزويلا السيد عفيف تاج الدين، وسفير كوبا وقائمون بأعمال من بعض الدول الأفريقية، والصين، وروسيا وبعض الدول الآسيوية محدودة التأثير، لقد قمنا بإرسل وفود للقارة الأفريقية وتشكلت خلية متابعة للمبادرة الأفريقية، كما تم إرسال وفود إلى آسيا وأمريكا اللاتينية، وبعض الدول في أوروبا الشرقية وحملت برسائل من القائد إلى قادة تلك الدول، سافر الدكتور عبد الكبير الفاخري إلى ماليزيا، وأندونيسيا، وسافر عبد الهادي الحويج إلى الفلبين، وفيتنام، وسافر محمد سيالة إلى الباكستان، والهند والصين، وسافر محمد زيدان، والدكتور عبد الحفيظ الزليتني إلى فنزويلا، والبرازيل، وكوبا، وبوليفيا، والأرجنتين، وسافر صالح إبراهيم إلى دول البلقان، وتمكنت الوفود من تسليم الرسائل التي تضمنت شرحًا وافيًا لطبيعة ما يجري في ليبيا، وكونه عدوان أجنبي سافر على دولة مستقلة تتخذ من دعايات إعلامية بوجود انتفاضة داخلية ذريعة لذلك.

كان ممثلونا ممنوعين من المشاركة في اجتماعات المنظمات الإقليمية، وكان يستعاض عنهم بممثلي ما سمي بالمجلس الانتقالي الذي فرضه الغرب كسلطة شرعية بدون أي سند وطني أو قانوني.

في شهر يوليو تمكن وفدنا بعد جهد كبير من حضور فعاليات منظمة التعاون الإسلامي في كازاخستان برئاسة الدكتور المهدي امبيرش، ولم يتمكن شلقم من حضور الاجتماع، نجح الوفد في شرح القضية الليبية لهم، كان مطلبنا بسيطًا ومنطقيًا، لماذا لم يتم التحقيق في ادعاءات قتل المدنيين من جهات محايدة قبل اتخاذ إجراءات لمعاقبة الدولة، لكن للأسف تلك المنظمات شكلية في واقع الأمر والقرار بداخلها ينبع فقط من إرادة الدول الغربية الكبرى.

في 1 يوليو 2011 انطلقت ذاتيا مسيرة مليونية في طرابلس أذهلت العالم، كانت عفوية تماما، أعقبتها مليونيات اجتاحت كل مدن المنطقة الجنوبية والغربية، وفعلا اتسم شهر يوليو بتصاعد وتيرة التحدي الشعبي الليبي للعدوان الأطلسي، وقابله تصاعد قوة ووحشية القصف الجوي والبحري على ليبيا، الذي طال منشآت وأهدافًا مدنية، ودمر بيوتًا وقرى، ربما أبرزها قتل الوعاظ في مدينة البريقة، وقتل أطفال في قرية ماجر بزليتن، وقصف منزل المرحوم الفريق الخويلدي الحميدي، وقصف بيوت في منطقة عرادة بطرابلس، كانت الأهداف تحدد من قبل عملاء ومخبرين على الأرض، ويبدو أن الغرض الأهم كان كسر روح المقاومة والصمود لدى الجماهير، لكن ذلك أدى فقط إلى زيادة الغضب والتحدي الشعبي الليبي.

كان المجهود الحربي والتعبوي والسياسي يجري جنبا إلى جنب، كلف الأخ المناضل أحمد إبراهيم بإدارة مكتب الاتصال باللجان الثورية في وقت متأخر، فالمعركة على أشدها، ولم يكن بإمكانه سوى تعبئة حركة اللجان الثورية بالمجهود القتالي، وتفرغ الدكتور عبدالقادر البغدادي للعمل معنا في فريق دعم المؤسسة السياسية، وشكلنا مع الأخ الطيب الصافي، والمهندس عمران أبوكراع غرفة غير رسمية تتابع أداء الجهاز السياسي وتدعمه بالرأي والمشورة، كنت مع المهندس عمران أبوكراع ندير مع الأستاذ عبدالعاطي العبيدي، ومحمد سيالة ملف الاتصالات الخارجية، وتولى الأخ الطيب الصافي، والشهيد عبدالقادرالبغدادي العمل على الملف الداخلي، وكنا نلتقي يوميًا لتقييم الموقف، ووضع المقترحات، وكان الشهيد عزالدين الهنشيري على تواصل مستمر معنا ينقل ملاحظاتنا واقتراحاتنا إلى الأخ القائد، يحمل لنا توجيهاته وتساؤلاته.

كانت غرفة المتابعة بمكتب الاتصال باللجان الثورية التي تشكلت بعد تفجر الوضع تتابع بدقة ما يجري، وضمت القيادات الثورية التي انتقلت من المنطقة الشرقية، وتولى بداية الحاج بشير حميد إدارتها وبعدها تولاها الأستاذ أحمد إبراهيم، أيضًا القيادات الثورية في جامعة الفاتح وفي غيرها من المواقع شكلت فرق متابعة لتعبئة القطاعات الشعبية في المواجهة، في الواقع بمجهودات ذاتية وفي غياب للإمكانات المادية حدثت حالة استنفار ثوري وشعبي، قامت بأدوار تاريخية مهمة في مواجهة الغزو، وتأسس فريق إعلامي اتخذ من فندق ريكسوس مقرا لها لمواكبة المجهود الإعلامـــي وعمل كثير

من الشباب في المشروع ونجحوا إلى حد كبير في كشف زيف حملة التضليل الإعلامي التي سخرت لها إمكانات كونية.

كنا جميعا نؤمن بأن هذه المعركة الحاسمة والفاصلة تتطلب العمل الجاد حتى وأن كانت مؤشرات الانتصار فيها ضعيفة، فهي معركة بين حق الشعب في الحرية والاستقلال، وباطل تمثله القوى الاستعمارية المعتدية على ليبيا.

الدكتور البغدادي المحمودي وفي ظل حصار اقتصادي شامل وكامل، وندرة الإمكانات المادية كان يحارب في كل الجبهات، الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية، وكان عليه إيجاد تنسيق مرضي بين القوى المختلفة أحيانا التي تخوض العمليات العسكرية، ورغم أن البعض يحمله مسؤولية ما وصلت له الأوضاع قبل 2011 وخاصة مركزة الإدارة والقرار، إلا أنه أثناء فترة الصمود الأسطوري للشعب الليبي قام بدور مركزي ومحوري ينبغي أن يذكر له.

الأجهزة الأمنية كانت في مستوى المعركة، بالرغم من استهداف مقارها بالقصف المستمر إلا أنها كانت ناجحة في ملاحقة الجواسيس والأحداثيين "الذين يتواصلون مع الناتو ويعطون إحداثيات المواقع"، نجحت في تفكيك الخلايا التي يقوم العدو بتجنيدها في الداخل والقبض على عناصرها، وجهاز الأمن الخارجي نجح في متابعة تحركات المخابرات الأجنبية وعملائهم على الأرض، كان الرجال في الأمن الخارجي، والداخلي، والشرطة يواصلون الليل بالنهار في معركة أمنية خاضوها تحت القصف، مع أجهزة استخبارات العالم كله تقريبا.

لم تتمكن تلك الأجهزة رغم قوتها طيلة فترة الحرب من استهداف القيادات الثورية والسياسية والأمنية التي كانت ضمن أولويات استهدافاتهم.

كانت تربطني علاقة خاصة بالشهيد المعتصم رحمه الله الذي كان يلتقي بي كلما تواجد بطرابلس، كان رحمه الله يستقل سيارة شيفورليه عادية ويستخدم هواتف محمولة عادية يستخدمها للتواصل مع مركز قيادته ومجموعاته المقاتلة، نبهته ذات مرة أنهم قد يحددون موقعه عبر الهاتف، ضحك وقال: هم يحددون فقط المواقع الثابتة أما المتحركة فلا قدرة لهم عليها، فهمت منه أنه كان يتصل لمعرفة ما يجري وهو متحرك بالسيارة، أما التعليمات فتنقل فقط من الفم إلى الأذن، أي بدون استعمال وسائل الاتصال مباشرة إلى أدوات التنفيذ، لقد نجح المعتصم وقوته في منع أي اختراق لجبهة البريقة لشهور عدة رغم شدة القصف البري والبحري والجوي، واستخدام كل الوسائل التقنية في ذلك، السر كان في دهاء القيادة وإخلاص وشجاعة الضباط الجنود المرابطين في صحراء البريقة.

كان القائد رحمه الله يشك في قدرة الاتحاد الافريقي في التعامل القوي مع الأزمة، لذلك لم يكن متحمسًا للتسرع في الرد على متطلبات اللجنة الفنية، لكني تمكنت من إقناعه بضرورة الرد لأن التأخر في ذلك يعطي مبررات للقادة الأفارقة المترددين في الاصطفاف مع العدو، وتم بالفعل صياغة الردود على تساؤلات اللجنة الفنية التابعة لمجلس السلم والأمن الأفريقي، وكلف الأستاذ جمعة إبراهيم بالتواصل

مع الاتحاد الأفريقي بالخصوص، وتبين لاحقا أن المجلس الانتقالي رفض التعامل مع اللجنة، وهكذا كانت خطوتنا مهمة في تثبيت موقف الاتحاد الأفريقي وداعمًا له.

كلف مجلس الأمن الدولي السيد عبد الإله الخطيب وزير خارجية الأردن الأسبق مبعوثًا خاصًا للأمين العام إلى ليبيا، كان السيد الخطيب منحازًا تمامًا إلى المشروع الغربي ومروجًا له، وساهم للأسف في نشر حملة الدعايات الكاذبة التي بنى عليها التدخل الأجنبي، وكانت تقاريره مليئة بالمغالطات، وتصاغ تقريبا من قبل المجموعات الحاقدة في المجلس الانتقالي الذي شكله "ساركوزي" لإدارة ليبيا باقتراح من "برنارد ليفي"، تحدث في إحاطاته أمام مجلس الأمن على أكذوبة المرتزقة التي تأكد بما لا يدعو مجالًا للشك لاحقا أنها محض اختلاق من قبل المجموعات الإرهابية الحاقدة، وتحدث عن مذابح للمدنيين، ونفى في كل إحاطاته وجود متطرفين واصفا المجلس الانتقالي بأنه يتكون من سياسيين وأكاديميين، وهو نفس الكلام الذي يردده الإعلام الغربي، بالرغم من أنه كان يجلس مع كبار قادة الجماعات الإرهابية في ليبيا من أمثال أسامة بن حميد، وفوزي أبوكتف، ومحمد أبوسدرة، والصديق الغيثي، وبن قمو، وأحمد الختالي الذي اختطفته المخابرات الأمريكية في وقت لاحق على خلفية مقتل السفير الأمريكي، والحصادي، وعلي الصلابي وشقيقيه أسامة، وإسماعيل، ولا يمكن تصور أن شخصًا بخبرة الخطيب يمكن أن يخطئ في تقييم هكذا شخصيات كانت تقود مباشرة المجلس الانتقالي

ويخضع كليا لإرادتها، الأمر الذي اتضح في عملية قتل عبدالفتاح يونس الوحشية التي أمر بها رئيس المجلس الانتقالي.

كان الخطيب يحضر شهريًا إلى طرابلس ويمضي بها بضع دقائق ليقال إنه يتواصل مع أطراف النزاع، كانت رسالته المتكررة أن يرحل القذافي، لم يقدم أي مقترحات يمكن مناقشتها ولا أفكارًا يمكن الانطلاق منها في حل سياسي، كان من الواضح أن مهمته تنحصر في توفير غطاء لقوة الناتو وحلفائه لإسقاط النظام ليس إلا.

شاركت مرتين في لقاءات الخطيب الشكلية، في المرتين كان الدكتور البغدادي ومحمد سياله حاضرين، تبدأ اللقاءات بطلب مقابلة القائد، والرد المتكرر أن ذلك صعب بسبب الوضع الأمني الناتج عن التدخل، وتقدم له معلومات موثقة ورسمية حول جرائم الناتو وقصفه لمواقع مدنية، حول معاناة المدنيين بسبب الحصار الجائر، حول جرائم المليشيات التي سيطرت على المنطقة الشرقية، ودائما يبلغ باستعداد الدولة للدخول في عملية سياسية جادة، كان يستمع بلا أذنين فكأن الكلام يدخل من أذن ليخرج من الأخرى، لم ينعكس حرف واحد مما يسمعه في طرابلس في تقاريره.

المرة الأخيرة التي زار فيها طرابلس كانت في 17 أو 18 يوليو 2011 بعد لقائي بمساعد وزير الخارجية الأمريكي في تونس، جاء بعد مؤتمر ما سمي أصدقاء ليبيا في اسطنبول في 15 يوليو، كانت رسالته واضحة يتنحى القذافي، وتشكل سلطة بديلة، ردنا كان، أولاً ماهي الأشياء التي يرون أن القذافي ينبغي أن يتركها، وثانيا من يعين السلطة البديلة، في الشق الثاني كان محرجا في الإجابة، قال

سلطة يتفق عليها، بدون تنسيق لا مع الدكتور البغدادي، ولا السيد سيالة قلت له قد نوافق على ذلك لكن ندعو مؤتمر الشعب العام باعتباره الجسم التشريعي الشرعي في ليبيا لاختيار تلك السلطة، لاحظت امتعاضًا شديدا لدى الدكتور البغدادي وكأنه يقول لي أنت ورطتنا، لم أستجب لنظراته المطالبة بالتريث لأني كنت مدركاً أن ما اقترحه الخطيب لم يكن سوى اقتراحًا تعجيزيًا نرفضه ليقال إننا رفضنا حلاً وسطاً وهو سلطة مشتركة، وكنت أعلم أنني قدمت له جواباً تعجيزياً فهم لن يقبلوا مهما كان الأمر اشتراك مؤسسات ثورة الفاتح في إدارة ليبيا، لقد بدد الخطيب فورا مخاوف الدكتور البغدادي برفض قطعي للاقتراح، قلت له لماذا؟ في تونس مجلس النواب القائم هو من شكل سلطة بديلة لبن علي، وفي مصر مجلس الشعب فعل نفس الأمر لخلافة حسني مبارك، قال لا ليبيا وضع مختلف لا هي تونس ولا مصر، وجدتها فرصة سانحة للقول له إذا أنتم لا تعملون من أجل حل للمسألة الليبية بل تريدون فقط إسقاط النظام مهما كانت النتائج. للتاريخ إن عبدالإله الخطيب لعب دورا محوريا سلبيا في ما وصل إليه حال البلاد.

منتصف شهر يوليو طلب الأمريكان مقابلة السيد عبد العاطي العبيدي أمين الاتصال الخارجي والتعاون الدولي ووفدا من القيادة وحددوا بعض الأسماء، وأن الوفد الأمريكي سيكون برئاسة السيد "جيفري فلتمان" مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية، عرض الدكتور البغدادي الأمر على القائد فوجه بأن أترأس الوفد الذي ضم الأخ بشير صالح، والأخ أحمد جرود مدير الإدارة الأوروبية، والأخ امحمد عجاج من الأمن الخارجي، انطلقنا برًا إلى جربة ومنها جوًا إلى تونس حيث أقمنا بالعاصمة، وظهر اليوم التـــالي التقينا الوفد الأمريكي في

مقر السفارة الأمريكية بتونس، ضم الوفد الأمريكي السفير "كريس" في ليبيا وممثلًا عن البيت الأبيض، وممثلًا عن مجلس الأمن القومي، رحب بنا سفير أمريكا لدى تونس في بيته ثم استأذن وغادر الاجتماع، خلال كلمات الترحيب العامة أطلق الأخ فؤاد الزليتني في وجههم قنبلة، وجه كلامه للسفير "كريس" وكان يعرفه، لقد قصفتم بيتي ومكتبي، كان كلاماً مباشراً وصعباً لكننا نجحنا في تجاوزه والدخول في الموضوع، تحدث السيد "فلتمان" بلغة دبلوماسية حول موقف بلاده من الأزمة، وأنهم لم يتدخلوا كثيراً وأن المجتمع الدولي موحد في دعم من أسماهم بالمطالبين بالديمقراطية، ثم قال أنقل لكم رسالة من المجتمع الدولي الذي اتخذ موقفًا موحدًا في اسطنبول حيال الأزمة الليبية وأنه لا مبادرات ثنائية للتعامل مع ليبيا بل الطريق الوحيد هو التعامل مع ما يحمله عبد الإله الخطيب من أفكار، وأن وقف القصف على ليبيا مرتبط بإعلان القذافي الخروج، رغم اللغة الدبلوماسية إلا إني أدركت أن في كلامه نبرة تهديد لا يمكن أن تكون مقبولة، أخذت الكلمة، شكرتهم على دعوتنا وعلى استضافتهم في بيت السفير، ودخلت مباشرة في الموضوع، وكانت البداية أننا لم نأتي لنستمع إلى رسائل تتضمن تهديدًا فلا حاجة لذلك فوسائل إعلام الغرب كلها مجمعة على نقل رسائل التهديد والوعيد، ونحن تحت القصف الشديد الذي ينقصه فقط استخدام السلاح النووي وهذا غير ممكن لطبيعة موقع ليبيا، فآثاره ستصيب أوروبا والجيران ربما بنفس القدر الذي تصيب به ليبيا، وقلت: رغم يقيني بأنكم تعلمون جيداً حقيقة ما يجري في ليبيا، لكن أكرر على مسامعكم أن ما يحدث ليس انتفاضة شعبية ولا ثورة من أجل الديمقراطية كما يدعون، بل هي عملية عسكرية تنفذها عناصر إرهابية تستغل الدعم العسكري والإعلامي والسياسي الدولي

للسيطرة على البلد، وقلت: إن النظام في ليبيا يستند إلى قاعدة شعبية عريضة لعلكم شاهدتموها في المليونيات التي خرجت تلقائيا فالشعب الليبي يدرك طبيعة الصراع وأطرافه والأهداف المعلنة والمخفية فيه، وأنه في حالة سقوط النظام فإن ليبيا ستتحول إلى صومال وأفغانستان أخرى لكن في وسط المتوسط وفي بوابة أفريقيا، وستنتج حالة فوضى لن يمكن الخروج منها، آثارها السلبية ستصيب ليس الليبيين وحدهم بل دول الجوار والمتوسط وأوروبا وأفريقيا، وستتحول ليبيا إلى قاعدة للإرهاب، قلت له: استمعنا إلى رسالتكم وشروطكم لوقف العدوان فأرجو أن تستمعوا جيداً لتحذيراتنا وأن تأخذوها مأخذ الجد، وأردفت هل تتصور يا صاحب السعادة أن أطلب منك تنحي الرئيس "أوباما" للاتفاق معكم، نحن تفاوضنا مع الإدارة الأمريكية بجدية وتواصلنا إلى تفاهمات مهمة كان يمكن أن تشكل قاعدة للتعامل على المستوى الدولى، تخلينا عن برامج التسليح الاستراتيجية لأننا شعرنا أننا سنكون في مأمن من العدوان الخارجي، لكن المجتمع الدولي خذلنا، وتخلى عنا بل اعتدى علينا، ياصاحب المعالي كيف ستقتنع إيران أو كوريا الشمالية بالتخلي عن البحث في التسليح النووي، وهي ترى ما جرى لليبيا، كان يستمع بعناية، لكن السفير في ليبيا السيد "كريس" علق على ما قلت، بقوله أنا ما ذكرت ليس دقيق وأنه ليس بين من يقود المنطقة الشرقية إرهابيون بل هم مثقفون وأكاديميون ونخب مدنية، كان بحوزتي ملف سلمه لي الأخ السنوسي الوزري وزير الداخلية، أخرجت منه صورًا لقادة الجماعات الإرهابية بالمجلس الانتقالي، والقادة الفعليين على الأرض في المنطقة الشرقية، أخرجتها واحدة تلو

الأخرى وسلمتها لهم قلت معلقاً إن كان هولاء نخب مدنية فنحن نشك كلياً في تقييم الغرب لمعنى النخب والمدنية، لم يعجبهم قولي لكنهم لم يعلقوا، أحلت الكلمة للأخ بشير صالح، الذي أسهب أيضًا في شرح طبيعة المعركة، واستخف بالطلب الغريب بتنحي القذافي، وقال بالنسبة لنا القذافي رمز وطني الحديث عن تنحيه كلام مرفوض، نحن قد نناقش مسائل إدارة الدولة وهو لن يكون عائقاً لأي شيء يجمع عليه الليبيون، وتحدث عن التعامل الإيجابي مع مبادرة "ساركوزي" في شهر يونيو لكن الفرنسيين تراجعوا عنها، وقال قلت لـ"ساركوزي" أن تعلم أن صورتي والقذافي معا في مكتبي، وأن "ساركوزي" هدده بقصف بيته في تراغن، وأنهم يعرفون تماما أحداثيات بيته في طرابلس وتراغن، ثم أشار إلى أن الحل الوحيد الممكن هو المبادرة الأفريقية، وطالب الأمريكيون بدعمها، بعد ثلاث ساعات من المرافعات قلت لهم لوغيرت أمريكا موقفها فستجدنا جادين في التعاون الاقتصادي والسياسي، ولو استمرت في هذه السياسة فلن تجد دولة ليبية تتعامل معها، ثم انصرفنا عائدين إلى الفندق، عدت مباشرة إلى طرابلس بينما واصل الأخ بشير رحلة إلى أفريقيا، أعددت تقريرًا أرسلته للقيادة، ثم تحدثت مع القائد، قال: ماذا حدث؟ قلت له: إنهم يوجهون إنذارًا لنا فحذرناهم من مغبة ماسيصيبهم لو انتصر هؤلاء المجرمون، ضحك وقال ألم أطلب منكم أن تناقشوا معهم فقط العلاقات الثنائية الليبية الأمريكية، كان ردي أنهم جاؤوا ليضعوا حدًا نهائيًا لأي تعاون بيننا وبينهم.

اشتد قصف الناتو وحلفائه على العاصمة طرابلس والجنوب وسرت، والبريقة، وزليتـــن وشـــاركت قوة عسكرية من الناتو في

عمليات على الأرض، تواصل الفرنسيون مع بشير صالح من أجل تجديد الحوار الذي كان قد توقف وطلبوا حضور الأخ بشير، كان هناك تردد في القرار فلم تتضح جدية الجانب الفرنسي، وإنهم فقط يعملون على المماطلة، لذلك تأخر سفر الأخ بشير، كنت مع الرأي الداعم للسفر وفعلا بعد نقاش مع القائد رحمه الله اقتنع بأننا لن نخسر شيئًا من سفر الحاج بشير، وعندما جاء الإذن بالسفر كان الوقت قد تأخر فلقد سقطت الزاوية ثانية في أيدي المليشيات، وقطعت الطريق البري إلى تونس.

كان القصف مكثفًا على ميناء الشعاب القريب من مبنى وزارة الخارجية التي كانت تهتز مع كل زخة صواريخ وزجاجها يتناثر في الهواء، صراحة لم يشعر العاملون المداومون، وهم قلة بالخوف من إصابتهم في القصف لا أدري لماذا، ولم تكن الإجراءات الأمنية مشددة حولها، ولم نضع في حسباننا عمليات نوعية قد تستهدف الخارجية، كان العمل يتركز في يد مجموعة قليلة منهم الأستاذ عبدالعاطي العبيدي الأمين، والأخ محمد سيالة أمين التعاون، والأخ أحمد جرود مدير الإدارة الأوروبية، والأخ جمعة إبراهيم مدير الإدارة الأفريقية، والأخ مصطفى خالد مدير شؤون اللجنة ومكتب الأمين، ومكتب الأمين المساعد، ومكتب الكاتب العام خالد كعيم والشؤون السرية، وشؤون الإعلام وعدد من الموظفين الوطنيين.

كنت أداوم في الصباح والظهيرة بالخارجية، وفي المساء مع الدكتور البغدادي المحمودي بمكتبه بطريق السكة أو بومشماشة، الغذاء عادة بمنزل الطيب الصافي، نلتقي أحيانا بمقر أمانة الشؤون العربية بحي دمشق، وبمكتب الدكتور المدني الأزهري بتجمع الساحل

والصحراء، في شهر يوليو عقد الاجتماع الصيفي للاتحاد الأفريقي في غينيا بيساو، حضر وفدنا إلى القمة برئاسة الأستاذ عبدالعاطي العبيدي، وعضوية الأخ مختار القناص، والأستاذ بشير صالح، وحضر أيضًا الدكتور المدني الأزهري، وكان عبدالرحمن شلقم حاضرًا وحدثت ملاسنة بينه وبين الأخ فؤاد الزليتني، كان موقف الاتحاد الأفريقي أكثر وضوحًا في موقفه من التدخل الخارجي في ليبيا بالرغم من الضغط الغربي على الدول الأفريقية، جددت القمة دعمها لخطة السلام الأفريقية ولجهود اللجنة رفيعة المستوى المشكلة من رؤوساء دول برئاسة "ساسي انجيسو" رئيس جمهورية الكونغو برازافيل.

مع بداية شهر الصيام في أول أغسطس تصاعدت وتيرة العدوان على طرابلس وكثف القصف الجوي، وفي يوم 20 من نفس الشهر تمكنت مجموعات متسللة وخلايا نائمة من السيطرة على مناطق في سوق الجمعة، وتاجوراء، بدعم من قوة فرنسية وأخرى متعددة الجنسيات تحت غطاء جوي استخدمت فيه كل أنواع السلاح الجوي، والقصف الصاروخي البحري، وطائرات الأباتشي التي وجهت أسلحتها لكل هدف متحرك بما فيها الأفراد.

في يوم 21 خرجت من البيت بسوق الخميس كالعادة متجها إلى طرابلس، في سوق السبت تقابلت مع الأخ الطيب الصافي الذي انتقل بعائلته للإقامة بمنزل مدير مكتبه الأخ حسين الحمروني رخاء، كان الطيران المسير والعادي يحلق بكثافة فوق المطار، وقصر بن غشير، في باب بن غشير لم نتمكن من مواصلة المسير إلى الخارجية،

اتصلت بالأخ سليمان الشحومي أبلغني أنه بمكتب الدكتور محمد الشريف بجمعية الدعوة الإسلامية بطريق السواني، وجدنا بالمكتب الأخ العجيلي البريني، وعمار الطيف، وسليمان الشحومي.

كان عمار الطيف قد خرج بصعوبة من منطقة سوق الجمعة، وشرح لنا الوضع بالضبط في المنطقة، وأن سوق الجمعة في غالبها خرجت عن السيطرة، قررنا التواصل مع القيادة لمعرفة التطورات بعد محاولات عدة تمكنا من الاتصال وتحدث الأخ عمار مع القائد وأبلغه بحقيقة الوضع على الأرض، واقترح عليه ضرورة تسليح شباب أبوسليم وحي الأندلس لو كان هناك قرار جدي بالمقاومة في طرابلس.

اتصلنا بكثير من الإخوة لمعرفة ما ينبغي عمله، ووجدنا بعضهم منهمكًا في معارك خاصة في رأس حسن، وحي الأندلس، بعد المغرب قررنا العودة إلى البيت، وكانت الأوضاع تتأزم، وقع هجوم قوي علي ترهونة من الشرق، وهجوم آخر على منطقة سيدي السائح، الطريق لم يكن سالكًا، فمخاطر القصف الجوي والصاروخي شديدة جدًا.

في اليوم الثالي لم أغادر البيت نظرًا لصعوبة الأوضاع كان ابني الدكتور مصعب قد عاد من مناوبته بمستشفى الحروق والتجميل أخبرني أن الوضع متوتر جدًا في سيدي خليفة، وأن المستشفى الموجود بجانب إدارة الاستخبارات العسكرية يتعرض لقصف شديد، وأن الدكتور رضا فرنكا قام بإخراج المرضى خوفا عليهم.

لم يكن بالإمكان استمرار البقاء في المنزل فقررت مغادرته، تمكن الناتو والمتحالفـــون معه من بسط سيطرتهم بـــالقوة على حي الأندلس وطرابلس المركز، واستمرت المقاومة في أبوسليم، ابني

الدكتور عدي كان يناوب في مستشفى طرابلس المركزي وجد صعوبة بالغة في العودة إلى البيت، نظرا لضراوة المعارك في منطقة أبوسليم بين الغزاة والمدافعين عليها من الشباب المتطوعين.

كانت الأجواء متوترة ومشحونة جدًا، العائلة مضطربة حيث لا أخبار مطمئنة، وعائلتنا كبيرة نسبياً فكلنا نسكن بنفس القرية، وكانت الإذاعات المعادية تطلق نداءات للناتو لقصف بيوتنا لأن بها مرتزقة حسب ادعاءاتهم، لكن الله ستر.

***

المحطة الثامنة والعشرون
الهجرة

القرار الصعب الذي يقلب الحياة رأسًا على عقب، هو الهجرة، لقد كنا عائلة بسيطة قليل منا سافر إلى الخارج ولم يفكر أحد منا الإقامة خارج حدود مزرعتنا التي ورثناها عن أبينا وجدنا، وأنشأناها طوبة طوبة وزرعنا بها كل شجرة، ورغم بساطة حياتنا إلا أن سعادة كانت تغمرنا، أعلم أن كثر يحسدوننا عليها، كانت مصروفاتنا واحدة وممتلكاتنا واحدة، وتخطيطنا واحد، لكن للأمانة كان الشباب اتكاليين، فالعمل منصب على عدد قليل وكلهم تقريبًا يعتمدون علينا الكبار، كان الرأي بالكامل عند الحاج علي رحمه الله، لا أحد يجادله في أمر، والأمور الاجتماعية يتولاها الحاج امحمد الذي كان أهلاً لها، الحاج فرج كان المدير الفعلي للمزرعة إلى وقت قريب، كنت والحاج الصغير منهمكين في العمل السياسي الوطني، أحمد علي، وفرحات علي التحقا بالجيش مبكرًا، لكن فرحات رغم عدم قبوله في البداية للعسكرية التي التحق بها وفقا لقرار التنسيب، تحول إلى عسكري محترف جدًا، عرفات، وأسامة امحمد التحقا برغبتهما وكانا من الضباط القياديين، التحق عرفات باللواء 32 معزز وتولى القيادة الفعلية لأهم كتائبه.

عمر علي كان يرافقني منذ أن كنت بالأمانة، ولم ينهمك كثيرًا في العمل بالمزرعة، محمد امحمد تدرب كطيار وتمكن من شق طريقه

بكفاءة، بقية الشباب التحقوا بأعمال مدنية كموظفين ومعلمين، لكن ناصر علي كان نشطًا سياسيًا محليًا فتولى أمانة مؤتمر سوق الخميس، أثناء الحرب التحق كل منهم للدفاع عن الوطن وتطوعوا ضمن القوة المساندة، وخاضوا أغلب المعارك الوطنية، لكنهم جميعا كانت علاقاتهم بالناس جيدة ولم يخلقوا مشاكل لا في المنطقة ولا خارجها.

ليلة 23 /24 أغسطس 2011 حضر إليَّ بالمزرعة الأخ الطيب الصافي، كان منزعجًا جدًا، قال الأمور انتهت والمقاومة صعبة ونحن ليس لدينا إمكانات للدفاع عن أنفسنا، وعلينا المغادرة بكرامتنا، لم أستوعب بداية طلبه إلا أن الحاج علي رحمه الله قال ما يقوله الطيب عين الحكمة، أخرجوا ولنراقب الوضع، وعندما يستقر الحال سيكون كلام آخر، كان اتخاذ قرار من هذا القبيل أمر في غاية الصعوبة، وأسئلة جوهرية تفرض نفسها، إلى أين نذهب؟ كيف نذهب؟ أين المال؟

للتاريخ لم أكن أمتلك قدرًا من المال يمكنني من الهجرة مع عائلتي، كان بمنزلي ما لا يزيد عن عشرة آلاف دولار، وألفي يورو وهي لا تكفي لأي شيء، لكن الله يسخر الأشياء وفقًا لمشيئته، فسبحان الله رب العالمين، اتصل بي الصديق الصدوق الدكتور رضا العارف فرنكا، أبلغني أن طرابلس سقطت في أيديهم، وسألني ماذا سأفعل، قلت له لا أدري، قال: عليك بالمغادرة عندي مبلغ من المال، أرسل أحد الشباب لاستلامه، كان الدكتور رضا يعرف ظروفي جيدًا وكان لحسن الحظ يحتفظ بمبالغ نقدية لديه بالبيت، أرسلت له أبناء أخي حمزة علي، وشعبان فرج، وبصعوبة وصلوا إليه، سلمهم مبلغًا لا أذكر خمسين أو

ستين ألف يورو، كان لدى الطيب قرابة عشرة آلاف دولار، وهكذا سخر الله لنا الهجرة، الموضوع لا يتعلق بشخصي فكثيرون عليهم المغادرة، الحاج الصغير، العميد أحمد، العميد فرحات، المقدم عرفات، الرائد أسامة، ناصر علي، حسن فرج، عبد العظيم الصغير، عبدالمطلب الصغير، طلب مني الحاج علي أن أخرج أولادي أيضًا فقد يكونوا هدفًا لعمليات انتقامية.

جلست أنا والحاج الطيب الصافي، والحاج الصغير، والعميد أحمد نتدبر الأمر، اتفقنا أن نغادر إلى النيجر فهي ربما أكثر أمانًا، الحاج الصغير رأى أن يبقى قريبًا في إحدى المناطق بترهونة، يمكن للمرء أن يتصور كيف يمكن الترتيب لرحلة استغرقت الآن سنوات في بضع دقائق، وكان من المهم الإجابة عن الكثير من الأسئلة المهمة حول كيفية الخروج الآمن من ليبيا، كان جواز سفر الأخ الطيب مناسبًا فلا يوجد به لقب الصافي، أما أنا فكان ضروري تدبير جواز سفر باسم كودي وبعض البطاقات الشخصية، والحمد لله تيسر ذلك بفضل مساعدة أصدقاء أعزاء في الجوازات، وقبل ساعات الصباح كانت الأوراق جاهزة للمغادرة.

قررت إرسال العائلة مع الحاج امحمد إلى تونس، لكن أولاً إلى خوت الجد النوائل عائلة بن كريم الكرام، خرج الحاج امحمد والأولاد مع ابن عمي البطل الشهم سالم زائد الملقب بـ"الطيار"، وكان فعلًا طيارًا ماهرًا، لم يكن يعلم أنه سيكون من المطلوبين لكنه تطوع لنقل العائلة مع الحـــاج بعد أن تردد آخرون، كانت الطريق إلى المنطقة

الغربية صعبة لذلك سلك الحاج امحمد طرقًا فرعية من سوق الخميس إلى اسبيعة، إلى جنوب العزيزية، إلى جنوب الزاوية وجنوب صرمان.

مفاجأة سارة من العيار الثقيل

في جنوب صرمان استوقفتهم بوابة بها مليشياويين، دققوا في الجوازات، كانت الرحلة تتكون من سيارتين واحدة يقودها الحاج امحمد، والثانية يقودها سالم زائد، بعد وقت ليس طويلًا سأل أحدهم الحاج امحمد هل لكم صلة قرابة بالدكتور مصطفى الزائدي؟، كان السؤال صاعقًا، ويمكن تصور حالة من في السيارة بعد طرح السؤال المفاجئ، لم يتلعثم الحاج امحمد، ورد دون تردد نعم لنا، قال له: وصلت، ولأنه كما يقول المثل الليبي "من سبق وأن لدغه ثعبان فإن الحبل يخيل له ثعبانا"، لبرهة كانت لحظة صمت رهيبة ومخيفة، لكن الرجل أسرع بالرد، أنا أحترم هذا الرجل فلقد أجرى عملية جراحية لي، لقد قطعت يدي فقام بزرعها والحمد لله، أي خدمة أنا جاهز، بعد أن لاحظ الانزعاج قال اطمئنوا هذه ليست بوابة "جرذان" احنا عملناها لنؤمن أنفسنا، سألهم إلى أين أنتم ذاهبون هل إلى تونس؟، اطمأن الحاج امحمد كثيرًا، وأبلغه بأن المقصد رقدالين، قال له: الطريق ملغومة وبها مليشيات، والدكتور مصطفى شخص معروف، وقد يتعرض لكم شخص بسوء، وأنتم لا تعرفون الطريق جيداً، سأوصلكم إلى الجميل من طرق آمنة، واستقل الرجل سيارته وســار أمامهم إلى الجميل، لم

توجد قوة مليشياوية وقتها بالجميل، ولا رقدالين، فالتركيز كان على طرابلس.

التاريخ أعاد نفسه

فكما لجأ جدي إلى أصدقائه النوائل في القرن التاسع عشر ليحتمي بهم من جور الأتراك، ولجأ إليهم أبي، وعمي في بداية القرن العشرين لمقاومة الطليان، ها هم أبنائي يحطون الرحال عندهم طلباً للأمن من ظلم عملاء الناتو وأذنابه، عند عائلة بن كريم التي لم يتعرف على أفرادها أبنائي من قبل وجدوا لهم إخوة لم تلدهم أمهم، فرحوا بهم كثيرًا واهتموا لهم زيادة وأكرموهم وطمأنوهم، بقوا في رقدالين عدة أيام، وكان المرحوم الأخ الكريم الحاج بشير وأبناء عائلة كريم يضعون الترتيبات لتنتقل العائلة إلى الجانب الآخر من الحدود، إلى تونس، كان من الصعب المجازفة والمرور عبر البوابة، لذلك كان القرار أن يتفق مع أحد المهربين ليدخلهم إلى تونس عبر الحدود سرًا، وفعلا تم الترتيب حدد الموعد، ونقطة اللقاء مساء أحد الأيام الحارة، نقلت العائلة إلى الحد لكن الدليل لم يحضر، كانت مفاجأة غير طيبة، اتضح لاحقا أنه حضر قبل الموعد، وعندما لم يجد أحدًا غادر فلا يمكنه الانتظار بسبب الانتشار المكثف للأمن التونسي ودورياته المتواصلة.

كان أحد الرعاة الذي شارك في تهريب العائلة يمتلك أغنامًا قرب الحدود، بقيت العائلة مع الراعي وعادت السيارات إلى رقدالين

لعدم إثارة انتباه الأمن التونسي، تم الاتصال ثانية بالدليل الذي رجع وقام بتوصيل العائلة إلى بنقردان.

بداية الرحلة

بعد نقاش مع الأخ الطيب الصافي تقرر المغادرة عبر مسالك الجبل الغربي إلى الجنوب، ومنه إلى النيجر، إخوة من الطوارق يعملون معنا بالمزرعة منذ سنوات طويلة تطوعوا لنقلنا في رحلة محفوفة بالمخاطر إلى الجنوب، تولى أحدهم ويسمى "حاك" قيادة سيارة نقل "هايلوكس" أقلتنا أربعتنا إلى الجنوب، معي الطيب وأبناء أخي أحمد، وناصر، وعبر ترهونة انتقلنا إلى الشويرف وبراك ومنها إلى سبها، وأوباري، كانت عائلة "حاك" تقيم في أوباري، استضافونا لديهم ثلاثة أيام، وكانوا يبحثون معنا على دليل للرحلة، في الليلة الثالثة حضر عم أحدهم وكان من أوائل الذين عرفناهم في السبعينيات، سألني هل تعرف النيجر؟ وهل لديك أحد هناك سيعتني بك؟، قلت: لا لم أزرها في حياتي قط، قال: إنك تنتحر مع الجماعة الذين معك، كيف تذهب إلى بلد لا تعرفها، اذهبوا للجزائر فهي أكثر أمانًا لكم من النيجر، بعد نقاش فيما بيننا وجدنا أن رأيه سديد لذلك قررنا تغيير خط السير إلى الجزائر عبر غات، أرسلنا أحدهم يبحث لنا عن وسيلة نقل آمنة، تأخروا بعض الشيء، لكنهم حضروا وكان برفقتهم سائق يثقون به لنقلنا إلى الحدود ومساعدتنا في الخروج من البوابة الليبية، ونقلنا إلى البوابة الجزائرية التي تبعد كثيرا عن البوابة الليبية.

مع الفجر انطلقنا في رحلة نحو المجهول إلى حدود الجزائر، كانت هناك بعض البوابات في الطريق إلى غات، استوقفتنا بوابة، وسألوا الطيب، كيف أن جواز سفره من طبرق ويغادر من غات، حاولنا شرح الأمر دون جدوى، قلنا إن الرجل مريض وكان عند أقرباء له بسبها، والآن انقطعت السبل ولا يمكنه العودة لطبرق إلا عن طريق الجزائر القاهرة، لم تعجبه الإجابة وأخذ في طرح الأسئلة الصعبة، شاب متهور كان يجري بسرعة استوقفته الدورية شبه بالقوة، وحدثت ملاسنة بيني وبينهم، تحولت إلى شجار، سمح لنا التسلل بهدوء من البوابة، وانطلقنا ونحن نلتفت للخلف فلعل سيارة الدورية تلاحقنا، لكنهم انهمكوا في مشكلتهم مع الشاب وتركونا في حال سبيلنا، في البوابة كان عدد الخارجين منها كثيرًا نسبيًا وكان الوضع مضطربًا وبائسًا، كان علينا الانتظار لساعات لنتمكن من مغادرة البوابة، لكن ما أن تحل مشكلة حتى تبرز أخرى، كيف سنواصل إلى البوابة الجزائرية؟ لحسن الحظ بينما نحن نفكر ونبحث عن حلول، وقفت سيارة تحمل عائلة قادمة من الجزائر، وبينما السائق يحاول العودة سألناه هل يمكن أن ينقلنا إلى البوابة فوافق دون تردد، كانت الطريق غير مرصوفة وضيقة والمسافة ليست قريبة، وبينما نحن نتجادب أطراف الحديث معه تبين أنه عائد إلى جانت، فكانت فرصة أن ينقلنا إلى جانت.

في البوابة الجزائرية كان الهرج والمرج والزحام وكان العمل بها بطيء للغاية، ويبدو أن التعليمات كانت مشددة بعدم التساهل في

الدخول، وبعد ساعات طويلة وتحقيقات بلا هدف سمح لنا بالعبور بعد أن قضينا وقتًا طويلًا أيضًا لتعبئة إقرارات العملة رغم قلة المبلغ الذي بحوزتنا، قبل الغروب كانت السيارة تخترق الحدود إلى جانت وكان المنظر خلابًا، لكن زخات المطر وهبوب الرياح جعلتا الرؤية صعبة وكان السائق يقود سيارته ببطء شديد.

بعد منتصف الليل وصلنا إلى جانت ونحمد الله أن سخر لنا ذلك الشاب التارقي صاحب السيارة الذي لم يتركنا حتى أنزلنا بالفندق، وهوعبارة عن نزل بسيط غير نظيف مليء بالصراصير لكن ليس لنا من حيل.

في الصباح وجدنا الدكتور عبدالسلام إسماعيل، والدكتور قاسم صنبير بنفس الفندق، فكان فعلاً لقاءً حارًا، ودار حوار حول ماذا حدث وكيف حدث؟ قلت لهم باختصار هذه معركة من المعارك لم تنتهي بعد علينا تنظيم صفوفنا والعودة للوطن.

مدينة "جانت صنو" غات في الصحراء الكبرى، جميلة وهادئة وأهلها طيبون، لم تكن الظروف مناسبة للتجول في المدينة واكتشافها فكان يكفينا الحصول على شفرات هاتف جزائرية، والاتصال لطمأنة الأسرة والاطمئنان عليها، سواء من تبقى منهم بالمزرعة أو من غادرها، كانت المدينة تشهد مظاهرات ليلية ضد الدولة لكن الأمن كان يتعامل معها ويفرقها.

بعد يومين قررنا الانتقال إلى الجزائر العاصمة، تمكنا من الحجز بالطائـــرة، كانت الرحلة ليلية تغادر "جانت" منتصف الليل وتصل مطار بومدين مع الفجر، في مطار الجزائر لم يكن صعبًا

الحصول على سيارة أجرة لكن الأصعب كان الحصول على فندق بالعاصمة، كان سائق الأجرة رجلًا كريمًا قضى معنا ساعات يبحث لنا عن فندق وأخيرًا مع الساعة التاسعة تحصلنا على فندق بوسط المدينة.

حجزنا غرفتين وقضينا يومنا في نوم عميق، تمكنت من تأمين اتصال مع صديق من مصر الأستاذ محمد وفائي، ومع سفير فنزويلا لدى الجزائر السيد عفيف تاج الدين، حيث فكرنا جديًا في السفر إلى كاراكس، نصحنا بزيارة السفير في الجزائر، الذي استقبلنا بتوصية من السيد عفيف، طلبنا منه أن ينظر في إمكانية سفرنا إلى فنزويلا، سجل بياناتنا ووعد بالرد، لكنه لم يتصل ثانية.

كانت الجزائر هادئة وبدأت تمتلئ بالمهاجرين الليبيين، تكررت اللقاءات بالإخوة الدكتور عبدالسلام إسماعيل، والدكتور قاسم صنبير، والأخ رمضان بشير وآخرين، كما تم اللقاء مع الأخ عبد المولى الغضبان.

أيام في عين أزال

تفاجأت باتصال من الصديق الشاعر محمد جربوعة، تحصل على هاتفي من السيد عفيف تاج الدين سفير فنزويلا، حضر إليَّ في الفندق وأصر على مرافقتنا له إلى بيته، كان السيد جربوعة شاعرا ومثقفا قوميا عروبيا، ربطتنا به علاقة نضالية، وكان على علاقة خاصة بالرفيق المناضل أحمد إبراهيم، كـــان يقيم أحيانًا بسوريا، كنا على وعي بالمخطط المعد للمنطقة، حاولنا مواجهته إعلاميا بإمكانات ذاتية لكن الخلل الذي حدث في الدولة لم يسمح بتوفير تمويل كبير

للمجهود الذي كان شخصياً تولاه الرفيق أحمد وحاولت دعمه فيه، كانت فكرتنا في المواجهة تقوم على بناء تيار قومي من المثقفين العرب، وتجهيز أدوات إعلامية لمواجهة الحملة الإعلامية المتوقعة، وفعلا توليت الإعداد لإطلاق قناة فضائية عربية من العراق وبثت تجريبيا باسم قناة الشعبية، لكن المنظمات الإرهابية الشيعية هاجمتها وصفت كل العاملين بها وعلى رأسهم الشهيد عبدالرحيم نصر الله، وتمكنا من إقناع القائد بإنشاء فضائية البديل التي انطلقت في البث بشكل متواضع لقلة الدعم المادي المخصص لها، كان الأخ محمد جربوعة من ضمن الفريق القومي الذي شرعنا في بنائه لكنه لم يكتمل.

قبلنا دعوة الأخ جربوعة ولم يكن على معرفة بالأخ الطيب، كان يسكن في قرية اسمها عين أزال جنوب مدينة اصطيف، وهي قرية جميلة تقع بين جبال خضراء ومناظر خلابة، وكان يمتلك مزرعة صغيرة يسميها الدوار، استضافنا في منزله وأكرمنا لدرجة أننا أحرجنا منه ومن آل بيته، كنا في النهار نذهب إلى الدوار نناقش ما حل بالوطن.

بعد أن قضينا أسبوعاً كاملاً لم نستطع أن نستمر في البقاء عند الرجل، فنحن أربعة وهم في قرية صغيرة، وقد ويكون هناك اشتباهات أمنية تلحق به خطراً، لذلك قررنا العودة إلى العاصمة وبحثنا عن فندق رخيص خارجها.

غادر ناصر إلى تونس، وأحمد إلى القاهرة للترتيب لاستقبال العائلة بها، وبقيت أنا والأخ الطيب بالجزائر، حاولنا نستوضح الموقف الحقيقي للحكومة الجزائرية لكننا لم نفلح، فلقد قفلت الحدود في وجه اللاجئين الليبيين الذين اضطروا للبقاء أيامًا بالبوابة ولم يسمح لهم بالمرور.

أسرة الأخ الطيب بقيت في ليبيا وتمكنت من الخروج عبر تونس ثم انتقلت أيضًا إلى القاهرة.

علمت بخبر استشهاد الرفيق عبدالقادر البغدادي وكان وقع الخبر شديدًا على نفسي، فالمرحوم أكثر من رفيق، فهو أخ لمدة أربعة عقود كانت آراؤنا دائمًا متطابقة تماما، كما علمت بوفاة الأخ والزميل المرحوم الدكتور عبدالله أبوسته، ثم أخذت الأخبار تتواصل بشكل سيء، لم يكن بالإمكان متابعة ما يجري بشكل مستمر ودقيق ولم نجري اتصالات مباشرة كجزء من التحوطات الأمنية.

بعد وصول عائلاتنا إلى القاهرة قررنا اللحاق بهم لأن مصر قد تكون أكثر أمنا بالرغم من ضعف المجلس العسكري الحاكم، في القاهرة أقمت بمنطقة مصر الجديدة، بينما أقام الأخ الطيب بمدينة الرحاب، لم نتصل بأحد، وكنا نستخدم فقط هواتف عادية لتجنب المتابعة، التقينا فقط بالمهندس عمران أبوكراع.

كنت ألتقي ليلياً بالأخ الطيب بشقته بالرحاب، في النهار كنا نقضي اليوم داخل الشقة، لقد كنا على يقين بأن النظام المليشياوي الذي يفرض سيطرته سيعمل ما في وسعه لملاحقة القيادات الوطنية والتنكيل بها.

في آواخر أكتوبر قبل عيد الأضحى وقبل استشهاد القائد بأيام قليلة، اتصل بي الأخ الطيب وطلب حضوري لأمر مهم، ذهبت إليه وجدته منزعجًا جدًا، السبب زيارة للصلابي، وعلي زيدان، ومحمد العلاقي إلى مصر واجتماعهم مع رئيس الحكومة، والنائب العام المصري، ووزير الداخلية، صيغة الخبر بينت أنهم يناقشون أوجه

التعاون بين البلدين، لكن بالنسبة للحاج الطيب أنه لا أوجه تعاون بين البلدين غير ملاحقة القيادات التي هاجرت بكرامتها إلى مصر.

كان رأي الطيب بضرورة مغادرة مصر فورًا إلى أي مكان، واليوم قبل غد على رأيه، ناقشنا الموضوع مع المهندس عمران أبوكراع، أنا والأخ الطيب قررنا العودة من حيث أتينا، في اليوم التالي ذهبنا إلى المطار وعدنا إلى الجزائر.

بقينا بالجزائر بعض الوقت، ثم تمكنت من التواصل بأحد الدول التقدمية التي ربطتنا بها علاقات سابقة، وعندما علم رئيس الدولة باتصالي أمر أن أنتقل ومن معي فوراً إلى بلاده، حزمنا أمتعتنا القليلة وسافرنا إليه، طلب منا أن نكتم وجودنا لأن الأجهزة الاستخبارية الدولية تراقب بشكل دقيق وهي من أحدث الوضع في ليبيا وهي من يدعم السلطة الجديدة خاصة في مجال الأمن.

الحمد الله وفر لنا ذلك البلد الذي لن ننسى فضائله علينا الإقامة الآمنة، ومنحنا فرصة التواصل عبر النت بأسرنا.

نعم لقد كانت إقامة مشابهة تماما للسجن لكننا كنا نشعر بأمن كامل، في عام 2012 تمكنت أسرتانا من زيارتنا تباعا.

في ديار المهجر الآمنة تمكنت من كتابة حفرة الدم الذي حاولت أن أسجل فيه الوقائع كما هي للتاريخ، وبدأنا الاتصال بالقيادات الثورية لإعادة تنظيم الصفوف، أولى اتصـــــالاتي وأهمها كانت مع الدكتور رمضان البريكي، والدكتور محمد جبريل، والدكتور محمد القشاط، وتعرفت معه على الشاب النشط الذي كان يرافقه أسعد زهيو، وتواصلت مع الأخ معاوية الصويعي، والأخ عبدالله المقري، والأخ محمد زيدان الذي طمأنني على أسرة الرفيق الشهيد عبدالقادر

البغدادي، والأخ سليمان الشحومي، ثم تواصلت مع الأخ بلعيد المشري، وناصر سعيد، والأخ يوسف مرغم في أوغندا الذي عرض حضورنا إليه، وأبلغنا أنه رتب لنا مع الرئيس، والدكتور سالم الزبيدي، والأخ صالح الشين، والأخ جمعة المودي، ثم تمكنت من التواصل مع الأخ رجب مادي، والأخ عمار الطيف، وبعد وصول الدكتور موسى إبراهيم للنيجر تمكنت من التواصل معه.

المحطة التاسعة والعشرون
التنظيم الوطني

في بداية 2012 بعد صدمة استشهاد القائد بأيام تواصلت مع الدكتور رمضان البريكي واتفقنا على التفكير الجدي في إعادة التنظيم، في تونس كان رمضان على تواصل مع الأخ بلعيد المشرى والأخ ناصر سعيد اللذان شرعا في تأسيس تنظيم ثوري، اتصل بي الدكتور محمد القشاط وناقشنا الموضوع، وكان متحمساً لتأسيس حركة تحرر، كان الأخ معاوية متواجدًا بالجزائر مع الدكتور محمد القشاط، وفعلاً انطلقت مناقشات عن بعد ومباشرة بين الإخوة في تونس ومصر، وكان منسقًا النقاش الأخوان رمضان البريكي في تونس، والدكتور محمد جبريل العرفي في مصر، وكان الإخوة بالجزائر ينظمون مناقشات بقيادة الدكتور محمد سعيد القشاط، اتفقنا على اسم التنظيم وآلية عمله، وضرورة تأسيسه بما يتماشى مع ظروف التدخل الدولي الهادف إلى إلغاء كل شيء متعلق بثورة الفاتح.

بعد أن اكتملت المناقشات بواسطة تطبيق "السكايبي"، اتفقنا على عقد لقاء بالجزائر، حضره بعض الإخوة الموجودين بها ومنهم الأخ محمد بن نائل، وإبراهيم بن نائل، الشريف الهمالي، عبدالله بن جديرية، حنيش مصباح، عمر أبوشريدة، وعيسى البسباس، وطارق القنقا، وعبدالرحيم عمر، وحضر من تونس كل من: رمضان البريكي،

ناصر سعيد، وبلعيد المشري، وتواصلت معهم بـ"السكايبي" مع الأخ الطيب الصافي، كما تواصل معهم أيضا الدكتور موسى إبراهيم.

كان السؤال المهم يدور حول ماهية وطبيعة التنظيم الذي نرى فاعليته في قيادة الصراع في المرحلة القادمة؟، وانقسم الرأي إلى اثنين، فريق يرى أن الحل في استعادة الوطن بالقوة، فما أخذ بالقوة لا يسترد بغيرها، لذلك كان التركيز على الضباط والجنود الذين نجحوا في المغادرة، وأصروا أن يكون للمهندس الساعدي اللاجئ بالنيجر مهمة قيادة التنظيم، لكونه صاحب الشرعية في تولي مهام القيادة بعد استشهاد والده وأسر شقيقه، ويرى هذا الفريق أن التنظيم ينبغي أن يتمحور خلف مفهوم المقاومة المسلحة، أما الفريق الثاني وكنت منه يرى أن الظروف جد مختلفة وأن أي عمل لاستعادة الوطن وتحريره من النفوذ الأجنبي وسلطة التنظيمات الإرهابية ينبغي أن يكون سياسيًا بالدرجة الأولى، وأن يتأسس جسم سياسي ينطلق من مشروع ثورة الفاتح لكن برؤية وآليات جديدة، كان الجدل حاداً في كثير الأحيان، توليت مع الدكتور محمد جبريل، والدكتور رمضان البريكي، والدكتور موسى إبراهيم، والأخ عبدالله المقري إعداد وثائق التنظيم ورؤيته وبرنامج عمله، وبعد نقاشات عبر "السكايبي" تواصلت عدة أسابيع، نجحنا في صياغة الأدبيات المطلوبة، صاغها الدكتور رمضان بخط يده، وتم الاتفاق على أن نعلن ولادة التنظيم قبل الذكرى الأولى لأحداث فبراير، ولهذا الغرض اتفق على الاجتماع بالجزائر بمن حضر وإعلان التنظيم، نقل الدكتور رمضان البريكي، والأخ بلعيد المشري، وناصر سعيد البيان والأهداف والشكل التنظيمي المقترح إلى الجزائر.

كان الهدف الأساس من الإسراع في إعلان تنظيم يضم قيادات وأنصار ثورة الفاتح هو الخوف من تكرار حالة الاجتثاث التي نفذت بالعراق ضد حزب البعث العربي الاشتراكي، لذلك كان علينا تكوين إطار تنظيمي يسمح بتواجد فعال لأنصار ثورة الفاتح على الساحة، وثانيًا كان الغرض إرسال رسالة بأن ثورة الفاتح لم تسقط، وأن ما حصل هو عدوان أجنبي تمامًا كما حدث في العراق، وأن الأسرى والمعتقلين لدى المليشيات هم سجناء سياسيون، ولذلك اتفق على وضع أسمائهم في قيادة التنظيم.

حصل نقاش معمق، وعصف ذهني مكثف بين أربعتنا على الاسم الذي ينبغي أن يعكس هوية التنظيم، وتم الاتفاق على اسم "الحركة الوطنية الشعبية"، فهي حركة واسعة تضم طيفًا كبيرًا من الليبيين وهي وطنية في أهدافها وتكوينها فلا تمثل قبيلة أو جهة بل إن أعضاءها من كل ليبيا، وهي شعبية لتعكس ولو رمزيًا المشروع الجماهيري الذي يشكل المحتوى الفكري لها.

ثم كتبت المبادئ الرئيسة بعناية وبتدقيق، وكذلك صيغة الأهداف وآليات العمل، نقل الدكتور رمضان البريكي، والأخ ناصر سعيد، والأخ بلعيد المشري التصور إلى الجزائر فاعتمد، واتفق على تشكيل أمانة عامة ولجنة تنفيذية، وكلف الدكتور محمد القشاط أمينًا عامًا، واتفقنا على أن يتولى أمانة اللجنة التنفيذية أحد الإخوة المعتقلين، واقترح الأستاذ أبوزيد دوردة، لكن البعض تحفظ بسبب المخاطر التي

قد تلحق بالمعتقلين، فتقرر ترك موقع أمين اللجنة التنفيذية شاغرًا، واختير السيد علي كنه مسؤولاً عن الجانب العسكري وكلفت مسؤولًا عن الجانب السياسي، وكلف الدكتور موسى إبراهيم مسؤولًا عن الجانب الإعلامي، وبقية الإخوة في مواقع العمل المختلفة.

كان الرأي أن تتشكل قيادة الحركة من السجناء الكبار ليكونوا الهيئة العليا لها، وأن يتولى أحدهم أمانة اللجنة لما لها من صلاحيات واسعة، وتم اقتراح فريق من السجناء ضم كلًا من الإخوة: أبوزيد دورده، محمد الزوي، والدكتور سيف الإسلام، محمد أحمد الشريف، محمد المدني الشويرف، عبدالمجيد القعود، أحمد إبراهيم، منصور ضو، وعمر اشكال، مصباح العروسي، عبدالله الحجازي، الهادي امبيرش، الهادي مفتاح، عمر تنتوش، ومختار القناص، وبشير احميد، والمهدي العربي.

وقتها لم يكن الدكتور البغدادي، والأخ عبدالله السنوسي، والأخ ميلاد دامان قد سلما للجلادين في طرابلس.

كلف الحاج عبد السلام مهاجر، والدكتور رمضان البريكي بالسفر إلى مصر لشرح التنظيم لإخوة بها، وسافر الأخ معاوية الصويعي إلى تونس للقاء الإخوة بها.

في مصر دار نقاش مكثف حول التنظيم وآلياته بإشراف الدكتور محمد العرفي شارك فيه بفاعلية الأستاذ أحمد أبوخريص، والأستاذ عمر الحامدي، والدكتور محمد أبوعجيلة، والمهندس عمران أبوكراع، وقرين صالح، والأخ عمر أبوشريده، والأخ سعيد رشوان،

والأخ عبدالحميد بيزان، والأخ محمد خويلد، والأخ إبراهيم عبدالسلام، والأخ ميلاد الفقهي، والأخ مفتاح أبوستة، والأخ مفتاح كعيبة، والأخ عمر النفيشي، والأخ أحمد نفذ، والأخ عادل دوردة والأخ مبروك سحبان، والأخ عمر الصيد، والأخ محمد الأسمر البوزيدي، وفراس عبدالله الحجازي، وصالح أبوخريص، والمهندس المرحوم الصقر مختار، وكان الإخوة على قناعة تامة بالتنظيم، في تونس التحق بالتنظيم الإخوة عبدالله المقري، خليفة النمري، الدكتور سالم الزبيدي، الأخ إبراهيم عجال، عمر الحمودي الصغير الزائدي، ومحمد المصباحي، الحبيب ضو، عريبي أبوراس، إبراهيم صكح، أبوعجيلة الافيرك، محمد أبوالنيران، أحمد شرتيل، الدكتور عمران مفتاح، ونيس الشاوش، الزروق عبداللطيف، خليفة مصباح، علي إبراهيم القذافي، عبدالسلام بشير، عائشة قويدر، المرحوم منير بوفانة، أحمد فرحات، علي الخضوري، عمران سالم، أبوعجيلة العلاقي، فرج العياط، عبدالرزاق السنوسي، أحمد رمضان أبوقرين، المرحوم الشريف الصويعي، محمد أحمد عبدالرحمن، أبوسيف السنوسي، عصام إبراهيم ابجاد، ونيس ماضي، رمضان شليق، سالم أبوشريدة، جمال العمامي، حسين اطبيقة، الدكتور عبدالكريم العجمي، علي زكري، مفتاح كعيبة، جمال الهروال، فاضل زيتون، عبدالفتاح الشريف، صالح اشتيوي، خليفة الأبيض، وآخرون .

ونظراً لصعوبة اللقاءات وتباعد المسافات كان التواصل عبر "السكايبي" فالتحق بالتنظيم فورًا الدكتور قاسم صنبير، والدكتور فؤاد الدوكالي من ماليزيا، عبدالعزيز غنية، وعلي الكاسح، ومصطفى والي، وصلاح الدين بن عامر من بريطانيا، ومحمد زيدان، وجمعة

المودي من الأردن، ومنصور عبد الحفيظ، وصالح الشين من سوريا، ورمضان البحباح من الهند، وعبدالله منصور من النيجر، ويوسف مرغم من أوغندا، وفعلا شهد شهر فبراير 2012 نقاشات مطولة مباشرة وعبر "السكايبي" حول الحركة وأهدافها وآليات عملها، ومجددا انقسم الرأي، أغلبية ترى في الكفاح السياسي عبر آليات منضبطة وسيلة مناسبة، وأقلية تبنت فكرة المقاومة المسلحة بقياد الأخ الساعدي.

تواصلت عدة مرات مع الأخ الساعدي، الذي كان شبه سجين بالنيجر ووسيلة تواصله بالناس هي "السكايبي"، وربما ينقل عنه كلام كثير لم يقله، لكن البعض كان ينقل له معلومات غير واقعية حول الجاهزية للكفاح المسلح، وبعضهم كان يمنيه بقرب العودة إلى طرابلس.

لقاؤه في قناة العربية في شهر فبراير 2012 والذي أعلن فيه قرب سيطرته على البلد، أعاد خلط الأوراق وضاعف شدة القمع، وأثر سلبًا على تواجد المهجرين بالخارج، اتخذت تلك المقابلة ذريعة للضغط على الدول ومنها النيجر وموريتانيا وتونس لتسليم من لجأ إليها من القيادات، واستخدم الأنتربول الدولى لملاحقة القيادات السياسية والعسكرية والأمنية بتهم ملفقة، حتى فاق عدد من صدرت بحقهم بطاقات حمراء من ليبيا عدد المطلوبين من الصين رغم الفارق الصارخ في عدد السكان بين البلدين.

يوم 15 فبراير 2012 صدر عبر وسائل التواصل الاجتماعي البيان الأول ليعلن انطلاق الحركة الوطنية الشعبية تنظيما سياسيا يتبنى الكفاح السياسي السلمي، ولا يسد الطريق أمـــــــام الوسائل الأخرى

للمقاومة، وقدم نفسه كمشروع وطني للكفاح ضد الهيمنة الأجنبية وقمع المليشيات.

لم تكن ولادة سهلة بل كانت عسيرة، فتعرضت الحركة منذ إعلانها إلى حملات التشكيك والتخوين من قوى تدعي ولاءها لعائلة الشهيد معمر القذافي، واعتبر أعضاء الحركة ومؤسسوها منشقين عن عائلة معمر القذافي، لكن القرار في قيادة الحركة كان عدم الانجرار خلف تلك الحملة وعدم الرد عليها، وربما لم يكن قرارًا صائبًا.

كانت الذكرى الأولى لأحداث فبراير، نكبة في حد ذاتها فقد أعيد تكرار مشاهد الاعتقالات على الهوية والتنكيل بالشرفاء بقدر أشد قسوة منه في عام 2011، دفع ذلك عديد الإخوة إلى الاختفاء مجددًا وظهرت ثانية صعوبة بالغة في التواصل مع الإخوة، وصعوبة أشد في وضع برنامج تنفيذي لمشروع الحركة الوطنية.

في شهر مايو 2012 اتصل إخوة من المخابرات المصرية يطلبون المشاركة في حوار من أجل المصالحة الوطنية مع وفد من المجلس الانتقالي يترأسه علي الصلابي، بعد جدل ونقاش اتفقنا أن يذهب مندوبون عن الحركة إلى المصريين لكن لا يفاوضون الصلابي الذي يعرف السبيل إلى المصالحة الوطنية فهم من يمتلك السلطة ويمكنهم اتخاذ إجراءات عملية تمهد للمصالحة، كلف الإخوة محمد جبريل العرفي، والمهندس عمران أبوكراع، وعلي الكيلاني، وعبد الحميد بيزان، للمشاركة في الحوار باسم الحركة، وحضر أيضًا بطلب من المصريين أحمد قذاف الدم، وعلي الأحول، رفض مندبو الحركة

الوطنية الشعبية مقابلة الصلابي، وقرروا الانسحاب رغم احتجاجات الإخوة بالمخابرات المصرية، واستمر أحمد قذاف الدم، وعلي الأحول، وعبدالحميد بيزان، بعد نقاش مطول توصلوا إلى ورقة حول المصالحة الوطنية، ما أن رجع الصلابي إلى طرابلس حتى انسل منها ووصفها أنها طلبات من أحمد قذاف الدم ولم يتفق عليها!

ذلك الاجتماع نبهنا إلى أهمية صياغة وجهة نظرنا حول المصالحة الوطنية، وفعلا كلفت مجموعة تكونت من الأستاذ عمر الحامدي، ومحمد جبريل، ومحمد خويلد، والدكتور رمضان البريكي بإعداد مسودة حول الموضوع طرحت للنقاش، ملخصها أن المصالحة الوطنية تفترض إجراءات بناء الثقة من خلال الإفراج الفوري وغير المشروط عن الأسرى، وإظهار قبور الشهداء وتبيان وضع المفقودين، وإلغاء القوانين الإقصائية، وبعدها إجراءات رد المظالم وجبر الأضرار، ثم الولوج إلى العدالة التصالحية من خلال الاعتراف والإعتذار وتطبيق العفو عن الحق العام وأعمال القانون فيما يتعلق بالحق الخاص، ولقد صيغت رؤية مفصلة طبعت لاحقا في مجلد.

في شهر يوليو أجريت الانتخابات في ظل قانون العزل، شابتها عمليات تزوير مفضوحة من خلال تدخل المليشيات العلني بها، ومع ذلك حصد تحالف القوى الوطنية الذي شكله محمود جبريل أغلبية المقاعد وفقد التيار الإسلامي قوته الظاهرة في الشارع، في مشهد مخزٍ حضر أمير قطر تميم إلى طرابلس ونصب المقريف رئيسا للمؤتمر، وبعد شد ورد اختير علي زيدان لرئاسة الحكومة، لكن الإخوان استخدموا الخطة (ب) على ما يبدو فكانوا قد دسوا في قانون

الانتخابات مادة تنص على أنهم في حالة شغور مقعد من مقاعد المؤتمر فإن المترشح الذي حصل على الترتيب الثاني يصبح تلقائيا نائبا بالمقعد الشاغر، وهكذا أرغم أعضاء المؤتمر من غير الإسلاميين على الاستقالة، وحل محلهم المترشحون من التيارات الإسلامية الذين لم تنتخبهم الجماهير وتحول الإسلاميون من إقلية إلى أغلبية ساحقة بالمؤتمر الوطني في غضون أقل من شهر وبحكم القانون.

كانت حملات محمومة شنت لملاحقة القيادات السياسية والأمنية التي هاجرت من طغيان المليشيات، ورصدت مبالغ طائلة في سبيل ذلك، وفعلا تم تسليم المناضلين البغدادي المحمودي وعبدالله السنوسي، وتم خطف المناضل ميلاد دامان، وفي 2013 تم خطف المناضل علي ماريا والمواطن امحمد إبراهيم.

تأسيس عبر الفضاء

اقترح الدكتور رمضان البريكي فتح غرفة "بالتوك" للحوار المباشر بين الإخوة، وفعلا تم ذلك وكلف الأخ صلاح الدين بن عامر بفتحها وإدارتها، وتم دعوة أغلب الإخوة للمشاركة فيها، الدكتور محمد جبريل مغرم بالأرقام المتميزة، اقترح أن نعقد اجتماعا في غرفة "البالتوك" بتاريخ 2012/12/12 وفعلا دعي الأعضاء الذين يمتلكون أجهزة حاسوب للقاء عبر الغرفة واستمرت الاجتماعات عدة أيام طرح فيها بشكل موسع رؤية الحركة والبيان التأسيسي، لم يخلو الأمر من بعض المناقشات الحادة خاصة فيما يتعلق بموضوع الشرعية حسب فهم البعض لها.

أعتقد أن تلك اللقاءات ساهمت في تعميق أهمية بناء تنظيم سياسي يقود الكفاح الوطني لاستعادة الدولة الوطنية، لكنه لم يخلق تواصلًا تنظيميًا حقيقيًا بين القيادات، فالعمل في العالم الافتراضي يختلف عنه في الواقع، والظرف الصعب الذي انطلقت فيه الحركة للعمل يجعل من وضع ضوابط تنظيمية محكمة أمر غاية في الصعوبة.

لقد ولد تنظيم بعقول وطنية، وبدون إمكانات مادية، وفي ظل ملاحقات قمعية شرسة ربما لا مثيل لها في التاريخ، ودون دولة حاضنة أو داعمة، وفي وجود أعداد من السطحيين والبسطاء الذين يتوهمون سهولة الكفاح من أجل استعادة أوطان ضاعت فيطرحون برامج غير عملية ويرفعون شعارات طوباوية خيالية، ويمارسون مزايدات كلامية تضليلية، ويمنحون فرصًا كبيرة للخصوم والأعداء لوأد أي عمل جدي.

كان علينا السير بهدوء وببطء في هذه الأجواء الملغمة والصعبة، الأخ الطيب رفيق الهجرة لم يتحمس للعمل لذلك كان عليّ في المهجر مناجاة نفسي في كثير من الأحيان، أو النقاش مع الأخ محمد الذي كان يزورنا في محل الإقامة بين الحين والآخر.

في شهر يوليو 2013 بعد ثورة الشعب المصري في 30 يونيو العظيمة عدت للجزائر وكان المهندس عمران أبوكراع، والأخ ناصر المبروك قد هاجرا إليها بعد اشتداد متابعة نظام الإخوان للقيادات الوطنية في مصر وبدء حملات التسليم للمليشيات.

في الجزائر كانت فرصة للنقاش مع المهندس عمران في ضرورات وآليات تطوير الحركة تنظيميا، وعندما عاد إلى القاهرة في

نهاية يوليو بدأ في لقاءات موسعة مع الإخوة في القاهرة حول الموضوع وتشكل فريق منه والأخ سعيد رشوان، والأخ رمضان البريكي، وميلاد الفقهي، وبلعيد المشري، وناصر سعيد، والدكتور محمد جبريل، وأحمد أبوخريص، وفعلا خلصوا لوضع مقترحات عملية والتفكير في عقد اجتماع رسمي للحركة يحضره الأعضاء في مصر.

في الأثناء تواصلت مع الأخ محمد بشير وهو عنصر وطني مثقف وهادئ، ولقد ساهم في إعادة صياغة رؤية الحركة ودعم تأسيس مقر لها بشارع سوريا تولى أسعد زهيو، ومحمد الأسمر إدارته، وتم التفكير في البحث عن تمويلات لإطلاق فضائية النداء وشرع في جمع التبرعات لذلك، لكنه لم يتم تدبير المبلغ المطلوب.

حوار مع من لا حوار معهم

في شهر أغسطس 2013 كان الدكتور صالح إبراهيم المتواجد في بريطانيا قد تم التواصل معه من قبل على الصلابي وطلب منه فتح حوار مع أنصار النظام، وفعلا تواصل معنا، وبعد نقاش مع الإخوة في القاهرة اتفقنا على الرد عليه برسالة، نصها أننا نقبل الحوار مع أية جهة من أجل الوصول إلى حل للأزمة الليبية وتحقيق المصالحة الوطنية، لكن لابد من إجراءات عملية لإثبات حسن النية، يعقبها لقاء بين الفريقين، ومن أهم إجراءات حسن النوايا، الإفراج الفوري غير المشروط على المعتقلين جميعا دون استثناء، وتبيان قبور الشهداء

القادة، وإلغاء القوانين الإقصائية، والعفو عن الحق العام وتاجيل المطالبة بالحقوق الخاصة إلى حين قيام جهاز قضائي بعد بناء الدولة.

أرسل الرد إلى الصلابي وجماعته فردوا بقولهم إن الحوار يجب أن يبدأ بدون شرط، فكان ردنا عليهم هذه ليست شروط لكنها فقط لإطلاق الحوار ولقد عملتم وفقها عندما قمتم بما أسميتموه المصالحة الوطنية والمراجعة مع الدكتور سيف الإسلام.

أحد المشبوهين المروجين لفكرة شرعية العائلة نفاقا كان على تواصل معنا عن طريق المهندس عمران أبوكراع، تحصل على صورة من رسالتنا للصلابي فقام بنشرها على صفحات التواصل الاجتماعي ضنا منه أنه قد يسيء لنا ولغبائه الشديد لم يكن يدرك أنه يتبرع بنقل موقفنا للرأي العام وما كنا بفاعلين.

استمرت محاولات بعض القوى المسيطرة في فتح جسور تواصل معنا خوفًا من تطور عملنا التنظيمي بما يهدد وجودهم، وكانت تلك الاتصالات قد تكررت من جماعة الزنتان خاصة الخط المدني والقوى غير المؤدلجة، ومن أهمهم إبراهيم المدني، وعثمان مليقطه وكانت تربطهم بالإخوة في حي الأندلس بعض العلاقـــــات، وفعلًا تطورت تلك التواصلات إلى درجة معقولة من التفاهم، كما حصلت تواصلات مع بعض الإخوة في الجيش من المنطقة الشرقية خاصة المرحوم صلاح أبوحليقة.

في نفس الوقت كانت قوة وطنية تعمل في الداخل على إطلاق مقاومة مسلحة، وحسب علمي فإن أول من أطلق شرارة العمل المسلح مع بداية 2012 العقيد مسعود الضاوي، وخالد بوعميد في ورشفانة،

وكذلك خالد الكريد وزملائه في سوق الأحد بترهونة، وفتحي الفهري ورفاقه من العجيلات، ومحمد بن نائل، ورضوان طبيقة ومبروك حنيش ورفاقهم في الشاطئ، هذا لا يلغي إمكانية قيام آخرين بنفس العمل، يبدو أن تواصلًا متسرعًا من هذه المجموعة بالأخ الساعدي في النيجر ساهم في كشفهم وشن حملات دموية وقاسية ضدهم فمنهم من قضي عليه ومنهم من صمد إلى الآن.

لاشك كان العمل المسلح يزعج السلطات الهشة وركزت كل قدراتها المالية والبشرية لمواجهته، وكانوا في كثير من الأحيان يدسون عناصر للقيام بأعمال تنسب للمقاومة بقصد تشديد القبضة الأمنية وزيادة شدة التنكيل بالشرفاء.

وللتاريخ لم أكن وباقي الإخوة في الحركة الوطنية متحمسين للعمل العسكري رغم بريقه وسهولته في الواقع، فالعمل المسلح أسهل تخطيطًا وتنفيذًا من العمل السياسي القاعدي لكن نتائجه قد تكون كارثية، لذلك ربما رأت فينا تلك القوى المسيطرة على ليبيا شريكا محتملا للحوار.

تواصلت معنا منظمة كاثوليكية تتبع البابا معنية بالسلام تسمى "سانجيدو" واقترحوا تنظيم حوار في روما مع قيادات من فبراير، كان شرطنا أننا لا نجلس مع الإخوان وجبهة الإنقاذ، فوافقوا وتم ترتيب لقاء حضره منا الدكتور محمد جبريل، والأخ سالم أبوشريدة، والأخ أحمد أبوخريص، والأخ علي زكري، والأخ سليمان الشحومي وحضره منهم مجموعة من قادة الكتائب منهم إبراهيم المدني ومجموعة من مصراته، دار الحوار في مقر وزارة الخارجية الإيطالية

وترأسه وكيل وزارة الخارجية الإيطالية وكان لقاءا مثمرًا ومفيدًا أتصور أنه ساهم لاحقا في فتح قنوات اتصال مهمة مع مجموعة من قيادات فبراير.

كنا ندرك أن فبراير ليست واحدة وأن الإخوان والمقاتلة وجبهة الإنقاذ تمكنت من تجيير أحداثها لمصالحها السياسية والشخصية لذلك كنا نرى في الحوار وسيلة مناسبة للبحث في شريك وطني يمكن التفاعل معه.

بعد ذلك دعت وزير الصحة السابقة فاطمة الحمروش إلى حوارفي مالطا دعينا إليه واشترك وفد منا ضم الأستاذ سليمان الشحومي، والأستاذ سعيد رشوان، والمستشار أحمد أبوخريص، وعبدالله المقري، وعلي زكري، وعلي عبدالكريم، وحضره بعض من قادة المليشيات بمصراتة، إضافة لأعضاء من المؤتمر الوطني منهم: عبد المنعم اليسير، ومحمد دوما، والتواتي العيضة وآخرين، كان لقاءً وديًا وتبينت حقيقة أن كثير ممن ذهبوا في المؤامرة أصبحوا يدركون طبيعتها الآن وهم جاهزون للانخراط في المشروع الوطني.

المؤتمر العام الأول

شكلت ثورة 30 يونيو في مصر تحولاً مهما في المنطقة، وأطلقت شرارة الهجوم المضاد على مؤامرة الربيع العربي، إسقاط نظام الإخوان المسلمين في مصر كان الخطوة الأولى في إعادة بناء مؤسسات وطنية مدنية، وفتحت أبواب الأمل أمام القوى الوطنية في الدول العربية التي ضربت من الربيع العربي.

بالنسبة لنا في الحركة الوطنية الشعبية الليبية، تنفسنا الصعداء وانطلقنا في مسيرة العمل العلني المباشر، في شهر سبتمبر 2013 تمكنت من دخول مصر للمرة الثانية وبدأنا التواصل مع الإخوة واتجه الرأي إلى عقد مؤتمر عام للحركة من الإخوة المتواجدين بالقاهرة.

قمنا بجهد كبير لتثبيت عضوية الحركة، وعقدت حلقات نقاشية استمرت طيلة النصف الثاني من 2013، في بداية عام 2014 شكلنا لجنة للإعداد للمؤتمر العام، من كل من الدكتور محمد العرفي، الأخ إبراهيم عبدالسلام، الأخ أحمد أبوخريص، الأخ بلعيد المشري، الأخ ميلاد الفقهي، والأخ ناصر سعيد، والأخ أسعد زهيو، كونت فريقًا لتحديد من يسمح له بالمشاركة في المؤتمر العام برئاسة الأخ ميلاد الفقهي، وخلصت إلى عدم استهداف كل من انشق في 2011 حتى لو أظهروا تغيرا في مواقفهم، وتشكل فريق برئاسة عمران أبوكراع ومحمد جبريل لوضع مشروع للهيكل التنظيمي للحركة، وتشكل فريق برئاستي لإعادة تقييم الرؤية في ظل المتغيرات، بعد الانتهاء من إعداد الهيكل وتحديد المستهدفين تقرر عقد مؤتمر الحركة في شكل تجمعات،

واتفق على 6 تجمعات في القاهرة، وتجمع بالإسكندرية، وتجمعين في تونس، تم عرض المقترحات للمناقشة والتطوير، استمر انعقاد التجمعات إلى نهاية شهر يوليو، وتم تجميع نتائج المناقشات عند اللجنة التحضرية، واتفق على الدعوة إلى المؤتمر العام في شهر نوفمبر 2014.

تم تحديد مكان الاجتماع، واقترح الأخ ميلاد الفقهي أن يتوافق عقد المؤتمر مع مأدبة الغذاء التي سيقيمها بمناسبة زفاف ابنه معتز.

تم اختيار صالة بمدينة الرحاب والتأم المؤتمر بإجراءات تنظيمية منضبطة إلا أن مجموعة من الشباب غير مسجلين بالحركة حضرت وحاولت القيام بضجة فاقترحت السماح لهم بدخول القاعة.

كان الجو متوترا بعض الشيء، حيث أن بعض الشباب غاضبين من أمين الحركة الدكتور محمد سعيد القشاط نتيجة تعبئة خاطئة تقوم على أنه معادٍ لعائلة الشهيد معمر القذافي، وهو ادعاء باطل، كان سياق الاجتماع الذي أداره الدكتور محمد جبريل أن نقدم ملخصات نتائج المناقشات في اللقاءات المصغرة، ثم نعرض مشروع الهيكل التنظيمي، ونتلو البيان الختامي الذي أعده الدكتور موسى إبراهيم وحظى بالموافقة.

وكان الهيكل التنظيمي الساري يقوم على وجود أمانة قيادية ولجنة تنفيذية وهيئة عليا تتكون من الإخوة المعتقلين لدى المليشيات، وهم الدكتور سيف الإسلام، والأستاذ أبوزيد دوردة، والأستاذ محمد الزوي، والدكتور محمد الشريف، والأخ عبدالله السنوسي، والمهندس

عبد المجيد القعود، والأخ مختار القناص، والأخ أحمد إبراهيم، والأخ منصور ضو، والأخ عبدالله منصور، والأخ بشير محمد سعد، والأخ ميلاد الفقهي، والشيخ محمد المدني الشويرف.

تعرض بعض الشباب بالكلام للأخ محمد القشاط مما اضطر أسعد زهيو لمغادرة القاعة، وفشلت محاولتي في إقناعه بالعدول عن ذلك.

في ذلك الوقت لم أتبين حجم التدخل الإخواني لإفشال تأسيس تنظيم وطني لقوة ثورة الفاتح، التي وجدت في أحقية عائلة معمر القذافي في القيادة وترا مناسبا جدًا للعزف عليه، وللأمانة لم أدرك خلفيات ظهور فكرة أن القائد رحمه الله حي يرزق ومن قتل شبيه له، حيث كنا نستهزئي بتلك الأطروحات ونحملها للحالة النفسية التي أصابت البعض.

كنت أتصور أن حماسة الشباب للمشروع الأخضر هو ما يدفعهم إلى الحدية والتطرف، لذلك كنت أجاملهم من موقف مقدر وليس منتقد، بالرغم أن سهام شتائمهم وصلت إليَّ بشكل مباشر، لكني بمرور الوقت وبالتمعن في المواقف ودراسة مطلقيها تيقنت أن ما يجري هو جزء متمم للمؤامرة التي بدأ تنفيذها في 2011، والتي استهدفت ثورة الفاتح كمشروع وطني قومي تحرري، وقيادتها كرمزية تاريخية تحظى باحترام الليبيين وكثير من شعوب الأرض رغم حملات التشويه والتزوير.

السبب الذي يمكنني أن أسوقه الآن ضمن أسباب أخرى ودلائل يقينية لدي لا يسمح الظرف بنبشها، هو أن المشكلة لا تكمن أن يعود الخضر أو لا في ذلك الوقت المبكر بعد النكبة كان القرار والتنفيذ العزل التام والإلغاء الكامل لكل من له صلة بثورة الفاتح، والعمل على

إجتثاث كل ما تمثله، من ليبيا ومن عقول الليبيين وصدرت في سبيل ذلك قوانين إقصائية لا مثيل لها إلا قوانين المنتصرين في الحرب العالمية الثانية ضد النازية، فمن قانون الحراسة والعزل إلى قانون تجريم تمجيد الطاغية!.

وأن الصراع الذي تخوضه الحركة الوطنية الشعبية في ليبيا ليس حول من يقود أو من يحكم، بل في كيفية إخراج الوطن مما وضع فيه، ومقاومة التشوية المتعمد لفترة ناصعة البياض من تاريخ ليبيا، ذلك لا يمكن أن ينتج خلافا بين من يقود، وأن أي خلاف حول ذلك ينبغي أن نبحث عن أسبابه.

الهدف البين هو عدم السماح بإعادة بناء خط موحد لقوى ثورة الفاتح حتي لا تستطيع أن تتصدر قيادة الجماهير لمقاومة المؤامرة وكسرها، وهذا الهدف بالنتيجة يخدم فقط جماعة الإخوان التي قادت المؤامرة وتشكلت الدولة الناتجة عنها.

وهنا لا أتهم كل من رفع تلك الشعارات بموالاة الإخوان فهذا تعسف أنزه نفسي عنه، لكن بعض المتأمرين نجحوا بخطاب مدسوس بعناية من التغرير بالبعض ليقودوهم في هذا المسار، وهذا ليس بغريب فهو الآلية لما تم تنفيذه في ليبيا، رفعت شعارات مطلبية استقطبت بعض السذج والمغفلين وجروا الشعب خلفهم والنتيجة يحصدونها جميعا، لا أحد يشكك أن الوضع الحياتي لليبيين عام 2010 أفضل بعشرات المرات من وضعهم المعيشي في 2020، تماما بعض الذين يقبلون أن يسموا أنفسهم بسطاء انجروا دون وعي خلف الدعاية الإخوانية التي نجحت للأسف في التقليل من الاندفاع القوى للحركة

الوطنية الشعبية الليبية، وعرقلوا كثيرا من برامجها، فكان لزاما علينا التعامل مع بعض من يدعون أنهم خضر مما استنزف وقتا وجهودا كان يمكن أن تسخر لاستنهاض الشعب وتحرير الوطن.

بعد تأزم الحالة الفبرايرية نتيجة عدم وجود أهداف محددة لما وقع في 17 فبراير 2011 باستثناء إسقاط الدولة، حاولت المجموعات ذات التوجه المدني منهم الاتصال عبر قنوات متعددة مع الحركة الوطنية.

اللقاء الأول كان مع عدد من قادة مليشيات الزنتان منهم إبراهيم المدني الذي تواصل عن طريق الأخ بشير صالح، ونتج عن الاتصال التنسيق مع مركز سانجيدو لحوار في إيطاليا ضم مجموعة من قادة مليشيات مصراتة والمدني وعبد المجيد الميت عن بعض القياديين في طرابلس، مثلنا في اللقاء الدكتور محمد جبريل، والأخ سليمان الشحومي، والأخ أحمد أبوخريص، والأخ علي زكري، والأخ سالم أبوشريدة، كان الطليان يبحثون عن دور أكبر في ليبيا لكن تشبث وفد الحركة بالثوابت الوطنية لم يحقق لهم متطلباتهم على ما يبدو فلم تستمر اللقاءات.

ثم عقد لقاء مالطا الذي خططت له الدكتورة فاطمة الحمروش وزيرة الصحة السابقة، وحضره أيضًا عدد من كتائب مصراته وبعض أعضاء المؤتمر الوطني ذوو التوجه المعارض لهيمنة الإخوان منهم التواتي العيضة، وعبدالمنعم اليسير، ومحمد دوما، وشارك عن الحركة الأستاذ سليمان الشحومي، وعبدالله المقري وسعيد رشوان،

وأحمد أبوخريص، وعلي زكري، ونجح اللقاء في إيجاد قاسم مشترك بين أنصار ثورة الفاتح والجناح المدني المغرر به في فبراير.

***

المحطة الثلاثون
معركة استعادة الدولة

اللقاء مع قيادة الجيش

تضمنت رؤية الحركة الوطنية الشعبية للحل في ليبيا أهمية التركيز على بسط الأمن، وإلغاء التغول المليشياوي الذي تحكم في مفاصل الدولة، وقدمت خارطة طريق بنيت على أساس عودة المؤسسات العسكرية والأمنية للعمل، وتحملها مسؤولية ضبط الأوضاع.

في أكتوبر 2013 زار اللواء خليفة حفتر الجزائر للبحث عن دعم لمشروعه الوطني، اتصل بي الدكتور محمد القشاط وأبلغني أن اللواء حفتر يرغب في مقابلة أحد منا، تواصلت مع الإخوة في قيادة الحركة واستقر الرأي على التواصل معه، وفعلًا عقدت اجتماعات بينه وبين الدكتور محمد القشاط، حضرها الدكتور محمد المدني الذي كان مرافقًا للواء في زيارته، وقدم رؤيته للعمل، وأبلغه الدكتور محمد القشاط دعمنا له، كان اللواء حفتر واضحًا في عدائه للمليشيات وللتيارات الدينية المسيطرة، ورغبته في إحداث مصالحة وطنية جدية، وإلغاء القوانين الاقصائية.

في يناير 2014 أعلن اللواء حفتر بيانًا عبر قناة العربية عن تحرك عسكري، لم يحدث لخذلان بعض ممن وعدوه من المليشيات، وصدرت أوامر بالقبض عليه، لكنه تمكن من المغادرة إلى بنغازي.

في بنغازي كان الحراك الشعبي يتصاعد ضد المليشيات والتنظيمات الإرهابية، خاصة بعد عمليات الاغتيال الواسعة التي استهدفت الضباط العسكريين والأمنيين، والنخب السياسية والإعلامية، فوجد اللواء حفتر مناخًا مناسبًا للعمل، وشرع في إعادة بناء وحدات عسكرية، خاضت منذ بداية تكوينها حربًا مسلحة على المليشيات والتنظيمات الإرهابية.

في نهاية شهر ديسمبر 2015 زار الدكتور إبراهيم أبوخزام المنطقة الشرقية لترتيب جوازات سفره، والتقى بالفريق وقتها خليفة حفتر، وأجرى حوارات مطولة حول الأوضاع، نتج عنها توافق في الروئ بينهما، وطلب الفريق حفتر إمكانية إعادة التواصل مع أنصار النظام السابق.

في شهر يناير 2016 بعد عودة الدكتور إبراهيم أبوخزام التقى بنا في الحركة الوطنية، وطرح الفكرة فلقيت قبولًا، وتم دعوة الإخوة المتواجدين بالقاهرة إلى لقاء موسع بمقر الحركة الوطنية لإتخاذ القرار المناسب.

عقدت الاجتماعات على مدى ثلاثة أسابيع، خلصت للموافقة بالتواصل، ودعم جهود الفريق حفتر والجيش في محاربة الإرهاب، وإعادة بناء الدولة.

وتشكل فريق سياسي لوضع تصور لزيارة وفد إلى الرجمة، وفريق عسكري من كل القيادات العسكرية بالمهجر، واتفق على تشكيل وفد من المدنيين والعسكريين لمقابلة الفريق، وتحدد الوفد من الدكتور إبراهيم أبوخزام، والدكتور مصطفى الزائدي، والمهندس عمران أبوكراع، وعبدالسلام حمودة، وسعيد رشوان، ومصطفى الدرسي، والدكتور محمد جبريل العرفي، وقرين صالح، وتشكل الوفد العسكري من سالم النداب، ومبروك سحبان، ومحمد ميلود.

لم يسمح للأخ قرين بالسفر لوجود قيود من مجلس الأمن على تحركه، ولم يتمكن محمد ميلود من الحضور لسفره براً وتعطله بالحدود.

في بداية مارس 2016 تمت زيارة الوفد إلى المرج، وحظى باستقبال رائع، وأجرى حوار معمق مع الفريق خليفة حفتر واللواء عبدالرزاق الناظوري، واللواء صقر الجروشي، واللواء عون الفرجاني، ونتج عن الزيارة إتفاق تام في تقييم معطيات المرحلة وآليات العمل الوطني، والدعم الكامل لبناء مؤسسة عسكرية قوية قادرة على مواجهة التحديات.

والأهم نتج عنها تفاهم حول طبيعة المعركة التي هي بين الشعب الليبي وقواه الوطنية وبين القوى الأجنبية وأدواتها من التنظيمات المتسترة بالدين.

حوار مع قيادات من مصراته

في شهر يوليو 2015 زار المرحوم حسن شابه القاهرة واتصل بالأخ الطيب الصافي، وأبلغه إنه يرغب في التواصل معنا، تم التنسيق لعقد لقاء في بيت المرحوم ناصر المبروك الرياني، حضره العبد الفقير لله، والمهندس عمران أبوكراع، والطيب الصافي، كان اللقاء في شهر رمضان.

كان اللقاء أخويًا، وأبلغنا المرحوم حسن إن تيار مدني يتبلور في مصراتة لابد من الأخذ بيده ودعمه وتشجيعه، بالتأكيد أي لقاء أولي لابد أن تنقل فيه وجهات النظر المهمة، ومن أهمها السؤال ماذا يستطيعون أن يقدموا ليقبلوا ضمن نسيج الوطن وخطه الوطني؟، وكان الحديث يتركز على الإفراج عن الأسرى، ومعرفة قبور الشهداء، وإلغاء القوانين الإقصاية، بالتأكيد كنا ندرك أن ذلك ليس بيد التيار المدني رغم نواياه الحسنة، لكننا وضعناه كأساس لأي تعامل جدي مع مصراتة، وطلبنا من المرحوم حسن ضرورة زيارة الأستاذ مفتاح كعيبة، ومساعدته في معالجة مشاكله المفتعلة في مصراتة.

بعد ذلك اللقاء الأولي بدأت مجموعة لقاءات لتقريب وجهات النظر شارك فيه أبوبكر الهريش، وحسن الأشلم، ومصطفى معيتيق، والتهامي الجطلاوي، وغيرهم، لكن تطور الأحداث في 2019 واندلاع الحرب بين القوات المسلحة والمليشيات حول طرابلس لم يمكن من تحقيق نتائج إيجابية.

حوار الهضبة

في بداية 2016 اتصل أحد الإخوة من السلفيين الذين شاركوا في 17 فبراير بالأخ عبد الفتاح الشريف، واقترح عليه أهمية إقامة حوار بين من يسيطرون على ليبيا وقيادات النظام الجماهيري، وعندما طرح الأمر أجبنا أن قيادات النظام موجودة وهي معتقلة بسجن الهضبة الذي تديره المقاتلة، وإننا نؤيد أي حوار مع الإخوة المعتقلين، ونقبل أي نتائج يتوصلون إليها، عرض الأمر على خالد الشريف وجماعته فوافقوا، عندها بدأنا التفكير الجدي في الآلية المناسبة، عقد لقاء بين المعني والأخ عبدالفتاح في تركيا، واقترحنا عليهم لبدء حوار منتج القيام بالآتي:

أولًا: التخفيف على الإخوة بالسجن.

ثانيًا: الإفراج على مجموعة كبادرة حسن نية.

ثالثًا: تكليف شخصية للتواصل المباشر بيننا وبين الإخوة في السجن.

رابعًا: أن لا يكون الحوار ثنائيًا بل جماعيًا، اتفق أن يكون السيد أحمد نشاد محامي المعتقلين حلقة الوصل بين الإخوة في السجن وبيننا.

وفعلاً قام الأخ أحمد نشاد بزيارة إلى القاهرة، واقترحنا عليه اللقاء بمختلف الفعاليات الوطنية، وقمنا بإعداد خطابات تفويض للإخوة المعتقلين بالحوار، وعند الوصول إلى نتائج تعرض علينا للموافقة النهائية، وفعلاً انطلقت جلسات الحوار، ورفض الأخ أبوزيد دوردة المشاركة فيها، لعدم ثقته فيهم، وأفرج في إطار الاتفاق على الأستاذ

محمد الزوي، والدكتور محمد الشريف، والدكتور عبدالحفيظ الزليتني، والأخ حسني الوحيشي.

لكن قيادة المقاتلة وجدت ذلك غير مناسب نتيجة رفض المفتي للمشروع، فقررت تعليق الحوار، واستعاضت عنه بلقاء ملفق شكلي في الدوحة، كان فقط لإجهاض الحوار برمته.

اتصل بنا عن طريق الوسيط خالد الشريف ليبلغنا بتوقف الحوار، مدعيًا أننا لم نلتزم بالاتفاق، فقناة الخضراء لم تغيير خطابها رغم علمهم أنه لا سلطة لنا على القناة، وهي لأسباب نجهلها، وكثيرًا ما تهاجمنا، أبلغناهم بردنا وملخصه أنه إذا كانوا يتذرعون بخطاب الخضراء فكيف سيقيمون عشرات القنوات التي تتبعهم، والتي يقوم خطابها أساسًا على التهجم على النظام الجماهيري وشخوصه ورموزه، من النبأ إلى التناصح، والأحرار، والوطنية، والرسمية، وسلام، وبانوراما.

لم يمضي وقتًا طويلًا حتى سقطت المقاتلة في طرابلس، وفر قياداتها، ونقل السجناء إلى ما عرف بـ"ثوار طرابلس" الذين أحسنوا معاملتهم إلى قيام الحرب.

رفاق الرحلة

خلال هذه الرحلة الطويلة من الكفاح لبناء دولة وطنية مستقلة ذات سيادة لاشك بوجود إخفاقات مقابل النجاحات ووجود سلبيات مقابل الإيجابيات، لكنها أفرزت عدد مهم من القيادات الوطنية المخلصة في كل المجالات، ولقد جمعتني علاقات نضالية مع كثير من الإخوة الأعزاء الذين ربما لا يتسع المجال لذكرهم، لكني أردت أن أبين بعض النماذج من الشخصيات الوطنية الرائعة الذين اشتغلت معهم في هذه الرحلة الكفاحية تقديراً لجهودهم أولاً وللتاريخ ثانياً.

رحلة الكفاح الأهم بدأت مع المرحلة الثانوية حيث كنت من طلبة الدفعة الأولى في ثانوية باب بن غشير، التي ضمت طلابا من الطبقة المسحوقة من الليبيين من سكان "الكامبوات"، والطبقة الوسطى من مناطق الفلاح، والدريبي، وباب عكارة، وباب بن غشير، والهاني، وسوق الجمعة، والفرناج، وعين زارة، ورأس حسن، وسيدي المصري، وشارع بن عاشور الذي لم يكن بوضعه الحالي، بل كان عبارة عن مزارع لفلاحين، وحيث كان طلبة أبناء الذوات على رأي الإخوة المصريين يتعلمون في مدرسة طرابلس الثانوية.

في المدرسة الثانوية كانت العلاقة القوية مع أخي العزيز الدكتور بلقاسم الباروني، والمهندس محمد عزوز، والأستاذ امحمد الرابطي، والأستاذ محمد عظومه، والأستاذ عمر عبد العزيز أبوغمجة، والدكتور محمد راشد، واللواء الهمالي جلغم، والأستاذ محمد شنبيشه، والمرحوم سعيد السعودي، طبعا انقطعت الاتصالات مع الكثيرين، بينما استمرت وتوطدت علاقة الإخوة مع الدكتور بلقاسم

الباروني، والدكتور محمد راشد، وهما من الشخصيات الليبية التي يعتز المرء بمعرفتها.

في كلية الطب في السنة الإعدادية تكونت علاقة أخرى مع الزملاء من الدفعة الأولى، وللتاريخ فأن طلبة الدفعة كلهم شكلوا عائلة واحدة لايمكن تفضيل أحدهم عن الآخر، وكان لوجودنا في القسم الداخلي بالظهرة في طرابلس خلال سنة الإعداد أو في جليانة وبعدها في سيدي حسين أثناء سنوات الدراسة دورًا كبيرًا في توطد تلك العلاقة، وهنا أستذكر الأخ أحمد راشد، والدكتور حسين قري، والدكتور إبراهيم جرافة، والدكتور عثمان بشير، والدكتورعلي عبيد، والدكتور حسين عياد، والدكتور محمد البوعيشي، والدكتور امحمد ساسي، والدكتور منصور بن عيسى، والدكتور ميلود الأجنف، والدكتور المهدي الجيباني، والدكتور عبد الفتاح الأخضر، والدكتور سليمان أبوسرويل، والدكتور علي المقدمي، والدكتور علي الزواوي، والدكتور علي أحمد شيبه، والدكتور عمران الفيتوري، والدكتور إبراهيم بيت المال، والدكتور عبدالله قليصه، والدكتور عبد العزيز شمبش، والدكتور بشير العلاقي، والدكتور عبدالسلام بيوك، والدكتور فوزي بركة رمضان، والدكتور المبروك مسلم، والدكتور أحمد التير.

أما الدكتور عطية اجعي فلقد تولدت معه علاقة إخوة استمرت إلى الآن، وأصبحنا عائلة واحدة تقريبًا، من الإخوات أذكر الدكتور سعاد الورشفاني، والدكتورة فاطمة دافة، والدكتورة سالمة المغربي.

عملي السياسي مع ثورة الفاتح انطلق مع بداية السبعينيات في لجان التوعية، وفيها تعرفت على الرفاق عمر السوداني، وعبدالله أبوستة، وموسى كوسا.

**

رجال من رجال

هناك بعض الشخصيات التي ارتبطت بها في علاقات نضالية، وأخرى أثرت في التاريخ الليبي إبان النصف الثاني من القرن الماضي، لابد من التوقف عندها وتقديمها بما يليق بها من تقدير، وهذا لا ينقص من قدر الآخرين، ولا يقلل من أهميتهم وآثارهم، كما يجب توضيح سيرة بعض الخونة والعملاء الذين باعوا الوطن وخانوا الأمانة، لكن ما يمكن أن يكتب في كتاب كهذا هو لا شك ندر يسير من سير ذاتية كفاحية مليئة بالمعارك الوطنية والأحداث التاريخية.

محمد المجدوب

الشجاعة والحكمة، والصرامة والتواضع

ولد محمد المجدوب من أسرة فقيرة بمنطقة أبوهادي في سرت، ودرس بمدينة سرت كل مراحل الدراسة تقريبًا بالقسم الداخلي، وكان دائمًا قياديًا بين الطلاب، ويمثل الأخ الأكبر للجميع بما فيهم من كانوا قبله في سنوات الدراسة وأكبر منه عمرًا.

بعد قيام الثورة وبينما كان بالسنة الثانية من التعليم الثانوي التحق بالكلية العسكرية الدفعة 15 التي تدربت بالكلية الحربية بمصر، وتخصص في سلاح المظلات، وعين ضابطًا بالقوات الخاصة "الصاعقة " حديثة التكوين في ليبيا، كان قوي البنية يتحلى بالشجاعة والصدق، عمل في حامية درنة ثم انتقل إلى بنغازي، وفي نهاية السبعينيات التحق بسرية الحماية للقائد، ثم مع تأسيس مكتب الاتصال باللجان الثورية كلف بإدارة مكتب الاتصال باللجان الثورية مساعدًا

لعبدالسلام جلود، وواصل دراسته الجامعية، وتحصل على الليسانس في التاريخ.

عمل بقوة السلام العربية بلبنان، وأصيب نتيجة رمي مباشر، لكنه أسعف وعاد إلى العمل.

في بداية الثمانينيات ظهرت عليه أعراض مرض مناعي مزمن يسمى "السكليروديرما" التي تطور بشكل بطئ حتى وفاته عام 2008.

محمد المجدوب رجل شجاع وكريم وخدوم، به صرامة شديدة وطيبة لا تضاهي، قام بدوره النضالي في مرحلة صعبة من التاريخ الليبي أتسمت بالعدوان الأمريكي المباشر، وحرب الاستنزاف في الصحراء بالجنوب، والتطبيقات الثورية، فكان عليه المؤامة بين الدور الدفاعي المباشر، وبناء القوة القيادية الثورية، ولقد نجح في المساهمة في بناء اللجان الثورية والإشراف عليها وقيادتها في مهامها الداخلية، ورغم التجاوزات الممكنة في حالة المهام الاستثنائية إلا أن المجدوب ومعاونيه تمكنوا من ضبط العمل إلى الدرجة التي يمكنني القول إنه رغم قوة الأعمال الاستثناية التي نفذتها الحركة إلا أن السلبيات المصاحبة كانت محدودة جدًا، بالرغم من محاولات أبواق الدعاية المعادية النفخ فيها، فلقد كان لصرامة المجدوب دورًا كبيرًا في الحد من تلك الآثار، فعلى سبيل المثال إجراءات التحول الاشتراكي وزحف اتحاد المنتجين على المؤسسات الإنتاجية والتجارية، تم بشكل عام وفقًا للقانون، وكانت التجاوزات محدودة جدًا وتتم معالجتها أول بأول، وكان المجدوب على تنسيق وتواصل دائم مع الإخوة في الاتحاد العام للمنتجين للتعامل مع البلاغات التي ترد عن طريق اللجان الثورية.

كذلك الحال عند تطبيق القانون رقم 4 الاشتراكي الذي تملك بموجبه المستأجرون البيوت التي يسكنوها، وقامت الدولة بتعويض أصحابها بالتراضي، فكانت التجاوزات محدودة جدًا كأن يمتلك أحد المحسوبين على الثورة بيت بدون وجه حق.

وفي أول حملة ثورية لمنع الفساد التي نفذت بداية الثمانينيات فيما عرف بالمداهمات، تشكلت بمكتب الاتصال باللجان الثورية غرفة بقيادة محمد المجدوب تولت التعامل مع أية معلومات غرضية وغير حقيقية، لأن الحملة استهدفت فقط المرتشين ومن استولى على أموال أو أملاك بدون وجه حق، وتكرر الأمر عند إعلان حملة التطهير في 1996 بقيادة الملازمين، فتشكلت غرفة أيضًا لضبط العملية، وكان رحمه الله حريصًا أن يتولى رجال النيابة والقضاة التحقق من المعلومات التي ترد.

في العمل السياسي وبصفته منسق مكتب الاتصال الميداني انخرط بجدارة في العمل الخارجي، فترأس الحوار العربي الديمقراطي، ولجان مقاومة التطبيع، وأيضا شارك في الحوار مع حركات الخضر والبديل، وكان على تواصل مباشر مع أهم قادة حركات التحرر العالمي الذين دعمتهم ثورة الفاتح، عندما سرب الإخوان موضوع الثوريت لإحداث شرخ داخل هرم النظام الجماهيري، تبنى رحمه الله معارضة ذلك علنًا، وعمل مع الرفاق المخلصين فكريًا لمقاومة هذا الطرح الذي يخدم فقط أجندات القوى المعادية، ودخل في صراعات علنية مع دعاة الثوريت التي حاولت تقليص دوره والحد من تأثيره، كما أن حالته الصحية التي أخذت في التدهور لم تمكنه من القيام بواجباته التعبوية المعهودة، ونجح الخصوم

في قطع التمويلات عن حركة اللجان الثورية، وحاولوا تهميشها تنفيذًا لمطالب جماعة الإخوان، شكلنا مع الإخوين أحمد إبراهيم، وعبدالقادر البغدادي، فريقًا لتعبئة القوى الثورية ضد أطروحات الثوريت، اطلق عليها دعاته ممن سموا أنفسهم ليبيا الغد "التي تحققت في صورتها التي توقعناها لها في حال ليبيا اليوم" تسمية عصابة الأربعة، وحاولوا التشكيك بها من خلال نشر دعايات وأكاذيب وصفات ملعونة، أهمها تسمية "القطط السمان" رغم معرفتهم بنزاهة أولئك القادة المخلصين، وزهدهم في المال والسلطة، ورغم ما تأكد لاحقا من كون بعض مروجي مشروع ليبيا الغد لم يكونوا سوى شلة من اللصوص المحترفين.

في 2007 اشتد المرض به ونقل إلى جنيف، ذهبت لعيادته هناك، وكان الطبيب المعالج الدكتور "ايرلي" تكونت بيننا صداقة، أوضح أن حالة الرئة سيئة جدًا ومن الصعب تجاوز الحالة، بقيت معه مدة عشرة أيام، حاولنا البحث عن أماكن أخرى لعلاجه دون جدوى، أخيرًا رأى الأخوة نقله إلى برلين، حيث بقي بالمستشفي يتواصل مع زائريه كتابة، وكان المرافق له خليفة الأصفر، في شهر الفاتح 2007 تواصلت معه هاتفياً، كان همه على الوطن وضرورة تأمينه، وفي 14 مارس 2008 انتقل إلى رحمة الله وتقرر دفنه بمدينة سرت.

يوم الوفاة كنت أنا والأخ أحمد إبراهيم بالهضبة الخضراء في طرابلس، بمقر لا أذكر لمن تبعيته، حيث وصلنا الخبر المحزن، كان خبرًا صادمًا فلقد فقدنا رجلًا صلبًا قويًا، وفقدت ليبيا قائداً فذاً، قررنا السفر مباشرة إلى سرت، قبل أن ننطلق في الرحلة اتصـــل بي الأخ بشير محمد سعد وأبلغني أن تعليمات قد صدرت بمنع الذهاب للعزاء في سرت خوفًا من الحوادث!

قراءتي أنا والأخ أحمد كانت مختلفة تمامًا فتلك مكيدة من أنصار ليبيا الغد حتى لا يشارك أعضاء اللجان الثورية في توديع رفيقهم وصديقهم محمد المجدوب، لم نعطي بالاً للتوجيهات وانطلقنا مباشرة إلى سرت، حيث وري الفقيد العظيم محمد المجدوب الثرى، وأبّنه الرفيق أحمد بأبيات خالدات، اللهم أغفر له وأرحمه.

عبد القادر البغدادي

قائد فد، ومثقف مستنير، وسياسي بارع، ورجل حكيم.

ولد عبد القادر البغدادي في منطقة بدر بالصيعان التي تحولت بعد الثورة إلى مدينة، من أسرة فقيرة لكنها عريقة، التحق بالتدريس ليتمكن من إعالة نفسه وأسرته، ولنبوغه وثقافته وقدرته العلمية التحق بكلية التربية.

عبدالقادر البغدادي من القلائل الذين ربطتني بهم علاقة نضالية لا يمكن تصور مداها وتأثيرها في شخصي وفي الواجبات الوطنية التي قمت بها.

تعرفت على الدكتور عبدالقادر بينما كان طالبًا بالسنة الأولى بكلية التربية، فلقد كان معلمًا ثم تمكن من الحصول على تفرغ للدراسة بالجامعة، وللأمانة كان مع الدكتور المهدي امبيرش، والدكتور مختار ديرة من النماذج المشرقة للمعلمين الذين نجحوا نجاحًا باهرًا بعد التحاقهم بالدراسة الجامعية.

كنا ننشط في رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكنا نبدل جهودًا لاستقطاب القوى القومية القيادية من الطلاب للعمل ضمن المشروع القومي لثورة الفاتح، ولأن شخصية عبدالقادر طاغية

وتفرض نفسها فلا يمكن أن تتجاهل وجودها أو أن لا يحاول المرء دعوتها للعمل السياسي المنظم.

عبدالقادر كان قوميًا ناصريًا لكنه يرفض فكرة التأطير التنظيمي، وكان يحبذ العمل المفتوح، وأن كان يشجع ويؤيد العمل التنظيمي الذي نقوم به، يقول أنا معكم في العمل كله، لكني لن التزم معكم تنظيمًا، كان له دورًا بارزًا في قيادة العمل الطلابي ضد الجماعات الدينية والماركسية في كلية التربية خاصة، وفرع الجامعة في طرابلس عامة.

كان من قيادات ثورة الطلاب في السابع من أبريل، وساهم وهو طالب في صياغة المشروع الثوري للتعليم الجامعي بعد ثورة الطلاب في السابع من أبريل، وانقسام الجامعة إلى جامعتين الفاتح وقاريونس، وعندما تشكل الاتحاد العام لطلبة ليبيا لأول مرة في التاريخ الوطني ترأس الدكتور عبدالقادر الاتحاد وساعده في ذلك الشهيد عزالدين الهنشيري، والدكتور عمر السوداني، لقد أرسى في الاتحاد تقالیداً طلابية ديمقراطية، وأنجز أعمالًا مهمة وتاريخية، فلقد أصدر صحيفة الطالب كأول صحيفة نقابية طلابية تصدر في ليبيا، ساهمت في تأسيس خط مهم للصحافة النقابية الطلابية، وأقام علاقات قوية مع الاتحادات الطلابية العربية والعالمية، وساهم في تكوين الاتحاد العـــام للطلاب العرب، وكان لليبيا دورًا قياديًا فيه، حيث كلف المناضل عيسى عاشور نائبًا لرئيسه في بغداد، واستضاف المؤتمر العام لاتحاد الطلاب العالمي، ودخلت ليبيا في قيادته.

أصر الدكتور عبدالقادر البغدادي على أن تكون فترة إدارة الاتحاد سنة واحدة فقط، وأن تتغير كليا من الوحدات بالكليات والمدارس الثانوية والمعاهد إلى إدارة الاتحاد العام، واستمر هذا التقليد إلى منتصف التسعينيات، فكانت قيادة الاتحاد تتغير سنويًا وبانتظام، في أواخر التسعينيات تسلل شلة من القبليين النفعيين، حولوا الاتحاد إلى مشاريع خاصة، فتقلص دوره وانطفأ وهجه، وتجمد عطاءه.

الدكتور عبدالقادر من الخلية الأولى التي شكلت حركة اللجان الثورية، وتولى الإشراف على بنائها في طرابلس، فقام بدعوة الإخوة في الاتحاد الاشتراكي سابقا بالالتحاق بها، وبعد تشكل مكتب الاتصال باللجان الثورية كان من القيادات الفاعلة به، وكلف بتأسيس شعبة للعمل القومي، وأشرف على شعبة التثقيف، ورغم بعض الوشايات من بعض المجموعات القبلية ضيقة الأفق ومحاولة إبعاد الدكتور عبد القادر عن المشهد، إلا أننا والأخوين أحمد إبراهيم، ومحمد المجدوب شكلنا صمام أمان للحيلولة دون تشردم قوة الثورة واستمر العطاء الفكري والسياسي.

أوفد الدكتور عبدالقادر البغدادي للدراسة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، واستقر بولاية "ميتشيجن"، وكان متواجدًا أثناء زيارتي إلى أمريكا لتصعيد المكتب الشعبي عام 1979، وكـــان له دورًا مهمًا في تنشيطه، أبعدته السلطات الأمريكية بسبب وشايات من مجموعة من الخونة والعملاء، فانتقل للدراسة ببريطانيا، فأشرف على تنظيم العمل الثوري بها، وقاد المواجهة ضد الجواسيس الذين جندتهم وكالات المخابرات الأجنبية ضد ليبيا، وفي عام 1984 أبعد عن

بريطانيا نتيجة وشاية من العملاء بعلاقة له بمقتل الشرطية البريطانية أمام السفارة الليبية، انتقل للدراسة ببولندا حيث تحصل على شهادة الدكتوراه.

عاد إلى أرض الوطن ليلتحق بالعمل الشعبي والثورى، وصعد أمينًا للعدل والأمن العام بطرابلس، وتولى التدريس بكلية التربية بجامعة الفاتح، وشارك في العمل السياسي سواء في ملتقى الحوار العربي الديمقراطي أو من خلال مهام خاصة إلى أفريقيا عند قيام انقلاب "جيري رولنجز"، أو في تشاد بعد دخول الجيش الليبي لها، وأخيرًا أمضى فترة طويلة من العمل السياسي بالسودان بعد الثورة الشعبية على نميري عام 1986.

يقول الدكتورعبدالقادر البغدادي: "إن الحوار مع الطبقة السياسية السودانية في عمومها مهمة شاقة جدًا، فعندما يتحدث معك أحدهم فهو يقول لك كلاماً وهو يقصد أشياء أخرى، ويريدك أن تفهم شيئًا آخر خلاف معاني الكلام المباشرة الذي يقوله، وخلاف ما يقصده حقيقة، لذلك الحوار معهم يتطلب الهدوء والانتباه والتحفظ".

ساهم رحمه الله في بناء حركة اللجان الثورية السودانية، ووضع لبنات قوة وطنية ضد المشروع الإخواني، لكن للأسف تشردم القوى الوطنية والمصالح الحزبية الضيقة ضيع الفرصة، ومكن الإخوان من القفز على الحكم واحتكاره لسنوات طويلة.

في نهاية التسعينيات ساهمنا في صياغة أوراق مهمة تتعلق بالسياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في ليبيا، تهدف إلى تطوير منظومة العمل الجماهيري، وقدمت إلى المؤتمرات الشعبية التي قبلتها، وتم تنفيذ المقترح الذي تضمنته بإعادة مجلس التخطيط العام، الذي يتولى وضع السياسات التخطيطية للدولة ومتابعتها،

وتطوير لفكرة مجالس التخطيط المحلي التي ظهرت بعد قيام القيادة الشعبية الاجتماعية في المناطق وانبثقت عنها للاهتمام بالتنمية المحلية.

وفعلًا أصدر مؤتمر الشعب العام قانونًا بتشكيل مجلس التخطيط العام من اللجنة الشعبية العامة، والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية المركزية، ورؤوساء مجالس التخطيط المحلي، وكلف الدكتور عبدالقادر البغدادي بترأسه، فتمكن لمهارته الإدارية والقيادية من تأسيس المجلس وبناءه بناءً محكمًا.

بعد نجاحه في تأسيس مجلس التخطيط العام، صعد أميناً لشؤون اللجان الشعبية بأمانة مؤتمر الشعب العام، ولعل من أبرز إنجازاته مع أخيه أحمد إبراهيم اقتراح وصياغة القانون رقم واحد بشان عمل المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، وهو أحد أهم القوانين الأساسية التي نظمت السلطة الشعبية في ليبيا، وكذلك القانون رقم 2 بشأن العمل الدبلوماسي والقنصلي، الذي أحدث قفزة مهمة في العمل السياسي الخارجي، ونظم إدارة البعثات السياسية الليبية في الخارج من خلال سفراء وأعضاء لجان شعبية مصعدين مباشرة من الشعب، ثم صعد أمينًا للتعليم فأحدث ثورة في النظام التعليمي، وحقق قفزة تساوي القفزة التاريخية التي أحدثها الدكتور محمد الشريف في السبعينيات، والأستاذ أحمد إبراهيم في الثمانينيات، والدكتور إبراهيم أبوخزام في التسعينيات 2009، واختير منسقًا عامًا لمكتب الاتصال باللجان الثورية، وفي ظل مماحكات ممن يسمون جماعة ليبيا الغد نجح في الحفاظ على الحركة وصاغ نظامًا أساسيًا لعملها.

عام 2011 ساهم في إدارة الصراع ضد العدوان الأجنبي وقاد الحركة من خلال غرف عمليات لمتابعة التعبئة الثورية الشعبية التي نجحت في تأمين صمود أسطوري للشعب الليبي في وجه العدوان.

في نهاية شهر مارس تسلم الأخ أحمد إبراهيم قيادة مكتب الاتصال باللجان الثورية، وتولى الدكتور عبدالقادر البغدادي المتابعة مع الإخوة في أمانة اللجنة الشعبية العامة وأمانة مؤتمر الشعب العام.

قتل رحمه الله بدم بارد بتاجوراء بعد أسره بساعات في شهر سبتمبر 2011.

أحمد محمد إبراهيم

ترسانة ثقافية متحركة، قيادة فذة شجاعة، وأسطورة في الصبر والصمود.

كانت أسرة أحمد إبراهيم هاجرت إلى تشاد بعد أن أحكم الطليان سيطرتهم على ليبيا، ومع نهاية الستينيات عاد إلى سبها مع عدد من إخوته لأبيه، درس الإبتدائية والإعدادية بسبها، ودرس في طرابلس سنوات من المرحلة الثانوية.

عام 1974 أبلغني القائد أنه سيأتي للدراسة بالجامعة شاب، وصفه بأنه "شوال ثورة" متطرف أوصاني رحمه الله أن أهتم به، وأن أحاول الحد من تطرفه، وضمه إلى رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وبمجرد وصوله إلى بنغازي بحث عني وجاءني بالقسم الداخلي، أتصور أنه أيضًا لديه توصية محددة من القائد، قابلته ممازحًا "افتكرتك شوال بجد فإذ أنت بني أدم دم ولحم"، بدون مقدمات ولا

وقت توطدت علاقتنا الأخوية بسرعة، وكأننا تربينا معاً، حدث تفاهم وتناسق فكري خيالي بيننا في كل شيء تقريبًا، كان قوميًا متطرفًا وثوريًا يساريًا مليئا بالحماسة، وكان على صغر سنه مثقفًا قويًا مطلع على أغلب الأفكار المطروحة، كذلك غني بمعلومات في التاريخ والدين والفلسفة، قدمته إلى الإخوة في فرع الرابطة، وتم اختياره ضمن قيادة الفرع، فشكل إضافة سياسية وثقافية.

كان الجو في كليات الجامعة مشحونًا، وكانت بقايا القوى الحزبية من النقيضين الشيوعي والإخواني تتفق على محاولة استغلال الجامعة كموقع للقيام بأعمال مناهضة للثورة، كانوا كلما أتيحت الفرصة لهم يستغلون أي حدث لمحاولة إثارة البلبلة والفوضى، وكانت الدولة تسمح لهم بالتظاهر السلمي، لكنهم يعملون دائمًا على تحويل أي مظاهرة إلى أعمال شغب لاستدراج الدولة للمواجهة، لذلك كان من المهام التي قطعها أعضاء الرابطة على أنفسهم التصدي لتلك المجموعات الحزبية، من خلال عمل ثقافي وسياسي، ومن خلال قيادة وحدات الاتحاد الاشتراكي بالجامعة ووحدات اتحاد الطلبة.

قدوم أحمد إبراهيم إلى الجامعة أضاف زخمًا للعمل الطلابي الوطني خاصة بعد تخرج ومغادرة الكثير من القيـــادات الطلابية من أمثال: محمد المصراتي، عمار الطيف، جمعة سويسي، ميلاد الفقهي، سليمان البوزيدي، رمضان عبدالعزيز، وعبدالله المقري.

عام 1975 شهد ما عرف بمحاولة المحيشي الانقلابية، وما ترتب عليها من شق اجتماعي حول بعض الطلاب من مصراتة خاصة إلى الصف الآخر، والصراع الذي نشب نهايتها والذي قاد إلى ابتعاد

الأخ أحمد عن الجامعة إلى ما بعد السابع من أبريل، فأقام معي بغرفتي ببيت الطلاب رقم 4، ولأسباب تتعلق بسلامته لم يكن يذهب فترة الوجبات إلى المطعم ببيت الطلبة المحاذي، فكنت أحضر له الوجبات يوميًا إلى الغرفة، تلك الغرفة البسيطة شهدت مناقشات مهمة وتاريخية مهدت لثورة السابع من أبريل الطلابية، وكان الأخ عمر السوداني، والأخ محمد المجدوب، والإخوة القياديين بالجامعة يلتقون بها بشكل دائم تقريبًا، فشكلت في تقديري دار ندوة سياسية وحركية مهمة وساهمت في حدوث تكامل في الفهم بيننا تجاه كل القضايا.

بعد السابع من أبريل ترأس الأخ أحمد الاتحاد العام للطلبة فساهم في تطويره على الصعيدين الوطني والخارجي ومتن تواجده على الساحة الشعبية والسياسية، واستمر في تطبيق نفس القاعدة التي أرساها المرحوم عبدالقادر البغدادي بتغيير قيادة الاتحاد سنويًا.

كان أحمد إبراهيم من الخلية الأولى التي حضرت تأسيس حركة اللجان الثورية مع القائد، وعندما عدنا إلى بنغازي شكلنا الحركة ببنغازى، وانطلقنا سويا مع المرحوم محمد المجدوب في بناء الحركة في كل المنطقة الشرقية.

بعد تشكل مكتب الاتصال باللجان الثورية تولى الأخ أحمد إدارة شعبة العمل القومي وشعبة التثقيف، وساهم في صياغة شروح الكتاب الأخضر.

أسسنا معا صحيفة الزحف الأخضر، وهي صحيفة فكرية سياسية تحليلية، وكان دائم الحضور في صياغة بيانات ملتقيات اللجان

الثورية، حيث شكلنا مع الدكتور عبدالقادر البغدادي، والدكتور المهدي امبيرش فريق صياغة شبه دائم.

قاد فريقًا ثوريًا للعمل في تشاد بعد دخول الجيش لها من أجل تأسيس خط دفاعي وطني يحمي تشاد وليبيا من المحاولات الاستعمارية المزعزعة للاستقرار.

عام 1976 صعد أمينًا للتعليم، فأحدث ثورة ثانية في التعليم بعد الثورة الأولى التي قادها الدكتور محمد أحمد الشريف في السبعينيات، والتي تركزت على بناء المؤسسات التعليمية، وتطوير المناهج، الثورة الثانية ركزت علي توزيع التعليم العالي أفقياً، فأمر بنشر الكليات والجامعات في كل المدن تقريبًا، فأنشأ جامعة سبها والزاوية، ومصراتة، وعمر المختار، وسرت، كما أشرف على تطوير المناهج مركزاً على التعليم التقني، فتقرر تدريس الحاسوب في مرحلة التعليم الأساسي، وكذلك إضافة مادة التقنية، ولكي لا يثقل كاهل الطلاب قرر تخفيض بعض المقررات الأخرى، ومنها تعليم اللغات الأجنبية شكلياً في مراحل التعليم الأساسي، الأمر الذي اتخذه الأعداء ذريعة للهجوم عليه دون وعي لأهمية ذلك القرار.

بعد أن غادر التعليم، وصعد في أمانة مؤتمر الشعب العام، فعمل على ترسيخ قواعد السلطة الشعبية على أسس متينة.

اصطدم مع دعاة الثوريت بكل شجاعة وشفافية، فكان صمام أمان لدى القيادة ضد مخاطر تلك الدعوات الباطلة التي أريد بها باطلًا، وكلف مديراً للمركز العالمي لابحاث ودراسات الكتاب الأخضر، فحوله إلى مركز للعمل الفكري الجاد، والعمل القومي الملتزم.

عام 2011 التحق بمقاومة العدوان في مدينة سرت، ثم كلف منسقًا عامًا لحركة اللجان الثورية في ظروف صعبة، وكان عليه بناء الحركة تحت إطلاق النار فعمل جاهداًا مع فريق مهم من القيادات الثورية على الحفاظ على روح المقاومة.

عند انسحابه إلى سرت تعرض بمنطقة ترهونة لإطلاق نار أصيب خلاله بجروح.

أسر بمدينة سرت يوم 20 أكتوبر 2011 وتعرض لتعذيب بدني ونفسي لا تتحمله الجبال.

عز الدين محمد الهنشيري

أسطورة في الشجاعة والشهامة وقوة الشكيمة.

ولد عزالدين الهنشيري في مدينة طرابلس بالهضبة الشرقية، وبها تلقى تعليمه الأول، بعد الثورة بعث لدراسة الهندسة البحرية في بريطانيا، لكنه ما لبث أن عاد إلى أرض الوطن ليلتحق بكلية الهندسة بالجامعة الليبية.

تعرفت عليه عند تأسيس فرع رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين بطرابلس، وتكونت صداقة متينة معه، وكنت عندما آتي من بنغازي إلى طرابلس أقيم معه ببيته بالهضبة الخضراء، كان والده رحمه الله مواطنًا عاديًا لكنه كان مفعم بروح الوطنية، تشكلت علاقة عائيلة مع أعمامه ووالدته الفاضلة.

في الجامعة كان عزالدين يمثل الجناح المتصلب في الخط الطلابي الوطني، وكان يمتلك من الشجاعة والجرأة لدرجة جعلت

المجموعات الحزبية في كلية الهندسة تتجنب الحوار معه، فما بالك الصدام به، وكان مثقفًا وعلى درجة عالية من الوعي القومي، لكنه كان يتميز بالنضال الميداني والعملياتي.

اختير عزالدين الهنشيري نائبًا لرئيس الاتحاد العام لطلبة ليبيا في دورته الأولى، وشكل مع الدكتور عبدالقادر البغدادي، والدكتور عمر السوداني فريقًا قياديًا ساهم في تأسيس قاعدة الاتحاد في الداخل والخارج، وكان يشرف على برامج الإعداد الفكري للأعضاء.

وفي السابع من أبريل كان له دورًا قياديًا في الثورة الطلابية وساهم في تثوير كلية الهندسة وتحويلها إلى قلعة أكاديمية مهمة.

أرتبطت عائلة المرحوم، والده وأعمامه بعلاقة متينة بعائلتنا، وكانوا دائمًا يتبادلون الزيارات، خاصة في المناسبات، وكان عزالدين الهنشيري، وسعيد راشد، وشعبان الطربان أسبوعيًا تقريبًا يزرون أخوتي ليطمئنوا عليهم ويطمئنوهم عليّ.

وعندما عمل بالقيادة تحصل على سيارة بها أجهزة اتصال، وكان يذهب إلى مزرعتنا دائمًا ليتمكن إخوتي من الاتصال بي عبرها، ففي وقتها لم تكن سوق الخميس مربوطة بأية اتصالات بالعالم.

بعد التخرج التحق بالعمل المهني، وشكل مع المهندس سعيد راشد ثنائي مهم، حيث أسهما في بناء قاعدة تقنية في الدولة، عام 1988 كلف أمينًا للمواصلات، فكان له دورًا مهمًا في تطوير البنية التحتية للقطاع، وخاصة قطاع الاتصالات من خلال استكمال الكوابل المحورية، والدخول في عالم الهواتف المحمولة، فكانت ليبيا من أوائل الدول العربية التي أدخلت تلك التقنية، وتزامنت فترة إدارته لقطاع

المواصلات مع آثار انخفاض أسعار النفط، ودخول التهديدات الأمريكية مرحلة جديدة تمثلت في الحصار على ليبيا، وكان قطاع النقل من أهم القطاعات التي تأثرت به.

ثم كلف أمينًا لبلدية طرابلس، فعمل على تطويرها رغم ظروف الحصار، وتمكن من تأسيس إدارة ناجحة في كل فروع البلدية، ثم انتدب للعمل بهيئة الأمن الخارجي من أجل وضع البرامج الفنية لتطوير للجهاز، ثم كلف آمرًا للحرس الثوري الذي يتكون من مجموعات طلابية متطوعة، وبعدها كلف آمرًا لسرية الحراسة الخاصة، وكان أول مدني يتولى هذه المهمة فنال ثقة زملائه، ونجح في بناء السرية وفقًا للتطورات التقنية في المجال.

كان عزالدين قليل الكلام كثير العمل، تمتع بعلاقات شعبية واسعة لما لمسه الناس فيه من صدق في القول وتنفيذ ما يعد به، ورغم جديته الدائمة كان حسن المعشر، طيب القلب، عطوف على المحتاجين.

كان عزالدين أثناء تواجد القائد في طرابلس حلقة الوصل المباشرة بينه وبين مختلف المؤسسات، حيث كانت التعليمات تنقل مباشرة بواسطته لتجنب الاختراقات الاستخباراتية.

استشهد عزالدين أثناء عملية الاغتيال الوحشية التي نفذها حلف الناتو يوم 10/20 /2011.

سعيد محمد راشد

شخصية اجتماعية فريدة، قوة وتواضع.

ابن مدينة الشويرف التي كانت كبقية المدن الليبية قرية صغيرة جدًا يتوارد عليها أبناء القبائل الرحل، درس الإعدادية والثانوية بغريان وأقام بالقسم الداخلي، وكان سعيد كغيره من أبناء جيلنا يتحمل مسؤولية تعليم نفسه ومساعدة أسرته ورعايتهم، وكذلك رعاية إخوته وتعليمهم.

التقيت بالمرحوم سعيد راشد عند تكوين فرع رابطة الطلبة العرب الوحدويون الناصريون، فكان من تولى تأسيس الفرع بطرابلس، الذي عمل في نفس مقر الرابطة الرئيس بشارع امحمد المقريف، وكان سعيد شخصية بسيطة، ثوريًا عروبيًا صادقًا أشرف على استقطاب عدد كبير من الإخوة للرابطة، وكان بالنسبة لهم بمثابة الأخ الأكبر لحكمته وقدرته على القيادة، وشكل مع الإخــوة عزالدين الهنشيري، وناصر الغزير، وشعبان الطربان، والصغير الزائدي، وعبدالله كنشيل، وعلي ريج، والبدري جبريل، ومفتاح عزوزة مجموعة عمل قيادية كان لها دورًا مهمًا في تأسيس قاعدة واسعة للعمل الثورى.

حدثت منافسة بين شباب الرابطة والإخوة بقيادة الاتحاد الاشتراكي العربي في الجامعة، وفي مقدمتهم علي ونيس، وربيع أدهم، وسالم دنه، والسبب أن أعضاء الرابطة لم ينخرطوا في قيادة الاتحاد الاشتراكي كما هو الحال في كليات الجامعة ببنغازي، وسبب تلك المنافسة في ظهور شللية في العمل الثوري، مكنت المجموعات المعارضة من إيجاد مساحة للعمل بالجامعة.

كان لسعيد راشد دورًا مهمًا في الزحف على الإذاعة في طرابلس، واقترح على اللجنة الشعبية للإذاعة التي كنت عضوًا بها تعيين عثمان الغويزي مديرا للشؤون الإدارية بالإذاعة، الذي ساهم في تطويرها وفقًا للرؤية الثورية.

كان من القيادات التي نظمت وأشرفت على معسكر الثورة العربية في جودائم، أول معسكر للإعداد الفكري الذي استهدف طلبة الثانويات، والذي تخرج منه أغلب القيادات التي قادت مرحلة الجماهيرية، وهو من قاد المشاركين بالدورة في المسيرة الوحدوية إلى مصر.

تخرج من الجامعة عام 1976 والتحق بالعمل في القيادة أولًا ثم كلف مديرًا للشركة العامة للإلكترونات، فأشرف على تطويرهـــا وانطلقت في تصنيع الأجهزة الإلكترونية، وربما أشهرها تلفزيونات وراديوات قاريونس، وحواسيب صخر.

بعدها انتدب للعمل بهيئة الأمن الخارجي، فأشرف على إدارة الشؤون الفنية، وساهم في بناء جهاز وطني يعتمد على التكنولوجيا، واستقطب عدد من الخريجين من الجامعات للعمل بها.

ثم كلف رئيسًا للهيئة العامة للسكك الحديدية، فعمل على إحياء المشروع وتحويله إلى واقع، ووقع عقود إنشاء خطوط من رأس جدير إلى امساعد، وشرع في التنفيذ الفعلي لكنها توقفت بسبب أحداث فبراير 2011.

بعد تخرجه انتقل للعيش مع أسرته بشقة في باب بن غشير، وبالنظر للطبيعة الاجتماعية للمرحوم سعيد فلقد تكونت علاقة متينة جدًا مع أخوتي وكل أسرتي، وحدث تواصل دائم، وكان شقيقه الأصغر

السنوسي شابًا ذكيًا نشطًا، في ذات يوم قرر المرحوم الحاج علي وزوجته، والحاج امحمد وزوجته، زيارة المهندس في بيته، وقتها لم تكن توجد هواتف لترتيب المواعيد، وعندما وصلوا لم يجدوا بالشقة أحدًا عدا الطفل السنوسي، فأصر عليهم أن يدخلوا، وتوسل للحاجة زوجة المرحوم الحاج علي أن تعد الغذاء، وفعلا دخلوا وأعدوا وجبة بازين، وقبل أن يستوى الطعام رجع سعيد وأمه وزوجته فدخلوا وكأنهم ضيوف.

حقيقة عندما كان سعيد يقيم بالقسم الداخلي كان يذهب كل يوم الجمعة عادة مع شعبان، وعزالدين إلى سوق الخميس، وكان إخوتي يكرمون وفادتهم، تلك العلاقة العائلية الحميمة جعلت من المرحوم سعيد وإخوته أخوة لنا.

ولطبيعة العمل السياسي الذي توجد به خلافات واختلافات وشلليات أحيانًا، وصراعات قبلية أحيان أخرى، إلا أن علاقتي بسعيد كانت دائما متميزة وكنت أشكل حلقة وصل بينه وبين الكثير من الإخوة الذين يختلفون معه.

كان سعيد اجتماعيًا لدرجة تفوق الوصف، فكلما أصاب أخ أمرًا حميداً أو مكروهاً تجد سعيد حاضراً دائماً، وكان يعتبر نفسه أهل بيت الجميع.

ليلة 2011/2/20 كنا بمكتب الاتصال وقررنا نقل الغرفة إلى مقرة الكتيبة 177 حيت يتواجد اللواء منصور ضو، كان المعسكر مملؤا بالشباب فلقد صدرت التعليمات بتسليح الحرس الشعبي وتكليفهم بمهام أمنية وقتالية.

كان من المتواجدين الذين أذكرهم الشهيد عبدالقادر البغدادي، والشهيد إبراهيم علي، والمهندس سليمان الكيلاني، وعدد آخر من

الشباب القياديين، كنا ننتظر كلمة المهندس سيف الإسلام إلى الشعب الليبي، كانت هناك تخوفات من ما سيقوله في تلك الليلة، فالبعض كان يحمله مسؤولية ما يجري، ويخشى أن يتمادى ويرضخ للإخوان، وعندما بدأ في الحديث ساد صمت رهيب طيلة أكثر من ساعة، كان حديثا إيجابيا مطمئنا، ينسجم مع الموقف الثوري لقوى ثورة الفاتح، وما أن انتهى الحديث حتى علا الهتاف بين الحاضرين، كانت الساعة تقترب من الثانية فجرًا، خرجنا للعودة للمنازل، ركبت سيارتي وكان معي سائق وسيارة مرافقة من أقربائي، كان سعيد وابنه، وسيــارة أو اثنين مرافقة له أمامنا، اتجهنا إلى طريق المطار، لكن عند جزيرة المنار كان الأمر لا يتصور، آلاف الشباب والسيارات يزحفون إلى القيادة مبتهجين بكلمة المهندس سيف الإسلام، رأيت صعوبة في اختراق الجزيرة لكي نسلك طريق المطار إلى سوق الخميس، طلبت من السائق أن نرجع في الاتجاه المعاكس، وسلكنا طريق نادي الاتحاد إلى السريع، وهكذا إلى البيت.

وصلنا مع الثالثة فجراً، غفوت لسويعات ومع الساعة السادسة تقريبا كان اتصال على المحمول، كان المتصل الدكتور راشد صالح، سألني مباشرة "دكتور وين عمي"، قلت له من عمك؟ قال: سعيد، كان سؤالاً غريبًا حتى خيل لي أن الشاب ربما يتناول مسكرات، قلت له: رجع إلى البيت، قال: لم يرجع! ولا ندري أين هو؟

قفلت الخط والحيرة تضربني ماذا يقول هذا الرجل، حاولت الاتصال بعزالدين الهنشيري فلم يجبني، طلبت عبدالله السنوسي عن طريق البدالة فقيل لي أنه نام منذ لحظات، لو ضروري نوقضه قلت: ليس ضرورياً ساتصل به لاحقاً، في الحقيقة أنا لم أصدق ما سمعت

من الدكتور راشد لذلك لم أتصور أنه ضروري وقلت في خاطري لو أن مكروهاً وقع فلابد أن عامل البدالة سيخبرني.

مع الساعة السابعة اتصل بي الدكتورعبدالقادر البغدادي، مباشرة رويت له اتصال راشد الغريب، فإنهمر بالبكاء وقال: عظم الله أجرك في خوك سعيد لقد أستشهد.

لقد كان لحظات من أصعب الأوقات في حياتي السابقة شعرت بالذهول، زوجتي استيقضت على وقع حالتي، ولم تعرف ما جرى، قلت لها سعيد راشد في ذمة الله.

ذهبت لأخبر إخوتي فكنت أدرك علاقته بهم فعلا وقع الخبر عليهم وقع الصاعقة.

أعدت الاتصال بالدكتور عبدالقادر لأعرف كيف حدث ذلك فروى لى أنه يبدو أنه طلب مقابلة مع القائد، فطلب منه الدخول من باب الجزيرة، ذهب عن طريق الوادي، وربما كان مرافقيه يطلقون الرصاص مبتهجين بكلمة المهندس وبما شهدوه من زحف جماهيري شعبي مؤيد للثورة، وتوقع الحراس أنهم مستهدفون بإطلاق النار فردوا عليها، ووقع ما وقع.

مع العاشرة ذهبت إلى عبدالله السنوسي وجدته بالمقر، بعد تبادل العزاء ساءلته أين سيدفن المرحوم؟ قال: في الشويرف، قلت له: كيف نشارك في الجنازة، رد عليّ: يا مصطفى نحمد الله أن توفى سعيد الآن، فنحن لا ندري أي أحداث مأساوية سنشهد، ولا أنصح بالسفر إلى الشويرف، فأمامنا شيء كثير لنقوم به، وقد تتطور الأمور إلى الأسوء في أي لحظة، رحم الله سعيد راشد.

عبد الله امحمد السنوسي

الحنكة والدهاء مع شهامة وتواضع

برز عبدالله السنوسي عام 1975 مع انكشاف خطة عمر المحيشي التآمرية، وكان مع عدد من الضباط الصغار من أمثال محمد المجدوب، وأحمد الكيلاني، وعبدالسلام بشير، لهم دور مهم في كشف خيوطها وتتبع المشاركين فيها، وظهر في العمل الشعبي أثناء المسيرات الشعبية الرافضة للمؤامرة والمؤيدة لمعمر القذافي.

تعرفت عليه مباشرة وبدون وسيط، وكان برتبة ملازم أول وتكونت بسرعة علاقة صداقة متينة، كنت اختلف معه في بعض الأحيان، فلم يكن مقتنع ببرنامج رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكنت متعصبًا للمشروع الناصري، ونرى في القائد امتداداً فكرياً ونضالياً لجمال عبد الناصر، وكان يرى أن التركيز على جمال عبدالناصر يقلل من أهمية معمر القذافي، لكن خلافنا لم يفسد أبدًا للود قضية، خلال ثورة الطلاب توطدت العلاقة بشكل ممتاز، وكنا ننتقد دور سليمان محمود آمر الحرس الجمهوري في بنغازي، الذي كان يستفز الطلاب كثيرًا.

في السابع من أبريل كلف بلجنة التحقيق مع الخلايا الشيوعية بالجامعة مع المرحوم حسن اشكال، وبعد تشكيل اللجان الثورية في نهاية 1978 التقينا لدى القائد وقال: أنا أعرف اللجنة الثورية فقط مصطفى الزائدي، عبدالله السنوسي، حسن اشكال، وأحمد إبراهيم وأبحثوا عن عضو خامس، لم نأخذ الأمر على محمل الجد.

انتقل عبدالله السنوسي للعمل بالقيادة بطرابلس فكنا كلما ذهبنا إلى هناك للعمل أو للقاء القائد كان يستضيفنا بمقر إقامة الضباط.

تولى عبدالله السنوسي عدة مناصب، كانت دائما لها علاقة بالأمن، فمن عضوية لجنة الأمن الخارجي إلى إدارة الاستخبارت العسكرية، كان شجاعًا ومقدامًا تجده دائما في المقدمة في أي عمل له علاقة بأمن الوطن والقائد.

كان عبدالله السنوسي متواضعاً خدوماً واجتماعياً، من النوادر التي تحكى، إن المرحوم بشير زيدان وهو من أعيان الجنوب كان في العمرة، وعندما رجع أعطاه بعض ممن كانوا هناك مجلة معادية كان يصدرها المقريف، فأخذها، وعند عودته نسى محتواها فوضعها في حقيبته، وعندما وصل مطار طرابلس وجدها الجمرك فسألوه ما هذه ياحاج بشير؟، وكان ذكيا، فقال لهم: هذه طلبها مني عبدالله السنوسي، لم يصدق رجال الجمرك ذلك فاستدعوا مسؤول مكتب الأمن الخارجي، وقتها كان الفريق الريفي الشريف وهو صديقه ومسؤولا عن الأمن الخارجي، أخذ الحاج بشير إلى مكتب الأمن الخارجي، وقبل سؤاله اتصل المسؤول بعبدالله السنوسي، وقال له: سيدى عندنا شخص وجدنا لديه مجلة المقريف، ويدعي إنك طلبت منه أن يحضرها، قال: من هو؟، أجابوه بشير زيدان، قال: هل وصل نعم طلبتها منه، ابقوه عندكم أنا قادم إليه، وماهو إلا وقت قصير حتى حضر عبدالله السنوسي وأخذ بشير زيدان في سيارته إلى بيته، قـــال

ممازحًا: يا عمي بشير كيف تتهمني أني طلبت منك هذه فقال؟ وماذا تريدني أن أقول الريفي سيلقي بي في السجن.

رغم التنافس بين الضباط في القيادة، وقدرتهم الأمنية والسياسية، إلا أن عبدالله السنوسي كان دائمًا من المقربين له، ومن المؤثرين حوله.

وللتاريخ أغلب من كانوا قريبين من القائد كانوا يعلمون طبيعة شخصيته، فلم يتجرأ أي منهم أن يعمل لنفسه نتيجة موقعه، فكانوا يتنافسون في خدمة الوطن وليس لتحقيق مكاسب شخصية، لقد سخرت علاقاتي الشخصية دائمًا لإيجاد تفاهم وتنسيق بين الأخوين عبدالله السنوسي، ومحمد المجدوب، وكنت دائمًا أنجح في ذلك ليس بسبب قدرات خاصة بي، بل بسبب شخصية الأخوين وقناعاتهما الوطنية، لكني فشلت في إيجاد تفاهم بين الأخ عبدالله، والأخ أحمد إبراهيم، والأخ عبدالقادر البغدادي، للدور الخبيث الذي كان ربما مارسه عقيل حسين في زرع فتن يصعب معالجتها بينهم، وأخيرًا أضاف عنصر آخر وهو الإخواني عبدالرزاق العرادي، الذي لعب على وتر القبيلة، وأدعى إنه مقرحي، لكنه كان يخفي وراء ذلك أمورًا أخرى بانت للناس مع 2011.

وبسبب دوره المهم في تأمين الثورة والدولة، تركزت الأنظار إليه وشنت حملات ضخمة ضده، وركزت الأجهزة الغربية على توريطه في قضايا تتصل بالإرهاب، لكنه كان يستند إلى ذكائه في التعامل مع تلك الأمور، وكان دائمًا يعمل على فتل حبال للتواصل مع الأطراف الأخرى من خلال مساعدتهم في كثير من الأمور وتبني وجهات نظرهم، وأتصور أنه أطمأن أكثر من اللازم للخصوم والأعداء على حد سواء، فتوقع أن علاقاته بالأجهزة الاستخباراتية

الغربية قد تساعده في حماية ليبيا من مكرهم، وتوقع أنه بالتجمل على الخونة قد يرجع لهم صوابهم.

كنا نختلف معه في تقييم كثير من الأشخاص، فلقد كان الداعم الأهم وربما الوحيد لشلقم في العقد الأول من الألفية الثانية، وكان داعمًا للمجموعات التي حاولت التستر بما سمي برنامج ليبيا الغد، وكان الداعم لآل الدبيبة حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ويتهمه البعض بأنهم شركاء له، وكان يغطي على مصطفى عبدالجليل، وكان مدخل الصلابي إلى المؤسسات، وكان يتوسم فيه الخير، وكنا جميعا ندرك أنه شر مستطير وخطر كبير لما يحمله من مشروع تدميري للوطن.

في الأحداث قام بكل ما يجب عليه القيام به للدفاع عن بلده، وأتصور أنه شعر ببعض الأخطاء لأنه لم يستمع إلى تحذيراتنا، ووضع ثقة في من لا يستحقها، وكان له دورًا أساسيًا في مواجهة عدوان الناتو والتصدي له.

عندما سلم النظام المرتزق في موريتانيا البطل عبدالله السنوسي أصابني كما أصاب كثيرون حزناً عميقاً تماماً كحزننا يوم استشهاد القائد ورفاقه، فكنا نتصور حجم التنكيل الذي سيواجهه أسد الوطن عبدالله السنوسي.

محمد علي المصراتي

عقل ورزانة وشجاعة مع تواضع ونكران للذات.

الرفيق محمد المصراتي ابن مدينة زليتن، من أسرة ليبية عادية، وطنية تعيش كغيرها من الأسر الليبية حياة الفقر والمعاناة، وكان نشطًا طلابيًا في المدرسة الثانوية الداخلية بمدينة مصراتة، تعرفت عليه في فرع رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، كان بالسنة الثانية بكلية القانون رفقة فتحي مخلوف، وعمار الطيف، كان رجلًا مثقفًا يمتلك مقدرة على التحليل ويستخلص اقتراحات عملية بناءة.

لم يقيم المصراتي بالداخلي، بل كان يسكن في شقة مع مجموعة من الإخوة من زليتن، وكان حركيًا على مستوى الجامعة وبنغازي، وامتلك حضوة لدى كل الرفاق بالفرع، عندما أعلنت الثورة الشعبية عام 1973 بادر مع الأخوين عمار الطيف، وفتحي مخلوف، وهما طلبة بالسنة النهائية في الكلية، والطلبة الجدد ومنهم المرحوم الشارف الفرجاني بالزحف على الكلية، وشكلوا لجنة شعبية طلابية، وبعد يومين تطور التفاعل الطلابي، وأعيد تشكيل اللجنة الشعبية، وأنسحب الإخوة من عضويتها، وكان من بين قرارات اللجنة الشعبية الطلابية التوقف عن الدراسة، والانطلاق إلى العمل الميداني، للمساهمة في التنمية في إطار مشروع الثورة الثقافية، وقرار ترحيل الطلبة سنة دون امتحانات.

لكننا مجموعة من الطلبة كما أوردت سلفا طلب منا القائد رحمه الله القيام بجهود توعوية ميدانية لتوعية الجماهير بأهداف وأبعاد الثورة

الشعبية، وفعلًا انتقلت مع الأخ محمد المصراتي، والدكتور عطية اجعي إلى محافظة الجبل الأخضر، ونفذنا لقاءات مكثفة وواسعة مع الناس طيلة شهر كامل، والتقينا بشباب وطنيين وقيادات اجتماعية وطنية، ورجال شرفاء، وناقشنا الكثير من النقاط السلبية، ودعمنا اللجنة الشعبية التي تشكلت للسيطرة على المحافظة.

بعد أن عدنا من الجبل الأخضر قمنا بالزحف على الإذاعة، وتشكلت لجنة شعبية بها كنت أحد أعضائها، كلف المرحوم إبراهيم البشاري مديرًا للإذاعة، والأخ محمد المصراتي نائبًا له، وقام بجهود كبيرة لإعادة تنظيم الإذاعة وتطويرها، ورفع كفاءة العاملين بها، لكن المرحوم الخويلدي الحميدي وجد فرصة سانحة لتطوير قطاع الشرطة بكفاءات جامعية، فقرر ضم خريجي القانون المرحلين إلى وزارة الداخلية والحاقهم بدورة لمدة سنة يتخرجوا بعدها برتبة نقباء، وفعلًا التحق أغلب الطلبة المرحلين من السنة الرابعة قانون بالداخلية وأوفدوا للدراسة بمصر.

الأخوين محمد المصراتي، وفتحي مخلوف كانا من ضمن الطلاب، واستثنى الأخ عمار الطيف لأنه كان يعمل بمكتب القائد.

بعد تخرجه من كلية الشرطة نسب للعمل بالأقسام المختلفة، وعين مديرًا للعلاقات العامة، وبعدها كلف بالأمن الداخلي، فعمل على تطويره بما يتماشى مع التطور في الجريمة السياسية، وظهور التنظيمات التكفيرية الخطيرة جدًا، ثم عين رئيسًا لمكتب الإدعاء الشعبي، ثم كاتبًا عامًا لوزارة الداخلية فأمينًا لها، بعدها تم تعينه نائبًا عامًا.

كان محمد المصراتي طيلة عمله في الشرطة، وفي القضاء رجلاً يتسم بالنزاهة والعدالة، وساهم في توطيد قواعد استقلال القضاء.

كانت علاقتي بالأستاذ محمد المصراتي أثناء قيامه بمهامه في الشرطة والنيابة محدودة، لاختلاف طبيعة العمل والمهام، لكننا كنا نلتقي دائمًا في المناسبات، وكذلك كان يزورني بشكل مستمر بالمستشفى.

محمد المصراتي صديق صدوق، قليل الظهور كثير الأفعال، يحبه رفاقه ويقدرون مشورته، ويستمعون لنصائحه، فهو موضوعي في التحليل واستخلاص النتائج.

وبالنظر لحزم وجدية محمد المصراتي، ووطنيته، تعرض لمضايقات في فترة ما قبل أحداث 2011، حيث أصر الإخوان الذين مارسوا التقية وأظهروا ميولًا لما عرف بالمصالحة والمراجعات الفكرية، مما أدى إلى خلافات بينه وبين من سموا أنفسهم جماعة ليبيا الغد، وأقيل في بداية 2010 من منصب النائب العام.

عندما اندلعت الأحداث التحق محمد المصراتي بجهاز الأمن الخارجي الذي ترأسه أبوزيد دورده، لمعرفته أن العملية كلها عملية استخباراتية أجنبية، واستمر في القيام بواجبه الوطني إلى حين سقوط طرابلس في أيدي قوات الناتو وأعونه من العملاء، فهاجر مع المهاجرين.

عمار المبروك الطيف

الاعتداد والصرامة ورجل الدولة الحازم.

ولد عمار اللطيف في مدينة العجيلات بمنطقة الجديدة، وكان مكافحًا أثناء التعليم، حيث كان يعمل بالفترة الصيفية ليتمكن من مساعدة أسرته، وليوفر مصاريف الدراسة.

تعرفت على عمار الطيف في رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين فرع بنغازي، وتوطدت بسرعة علاقة نضالية في الوسط الطلابي، كانت وجهات نظرنا تتطابق دائمًا، انتقل للإقامة معنا ببيت الطلبة الخاص بالطب، حيث الإخوة عمر السوداني، وعبدالله أبوسته، وأحمد التير، وعطية اجعي، وغيرهم، وكنا مجموعة الطب نشكل فريق منسجم متوافق، فوجد بيننا الأخ عمار مقامًا مناسبًا.

كان يحب القراءة والإطلاع، جدي في كل تصرفاته، وكان محورًا قياديًا مع الأخوين محمد المصراتي، وفتحي مخلوف، في كلية القانون.

كان دائمًا يظهر بمظهر القيادي، يثقن ما يقوم به، وكنا معا نشكل نواة لتثقيف الطلاب في المدارس، شارك في حملة التوعية بالثورة الشعبية عام 1973 في فريق المتابعة المركزي.

عند الزحف على الإذاعة في نهاية شهر يونيو 1973 كنا معًا في عضوية اللجنة الشعبية للإذاعة، وكنا نساهم عمليًا في إعداد التعليقات الإذاعية، وانتجنا معًا برنامجًا يوميًا ليليًا اسميناه "صفحات على طريق الثورة العربية" كان يبث منتصف الليل مباشرة، يتعرض للأوضاع في الوطن العربي، يركز على الأوضاع في المغرب ومصر، ثم تحول إلى محطة هي صوت الوطن العربي، بعد حرب

أكتوبر قدم برنامجًا مرئيًا يوميًا اشتهر وقتها، تركز على أن الحرب لم تكن سوى عملية تحريكية تمهيد لما جاء بعدها، وصدقت نبؤات عمار بعد سنوات بزيارة السادات إلى القدس.

بعد التخرج عمل مديرًا لإدارة الأخبار والشؤون السياسية بالإذاعة، ثم انتقل للعمل بقلم القيادة، وكان يدير مكتب القائد بقصر الشعب.

اندمج عمار في العمل الإداري فكلف بالأمن الداخلي، وبعده بجهاز الرقابة الإدارية، وبعده بمركز المعلومات والتوثيق، وكان دائمًا يضع الجهاز الذي يترأسه في قمة أجهزة الدولة.

عندما كلف أمينًا للرقابة الشعبية كان حاسمًا وحازمًا، وقتها كنت أمينًا للصحة فلم يخطر ببالى أن علاقتي الشخصية بعمار ستساعد في إبعاد القطاع الذي أديره عن أعين الرقابة، فعمار الطيف يفصل بشكل حدي بين علاقات العمل والعلاقات الشخصية، لذلك لم يحتفظ إلا بعدد قليل من الأصدقاء الذين يعرفون جيدًا حقيقة عمار الطيف، رجل الدولة الذي يضع الجميع سواسية أمام القانون.

وأذكر أثناء تجهيز مركز طرابلس الطبي، وبسبب وشايات غير صحيحة من البعض الذين أرادوا الانتفاع من المشروع، كانت لي مناقشات مطولة مع الأخ عمار، واضطررنا أحيانا للتحكيم عند القائد.

لكن للتاريخ عمار كان دائمًا يتسم بالموضوعية المطلقة في قراراته، سواء عندما كان مسؤولًا في الأمن أو في الرقابة، وعندما كلف بجهاز التوثيق والمعلومات الذي كان مؤسسة شكلية في الدولة حوله إلى جهاز مهم أصبح مرجعية لكل القطاعات.

عام 2000 كلفت مع الإخوة محمد المجدوب، والدكتور أحمد إبراهيم، والشهيد عبدالقادر البغدادي، بوضع تصور لإلغاء المركزية

تمامًا، واشتغلنا لأسابيع متصلة مع القائد، كان القائد يرى ضرورة إلغاء اللجنة الشعبية العامة وتحويل كل اختصاصاتها إلى الشعبيات، ويبقى فقط أمين لها يترأس اللجنة التي ستتكون من أمناء اللجان الشعبية بالمؤتمرات الأساسية، وكان التخوف أن تهيمن هيئات مركزية بديلة على الدولة، وأن تضيع أرشيف القطاعات، علاوة على المخاطر التي تهدد التخطيط المركزي للدولة، وبعد مناقشات مستفيضة مع القائد جرت في سرية تامة، توصلنا لاقتراح عملى من شقين، الأول أن نكلف أمينين مساعدين للجنة الشعبية العامة إحداهما للخدمات، والآخر لشؤون الإنتاج يشرفان على أداء الهيئات المركزية، والثاني أن ننشيء بأمانة مؤتمر الشعب العام أمانات نوعية للمتابعة لا علاقة لها بالتنفيذ، لكن تهتم فقط بمتابعة أداء اللجان الشعبية المحلية، وافق القائد على المقترح، وتكونت أمانة مؤتمر الشعب العام من 12 أمانة نوعية من الاقتصادية إلى شؤون الموارد البشرية.

قبل انعقاد دورة مؤتمر الشعب العام بأسبوعين رجعت إلى طرابلس، التقيت بالأخ عمار، وناقشنا في عموميات حول التصور الجديد، فكان تعليقه الخوف في هذا الوضع الانتقالي على من سيكلف بالأمانات والقطاعات، قلت له: أما أنا فلا علاقة لي بالأمر، فقال: لا تطمئن قد تأتي الرياح بما لاتشتهي السفن!

وفعلًا أثناء انعقاد مؤتمر الشعب العام، استمعت إلى تكليفي بأمانة الموارد البشرية، فكان لذلك وقع الصاعقة، لأني قررت أن لا أمارس عملًا قياديًا بل أردت التفرغ التام للعمل الطبي.

اضطررت لرفض قبول المهمة في رسالة وجهتها إلى الشيخ الزناتي محمد الزناتي أمين مؤتمر الشعب العام، أما الأخ عمار فقد

كلف أمينًا مساعداً لشؤون الخدمات فأدارها بكفأة عالية، أخيرًا كلف بالهيئة العامة للسياحة، فنجح في وضع لبنات صناعة السياحة في ليبيا، رغم ادعاءات المرحوم شكري غانم الذي قال ذات مرة مازحًا: عمار سائح نموذجي لكنه لا يستطيع إدارة السياحة!

عندما اندلعت الأحداث التحق بالعمل، وكان لصيقًا بموسى كوسا، ولقد أبلغني ألمه الشديد أن موسى لم يظهر له نواياه وخذعه لأسابيع، وبعد سقوط طرابلس هاجر مع المهاجرين.

المهدي مفتاح امبيرش

علامة في اللغة والفلسفة ووطني صادق مخلص.

ولد المهدي امبيرش في مدينة صرمان، وكان كبقية الشباب في جيله يكافح من أجل الحياة والتعلم، التحق بسلك التدريس، وواصل تعليمه الجامعي، فتميز في الدراسة بكلية التربية لمستواه الثقافي العالي، فبعث لاستكمال الدراسة بأمريكا، حيث تحصل على درجة الماجستير، ثم صعد بالمكتب الشعبي بواشنطن في اللجنة الشعبية التي كان يشكلها الطلاب لإدارة المكتب، ولتوتر العلاقات الليبية الأمريكية في عهد الرئيس "ريغان"، وقفل المكتب وقطع العلاقات من الجانب الأمريكي وهو أمر نادر الوقوع، فالدول الصغيرة الثورية هي من يقطع العلاقات عادة مع الدول الكبرى، ثم صعد في الثمانينيات أمينًا للمكتب الشعبي بألمانيا الغربية، حيث أكمل دراسة الدكتوراه في الأدب المقارن، وفي التسعينيات كلف أمينًا للمكتب الشعبي بإيران، فتعلم الفارسية وحضر دكتوراه في الفلسفة بالجامعات الإيرانية.

تعرفت على المهدي بعد ثورة الطلاب في السابع من أبريل، وسرعان ما تشكلت علاقة أخوة متينة حيت تجلت وحدة فكرية قوية بين كلانا.

في مؤتمر الطلاب العالمي الذي نظمه الاتحاد العام لطلبة الجماهيرية في عام 1976 كان عليّ وعلى الدكتور المهدي امبيرش أن نعد مداخلات في النظرية العالمية الثالثة، وخاصة في الجانب الاقتصادي، بالرغم من عدم صدور الفصل الثاني من الكتاب الأخضر بعد، وكان علينا الدخول في جدال فكري معمق مع طلاب من مختلف دول العالم متشربين للأفكار الماركسية، ومتقولبين داخلها تمامًا فلا يسمحون بمناقشات نقدية لها.

كان الدكتور المهدي امبيرش لا يتقن الإنجليزية، فكان عليّ القيام بدور الترجمة في كثير الأحيان، وفي اللقاء العام كنا نتابع من خلال الترجمة الفورية لكن في كثير الأحيان يخطئون في ترجمة المصطلحات الجماهيرية الجديدة.

كان الاتصال مستمرًا مع الدكتور المهدي امبيرش وهو في أمريكا، لكن العلاقة توطدت أكثر عندما كلف أميناً للمكتب الشعبي في ألمانيا وكنت وقتها أدرس هناك، وكان اللقاء اليومي تقريبًا يتسم أحيانا بالجدية، وفي كثير الأحيان بالمزاح، وكان صاحب نكتة حاضرة، ومزحة دائمة، وكنا نكثر التعليقات على بعض الأصدقاء في وجودهم طبعًا.

عندما ذهب إلى إيران أنهمك في العمل الأكاديمي، فالعلاقة مع إيران كانت رسمية، ولم تنزل إلى القواعد الشعبية، وإيران المنهكة

من الحرب لم يكن لديها الكثير تعمله مع ليبيا، لكن المهدي لثقافته وبراعته ربط علاقة مع كثير من المثقفين والسياسيين الإيرانيين.

زرته في إيران مرة واحدة في رحلة عمل، فكانت مناسبة للتعرف أكثر على الوضع في إيران، بعد أن غبت عنها لسنوات طويلة فلم أزرها أثناء الحرب ولا بعدها، بل كانت زياراتي أيام الثورة الأولى.

في التسعينيات صعد الدكتور المهدي امبيرش أميناً للتعليم، ولكونه مثقفاً جماهيرياً لم يستوعبه الكادر التقليدي في التعليم، وكان من بصماته نشر أسئلة الثانوية العامة في الصحف، لأنه لاحظ موجة الغش في الامتحانات التي بدأت تنتشر، ورأى أفضل وسيلة لمقاومتها نشر الأسئلة، ولو أجاب الطلبة على الأسئلة المنشورة فهم قد استوعبوا الحد الأدنى من هدف المنهج في تلك المرحلة.

بسبب دراساته الإسلامية كلف الدكتور المهدي امبيرش أمينًا مساعدًا لجمعية الدعوة الإسلامية، فساهم في كثير من مناشط الجمعية على المستوى العالمي في إطار مهمتهًا لنشر الإسلام في العالم، والتصدي لمحاولات تشويهه وتقديمه كدين عنف وإرهاب، ثم صعد أمينًا للثقافة فأعطى دفعة قوية لنهضة ثقافية، من خلال برامج محلية بالشعبيات.

في كل الوقت كان الدكتور المهدي امبيرش يمارسه عمله الأساس في التدريس بالجامعات الليبية، ويقوم بدوره الثوري من خلال شعبة التثقيف بحركة اللجان الثورية، ويشارك في أغلب المحافل العربية والدولية التي تكون الحركة طرفًا فيها.

أثناء الأحداث وقف صامدًا مع شعبه ضد غزو الناتو، وكلف أمينًا مساعدًا للاتصال الخارجي للشؤون الإسلامية.

عمر محمد السوداني

الجدية والثقافة والصلابة.

عمرالسوداني من منطقة أم الأرانب الواقعة جنوبي البلاد، عاش وترعرع بمنطقة البركة في بنغازي، وبها تلقى تعليمه الأول، وأتم دراسته الثانوية بها، ثم التحق بكلية الطب الدفعة الثانية، ودرس بفرع الجامعة في طرابلس بكلية العلوم، ثم أكمل دراسته بالكلية في بنغازي، وكان ذكيًا وقارئًا نهمًا ومثقفًا قوميًا، وكان عضوًا بلجان التوعية الشعبية التي تشكلت بعد الثورة، ثم اختير عضوًا بوحدة الاتحاد الاشتراكي، تعرفت عليه وهو في إعدادي طب، وتكونت بيننا علاقة نضالية استمرت إلى عقود، لقد كانت الوحدة الفكرية أساس مهم لكفاحنا المشترك لزمن طويل.

عمر السوداني كان يتسم بالجدية والصرامة وليس لديه أنصاف حلول للمشاكل، انضم إلى رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين فرع بنغازي، وكان نشاطه الفكري والثقافي بارزا فيها.

كان من قيادات ثورة الطلاب في السابع من أبريل، وكانت المجموعات الحزبية تتجنب الاصدام به، ذات مرة في فبراير 1976 بينما كنا في إدارة الجامعة حاول شخص اسمه جربوع على ما أذكر أن يتحرش بنا وكان نحيل الجسم فما كان من عمر إلا أن امسك به وقذف به إلى الحائط.

ساهم عمر السوداني في كل برامج التثقيف التي نفذت منذ عام 1973، كما شارك في الدورات التأسيسية لإعداد القيادات الجديدة، وفي عام 1975 اختير مسؤولًا للشؤون الخارجية بالاتحاد العام لطلبة الجماهيرية، وكان لقدراته السياسية والثقافية دور مهم في ربط الاتحاد الوليد بالتنظيمات الدولية العريقة في الخارج.

ترأس تحرير مجلة الثقافة العربية، وهي مجلة ثقافية فصلية محكمة ساهمت لسنوات في إثراء المشهد الثقافي في ليبيا.

أوفد للدراسة في بريطانيا، ثم اختير عضوًا للمكتب الشعبي بلندن، ولفصاحته باللغة الإنجليزية ساهم في تقديم صورة عن ليبيا للإعلام الإنجليزي، وفي إطار الحملة الأمريكية البريطانية ضد ليبيا، أبعد من بريطانيا، واضطر لاستكمال دراسته بألمانيا الشرقية، وحصل على الدكتوراه في طب العمل.

أسس كلية للصحة العامة في جامعة العرب الطبية، وربما هي الكلية المتخصصة الأولى في المنطقة، خرجت عديد الخبراء في مجال الطب الوقائي وطب المجتمع.

بعد أحداث 2011 المأساوية اعتقل المناضل عمر السوداني من قبل المليشيات لعدة شهور بدون تهم.

الطيب الصافي المنفي

ذكاء ودبلوماسية وانضباط.

ولد الطيب الصافي بمدينة المرج، وتعلم في سنواته الأولى بها، توفى والده وهو في المرحلة الإعدادية، فتولى إدارة عمله ليعول أمه وأخوته الصغار، وواصل تعليمه إلى أن تخرج من كلية الاقتصاد والتجارة.

تعرفت على الطيب عندما كان طالبًا نشطًا في مدرسة صلاح الدين الأيوبي الثانوية ببنغازي، وكانت الصفات القيادية بارزة فيه، بالجامعة التحق بالعمل الطلابي الثوري وعمل مع الإخوة بالاتحاد العام لطلبة الجماهيرية، كما كان من الطلاب النشطين جدًا بمعسكر السابع من أبريل لطلاب الجامعة في تاجوراء.

كان الدور القيادي للطيب الصافي يزداد بروزًا، يعتمد على لباقته وقدرته على الخطابة والتوجيه، فكان له دورًا بارزًا في العمل الشعبي ببنغازي، وكان يشارك دائمًا في إدراة التصعيدات الشعبية بالمنطقة الشرقية والغربية فاكتسب معارف في كل المناطق.

وفي عام 1977 بينما كنت عنده بالبيت أثناء اندلاع المعارك العسكرية مع مصر، وكما ذكرت سالفًا في الكتاب كانت المخاوف قوية عندنا من أثر الحرب على المشروع القومي في المنطقة، ومن استغلال القوى الإقليمية للأحداث لتنشط على الساحة، واتفقنا على سرعة العمل لمنع ذلك، وأبسط شيء يمكن عمله ويكون مؤثرًا هو إغراق بنغازي بملصق كتبنا فيه حماية الجماهيرية بداية الفتح

الوحدوي، مع صورة للقائدين معمر وجمال في خندق قتالي على الجبهة.

توطدت العلاقة الشخصية مع الأخ الطيب بشكل كبير حتى صرنا في مستوى الأخوة، وربطتني علاقة مع والدته رحمها الله وكل أخوته، وكذلك ارتبط هو بعلاقات مع أخوتي، وكنا في لقاء متصل حتى وأن كان خارج طرابلس في بنغازي أو طبرق حيث عمل لفترة طويلة.

كان الطيب إداريًا ناجحًا، فكلف بصندوق الضمان الاجتماعي فأداره على أكمل وجه، وكذلك نجح في إحداث تنمية مهمة في طبرق عندما كلف أمينًا للجنتها الشعبية.

ترك بصمات مهمة في أمانة الاقتصاد رغم قصر مدة إدارته لها، ونجاح الإخوان عبر منظومة ما سمى ليبيا الغد في إبعاده عنها واستبداله بالقيادي الإخواني علي العيساوي.

كان للطيب الصافي مقدرة خاصة في تكوين علاقات مهمة في كل القطاعات التي عمل بها، ولدماته وحسن قوله كان دائمًا يترك بصمات إنسانية أينما عمل.

عام 2011 كان الطيب أول من نبه بجدية ما يدبر بالمنطقة الشرقية، فاتصل بي من بنغازي في أوائل فبراير، وقال: أريدك أن تنتظرني في المطار! ولم يكن من عادته أن يطلب مني ذلك، كنت أعلم أن الأوضاع خطرة وأن ترتيبات سيئة يجرى الإعداد لها، وأن منظومة ليبيا الغد مستغلة كستار لعمل سيهدد أمن الوطن، تناقشنا في السيارة في الطريق إلى طرابلس كانت خلاصة قوله هناك أمر ما لا يعلم تفاصيله، ولا توجد برامج لمواجهته، وأن حالة سكون لدى

الأجهزة وعدم وجود فهم جدي لما يدبر، في الطريق اتصلنا بالقيادة ونقلت لهم رسالة الطيب وقلت لهم: هو معي بالسيارة، واتصلنا بالأخ عبدالله السنوسي للنقاش في الموضوع، وما هي إلا لحظات حتى أبلغنا بأن القائد يرى أن نجتمع عند الدكتور البغدادي المحمودي ونناقش ما لدى الطيب من آراء وهكذا كان، وكنت قد تعرضت لذلك مفصلاً في كتابي حفرة الدم.

أثناء الأيام الأولى للأحداث كان الطيب يساهم في العمل ببنغازي، ولما حضر الساعدي طلب منهم مغادرة بنغازي فاتجه إلى طبرق، لكن سرعان ما تطورت الأحداث، وسقطت المنطقة الشرقية في أيدي المقاتلة ومساندیها، فرجع إلى طرابلس.

في طرابلس شكلنا فريق دعم للعمل السياسي والشعبي مع الدكتور البغدادي المحمودي، وكان منزل الطيب مكان اللقاء يوميًا في الظهر لمتابعة الأحداث وتنظيم العمل.

يوم 8/21 بعد سيطرة القوى المعادية بدعم أطلسي على طرابلس، وبعد عودتنا التي كانت محفوفة بالمخاطر من جمعية الدعوة الإسلامية، جاءني الطيب وقال: لابد أن نفكر في الخروج، كانت منطقتنا لازالت آمنة، لكن علمنا أن القائد وسيف الإسلام غادروا طرابلس، وأن الأمور تتجه إلى الأسوء اتصلنا بالأخ أبوزيد دورده فكان أيضًا منعزلًا ولا اتصال لديه، وكذلك تواصلنا مع الشهيد عبدالقادر البغدادي.

في رحلة الهجرة التي سأكتب تفاصيلها بإذن الله، كان الطيب رفيقاً عزيزاً طيلة سنتين، عبرنا خلالها آلاف الكيلومترات إلى أن وجدنا مكانًا آمنًا حمانا ومكننا من التواصل بالرفاق عن طريق السكايبي، يوم 10 يوليو 2013 بعد سقوط نظام الإخوان في مصر قررت العودة إلى الجزائر بينما قررالطيب السفر مباشرة إلى مصر، في ذلك اليوم افترقنا لبعض الوقت، لكن سرعان ما تواصلنا ثانية.

إبراهيم مصباح أبوخزام

ثقافة وقدرة على التحليل وأكاديمي متميز وفقيه في القانون.

ولد إبراهيم أبوخزام في القرضة بالشاطئ، بها تلقى الإبتدائي والإعدادي، ثم انتقل إلى سبها للدراسة الثانوية، واستكمل دراسة القانون بجامعة قاريونس.

تعرفت على الدكتور إبراهيم أبوخزام متأخرًا، فأثناء دراسته الجامعية لم يكن نشط طلابياً وكان منكب على الدراسة، في بداية الثمانينيات شكلت مؤتمرات تعليمية من الطلاب وأعضاء هيئات التدريس الجامعي لإدارة الكليات والجامعة، وفي عام 1986 اختير أمينًا مساعدًا بأمانة مؤتمر الشعب العام، وهناك تعرفت عليه عن قرب، لقد كان إداريا كفؤا وقياديًا نشطًا، كانت الأمانة تتكون من المرحوم الدكتور مفتاح الأسطى عمر، والدكتور إبراهيم أبوخزام، والمرحوم عمر اشكال، والأستاذ سليمان الشحومي، صعدت وقتها أمينًا للصحة، وانتقلت الأمانات للعمل بالجفرة وسرت، فكانت مناسبة للتعرف على إبراهيم أبوخزام المثقف والسياسي، وتوطدت علاقة صداقة متينة، صعد بعدها أمينًا للتعليم، وكنت على تواصل مستمر معه لكوني مسؤولًا عن العمل الثوري في الخار،ج والذي غالبًا ما يأخذ طابعًا ثقافيًا، فكان يشارك في أغلب المناشط الفكرية لشعبة العمل الخارجي، ثم كلف سفيرًا في العراق فقل التواصل لبعض الوقت، لكن بعد عودته تولى إدارة جامعة ناصر الأممية التي تتبع فنيًا شعبة العمل الخارجي.

عام 1988 بعد ما عرف بأصبح الصبح 3 مارس حيث أفرج على المساجين، وجه القائد بإصدار وثيقة لحقوق الإنسان تمنع التعذيب، وتفصل بين قضايا الإرهاب والجرائم العادية، وفعلًا في شهري أبريل ومايو عقدت المؤتمرات الشعبية جلسات مطولة لمناقشة حقوق الإنسان في النظام الجماهيري التي ينبغي أن تكون أوسع من حقوقه في ظل الأنظمة التقليدية، وبعد إنتهاء المناقشات شكل فريق لصياغة قرارات المؤتمرات واستخلاص نصوص قانونية للوثيقة، ولقد كنت عضوًا بالفريق الذي ضم أيضا: الدكتور إبراهيم أبوخزام، وأحمد إبراهيم، وعبدالقادر البغدادي، والدكتور رجب أبودبوس ومحمد المجدوب وغيرهم، وساهمنا في صياغة الوثيقة بندًا بندًا، وكان القائد يراجع معنا الصياغة، وتولى الدكتور إبراهيم أبوخزام الصياغة، وفي 12 يونيو 1988 صدرت الوثيقة الكبرى لحقوق الإنسان في عصر الجماهير من قبل مؤتمر الشعب العام لتصبح وثيقة دستورية وقاعدة قانونية مهمة في القانون الليبي.

ألف الدكتور إبراهيم أبوخزام عديد الكتب المنهجية لطلبة القانون كما ألف أيضا كتبا فكرية وثقافية رصينة، وشارك في لجنة صياغة المرجعية قبل 2011 التي صيغت بحرفية عالية لتتماشى مع التطورات السياسية في العالم.

عندما اندلعت شرارة المؤامرة تقدم الدكتور إبراهيم أبوخزام إلى العمل، والتحق بلجنة حقوق الإنسان، وحاول جاهدًا تفنيذ الأكاذيب التي بنى عليها التدخل دون جدوى، وعين مندوبًا لليبيا بالأمم المتحدة، إلا أن الولايات المتحدة رفضت منحه التأشيرة، وكذلك رفضت الأمم المتحدة إلغاء وظيفة شلقم رغم قرار إقالته.

بعد سقوط ليبيا في أيدي الأعداء هاجر الدكتور إبراهيم أبوخزام مع المهاجرين إلى القاهرة، والتقيته عندما وصلت مصر نهاية 2013، وكان لقاءً أخويًا، وعندما تطرقنا للسياسة قال: إنه لازال يفضل الصمت، وأن الأمور لم تنضج بعد لعمل مؤثر، لكن في 2015 اقتنع بالمساهمة في حوار للقيادات من المهجرين استمر شهوراً بمقر الحركة الوطنية الشعبية الليبية، وأنتج رؤية حددت الوسائل السياسية للكفاح الوطني، وتحديد القوى الممكن التحالف معها والخصوم الذين يمكن محاورتهم والأعداء الذين لاسبيل للقاء معهم.

في نهاية 2015 وبعد انطلاق معركة الكرامة، زار الدكتور إبراهيم أبوخزام القائد العام للقوات المسلحة العربية الليبية، واتفق معه على توحيد كل القوى الوطنية مع القوات المسلحة في معركتها مع الإرهاب، وعند عودته طرح علينا الأمر فدعونا للقاء لكل القيادات الوطنية، وبعد مناقشات اتفق على دعم القوات المسلحة وفق ما اتفق عليه.

بعد تعيين غسان سلامة مبعوثًا للأمم المتحدة في ليبيا اتفق على تكليف الدكتور إبراهيم أبوخزام، وسعيد رشوان، ورجب مادي للقائه وفهم توجهاته، وفعلًا التقوا به وتم التمهيد لسلسلة من الحوارات مع البعثة لكن بعض الانتهازين قفزوا على الموضوع واجهضت محاولة جادة للمشاركة الإيجابية في حل سياسي.

بشير محمد سعد

ضابط شجاع ووطني مخلص وزاهد متواضع.

ولد اللواء بشير حميد في مدينة طرابلس بسيدي خليفة بشارع الزاوية، وتلقى تعليمه الابتدائي، والإعدادي، والثانوي بها، وكان طالبًا متفوقًا نشطًا ثقافيًا واجتماعيًا، التحق بالكلية العسكرية وتخرج منها بتفوق عام 1967 وعين بمدينة بنغازي، ثم أوفد في دورة تدريبية إلى بريطانيا وعاد منها بعد الثورة ليلتحق بوحدات مختلفة، ثم نقل إلى مكتب القيادة فعمل بمكتب القائد العام الشهيد أبوبكر يونس جابر، وبعدها عمل بمكتب القائد الأعلى وتولى الإشراف على قلم القيادة.

تعرفت على المرحوم بشير عندما كلف بالإشراف على المعسكرات التثقيفية والتأسيسية في بداية السبعينيات وتوطدت العلاقة بيننا وتحولت إلى أخوة حقيقية، كان بطبيعته قادر على الاندماج في الحراك الشبابي الطلابي، ولم يشعر الطلاب يومًا أنه ضابط، بل يعامل دائمًا على أساس أنه طالب، وواحد منهم، وكان يحضى بثقة القيادة بشكل مطلق، فهو رجل صادق منضبط ينقل ما يطلب منه بدقة وحرفية.

تابع في بداية السبعينيات حركات التحرر في أفريقيا وآسيا، وكلف بالتنسيق مع دولة الإمارات فيما يخص حركة تحرير "مورو" في الفلبين، وكان أول عربي يتواصل معهم وينقل دعم ليبيا والإمارات لهم حتى تمكنوا من فرض حقوق المسلمين في جنوب الفلبين.

كما كان يتابع الفصائل الفلسطينية واللبنانية المقاومة، لكنه بعد انطلاق معسكرات السابع من أبريل للإعداد الفكري والسياسي للطلاب، تفرغ تقريبًا للعمل مع الطلبة والقوى الثورية المدنية.

كان حاضرًا عند إعلان تشكيل اللجان الثورية، وتولى الإشراف على بناء الحركة في طرابلس، وبعد استكمال إعلانات تأسيس الحركة تولى إدارة مكتب التنسيق لها الذي تحول إلى مكتب الاتصال باللجان الثورية، واستمر منسقًا للمكتب إلى بداية الثمانينيات ثم انتقل للعمل بأمانة الاتصال، لكنه بقى على اتصال مستمر مع مكتب الاتصال باللجان الثورية، وتم تكليف العقيد محمد المجدوب منسقاً للمكتب وبعد إنتهاء عمله بالقلم وبلدية طرابلس كلف مساعدًا للمنسق العام للمكتب ومنسقاً لشعبة التشكيلات الثورية.

في نهاية التسعينيات كلف أمينًا لشعبية طرابلس لعدة سنوات، حيث انهمك في العمل التنفيذي والشعبي، وبفعل علاقاته الواسعة في طرابلس وما يتمتع به من قبول نجح في ترك بصماته على البلدية. كان مثابرًا جديًا إلى أبعد الحدود يجلس بمكتبه لساعات حتى يستكمل ما بيديه من عمل.

بالنظر لتواضع المرحوم بشير حميد وسعة صدره، كان مكتبه المحطة التي يزورها الجميع ويلتقي بها الكل، وكان نقطة التواصل بين المختلفين.

أسس في الثمانينيات مع المرحوم علي مرسي الشاعري مشروع البراعم والأشبال والسواعد بهدف بناء جيل وطني من خلال

عمليات إعداد ثقافي واجتماعي للأطفال واليافعين، واستمر المشروع بزخم في الثمانينيات إلا أن الاهتمام أخذ في التقلص خاصة بعد إبتعاد المرحوم بشير، والمرحوم علي الشاعري عن الإشراف المباشر.

عندما اندلعت الأحداث في عام 2011 كان موقف بشير حميد صلباً ثابتاً ورغم ظروفه الصحية إلا أنه ترأس غرفة العمليات بمكتب الاتصال وساهم في مقاومة العدوان، وبعد سقوط طرابلس أسر بمدينة الزاوية وسلم من مليشياتها إلى مليشيات مصراته مقابل رشوة مالية، ونقل بطريقة وحشية إلى سجون المليشيات بمصراته حيث تلقى أبشع صنوف التعذيب، وكسرت قدمه، ولم يتلقى علاجًا لها، وبالنظر لظروفه الصحية ومجهودات بعض الإخوة الوطنيين من مصراته وعلى رأسهم المرحوم حسن شابه تم الإفراج عليه، فهاجر إلى مصر، لكنه بقى طريح الفراش بسبب ما أصابه في قدميه من تعذيب إلى انتقل إلى جوار ربه في بداية سنة 2021.

عمران إبراهيم أبوكراع

الجدية في العمل والتفاني.

ولد عمران أبوكراع في نهاية خمسينيات القرن الماضي في بني وليد وتعلم بها، وكان كأغلبية أبناء جيله يكافح من أجل إنهاء تعليمه، استكمل في السبعينيات تعليمه بثانوية الخمس، ثم التحق بكلية الهندسة جامعة الفاتح، وكان طالبًا ناجحًا في دراسته.

تعرفت عليه في رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وتكونت صداقة بينما كان طالبًا في الجامعة، وشارك في أغلب معارك

ثورة الفاتح الثقافية والاجتماعية، وبرز في ثورة الطلاب في السابع من أبريل، وحضر أغلب اللقاءات الثورية وكان معروفًا بالنقاش في التفاصيل الذي يصل إلى درجة الجدل أحيانا، كان طلبة كلية الهندسة عمومًا يشكلون قوة مهمة في قيادة العمل بالجامعة ويتمحور حولهم طلاب بعض الكليات الأخرى كالعلوم والزراعة، أما كلية الطب فكان بها فريق ثوري نشط ومتجانس، وكذلك الحال بالنسبة لكلية التربية، أيضًا كان بكلية الهندسة نشاط ملحوظ للطلبة الشيوعيين، وكانوا دائمًا يدخلون في صراعات مع الطلبة الناصريين، كانوا يصدرون صحيفة حائطية اسمها "المحطة" يشرف عليها طالب اسمه إبراهيم غنيوة، وكان ماركسيًا متزمتًا لكنه انقلب لاحقًا إلى إمبرياليًا كبيرًا من خلال تواجده في أمريكا، وأسس صفحة على شبكة التواصل اسمها "ليبيا وطننا" استخدمت مع صفحة أخرى أسسها الإخواني الشامس في لندن في تنفيذ المؤامرة على ليبيا 2011، وقفلت الصفحتان بمجرد سقوط الدولة الجماهيرية.

تخرج عمران أبوكراع من الهندسة، ونسب للعمل بالشركة العامة للكهرباء التي كان يترأسها المهندس جمعة الأربش، وكان مهندسًا نشطًا، وبعد فترة كلف مديرًا للشركة فأدارها على أكمل وجه، ونجح في استكمال المخطط الخاص بالكهرباء، وبسبب عمله الفني بالشركة العامة للكهرباء تقلص دوره السياسي والثوري وتفرغ كليًا للعمل المهني.

بفعل حرصه وجديته تمكن مع فريق من المهندسين والخبراء الوطنيين استكمال خطة الثورة في قطاع الكهرباء، وكان حازمًا متابعًا لدقائق الأمور، وبعد الكارثة التي أصابت قطاع الطاقة خاصة في ليبيا،

يتمنى كثير من الليبيين عودته لقيادة القطاع وإعادة بنائه، وتخليصه من كوارث النهب والفساد التي دمرته منذ 2011.

كانت العلاقة مع المهندس عمران محدودة في تلك الفترة لاختلاف طبيعة العمل وأن كنا نلتقي بين الفينة والأخرى.

لقد نجحت الدولة في بناء شبكة كهرباء متطورة ونجحت في التوليد والتوزيع بالرغم من أن ليبيا بلد كبير مترامي الأطراف، لكن لم توجد بقعة فيها لم تتم تغطيتها بالتيار الكهربائي، ولاشك كان للقيادات التي أدارت القطاع دور مهم في ذلك فتركوا بصماتهم عليه، ومن أهم الإنجازات تليبب القطاع بالكامل فنجح المهندسون والفنيون الليبيون في إدارة هذه الشبكة العملاقة دون الارتهان للأجنبي.

في نهاية الألفينات ومع تصاعد نفوذ بعض المجموعات التي تسللت إلى الدولة، نقل المهندس عمران أبوكراع من الكهرباء ليعمل أمينًا مساعدًا للاتصال الخارجي للشؤون العربية، فكان عليه تغيير اتجاهه بالكامل إلى العمل السياسي والدبلوماسي بدلًا عن العمل الفني.

2010 انعقدت القمة العربية والقمة العربية الأوروبية وكان للمهندس عمران أبوكراع دورًا كبيرًا في إنجاحهما.

عندما اندلعت الأحداث في فبراير 2011 تحول مكتب المهندس عمران بحي دمشق "أمانة الشؤون العربية" إلى غرفة عمليات لإدارة العمل السياسي، وكنت مع الأخوين الطيب الصافي والشهيد عبدالقادر البغدادي نتواجد فيه في أغلب الأوقات، وكانت أغلب الاتصالات والمراسلات تتم هناك.

في بداية الأحداث أرسل المهندس عمران إلى جامعة الدول العربية لتوضيح الموقف، لكن قرارا كان قد اتخذ بمنع ليبيا من التواجد بالجامعة.

ثم قام بزيارة إلى دولة قطر ليفهم طبيعة الموقف القطري، واستقبله أميرها المتورط أساسًا في المؤامرة.

بعد شهر يونيو عين مديرًا للمؤسسة العامة للنفط، فحاول حل الاختناقات في الوقود بسبب الحصار وحاول البحث في حلول مع الطليان لكن دون جدوى، وعندما سقطت طرابلس كان متواجدًا بتونس فغادرها إلى القاهرة.

بعد هجرتنا إلى الجزائر ومنها إلى مصر التقيت مع الحاج الطيب، والمهندس عمران مرتين، وفي نهاية أكتوبر قررت مع الطيب مغادرة مصر ورجعنا أدراجنا إلى الجزائر ومنها إلى الدولة التي أوتنا.

في شهر2013 اضطر لمغادرة مصر إلى الجزائر مع المرحوم نصر المبروك، والتقينا ثانية في شهر يونيو، وقضينا شهر رمضان معاً ثم عاد إلى القاهرة بعد انتصار ثورة 30 يونيو الشعبية المباشرة.

في الجزائر اتفقت معه على تصعيد العمل في الحركة الوطنية، وفعلا بمجرد عودته أجرى اتصالات وعقد لقاءات مع كل الإخوة نجحت في التحضير لعقد المؤتمر الأول للحركة في القاهرة في 2014.

وبعد ظهور بوادر أعمال لشق الصف الوطني تولى المهندس عمران قيادة حوار مع الدكتور محمد الحضيـري، والدكتور إبراهيم

أبوخزام لتوحيد القوى الوطنية الجماهيرية، وتم صياغة مشروع رؤية وطنية إلا أن العابثين نجحوا في إبقائها في حقيبة المهندس عمران.

عمران أبوكراع أيضًا شخصية اجتماعية مرموقة يلعب دورًا في مواجهة محاولات تعميق الشرخ الاجتماعي بين القبائل الليبية، وساهم في كثير من الحورات واللقاءات التي تجرى من أجل تمكين الشعب الليبي بكل قبائله من فرض إرادته على أرضه.

محمد بلحسن جبريل العرفي

المثابرة والزهد والصلابة.

ولد الدكتور محمد جبريل بمدينة المرج، وبها تلقى تعليمه الإبتدائي والإعدادي، والتحق بسلك التدريس، وعمل معلمًا بمنطقة سوق الجمعة بطرابلس، ولكونه من المتميزين والجادين تمكن من الالتحاق بالجامعة في طرابلس، وتخرج من قسم الحاسوب، ثم أوفد للدراسة العليا بالولايات المتحدة الأمريكية فتحصل على درجة الماجستير والدكتوراه.

تعرفت عليه أثناء الثورة الشعبية عام 1976 وكانت العلاقة نضالية بدأت سطحية لكنها توطدت بعد سفره إلى أمريكا، ونشاطه الطلابي البارز هناك، وبعد عودته التحق بقطاع النفط وكلف مديرًا لشركة الجوف ثم صعد أمينًا لشؤون النقابات بأمانة مؤتمر الشعب العام.

كان من قيادات اللجان الثورية المخلصين الصادقين، يحب العمل في صمت وخلف الأضواء، وساهم في كل المعارك الثورية وشارك في أغلب المناشط التثقيفية للحركة.

في أمانة مؤتمر الشعب العام حاول جاهدًا بناء نقابات فعالة على أسس ديمقراطية، ونجح في ذلك، وتم إسقاط بعض المعوقين الذين يحتكرون إدارة النقابة، خاصة في نقابة المحامين، ولم يمضي وقتًا طويلًا حتى ظهرت حقيقتهم، فكانوا جزء مهم من المؤامرة، يمثلهم الخائنان غوقة والعلاقى.

شارك الدكتور محمد جبريل في التصدي للمؤامرة مع شعبه وبقى صامدًا في طرابلس حتى سقطت نتيجة قوة الناتو، فهاجر مع المهاجرين يحمل حفيدته التي قال عنها إنها كانت جواز سفره، واستقر به المقام في القاهرة.

الدكتور محمد جبريل كان ثالث شخصية قيادية أتمكن من الاتصال بها ودعوتها للعمل لتأسيس الحركة الوطنية الشعبية وكانت استجابته فورية، بعد الدكتور رمضان البريكي، والأخ معاوية الصويعي.

لقد عكف الدكتور محمد جبريل على كتابة أغلب وثائق الحركة بجهاز حاسوبه الخاص، وكان يراجع مع الدكتور رمضان البريكي الذي صاغ مسودة البيان التأسيس كل كلمة تقريبًا، وكنا نقضي ساعات على "السكايبي" لتكون الصياغة تتماشى مع الظروف النضالية الجديدة، وبعد أن حمل الدكتور رمضـــــــان البريكي مسودة البيان التأسيسي، والأهداف والمبادئ العامة للحركة إلى الإخوة في اجتماع الجزائر، كان على تواصل دائم مع الدكتور محمد جبريل.

للتاريخ شارك الدكتور موسى إبراهيم متأخرًا في صياغة المواثيق، وكان أيضًا للأخوين عمر الحامدي، وأحمد أبوخريص دورًا كبيرًا جدًا في تنقيح الأدبيات.

كان الدكتور محمد جبريل يتولى إدارة المناقشات التي جرت على غرف "البالتوك" الخاصة لإقرار مشروع الحركة ولإعلانها في 2012/2/15.

بعد ثورة 30 يونيو 2013 عدت إلى القاهرة وكان أول لقاء مباشر مع الدكتور محمد جبريل في عمارات العبور، وفيه وضعنا اللبنات للتحرك العلني.

كانت الطموحات كبيرة، وكان الدكتور محمد قد نجح في تشكيل جمعية أهلية للمهجرين الليبيين ضمت أعضاء الحركة لتسهيل التحرك من خلالها، وتكونت الجمعية من عدد 12 شخصًا منهم المستشار أحمد أبوخريص، والأستاذ عمر الحامدي، والمستشار إبراهيم عبدالسلام، والدكتور إبراهيم الغويل، وعادل دورده، ومفتاح كعيبه، والزروق عبداللطيف، وعبدالحميد بيزان، وعلي الأحول.

كما تم التفكير الجدي في إنشاء قناة النداء الفضائية لكن العمل لم ينجز لعدم توفر التغطية المالية.

في عام 2014 وقع العبء الأكبر على الدكتور محمد جبريل في الإعداد لانعقاد المؤتمر المباشر الأول للحركة، وفعلًا ورغم ظهور تشويش وعراقيل نجح في إدارته واستخلاص اعتماد وثائق الحركة، وتشكيل هيئاته القيادية.

علي ميلاد أبوجازية

الجدية والمثابرة، مهندس فنان.

ولد المهندس علي أبوجازية بمدينة سرت من عائلة أبوجازية التي تنتمي إلى قبيلة ذكيران بمصراتة، والتي تنتشر من درنة إلى بنغازي وسرت ومصراته وطرابلس.

تلقى تعليمه الإبتدائي والإعدادي والثانوي بمدينة سرت، وكان من ضمن الشباب الصغار بالتعليم الثانوي الذين انضموا لفرع رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، ثم انتقل إلى بنغازي لاستكمال دراسته، وكان ضمن الدفعة الأولى لكلية الهندسة بجامعة بنغازي، وعقب تخرجه التحق بالعمل في مؤسسات الدولة.

تعرفت على المهندس علي أبوجازية عندما كان طالبًا بفرع الرابطة بسرت، لكن العلاقة توطدت أثناء الحراك الطلابي، وثورة السابع من أبريل التي كان له دورًا مهمًا فيها، وفي لجنة الطلائع الثورية مندوبًا عن كلية الهندسة، والتي أهتمت بتطوير المنهج وقانون الجامعات، ثم اختير في الاتحاد العام لطلبة الجماهيرية وكلف بالعمل الخارجي مع الدكتور علي ريح، وشارك في تأسيس حركة اللجان الثورية، وكان من القيادات النشطة بها.

كلف بالعمل في مكتب الاتصال باللجان الثورية في شعبة المؤتمرات المهنية، وكذلك شعبة العمل الخارجي منسقًا لقسم أوروبا والأمريكتين.

في الثمانينيات أرسل للدراسة ببريطانيا، إلا أن ضغوط السلطات البريطانية بوشايات من المجموعات الإسلامية اضطرته للعودة إلى الوطن.

شارك المهندس علي أبوجازية في أغلب المعارك الثورية الوطنية، وساهم في إرساء الاستقرار في ليبيا، وكان له دورًا بارزًا في عمليات التثقيف والإعداد الفكري للقيادات الوطنية.

تولى لوقت قصير أمانة الإعلام، وقاد عددًا من الشركات الهندسية ربما أهمها شركة أفريقيا للهندسة، وشركة الاستثمار العقاري.

يتصف المهندس علي أبوجازية بالجدية والمتابرة والإصرار على وجهة نظره، وهو كاتب وفنان، كان عازفًا ضمن فرقة المدرسة الثانوية.

علي أبوجازية قومي صلب أرتبط بعلاقات مهمة مع عديد المناضلين القوميين، خاصة من السودان وفلسطين، كما أنه كان فاعلا ضمن حركة التحرر العالمي، وساهم في دعمها وتثقيف أطرها.

عام 2011 انضم إلى الشعب في كفاحه الشرعي ضد عدوان الناتو، وحاول البحث عن حلول سلمية تجنب الوطن ما وصل إليه، لكن تعنث العملاء الذين كانوا ينفذون قرارًا مسبقًا لم يسمح بتحقيق اختراقات.

في نهاية يوليو 2011 غادر ليبيا ليستقر بعض الوقت في الأردن ثم هاجر إلى ألمانيا.

نصر عبدالله المبروك

الانضباط والجدية.

ولد نصرالمبروك بالرياينة، وبها تلقى تعليمه الأول، ثم التحق بكلية التربية - جامعة طرابلس، تعرفت عليه مع المرحوم عبدالقادر البغدادي الذي كان رفيقًا له وصديقًا مقربًا.

يتسم المرحوم نصر المبروك بالجدية الدائمة، وبموقفه القومي والوطني، وكان له دورًا بارزًا في تعبئة الطلاب لمواجهة المجموعات الحزبية التي حاولت السيطرة على الجامعة طيلة سنوات دراسته، وساهم في بناء أول اتحاد للطلاب في ليبيا، وفي السادس من أبريل 1976 كان من قيادات الطلاب في مسيرة تطهير الجامعة من الحزبيين.

كان من الطلاب النشطين والبارزين في معسكرات السابع من أبريل للإعداد السياسي، كما كان محاضرًا وموجهًا سياسيًا في كثير من المعسكرات والدورات التثقيفية.

في الثمانينيات صعد أمينًا للجنة الشعبية في الجبل الغربي، وفي إطار استبدال مواقع عمل اللجان الشعبية انتقل للعمل ببلدية الكفرة، وبقى بها عدة سنوات.

عمل أيضا لسنوات في مكافحة الزندقة والظواهر الهدامة، حين تقرر أن لا تقتصر المواجهة على الجانب الأمني فقط، وكان له دورًا مهمًا في منع المجموعات الإرهابية التابعة للجماعة الليبية المقاتلة من تنفيذ مخططاتها الإجرامية ضد الليبيين، وكان الجندي المجهول في الحرب على الإرهاب، ثم اختير أمينًا للداخلية في نهاية الألفينات، وقدم

استقالته بعد أحداث القنصلية الإيطالية في بنغادي في 2006، والتي تمكنت المجموعات الإرهابية في توجيهها إلى مناوشات ضد الشرطة.

بعد أحداث 2011 التحق بالعمل الأمني، وساهم في مقاومة العدوان الأجنبي، لكنه في نهاية شهر يوليو خرج بدون إذن وسافر إلى مصر وحاولت المجموعات المرتبطة بالناتو استمالته واستخدامه دعائيًا ضد بلاده فلم يطاوعهم.

عند سيطرة الإخوان على مصر هاجر إلى الجزائر، وعاد بعد ثورة 30 يونيو.

في عام 2014 احتضن منزله بالقاهرة لقاء تاريخي للتطرق للمصالحة الوطنية حضره المرحوم حسن شابة، والطيب الصافي، وعمران أبوكراع، والعبدلله، وكان ذلك اللقاء بداية فتح قنوات بين القوى الوطنية في مصراته وبقية القوى الوطنية.

أصيب بمرض غامض، وانتقل إلى رحمة الله في ألمانيا بعد أن نقل إليها على عجل.

محمد علي زيدان

النخوة والمثابرة مع الاهتمام بالتفاصيل.

محمد علي زيدان من مواليد تمنهنت بالقرب من سبها، درس بها مراحل تعليمه الإبتدائي والإعدادي والثانوي، وكان من الطلاب المتفوقين، التحق بكلية الهندسة بجامعة طرابلس.

ينتمي محمد زيدان إلى أسرة وطنية لها رصيد اجتماعي كبير في الجنوب خاصة وفي كل ليبيا، في جامعة طرابلس كان طالبًا نشطًا،

ساهم في تأسيس العمل الثوري الوطني في الجامعة، التحق باللجان الثورية في مثابة طرابلس، وأسهم في تأسيس قاعدة للعمل الثوري.

تعرفت على محمد زيدان وهو طالب في الجامعة، وتكونت علاقة نضالية استمرت إلى الآن بحمد الله، فهو صديق صدوق واضح في أقواله وأفعاله، منفتح على الجميع.

بعد تخرجه عين مديرًا لمصنع الأنانيب في بنغازي، ونجح في تشغيله وتطويره، ثم انتقل للعمل بمصنع الحديد والصلب، ومنه إلى مصنع الأعلاف، وفي كل مسيرته في قطاع الصناعة قاد المؤسسات بكفاءة عالية وترك أثرًا كبيرًا في أداء تلك المؤسسات، ثم صعد أمينًا للمواصلات والنقل التي بقي فيها حتى سقوط الدولة.

أثناء الأحداث عمل مع الإخوة في الجنوب من خلال فريق عمل لتجنيب الجنوب أي تصعيد، كما كان يدير قطاع الموصلات الذي عطل نتيجة التدخل العسكري للناتو، ووقف الطيـــــران والحصار البحري التام، وقصف أي شاحنة تتحرك على الطرق العامة لا تحمل إشارات الناتو، وحاول تجاوز مسائل النقص في الوقود بسبب الحصار الدولى على وارادت الوقود وعلى عمليات نقل وتكرير النفط.

في نهاية شهر يوليو 2011 أوفد مع وفد عال المستوى إلى أمريكا اللاتينية لنقل رسائل إلى قياداتها، وعاد مع الوفد إلى تونس وحاول التواصل مع بعض الشركات لتوفير الوقود، وسيارات تعمل بالديزل بدل البنزين إلى حين سقوط طرابلس فهاجر إلى الأردن حيث بقى بها سنوات، ثم سافر إلى ألمانيا الغربية.

سليمان ساسي الشحومي

التواضع والصدق والإخلاص.

تعرفت على سليمان الشحومي عن قرب، عندما صعدت أمينًا للصحة في أواخر ثمانينيات القرن الماضي، حيث كان أمينًا لشؤون اللجان الشعبية بأمانة مؤتمر الشعب العام، التي ترأسها المرحوم الدكتور مفتاح الأسطى عمر، في تلك الفترة صدرت التوجيهات بنقل العاصمة إلى الجفرة وسرت، فكانت مناسبة للتواصل المستمر والنقاش المعمق، وتكونت صداقة بيني وبين الأخ سليمان استمرت إلى الآن والحمد لله.

ثم كلف الأخ سليمان أمينًا للشؤون الخارجية بأمانة مؤتمر الشعب العام، ومنسقًا لشعبة العمل الخارجي بمكتب الاتصال باللجان الثورية، فكانت فرصة للعمل السياسي والثوري.

وفي التسعينيات كلفت منسقًا لشعبة العمل الخارجي بمكتب الاتصال، وكلف الأخ سليمان بشعبة العمل القومي، وأيضا كاتبًا عامًا لأمانة الوحدة، فكان التواصل والتنسيق والعمل المشترك.

سليمان الشحومي قليل الكلام، لكنه من الذين يعملون في صمت، ومن الصعب أن يقوم بشيء لم يقتنع به، لذلك كانت له مناكفات مع كثير من المسؤولين في الدولة، ولا يتردد في قول ما يقتنع به مهما كان وقعه على المستمع، لكنه كان لينًا وسهلًا وغير متعصب لوجهات نظره.

نجح في ربط علاقات جيدة مع عديد القوى السياسية العربية والأفريقية والعالمية، وكانت له علاقات مميزة مع الإخوة في السودان

بمختلف توجهاتهم، والإخوة في اليمن والمشرق العربي، لكنه ارتبط بعلاقات أوثق مع الإخوة في تونس والمغرب والجزائر.

كان له دورًا مهمًا في ملتقى الحوار العربي الديمقراطي الذي نظمته ليبيا بين القوى القومية واليسارية والإسلامية المعتدلة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتفرد أمريكا بقيادة العالم، بهدف إيجاد آلية شعبية عربية لمواجهة الانهيارات المحتملة في المنطقة والمخطط الصهيوني الذي لاشك سيعمل على الإستفادة من التغيير المهم في الوضع الدولي، ولقد بدل الأخ سليمان ورفاقه جهودًا كبيرة مع المرحوم محمد المجدوب، والدكتور عبدالقادر البغدادي، والمناضل أحمد إبراهيم، وحسين السويعدي، لكنها للأسف لم تنجح في تحقيق الهدف رغم برامج مقاومة التطبيع التي بقت حبر على ورق.

أثناء أحداث 2011 كان موقف سليمان الشحومي ثابتًا رصينًا في الدفاع عن الوطن، وكلف من القيادة مرات عديدة للبحث في معالجات سلمية مع مصراتة، وأجرى اتصالات مع عدد من قيادات المليشيات بالمدينة لكنها لم تنجح لتعنت المليشيات المدعومة من الناتو والغرب عمومًا، كما كلف بعدة مهام دبلوماسية أثناء الأحداث في منطقة المغرب العربي، وبعد سقوط طرابلس بقى لفترة في تونس إلى أن طالبته السلطات النهضوية بالمغادرة فلجأ إلى المغرب.

لم يتوقف عن النضال الوطني، وكان متواجدًا في كل المناشط السياسية، يدعو إلى استعادة الوطن، وتوحيد القوى الوطنية ضد المؤامرة الغربية على ليبيا.

عبدالله ميلاد المقري

البساطة والعفوية الجدية.

ولد عبدالله المقري بترهونة، ودرس بها كل مراحل التعليم المختلفة، والتحق بكلية الآداب بالجامعة الليبية في بنغازي، أقام بالقسم الخارجي في بيت مستأجر مع زملاء من المنطقة الغربية، كان من مؤسسي رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين فرع بنغازي.

تعرفت عليه بفرع الرابطة، وتكونت بيننا صداقة مستمرة، ذات مرة كنت أزوره بالشقة فوقعت عيني على كتاب رأس المال لـ"كارل ماركس" فأخذت أتصفحه، وكانت معلوماتي عن الماركسية من خلال الكتب النقدية لها ولم يسبق لي أن أطلعت على ما يكتبه الماركسيون عنها، أهداني الكتاب، وعندما بدأت في قراءته وجدت صعوبة بالغة في فهمه فهو كتاب أقرب للتخصص منه إلى الفكر، لكنه شجعني على أن أبحث عن كتب ماركسية وهكذا كان.

كان الشيوعيون ينشطون بالجامعة في تلك الفترة، وكذلك التيارات اليسارية المختلفة، وكان الأساتذة في كلية الآداب أيضًا أغلبهم من المدرسة اليسارية ربما أبرزهم عبدالرحمن بدوي، وكان الطلاب الشيوعيون يتصورون أنهم يستطيعون القفز على مشروع الثورة، لكن الطلبة القوميين خاصة بعد تشكيل الرابطة أوجدوا معادلة ثقافية وفكرية وسياسية في الجامعة.

كان عبدالله المقري مع الإخوة صالح الشيخي، رمضان عبدالعزيز، جمعة سويسي، محمد صالح منصور، سليمان البوزيدي،

مفتاح أزبيدة، والأستاذ سالم الشيباني وآخرين، يصعب تذكرهم جميعا يشكلون نقطة لقاء للطلاب وخاضوا معركة مهمة حرمت الشيوعيين من إيجاد موطأ قدم في الجامعة.

وعندما أعلنت الثورة الشعبية عام 1073 كان عبدالله المقري في مقدمة القيادات التي شكلت أول لجنة شعبية في كلية الآداب.

وبعد الزحف على الإذاعة اختير عضوًا باللجنة الشعبية بها وانتدب للعمل بقسم البرامج.

شارك في الحملة التوعوية التي نفذت بعد إعلان الثورة الشعبية في بنغازي، ولم يتمكن من حضور امتحانات الدور الأول بكلية الآداب رغم كونه بالسنة النهائية، وبعد تصميمنا نحن طلبة كلية الطب على دخول امتحان الدور الثاني رفض عبدالله الترحيل وقرر أيضًا دخول الامتحان.

أقام معنا ببيت الطلبة في منطقة سيدي حسين ببنغازي، واعتكف للمراجعة والمذاكرة، وفعلًا تمكن من اجتياز الامتحان بتقدير.

أمضى عبدالله سنوات في العمل الإعلامي بالإذاعة الليبية وكان من مؤسسي إذاعة صوت الوطن العربي.

ثم تفرغ للعمل القومي مع الفصائل التقدمية في لبنان وفلسطين والسودان، وكلف بالعمل في القيادة القومية.

أثناء أحداث 2011 التحق بالعمل الشعبي المقاوم للعدوان الأطلسي على ليبيا، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى تونس ومنها إلى أوروبا واستقر لاجئا بمالطا.

وانخرط في العمل المقاوم السلمي مباشرة فكان من مؤسسي الحركة الوطنية الشعبية الليبية وأحد قياداتها.

مختار القناص

التواضع والثقة والصدق.

ولد الأستاذ مختار القناص بمنطقة الحرارات في الزاوية، وبها تلقى تعليمه الإبتدائي والإعدادي والثانوي، ثم التحق بكلية القانون بالجامعة الليبية بنغازي.

التحق برابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكان من الطلاب النشطين حركيًا وشكل مع مجموعة من الطلاب الثوريين منهم المرحوم الشارف الفرجاني، وميلاد دامـــــان، والهادي حماد، وسعد إسماعيل، فريقًا ثوريًا في الكلية ثم التحق بهم حسني الوحيشي، وأبوعجيلة فكرون، ومحمد مروان، وغيرهم.

بعد التخرج أوفد مختار القناص للدراسة بأمريكا، وبعد عودته كلف بالعمل بالمثابة العالمية، وتولى متابعة الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية، فأرتبط بعلاقات مع عدد من القيادات في تلك البقعة من العالم، ونجح في في إقامة جسور علاقة تاريخية بين ليبيا وشعوب أمريكا الجنوبية لم تكن موجودة من قبل، وساهم في وضع ليبيا في مكانة عالية لدى شعوب أمريكا الجنوبية.

كلف أمينًا مساعدا للاتصال الخارجي للشؤون الأفريقية، وتابع ملفات شرق أفريقيا وجنوب أفريقيا، وبعد سقوط نظام الميز العنصري في جنوب أفريقيا كان متابعًا لملف العلاقات معها، كما أرتبط بعلاقات مع رؤوساء أوغندا، ورواندا، ودول غرب أفريقيا.

مختار القناص شخص هادئ قليل الكلام، توطدت علاقاتنا الشخصية فكان نعم الأخ ونعم الصديق، وهو كريم وفي، حتى أني والأخ عبدالسلام حموده نسميه "المتشدد".

أثناء الأحدات التحق بالعمل بالاتصال الخارجي وعمل مع الإخوة على الموقف الأفريقي، وحضر القمم الأفريقية التي حاولت التعامل مع الملف الليبي، وبعد سقوط طرابلس اعتقل من قبل مليشيات الزاوية في ظروف قاسية بدون تهمة، ثم قدم إلى محكمة صورية لم تجد تهمة توجهها له، فوجه بإتهام غريب مضحك وأدين على أساسه بالسجن المدة التي قضاها، التهمة تقول "إنه أرسل برقية إلى الخارجية أثناء قمة "أديس ابابا" في شهر مارس 2011 تقول إن الوفد المشارك في القمة برئاسة الأستاذ محمد الزوي أمين مؤتمر الشعب العام قابلوا "بان كي مون" الأمين العام للأمم المتحدة وقالوا له إن المجلس الانتقالي الذي يحاول المجتمع الدولي فرضه لا يحضى بتأييد 10% من الليبيين" تلك بالنسبة لهم معلومات كاذبة ضد المجلس الانتقالي، وفي الحقيقة الوفد بالغ في تقدير التأييد للمجلس الانتقالي.

بعد خمس سنوات في سجون المليشيات وبعد الاستئناف حكمت المحكمة ببراءته وأفرج عنه

محمد المدني الأزهري

الثقة والكفاءة.

ولد محمد المدني الأزهري الحسناوي في منطقة القرضة بالشاطئ، ودرس بمدينة سبها، ثم استكمل دراسة القانون بتفوق في

كلية القانون بالجامعة الليبية، وأوفد إلى فرنسا لتحضير درجة الدكتوراه.

تعرفت على محمد المدني عندما كان نشطًا في فرع اتحاد الطلبة في فرنسا، فكان من الطلاب الدراسين بالخارج الذين تصدوا للحملة الدعائية الغربية ضد ليبيا.

ساهم في تأسيس الاتحاد العام لطلبة ليبيا، وكان له دورًا بارزًا في نشاطه الخارجي وتقديمه إلى المنظمات الطلابية والشبابية الأجنبية.

عند تأسيس المثابة العالمية لمكافحة العنصرية والصهيونية والإمبريالية، تولى محمد المدني العمل في ساحة غرب أفريقيا، فنجح في التواصل مع قيادات ثورية تقدمية، وتمكن من تكوين آليات ثورية وطنية للعمل بالغرب الأفريقي أدت إلى وصول قادة تقدميين إلى السلطة، ولعل من أبرزهم المناضل "توماس سانكارا".

بعد الثورة البوركينية عين سفيرًا بـ"وغادوغو" ونجح في نسج علاقات متميزة بين الأنظمة التقدمية في غرب أفريقيا وقيادة الدولة الليبية، وبعد الحصار الجائر الذي فرض عام 1992 على ليبيا كان له دورًا أساسيًا في تحريض القادة الجدد وخاصة "بليز كامباوري"، وإبراهيم مناصرة، وإدريس دبي، و"الفا عمر كوناري"، على كسر الحظر الجوي الذي كان بداية تأكل الحصار إلى أن صدرت قرارات قمة وقادوقو التاريخية.

بعد تأسيس منضمة الساحل والصحراء "س ص" للتعاون الأفريقي كلف الدكتور محمد المدني أمينًا عامًا لها فنجح في وضع

قواعدها وساهم في بناء هياكلها، فشكل بها نواة لتطوير منظمة الوحدة الأفريقية، وتحويلها إلى الاتحاد الإفريقي الذي أعلن في سرت 1999/9/9.

كان الدكتور محمد المدني الأزهري من أبرز القيادات الأفريقية خلال عقدي التسعينيات والعقد الأول من الألفية الثانية، وبعد إندلاع الأحداث قام بدوره الوطني وشارك في الجهود الأفريقية لاحتواء الأزمة، إلى أن سقطت طرابلس، فهاجر إلى تونس ومنها التجأ إلى النيجر إلى صديقة الرئيس محمد يوسف.

عبد السلام محمد الزادمه

الشجاعة والطيبة والجدية.

ولد عبدالسلام الزادمه بمنطقة هراوة، وتلقى تعليمه في مدينة سرت ثم التحق بكلية الاقتصاد والتجارة بجامعة بنغازي، تعرفت عليه بعد أحداث ديسمبر 1975 بالجامعة.

ففي عام 1975 نجح الحزبيون بتحالف بين الشيوعيين ومجموعة بعثية في السيطرة على وحدات اتحاد الطلبة في كليات الآداب والقانون والاقتصاد، وشكلوا الرابطة الطلابية بالجامعة من قيادات حزبية مناوية للثورة، ورفضوا المشاركة في المؤتمر العام الأول للاتحاد باستثناء وحدة كلية الطب.

وفي أواخر ديسمبر وقع شجار بين الطلاب المؤيدين للرابطة وآخرين مؤيدين للاتحاد العام، وتمكن فيه الطلاب المؤيدون للثورة والاتحاد العام من طرد خصومهم من تجمع أمام المكتبة، في الأيام التالية نشر الحزبيون إشاعة مفادها أن الجيش دخل وضرب الطلبة

وأن من قام بذلك طلبة من سرت، ونظموا مجموعات تترصد بأي طالب من مدينة سرت وتشبعه ضربا، تعرض عبدالسلام إلى هجوم لكنه تخلص منهم والتجأ إلى مكتب اتحاد الطلبة بالدور الأرضي بالإدارة العامة، وقفل على نفسه من الداخل، فما كان من المجرمين إلا أن أحضروا بنزينًا وأشعلو النار في باب المكتب، عندها استخـدم عبدالسلام مسدسًا كان يحمله، واطلق النار على قفل المكتب وخرج متجاوزاً النيران.

لم يتمكن عبدالسلام في الشهور اللاحقة من الذهاب إلى الكلية، وهنا تعرفت عليه عن طريق الأخوين محمد المجدوب، وأحمد إبراهيم، وتكونت علاقة أخوية.

في شهر مايو أو يونيو على ما أعتقد وبعد لقاء بالأخ القائد طلب منا مرافقته في رحلة إلى بعض المشروعات الزراعية بالجبل الغربي، وفعلا رافقته أنا والأخ عبدالسلام، كانت رحلات القائد وقتها بسيطة بعدد محدود من السيارات وبدون خدمات مرافقة، كان بالرحلة الخويلدي الحميدي، وعبدالمجيد القعود، وخليفة حنيش، زرنا جندوبة ومنها إلى وادي الأتل حيث بتنا ليلتين في الصحراء ثم عدنا إلى الشمال، لكن الرتل أخطا الطريق وتمت الاستعانة بالسلاح الجوي لتحديد الوجهة، وفعلًا أرسلت طائرة عمودية نقلتنا إلى قاعدة الوطية ولحقت بقية السيارات، قضينا ذلك اليوم بالقاعدة وفي اليوم التالي عدنا إلى طرابلس، توعك الخويلدي الحميدي فنقل إلى مستشفى طرابلس المركزي، عندما وصلنا إلى المعسكر طلب القائد رحمه الله الذهاب معه إلى البيت حيث تناولنا معه العشاء أنا وعبدالسلام.

التحق بعدها عبدالسلام بالكلية العسكرية وكلف بالعمل بمكتب الاتصال باللجان الثورية، ثم انتدب للعمل بهيئة أمن الجماهيرية وتخصص في مكافحة الإرهاب، فنجح في التصدي للكثير من العمليات الإرهابية في ليبيا، كـــان مشهورًا بالصرامة والحزم في العمل، آخر لقاء به كان قبل وفاته بأيام، فعند وفاة ابن محمد المجدوب بقيت أيامًا بسرت لمواساة المرحوم المجدوب، فأقمت عند عبدالسلام في كتيبة الساعدي، وأبلغني أنه عازم على الزواج وأنه تحصل على الموافقة، أبديت له اعتراضي خاصة وأني أعرف زوجته وأسرتها.

بعدها بأيام قليلة التقينا في البيضاء أثناء إصابة القائد بكسور وإجراء عملية جراحية له، بعدها غادر، ووصلني خبر إصابته يوم زواجه، وأشرفت على نقله إلى مستشفى علي عسكر لجراحة المخ والأعصاب، وبعد عودتي إلى طرابلس زرته في المستشفى، وعلمت أنه ميت سريريًا، تقبله الله بواسع رحمته.

معتوق محمد معتوق

ولد معتوق محمد معتوق بمنطقة قصر بن غشير، ودرس بها الإبتدائية والإعدادية والثانوية، ثم التحق بكلية الهندسة وتخرج من قسم هندسة العمارة.

تعرفت عليه وهو طالب بكلية الهندسة بطرابلس عندما التحق برابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكان من الطلاب النشطين وشارك في ثورة الطلاب في السابع من أبريل، فعندما أفتعل بعض الطلبة الحزبيين الأحداث في يناير 76 وروجت إشاعة بأن

الجيش يقتل الطلبة في الجامعة، وحاول بعض الحزبيين استثارة الطلبة في جامعة طرابلس وقتها، شكلت رابطة الجامعة وفدًا لزيارة بنغازي برئاسة معتوق محمد معتوق للوقوف على حقيقة ما جرى، وعندما اكتشف أن كل ما يقال لا يعدو كونه حملة إعلامية مضللة، أبلغ الطلاب بذلك فانفضوا من حول الجماعات الحزبية التي كانت تحاول إثارة الشغب.

بعد تخرجه أوفد إلى بريطانيا للدراسة العليا، لكن جماعة الإخوان المتنفذين فيها لم يروق لهم وجود مجموعات من القيادات الطلابية على وزن عبدالقادر البغدادي، ومعتوق محمد، وعلي أبوجازية، وصالح إبراهيم، وعمر السوداني بها، فأخذوا في استفزازهم ووضع المكايد والوشاية بهم لدى السلطات البريطانية إلى أن وقع حادث الشرطية، ونتج عنه إبعاد كل الشباب الثوريين من بريطانيا ليخلو الجو لهم للتنظيم والتنسيق لإسقاط الدولة، وللأسف نجحوا أخيرًا في ذلك.

بعد أن أبعد معتوق من بريطانيا استكمل دراسته بتركيا، وعقب عودته صعد أمينًا لقطاع التكوين المهني المستحدث، ثم أمينًا للتعليم لسنوات طويلة، وأخيرا أمينًا للمرافق، أثناء الأحداث شارك بفاعلية في مقاومة العدوان، وتبث على موقفه الوطني إلى سقوط طرابلس.

***

رجال سبقونا فصاروا قدوة حسنة لنا

محمد بلقاسم الزوي

التواضع والصدق والوطنية.

عرفت الأستاذ محمد بلقاسم الزوي عندما كنت عضوًا في رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكان وكيلًا لوزارة الإعلام، ومنذ ذلك الزمن تولدت علاقة صداقة، كان محمد الزوي ينتمي إلى أسرة عريقة بالشاطئ، كان ابن عمه محمد عثمان الصيد من قيادات النظام الملكي، وتولى منصب رئيس الوزراء في الستينيات، وعمل شقيق الزوي بما سمى ديوان حسن الرضا، لكن ميول محمد الزوي كانت قومية عربية، كان أول عضوًا في تنظيم الوحدويين الأحرار الذي أسسه الشهيد معمر القذافي في بداية الستينيات، وقام بضم عدد من طلبة مدرسة سبها للتنظيم، وعندما قرر معمر القذافي توجيه التنظيم لدخول الكلية العسكرية لإحداث التغيير رفض الزوي، وقرر مواصلة دراسته الجامعية في مصر بكلية القانون، لكنه كان على اتصال مستمر بالتنظيم، وعندما نجحت الثورة التحق بالعمل بالإذاعة، وكلف وكيلًا لوزير الإعلام، ثم وزيراً للإعلام، وعمل أيضا في لجان التوعية الشعبية، وأسهم في تأسيس مؤسسات الاتحاد الاشتراكي، وكان له دورًا في ندوة الفكر الثوري التي قدم فيها

معمر القذافي مشروعه السياسي والاجتماعي، وكان الزوي محل ثقة الجميع.

اشتركت معه في كثير من المعسكرات والدورات السياسية، بداية من الدورة التأسيسية الأولى في طرابلس وما عقبها من لقاءات، بعد إعلان قيام سلطة الشعب اختير أمينًا مساعدًا لمؤتمر الشعب العام، ثم أمينًا للعدل، وبعد تطبيع العلاقات مع المغرب كلف سفيرًا بها واستمر لوقت طويل، وتمكن من ربط علاقة بالملك الحسن الثاني وعديد القيادات المغربية وساهم في تخفيض التوترات معها إلى حد كبير، وعندما ساءت العلاقات مع بريطانيا وفتحت ثانية كلف سفيرًا بها فساهم بسبب لبقاته السياسية وتواضعه في إعادتها إلى وضع أفضل، ثم عين مندوبًا لليبيا لدى الأمم المتحدة.

بعد أزمة لوكربي كلف مع فريق ضم المرحوم عمر المنتصر، وعبدالعاطي العبيدي، وموسى كوسا، بإدارة الملف السياسي والبحث عن حلول مرضية مع أمريكا وبريطانيا، ولقد نجح الفريق التفاوضي الليبي في التوصل إلى صيغة مبتكرة مكنت من رفع العقوبات، ومحاكمة المتهمين في بلد ثالث بمحكمة إنجليزية مقابل دفع تعويضات إلى أسر ركاب طائرة "البان أم" الأمريكية التي سقطت فوق قرية لوكربي الإنجليزية، وتم إستعادة قيمة التعويضات من خلال دفعات مالية قدمتها الشركات الأمريكية والبريطانية مقابل عودتها للعمل في ليبيا.

ثم صعد أمينًا لمؤتمر الشعب العام عام 2010 واستمر إلى حين بدء تنفيذ المؤامرة فاختار موقفًا وطنيًا، حيث حاول من موقعه لم الشمل، وعمل كل جهده على البحث في حل سياسي سلمي للأزمة بعيدًا عن لغة السلاح، لكن المؤامرة كانت أكبر من الليبيين فهي مخطط أجنبي محكم نفذ بأدوات ليبية عميلة، وبتدخل عسكري واستخباراتي مباشر من الدول الغربية.

ترأس الوفد الليبي إلى قمة الاتحاد الإفريقي في أديس ابابا في بداية شهر مارس 2011 والذي ضم بشير صالح، وموسى كوسا، ومختار القناص، ومحمد المدني الأزهري، وحاول مع القادة الأفارقة البحث عن صيغة لمبادرة أفريقية، وتشكلت لجنة رفيعة المستوى، برئاسة "ساسي انجيسو" رئيس الكونغو برازافيل وعضوية "جاكوب زووما" رئيس جنوب أفريقيا، و"يوري موسيفني" رئيس أوغندا، وولد عبد العزيز رئيس موريتانيا، ومحمد يوسف رئيس النيجر، وحاولت اللجنة تقديم مقترحات بناءة وقامت بزيارة طرابلس والتقت بالأخ القائد الذي فوضهم في وضع خريطة للحل، لكنهم لم يستقبلوا بشكل مناسب في بنغازي بناء على أوامر غربية التي لم ترغب في أن يكون للاتحاد الأفريقي دورًا في معالجة الأزمة.

بعد سقوط طرابلس في يد الناتو وحلفائه اعتقل الأستاذ محمد الزوي من قبل الجماعة الليبية المقاتلة، وتعرض ورفاقه إلى أبشع صنوف التعذيـــب، وأجريت له محاكمة صورية قضت بسجنه اثني

عشر عامًا، دون تهم ولا جرائم إلا دفاعه على وطنه وحرية واستقلال شعبه.

بعد ست سنوات من الاعتقال أفرج على المناضل محمد الزوي، فهاجر بكرامته إلى المغرب، واستمر في دوره الكفاحي من أجل حرية واستقلال ليبيا.

كان محمد الزوي رجلًا متواضعًا وهو محل تقدير واحترام الليبيين في مختلف المناطق، معرروفًا بطيبته ونزاهته.

أبوزيد عمر دورده

الشجاعة والثبات والصلابة.

ولد أبوزيد دورده بمدينة الرحيبات في الجبل الغربي، ودرس بمدرسة غريان الثانوية، وتحصل على بكالوريس من كلية الآداب، والتحق بسلك التدريس، كان في شبابه نشطًا قوميًا ناصريًا، وكان مع مجموعة من النشطاء القوميين يشكلون قوة للتوعية القومية بمدارس طرابلس، بعد الثورة 1969 تولى العمل في لجان التوعية الشعبية، وشارك في ندوة الفكر الثوري، وكلف محافظًا لمحافظة مصراتة، وبسبب جديته دخل في مشاكل مع عضو مجلس قيادة الثورة عن مصراته عمر المحيشي، ومع بعض أعيان المدينة، أوقفته النيابة العامة في تهمة ناتجة عن وشاية.

تعرفت عليه عندما كنت عضوًا بالمؤتمر الوطني العام للاتحاد الاشتراكي العربي الأول، وقد طالب المؤتمر باقتراح من الإخوة مندوبي محافظة مصراتة ضرورة الإفراج عليه لعدم وجود سبب

جنائي يتطلب سجنه، وفعلاً أصدر المؤتمر توصية بذلك وتم الإفراج عليه، وأذكر أول لقاء في فندق البحر الأبيض المتوسط بشارع عمر المختار، حيث مقر إقامة المشاركون في المؤتمر.

شكل المؤتمر لجان عمل لصياغة التوصيات، منها لجنة السياسة الخارجية التي ترأسها عبدالسلام جلود، وكنت مع الأخ أبوزيد دوردة أعضاء بها، وتوطدت العلاقة الشخصية بيننا وتكونت صداقة مستمر والحمد لله إلى الآن.

بعدها كلف وكيلًا لوزارة الإعلام فوزيراً لها، ثم وكيلًا لوزارة الخارجية، فوزيرًا للبلديات وبعدها للاقتصاد والزراعة، وأمينًا للجنة الشعبية الجبل الغربي، فأمينًا للجنة الشعبية العامة، فأمينًا مساعدًا لمؤتمر الشعب العام، فمندوبًا لليبيا بالأمم المتحدة، وبعدها رئيساً لجهاز الإسكان والمرافق، وأمينًا لهيئة الأمن الخارجي.

عام 1979 صعدت أمينًا للجنة الشعبية بلدية العزيزية، وكان الأخ أبوزيد أمينًا للبلديات وبعدها أمينًا للاقتصاد، فقدم لي وللجنة الشعبية دعمًا كبيرًا من أجل تنفيذ خطة التحول المهمة في البلدية، وعندما صعدت أمينًا للصحة كان الأخ أبوزيد دورده أمينًا لبلدية الجبل الغربي، وكان وقتها النظام لا مركزي بتوسع، فعدد القطاعات المركزية 7 فقط صلاحياتها التخطيط والمتابعة، أما التنفيذ والموازنات فكلها بالبلديات.

من طرائف العلاقة مع الأخ أبوزيد أني بصفتي أمينًا للصحة أصـــدرت قرارًا بمنع التدخين داخل الطائرات، وفي الاجتماعات، والأماكن المغلقة، ولأول مرة يصـــدر مثل ذلك القرار في الدول العربية حيث كانت عادة التدخين في كل مكان لازالت ســـائدة في العالم كله ماعدا بعض الدول الأوروبية، فما كان من الأخ أبوزيد إلا أن عمم القرار على دوائر البلدية مرفقا برســـالة ظريفة كتب فيها أحيل إليكم قرار أمين الصـــحة بمنع التدخين للتنفيذ والتقيد ويســـتثنى من ذلك أبوزيد دورده، وأحال لي صـــورة من الرســـالة فاتصـــلت به وقلت له هدف القرار منعك من التدخين، وحكيت القصـة للقائد رحمه الله، والمرحوم عمر المنتصـــر فقالوا، من يجبر بوزيد على ترك التدخين له جائزة كبيرة.

من الصدف أنه في نهاية التسعينيات في أحد أيام شهر رمضان جاءني إلى المستشفى في الصباح الباكر فتوقعت أن أمرًا جللا وقع له، وما أن سألته ما بك إن شاء الله خير أجابني ضاحكًا أنا توقفت عن التدخين.

أبوزيد دورده مثقف قومي وكاتب ومحلل سياسي، ومحاور صلب، ارتبط بعلاقات مع عديد المفكرين القوميين، وله مساهمات فكرية كبيرة في المشروع السياسي لثورة الفاتح.

كما ارتبط بعلاقات مع كثير من السياسيين العرب والأفارقة ومن الدول الصديقة، وخاصة في تونس، ومصر، ولبنان، والسودان.

أبوزيد مجتهد في عمله ومثابر، وله قدرة على الإبداع في المجالات التي كلف بها، وهو شخصية اجتماعية يحظى بتقدير واحترام في كل ليبيا.

عندما اندلعت أحداث المؤامرة 2011 كان مقاومًا صلبًا لها، وحاول في نفس الوقت البحث عن حل سياسي، وسافر إلى القاهرة للقاء الصلابي، في محاولة للوصول إلى حل يجنب البلاد ويلات الحرب، لكن هدف الصلابي كسب الوقت، فاضطر أبوزيد لوقف الحوار معهم والعودة إلى طرابلس.

بعد سقوط طرابلس اعتقل من قبل الجماعة الليبية المقاتلة، وتعرض كرفاقه إلى تعذيب بشع لكسر إرادته وتحطيم كبريائه وروحه المعنوية، لكنه وحسب روايات رفاقه كان يستهزي بهم ويبصق في وجوههم ويلعنهم، وعندما اطلقنا مبادرة الحوار في سجن الهضبة مع خالد الشريف بناء على طلبه أشترطنا أن يكون جميع الإخوة ومنهم أبوزيد دورده في الحوار، لكنه في أول جلسة أكال لهم ما يستحقون من نقذ صريح، ورفض المشاركة في الحوار، وبعد طرد المقاتلة من طرابلس، وسيطرة المليشيات الجهوية عليها، نقل ورفاقه إلى توقيف بظروف أفضل، وأفرج عنه لأسباب صحية، وغادر مهاجرًا إلى مصر.

محمد أحمد الشريف

علاَّمة، ورمز من رموز الثقافة العربية والإسلامية ونموذج في التواضع والزهد.

ولد الدكتور محمد الشريف في الإسكندرية بمصر، حيث كان والده المجاهد أحمد الشريف مهاجرًا بعد تمكن الطليان من السيطرة على منطقته، وهو من أبناء النواحي الأربعة من قبيلة الشرفاء، عاد إلى المنطقة في أواخر أربعينيات القرن الماضي، ودرس بمدرسة قصر بن غشير، رفقة أخي المرحوم علي، وتكونت بينهما علاقة استمرت لسنوات، كنا نسكن بمنطقة سوق السبت، والدكتور محمد الشريف في فندق الشريف، وبين المنطقتين 6 كيلومترات تقريبًا وكانوا يذهبون إلى المدرسة في القصر، والتي تبعد عن سوق السبت حوالي 12 كيلومترًا.

انتقل لدراسة المرحلة الثانوية بطرابلس، لكن أخي رحمه الله توقف عن الدراسة لوفاة والدي، ولعدم وجود عائل لنا، فاتجه إلى العمل، أما الدكتور محمد الشريف عقب استكمال دراسته الثانوية التحق بكلية الآداب بالجامعة، وتخرج من قسم الفلسفة، وعين معيدًا، ثم أرسل للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتحصل على درجة الدكتوراه، وعاد ليتعين في الجامعة في طرابلس بكلية التربية بوظيفة محاضر.

عام 1972 اختير وزيرًا للتربية والتعليم، فوضع بصماته عليها، وأشرف على تنفيذ المشروعات التعليمية الضخمة على جميع المستويات من الروضة إلى الجامعات والأكاديميات.

تعرفت عليه باعتباري من الطلاب الناشطين عندما كان وزيرًا للتعليم، وكان دائمًا يشعرنا بالخجل من فرط تواضعه، وعندما تعرض التدريب السريري لطلبة السنة الرابعة بكلية الطب إلى معوقات كان هو نقطة تواصلنا مع وزارة الصحة، وتبنى مقترحنا بتأسيس المرافق الصحية التعليمية.

عام 1979 اهتم القائد بتطوير دور جمعية الدعوة الإسلامية التي تهتم بنشر الدعوة الإسلامية في البلدان غير المسلمة، والتي تمول من ضريبة الجهاد التي فرضت على كل مواطن ليبي لتتاح له فرصة المشاركة في الجهاد الحقيقي وهو الدعوة الإسلامية ونشر تعاليم الدين الحنيف.

في جمعية الدعوة الإسلامية نجح الدكتور الشريف في بناء مؤسسة دعوية حقيقية، فافتتح كلية للدعوة الإسلامية، وفتح لها فروع في عدد من الدول، وتم إعداد الدعاة والوعاظ، وقامت ببناء المراكز الإسلامية الضخمة في عدد كبير من الدول، وقامت بإرسال عديد الفرق للخدمات الإنسانية خاصة الطبية والتعليمية.

وربما أهم ما أنجزته استقطاب وتنظيم القيادات الإسلامية الوسطية التي لا تؤمن بالعنف، وتأسيس القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ومن الأمور التي سنتها ثورة الفاتح إحيـــاء احتفالات المولد

النبوي والصلاوات الجامعة التي كان يحضرها الأخ القائد رحمه الله سنويًا.

بعد الحصار الجائر عام 1992 ومواجهته بأعراس التحدي تأسست القيادة الشعبية في كل مناطق ليبيا، واختير الدكتور محمد الشريف منسقًا للقيادة بالنواحي الأربعة، وكلف أول منسق عام للقيادة الشعبية على المستوى الوطني.

الدكتور محمد الشريف حالة ثقافية وفكرية نادرة في ليبيا، ومثقف ومفكر كبير، وخطيب مفوه، ومحاضرمتمكن، ومحاور بارع، علاقاته العربية والعالمية واسعة جدًا، خاصة مع العلماء والمفكرين الإسلاميين، وهو لتواضعه وزهده محل احترام وتقدير كبيرين على المستوى الوطني والدولي.

عندما اندلعت المؤامرة في فبراير 2011 كان الدكتور الشريف في الموقع الذي يقف فيه أمثاله من أبناء المجاهدين، وكان له دورًا في تثبيت الصف الوطني الاجتماعي، وكلف ببعض الاتصالات مع أوروبا، وأرسل مبعوثًا إلى الاتحاد الروسي.

بعد سقوط طرابلس، استولى الإرهابيون على جمعية الدعوة الإسلامية، وفي مظهر حقدي قاموا بحرق المصحف الذي طبعته الجمعية وتوزعه على المسلمين وغيرهم، وجعلوا من مقر الجمعية إدارة لعملياته الإرهابية الإجرامية ضد الشعب الليبي، واعتقل الدكتور الشريف من قبل الجماعة الليبية المقاتلة الإرهابية، وزج به في السجن وتلقى كالآخرين أبشع صنوف التعذيب في محاولة لكسر إرادته وتحطيم كبريائه، أصـدرت محكمة صورية تتبع المقاتلة حكمًا جائرًا بلا تهم ولا سند قانوني بسجنه 12 عامر لكنه صبر وصمد، وبعد

طرد المقاتلة من طرابلس من قبل المليشيات الجهوية نقل إلى توقيف بظروف أفضل، وأفرج عنه لأسباب صحية، وهاجر إلى الأردن.

جاد الله عزوز الطلحي

تكنوقراط من الطراز العالمي، ووطني مخلص، ومثقف قليل الظهور.

الأستاذ جادالله كما نسميه ولد بالأبيار، تعلم بها وتحصل على الشهادة الثانوية بتفوق، أوفد إلى بلجيكا حيث درس الهندسة وعاد قبل ثورة الفاتح فعمل بالصناعة، بعد الثورة كان القائد رحمه الله يلتقي بالمهندسين والخبراء بالقطاعات المختلفة من أجل إطلاق تنمية شاملة فلفت انتباهه المهندس جاد الله فكلفه وكيلًا لوزارة الصناعة فوزيرًا لها، ونجح في إطلاق ثورة صناعية، حيث كان في السبعينيات يفتتح مصنعًا كل شهر، ودخلت ليبيا في نشاط اقتصادي غير معروف بها سابقًا، فعدا ورش، ومصانع صغيرة للطماطم والبسكويت، لم تعرف الصناعة طريقًا لها، كان التركيز على الصناعات الصغرى، وفي نهاية السبعينيات دخلت ليبيا مرحلة الصناعات المتوسطة والثقيلة، فافتتحت مصانع الأسمنت، وتجميع الشاحنات واللدائن والأعلاف والأنابيب والأسلاك، ثم مصنع الحديد والصلب، وصناعة البتروكيماويات في رأس لانوف، ومصانع أبوكماش الضخمة، ورغم ما أصاب الصناعة من تعثر في العقد الماضي فلقد تكونت بفضل جهود قيادات من أمثال جاد الله، وعمر المنتصر، وعلي زكري، وغيرهم، قاعدة صناعية مهمة وواسعة.

عام 1979 كلف أمينًا للجنة الشعبية العامة ثم أعيد تكليفه عام 1984، كما كلف أيضا أمينًا للتخطيط، وأمينًا للاتصال الخارجي والتعاون الدولي، ومندوبًا لليبيا بالأمم المتحدة.

جاد الله الطلحي قارئ نهم ومثقف متمكن، لكنه لم يظهر مكانته وقدراته الثقافية، حيث ركز على تقديم نفسه كتكنوقراط، لكن من يعرفه عن قرب يلمس ما يتمتع به من سعة في الثقافة ومقدرة على الإبداع في الكتابة والقول.

جاد الله الطلحي قليل التواصلات الاجتماعية، ورغم ما يتمتع به في كل الوطن من تقدير واحترام لما عرف عنه من جدية والتزام، إلا أنه كان يتجنب كثيرًا الظهور الاجتماعي مكتفيًا بدوره كنخبة وطنية.

وهو منتظم في عمله وروتيني إلى حد كبير في كل المواقع التي عمل بها سواء أمينًا للجنة الشعبية العامة أو أمينًا للقطاع، كان يدوام قبل كل الموظفين، فيحضر للعمل الساعة السابعة ويغادر مكتبه أيا كانت الظروف في الثانية ظهرًا، يحدد لضيوفه في العمل مواقيت محددة لا تقدم ولا تتأخر.

أثناء الأحداث التحق الأستاذ جاد الله بالفريق السياسي المكلف بالتعامل مع الأزمة، وقدم عديد الخطط والبرامج، وحاول جاهدًا البحث في حل سلمي يجنب ليبيا ما وصلت إليه، لكن المشروع المعادي كان مصمم لإيصال ليبيا إلى هذا الوضع من الدمار والخراب وفقدان السيادة والارتهان للأجنبي.

عبد العاطي إبراهيم العبيدي

الطيبة والصدق والإخلاص.

عبد العاطي العبيدي خريج كلية الاقتصاد والتجارة ببنغازي، عين وزيرًا للعمل في أول حكومة للثورة عام 1969 برئاسة محمود المغربي، رغم أن عمه وصهره حامد العبيدي أحد رجالات العهد الملكي، وكانت مهمته الأولى رفع أجور العمال ووضع حد أدنى مناسب لها، وإلغاء مكاتب السمسرة بهم التي كانت سائدة وقتها، وتنظيم الشؤون الاجتماعية بما يحقق رعاية أفضل للفئات الضعيفة، ونجح في ذلك نجاحًا واضحًا، ووضع نظام الضمان الاجتماعي وصدر عن مجلس قيادة الثورة وقتها قانون الضمان الذي يعد إلى الآن من أفضل القوانين الاجتماعية في العالم، وتأسس صندوق الضمان الاجتماعي لرعاية الأسر الفقيرة وحمايتها، وصدر القرار بدفع معاش أساسي لكل الأفراد والأسر التي لا دخل لها وفق منظومة تقدمية.

لقد كانت بصمات عبد العاطي العبيدي واضحة لتنفيذ التوجهات الثورية بكل أمانة وإخلاص، بعد إعلان قيام سلطة الشعب صعد أمينًا لمؤتمر الشعب العام، ثم أمينًا للجنة الشعبية العامة، وكلف سفيرًا في إيطاليا وتونس عندما كانت العلاقات متوترة بقصد إصلاحها، وهنا نجح عبد العاطي كدبلوماسي محترف، كما كلف أيضا أمينًا للاتصال الخارجي.

بعد أزمة لوكربي شارك مع محمد الزوي، وعمر المنتصر، وموسى كوسا في المفاوضات التي أدت إلى التوصل إلى حل مناسب قبلته الدول الغربية أمام صلابة الموقف الليبي وثباته، ولعب دورًا في

إعادة علاقات ليبيا مع الدول الغربية، أثناء الأحداث كان يشغل وظيفة أمينًا مساعدًا للاتصال الخارجي للشؤون الأوروبية، فقام بجهود دبلوماسية كبيرة لمحاولة حل الأزمة قبل تفاقمها، وقام بعدة زيارات إلى مالطا وتركيا واليونان، وشارك في كل القمم الأفريقية التي خصصت للتعامل مع الأزمة.

بعد هروب موسى كوسا كلف أمينًا للاتصال الخارجي وكلفت مساعدًا له، وشهدت بعيني ولمست من خلال عملي صدق الرجل وجديته وحرصه على تجنيب ليبيا ما وصلت إليه.

من الجزئيات التي يمكن سردها للتاريخ، أنه ذات يوم طلبني إلى مكتبه وأراني رسالة موجهة له من سعد مجبر أمين المكتب الشعبي بطهران والذي انشق دون إعلان، ملخصها هجوم على شخصي لأني أتعامل مع المكتب من خلال موظفين ولا أطلعه، لكنه في الرسالة حرضه مباشرة على الانشقاق، وقال لي معلقًا هذا كان يتشدق بالثورية والقومية يدعوني للانشقاق، ويتحسس منك لانك تعلم أنه ليس معنا، قلت ممازحًا: هذا حال بعض القوميين ضد الصهيونية والإمبريالية باللسان لكنهم عندما تقع الواقعة أول المصفقين لها حدث ذلك من القوميين العرب بعد النكسة وحدث منهم في العراق بعد العدوان الدولي عليها وهاهم يكررون ذلك معنا، بالمناسبة وللتاريخ أن الشهيد القائد رحمه الله لم يقتنع بأن سعد مجبر انشق رغم المعلومات التي قدمت له، وقال لي مرة حرفيًا لا تصدق التقارير فالقصد منها تشكيكنا في رجالنا، على الأقل كان إلى حين سقوط طرابلس يعتبر مجبر من رجالنا، وهو لم يكن كذلك وعندما طلب السفر إلى ألمانيا بزعم العلاج وجه بالموافقة، للتاريخ أيضًا حدث ذلك مع مبارك الشامخ فلم يصدق ما نقل له إلى أن استمع له مصادفة في أحد اللقاءات!

بعد سقوط طرابلس اعتقل عبدالعاطي من قبل الجماعة الليبية المقاتلة وعومل بوحشية وعذب بقسوة وحوكم ظلما وبهتانا، وخرج من السجن مريض لايقوى على شيء.

بشير صالح بشير

تعرفت على بشير صالح في السبعينيات أثناء النشاط في الاتحاد الاشتراكي العربي، وتوطدت العلاقة بعد قيام سلطة الشعب وتأسيس حركة اللجان الثورية، وهو شخصية وطنية، عمل معلمًا وبعد الثورة عين محافظًا لمرزق، ثم عين سفيرًا لدى أفريقيا الوسطى، وكان ضمن الفريق المهتم بحركات التحرر الأفريقية، وركز كل جهوده في هذا المجال، ثم تولى أمانة اللجنة الشعبية لبلدية مرزق ثانية، وقد توطدت علاقتنا عندما كنت أمينًا للصحة في نهاية ثمانينيات القرن الماضي، ثم كلف سفيرًا في الجزائر، ثم انتقل للعمل بإدارة المراسم، وبعدها تولى الشؤون الخارجية بأمانة مؤتمر الشعب العام.

في منتصف التسعينيات نقل لترأس قلم القيادة أو مكتب المعلومات بأمانة الاتصال، وساهم في المشروع الكبير تحويل منظمة الوحدة الأفريقية إلى اتحاد أفريقي، وفي سبيل ذلك بذل مع الفريق المكلف جهودًا كبيرة أثمرت إعلان الاتحاد الإفريقي في سرت في 99/9/9، ثم كلف بتأسيس محفظة ليبيا أفريقيا لتمويل استثمارات ليبية ضخمة في القارة الأفريقية بهدف بناء نواة لاقتصاد أفريقي قوي بمكن أفريقيا من الاستقلال عن النفوذ الغربي.

يتمتع بعلاقات قوية مع عديد القادة الأفارقة وساهم في تمكين عدد منهم من الوصول إلى سدة الحكم.

بعد إنفتاح الغرب على ليبيا ساهم مع الفريق المختص في ربط علاقات خاصة مع فرنسا وأسبانيا وأمريكا، ونجح في ترتيب زيارات تاريخية للقائد إلى أوروبا.

أثناء الأحداث وقف موقفًا وطنيًا، وكان ضمن الوفود التي تواصلت مع الاتحاد الأفريقي من أجل البحث في معالجة سلمية للأزمة، في شهر مايو عن طريق رئيس وزراء فرنسي سابق فتح قناة اتصال مع الرئيس الفرنسي "ساركوزي" وحاول الوصول إلى صيغة مقبولة لحل الأزمة لكن تدخل من قطر أجهضها.

وفي منتصف شهر يوليو كان ضمن الوفد الذي ترأسته للقاء مساعد وزيرة الخارجية الفرنسية في تونس، في بداية شهر أغسطس حاول إحياء المبادرة الفرنسية لكن ظروف الحرب منعته من ذلك.

بعد سقوط طرابلس اعتقل من قبل مليشيات الزنتان، وأفرج عنه بتدخل فرنسي، وسافر إلى فرنسا لكنه اضطر لمغادرتها بعد فوز الحزب الاشتراكي في الانتخابات، فانتقل إلى جنوب أفريقيا، حيث تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة.

البغدادي علي المحمودي

البغدادي المحمودي من قبيلة النوائل التي ترتبط أسرتي بها بروابط اجتماعية تاريخية تعود إلى حقبة الاستعمار التركي ومرحلة الجهاد ضد الغزو الإيطالي، درس البغدادي الطب بمصر وتخرج منها وعمل بعد تخرجه في مستشفى زوارة، ثم صعد أمينًا للصحة ببلدية النقاط الخمس، في منتصف الثمانينيات أوفد للدراسة في يوغسلافيا واستكمل دراسته في طب النساء والتوليد، أسس بعد عودته مركز العقم بطرابلس، وكلف بإدارة الشركة العامة للخدمات الطبية التي عملت على دعم أمانة الصحة في تطوير الخدمات العلاجية والتشخيصية، ثم صعد أمينًا للصحة، فأمينًا لشؤون اللجان الشعبية بأمانة مؤتمر الشعب العام، وأمينًا مساعدًا للجنة الشعبية العامة لشؤون الإنتاج، وبعدها أمينًا مساعدًا للجنة الشعبية العامة وفي سنة 2005 صعد أمينًا للجنة الشعبية العامة.

البغدادي المحمودي شخصية متواضعة اجتماعي يتمتع بذكاء وسرعة بديهة، وهو شخص مثابر جاد يجيد التصرف والتعامل مع المختلفين، وفي كل المواقع التي تولى إدارتها حقق نجاحًا وقبولًا واسعًا، ولعل أهم بصماته البرنامج التنموي الضخم الذي أطلق عام 2007 بعد أن رفع الحظر الظالم على ليبيا، وتم تسوية بعض الملفات مع الغرب.

فلقد وضعت المؤتمرات الشعبية خطة طموحة لتطوير الدولة، وإعادة إطـــــلاق التنمية التي توقفت نتيجة الحظر الغربي، والضغط

السياسي والاقتصادي الذي مورس ضد ليبيـــــا في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي.

لقد ساهمت مناقشات موسعة داخل اللجان الثورية من خلال الفريق الموسع نهاية التسعينيات في وضع ملامح خطة تنموية كبري، وقام مجلس التخطيط العام برئاسة الشهيد عبدالقادر البغدادي بوضع أولويات القطاعات والمناطق، وطرح الأمر على المؤتمرات الشعبية التي تبنته، وفي عام 2005 تبنى سيف الإسلام البرنامج ضمن ما أسماه ليبيا الغد وتم تحديث الخطة، ووضعت في صيغها التنفيذية.

ولقد كان للدكتور البغدادي المحمودي دورًا مباشرًا في إطلاق المشروعات ومتابعة تنفيذها، ولقد كانت أغلب المشروعات في طور الإنجاز إلا أن الأحداث جعلتها متوقفة.

أثناء الأحداث تحمل الدكتور البغدادي مسؤولياته كاملة، ولقد كلفت من القيادة بمساعدته في إدارة المعركة السياسية والإعلامية فأظهر قدرة على إدارة الصراع، بإدارة الدولة في ظروف حصار خانق وبمخزون نقدي محدود، كما كان على تماس يومي مع القيادات في القوات المسلحة والتشكيلات المساندة لتوفير طلباتها.

أشرف الدكتور البغدادي على الاتصالات الدولية وكان على قدرة في إدارة الملف السياسي، كما كان متابعًا لكل محاولات البحث عن حل سلمي من الداخل ومتابع للمبادرات التي قدمت والتي من أبرزها مؤتمر القبائل الليبية، ومسيرة لم الشمل، بعد سقوط طرابلس نجح في الخروج إلى تونس إلا أن السلطات التونسية اعتقلته ومن تم باعته بمبلغ مالي قيمته 250 مليون دولار قدمت كرشى للحكومة

وجماعات إسلامية تدعمها، في المعتقل واجه أبشع صنوف التعذيب، وخضع لمحكمة صورية حكمت عليه بالإعدام، لكن بعد طرد جماعة المقاتلة من طرابلس أفرج عنه لأسباب صحية وتمكن من الهجرة إلى الخارج.

مفتاح محمد كعيبة
التواضع، النزاهة، المصداقية.

ولد مفتاح كعيبة بمدينة مصراته لعائلة متوسطة الدخل، ودرس بها، واشتغل معلمًا، ثم تمكن من استكمال دراسته الثانوية، فالتحق بكلية الآداب بالجامعة الليبية بمدينة بنغازي، وتخرج منها وعين مسجلًا لها، أقام أثناء دراسته عمله بمنزل مؤجر للطلاب.

وخلال دراسته الثانوية التحق بتنظيم الوحدويين الأحرار، واستمر تواصله بالضباط الأحرار وقيادتهم، وبعد قيام ثورة الفاتح التحق بالعمل الشعبي، وكلف بالعمل في مدينة مصراتة، وعقب الثورة الشعبية صعد محافظًا لمصراتة، ثم عين وزيرًا للشباب، فوزيرا للبلديات، والعدل، والزراعة، فأمينًا لبلدية الخليج، وأمينًا للثروة البحرية، وأخيرًا أمينًا لمؤتمر الشعب العام .

تعرفت على مفتاح كعيبة عندما كان أمينًا للشباب وقتها، كنت قد صعدت أمينًا للجنة الشعبية ببلدية العزيزية، وتوطدت العلاقة

الأخوية، فهو رجل بسيط، متواضع، حسن المعشر، صاحب نكتة حاضرة دائمًا.

يتمتع الأستاذ مفتاح كعيبة بالإخلاص والتفاني في العمل، ويحرص على إنجاز ما يكلف به من مهام بالدقة الكاملة والسرعة الممكنة.

بعد أحداث فبرير كان مكلفًا بغرفة عمليات مدينة مصراتة، وساءه ما تعرضت له مدينته من عمليات خطف، فتصدى بكل قوة وشجاعة لها، وحاول ما استطاع الدفاع عن ليبيا، وتعرض لعدة عمليات اغتيال نجاه الله منها.

بعد سقوط طرابلس في أيدي الناتو وعملائه، هاجر مفتاح كعيبة مع المهاجرين إلى الجزائر، ومنها إلى مصر، وبعد انطلاق بناء الحركة الوطنية الشعبية الليبية كان من أوائل الملتحقين بها، وساهم في إعداد وثائقها التأسيسية، وساهم في كل الحوارات الجادة من أجل توحيد القوة الوطنية.

***

رفاق وأخوة خارج إطار السياسة

عطية الطاهر اجعي

التواضع والصدق والجدية.

ولد الدكتور عطية اجعي بمدينة زليتن وينتمي إلى قبيلة غيث، وكان شابًا رياضيًا، سافر إلى مصر لدراسة الطب، وبعد السنة الإعدادية وتأكد من انتظام الدراسة بليبيا التحق بنا في الدفعة الأولى ببنغازي، التحق بنا رفقة الأستاذ الدكتور أحمد علي التير، وسرعان ما توطدت علاقة صداقة متينة مع عطية تحولت إلى أخوة مستمرة بحمد الله دائمًا، كما تكونت علاقة لي مع أخوته المرحوم الحاج محمد اجعي، والحاج يونس اجعي، وعلي اجعي وأسرهم، وكذلك ابن عمه وصهره الرجل الاجتماعي الكشاف عاشور اجعي، وهو رجل ودود صدوق، كما توطدت علاقة للدكتور عطية مع كل أفراد أسرتي وأقربائي.

أثناء الثورة الشعبية خرجنا معًا في الرحلة التوعوية إلى الجبل الأخضر وأمضينا قرابة الشهر، وبعد عودتنا التحقنا بالإذاعة، وكان علينا كما ذكرت سابقًا دخول امتحانات نهائية في شهر أكتوبر، قفلنا على أنفسنا لمدة شهرين تقريبًا، وتمكنا جميعًا من اجتياز الامتحان بتقديرات.

بالنظر لخلفية الدكتور عطية الكشفية، فلقد كان بارعًا في إعداد الوجبات بكل أنواعها، وعندما كنا نذهب في رحلات جماعية إلى الجبل الأخضر كان عطية الطباخ الدائم، رغم ظرافة ومنكفات بعض الزملاء ومنهم الدكتور إبراهيم القاضي.

عام الامتحانات النهائية كان علينا أن نذاكر معا لساعات طويلة، وتمكنا بتوفيق من الله من اجتيازها بتقديرات، في فترة الامتياز كنا مجموعة واحدة تنقلنا بين مستشفيات الجلاء والجمهورية والأطفال، وكان أطباء الامتياز يقيمون بالمستشفيات فجهزت أماكن إقامة مناسبة وكنا سويا طيلة عام الامتياز.

عندما تزوجت عام 1977 لم يتمكن من حضور زفافي لإنه كان ضمن فريق طبي بالكفرة نتيجة عدوان السادات على طبرق والجغبوب والكفرة.

اخترت تخصص الجراحة، واختار تخصص طب الأطفال، وبسبب العلاقة الوثيقة كان القرار أن نسافر معا للدراسة بالخارج، تحصلنا على قبول وعمل بأستراليا، إلا أننا رفضنا العرض لبعد المسافة فاتجهنا في آخر المطاف إلى ألمانيا.

كنت حاضرًا وزوجتي وكل أفراد أسرتي حفل زفافه، وبحمد الله تكونت علاقة مماثلة بين زوجتينا، وعندما سافرنا إلى النمسا وألمانيا ومنها إلى النمسا أقمنا في منزل واحد كأخوة، في ألمانيا التحق بقسم الأطفال بمستشفى "سان أوجستين" والتحقت بالمستشفى الجامعي بـ"بون"، بعد إبعادي من ألمانيا نتيجة وشايات من جماعة المعارضة انتقلت إلى النمسا بالمستشفى الجامعي فيينا بقسم الجراحة الثاني الذي كان يترأسه شاب مهذب طموح جراح قلب، وهو البرفسور "فولنر"، الذي ساهم في تدريب عدد من الأطباء الليبيين في جراحة القلب، أصر الدكتور عطية أن ينتقل معي والتحق بقسم الأطفال بنفس المستشفى الذي يترأسه أستاذ نمساوي وطني اسمه "سفايموللر" وكان محبًا للعرب كارهًا لليهود وتصرفاتهم.

تولى الدكتور عطية إدارة مستشفى الأطفال لفترات طويلة، كما ترأس المرافق الصحية التعليمية ببنغازي، وترأس فرع مجلس التخصصات الطبية ببنغازي.

الدكتور عطية يحب العمل اليدوي وخاصة بالزراعة، حيث أنشئ مزرعة صغيرة بالهواري كان يقضي معظم وقته بها.

من الله عليه بزوجة صالحة، وأبناء صالحين تمكن من تعليمهم، منهم مجموعة أطباء وأطباء أسنان، أكبرهم رفيق وصديق ابني مصعب، الدكتور أحمد وهو الآن من أمهر الجراحين في بنغازي، والأستاذ أنس وهو رجل إدارة واقتصاد، والدكتورة فاطمة طبيبة الأسنان، والدكتور عبدالسلام طبيب التخدير، والأستاذة أمل إدارة الأعمال والمعلوماتية، ومحمد خريج الاقتصاد، وأيوب، والطاهر طبيب أسنان.

علاقاتنا الأسرية أكثر من عائلية، ففعلا ربما أخ لم تلده أمك، تقاعد الدكتور عطية من العمل بسبب الظروف التي مرت بها البلاد.

المرحوم عبدالله علي أبوستة

عبدالله أبوستة من مواليد غريان، ودرس بها إلى المرحلة الثانوية، وواصل تعليمه بكلية الطب، تعرفت عليه مع الدكتور عمر السوداني عندما كانا بإعدادي طب في وحدة الاتحاد الاشتراكي، وكان شخصية وطنية متواضعة، في بنغازي شكلنا مع الإخوة عطية اجعي، أحمد التير، عمر السوداني، احتيوش فرج، محفوظ أبوحميدة، محمد كريستا، وعامر رحيل، فريقًا ثوريًا نجح في قيادة الكلية وإبعادها عن

التجاذبات السياسية، وفي عام 1975 عندما سيطرت المجموعات الحزبية على اتحاد الطلبة بكليات الجامعة ببنغازي، كانت كلية الطب الوحيدة التي نجح فيها الطلاب الوطنيون الثوريون، وحضرت المؤتمر العام الأول لاتحاد الطلبة، واختير عمر السوداني مسؤولًا للعلاقات الخارجية بالاتحاد.

بعد التخرج كلف الدكتور عبدالله مديرًا لمستشفى الجلاء ومستشفى الهواري، ثم أوفد للدراسة بأمريكا، وعندما أبلغناه أننا تحصلنا على قبول بأستراليا تقدم هو أيضًا وتحصل على قبول بمالبورن، وفعلًا سافر إلى هناك وأكمل دراسته بها، وتخصص بجراحة الأوعية الدموية، في بداية التسعينيات عاد إلى الى ليبيا، وكلف في فترة لاحقة عميدًا لكلية الطب.

توفى رحمه الله يوم 2011/8/22 بعد أن قام أحد المجرمين من العناصر المحسوبة على الطب بمنع إسعافه وإزالة الأجهزة عنه، تقبله الله بواسع رحمته.

**

زملاء أفاضل وأصدقاء أعزاء

في كلية الطب وأثناء العمل ارتبطت بأخوة أعزاء وزملاء رائعين، في مقدمتهم أخي وصديقي الأستاذ **الدكتور أبوالقاسم البارونى** زميل دراسة منذ الصف الأول ثانوي بمدرسة باب بن غشير الثانوية، تعرفت على إخوته الكرام وتعرف على إخوتي وربطتنا علاقات أسرية وشيجة، افترقنا قليلا أثناء الدراسة العليا حيث استكمل دراسته ببريطانيا وأكملتها بالنمسا، وبعد عودتنا إلى أرض الوطن كان اللقاء دائما، كان ناصحا أمينا عندما كنت أمينا للصحة وأسسنا مع زملاء آخرين مجلس التخصصات الطبية، كنا دائما محل اتفاق في نظرتنا للأمور فكان نعم الأخ ونعم الصديق.

وأخي الأستاذ الدكتور محمد أبوعجيلة راشد، عرفته عن قرب ونحن نستعد للسفر لدراسة الطب في مصر، وربطتنا صداقة في كلية الطب وبعدها، وتكونت روابط أخوية وأسرية، كان عونا عندما كلفت أمينًا للصحة، وكنت له داعمًا وناصحًا عندما تولى الأمانة، كان من مؤسسي مجلس التخصصات الطبية، ورئيسًا للمجلس العلمي للجراحة به.

الأستاذ الدكتور محمد رضا العارف فرنكا وهو زميل وأخ ورفيق، تعرفت عليه عندما كنت أدرس بالنمسا لصداقته للدكتور محمد كريستا، وتوطدت العلاقة بعد عودتي إلى ليبيا فأسسنا معا مركز جراحة الحروق والتجميل، المركز المتخصص الوحيد في القارة الأفريقية، كلفته عندما كنت أمينًا للصحة بإدارته، كان جادًا ومخلصًا

في عمله، ومثابرًا مجتهدًا، ورغم عدم سفره للدراسة التخصصية إلا أنه امتلك مهارة كبيرة في تخصصه، تحصل على شهادة الدكتوراه من أوكرانيا، كان يتابع تفاصيل العمل بالمستشفى، ارتبطنا عائلياً فكان الأخ الأكبر لأولادي، وبعد هجرتنا كان له فضل رعايتهم ماديًا ومعنويًا، لقد كان نعم الأخ والصديق، أصيب بداء مفاجئ وهو يحاضر في تونس، وأجريت له عملية جراحية مستعجلة سببت له بعض إعاقة.

الأستاذ الدكتور غيث عبدالله، التحق متدرباً بقسم جراحة الحروق والتجميل وكان أخًا وفيًا وصديقًا عزيزًا، أوفد للدراسة بتشيكيا وتحصل منها على درجة الدكتوراه، ورجع ليلتحق بالعمل بمستشفى الحروق فكان له دورًا مهمًا في تطويره، واكتسب مهارات فنية كبيرة، وهو رجل صادق، محب ومخلص في العمل، ربطتنا علاقة أخوة.

الأستاذ الدكتور عمران منصور الشمام، درس بمصر وبعد تخرجه أكمل الامتياز ببنغازي، وتعرفت عليه من خلال علاقته بالدكتور عبدالله أبوستة، وعامر رحيل، وسرعان ما تطورت معرفتنا إلى صداقة وأخوة، أوفد للدراسة بأمريكا وتخصص في الأشعة، أكمل دراسته وباشر عمله هناك، بعد تعييني أمينًا للصحة طلبت منه العودة فاستجاب دون تردد رغم المغريات المادية بأمريكا، وتولى تأسيس منظومة الأشعة التشخصية والعلاجية بليبيا، كما تولى قيادة برنامج تدريب تخصص الأشعة بشقيها العلاجي والتشخيصي بمجلس التخصصات الطبية، عندما قمت بتجهيز مركز طرابلس الطبي تولى إدارته، بعد الأحداث في 2011 هاجر إلى مصر ومنها إلى أمريكا.

الدكتور عامر رحيل، تعرفت عليه في كلية الطب مع الأخوين عمر السوداني، وعبدالله أبوسته، والدكتور عامر رجل طيب القلب صافي السريرة أخ وصديق عزيز، كان نشطًا بكلية الطب، وبعد تخرجه أوفد للدراسة إلى أمريكا، وعندما علم بمحاولتي السفر إلى أستراليا قرر مع الدكتور عبدالله أبوسته تغيير مكان الدراسة بمساعدة صديقنا المشترك أمين المكتب الشعبي وقتها الأستاذ سليمان العريبي، لكنه لم يستقر بها، وقرر السفر إلى المجر حيث استكمل دراسته وتحصل على درجة الدكتوراه، بعد عودته كلف بإدارة جامعة العرب الطبية، بعد الأحداث هاجر إلى مصر.

الأستاذ الدكتور احتيوش فرج احتيوش، سياسي بارع وطبيب مقتدر، تعرفت عليه عندما كان بكلية الطب مع المرحوم محمد كريستا، وكان نشطًا طلابيًا تولى إدارة وحدة الاتحاد بالكلية، وساهم في عمل الاتحاد العام لطلبة الجماهيرية، أوفد للدراسة بيوغسلافيا وتخصص بمجال الجراحة العامة، أدخل جراحة المناظير لأول مرة إلى ليبيا، ثم أعاد إحياء برنامج زرع الأعضاء الذي كنت قد أسسته في الزهراء عام 1988، وأدخل برنامج زرع الكبد وحقق نجاحًا في ذلك، بعد الأحداث هاجر إلى مصر.

المرحوم الدكتور محمد عبدالله كريستا تعرفت عليه عندما التحق بكلية الطب بعد السنة الإعدادية، وكان مثقفًا ونشطًا وإعلاميًا، أسسنا صحيفة بالكلية ثم مجلة فصلية، وترأس تحريرها توطدت علاقتنا إلى أخوة، ثم إلى علاقة عائلة بعد أن تزوجت شقيقته، بعد افتتاح كلية الطب بطرابلس انتقل إليها، أسس صحيفة الطالب وأدارها،

وهي أول صحيفة مهنية في ليبيا أصدرها الاتحاد العام للطلبة، أوفد للدراسة في بولندا وبعد عودته صعد نقيبا للأطباء، وبعد إنتهاء ولايته صعد أمينًا للصحة بطرابلس، وفي مجلس التخصصات الطبية ترأس تحرير مجلة "الجماهير الطبية" وهي أول مجل علمية طبية محكمة تصدر في ليبيا.

الأستاذ الدكتور بشير الوخي، تعرفت عليه وهو طالب في كلية الطب بنغازي، ثم انتقل إلى كلية الطب طرابلس، وأوفد للتخصص بيوغسلافيا في تخصص المسالك البولية، الدكتور بشير طبيب زاهد صادق طيب ربطتنا علاقة أخوة وصداقة.

الأستاذ الدكتور محمد السويحلي، تخرج من مصر وبعد عودته ساهم في تطوير مستشفى الأطفال بطرابلس الذي أنشئ بعد الثورة، أوفد للدراسة في بريطانيا وبعد عودته عمل بكلية الطب بطرابلس إضافة إلى عمله بمستشفى الأطفال، هو شخصية قيادية تقنوقراطية من الطراز الرفيع، عند تعييني أمينًا للصحة تولى رئاسة لجنة قامت بإعداد الملف الصحي الذي طبق لسنوات وهو جهد كبير لكن التطبيق لم يستمر طويلًا، كان من مؤسسي مجلس التخصصات الطبية، وتولى مهمة الأمين المساعد إلى الأحداث، كما كان عضوًا بالهيئة العليا للمجلس العربي للتخصصات الطبية، وأخيرًا تولى أمانته العامة.

***

مناضلون ثوريون وقادة سياسيون

في العمل الثوري والسياسي والاجتماعي قائمة الرفاق طويلة ذكر بعضهم لا يعني ترك آخرين وعدم الاهتمام بجهودهم التي قد تفوق جهودي ومن ذكرت، لكن المقام لا يسمح بأن أتي على الكل، ومن بين هولاء الرفاق الأعزاء والأصدقاء المخلصين والجنود الظاهرين والمجهولين:

ونيس محمد الشاوش

شخصية قيادية وطنية، ولد بمنطقة العزيزية، وتعلم بها، وتخرج من المعهد العالي للإلكترونات، في الثمانينيات صعد أمينًا للتكوين بالزاوية، وعندما كلف الرفيق أحمد إبراهيم بأمانة التعليم التحق بالعمل معه، فساهم في وضع برنامج تطوير التعليم بدءً من تغيير المناهج، وإدخال التعليم التقني بالمدارس، حيث تم إقرار تدريس مادتي الحاسوب والتقنية منذ الصف الرابع من التعليم الإبتدائي.

ثم انتقل للعمل بمكتب الاتصال باللجان الثورية، وكلف بشعبة العمل الداخلي، وبالنظر لما يتمتع به من قدرات حركية نجح في تطوير عمل الحركة في ظروف مالية صعبة، حيث كانت الحركة تعتمد على مواردها الذاتية المحدودة جدًا، ولا تتلقى أي تمويل من الخزانة العامة.

كان يتابع من خلال الشعبة وفرق العمل الثوري بالمناطق أداء مؤسسات السلطة الشعبية، وعمليات الممارسة الديمقراطية من خلال التصعيد الشعبي لأمانات المؤتمرات، واللجان على كل المستويات.

كما كان نشطًا في تنظيم الفعاليات الجماهيرية سواء التثقيفية والتعبوية أو الاحتفالية والمهرجانات المختلفة، لقد كان شعلة من النشاط والعمل المستمر، وهو شخصية بسيطة متواضعة، لذلك نجح في إقامة علاقات واسعة من فعاليات شعبية واجتماعية كثيرة.

أُبعد عن العمل في مكتب الاتصال نتيجة وشايات من المجموعات التي تسللت إلى الدولة بعد 2007، بقصد إضعاف حركة اللجان الثورية وشل فعاليتها، ونجحوا في ذلك إلى حد ما، لكن صلابته الفكرية وقناعاته السياسية لم تبعده عن ممارسة العمل الثوري والوطني.

أثناء الأحداث التحق بمكتب الاتصال تطوعًا وساهم في الدفاع عن ليبيا إلى حين سقوط طرابلس فهاجر مع المهاجرين.

صالح أحمد الشيخي

أحد مؤسسي فرع رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين في مدينة بنغازي، رجل متواضع جاد، كان يدرس بكلية الآداب بالجامعة، ولحركيته كان له دورًا في ضم عديد الطلبة للرابطة، وشكل مع المرحوم محمد صالح ثنائيًا، شارك في حملة التوعية الشعبية عقب الثورة الشعبية، وبعد السيطرة على الإذاعة انتقل إلى العمل بطرابلس، وكلف مديرًا لإدارة البرامج التي استمر بها إلى نهاية السبعينيات حيث انتقل إلى شركة الأسواق العامة، ثم التحق بالعمل بالاستثمارات الخارجية، وعمل بشركات الاستثمار بمصر.

علي الفيتوري ريح

زميل ورفيق وصديق، تعرفت عليه برابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، حيث كان من مؤسسي فرع الرابطة في طرابلس، وتوطدت العلاقة عندما التحق بالدفعة الأولى كلية الطب طرابلس، وكان مع عبدالله كنشيل، وضو يونس، والبدري جبريل، وجمعة مادي، وميلاد دقة، قوة فاعلة في جامعة طرابلس، وكان لهم دورًا بارزًا في تقوية المشروع القومي بها، شارك في كل المناشط الثورية الطلابية، واختير رئيسًا للاتحاد العام للطلبة، ثم سافر لاستكمال دراسته ببولندا، حيث تحصل على درجة الدكتوراه منها.

بعد عودته صعد أمينًا للصحة بطرابلس، وأمينًا للمؤتمر الشعبي بطرابلس.

علي ريح قيادي وطني زاهد ومتواضع لم يساوم أبدًا على ثوابته القومية والوطنية رغم ظروفه الحياتية، وهو مثقف ثوري يتمتع بشخصية قيادية مؤثرة، وقوة فكرية رصينة ساهمت في إعداد وتثقيف عديد الكوادر التي تولت قيادة الدولة في فترات لاحقة.

إبراهيم محمد عبدالسلام

شخصية اجتماعية قيادية، طيب المعشر بشوش، وجاد يتمتع بتقدير الجميع، واسع البال، لا يقبل أنصاف الحلول.

تعرفت عليه عندما كان طالبا في الجامعة، وعندما كان أمينًا للعدل بسرت، وعندما التحق بالعمل بشعبة المؤسسات بمكتب الاتصال باللجان الثورية، وتوطدت العلاقة إلى أخوة لا تنفصم.

في شعبة المؤسسات التعليمية نجح في تعبئة الأوساط الطلابية والمعلمين وأعضاء هيئات التدريس الجامعي في المشروع الثوري القومي والوطني، ونجح في اكتشاف كثير من القيادات التي تصدرت قيادة العمل الوطني، ثم كلف أمينًا للهيئة العامة للأوقاف، فعمل مع الوعاظ والأئمة على تطوير الخطاب الديني، ومنع المنحرفين من المجموعات الظلامية المتسترة بالدين من استخدام المنابر لتضليل الناس، وتشويه الدين الإسلامي الحنيف، ونجح في الحفاظ على الخط الوسطي الذي يمثله المذهب المالكي في ليبيا، وساهم في تطوير مراكز تحفيظ القرآن والمنارات الدينية.

إبراهيم عبدالسلام رجل ثوري صادق ومناضل صلب، عندما وقعت الأحداث، عمل على مقاومة العدوان، ونجح في تعبئة المنابر والوعاظ لتبيان حقيقتها للناس، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى مصر وكان من أوائل المتنادين لتأسيس الحركة الوطنية الشعبية كإطار للعمل السلمي للقوى الوطنية- وإطلاق كفاح سلمي لاستعادة الوطن من براثن العبث الأجنبي.

عبدالسلام احمودة العجيلي

شخصية اجتماعية وطنية غير معقدة رغم المهام التي تقلدها والأدوار التي لعبها، قبل 2011 كانت علاقاتي معه محدودة لاختلاف مجال العمل، وعدم وجود تقاطعات في المهام التي عملنا بها، لكني تعرفت عليه عن قرب أثناء الأحداث، فكان قيادي متمكن وثابت وغير مضطرب رغم صعوبة المعركة التي نخوضها وسخونتها، كان يعمل بعلمية، ويبتعد على ردود الأفعال والتنطع، وكان له الدور الأهم في استقرار الوضع الأمني في مدينة طرابلس خاصة طيلة فترة الأحداث، تخرج عبدالسلام حمودة من الكلية العسكرية في السبعينيات، وعمل ضابطًا بالقوات المسلحة، وتلقى دورات تدريبية بالخارج، وكان من الضباط الأكفاء، انتدب في الثمانينيات للعمل بهيئة الأمن الخارجي ضمن فريق مكافحة الإرهاب فنجح مع زملائه من رؤسائه ومرؤسيه في كسر شوكة الإرهاب في التسعينيات، وأصبح من الخبراء الدوليين في مكافحة الإرهاب والأنشطة الهدامة، يرتبط بعلاقات متينة مع نظرائه في أجهزة مكافحة الإرهاب في عديد الدول خاصة مصر وسوريا.

بعد الأحداث هاجر إلى مصر وأقام بها، يتمتع باحترام وتقدير من رفاقه، شخصيته ذات حضور، ومن مؤسسي الحركة الوطنية الشعبية الليبية، ويعمل دائمًا على البحث عن المخارج السلمية للأزمة الليبية.

رمضان المبروك البريكي

مركب بين الذكاء المرح والجدية والثقافة الواسعة، شخصية قيادية من الطراز النادر، تعرفت عليه عندما كان نشطًا في دورات الموجهين الثوريين وهو في مرحلة الدراسة الثانوية، وعندما كان طالبًا بكلية الطب.

الدكتور رمضان البريكي مثقف واسع الإطلاع، وسياسي بارع، وقيادي يفرض نفسه على الآخرين بكل يسر، مملؤ بالحيوية والنشاط، قادر في كل الظروف على ابتداع الأفكار والآليات، عملنا معًا في شعبة العمل الخارجي بمكتب الاتصال باللجان الثورية لفترة طويلة في إطار العمل الفكري والسياسي، فكان نموذجًا للنضال المجدي في العمل الدعوي السلمي، نظم حوارات ولقاءات في أغلب الدول الأفريقية والأمريكية الجنوبية، وربط صلات مع قيادات سياسية مهمة ومثقفين ونخب وقادة رأي، كان لها دور مهم في رسم صورة لليبيا في تلك المناطق من العالم، ساهمت في بناء قاعدة شعبية واسعة لإعلان الاتحاد الإفريقي، كما نظم حوارات معمقة مع عديد من قادة الرأي والفكر من كل دول العالم، ولعل أهم الحوارات المعمقة تلك التي نظمت مع الحزب الشيوعي الروسي، والتي شارك فيها الأمين العام للحزب شخصيا "غينادي زوجانوف".

كلف رئيسًا لتحرير صحيفة قورينا، فحولها من صحيفة عبث ومناكفة إلى صحيفة رصينة فرضت نفسها على الساحة الوطنية، في أثناء الأحداث تولى إدارة مؤسسة الإعلام، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى مصر ومنها إلى أوروبا، وكان أول من دعا إلى تأسيس حركة

مقاومة سلمية، ونظم اجتماعات تأسيس الحركة في الجزائر ومصر والربط عبر "السكايبي" و"البالتوك"، ويحتفظ بنسخة بخط اليد لمحاضر التأسيس والبيان التأسيسي للحركة الوطنية الشعبية.

عبدالسلام محمد إسماعيل

من القياديين النشطين، مثقف ثوري ومناضل مثابر صلب، تعرفت عليه بعد دورات الموجهين، وكان طالبًا قياديًا بالمدرسة الإعدادية والثانوية، وكان من القادة النشطين في حي الأندلس بمدينة طرابلس، درس القانون بالمغرب، ثم استكمل دراسته العليا بها، وتحصل على درجة الدكتوراه، من قيادات نادي الأهلي طرابلس وتولى رئاسته لسنوات، كلف أمينًا للمالية بطرابلس، ومديراً للشؤون القانونية باللجنة الشعبية العامة للخزانة، جدية عبدالسلام إسماعيل وزهده وصدق مواقفه وحتى سرعة غضبه ورحابة صدره تعكس شخصية وطنية بامتياز همها الوطن، وشخصيته القيادية جعلته محل احترام وتقدير كبيرين بين رفاقه وزملائه، وهو دؤوب في عمله، واسع الإطلاع في مجال تخصصه وفي الثقافة العامة، الأمر الذي مكنه أن يكون محاورًا قادرًا على الإقناع.

بعد سقوط الدولة هاجر إلى الجزائر وصادف أن التقينا في الجزائر، وكان الحوار رغم هول الصدمة يتركز على كيفية استرداد الوطن، بعد ترحال من تونس إلى المغرب ثم ماليزيا استقر بمصر، وانطلق في المشاركة في الكفاح الوطني السلمي، فكان من مؤسسي الحركة الوطنية الشعبية الليبية.

محمد محمود الحجازي

من الكوادر الإدارية القيادية النشطة في ليبيا، تعرفت عليه في بداية السبعينيات عندما كان في رابطة الطلبة الوحدويين الناصريين، فلقد كان من القيادات القومية في بنغازي يعمل مدرسًا للغة العربية ومن أسرة وطنية فأخيه عبدالله من حركة الضباط الأحرار التي فجرت الثورة، كان من النشطين في لجان التوعية الشعبية، في عام 72 كلف مديرًا للنشاط بالجامعة، فشكل مع إبراهيم بكار، ومحي الدين البشاري، وعلي الشاعري، وعبدالحميد أبوشنه، فريقًا وطنيًا قاد الجامعة وطورها، وبينما كان في إدارة النشاط تطورت علاقتنا، وتكونت صداقة متينة.

انتقل للعمل بالاتحاد الاشتراكي العربي بالأمانة العامة، وكلف أمينًا للتنظيم، وبالنظر إلى قدراته التنظيمية نجح في بناء قاعدة تنظيمية قوية وتبث العضويات ووضع اللوائح التنظيمية.

وكان له دورًا في إعداد وصياغة الدليل الإداري للمؤتمرات واختصاصات الأمانات، واللجان الشعبية، وابتكار هيكل يتماشى مع المشروع الجديد سلطة الشعب.

بعد إعلان قيام سلطة الشعب صعد أمينًا للبلديات وبعدها أمينًا للإعلام، وأثناء تجربة النظام اللامركزي عام 86 صعد أميناً لبلدية الجبل الأخضر، ثم انتدب للعمل رئيسًا لمكتب المعلومات، وأخيرًا أمينًا للصحة.

أثناء الأحداث وقف مع شعبه في التصدي للعدوان وأدار الخدمات الصحية في ظروف صعبة، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى تونس.

عبد الفتاح الشريف

قيادي وطني وسياسي مقتدر، وتكنوقراطي ثوري، تعرفت عليه عندما كان طالبًا بكلية الطب ببنغازي حيث درس إلى نهاية المرحلة الأولى، كان طالبًا مثقفًا نشطًا بالكلية، ومن قيادات العمل الطلابي بها، تحصل على فرصة للدراسة بإيرلندا، فحاول استكمال دراسة الطب بها إلا أن صعوبات القبول اضطرته للدخول إلى كلية الاقتصاد، حيث حصل على درجة الماجستير منها، وبسبب كفاءته السياسية وقدرته على التواصل وبناء علاقات نجح في نسج علاقات مع سياسيين إيرلنديين وتقديمهم إلى الدولة الليبية نتج عنها روابط سياسية واقتصادية بين ليبيا وإيرلندا، كان لها دورًا في تخفيف الضغط الغربي وخاصة البريطاني على ليبيا أثناء فترات المواجهة مع الغرب، بعد عودته تفرغ تقريبًا للعمل المهني في المجالات المالية والاقتصادية، فعمل بالاستثمارات الخارجية، ثم عين مديرًا لها، فتمكن خلال فترة وجيزة من تطوير برامجها وإيراداتها رغم ظروف المقاطعة الغربية الاقتصادية والضغط السياسي الغربي، وتولى مهمة إدارة محفظة ليبيا أفريقيا التي صممت لتنمية القارة الأفريقية، والتي ربما كانت أحد أسباب الموقف الفرنسي المعادي لليبيا، فلقد حققت الاستثمارات الليبية فيها قفزة كبيرة، إضافة إلى المجهود السياسي

للقيادة الليبية ساهمت تلك الاستثمارات في توجه القادة والمؤسسات الأفريقية إلى ليبيا، وأدارت كثير من الدول الأفريقية ظهرها للغرب عمومًا، لأن سياسة الغرب الاقتصادية في أفريقيا تقوم على النهب للثروات وليس تنمية الدول الأفريقية الفقيرة.

كما نجح في ربط علاقات مهمة مع مؤسسات اقتصادية عالمية كبرى خاصة مع الصين، القوة الاقتصادية النامية باضطراد، وحاول ربطها بشكل أوثق مع مؤسسات الدولة الليبية، إلا أن تسلم بعض شخوص تسللاً من المعارضة المرتبطة بالغرب إلى إدارة بعض المؤسسات الاقتصادية بعد 2007 عرقلت ذلك للأسف.

أثناء الأحداث كان الشريف في صف المقاومة والصمود مع شعبه، وحاول بكل إمكاناته فتح ثغرات في الحصار الجائر، نجح أحيانا ولم يتمكن في أخرى، واستعمل علاقاته السياسية في حشد دعم سياسي لبلاده، بعد سقوط الدولة هاجر إلى مصر، وساهم في الكفاح الوطني لتجاوز آثار الفتنة، وساهم في تأسيس الحركة الوطنية الشعبية الليبية.

علي يوسف زكري

من القيادات الوطنية الجادة، تعرفت عليه عندما كان طالبًا بكلية الهندسة، شخصية مملؤة حماسة ووطنية، صادق في قوله وفعله، يتمتع بثقافة واسعة، متشدد في قناعـــاته الفكرية والسياسية ولا يقبل أنصاف الحلول، وهو شخصية مرحة محبوبة في وسطه الاجتماعي وبين زملائه، بعد تخرجه عمل في القطاع الصناعي، وصعد أمينًا للصناعة إلى سقوط الدولة، وكان له دور في تصميم مخططات تطوير الصناعة في ليبيا، وإعادة تشغيل المصانع القائمة، في الأحداث كان

قيادياً ثابتاً وسياسياً واضحاً فوقف في الصف الوطني المقاوم، وتبث على موقفه إلى حين تمكن الناتو وأعوانه من إسقاط الدولة فهاجر إلى مصر، ومنها إلى بريطانيا، وساهم في تأسيس حركة الكفاح الوطني السلمي.

حسني الوحيشي الصادق

رجل طيب صادق مخلص، تعرفت عليه في كلية القانون بالجامعة وهو من الطلاب النشطين بها، وكان من القيادات الطلابية التي لعبت دور مهم في إعادة الجامعة إلى دورها في إعداد الكوادر لخدمة المجتمع.

الدكتور حسني واسع الإطلاع، يتمتع بالقدرة على التحليل السليم وصياغة أفكاره وتقديمها، ساهم في عمليات الإعداد الفكري والسياسي للشباب، وهو من مؤسسي حركة اللجان الثورية وكان نموذجًا في مسلكه وفي قناعاته الفكرية، ربطتني علاقة وطيدة به وبأسرته والده وأخوته، كلف بعد تخرجه أمينًا للجنة الشعبية الزاوية، ثم تولى اللجنة الشعبية العامة للرقابة، وأمينًا لحقوق الإنسان بأمانة مؤتمر الشعب العام، بعد سقوط طرابلس اعتقل من قبل المنظمات الإرهابية، وسجن لعدة سنوات، وأفرج عنه بعد طرد الجماعة الليبية المقاتلة من طرابلس.

علي اللافي أبوزريبة

من القيادات الثورية الوطنية الناشطة، يتمتع الشجاعة والإقدام وقوة الشخصية القيادية، تخرج من كلية الاقتصاد، وتولى عديد

المناصب القيادية التي أثبت فيها جدارته وقدرته على التطوير، فكلف بشركة الخدمات الضمانية، فأمينًا للجنة الشعبية للمرافق بنغازي.

علي اللافي صلب في مواقفه لا يقبل المناورة، ويعتمد على قوة شخصيته وقناعاته الفكرية والسياسية في التعامل مع الآخرين، صبور في حياته الخاصة فبعد رحيل زوجته رحمها الله استمر عقود دون زواج، حيث أعتنى بأولاده وبناته إلى أن أطمئن عليهم جميعا، وهو شخصية اجتماعية مرحة ومحبوبة، وقادرة على التأثير الكبير في محيطه.

من القيادات الحركية المثقفة للجان الثورية كان له دورًا مهمًا في إعداد كوادرها واستقطاب دماء جديدة لها، ولما يتمتع به من ميزات ثورية كان دائمًا محل ثقة القيادة وكل رفاقه.

شكل مع سعيد رشوان، وسالم ارحومة، وسالم عبدالرحمن، ورمضان البريكي، وحسن رمضان، وعمران سالم، فريقًا قياديًا متجانسًا للعمل الثوري ببنغازي.

بعد سقوط بنغازي في يد المليشيات، انتقل إلى طرابلس حيث ساهم بشكل فعال في مقاومة العدوان، وبقى فيها إلى حين إسقاطها من قبل الناتو، فهاجر إلى مصر في رحلة أتسمت بصعوبة بالغة، في مصر ساهم بفاعلية وجدية في تأسيس المشروع الوطني السلمي الحركة الوطنية الشعبية الليبية.

سعيد عوض رشوان

قيادي وطني وتقني متمكن وسياسي، تعرفت عليه في الجامعة ولكونه شقيق صديقي ورفيقي المناضل عمر رشوان، الذي تربطني

بها علاقة نضالية قديمة، من أسرة وطنية مشهود لها بالجهاد والاخلاص والصدق.

كان طالبًا قياديًا ساهم في تبيث حالة الوعي الثوري بجامعة قاريونس، واستقطاب الطلاب الوطنيين للعمل الشعبي، وقاد مع مجموعة من الطلاب الحراك الشبابي، وكان لهم دورًا في العمل الشعبي، ولقد شكلوا فيما بعد الكادر التقني للدولة، ومنهم على اللافي، وسالم ارحومة، وسالم عبدالرحمن، وحسن رمضان، ورمضان البريكي، بعد تخرجه من كلية الاقتصاد كلف بعديد المهام في مصرف الوحدة المصرف التجاري، وكاتبًا عامًا للخارجية، وأمينًا للمالية بنغازي، ونجح في إدارتها، كما كلف رئيسًا لشركة الأخشاب.

سعيد رشوان سياسي طموح، ومحاور بارع، لديه القدرة في التعامل الندي مع الخصوم، ويتمتع بمقدرة على الإقناع بوجهة نظره، فهو محاور مرن، نجح في ربط علاقات وتواصل مع كثيرين بما فيهم من يختلفون معه، يجيد المناورة لكنه منحاز دائمًا للمشروع الوطني، وهو من قيادات الجيل الثاني لحركة اللجان الثورية، وبعد سقوط الدولة هاجر إلى مصر وانضم إلى الحركة الوطنية الشعبية وساهم في صياغة مشروعها الوطني وتطويره.

عمر علي الصيد

مناضل وطني وشخصية اجتماعية، تعرفت عليه في المهجر، فقبل الأحداث كانت معرفتي به محدودة عن طريق أصدقاء مشتركين بسبب اختلاف طبيعة العمل، فلم يكن ضمن العمل الطلابي، ولم يكن منخرط في العمل الشعبي، أثناء العدوان صمد وقاوم العدوان إلى

سقوط طرابلس، فهاجر إلى الجزائر ومنها إلى مصر، في المهجر تواصلنا، وكان ضمن الفريق الأول الذي أسس الحركة في الجزائر كتنظيم وطني رافض للمؤامرة الذي يتبنى الكفاح المدني السلمي.

مفتاح علي عزوزة

كان اللقاء الأول بمكتب القائد رحمه الله باب العزيزية عام 71، كان طالبًا بكلية الهندسة وكنت طالبًا بإعدادي الطب، لكن العلاقة توطدت بيننا من خلال رابطة الطلبة العرب، وكان مفتاح شخصية سهلة غير معقدة، مرحة وجدية، وتطورت علاقتنا الشخصية إلى علاقة أسرية، شارك بفاعلية في كل معارك الثورة في الجامعة، وكان من القيادات الطلابية الرصينة، ومن قيادات الحراك الطلابي عام 76، تخرج من كلية الهندسة عام 1976، وأوفد للدراسة في أمريكا، وليلة سفره نام عندي بالبيت مع الدكتور عبدالقادر البغدادي، ونقلته في الصباح إلى المطار بسيارة أخي امحمد.

علاقة ثلاثية خاصة تكونت بيني وبين مفتاح والدكتور عبدالقادر البغدادي، في المعسكرات التثقيفية، كان ثلاثتنا ينامون متأخرًا ويستيقظون متأخرًا، الأمر الذي كان يزعج إدارات المعسكر.

بعد عودته عين عضوًا بهيئة التدريس في الجامعة، وكلف بعدة مواقع قيادية منها الشركة الليبية للحديد والصلب، وهيئة التمليك.

فتحي بن شتوان

كان فتحي شتوان من المتقدمين لدراسة الطب، لكنه بعد قرار افتتاح كلية الطب ببنغازي قرر الانتقال إلى كلية الهندسة، في نفس

الوقت كان هناك أخوة مقبولين بكلية الهندسة قرروا الانتقال إلى كلية الطب، ومنهم الدكتور عبدالعزيز شنبش، والأستاذ الدكتور إبراهيم بيت المال.

كان فتحي شتوان من الطلاب المتفوقين، التحق برابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكان من الطلاب القياديين الناشطين وساهم بفاعلية وجدية في معارك الثورة في الجامعة، يتمتع بالجدية والصرامة، كان من قيادات ثورة الطلاب في السابع من أبريل، بعد تخرجه عاد إلى بنغازي وعمل بقسم الهندسة بالإذاعة، ثم أوفد للدراسة إلى بريطانيا فتحصل على درجة الدكتوراه، ورجع ليصبح عضوًا بهيئة التدريس، صعدنا معا باللجنة الشعبية العامة عام 87 حيث توليت قطاع الصحة، وتولى قطاع الصناعة.

ثم صعد ثانية أمينًا للطاقة، وشغل عديد الوظائف في قطاع الصناعة.

أبوعجيلة رمضان فكرون

صديق عزيز مناضل بروح وطنية، متواضع وزاهد، تعرفت عليه في رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين عندما كان عضوًا بفرع طرابلس وهو طالب بالمرحلة الثانوية، ثم توطدت العلاقة في الجامعة عندما التحق بكلية القانون، كان قياديًا متحمسًا يتمتع بذكاء حاد وصدق كبير، ساهم في قيادة ثورة الطلاب في السابع من أبريل، بعد تخرجه أوفد للدراسة في فرنسا، فتحصل على الدكتوراه في القانون، عاد إلى أرض الوطن ليلتحق بالتدريس في كلية القانون،

وصعد أمينًا للتعليم بتاجوراء النواحي الأربعة، يتسم بالمرح فهو واسع البال قليل الغضب حسن المعشر.

صالح إبراهيم المبروك

ثوري مجتهد وسياسي، تعرفت عليه عندما كان طالبًا بكلية الاقتصاد بجامعة بنغازي، وكنت أعمل بمستشفى الجلاء بها، كان ثوريًا مشاكسًا وجادًا، التحق باللجان الثورية بالجامعة، وساهم في كثير من المناشط الثورية بجامعة قاريونس في الثمانينيات التي ساهمت في إبعاد الأنشطة الحزبية عن الجامعة، بعد تخرجه التحق بالعمل بمكتب الاتصال باللجان الثورية في شعبة المؤسسات التعليمية، التي تولت الإشراف على برنامج براعم وأشبال وسواعد الفاتح، أوفد للدراسة ببريطانيا واتهم في قضية الشرطية، وأبعد عنها مع بقية الطلاب الثوريين نتيجة وشايات من مجموعات الإخوان، بعد عودته أسس في نهاية التسعينيات أكاديمية الدراسات العليا، وبقى بها إلى الأحداث، وكلف لفترة رئيسًا لجامعة الفاتح.

أثناء الأحداث شارك في التصدي للعدوان، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى مصر، ومنها إلى بريطانيا، ورغم دخوله بطرق قانونية إلا أن الشرطة الإنجليزية اعتقلته وأعادت التحقيق معه لمدة شهور قبل أن تسمح له بمغادرة بريطانيا.

قاسم صنبير

تعرفت عليه وهو شاب مناضل في حي الأندلس، فكان شعلة مليئة بالنشاط والجدية، أوفد للدراسة بالمغرب، وتحصل منها على درجة الدكتوراه، وبعد عودته التحق بالعمل في فريق العمل بحي الأندلس، وكلف مديرًا لمصلحة الوسائل التعليمية فأدارها بكفاءة، كان موقفه أثناء الأحداث واضحًا صلبًا، وساهم في مقاومة العدوان الأجنبي إلى حين سقوط طرابلس، فهاجر إلى مصر، ومنها إلى صربيا، واستقر به الحال مهاجرًا بألمانيا الغربية، من مؤسسي الحركة الوطنية الشعبية الليبية.

الدكتور قاسم صنبير يتمتع بثقافة عالية، ولباقة وقدرة على الحوار وإقناع الآخرين، رجل كيس متواضع، وشخص جاد وواضح، مثقف واسع الإطلاع، ومثقف ثوري مبدع، وإعلامي ملتزم، كان له دور وأثر في نشر الثقافة الثورية الملتزمة، وإعداد الأجيال الجديدة، يتمتع بصفات قيادية مكنته من المساهمة الفاعلة في قيادة العمل الشعبي، حيث صعد أمينًا لشعبية غدامس، فترك بصمات تشهد بوطنيته وكفاءته.

أحمد عبدالله أبوخريص

تعرفت عليه في فترة مبكرة عندما كان طالبًا نشطًا في كلية القانون، وتوطدت العلاقة الأخوية، وتعرفت على والده المرحوم عبدالله أبوخريص.

أحمد أبوخريص من الكوادر السياسية والقانونية، التحق بسلك القضاء، ثم عين عضوًا بالمكتب الشعبي بولندا فسفيرًا في غينيا

والكاميرون، ثم أمينًا للرقابة في بنغازي، ووكيلًا للرقابة العامة، في كل المهام التي كلف بها حقق نجاحًا باهرًا بسبب جديته وإخلاصه في عمله، يحضى باحترام كبير من كل رفاقه وزملائه، وهو شخصية متواضعة جادة صادق في قوله وعمله، وهو شخصية اجتماعية قيادية، ثم ترقى إلى درجة قاض بمحاكم الاستئناف.

أثناء الأحداث كان موقفه صلبًا في مواجهة العبث المليشياوي، وبعد سقوط بنغازي في يد المليشيات انتقل إلى طرابلس والتحق برفاقه من القوى الثورية، واستمر إلى أن سقطت طرابلس في أيدي الناتو، فهاجر مع علي اللافي في رحة شاقة وصعبة عبر غدامس إلى تونس ومنها إلى مصر، وكان من أول المتنادين لتأسيس الحركة الوطنية الشعبية الليبية، وساهم في صياغة أدبياتها ولوائحها وكان أحد أهم قياداتها.

سليمان رمضان الكيلاني

من القيادات الثورية، تعرفت عليه بعد تخرجه من كلية الهندسة جامعة الفاتح، وكان من الشبـــاب النشطين بفريق العمل الثوري حي الأندلس، تولى إدارة الفريق، وساهم في قيادة العمل الثوري بطرابلس، أثناء الأحداث اتخذ موقفًا وطنيًا وساهم في مقاومة العدوان وبعد سقوط طرابلس تمكن من الهجرة إلى مصر.

ميلاد حسين الفقهي

ولد ميلاد الفقهي بالقداحية ودرس بها، وواصل دراسته بكلية الاقتصاد والتجارة ببنغازي، تعرفت عليه عام 73، وكنت قد التقيته

أول مرة بمدرج رفيق بكلية الآداب، فعقب إسقاط الصهاينة للطائرة الليبية فوق سيناء، حاول الحزبيون استغلال الظرف ولتهييج الطلاب ضد الثورة بذريعة أن سبب إسقاط الطائرة هو تآمر من السادات وقتها، وحاولوا تنظيم أعمال معارضة، وأثناء تحضيراتهم نظموا اجتماعا بالمدرج حضرته، وكنت فوق المسرح أحاول أن أقول وجهة نظر مخالفة لما يقولون، لاحظت أن أحدهم يجلس بالخلف ومسك بيده الأسلاك التي توصل لاقط الصوت بجهاز التكبير، وما أن صعد ميلاد يريد الحديث، وبدأ يقول كلامًا ثوريًا حتى سحب ذلك الجالس السلك، فبقى صوت ميلاد رغم جهوريته محصور في المنصة، وعلا ضجيج حال دون سماعه، أمسكت به وطلبت منه التوقف، وشرحت له ما قاموا به.

ميلاد رجل صادق طيب ثوري جاد، ومتحدث بارع، وهو أيضًا شاعر شعبي وكاتب، كان من قيادات الثورة الشعبية 73، في التدريب العسكري العام التحق بالتدريب الذي كـان عنيفاً فوق طاقة الطلاب، وألف قصيدة شعبية طويلة انتقاداً للمعاملة، أحرجناه ذات مرة أمام القائد فألقاها وأعجب بها، كلف مسجلًا بكلية التربية بطرابلس، ثم التحق بالقوات المسلحة، وكلف بالعمل بمكتب الاتصال باللجان الثورية بشعبة العمل القومي، ثم عين سفيرًا في اليمن، وبعد عودته كلف مديرًا لإدارة التوجيه الثوري.

كان من القيادات التي تصدت للعدوان وقاومته، وبعد سقوط الدولة هاجر إلى مصر، وتنادى لتأسيس الحركة الوطنية الشعبية الليبية، لكنه لم يكمل مسيرته بها.

علي الكيلاني

ثوري مخلص وشاعر مبدع، بينما كنت في الجامعة أتابع عبر الراديو مهرجان الشعر الشعبي الأول والذي نظم لعدة أيام، وفيه إبداعات الشعراء الكبار وتقييم لمواهب شابة، وكان يشرف عليه الشاعران الكبيران محمد سعيد القشاط، وأحمد النويري، ومن بين المتسابقين شاب من سرت ألقى قصيد غاية في الروعة أبهرت الجميع، مطلعها "الحوش والحوازة وسرت واللي فيها.... إلى آخر المطلع" ذلك الشاب هو علي الكيلاني، التحق بالكلية العسكرية ضمن مجموعة ضمت ميلاد الفقهي، وميلاد دامان، وعبدالسلام الزادمة، وإسماعيل الكرامي، وبعد تخرجه انتدب للعمل بمكتب الاتصال، هناك تعرفت عليه، فهو شخصية اجتماعية مثقفة لديه بال واسع وعلى شفتيه ابتسامة ترحاب دائمة.

كان علي الكيلاني شعلة ثورية، تولى إدارة معارك الثورة مع الفاسدين، وكان يضبط الإيقاع لمنع أي أخطاء جانبية أو إلحاق أضرار بالناس، وأشرف على اتصالات الحركة، حيث تمكن في ذلك الوقت من ربط المثابات بمنظومات حديثة، مكنت أعضاء حركة اللجان الثورية من التواصل الدائم بينهم.

لكن كونه فنان مبدع اتجه إلى العمل الإعلامي، وأسس شركة أجاويد للإنتاج الفني، وشرع في تسجيل أغاني قومية ووطنية، وملاحم تراثية كبرى، لعل أهمها رفاقة عمر، والنجع، وملحمة الرباط الغنائية، ذلك العمل الاستعراضي الكبير، وملحمة فارس ورجال.

تولى إدارة إذاعة الجماهيرية لفترات متعددة، وعمل مع رفيقه عبدالله منصور على تطويرها فنيًا بحيث يمكنها من المنافسة، فتأسست قناة رياضية، وقناة للشباب، وقناة للتراث.

تولى أثناء الأحداث إدارة المعركة الإعلامية غير المتكافئة مع ماكنة إعلامية دولية، إلا أن المعتدين أزعجهم الصوت القادم من ليبيا والصور التي تنقلها، فقاموا بأول عملية قمع إعلامية تخترق كل معايير حرية التعبير، ومنعوا البث الفضائي الليبي عبر الأقمار الأوروبية، وضغطوا حتى منع البث الفضائي من الأقمار العربية التي تساهم ليبيا بنسبة كبيرة في أحداها، ولم يتوقف العمل إلى هذا الحد بل تعرضت محطات واستوديوهات الإذاعات الليبية لقصف متكرر من قبل طيران الناتو.

عندما نذكر علي الكيلاني نتذكر دائما نداء "وين الملايين"، و"يا حمام القدس"، و"من يجرى يقول" إلى آخر الإبداعات الخالدة.

إسماعيل الكرامي

مناضل قومي ورجل أمن محترف، تعرفت عليه عندما كان طالبًا بجامعة بنغازي، في عام 75 عندما صعدت المجموعات الحزبية استفزازاتها للطلبة الثوريين، وكان من القيادات الثورية بها التي تصدت للعبث الحزبي.

تعرض مع عدد من الشباب للمضايقة بالجامعة لكونهم طلبة من مدينة سرت، لكن الحراك الطلابي في 7 أبريل أعاد الأمور إلى نصابها، فكان إسماعيل الكرامي ورفاقه من قيادات الحراك الطلابي

الذي أبعد شبح الفوضى الحزبية عن الجامعة، استكمل دراسته وبعد تخرجه التحق بالقوات المسلحة مع مجموعة من الشباب الذين سبق ذكرهم، وانتدب أيضًا للعمل بمكتب الاتصال باللجان الثورية وساهم في قيادة معركة محاربة الفساد وبناء حركة قوية فكريًا وسياسيًا.

كلف بالعمل في جهاز الأمن الداخلي، وانتقل للعمل بجهاز مكافحة المخدرات، فنجح في تكوين فريق وطني تمكن بجهود ليبية ذاتية من وضع حد لتلك الظاهرة التي بدأت تنخر الشباب الليبي، وكانت عملية مبرمجة من أجهزة استخباراتية أجنبية لكسر إرادة الشعب الليبي من خلال ضرب قوته الأساسية الشباب بآفة المخدرات.

أثناء الأحداث قام بالعمل مع مجموعة من القيادات الثورية في مصراته بالعمل على تجنيب المدينة المؤامرة، ولقد نجحت في إعادة الأمن والاستقرار في المدينة من خلال تواصلها مع القيادات والفعاليات الشعبية، لكن خطأ في إدارة المعركة حدث نتيجة خديعة إخوانية أدت إلى الطلب من الفريق الثوري الخروج من مصراته، بعد ذلك تطورت الأمور بشكل سيء ونجح العدو في تسليح مجموعات، واستخدمت مصراته قاعدة متقدمة للعمليات الدولية ضد ليبيا، التحق بسرت وطرابلس وبعد سقوط الدولة اعتقل إسماعيل لدى المليشيات وواجه كرفاقه الأسرى كل صنوف التعذيب، وخرج بعد أن أمضى سبع سنوات بالمعتقل.

ميلاد دامان

ثوري شجاع وثابت، من القيادات الطلابية بكلية القانون، تعرفت عليه وهو طالب قيادي بها، كان من الفاعلين في فضح أساليب

الحزبيين في الكلية، شارك في قيادة الحراك الطلابي في 7 أبريل، بعد تخرجه من كلية القانون التحق بالقوات المسلحة، وتخرج منها مع رفاقه علي الكيلاني، وميلاد الفقهي، وإسماعيل الكرامي، وندب للعمل بمكتب الاتصال.

انتقل للعمل بالأمن الداخلي، فتمكن لشجاعته وقدرته على التعامل الأمني وسعة إطلاعه من التحول إلى رجل أمن محترف، ساهم في قيادة الأمن الوقائي ضد الإرهاب، ثم تولى الأمن الداخلي بطرابلس فكان يحسب له أن طرابلس آمنة مستقرة لم تحصل بها اختراقات تزعزع أمن المواطنين لعقود بما فيها فترة العدوان.

لعب دورًا أساسيًا في التصدي للمؤامرة، وبذل جهودً كبيرة مع منتسبي الجهاز الوطنيين في المواجهة التاريخية غير المتكافئة بين الغرب بكل قوته الحربية وماكنته الدعائية وليبيا البلد الصغير المحاصر كليا.

بعد سقوط طرابلس نجح في الخروج من البلاد إلا أنه تعرض لمؤامرة من الدول التي استضافته فسلم إلى المليشيات بتواطؤ من حكومات تلك الدول مقابل الحصول على أموال، ودبر الأمر وكأنه عملية خطف عادية، في سجون المليشيات واجه أبشع صنوف التعذيب، لكنه خرج من السجن بعد أكثر من ست سنوات ليلتحق بمسيرة الكفاح الوطني.

محمد سعيد القشاط

الشاعر والكاتب والسياسي

ولد محمد القشاط بمناطق الصيعان في بدر، ودرس وتخرج من معهد المعلمين، ليلتحق بسلك التعليم بسبها ثم طرابلس.

بعد افتتاح الإذاعة الليبية ساهم في تقديم برامج أسبوعية بها تعنى بالشعر الشعبي والتراث الليبي، حققت نجاحًا كبيرًا، وكان القشاط كبقية أبناء جيله غير مرتاحين من النظام الملكي الذي رهن البلاد للقواعد الأجنبية، وبعد قيام ثورة الفاتح التحق بالصحافة، فعمل بجريدة الفجر الجديد، ثم كلف بمتابعة حركات التحر العالمي، وركز نشاطه على بلدان الصحراء الكبرى، وكان له دورًا في تحرير الساقية الحمراء من الإسبان، وتولى متابعة الجمهورية الصحراوية، كما عمل أيضا مع الطوارق والقبائل الأفريقية المختلفة، وفي الألفينيات عين سفيرًا لدى السعودية.

القشاط شخصية مرحة صاحب دعابة حاضرة، حافظًا للشعر ومتمكن من الشعراء الشعبيين، وشكل مع الشاعر الكبير أحمد النويري موسوعة في الشعر الشعبي، وعلاقتي بالقشاط عادية، فلم نلتقي كثيرًا في أعمال مشتركة، وكانت على الدوام ودية.

أثناء الأحداث كان له موقفًا بارزًا في مواجهة العدوان، حيث ترك عمله في السفارة، وعاد ليشارك في الدفاع عن ليبيا.

بعد سقوط طرابلس هاجر إلى الجزائر، وأقام بها إلى عام 2016 حيث انتقل للإقامة بمصر.

في الجزائر كان منشغلا بترتيب المقاومة، فتواصلت معه عن طريق الأخ الصديق المشترك معاوية الصويعي، وعندما طرحت عليه فكرة الحركة الوطنية الشعبية تحمس كثيرًا للموضوع، ودعا القيادات المتواجدة في الجزائر لاجتما،ع حاولت التواصل معهم بـ"السكايبي" دون جدوى، وفي الاجتماع الذي حضره عنا رمضان البريكي تم الاتفاق على إعلان تأسيس الحركة الوطنية الشعبية.

بعد انتقاله إلى القاهرة حاول القشاط بناء جبهة أوسع من الحركة فانضم إلى جبهة النضال الشعبي، التي شكلت إضافة لعدد التنظيمات التي تشكلت باسم أنصار النظام الجماهيري.

ألف محمد القشاط عديد الكتب في التاريخ، تركرت حول تاريخ الجهاد الليبي، وأخرى في الشعر الشعبي .

مصطفى مفتاح الدرسي

ثوري صادق ومناضل ثابت، تعرفت عليه عندما كان طالبًا بمدرسة المرج الثانوية، حيث كان ضمن فريق ثوري نشط، والتحق

باللجان الثورية، في جامعة قاريونس كان من العناصر الطلابية النشطة ثوريا.

مصطفى الدرسي مثقف ثوري واسع الإطلاع، ويتمتع بقدرات قيادية ثورية وإدارية، صريح واضح وثابت في مواقفه، واصل دراسته ببريطانيا وتحصل على درجة الماجستير، بعد تخرجه كلف أمينًا لإحدى الشركات الصناعية ببنغازي ونجح في تطويرها، وبعدها صعد مفتشًا عاما للصناعة، وألغى النظام المركزي، وأحيلت صلاحيات القطاعات إلى الشعبيات، وكان الهدف متابعة أداء القطاعات في ظل اللامركزية خوفًا من تبعثرها وتعترها، ثم صعد أمينًا للشباب والرياضة فطرح خطة طموحة لتطوير القطاع من خلال مشروعات تنموية كبيرة في القطاع، شرع في تنفيذ بعضها وتوقف التنفيذ بعد 2011.

أثناء الأحداث كلف بمتابعة مدينة المرج فنجح في تجنيبها عبث التنظيمات الإرهابية والفوضى، وبقت المرج صامدة إلى حين سقوط المنطقة الشرقية، بقى فترة في المرج لكن بسبب تدهور الوضع الأمني وتغول المليشيات هاجر عام 2012 إلى مصر حيث التحق بالعمل الوطني.

عبدالله عثمان عبدالرحيم

مثقف وطني وسياسي مناور، تعرفت عليه في الثمانينيات عندما كان طالبًا بجامعة قاريونس، ولم تتوطد العلاقة بسبب خلافه مع صديقي العزيز المرحوم محمد المجدوب، ورفيقي أحمد إبراهيم، ولكوني وقت ظهوره على المشهد كنت في دراسة بالخارج، لكن كان

دائمًا هناك علاقة ود وحوار بيننا، وكنت والدكتور عبدالقادر البغدادي نحاول دائما إبقائه ضمن العمل الثوري الجماعي، لكن دائما كانت له برامجه المخفية، ففي تقديري كان يؤمن بمنهج الغاية تبرر الوسيلة، تواصلنا عن قرب عندما كان منسقًا للتثقيف في مكتب الاتصال، وعندما كلف بإدارة المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، للأسف كان من عرابي إدخال الإخوان إلى المشهد، ومعلوماتي من بعض الإخوة في الأجهزة الأمنية أنه وراء إقناع سيف الإسلام بما سمي المراجعات والمصالحة الذي نقضه الإخوان مع انطلاق شرارة الأحداث.

بعد إندلاع الأحداث كان موجودا بكثافة في الفريق الإعلامي المكلف بمواجهة الحملة الإعلامية الشرسة، لكنه اختفى يوم 2/20 بدون مقدمات، وعلمت لاحقا أنه غادر إلى النيجر ولم يظهر على السطح إلا في عام 2014.

عمر النفيشي

من القيادات الوطنية تعرفت عليه وهو طالب نشط بالجامعة، وبعد تخرجه منها، وهو شخصية وطنية طموحة، أوفد للدراسة بمصر ومنها تحصل على الدكتوراه، وعمل مشرفًا للطلاب بالمكتب الشعبي القاهرة، يتمتع بشخصية قيادية وعلاقات اجتماعية واسعة، عمل بالعمل الثوري لفترة طويلة من خلال فريق العمل الثوري طرابلس، وفريق العمل بترهونة، كما ساهم كثيرًا بالعمل الثوري الخارجي خاصة في الوطن العربي وساحة أمريكا اللاتينية، أثناء الأحداث وقف مع المقاومين الوطنيين، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى مصر.

عبدالكبير الفاخري

عبد الكبير الفاخري من سكان سمنو بفزان، ولد بها وتلقى تعليمه الأساسي والمتوسط بسبها، ثم التحق بجامعة النجم الساطع، عقب تخرجه أوفد للدراسة بالخارج وتحصل على الدكتوراه في الكيمياء، كلف رئيسًا لجامعة سبها ومنها كلف كاتبًا عامًا لأمانة التعليم التي كان المرحوم الدكتور إبراهيم الشريف أمينًا لها، فأظهر كفاءته القيادية، وساهم في وضع خطة تطوير التعليم العالي والعام، عندما فصل القطاع إلى تعليم عام وعالي استمر كاتبًا عامًا بالتعليم العالي، وعندما أعيد دمج الأمانتين كلف أميناً للتعليم.

الدكتور عبدالكبير شخصية وطنية اجتماعية تتسم بالجدية والمثابرة، له إطلاع واسع وهومتابع جيد، رغم سنه وحداثه إلا أنه انتمى لمجموعة التكنوقراط الليبيين الاكفاء، وهو إضافة إلى ذلك سياسي متمكن وقائد اجتماعي يحضى باحترام الجميع.

أثناء الأحداث استمر في إدارة القطاع وشارك في الدفاع عن الوطن، وكلف بمهام سياسية إلى جنوب شرق آسيا، وبعد سقوط الدولة هاجر إلى مصر واستقر بها والتحق بالعمل الوطني

مفتاح أبوسته

شخصية وطنية قيادية، يتمتع بالقدرة على التحليل الرصين الموضوعي للأحداث واستشراف المستقبل، تعرفت عليه عندما كان طالبًا نشطًا بجامعة الفاتح، وعندما كان منسقًا لفريق العمل ترهونة نجح في توحيد القوة الثورية بها وتوحيد القوى الاجتماعية والسياسية

بها بالرغم من أنها منطقة شاسعة متنوعة اجتماعيا بعض الشيء وبالرغم من المنافسات بين فعالياتها وقياداتها، كما كان ضمن فرق العمل التي تعمل بالساحات الخارجية، وكان مجال عمله أمريكا الجنوبية، وركز جهوده على الجالية العربية الكبيرة بها.

المهندس مفتاح مثقف ثوري قومي وقيادي ناجح، واسع الإطلاع عميق التحليل، ينتمي إلى المشـروع القومي الجماهيري، له قدرة على تقييم الأفكار والمواقف، يميل إلى القيادة من الخلف ويعتمد على قدراته في الإقناع والتأثير في الآخرين للوصول إلى الأهداف، تكونت علاقة شخصية متينة وثقة قوية بيننا، وكان صامدًا أثناء المؤامرة إلى حين سقوط طرابلس، فهاجر مع المهاجرين إلى مصر.

قرين صالح قرين

مناضل ثوري صادق، تعرفت عليه بعد تأسيس حركة اللجان الثورية فلقد كان من القوة النشطة في سبها، صعد أميناً للجنة الشعبية للبلدية وأميناً لمؤتمرها الشعبي، كما صعد أمينًا للجنة الشعبية بسرت.

قرين صالح وكما يسمى الحاج قرين، شخص كريم ودود، مخلص في عمله، ويصدق في قوله، بعد سقوط طرابلس هاجر إلى مصر وشارك في تأسيس الحركة الوطنية الشعبية الليبية، وشارك في قيادتها قبل أن ينسحب منها في 2018 لأسباب خاصة، تربطني به علاقة أخوة ونضال.

عبدالله يحي الفرجاني

رجل شعبي وطني، تعرفت عليه في ألمانيا حيث كان ضمن مجموعة من خريجي الهندسة التطبيقة موفدين للدراسة بألمانيا، وكانوا شبابًا ثوريين وطنيين منهم المهندس عبدالحميد الشيخي، والمهندس جمال قرمان، وبالنظر لوجود مجموعات ما يسمى جبهة الإنقاذ التابعة للمقريف في ألمانيا، وانطلاق نشاط ثوري لاتحاد الطلبة الذي كـــان يقوده المناضلان المرحوم علي الشريف، والمرحوم جمال الأزهري ومساهمتنا فيه، ونتيجة وشاية من عصابات المقريف اعتقلتنا أنا والأخ الرفيق عبدالله السلطات الألمانية لمدة شهر، وبعد لم تثبت التحقيقات شيئا قامت بإبعادنا عن ألمانيا، ربما ذلك السجن بظلم سبب تكون علاقة أخوة بيننا، استكمل عبدالله يحي دراسته بالمجر وعاد إلى ليبيا حيث كلف بشركة مصراته للطرق، ثم شركة أفريقيا للهندسة، وكان موقفه ثابتًا أثناء الأحداث، وبعد سقوط الدولة هاجر إلى مصر ومنها إلى ألمانيا.

عمران حموده

رجل متواضع شهم زاهد، تعرفت عليه ببيت الطلبة بالظهرة عندما كان طالبًا بكلية التربية، فهو رجل اجتماعي بطبعه وقيادي واضح، لا يحب المجاملة يقول كلمته ويمضي، وتوطدت العلاقة معه أثناء النشاط الطلابي بالجامعة وخلال ممارسة العمل الثوري الشعبي، وبعد تخرجه التحق بالعمل الإداري والشعبي لكنه لم يتخلى عن واجباته الثورية والوطنية، في التسعينيات عين كاتبًا عامًا لأمانة

الوحدة، وبعد إنتهاء عمله استقر بمدينة مصراته، كنا نلتقي بين الفينة والأخرى، لكن بعد الأحداث قل اللقاء واستمر التواصل عن بعد.

محمد صالح بن النيران

شخصية قيادية وطنية واسعة الإطلاع، يتمتع بمهارات قيادية، يعتمد على نفسه في إنجـــــاز العمل، تعلم بسببها وتخرج مهندساً في الحاسوب، كان له نشاطاً ثورياً واجتماعياً واسعاً في الجنوب خاصة، بعد إعادة تنظيم الهيئة العامة للأملاك عمل بها، وتولى مهام قيادية ميدانية حيث اعتمدت عليه إدارة الهيئة اعتمادًا كليًا في إعادة تنظيم أملاك الدولة وتوثيقها.

لقد نجح الأخ محمد في أن يكون نفسه كتقنوقراط، وبالنظر إلى طموحه وإمكاناته الشخصية ومثابرته وإطلاعه أصبح أحد الاقتصاديين الناجحين فتولى إدارة بعض الشركات.

في الأحداث كان له دورًا قياديًا في التصدي إلى العدوان الأجنبي، وبعد تمكن العدو من السيطرة على طرابلس هاجر إلى مصر، وكان من أوائل المتنادين لتأسيس الحركة الوطنية الشعبية الليبية كقيادة جماعية للعمل الوطني السياسي وكان من أحد قياديها.

عثمان يونس الدعيكي

الدكتور عثمان يونس الدعيكي أحد الكوادر الإدارية الليبية الطموحة، يتصف بالجدية والمثابرة، واسع الإطلاع، وهو شخصية وطنية اجتماعية رصينة، يحضى بتقدير واحترام من زملائه ورفاقه، تخرج من كلية الاقتصاد والتجارة، ولم تكن له اهتمامات سياسية بل

كان يهتم بتطوير مهاراته وقدراته الذاتية، بعد تفرغه عمل بقطاع الصناعة وأثبت مقدرة إدارية وقيادية أهلته أن يتولى عديد المواقع بالشركات الصناعية.

انتقل للعمل باللجنة الشعبية العامة وكلف مديرًا للشؤون المالية بها، فتطورت مهاراته، وكان جديرًا بالدور القيادي الذي أسند إليه، وكان بحكم موقعه على تواصل وتماس مع كل القطاعات في الدولة.

أثناء الأحداث انهمك في العمل الإداري باللجنة الشعبية العامة التي كانت تدير الصراع في كل المحاور تقريبًا، المحور الاقتصادي في التعاطي مع الحصار الجائر، والمحور السياسي، والمحور الأمني إضافة إلى تمويل الجهد الحربي، وكان متواجدًا في كل تلك المحاور.

بعد سقوط الدولة هاجر إلى مصر، حيث تفرغ أولًا لاستكمال دراسته الأكاديمية فتحصل على درجة الدكتوراه، ثم التحق بالعمل الوطني.

فتحي أبوالشواشي

من أبناء مدينة زوارة، ولد من عائلة مشهود لها بالوطنية، درس بطرابلس وتخرج من كلية التربية، وكان من القيادات الطلابية النشطة والفاعلة، تعرفت عليه طالبًا برابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكان شابًا ملتزمًا مثقفًا هادئ الطبع، محاور جيد، في الجامعة كان من القيادات الطلابية في ثورة الطلاب، وهومثقف واسع الإطلاع، صعد في السبعينيات في مؤتمر الشعب العام.

صعد أمينًا لشعبية النقاط فربط علاقات اجتماعية واسعة مع كل قبائل المنطقة، ونجح في تحجيم الصراعات القبلية حول المناصب، خاصة أن شعبية النقاط تضم قبائل كبيرة متنافسة، كما نجح في تحقيق تنمية، ومعالجة مشاكل المواطنين.

كان موقفه في أحداث 2011 وطنيًا ثابتًا وحاول جاهدًا معالجة المشاكل، لكن المؤامرة كانت أكبر من قدرة الجميع، هاجر إلى تونس ومنها إلى ألمانيا.

معاوية الصويعي

شاعر مبدع وثوري مثابر، تعرفت عليه عندما كان طالبًا بمدرسة سوق السبت لكن العلاقة توطدت وهو شاب مارس الكتابة الصحفية منذ صغره بالصحف الليبية، فتطورت ملكته الإبداعية، وهو الآن من كبار الشعراء الليبيين الذي كتب في كل فروع الشعر، بالعامية وبالفصحى.

كان من كوادر حركة اللجان الثورية، وعمل مع حركات التحرر الأفريقية في ساحة غرب أفريقيا، وتخصص في الدول الناطقة بالإنجليزية فيها، تواصل مع ضباط وطنيين في غانا وساهم في الانقلاب العسكري الأول والثاني الذي أوصل "جيري رولنجز" للحكم في غانا، وما أحدثه ذلك من أثر على العمل الثوري التحرري في القارة الأفريقية وخاصة في غربها.

كلف معاوية سفيرا في غانا ساعده ذلك في خلق تواصل مهم مع القيادات والتنظيمات التقدمية في كل المنطقة، بعد عودته تولى مهمة تعبئة الشباب في قوة عسكرية مساندة تولت واجبات الحراسة

إضافة إلى الحرس الثوري والحرس الشعبي، بعد الأحداث ساهم في التصدي لعدوان الناتو ومقاومته، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى الجزائر ومنها إلى مصر.

معاوية الصويعي أحد مؤسسي الحركة الوطنية الشعبية وساهم في بنائها وتنظيمها، لكن ذلك لم يشغله على عمله الإبداعي فتولى مهمة المقاومة الثقافية، وكتب عدة روائع وطنية أسهمت في تعبئة الليبيين للتصدي للمؤامرة ومواجهتها.

عبد الحميد القعود

أحد القيادات الثورية في الزاوية، التحق بحركة اللجان الثورية، وساهم في تطوير برامجها، ثم صعد لعدة فترات أمينًا للمؤتمر الشعبي الزاوية فتمكن من إدارته بطريقة شعبية.

عبد الحميد القعود رجل صادق، وثوري مخلص، وقيادي نزيه، ربطتني به علاقة أخوة، وصداقة متينة، وكان من القيادات الثورية الواعية بأبعاد المخططات التي نفذت في ليبيا قبل 2010، وساهم في التصدي لها.

عندما بدأت الاحداث في 2011 قاد عملية التصدي لها في الزاوية، وساهم في تطهيرها من الإرهابين في الفترة الأولى، ونجح في تعبئة جماهيرية ضدها، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى مصر، وأيد النشاط الوطني المقاوم .

أحمد علي إسماعيل

مثقف يساري ومحاور بارع وقارئ نهم، تعرفت عليه عندما كان طالبًا بكلية الاقتصاد والتجارة، لم يكن متحمسًا للعمل السياسي بل كان يميل للعمل الثقافي والفكري، توطدت علاقتنا وتحولت إلى صداقة متينة، كان يقتحم لقاءات المجموعات الحزبية ويحاورهم ويجادلهم، بعد تخرجه عمل بشركة ليبيا للتأمين وكان ناجحًا في عمله رغم بعض مشاكله مع رؤسائه بسبب حديثه وصراحته.

ناصر سعيد امحمد

مناضل صادق وثوري عقائدي مقدام، أحد إفرازات وقيادات البراعم والأشبال، وأصغر أمين مؤتمر في أكبر مؤتمر شعبي أساسي في ليبيا (مؤتمر أبوسليم)، نجح في إدارة أبوسليم رغم صغر سنه لكفاءته القيادية وصدقيته وإخلاصه، يتمتع بعلاقات متينة مع أغلب القيادات الثورية، نجح في بناء جيل من الشباب العقائدي الملتزم بالمشروع الوطني، وارتبط بهم فكريًا واجتماعيًا، وشكل مع رفاق قياديين مجموعة عمل وطني كان لها الدور في تعبئة جماهير أبوسليم وطنيًا وثوريًا، أثناء الأحداث نجح في تحصين أبوسليم ضد الاختراقات الأجنبية.

كانت أبوسليم بفعل القيادة الثورية بها والتعبئة الواسعة لمواطنيها أكثر المناطق الليبية صمودا، وأشدها مقاومة للعدوان الأجنبي، وأحتاجت المليشيات إلى بذل جهود مضنية وتضحيات كبيرة

حتى تمكنت من إخماد مؤقت لمقاومة أبوسليم، وحكمت أبوسليم بالحديد والنار إلى يومنا هذا.

بعد سقوط طرابلس تمكن ناصر وعدد من رفاقه من الهجرة إلى تونس حيث أعلن تأسيس أول حركة معارضة للمؤامرة، التي طورت فيما بعد إلى الحركة الوطنية الشعبية الليبية، لقد تعرفت على ناصر سعيد عن قرب في فترة الكفاح السلمي في المهجر، وربما كان لجديته ومثابرته دور في ترسخ قناعاتي بأن ليبيا ستعود حتما عاجلًا وليس أجلًا.

***

رفاق أخذهم الموت مبكرًا

خلال هذه الرحلة الطويلة المليئة بالأحداث المهمة، اختطف الموت عددًا من الرفاق الأعزاء وهم يناضلون من أجل الوطن، وتركوا سيرة حسنة في قلوبنا ومسيرة عطاءات كبيرة، وتركوا لأبنائهم وأسرهم وقبائلهم تاريخًا مشرفًا ناصع البياض.

إبراهيم محمد بكار

البديهة الحاضرة والإخلاص في العمل والصدق في القول، ولد إبراهيم بكار بمدينة القبة، وواصل دراسته إلى أن تخرج من كلية القانون، وعين وكيلًا للنيابة بالبيضاء بعد قيام الثورة.

تعرفت عليه لأول مرة عند القائد رحمه الله بمعسكر البركة، حيت كان قد تمت دعوتنا إلى لقاء مع الأخ عمار الطيف، ودخل علينا المرحوم إبراهيم بكار الذي كان كما بدأ لنا أنه يعرف القائد من قبل، دار حديث ودي حول مختلف القضايا الوطنية والقومية، وتطرقنا إلى موضوعات الجامعة، كان اللقاء قبل الاستفتاء على دستور اتحاد الجمهوريات العربية، وكان بكار ضد السادات، فقال ممازحًا: يا أخ معمر لو وجدت ورقة في الصندوق الأسود لا تبحث عن صاحبها فإنه أنا.

عين أمينًا عامًا للجامعة التي كان يترأسها المرحوم عمر التومي الشيباني، ولكوني في اللجنة التحضيرية لاتحاد الطلبة توطدت العلاقة بيننا وتحولت إلى صداقة.

كان المرحوم بكار مشاركًا في كل المعارك الثورية الوطنية وساهم في قيادة الحراك الطلابي في السابع من أبريل الذي أنهى تواجد المجموعات الحزبية من الجامعة، فكان مقررًا للجنة الطلائع الثورية التي قادت السابع من أبريل والتي ترأسها بداية عبدالله الميهوب وتبعه الدكتور عبدالحفيظ الزليتني، وكان المرحوم سالم الشيباني نائبًا للرئيس.

ساهم الثلاثي عبدالحفيظ الزليتني رئيس الجامعة، وسالم الشيباني وكيلها، وإبراهيم بكار الأمين العام في قيادة الجامعة، في تطويرها وتحديثها وإبعادها عن التجاذبات السياسية، واحتضنت مناشط فكرية وثقافية على مستوى عال.

عام 1977 وعند الإعلان على نظام لامركزي بصلاحيات واسعة للبلديات، اتفقنا في اللجان الثورية بنغازي على تصعيد لجنة شعبية قوية تحد من حالة الإهمال التي كانت تعيشها المدينة، واتفق على الاستعانة بكوادر الجامعة في ذلك رغم قلتهم، وبالفعل قمت والأخ المرحوم محمد المجدوب، والطيب الصافي، بحملة شعبية ضخمة لتوضيح أهمية بناء لجنة من كوادر وطنية ومردودها عليهم والابتعاد عن الصراعات القبلية، ونجحنا في حضور جماهيري لم يتكرر بناء لجنة شعبية أغلب أعضائها أو كلهم من الكوادر الفنية القادرة، وصعد إبراهيم بكار أمينًا للجنة الشعبية للشعبية وكان من بين المصعدين باللجنة عبدالحفيظ الزليتني، ومراد لنقي، ومحمد لطفي فرحات، ومصطفى بوشعالة، ومفتاح بوكر، وغيرهم.

لقد نجح إبراهيم بكار في إدارة بنغازي وتطويرها ولازالت لمساته ماثلة بها، واستمر في وظيفته بها إلى أن صعد أمينًا للجنة الشعبية العامة للعدل.

وأثناء الحصار الجائر سافر برًا للمشاركة في اجتماع وزراء الداخلية العرب، وعند عودته تعرض لحادث سير أدى إلى وفاته، ندعو له بالرحمة والمغفرة.

إبراهيم محمد البشاري

قيادي وطني وسياسي بارع ودبلوماسي من الطراز الرفيع، تعرفت على المرحوم إبراهيم البشاري عندما كان طالبًا بكلية القانون في رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، وكان مثقفًا وقياديًا وتكونت بيننا علاقة أخوة، ذات مرة نقلت له ما يقوله بعض الحزبيين عنه في اللجنة التحضيرية لاتحاد الطلبة من إنه كان يكتب قصائد المديح في الملك في صحيفة البشائر التي كانت تصدر قبل الثورة، لم يعر اهتماما ظاهرًا لما قلت، وذات يوم ذهبت معه للبيت وفجأني بكامل مجلد صحيفة البشائر، وقال لي: أطلع عليه وخلي الجماعة إياهم يخرجوا قصائدي في الملك أوغيره لأعيد نشرها، كانت كل مقالاته عن الهم القومي وقضية فلسطين، أدرك أنه ما كان يريدني أن احاجج الحزبيين! لكنه يريد أن يزيل أي شك حول المناضلين، قلت له: يا إبراهيم أنا لا أستمع لهؤلاء فلو قالوا لي هذا حرام لفعلته اطمئن، أصر أن أخذ المجلد، واحتفظت به إلى أن أحرقه الهمج مع ما أحرق في المنزل.

البشاري حاد الذكاء يحسب لكل شيء ألف حساب، في عام 71 قدمني لأول مرة إلى المرحوم أبوبكر يونس الذي يرتبط به بصلة قرابة، ولأنه خشى أني قد أفهم الأمر خطأ، قال لي وهو يعيدني إلى بيت الطلبة: يا مصطفى نحن مع كل أعضاء مجلس قيادة الثورة، لكنهم إن اختلفوا نحن مع معمر، فهمت مقصده فكان ردي: نحن مناضلون قوميون نقف مع كل من يناضل في المشروع القومي ونختلف مع كل من يعمل ضده.

عام 73 كان له دورًا في قيادة المسيرة الوحدوية إلى القاهرة وكنا معا في لجنة قيادة المسيرة وقابلنا السادات، ولما رجعنا في أجواء استقالة القائد المشحونة، ومحاولة بعض السذج من الضباط تصوير الاستقالة وكأنها رد على المسيرة، والحوار الساخن الذي ذكرته سابقا في معسكر البركة، وسحبه لمسدسه في وجه أحد الضباط.

كلف البشاري مديرًا للإذاعة، ورئيسًا للأمن الخارجي، ورئيسًا لمكتب المعلومات، إلى أن توفاه الله في حادث مروع، وكان نموذجًا للإخلاص، وأثبت قدرة دبلوماسية كبيرة.

فرج مخيون

وطني صادق ومحارب شجاع، تعرفت عليه بكلية الاقتصاد والتجارة وكان من الطـــــلاب النشطين والقياديين المخلصين قاد هو والمرحوم عياد الأربش، وحسن هاشم نضالًا ثورًيا في الكلية التي تمكن للأسف الإخوان من التواجد فيها من خلال محمد المقريف الذي كان من أعضاء هيئة التدريس الليبيين القلة بها، وكان ينفث سمومه بين الطلاب.

في أحد اللقاءات نبهنا المرحوم البطل النقيب امحمد المقريف على خطورة من يحمل نفس اسمه على حد قوله على الجامعة، وعندما أعلنت الثورة الشعبية عام 73 وتشكلت اللجنة الشعبية بالكلية كان من أول وأهم قراراتها محاربة برنامج الإخوان بها، فتم إبعاد المقريف الإخواني ونقله إلى ديوان المحاسبة.

تخرج المرحوم من الكلية وعمل بالإذاعة لفترة قليلة، ثم التحق للعمل بشركة ليبيا للتأمين، وتمكن خلال فترة وجيزة من تبوء موقع قيادي بها.

في عام 79 أثناء الزحف على السفارات وتكليف لجان شعبية بها اختير عضوًا باللجنة الشعبية بالمكتب الشعبي بروما، ونجح في التواصل مع القوى السياسية الإيطالية والجاليات العربية في إيطاليا، وعمل على تقديم الصورة الحقيقية لليبيا إلى الرأي العام الأوروبي عموما والإيطالي خاصة، لكن أيدي الغدر طالته في الثمانينيات فاغتيل أمام منزله في روما على يد جماعة إرهابية سمت نفسها "البركان" وهي منظمة أسستها المخابرات العراقية للنيل من ثورة الفاتح على خلفية موقفها المؤيد للثورة الإيرانية، وتفيد مصادر الأمن أن جمعة عتيقة يترأسها، وهو من نفذ عملية الاغتيال، وأنه وفق التعاون مع الأمن الإيطالي ثبت تورطه، وحوكم في ليبيا وسجن، إلا أنه أفرج عنه لاحقا في إطار تسويات اجتماعية.

ربطتني بالمرحوم الشهيد فرج علاقة صداقة وأخوة قوية وحزنت كما حزن الرفاق جميع لرحيله المبكر، فهو شخصية صادقة بشوشة حاسمة وموضوعي في أقواله وأفعاله.

عياد الأربش

ولد بالعجيلات وتعلم بها، وكان طالبًا بكلية الاقتصاد والتجارة وكان من قيادات العمل الثوري الوطني ضد المجموعات الحزبية بالجامعة، وخاصة أولئك بكلية الاقتصاد والتجارة، تولى قيادة الاتحاد الاشتراكي بالجامعة وكان من العناصر القيادية برابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، رحل المرحوم عياد الأربش مبكرًا جدًا في السبعينيات إثر حادث سير أليم.

الشارف الفرجاني

أحد القيادات الطلابية البارزة في الجامعة، التحق بكلية القانون التي كانت تشهد ركودًا سياسيًا مع بعض النشاط لجماعات محسوبة على الإخوان، شكل مع محمد المصراتي، وعمار الطيف، وفتحي مخلوف قيادة للعمل الوطني الثوري، وكان له دورًا في الثورة الشعبية بالجامعة عام 73، وفي ثورة الطلاب في السابع من أبريل، كان أحد أبرز الإخوة الذين أسقطوا المجموعة الحزبية التي سيطرت على كلية القانون، وكان له دورًا في توحيد القوى الثورية بها، لقد كان رجلًا شجاعًا مقدامًا يتمتع بحس أمني عال، وتوفي في بداية الثمانينيات في حادث سير أليم.

موسى زلوم

مناضل ثوري قومي تعرفت عليه أثناء ثورة الطلاب في جامعة طرابلس، وخلال معسكرات السابع من أبريل التي ألقيت بها بعض المحاضرات، وهو شاب نشط متحمس سريع البديهة يتمتع بالجدية، في الثمانينيات برز في تأسيس اللجان الثورية بطرابلس وفي محاربة الفساد، وعند دخول القوات الليبية إلى تشاد لدعم حركة فلورينا أقام في تشاد في مهمة تثقيفية تعبوية وتعليمة، بعدها كلف بالعمل في المكتب الشعبي بالمغرب، توفي في حادث سير.

سعيد الجويفي

أحد القيادات الثورية الوطنية بالجبل الأخضر، شاب متحمس جاد وشجاع، نجح في قيادة اللجان الثورية بمنطقة محكومة بالعوامل الاجتماعية، ينتمي إلى أسرة المجاهد الكبير البطل حسين الجويفي.

شارك في كل العمليات الثورية في محاولة لإقامة مشروع الديمقراطية المباشرة، وكذلك لمواجهة الحركات الهدامة ومحاربة ظاهرة الزندقة التي حاولت أن تتخذ من الجبل الأخضر ملاذًا لها ووكرًا لتدبير عملياتها الإجرامية ضد الشعب الليبي.

بينما كان في اجتماع لفريق العمل الموسع بمكتب الاتصال، قال لي: "إنه يعاني من صداع منذ مدة، ولم يتحسن رغم أخذ مسكنات"، اصطحبته معي إلى مستشفى الحروق والتجميل، وقمت بإجراء تصوير للمخ بالرنين المغناطيسي، تبين للأسف أنه ورم خبيث

تسلل إلى الدماغ وهو سبب ما فيه من صداع، تقبل الأمر وتم ترتيب علاجه، لكنه انتقل إلى رحمة الله بعد وقت ليس بالطويل.

عبدالفتاح الشويرف

من الشباب الثوريين تعرفت عليه عندما كان طالبًا بكلية الزراعة جامعة الفاتح، يتمتع بالجدية والوضوح والحرص، بعد تخرجه التحق بالعمل في مجالات عدة منها الشركة الزراعية الليبية السورية، وشركة الأعلاف، وكان موقفه صلبًا في الأحداث، وبعد سقوط طرابلس هاجر إلى مصر وبقي بها إلى أن توفاه الله فجأة، كان من المتحمسين للكفاح السلمي ومن مؤسسي الحركة الوطنية الشعبية الليبية.

بلقاسم مختار بشير

كان المرحوم بلقاسم شابًا بشوشًا، دائم الابتسامة، ورجلًا صادقًا صاحب مواقف ثابتة، وثوريًا مبدئيا، تعرفت عليه أثناء الحراك الطلابي، فلقد كان شابًا نشطًا في كلية الهندسة، بعد تخرجه صعد في اللجنة الشعبية للزراعة بسرت، ثم أمينًا للجنة الشعبية العامة لبلدية سرت، ونقل عند نقل اللجان الشعبية من بلدية إلى أخرى إلى الجبل الغربي وأظهر كفاءة إدارية وقدرة قيادية.

انتقل إلى رحمة الله في حادث سير وهو في رحلة عمل في طريقه من الجنوب إلى بني وليد.

محمد صالح منصور

كان عضوًا نشطًا برابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين، يتسم بالطيبة والبساطة، تعرفت عليه وهو طالب بكلية الآداب، معروف بجديته ووضوحه الفكري والسياسي بعد تخرجه عمل بقطاع التعليم، وصعد أمينًا لتعليم بنغازي، ثم عمل بالمكتب الشعبي بفرنسا وتوفي إثر مرض.

سالم أحمد الشيباني

صديق وفي وأخ عزيز، تعرفت عليه عندما كان محاضرًا بكلية الآداب في بداية سبعينيات القرن الماضي، وكان شخصية مرحة يتمتع بروح النكتة الجاهزة، ووطني صادق، كما يتمتع بقدر كبير من وسعة البال، والبديهة الحاضرة دائما، بعد الثورة الشعبية 73 صعد عميدا لكلية الآداب فنجح في إدارتها، ثم كلف وكيلًا للجامعة فكان له الدور الأهم في تطويرها والانتقال إلى المباني الجديدة في قاريونس.

في عام 75 كان له دورًا في تهدئة الجامعة وإبعادها عن محاولات الحزبيين لجرها إلى مشاكل، وكان من قيادات ثورة السابع من أبريل حيث كلف نائبًا لرئيس لجنة الطلائع الثورية التي ضمت كل أعضاء هيئة التدريس الليبيين وطلاب مندوبين عن الكليات، ثم استمر وكيلًا للجامعة عندما ترأسها الدكتور عبد الحفيظ الزليتني.

في صيف 76 وفي إطار التحضير لملتقى الطلاب الليبيين الدارسين بالخارج سافرنا معا إلى بريطانيا، والتقينا بالطلاب

ودعوناهم للمشاركة في الملتقى، ومن بين من التقينا بهم عبدالرحمن السويحلي رئيس فرع الاتحاد ببريطانيا.

استمرت علاقة الإخوة والصداقة مع المرحوم سالم الشيباني وكنا تقريبا على تواصل دائم، كلف بعد خروجه من الجامعة بشركة النشر والتوزيع وتولى مهام إدارية وشعبية أخرى، اقترح مرات للعمل بالمكاتب الشعبية بالخارج لكنه كان يرفض ذلك.

أثناء الأحداث وقف موقفا وطنيا وحاول مع كثير من أعيان مصراته الوطنيين العمل من أجل إيقاف تدهور الوضع، لكن تعنت إخوان مصراته أحال دون ذلك توفي نتيجة مرض لم يمهله طويلاً.

يونس صالح معافة

زميل ورفيق، نموذج في الزهد والبساطة والجدية، تعرفت عليه في كلية الطب الدفعة الثالثة، وكان من القيادات الطلابية النشطة، كان يونس رجلًا عصاميًا بعد إكماله الدراسة الإعدادية التحق بسلك التعليم واشتغل معلمًا للغة الفرنسية، وواصل دراسته المسائية وتحصل على الشهادة الثانوية بتفوق، مكنه من الدخول إلى كلية الطب، كان أحد قادة العمل الطلابي التي حافظت على كلية الطب بعيدة عن عبث الحزبيين إلى الآن، فكانت الكلية الوحيدة النظيفة من الإخوان والشيوعيين رغم محاولاتهم التسلل لها.

كان من قيادات ثورة الطلاب في السابع من أبريل، وبالنظر لكثرة نشاطه الطلابي تعثر في دراسته فتقرر إيفاده لاستكمال دراسته

في المجر، التي تخرج منها، وبعد عودته وعندما كنت أميناً للصحة كلف بجهاز صيانة المعدات الطبية.

كان موقفه واضحا أثناء الأحداث وشارك في مقاومة العدوان إلى حين سقوط طرابلس فهاجر إلى الجزائر ومنها إلى مصر حيث توفي أخيرا بها، ادعو له بالرحمة والمغفرة.

علي مرسي الشاعري

حماسة ثورية وتواضع، في أول لقاء لي بالمرحوم علي الشاعري في 72 وكان وقتها طالبا منتسبا لكلية القانون أمام فرع الرابطة ببنغازي ألقى فينا ونحن وقوفًا كلمة عن عبد الناصر وتاريخه ونضاله، وكان يقول نحن كبرنا الدور عليكم كشباب لإكمال المهمة، ذكرته بذلك عندما التقيته رحمه الله مع أبني الدكتور مصعب في إحدى المناسبات فكرر الكلام لإبني، فقلت مازحا: "سيبك منه يا مصعب عمك الشاعري بمثل هذه الكلمات ورطني وغيري في عمل لم نجد ساعة راحة فيه لمدة نصف قرن"، داخل الشاعري روح الشباب، فهو من صمم أول معسكرات للإعداد الفكري والثقافي للطلاب ونجح في ذلك، فأغلب القيادات الثورية إما خريجو معسكرات الثورة العربية أو برنامج البراعم والأشبال.

تولى الشاعري عدة مهام في وزارات الشباب والرياضة والتعبئة والإعلام، وكلف أمينا لشعبية المرج وشعبية بنغازي.

صمد في الأحداث وثبت في موقفه القومي والوطني وانتقل إلى رحمة الله في بنغازي التي عاد إليها بعد طرد الإرهابيين منها.

***

استذكار تاريخ ثورة الفاتح واجب

لقد تكونت رابطة ثورية وطنية بين أجيال متعاقبة ومناطق متباعدة وقبائل متعددة ومهن مختلفة، بنيت على مشروع وطني قومي تقدمي يعكس كفاح الآباء والأجداد وتضحياتهم الجمة من أجل الحرية والاستقلال، ويعبر عن إرادة الأمة في مواجهة التحديات، ويلبي تطلعات الأجيال في بناء دولة عربية قوية قادرة على تأمين مستقبل مشرق لأبنائها، وجاهزة للعودة لممارسة دورها الحضاري الإنساني وحمل الرسالة التي كلفت بحملها للعالمين فهي أمة وسط كلفها الله عز وجل أن تكون شاهدة على الناس والرسول عليها شهيدا، فيمكنني القول إن مدرسة نضالية حقيقية قامت خلال النصف الثاني من القرن العشرين، لم تتأسس على وظائف ومهن وميزات مادية بل، على قيم نضالية، وأفكار تقدمية، ومواقف بطولية، فلم يكن النضال خلالها مرتبط بتراتبيات أومسؤوليات بعينها بل كان يقوم على الاحترام والإلتزام، كان جيلنا من أمثال المرحوم عبدالقادر البغدادي، وعزالدين الهنشيري، وسعيد راشد، ومحمد المجدوب وعبدالله السنوسي، نقف على خطوات من الضباط الأحرار والإخوة السابقون من أمثال أبوزيد دورده، ومحمد الزوي، ومحمد الشريف، رغم أن بعضنا كان في بعض الأوقات في مواقع إدارية وقيادية أعلى، وهكذا الجيل الذي بعدنا من أمثال رمضان البريكي، عبدالسلام إسماعيل، علي اللافي، ناصر سعيد، قاسم صنبير، سعيد رشوان، أحمد البرشا يقدومننا خطوات رغم أن بعضهم كان في مواقع إدارية وقيادية.

في تصوري هذه العلاقة المتميزة جدًا هي أحد الأسباب المهمة في استمرار الزخم الوطني الداعم لثورة الفاتح بالرغم من شدة التدخل الخارجي وفضاعة القمع والتنكيل الذي تعرض له كل من حسب عليها.

لقد كانت ثورة الفاتح نقطة تحول مهمة في التاريخ الليبي وكانت لحظة فاصلة بين حقب خضعت فيها ليبيا لسيطرة الأجانب الطامعين ومرحلة جديدة أسست ليكون لليبيين كلمة فوق أرضهم.

ورغم ما تعرضت له ليبيا من انتكاسة كبيرة عام 2011 وعودة المستعمر للعبث بليبيا إلا أن الروح الوطنية أزدادت بين الشباب وتعاظمت إرادة التحدي لديهم، ولا شك عندي أن الليبين يستطيعون تحرير إرادتهم وقيادة بلادهم، وستكون ليبيا رائدة في مجال التحرر والبناء.

لقد تحولت ليبيا من بلد فقير خضع لقرون لعبث أجنبي إلى دولة مستقلة لعبت دورا مهما في محيطها الإقليمي، وتحولت حياة الليبيين من الفقر والتعاسة والترحال إلى حياة الاستقرار والرفاه، حتى أن المطالب التي أستندت إليها أحداث فبراير كانت مزيد الرفاه وليس الحياة الكريمة فارتفعت النداءات ببناء الأبراج، والبحث عن الحياة الفارهة وهي في الواقع شعارات بلا مضمون حقيقي، فلا بناء الأبراج، يعكس الحالة الاجتماعية للناس ولا ترف قلة من المواطنين يعني مستوى متطور للحياة.

تأسست في ليبيا عدالة اجتماعية، وخلقت حالة من المساواة بين الناس في الحقوق، فتساوت أيضًا تطلعات الناس، ولم يعد ممكنا القبول بأن وجود أغنياء قضاء وقدر، لكن من آثار ذلك السلبية أن دفع بعض

الناس للبحث عن المال بأي طريق، وزرع بذور التنافس غير المنضبط، وظهرت حالة من التدافع العنيف كانت سببا إضافيا فيما وقع، وعمقت الآثار الجانبية الناتجة عن الأحداث.

إن تطور حياة الناس غيّر من مفهوم ضروريات الحياة وكمالياتها، فأصبحت السيارة والثلاجة، والكهرباء، والمكيف والبيت الكبير، وغرفة استقبال الضيوف الكبيرة، والمطبخ الحديث، وكذلك السفر للخارج للسياحة والعلاج والدراسة، والحج والعمرة، وإقامة الأعراس بالصالات، وأعياد الميلاد، ومتابعة تطورات الموضة من أغلب الليبيين الخ.. ضروريات لكل أسرة ليبية، ولم يعد مجالًا للنقاش حول تعليم المرأة وعملها، ولا الدخول للجامعة للجميع وطلب الدراسة العليا للكل، حتى أنقلب هرم التعليم وأصبحت أعداد حاملي الشهادات العليا والجامعية أكثر من حاملي الشهادات المتوسطة والفنية، وأزدادت الحاجة للعمالة الفنية واليدوية، فأزداد الاعتماد على العمالة الوافدة.

كما تغيير سقف الكماليات من حيث الكم والكيف فصار كل حديث وغريب يخرج في وسائل الإعلام والدعاية مطلوب من الكل، بما في ذلك الشغف بتشجيع الأندية الكروية الأوروبية والعالمية، ورحلات الكروز إلى الكاريبي، وإقامة حفلات الزواج وأعياد الميلاد بالخارج الخ..

صورة ليبيا عام 2010 من حيث المعمار وهيئة الناس اختلفت كليًا وجوهريًا عن صورة ليبيا 1940 أو 1950، لكن الدولة في كل مراحلها فشلت في نقل الصور القديمة إلى أذهان الأجيال الجديدة، وعلى العكس رسمت بأذهانهم صور خيالية غير واقعيـــــة في كثير

الأحيان لحياة مترفة، فتشبتوا بها وربما ساهم ذلك في دفع بعضهم لتدمير ما بين أيديهم طمعا في الوصول إلى تلك الصورة الخيالية.

إن ارتفاع سقف التوقعات والمطالب لدى أفراد الشعب ربما سببًا في عدم الرضا على ما لديهم بتوقع أنه دون المستوى، والمستوى بالنسبة لهم ليس ماهو موجود في ذلك الزمن، بل صورة خيالية غير محدده قدمت لهم، وتوقعوا أنها حقيقة متجلية لكل سكان الكرة الأرضية، فلقد فشلت الدولة في كل المراحل في تقديم واقع ما تعيشه الشعوب الأخرى وما يتمتع به مواطنوها من خدمات، ولو تحدث أحد على أن الرعاية الصحية في كوبا أفضل عشرات المرات منها في أمريكا فسيعتبر ذلك نوع من الجنون، ولو قيل لهم إن "أوباما" فاز في الانتخابات لأنه قدم مشروعه في الرعاية الصحية الأولية لجميع الأمريكيين أو ما اسماه بـ"أوباما كير" في بدايات القرن الواحد والعشرين فسيعتبرون ذلك هذيان، لأن الصورة التي رسمت أن الأمريكيين كلهم أسعد سكان الأرض رغم أن 30% من الأمريكيين أميين!

الصورة الأخرى التي رسمت أن ليبيا بلد غني، والواقع أنها ليست كذلك، فهي تمتلك ثروات طبيعية كبيرة لو تم استغلالها كلها لتحسن مستوى الليبيين المادي، لكن استغلالها يتطلب إمكانات تقنية وبشرية لم تكن متوفرة، فاستقدمت الأجانب لفعل ذلك عن طريق الشركات الكبرى، الأمر الذي أدى إلى هدر كثير من تلك الثروات ونهبها من قبل الأجانب.

ولقد حاولت ثورة الفاتح الحد من ذلك بتقنين وضبط التواجد الأجنبي في ليبيا ودوره في الاقتصاد الوطني، وأدى ذلك إلى دخولها في صراعات سياسية وعسكرية مع الدول المهيمنة، كما حاولت إعداد القدرات الليبية لتقوم باستغلال ثرواتها بعيدا عن الأيادي الأجنبية، ولأن ذلك يحتاج إلى وقت حتى تتراكم الخبرات، فلقد لجأت الثورة إلى إجراءات اعتبرت قاسية في سبيل تحقيق ذلك منها، الإقلال من التوريد بقصد تطوير الإنتاج المحلي من الصناعة والزراعة، ومحاولات الدخول في التصنيع الثقيل، وتصنيع المصانع وليس استيرادها إلى أخره من الإجراءات التي اتخذت والتي لم تنجح للأسف بسبب نجاح العدو في تسفيهها بأطروحات نظرية من قبيل أن العالم قرية صغيرة ولا يمكن تحقيق إكتفاء من كل شيء، وبضرب أمثلة من نماذج تابعة للأجانب ومعتمدة عليهم وهكذا.

لقد حاولت ثورة الفاتح إحداث نهضة شاملة وكلية في كل المجالات الفكرية والتنموية لكن محدودية القدرات الوطنية وشراسة الحملة الدعائية ساهمت في الحد من نجاحها.

إن تفاصيل مهمة لم تسجل وربما تذهب أدراج الرياح وجب إعادة إظهارها لكي لا تبدأ الأجيال الجديدة الناهضة من الصفر وأن يتراكم جهدنا على ما قيل وما وضع من أفكار ومخططات وما أنجز من أعمال، إن إعادة الحديث في تلك التفاصيل من قبل من عاصرها وربما ساهم فيها أمر في غاية الأهمية ليس فقط لكاتبة التاريخ كما هو بل لتكون قاعدة يبنى عليها.

لذلك أنبه إلى خطورة ما يقوم به العملاء الذيم ساهموا في ضرب المشروع النهضوي الوطني، من محاولات لإلغاء فترة تاريخية مهمة من 1969 إلى 2011 فترة كانت زاخرة بالعمل ومليئة بالأحداث وضعت بها قواعد قانونية وأعدت خلالها مخططات تنموية، وجرت بها أعمال مهمة سياسيًا وتنمويًا واجتماعيًا، فاستحضر تاريخ الجهاد كما هو وليس كما أراده الملك السنوسي وأعوانه الذين كان بعضهم من أعوان الطليان وأدواتهم، وبنيت علاقات اجتماعية طبيعية بين القبائل بالابتعاد عن إدخال القبيلة في السياسة وإقامة مشروع حكم يقوم على أساس أن الوظيفة تكليف وليست تشريف، وعلى مشاركة مباشرة من الشعب في إقامة المؤسسات الوطنية.

إن استذكار تلك الفترة واجب وطني فهو مسؤولية كل ليبي وليبية وليس فقط مطلب لأنصار ثورة الفاتح، وبدون ذلك لن يمكن بناء دولة قوية بقواعد صلبة راسخة.

*****

د. مصطفى محمد الزائدي

المولد:

- ولد بقصر بن غشير 11 ربيع الأول 1372 هجري الموافق 23 نوفمبر 1952.

نشأته:

- كانت الأوضاع الاقتصادية في الخمسينيات سيئة جدًا، وهي امتداد لعقود من الحياة البائسة بسبب سيطرة الإيطاليين على البلاد واستيطانها بعد طرد سكانها منها.
- عادت أسرته من منفى بمنطقة رقدالين مع النوائل إلى موطن قبيلته بالنواحي الأربعة عام 1947، وسكنوا بجوار مزرعة مستوطن إيطالي، حيت ولد بنفس المنطقة، وترعرع فيها، كانت أسرته تمتهن الزراعة بالأراضي خارج مزارع الطليان، في نهاية الخمسينيات توفى والده فربته والدته وإخوته الذين التحقوا بالعمل من أجل تأمين لقمة العيش لأسرة تتكون من ستة أفراد.

دراسته:

- درس الإبتدائية بمدرسة سوق السبت وتحصل على الشهادة الإبتدائية بتفوق عام 1964/1963
- ثم درس الإعدادية بمدرسة اسبيعة بالرقيعات وأنهى دراسة المرحلة في يونيو 1967 بتقدير ممتاز ضمن الأوائل بمحافظة طرابلس.
- درس المرحلة الثانوية بمدرسة باب بن غشير الثانوية وأنهاها بتقدير ممتاز عام 1970.
- التحق بكلية الطب بالجامعة الليبية وأكملها بتقدير عام جيد جدا عام 1976.
- عين معيدًا بكلية الطب
- أكمل دراسة التخصص بالنمسا وتحصل على شهادة التخصص " الفاخ " عام 1978.

حياته المهنية:

- عمل بمستشفى الجلاء للجراحة والحوادث ببنغازي، ومستشفى الهواري العام وتولى إدارتهما.
- انتقل إلى طرابلس وعمل بمستشفى الخضراء العام.

- صعد أمينًا للجنة الشعبية بلدية العزيزية وعمل بها لمدة سنة ونصف واستقال ليستكمل دراسته التخصصية.
- عام 1987 صعد أمينًا للجنة الشعبية العامة للصحة وعمل بها إلى سبتمبر 1990 استقال ليتفرغ إلى عمله الطبي.
- درس الطب، وكان يطمح أن يكون جراحًا، اشتغل بأقسام الجراحة العامة بمستشفى الجلاء بنغازي، ومستشفى الضمان بالهواري، ثم انتقل للعمل بقسم الجراحة العامة بمستشفى الخضراء، سافر للدراسة في ألمانيا حيث عمل بقسم جراحة الصدر بالمستشفى الجامعي بون، ثم انتقل إلى فيينا النمسا ليلتحق بالعمل بقسم جراحة التجميل بالمستشفى الجامعي فيينا.
- بعد عودته إلى ليبيا ورغم تعيينه أمينًا للصحة، اشترط أن يستمر في ممارسة مهنته، فعمل بقسم التجميل بمستشفى طرابلس المركزي، وبعد افتتاح مستشفى الحروق والتجميل عمل به كرئيس لقسم التجميل والحروق، حيث أسس مدرسة ليبية في مجال تخصصه، وتمكن من تأسيس أكبر مركز متخصص في جراحة التجميل في القارة الأفريقية، حيث أدخل الجراحات المجهرية وجراحة الأعصاب الجانبية وجراحة الفك وجراحة الجمجمة، إضافة لجراحات الترميم والتجميل والحروق، وتحول إلى مركز تدريبي مجهز ومتطور تخرج منه أغلب قيادات جراحة التجميل في ليبيا.

النشاط الأكاديمي:

- عين معيدًا بكلية الطب جامعة قاريونس بنغازي، وبعد عودته عين على وظيفة محاضر بكلية الطب جامعة الفاتح طرابلس، ثم تدرج في الترقيات بنفس الجامعة إلى درجة أستاذ في جراحة التجميل.
- تولى وظيفة أمين عام الرابطة العربية لجراحة الحروق والتجميل.
- تولى نائب الأمين العام الكونفيدرالية الدولية لجراحة التجميل.
- أسس مجلس التخصصات الطبية الليبية وتولى رئاسته منذ 1994 إلى 2011
- كان عضوًا بالهيئة العليا للمجلس العربي للتخصصات الطبية، وعضوًا بالمكتب التنفيذي للمجلس في سنوات 1990/1987.
- نشر عديد البحوث في مجلات طبية عالمية وشارك في عديد المؤتمرات العلمية، وألف كتاب منهجي في جراحة التجميل اسمه مختصرات في جراحة التجميل، كما ألف أيضا كتابين حول الجراحة الجمالية باللغة العربية.

النشاط السياسي والثوري:

- كان منذ فترة الدراسة الثانوية والجامعية من النشطاء في القطاع الطلابي فاختير عضوا باللجنة التحضيرية لتأسيس اتحاد عام للطلبة، ثم اختير عضوًا بالاتحاد الاشتراكي العربي بالجامعة واختير مندوب الطلبة في المؤتمر القومي الأول للاتحاد الاشتراكي العربي.
- كان عضوا مؤسسًا في رابطة الطلبة العرب الوحدويين الناصريين فرع بنغازي.
- كان موجهًا ثوريًا ومحاضرًا في أغلب معسكرات الإعداد السياسي والثوري في السبعينيات والثمانينيات.
- كان عضوًا مؤسسًا في حركة اللجان الثورية وتولى مهام شعبة التثقيف، وشعبة العمل الخارجي.
- 1979 اختير أمينًا " محافظًا " لبلدية العزيزية واستقال منها بعد سنة لاستكمال دراسته.
- 1987 اختير أمينًا "وزيرًا" للصحة.
- في عام 2000 اختير أمينًا للموارد البشرية بمؤتمر الشعب العام لكنه رفض تولي المهمة بسبب زيادة انشغالاته الطبية.

النشاط الثقافي:

- كاتب سياسي، أصدر في كلية الطب مجلة ثقافية في السبعينيات.
- كان عضو باللجنة الشعبية للإذاعة عام 1973 وقام بإعداد وتقديم برنامج إذاعي يومي.
- ساهم في تأسيس إذاعة صوت الوطن العربي.
- ساهم في إصدار صحيفة الطالب، وكان من مؤسسي صحيفة الزحف الأخضر وتولى الإشراف على إدارتها.
- ساهم في تأسيس قناة البديل وتولى متابعتها والإشراف عليها.
- كاتب صحفي له عدة مقالات سياسية في أهم الصحف الليبية، ومنها الطالب، الزحف الأخضر، قورينا.

- ساهم في تأسيس أهم حركة معارضة بعد 2011 وهي الحركة الوطنية الشعبية ويتولى إدارة لجنتها التنفيذية.

*****